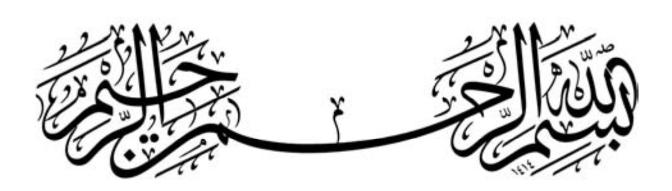

محمد باقر الصدر
السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق



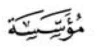
محمد باقر الصدر

السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق

تأليف

أحمد عبد الله أبو زيد العاملي

الجزء الثاني





الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م ـ ١٤٢٧ هـ

مؤسسة العارف للمطبوعات

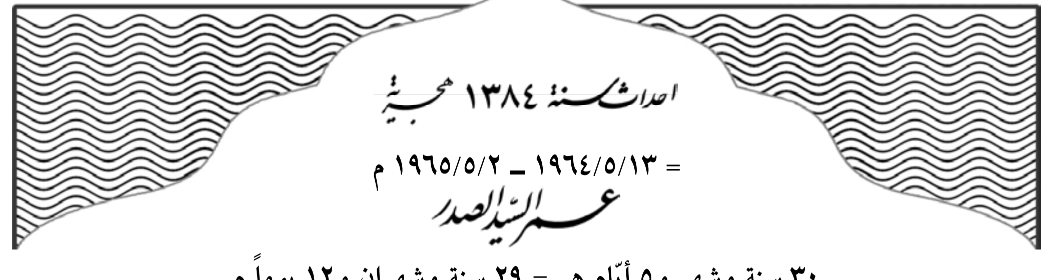
بيروت ـ لبنان



لبنان: ص.ب: ١٠٦ / ٢٤ برج البراجنة.
Tlf: 00961 1 543359
+ 0 3 548403

العراق ـ النجف الأشرف / الميدان
Tl: 00964 33 370636
+ 07801327828

Url: www.alaref.net
Email: alaref@alaref.net



٣٠ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٢٩ سنة وشهران و١٢ يوماً م

❊ ❊ ❊

(ملكيّة النبيﷺ والإمامعليه السلام)، (الجعالة في كتاب اقتصادنا) و(الرسالة الفكريّة والقيادة)

في العدد العاشر من السنة الرابعة من مجلّة (الأضواء) الصادر في تمّوز/١٩٦٤م (صفر/١٣٨٤هـ)، نشر السيّد الصدررحمه الله مقالاً تحت عنوان (ملكيّة النبيﷺ والإمامعليه السلام)[١]، نورده لعدم انتشاره:

«ملكيّة النبيﷺ والإمامعليه السلام

محمّد باقر الصدر

توجد في القرآن الكريم عدّة نصوص تتعلّق بالأموال التي يملكها النبيﷺ والإمامعليه السلام باعتبار المنصب الإلهي الذي يشغلانه.

فهناك نصٌّ في الأنفال وهو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الأَنْفَالِ قُلْ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢].

ونصٌّ آخر في الفيء، وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُوله مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْه مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُوله مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّه وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٣].

ونصٌّ ثالثٌ في الخمس، وهو قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[٤].

والأنفال كما حدّدت في الروايات هي مجموعة الأموال التي منحت الشريعة ملكيّتها للنبي والإمام باعتبار المنصب لا الشخص، وقد فصّلت أنواع هذه الأموال في الروايات:

ففي رواية إسحاق بن عمّار قال: سألتُ أبا عبد اللهعليه السلام عن الأنفال فقال: «هي القرى التي خربت وانجلى أهلها [فهي لله وللرسول وما كان للملوك فهو للإمام]، وما كان من الأرض الخربة لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. وكلُّ أرض لا ربَّ لها، والمعادن منها. ومن مات وليس له مولى فماله من الأنفال»[٥].

والفيء نوعٌ من الأنفال، لأنّه عبارة عن الغنائم التي حصل عليها المسلمون من الكفّار بدون قتال نتيجةً لاستسلامهم، وهو لهذا يكون ملكاً للنبي والإمام كسائر أنواع الأنفال.

---

(١) في الأصل: (ص) بدل ﷺ و(ع) عليه السلام.

(٢) الأنفال: ١.

(٣) الحشر: ٦ ـ ٧.

(٤) الأنفال: ٤١.

(٥) وسائل الشيعة ٩: ٥٣١ ـ ٥٣٢، ح٢٠.

غير أنّ النصّ القرآني في سورة الحشر استعرض مصرف الفيء، حيث نفى في الآية الأولى اختصاص المقاتلين به لأنّه لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وأثبت في الآية الثانية أنّه ﴿لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾. وهذا لا يعني أنّ الفيء ملكٌ لهذه الجهات لكي يكون معارضاً مع الحكم بملكيّة النبي للأنفال بما فيه الفيء، فإنّه لا تنافي بين كون النبي هو المالك باعتبار المنصب، وكون المصالح المرتبطة بتلك الجهات هي المصرف. فالآية بصدد بيان المصرف، كآية الزكاة ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾[1]، وليست بصدد بيان المالك.

وهكذا يستخلص من مجموع آيتي الأنفال والحشر تحديد المالك وتحديد المصرف.

ونحن نرجّح هذا في تفسير آية الفيء، إذ نستظهر وحدة الموضوع في الآيتين المتعاقبتين، خصوصاً مع عدم تكرار (الواو) في [صدر][2] الآية الثانية. وأمّا ما ورد من أنّ الآية الأولى واردة في الفيء والثانية واردة في خمس الغنيمة، فهو ضعيف السند، ولهذا لا يُمكن الاعتماد عليه[3].

ويظهر من بعض الروايات تنزيل الأنفال منزلة الفيء في الأحكام: فقد جاء في رواية الحلبي أنّ «الأنفال مثل ذلك هو بمنزلته»[4]، فإذا ثبت في الآية ما هو مصرف الفيء باعتباره فيئاً بعد إلغاء خصوصيّة أهل القرى، فيثبت التنزيل كون ذلك مصرفاً للأنفال بشكل عام.

وبذلك نعرف أنّ الأنفال حين حدّد [لها] المصرف المذكور في آية الحشر أريد به أن يكون أحد الأدوات الفعّالة للضمان الاجتماعي وإيجاد التوازن العام بمفهومه الإسلامي، والحيلولة دون التناقضات الصارخة في التوزيع»[5].

وفي العدد الأوّل من السنة الخامسة الصادر في ربيع الأوّل/١٣٨٤هـ كتب السيّد الصدر ﵀ مقالاً تحت عنوان (الجعالة في كتاب اقتصادنا) توضيحاً لبعض المطالب بعد انتشار الكتاب، وقد ضُمّت هذه المقالة مؤخّراً إلى ملحقات كتاب (اقتصادنا)[6].

وفي العدد (٦ـ٧) من السنة الخامسة الصادر في شوّال/١٣٨٤هـ (شباط/١٩٦٥م) نشر السيّد الصدر ﵀ مقالاً تحت عنوان (الرسالة الفكريّة والقيادة)، وقد جاء فيه:

«الرسالة الفكريّة والقيادة

محمّد باقر الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة على أشرف أنبيائه وآله الطاهرين.

إنّ الأمّة الإسلاميّة أيّها الأعزّاء ـ أيّة أمّة ـ توجد نتيجةً لاستخراج عاملين: عامل الفكرة البنّاءة وعامل القيادة الرشيدة. وبقدر ما تحمل الفكرة من طاقات البناء وتجسّد القيادة من روح الفكرة، تنمو

---

(١) التوبة: ٦٠.

(٢) في الأصل: (صدد)، والأولى ما أثبتناه.

(٣) انظر: التهذيب ٤: ١٣٤ ؛ وسائل الشيعة ٩: ٥٢٧، ح١٢، وسندها كالتالي: وعنه [محمّد بن الحسن الطوسي عن علي بن الحسن بن فضّال] عن سندي بن محمّد عن علاء عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر ﵇.. ولم أقف على وجه ضعف السند عنده ﵀.

(٤) انظر: تهذيب الأحكام ٤: ١٣٣ ؛ وسائل الشيعة ٩: ٥٢٧، والرواية يرويها محمّد بن علي الحلبي عن الإمام أبي عبد الله الصادق ﵇.

(٥) مجلّة (الأضواء)، السنة الرابعة، العدد العاشر.

(٦) اقتصادنا، ط المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ﵁: ٨٦٥ ـ ٨٦٨.

الأمّة وتشتدّ. وبقدر ما تتّصف به الفكرة الرساليّة من رحابة أفق وإنسانيّة في المفاهيم، وما يتوفّر في القيادة من سعة قلب وموضوعيّة في العمل، تمتدّ الأمّة وتتّحد أبعادها.

فالفكرة الرساليّة والقيادة هما إذن القاعدة الأولى لوجود الأمّة وتحديد أبعادها المكانيّة والزمانيّة.

ونحن بوصفنا نملك هذه القاعدة لوجودنا بكلا حدّيها الفكري والقيادي، فالفكرة الرساليّة هي الإسلام الذي [وضع] للأمّة بذرتها الروحيّة والنظريّة وأعطاها مقوّماتها الفكريّة.

وعامل القيادة تمثّل في أبطال الرسالة كالحسين عليه السلام وغيره من تلامذة القائد الأعظم رسول الله صلى الله عليه وآله الذين وضعوا للأمّة بذرتها البشريّة وحدّدوا لها الطريق وجسّدوا الفكرة وأناروا الدرب وزوّدوا الأمّة برصيدها من المثل والتضحيات.

وإذا كانت الأمّة تولد بمولد الفكرة الرساليّة ومولد القيادة التي تجسّد الفكرة، فمن الطبيعي أن تحتفل أمّتنا الإسلاميّة العظيمة بيومٍ كهذا اليوم المبارك، لأنّ مولد الحسين وأبي الحسين يحمل معنىً من معاني مولد الأمّة.

وإذا كان يوم المبعث هو يوم مولد الفكرة التي تمخضت عنها السماء متمثّلةً في رسالة الإسلام الكبرى، فإنّ أيّام الميلاد المباركة هي التي قدّمت للرسالة قادتها الميامين، وأكملت بذلك القاعدة الأساسيّة في وجود الأمّة، فامتزجت الفكرة بالقيادة وأسفر ذلك عن أمّة هي خيرُ أمّة أخرجت للناس[1].

وهكذا نجد أنفسنا مشدودين إلى هذه الذكريات المباركة ومرتبطين بها ارتباط حياة، لأنّها ذكريات وجودنا الأكبر كأمّة تحت الشمس تحمل لواء الإسلام ومشعل التوحيد وتحمي كلمة السماء [على][2] وجه الأرض.

فذكرى الحسين عليه السلام في مولده أو شهادته أو ملحمة حياته الكبرى ليست بالنسبة إلينا مجرّد استرجاع [لماضٍ] مجيد، وإنّما تعبّر عن جزءٍ من القاعدة التي يبتني عليها وجود الأمّة، فالأمّة إذ تحتفل بذكريات الحسين وعلي عليهما السلام أو بسائر ذكريات الإسلام، إنّما تؤكّد وجودها كأمّة واعتنائها بكلّ المقوّمات الأساسيّة لهذا الوجود.

وعلى هذا الأساس ندرك أنّ كلّ محاولة لتعميق ربط الأمّة بمصادر وجودها الرساليّة والقياديّة وشدّها إلى رسالتها الإسلاميّة الكبرى وقادتها الميامين هي في الحقيقة عملٌ في سبيل وجود الأمّة بالذات. وكلّ محاولة تستهدف تبعيد الأمّة عن الإسلام أو قادته الميامين في أيّ مجال من مجالات الحياة الفكريّة والعمليّة هي في الحقيقة مؤامرة على وجود الأمّة ومحاولة لسرقة مقوّماتها الأساسيّة منها وتعريتها عن مبرّرات وجودها كأمّة تحت الشمس.

وعلى هذا الأساس أيضاً نعرف أنّ إصرار الأمّة المتمثّل في إرادتكم أيّتها الجماهير المؤمنة على اختيار طريق الإسلام في كلّ مجالات الحياة الاعتقاديّة والاجتماعيّة والانطلاق في نفس الاتّجاه القيادة الكبرى التي جسّدها الحسين وأبو الحسين عليهما السلام. إنّ هذا الإصرار إنّما يعبّر عن إدراك الأمّة أنّ هذا هو الطريق الوحيد لمواصلة وجودها وأصالتها والحصول على سعادة دنياها وآخرتها.

ومن خلال هذا الترابط الجذري الذي يشدّ الأمّة إلى رسالتها الإسلاميّة وقيادتها الرائدة، يمكنكم أن تعرفوا أيّها الإخوة حقيقة الدور الذي تمارسه حوزة الإسلام الكبرى هنا في النجف، حوزة الإمام جعفر بن محمّد عليه السلام التي نذرت نفسها خلال ألف عام تقريباً من تاريخها المجيد لتذكير الأمّة دائماً بمقوّمات

---

(١) ناظرٌ إلى: آل عمران: ١١٠.

(٢) في الأصل: عن.

وجودها وربطها برسالتها المقدّسة والتضحية في سبيل مصالحها الحقيقيّة والكشف عن مؤامرات أعدائها والإعلان عن كلمة الإسلام دائماً وفي كلّ حين.

فهذه الحوزة الكبرى أيّها الإخوة هي التي تسهر على حماية رسالتكم، وهي التي تعبّر عن آلامكم وآمالكم الحقيقيّة، وهي التي تضع طاقاتها في سبيل خيركم وسعادتكم، وهي التي تحدّد لكم طريق الإسلام الواضح في كلّ مجالات الحياة التي يغني المسلمين عن استجداء الأفكار والأنظمة من معسكر الشرق أو الغرب والتطواف على موائد الرأسماليّة وغيرها من المذاهب الاجتماعيّة التي يرفضها الإسلام ويقدّم البديل الأفضل عنها متمثّلاً في نظامه الاقتصادي والاجتماعي وطريقته في تنظيم الفرد والمجتمع التي تشمل جميع مناحي الحياة.

إنّ هذه الحوزة هي همزة الوصل بين الأمّة ورسالتها الكبرى، وأيّ محاولة لتفتيت هذه الحوزة أو القضاء عليها يعني قطع همزة الوصل وفصل الأمّة عن رسالتها الكبرى، وبالتالي مقوّمات وجودها.

فبحرمة هذه الذكرى الشريفة وصاحبها العظيم صلوات الله عليه أن يحقّق إرادتها الواعية ويجسّد ارتباطها بدينها في كلّ مجالات الحياة ويحفظ الحوزة ويقيها شرَّ الأعداء لتكون دائماً التعبير الأصحّ عن الإسلام في الأمّة ودليلها إلى خير الدنيا والآخرة.

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[1].

رسالة الهيئة العلميّة في النجف الأشرف إلى الحكومة

في ١٩/ربيع الأوّل/١٣٨٤ هـ (١٩٦٤/٧/٢٩م) أرسلت الهيئة العلميّة في النجف الأشرف الرسالة التالية إلى الحكومة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد

السيّد رئيس الجمهوريّة

السيّد رئيس الوزراء

السيّد الحاكم العسكري العام

في هذا الوقت الذي تتطلّع فيه الأمّة إلى أفضل، وتنتظر من المسؤولين أن يقولوا كلمة الإسلام في حلّ المشاكل الاجتماعيّة، ترى كارثة الانحراف عن الإسلام تشتدّ وتنمو ويطلع علينا وضعٌ جديدٌ تستقطب فيه مبادئ غريبة عن مبادئ الإسلام تسمّى بالاشتراكيّة.

والهيئة العلميّة في النجف الأشرف إذ تستنكر هذا الوضع الجديد، تلفت نظر الحكومة إلى الوضع غير المستقرّ الذي تمرّ به البلاد، وتطالب بإلغاء ما أسمته بقوانين التأميم، والله من وراء القصد.

عن الهيئة العلميّة في النجف الأشرف

محمّد الحسيني الحلّي، محمّد علي اليعقوبي، عبد المهدي الدجيلي، محمّد علي الخماسي، محمّد صادق الصدر، محسن علي خان، جعفر آل بحر العلوم، عبد المنعم الفرطوسي، محمّد الشيخ عبد الله القرشي، كاظم الشيخ حبيب، محمّد علي الشيخ عبد المهدي مظفّر، علي البكّاء، عبد الهادي الصافي، جواد شبّر، علاء الدين بحر العلوم، باقر الظالمي، عبد الحميد الصغير، عز الدين بحر العلوم، محمّد باقر الحكيم، عبد المحسن زاير دهّام، محمّد سعيد محمّد علي الحكيم.

---

(١) مجلّة الأضواء، السنة الخامسة، شوّال ١٣٨٤هـ العدد (٦ـ٧).

النجف الأشرف ١٣٨٤/٣/١٩ هـ ـ ١٩٦٤/٧/٢٩ م»[(١)].

وفي ١٩٦٤/٧/٣٠م (٢٠/ربيع الأوّل/١٣٨٤هـ) قصد عبد السلام عارف النجف الأشرف من أجل لقاء السيّد الحكيم رحمه الله ليطلب منه منع النشاطات التي يقودها (الخطباء) ضدّ السلطة.

ثمّ قام رئيس الجماعة السنيّة في بغداد بزيارة السيّد الحكيم رحمه الله مستنكراً أعمال عارف وواصفاً إيّاها بأنّها خلاف قانون الإسلام.

وفي أوّل أيلول/١٩٦٤م (آخر ربيع الثاني/١٣٨٤هـ) أذاع راديو العدو الصهيوني نبأ محاصرة منزل السيّد الحكيم رحمه الله في خطوة للتضييق على العلماء المعارضين للسلطة.

وفي أواخر تشرين الأوّل/١٩٦٤م (أواسط جمادى الثانية/١٣٨٤هـ) قامت تظاهرات في العراق ضدّ القانون الذي أصدرته السلطة والقاضي بمصادرة أموال الناس في البنوك، وقد أعرب السيّد محسن الحكيم رحمه الله عن استيائه إزاء ذلك[(٢)].

السيّد الصدر رحمه الله وقيام الحكم الإسلامي في العراق

صيف/١٩٦٤م (صفر ـ ربيع الثاني/١٣٨٤هـ)، كان السيّد الصدر رحمه الله مع كبار تلاميذه مدعوّاً إلى طعام العشاء عند جار الشيخ علي كوراني في الكوفة، فسأله الأخير: «**سيّدنا، كم تقدّرون أن تطول المرحلة التغييريّة حتّى يمكن إقامة حكم إسلامي في العراق؟**»، فأجاب رحمه الله: «**ثلاثمائة سنة**». فأصيب طلاّبه بالتعجّب وبعضهم بالذهول، فأخذ رحمه الله يبيّن الظروف الموضوعيّة وطبيعة ما يتطلّبه إنشاء أمّة داخل الأمّة، وهوّن عليهم الأمر بالمتغيّرات التي قد تقصّر المدّة. وقيل: إنّ هذا التقدير تغيّر بعد ذلك في ذهنه[(٣)].

المستشرق الألماني (كونتر ردمان) يزور السيّد الصدر رحمه الله

في آخر جمادى الأولى/١٣٨٤هـ (أيلول ـ تشرين الأوّل/١٩٦٤م) زار المستشرق الألماني (كونتر ردمان) النجف الأشرف[(٤)]. ويحمل هذا المستشرق شهادة دكتوراه في الحقوق، حيث كانت أطروحته حول التشريع الكنسي. ثمّ عكف على تحضير رسالة أخرى حول (القياس) من أجل الحصول على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من كليّة الفلسفة ـ قسم الاستشراق بجامعة كولونيا، وهو يتكلّم العربيّة بصعوبة ويفهمها بيسر.

وقد رأى المستشرق المذكور أنّ أطروحته ستكون ناقصة إذا أهمل وتجاهل أقوال الشيعة وآراءهم، فذهب إلى النجف الأشرف في شهر أيلول حيث مكث لمدّة أسبوعين اتّصل خلالهما

---

(١) مجلّة الموسم، العدد (١١)، ١٤١١ هـ: ٩٩٥.

(٢) تحولات داخلى عراق وامنيت ملى ايران به روايت اسناد ساواك: ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٦٢، ٣٨١.

(٣) مسائل في البناء الفكري: ١٧ ـ ١٨.

(٤) لم يذكر السيّد ذيشان اسم هذا المستشرق ولا سنة زيارته السيّد الصدر رحمه الله، وقد ذكر أنّه مستشرق ألماني يحضّر رسالة دكتوراه في جامعة بيروت حول القياس وكان يحسن العربيّة. وممّا ذكره الشيخ مغنيّة رحمه الله حصل لنا الاطمئنان باتّحاد القضيّتين، ويبدو أنّ المستشرق المذكور سافر إلى النجف من بيروت، فظنّ السيّد ذيشان أنّه يحضّر رسالته في بيروت.

بمجموعة من علمائها وبحث معهم في موضوع الأطروحة وقد أرشدوه إلى المصادر ورجّحوا له الاتّصال بالشيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله[١].

ومن جملة من قابلهم المستشرق المذكور السيّد الصدر رحمه الله، وكان ذلك عصر ٢٩/جمادى الأولى/١٣٨٤هـ (١٩٦٤/١٠/٧م)[٢] حيث دخل المستشرق المذكور إلى مجلس درس السيّد الصدر رحمه الله ومعه أحد المرشدين، فقام له الجميع احتراماً.

وبعد دقيقة استرجع السيّد الصدر رحمه الله زمام الكلام وأكمل درسه، وكان المستشرق المذكور يصغي إلى كلامه باهتمام ولا يلتفت يميناً أو شمالاً.

وبعد فراغ السيّد الصدر رحمه الله من إلقاء درسه قال المرشد: «**هذا رجلٌ ألمانيٌّ محقّق واسمه [كونتر ردمان]**[٣]، **وقد تعلّم اللغة العربية أيّام إقامته في لبنان وسورية وبغداد، وإنّه مشغوفٌ بالإسلام والإسلاميّات، ويريد أن يحصل على شهادة الدكتوراه، وهو مشغولٌ بتحرير دراسة حول موضوع القياس، ولديه اطّلاع تام على أصول إخواننا أهل السنّة، وهو يريد أن يتعرّف على موضوع القياس عند [الإماميّة] ليذكر نظريّتهم في دراسته**».

ثمّ أخذ المستشرق بالكلام، وقد بدا مدى تأثّره بالقياس وبأصول أهل السنّة، ولكنّه كان مولعاً بالتحقيق، وقد أجابه السيّد الصدر رحمه الله أجوبة موجزة.

ولمّا حان المغرب حدّد السيّد الصدر رحمه الله موعداً في اليوم التالي لعقد جلسة مطوّلة، وطلب من المستشرق مطالعة كتاب (الأصول العامّة للفقه المقارن) للسيّد محمّد تقي الحكيم رحمه الله.

وعند الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ـ ولعلّه الخميس[٤] ـ اجتمع السيّد الصدر رحمه الله بالمستشرق المذكور وجرى بينهما الحوار التالي:

ردمان: «**ماذا تقولون حول القياس؟**».

السيّد الصدر رحمه الله: «**إنّ أساس الأحكام الشرعيّة كتاب الله سبحانه وتعالى، ثمّ ما فسّر به الرسول محمّد صلى الله عليه وآله بلسانه الذي يقال له في اصطلاح الشريعة (الحديث). ويشمل الحديث القولَ والفعل والتقرير.**

ويأتي بعدهما الإجماع والقياس، ولكنّ الإجماع الحقيقي نادرٌ جداً.

وأمّا القياس ففيه تفصيل، وهو آخر ما يلجأ إليه في سبيل تحصيل الأحكام الشرعيّة.

والقياس في اصطلاح الفقهاء تعدّي الحكم من موردٍ إلى آخر لعلّة مشتركة بينهما. وهو على ثلاثة أقسام:

الأوّل: منصوص العلّة: كما لو قال الرسول صلى الله عليه وآله إنّ الخمر حرّم لإسكاره، فعلّة الحرمة هي الإسكار، فكلُّ

---

(١) انظر: تجارب محمّد جواد مغنيّة: ٣٢٥.

(٢) في التقويم ١٩٦٤/١٠/٦م، ولكنّنا احتملنا أن يكون يوم الأربعاء لما يأتي بعد قليل.

(٣) ما بين [] منّا.

(٤) ذكر السيّد ذيشان حيدر جوادي أنّ الجلسة عقدت عند الساعة التاسعة بالتوقيت الإنجليزي، ونحن نعلم أنّ درس الفقه الصباحي للسيّد الصدر رحمه الله يبدأ عند الساعة العاشرة صباحاً، وحيث كان مقرّراً أن تكون الجلسة مطوّلة، فمن المحتمل أن تكون الجلسة المطوّلة قد عقدت يوم الخميس ـ وهو يوم عطلة ـ وإن كانت بحسب التقويم يوم الأربعاء.

ما يوجد فيه السكر فهو حرام. وهذا القياس صحيحٌ لأنّ الشارع بنفسه بيّن العلّة.

الثاني: قياس الأولويّة: كما في قول الله تبارك وتعالى ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾[١]، يعني التأفّف تجاه الوالدين حرام، فاللطم والضرب أولى بالحرمة. وهذا أيضاً صحيحٌ لأولويّته.

الثالث: مستنبط العلّة: بأن يكون استنباط العلّة من قبل نفسه [لا من قبل الشارع]، ويجعل تلك العلّة المستنبطة مداراً للحكم. وهذا قياسٌ باطلٌ عندنا لأنّ العلّة مستخرجة ومستنبطة ولا دليلَ على صحّتها.

ولهذا تقطع يد السارق إذا سرق ربع دينار ولا تقطع يد الغاصب إذا غصب ألف دينار. وقد منع أئمّة أهل البيت عليهم السلام عن هذا القياس وإلاّ لمسخت الشريعة، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ السنّة إذا قيست محق الدين»[٢].

إنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام من أهل البيت قد منعوا منهاً باتّاً عن هذا القياس، وقد أثبته بعض الأئمّة الخاطئين وجعله مأخذاً شرعيّاً.

وقد ذكر ابن قتيبة في (المعارف) أسماء المشهورين ومنهم أبو حنيفة، وكان له شهرة عظيمة في هذا الموضوع. وقال الذهبي في (ميزان الاعتدال) والدميري في (حياة الحيوان): إنّ أبا حنيفة كان إمام أهل الرأي والقياس.

وهذا هو الذي سبّب الخلاف بين المسلمين في المسائل وانقسموا أحزاباً متعدّدة وفرقاً متشتّتة، ولو كان المسلمون متمسّكين بأهل بيت رسول الله عليهم السلام لما وقع الاختلاف بينهم أبداً.

وعلى أيّة حال فهذا القياس يختلف عن القياس المنطقي. وقبل أن نبيّن لكم القياس المنطقي نقول: إنّ لفكر الإنسان طريقين:

الأوّل: السير من الجزئي إلى الكلّي، وهذا هو الاستقراء. مثلاً: كلّ حيوان يحرّك فكّه الأسفل عند المضغ.

الثاني: السير من الكلّي إلى الجزئي. مثلاً: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٣]، فهذا حكمٌ كلّي، ونحكم بعد ذلك على كلّ فردٍ بأنّه فان. وهذا هو القياس المنطقي.

وقد يجرون الحكم من جزئي إلى جزئي آخر لأمرٍ مشتركٍ بينهما، ويكون الظنُّ الغالب على أنّ الأمر المشترك هو العلّة. وهذا هو التمثيل عند أهل المنطق والقياس عند أهل [الفقه].

وقد اتّضح من هذا أنّ القياس المنطقي غير القياس الفقهي، فلا يمكن إجراء حكم القياس المنطقي على القياس الفقهي، لأنّ الفقهيَّ منهما تمثيلٌ.

ولنوضح هنا شيئاً، وهو أنّ القياس الفقهي أجنبيٌّ في الحقيقة عن قوانين الفكر، لأنّ الفكر إمّا أن يسير من الكلّي إلى الجزئي أو من الجزئي إلى الكلّي، والسير من الجزئي إلى الجزئي ليس له ربطٌ بنواميس الفكر».

ردمان: «ما بيّنتم من الفرق بين القياس وبين الاستقراء باعتبار المنطق هو بحثٌ لفظيٌّ ولا ثمرة مهمّة له، لأنّ الكليّات ندركها دائماً من الجزئيّات، وليس لنا غير ذلك وحيٌ ولا إلهام».

السيّد الصدر رحمه الله: «هذا بحثٌ قد فصّلناه في كتابنا (فلسفتنا)[٤]، وملخّصه أنّ لدينا حول معرفة الإنسان

---

(١) الإسراء: ٢٣.

(٢) الكافي ١: ٥٧.

(٣) الرحمن: ٢٦.

(٤) انظر: فلسفتنا، التصديق ومصدره الأساسي: ٨٣ (ط المؤتمر العالمي).

نظريّتين مختلفتين قديماً وحديثاً، والسؤال المطروح هو: هل أنّ المعرفة تحصل بعد التجربة، بمعنى أنّه ليست لدينا أيّة معرفة بمعزلٍ عن التجربة؟ أم أنّ لدينا معارف فطريّة غير ناتجة عن التجربة؟!

فجون لوك وهو من الفلاسفة المحدثين يقول: إنّ كلَّ معارفنا تحصل عبر التجربة[١]. ولكنّنا أثبتنا في كتابنا أنّ الإنسان لمّا خلق كانت لديه معارف قبليّة بمعزلٍ عن التجربة، من قبيل استحالة اجتماع الضدّين وارتفاع النقيضين. وهذه المعارف لا تحتاج إلى تجربة، بل إنَّ صدق التجربة يتوقّف عليها[٢].

فإذا ثبت أنّ للإنسان معارف بمعزل عن التجربة، فلا يمكن القول بأنّ كليهما واحد. والقياس المنطقي هو ما لجأ إليه أرسطو، والاستقراء هو ما لجأ جون لوك. وبذلك يثبت أنّ القياس الشرعي ليس له أيّ اعتبار عقلي».

ردمان: «كلامك هذا معقولٌ جدّاً، ولكن ما هي منزلة القياس لدى الشرع؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «مدار جميع شريعتنا على القرآن الكريم، والقرآن يقول: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[٣]، فلو تيقّنت بأنّ الحكم الثابت لهذا الفرد ثابتٌ بعينه لذاك الفرد فاحكم عليهما بحكم واحد، وإذا لم تتيقّن ـ كم هو مفروض القياس الفقهي ـ فلا تحكم».

ردمان: «هل وسائل وأدلّة استنباطكم كلّها يقينيّة؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «هذا موضوعٌ طويلٌ ووسيع، ولا يمكن إتمامه في هذا الوقت المختصر. وأقول بشكل ملخّص: إنّ للاجتهاد ثلاث مراحل لا بدّ لكلّ مجتهدٍ من المرور عليها، لأنّنا مخطّئون».

ردمان: «ما معنى مخطّئ؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «اختلافنا مع أهل السنّة قديم، فإنّ أكثرهم مصوّبة، ونحن مخطّئة.

وتفصيل هذا الإجمال أنّ الله تبارك وتعالى وضع جميع قوانين الشريعة، ثمّ أمر العباد بأن يحصّلوا هذه القوانين، وقد سمّى الإسلام هذا التحصيل (اجتهاداً).

وإخواننا السنّة يقولون بأنّ الله تعالى لم يجعل قبل اجتهادنا قانوناً، بل كلّما اجتهدنا جعل الله حسب اجتهادنا قانوناً في اللوح المحفوظ[٤].

ومن الواضح أنّ الخطأ غير ممكن على هذا القول، فإنّ أحكام الله تابعة لآراء المجتهدين.

وأمّا على قولنا، فمن الممكن لمؤدّى اجتهادنا أن يصيب القانون الثابت مسبقاً في اللوح المحفوظ ومن الممكن أن لا يصيب. ولهذا نحن مخطّئة وآراؤنا مختلفة وإن كان المجتهدون معذورين لسعيهم حسب الطاقة البشريّة».

ردمان: «إنّنا سمعنا أنّ المجتهدين منكم لا يختلفون في الرأي، فكيف تقولون إنّكم تختلفون؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «هذه شائعة أشاعها مخالفونا. والسرُّ في هذا أنّ لديهم أربعة أئمّة، وكلّ واحدٍ منهم

---

(١) فلسفتنا: ١٣٥.

(٢) فلسفتنا: ١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) انظر حول التخطئة والتصويب: دروس في علم الأصول، الحلقة الثالثة ١: ٢٤ ـ ٢٥، تحت عنوان (شمول الحكم للعالم والجاهل).

مجتهد. وقد علموا أنّ أئمّتهم يختلفون، ولكنّهم رأوا أنّ أئمّتنا لا يختلفون، فظنّوا أنّ مجتهدي الشيعة لا يختلفون.

والحال أنّ هذا خطأٌ صريح، لأنّ علوم الأئمّة عليهم السلام إلهاميّة ولا يحتاجون إلى الاجتهاد، كما هو الحال بالنسبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله. ومن هنا لا يقع الاختلاف بين أقوالهم أبداً. هذا على خلاف المجتهدين، فإنّ الخطأ ممكنٌ في حقّهم».

ردمان: «ما هي المراحل الثلاث؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «المرحلة الأولى: نفحص فيها عن الحكم في القرآن أو في الحديث المتواتر، فإن وجدنا حكماً صريحاً نعمل به على سبيل اليقين».

ردمان: «ما المتواتر من الحديث؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «هو الحديث الذي رواه رجالٌ كثيرون (في كلّ طبقة) نتيقّن من بيانهم أنّه كلامٌ صادرٌ عن المعصوم عليه السلام[1]».

ردمان: «فإن لم تجد الحكم في القرآن ولا في الحديث المتواتر ترجع إلى القياس؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «لا، بل نرجع إلى المرحلة الثانية، أعني الأدلّة [التي لا يحصل منها اليقين، ولكن دلَّ دليل قطعي على العمل بها]، من قبيل أخبر الواحد]، فإنّ فيها إمكان الخطأ والغفلة بل وعدم التديّن، ولكن مع ذلك نعمل وفقها، لكن لا خروجاً عن مقتضى القاعدة، بل لأنّ الآيات القرآنيّة والسنة المتواترة والسيرة العقلائيّة دلّت على ذلك. فيكون عملنا على وفقها في الحقيقة عملاً بالأدلّة التي دلّت على جواز العمل بها، وهي ـ أي الأدلّة ـ كلّها قطعيّة، فلم ننحرف عن قانوننا القرآني».

ردمان: «لقد سمعت أنّه ليس في فقه الإسلام روايات على حسب الضرورات، فلا بدّ أنّكم ترجعون بعد ذلك إلى [القياس]».

السيّد الصدر رحمه الله: «هذه أيضاً مغالطة نشرها إخواننا أهل السنّة، والسرُّ في ذلك أنّ السنّة عندهم منحصرة في قول الرسول صلى الله عليه وآله وعمله وتقريره فقط، وهذا أقلُّ قليلٍ بالنسبة إلى ما نحتاجه، ولكن عند الإماميّة ليست السنّة بمنحصرة في الرسول صلى الله عليه وآله، بل تشمل المعصومين عليهم السلام، وهذا أكثر بكثير، فلا نحتاج إلى القياس».

ردمان: «وإذا لم يرد حول مسألة من المسائل أيّة رواية من روايات أهل البيت عليهم السلام، من قبيل الموضوعات الجديدة مثلاً، كحكم ركوبٍ الطائرة والسيّارة وغيرهما، فلا بدّ أنّكم ترجعون إلى القياس».

السيّد الصدر رحمه الله: «لا، بعد ذلك أيضاً لا نرجع إلى القياس، فإنّ الأحاديث عندنا على قسمين: قسمٌ بيّن فيه الحكم رأساً، كإجارة الأرض. وقسمٌ لم يبيّن فيه الحكم صريحاً، ولكن بيّن فيه العلاج. وقد وضع العلماء ـ عبر التمسّك بهذه الأحاديث ـ قوانين كليّة من قبيل البراءة والاحتياط وغيرها، فهذه القوانين غير قطعيّة، ولكنّ الأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة قائمة على اعتبارها، فجاز العمل على وفقها.

وقد تلخّص ممّا ذكرنا أنّ المجتهد يفحص أوّل الأمر عن حكمٍ يقيني، فإن لم يجد يرجع في مقام الشكّ والجهالة إلى الأصول العمليّة التي دلّت على اعتبارها أدلّة قطعيّة».

---

(١) التقييد بكونه «في كلّ طبقة» إنّما هو وفق التعريف المشهور الذي لا يرتضيه السيّد الصدر رحمه الله، بل يقول بأنّه «حالة شبه مثاليّة خياليّة لا يتفق له مصداقٌ في باب الأحاديث والأخبار مع واسطة» (بحوث في علم الأصول ٤: ٣٣٤).

ردمان: «لقد سمعتُ أنّكم تعملون بالقياس أحياناً».

السيّد الصدر رحمه الله: «قسّم العلماء القياس إلى قسمين: الأوّل: حيث بيّنت الشريعة علّة الحكم، فتعدّي الحكم إلى جميع موارده ليس من القياس في شيء، بل العلّة بنفسها تشملها. وهذا هو القسم الذي نعمل به.

الثاني: حيث نستنبط نحن علّة الحكم ثمّ نسري الحكم إلى جميع موارد العلّة.

وليس لهذه العلّة سندٌ شرعاً، فلا نعمل بالقياس الذي يرجع إلى هذا القسم.

نعم؛ لو حصل للمجتهد يقينٌ بأنّ العلّة هي هذه، فيجوز له العمل على وفقها، لكن ليس استناداً إلى القياس، بل استناداً إلى اليقين».

ردمان: «لقد أحسنتم واتّضح الكلام، وما ذكرتموه معقول، ولكن بقي لديّ سؤال: لماذا لم تسدّوا باب الاجتهاد كما فعل إخوانكم السنّة؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «إنّ باب الاجتهاد كان مفتوحاً إلى زمن أحمد بن حنبل، فالسؤال يجب أن يكون بالعكس: لماذا سدّ من بعده؟ هل مات العقلاء؟ أم كان العلم ميراثاً للأئمّة الأربعة؟ أليست الآيات والروايات متعلّقة في زماننا هذا؟! فإن كان الجواب [بالإيجاب]، فلماذا سددتم باب الاجتهاد؟ نحن بقينا على سيرتنا الأولى ولم نتأثّر بالسياسة، مذهبنا واحد وفكرنا واحد».

ردمان: «لماذا دائماً تخالفون الدولة؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «لم نقل بالحكومة والمحكوميّة، بل نحن مروّجون للإسلام، وكلّ دولة تخالف الإسلام فنحن نخالفها. ولكن لو وافقت حكومةٌ ما الإسلام، فنحن نوافقها. ونحن باقون على ميثاقنا الذي واثقنا عليه أئمّتنا المعصومين عليهم السلام ونبقى على هذا مدّة حياتنا».

ردمان: «ولهذا دائماً أنتم تحت نير الظلم والعدوان وتطحنون بين رحى الدولة».

السيّد الصدر رحمه الله: «نحن منفردون في هذا، ودائماً نقدّم التضحيات، وما انحرفنا طرفة عين عن أهدافنا. الدولة الظالمة أبادتنا، ولكنّ الإسلام ما أبادنا».

ردمان: «وما هي ثمرة هذا الأمر وما هي نتيجته سوى أنّكم تصبحون بنظر الدول فئة باغية؟!».

السيّد الصدر رحمه الله: «إنّ كوننا فئة باغية في جملة الحكومات اشتباه عظيم وشائعة كبيرة نشرها أعداؤنا والذين لا يشغلهم سوى المخالفة لأنّهم لا يملكون نظاماً. ونحن لدينا نظامٌ كاملٌ للإنسانيّة، ونريد تطبيق هذا النظام في العالم.

إنّ شعوب العالم بعضها يطالب بالرأسماليّة وبعضها الآخر بالاشتراكيّة، ونحن نعلن دائماً بأنّ لدينا نظاماً يفوق جميع الأنظمة السائدة في العالم. وقد يئس الناس من الرأسماليّة ومن الاشتراكيّة، فليجرّبوا ولو لمرّة واحدة نظامنا الاقتصادي. وقد أوضحنا هذا النظام في كتابنا (اقتصادنا)».

ردمان: «لقد سررتُ بلقائكم وشكراً جزيلاً، في أمان الله».

السيّد الصدر رحمه الله: «لقد سررتُ ببحثكم وتحقيقكم، ونسأل الله تعالى أن يهديكم سواء السبيل لتخدموا الإنسانيّة خدمة صحيحة، وتعرضوا خارطة الفقه الجعفري في بلدكم»[1].

---

(١) القياس والفقه الجعفري، تقرير السيّد ذيشان حيدر جوادي (رحمه الله). ويُشار إلى أنّنا قد عدّلنا في بعض التعبيرات لأنّها

وقد قيل لهذا المستشرق: «**لو قستَ العلماء كلّهم بعضهم على بعض لما تجلّى لك الحقُّ، وهذا من بركات ترك القياس**»(١).

ثمّ سافر (ردمان) إلى بيروت والتقى بالشيخ محمّد جواد مغنيّة‏ في ١٠ و١٩٦٤/١٠/١١م (٤ و٥/جمادى الثانية/١٣٨٤هـ) وبحث معه في كثيرٍ من الأمور المتعلّقة بالموضوع(٢).

اعتذار السيّد الحكيم‏ عن الاشتراك في مؤتمر (مجمع البحوث الإسلاميّة)

وجّه (مجمع البحوث الإسلاميّة) دعوة إلى السيّد محسن الحكيم‏ لحضور مؤتمره الثاني بالأزهر.

وقد بعث السيّد الحكيم‏ إلى المجمع بالقاهرة عبر سفير مصر ببغداد أمين حامد هويدي رسالةً يعتذر فيها عن المشاركة في المؤتمر، مشيراً إلى السبب. وإليك نصّ الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ولدنا المكرّم أمين حامد هويدي سفير الجمهوريّة العربيّة المتّحدة دام موفّقاً

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تسلّمنا كتابكم الذي يتضمّن دعوتنا إلى حضور المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر الشريف، فشكرنا لكم ذلك ودعونا لكم بالتوفيق.

غير أنّنا ـ مع الأسف الشديد ـ لا نستطيع أن نتفاءل تجاه هذا المؤتمر بعد أن جرّبنا المؤتمرات الإسلاميّة التي انعقدت في مختلف البلدان الإسلاميّة من ذي قبل، ومنها المؤتمر الأوّل لمجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر الشريف، فلم نلمس أيّ نتيجة حسنة تعود على الإسلام والمسلمين بخير ما. بل قد يكون من السكوت عن الحقّ ـ والساكت عن الحقِّ شيطانٌ أخرس ـ إن لم نقل بصراحة: إنّ النتيجة كانت على العكس ممّا كان ينتظره الإسلام والمسلمون من نتائج هذه المؤتمرات الإسلاميّة المزعومة. فالمسلمون لا يزالون في تأخّر بعيد عن موكب الشريعة الإسلاميّة بما تحتويه من أحكام ونظم وأخلاق ومفاهيم أصيلة، وبالأمس القريب جدّاً فقد أتحف الأزهر الشريف جميع المسلمين واكتشف لهم حقيقة علميّة إسلاميّة كانت منذ فجر الإسلام خافية على صاحب الرسالة الإسلاميّة الأعظم‏ وعلى الأئمّة الطاهرين من أهل بيته صلوات الله عليه وعليهم وعلى جميع فقهاء الإسلام من الأوّلين والآخرين، ألا وهي الاشتراكيّة، فإنّها بزعم الأزهر الشريف لا تنافي الإسلام أو هي من صميم الإسلام.

وإذا قلنا بحقّ: إنّ باب الاجتهاد ما يزال مفتوحاً، فليس معنى ذلك فتح باب تحريف الإسلام وتبديل أحكام الشريعة الإسلاميّة على ما تقتضيه الميول والأهواء، وإنّما معناه أنّ العصور الإسلاميّة كلّها ما تزال سخيّة بالرجال الذين لهم استعداد وتأهّل لاستنباط الأحكام الشرعيّة من مصادرها الصحيحة كالكتاب

مضطربة وأجنبيّة عن مذاق اللغة العربيّة، وهي راجعة إلى المقرّر‏ بلا شك.

وينقل الشيخ علي كوراني أنّ نقاشاً دار بين تلامذة السيّد الصدر‏ وبين [الأستاذ سميح عاطف الزين] حول القياس، وعندما اشتدّت حملتهم ضدّ القياس تدخّل السيّد الصدر‏ ليؤكّد لهم أنّ القياس ليس مقولة غير إسلاميّة، وهو عبارة عن مقولة مأخوذ بها داخل بعض المذاهب الإسلاميّة، فلماذا تحملون عليها وكأنّها مسألة غير إسلاميّة [مقابلة (١) مع الشيخ علي كوراني (‏) ؛ مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (‏)]، واسم الأستاذ الزين واردٌ المقابلة الثانية دون الأولى.

(١) مقابلة مع السيّد ذيشان حيدر جوادي (‏).

(٢) تجارب محمّد جواد مغنيّة: ٣٢٥ ـ ٣٢٧.

الكريم والسنّة المطهّرة بعد التفرّغ لطلب مقدّمات الاستنباط.

وليس الاجتهاد وقفاً على رجال معدودين في سنين معدودة فيجب على جميع المسلمين تقليدهم تقليداً أعمى، والله سبحانه المسؤول أن يهدي رجالات الإسلام ومفكّريهم إلى الصراط المستقيم ويوفّقهم للاهتمام بأمور المسلمين وتوجيههم إلى كلّ ما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم، إنّه قريبٌ مجيب.

وبالأخير فإنّنا نعتذر إليكم من الاشتراك في هذا المؤتمر الموفّق إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٠/ج٢/١٣٨٤ هـ

محسن الطباطبائي الحكيم»[(١)].

نفي السيّد الخميني إلى تركيا

فجر ٢٩/جمادى الثانية/١٣٨٤هـ (١٩٦٤/١١/٤م) داهم رجال الكومندو الموفدون من طهران منزل السيّد الخميني في قم بعد محاصرته، وتمّ نقله مباشرةً إلى مطار (مهر آباد) الدولي حيث كانت طائرة عسكريّة بانتظاره، حيث أقلّه إلى أنقرة العقيد أفضلي.

وعند الساعة الحادية عشرة حطّت الطائرة في مطار أنقرة، حيث اصطحبه رجال الأمن الأتراك إلى الغرفة (٥١٤) الكائنة في الطابق الرابع من فندق (بلوار بالاس).

وفي اليوم التالي وإثر تحرّش الصحفيّين تمّ نقله إلى مبنى (فتوتم) الكائن في شارع أتاتورك. وفي ١٩٦٤/١١/١٢م (٧/رجب/١٣٨٤هـ) تمّ نقله إلى (بورسا).

وكان قد زار قبل يومين (١١/١٠=٥/رجب) مزار أربعين شهيداً كانوا قد سقطوا أثناء معارضتهم أتاتورك.

وفي ١٩٦٥/١/٣م (١/رمضان/١٣٨٤هـ) تمّ نفي السيّد مصطفى الخميني ليلحق هناك بوالده[(٢)].

موقف علماء العراق

عند نفي السيّد الخميني إلى تركيا كتب علماء بغداد والكاظميّة رسالةً إلى الرئيس التركي يدعونه فيها إلى حسن ضيافته، وقد جاء فيها ما ترجمته:

«أنقرة ـ رئيس جمهوريّة تركيا المحترم.

بعد السلام، فإنّ آية الله العظمى الحاج السيّد روح الله الخميني ـ والذي يعدّ واحداً من كبار علماء الشيعة ـ قد أبعد من إيران إلى بلدكم. إنّ مسلمي العالم ينتظرون سماع أنباء مطمئنة عن صحّته ووضعه المعيشي، ويتوقّعون من الحكومة التركيّة حسن استقباله واستضافته وفق ما يليق بشأنه.

علي الزنجاني، علي نقي الحيدري، جعفر شبّر، إسماعيل الصدر، السيّد محمّد هادي المدرّس، محمّد طاهر الحيدري الحسني، سيّد هاشم الحيدري، محمّد مهدي الحكيم، محمّد الحيدري، عبّاس الحيدري، محمّد علي، السيّد أسد الله الحيدري، عبد المطّلب الحيدري، محمود الحيدري، مرتضى العسكري، مهدي الكاظمي، حسن آل ياسين، علي الصغير»[(٣)].

---

(١) مجلّة الموسم، العدد (١١)، ١٤١١ هـ : ٩٩٧.

(٢) هفت هزار روز ١: ١٩٨ ـ ٢٠٣ ؛ حديث الانطلاق: ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) اسناد انقلاب (فارسي) ٣: ١٢٠.

وأرسلوا أخرى إلى السيّد كاظم شريعتمداري رحمه الله جاء فيها:

«سماحة آية الله العظمى الحاج سيّد كاظم شريعتمداري مدّ ظلّه.

إنّ أبناء الأمّة الإسلاميّة في ألمٍ وقلق شديد احتلّ به[1] سماحة آية الله العظمى الخميني من التعسّف والحيف، وهي تستنكر وتحتجّ على هذا الظلم الفاحش وتنتظر بفارغ الصبر نتيجة مساعيكم الحميدة وإخوانكم العلماء، متّع الله المسلمين [بطول] بقائكم.

علماء بغداد والكاظميّة

علي الزنجاني، علي نقي الحيدري، جعفر شبّر، إسماعيل الصدر، السيّد محمّد هادي المدرّس، محمّد طاهر الحيدري الحسني، سيّد هاشم الحيدري، محمّد الحيدري، عبّاس الحيدري، محمّد علي، السيّد أسد الله الحيدري، عبد المطّلب الحيدري، محمود الحيدري، مرتضى العسكري، مهدي الكاظمي، حسن آل ياسين، علي الصغير»[2].

وإلى جانب ذلك فقد جمع السيّد مرتضى العسكري أساتذة وطلاّب مدرسة البرورجردي في النجف الأشرف وأقنعهم بإرسال برقيّة إلى رئيس مجلس الشورى التركي، وقد جاء في البرقيّة:

«أنقرة ـ رئيس مجلس الشورى الوطني المحترم.

بعد تقديم الاحترام.

تعلمون ما يجري من اعتقال مفتي الشيعة وزعيم الدين آية الله السيّد الخميني في الأراضي التركيّة، وأنّ اعتقال سماحته في تركية يأتي نتيجة اتّفاق مسبق بين إيران والحكومة التركيّة. وبما أنّ الحوزة العلميّة في النجف الأشرف تعتبر الحكومة التركيّة الموقّرة حكومة قانونيّة لذا تسأل: هل أنّ آية الله السيّد الخميني ارتكب عملاً خلاف مصالح الحكومة التركيّة ليجري سلب حرّيّته وتحديد إقامته إلى هذا الحدّ في تركية المجاورة؟! وبلغ الأمر معه أنّهم لا يسمحون لأحد بمقابلته، ويحاولون دائماً إخفاء أصل اعتقاله.. وهل الحكومة التركيّة هي السلطة التنفيذيّة الإيرانيّة ليلعب مسؤولو الحكومة الإيرانيّة هذا الدور المؤثّر والفاعل في تركية؟

لقد أصبح اعتقال آية الله الخميني في تركية مسألة واضحة، وإنّ مسلمي العالم يعلمون أنّه ضيف الحكومة التركيّة، لذلك يجب أن لا تقبلوا بأن يعامل هكذا مع ضيف يعتبر مرجعاً مكرّماً لدى المسلمين.

إنّ الشعب الإيراني جميعاً يعارض الحكومة الإيرانيّة بسبب هذا التصرّف، وليس من مصلحتكم أن يتأذّى الشعب الإيراني من دولتكم الموقّرة.

وفي الختام تأمل الحوزة العلميّة في النجف من نوّاب تركية المحترمين أن يتوسّطوا لإصلاح الأمور وإطلاق سراح سماحة آية الله العظمى السيّد الخميني هذه الشخصيّة العالميّة العظيمة.

النجف الأشرف

مدرسة سماحة آية الله العظمى البروجردي

٣/شعبان/١٣٨٤هـ ـ [١٩٦٤/١٢/٨م]»[3].

وفي هذا الإطار كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله:

«...الغرض من ذلك تأكيد موقف النجف من الأحداث مرّة أخرى.

---

(١) كذا.

(٢) اسناد انقلاب (فارسي) ٣: ١٢١.

(٣) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٦٤ ـ ٢٦٥. وفي المصدر (١٩٥٦/٢/٢٥م) وهو خطأ.

وأمّا بالنسبة إلى إيران فلا يزال الوضع كما كان، وآقاي خميني مُبعدٌ في تركيا من قبل عملاء أمريكا في إيران، وقد استطاع آقاي خميني في هذه المرّة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتّهم المعارضة باستمرار بالرجعيّة والتأخّر لأنّ خوض معركة ضدّ إعطاء امتيازات جديدة للأمريكان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصف ذلك بالتأخّر.

كتب اقتصادنا صار الاتفاق على إرسالها عن طريق مكتبة أمير المؤمنين العامّة في أوّل شحنٍ تقوم به وسوف أكتب لكم عن ذلك لاحقاً إذا تحقّق.

وختاماً تقبّلوا إخلاصاً لا تحدّه إلاّ أبعاد وجودي ودمتم ملاذاً وسنداً لمخلصكم.

محمّد باقر الصدر»[١].

وعندما تشكّلت لجنة من حوالي ثلاثين عالماً لدعم القضيّة الإيرانيّة، شارك السيّد الصدر في هذه اللجنة مع خاله الشيخ مرتضى آل ياسين، وكان من بين اللجنة: الشيخ محمّد رضا المظفّر، السيّد أسد الله المدني، السيّد نصر الله المستنبط، والسيّد علي السيستاني ـ المرجع المعاصر ـ وغيرهم، وكانوا يزورون المراجع من أجل دعم الثورة الإسلاميّة في إيران[٢].

محاضرات في تأسيس المنطق الذاتي

في شهر رمضان من هذا العام ألقى السيّد الصدر سلسلة محاضرات حاول فيها التأسيس للمنطق الذاتي الذي ظهر فيما بعد في كتابه (الأسس المنطقيّة للاستقراء). وقد ألقى حول هذا الموضوع ستّة عشر درساً بتاريخ: ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٠، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩/رمضان/١٣٨٤هـ، وتقع جميعاً في (١٤٨) صفحة[٣]، وقد ورد مصطلح (المنطق الذاتي) في هذه المحاضرات.

تأييد السيّد الصدر موقفاً للشيخ الأنصاري حول السيّد الخميني

في شهر رمضان من هذا العامِ سافر الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري إلى الكويت، وفي حسينيّة السيّد عبّاس المهري ألقى كلمة مدح فيها السيّد الخميني وثورته.

وبعد رجوعه إلى العراق، أرسل السيّد الصدر إليه ـ وكان مسروراً ممّا قام به ـ السيّد نور الدين الإشكوري والشيخ عبّاس الأخلاقي وطلبا منه شريط المحاضرة التي ألقاها في الكويت[٤]، وقد تمنّى على الشيخ الأنصاري أن يسمع الشريط في مجلس خاص لا يحضره إلاّ الشيخ الأنصاري والشيخ عبّاس الأخلاقي، إلاّ أنّ حضور السيّد محمّد باقر الحكيم أفسد جلسة الاستماع، فلم

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٥٦). واسم المخاطب غير مذكور في المصادر جميعها، بل الموجود في (الشاهد الشهيد: ٥٣) وصحيفة (جمهورى اسلامى) الفارسيّة (العدد ١١١٧، ٢١ فروردين/١٣٦٢هـ ش: ٧) أنّه أحد إخوانه العلماء، وفي مجلّة (الحوار السياسي) أنّه أحد العلماء في إيران، وفي آخر أنّه أحد تلامذته [الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق: ٨١ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٣١)]، إلاّ أنّ السيّد حامد الحسيني ـ الذي عمل لسنين على جمع الأرشيف المتعلّق بالسيّد الصدر ـ أخبرني بتاريخ ٢٠٠٤/٢/١م أنّ المخاطب هو الشيخ محمّد جواد مغنيّة.

(٢) تلفيقاً بين مقابلة (١) وبين مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله).

(٣) دفاتر السيّد عبد الغني الأردبيلي (حفظه الله)، وتبدأ بالظهور إن شاء الله تعالى في العدد (٤١) من مجلّة (المنهاج).

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله).

يستطع الشيخ الأخلاقي تدبير الموقف[١]. ولكن بعد أن سمعه فرح به كثيراً واستبشر به[٢].

السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ينقطع عن درس السيّد الصدر رحمه الله

في هذه الفترة تقريباً انقطع السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله عن درس السيّد الصدر رحمه الله لمدّة سنتين، فسأل الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري أستاذه السيّد الصدر رحمه الله عن سبب ذلك، فأجابه رحمه الله: «**لقد سألتُ السيّد أبا صادق عن ذلك فقال لي: إنّه متحيّرٌ بين أن يأخذ بأفكار والده وبين أن يأخذ بأفكار أستاذه، فأجبته بأنّ المسألة ليست من قبيل مانعة الجمع**»[٣]، وقد استمرّ انقطاع السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله عن الدرس حتّى هجرة السيّد الخميني رحمه الله إلى النجف الأشرف[٤].

تأسيس كليّة (أصول الدين)

عام ١٣٦٧هـ وفي عهد وزارة السيّد محمّد الصدر رحمه الله، قامت محاولة لتأسيس كليّة إسلاميّة لسد النقص في مجال دراسة علوم القرآن والحديث والعقيدة الإسلاميّة، ولكنّ بعض الموانع حالت دون ذلك.

وبعد سنوات قامت جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي بتشكيل لجنة من أفاضل علماء الدين وبعض أساتذة جامعة بغداد. وبعد أن استكملوا ما يلزم من وضع المناهج والنظام، قدّم السيّد مرتضى العسكري رئيس الجمعيّة طلباً إلى وزارة التربية بتاريخ ١٩٦٤/٨/٢٥م (١٧/ربيع الثاني/١٣٨٤هـ) رقم (٨) جاء فيه:

«إلى وزارة التربية المحترمة:

لا يخفى عليكم النقص الكبير الموجود في الدراسات [المنهجيّة] في العراق فيما يتعلّق بالتخصّص في علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والعقيدة الإسلاميّة. وهذا النقص يشعر به المعنيّون بهذه الدراسات، وقد فكّرنا في العمل فوجدنا مناهج كليّة أصول الدين في الأزهر الشريف خير ما يسدُّ هذا النقص الذي نشعر به، فعقدنا العزم على فتح كليّة مشابهة لها لسدّ هذا النقص. ولمّا كانت جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي ـ التي هي من الجمعيّات ذات النفع العام ـ من أهدافها «فتح مدارس دينيّة لنشر التعاليم الإسلاميّة» وذلك كما جاء في المادّة ٢٧ من نظامها الداخلي، وسبق لها أن قامت بفتح مدارس ابتدائيّة ومتوسّطة، نهاريّة ومسائيّة، فهي تتقدّم إلى وزارتكم المحترمة راجيةً منحها الإجازة اللازمة لفتح كليّة باسم (كليّة أصول الدين)، وقد أعدّت العدّة اللازمة من حيث المكان والأثاث والأساتذة.

أمّا من حيث نظام الكليّة، فقد لاحظت الجمعيّة أنّ نظام كليّة الفقه في النجف الأشرف هو خير ما يناسب في هذا الصدد. هذا ونرفق بطيّه مواد الدراسة في الكليّة مع مفردات السنتين الأوليين مع نظام الكليّة.

أمّا ملاكها من الأساتذة الذين سيقومون بالتدريس فيها فسنقدّمه بعد حصول الموافقة.

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٩٤، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري.

(٢) مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله).

(٣) مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله) ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٩٥، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري.

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله).

أمّا الموارد الماليّة للكليّة، فتعتمد بصورة عامّة على موارد الجمعيّة، إضافةً إلى الأجور التي يدفعها الطلبة.

هذا وبانتظار جوابكم، تفضّلوا بقبول فائق الاحترام

مرتضى العسكري

رئيس جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي».

وقد أحالت الوزارة الطلب بأوليّاته إلى جامعة بغداد بتاريخ ١٩٦٤/٩/٨م (١/جمادى الأولى/١٣٨٤هـ). وبعد دراسته كتب الدكتور إبراهيم شوكت وكيل الأمين العام لجامعة بغداد إلى الوزارة بتاريخ ١٩٦٤/٩/١٩م يرجو أن ترفع الأخيرة إلى الجامعة ملاك التدريس ومفردات المناهج للسنتين التاليتين.

وإثر ذلك طلبت الوزارة بكتابها المرقّم (٤٨٥٢٣) والمؤرّخ ١٩٦٤/٩/٢٨م من جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي أن تجيب عن طلب الجامعة ليتسنّى لها اتّخاذ ما يلزم.

وبعد إجابة الجمعيّة عن طلب الجامعة بكتابها المؤرخ ١٩٦٤/١٠/١١م (٥/جمادى الثانية/١٣٨٤هـ)، وبعد دراسة الجامعة إيّاه دراسة فاحصة، تلقّت الجمعيّة كتاباً من الدكتور عبد العزيز الدوري رئيس جامعة بغداد، وذلك بتاريخ ١٩٦٤/١٢/١٤م (٩/شعبان/١٣٨٤هـ) أعرب فيه عن عدم معارضة جامعة بغداد ذلك[١].

وكانت كليّة (أصول الدين) قد جعلت من بناية (وكر المحفل الماسوني) في الكرادة الشرقيّة ببغداد مقرّاً لها بعد قرار إلغاء المحافل الماسونيّة في العراق[٢]، وقد استمرّ نشاط الكليّة حتّى سنة ١٩٧٥م عندما أقدم النظام البعثي على إغلاقها[٣].

السيّد الصدر رحمه الله مشاركاً في نشاطات الكليّة

كان السيّد الصدر رحمه الله مشاركاً في مشروع تأسيس الكليّة وافتتاحها، ثمّ كان مساهماً بالقسط الأوفر في منهجها وطريقة عملها وشؤونها المهمّة والثقافيّة بالخصوص[٤]:

١ ـ طلب السيّد مرتضى العسكري من السيّد الصدر رحمه الله أن يكتب للكليّة منهجها في علوم القرآن[٥]، فبادر رحمه الله إلى كتابة منهج السنة الأولى ونصف منهج السنة الثانية، وكان السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله يقوم بتدريس هذه المادة في الكليّة حيث أكمل كتابة مفردات السنة الثانية والثالثة والرابعة بعد أن أدخل بعض التعديلات على مفردات السنة الأولى في السنوات المتأخّرة[٦]، وكان

---

(١) مجلّة (رسالة الإسلام)، العدد الثاني: ٩٦ ـ ٩٨. وقد جاء في (العلاّمة العسكري في مصادر التوثيق: ٨٩ ؛ دراسات وبحوث مؤتمر تكريم العلاّمة العسكري: ٣٧٨) أنّ تأسيس الكليّة كان سنة ١٩٦٣م. والصحيح ما أثبتناه، وفي شعار الكليّة: «بغداد ـ تأسّست ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤م» ؛ انظر الوثيقة رقم (٥٧).

(٢) العلاّمة العسكري في مصادر التوثيق: ١٢٧.

(٣) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٣٨.

(٤) مقدّمة مباحث الأصول: ٧٨.

(٥) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (رحمه الله). وفي المصدر (تفسير القرآن) والصحيح (علوم القرآن).

(٦) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٢٣ ؛ مقدّمة مباحث الأصول: ٧٧ ؛ مقدّمة الطبعة الثانية ومقدّمة الطبعة الثالثة من (علوم القرآن). وقد نشرت هذه المحاضرات أربع مرّات:

١ ـ المرّة الأولى: في مجلّة (رسالة الإسلام):

ولم تحمل هذه المحاضرات اسم السيّد الصدر في المجلّة، بل نُشر الكثيرُ منها باسم السيّد محمّد باقر الحكيم، وقد توزّعت بأجمعها على الشكل التالي:

التفسير في عصر الرسول: السنة الأولى، العدد الأوّل ؛ الأسلوب القرآني: س١، ع١ ؛ القرآن وأسماؤه: س١، ع٢ ؛ هداية القرآن للبشريّة: س١، ع٣ ؛ من محاضرات علوم القرآن: س١، ع٤ ؛ التفسير في عصر الصحابة والتابعين، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٢، ع١ ـ ٢ ؛ نقد التفسير في عصر الصحابة والتابعين، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٢، ع ٣ ـ ٤ ؛ المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٢، ع ٥ ـ ٦ ؛ النسخ في القرآن الكريم، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٢، ع ٧ ـ ٨ ؛ ثبوت النصّ القرآني، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٢، ع ٩ ـ ١٠ ؛ القصص القرآني، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٣، ع١ ـ ٨ ؛ التفسير الموضوعي، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٣، ع ٩ ـ ١٠ ؛ استخلاف آدم، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٤، ع ١ ـ ٢ ؛ المستشرقون وشبهاتهم حول القرآن، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٤، ع ٣ ـ ٢ ؛ شبهة المستشرقين حول الوحي، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٤، ع ٥ ـ ٦ ؛ المكّي والمدني، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٤، ع ٧ ـ ٨ ؛ جمع القرآن، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٤، ع ٩ ـ ١٠ ؛ الشبهة حول إعجاز القرآن، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٥، ع ١ ـ ٢ ؛ التفسير والمفسّرون، السيّد محمّد باقر الحكيم: ٥/ ٧ ـ ٨ ؛ المفسّر، السيّد محمّد باقر الحكيم: س٥، ع ٩ ـ ١٠.

٢ ـ المرّة الثانية: عن (المجمع العلمي الإسلامي):

وقد قام هذا المجمع بنشر هذه المحاضرات مصوّرة عن مجلّة (رسالة الإسلام) ولكن في كتابٍ مستقلٍّ. ولم يتمّ في هذه الطبعة تمييز ما كتبه السيّد الصدر بقلمه عمّا كتبه السيّد محمّد باقر الحكيم.

٣ ـ المرّة الثالثة: عن (مجمع الفكر الإسلامي):

وقد امتازت طبعة (مجمع الفكر الإسلامي) عن سابقتها بالتصحيح والترتيب وبتمييز ما كتبه السيّد الصدر بقلمه، إضافةً إلى بعض التغيير في الصياغة وإضافة بعض الموضوعات، وقد جاء ذلك كلّه بقلم السيّد محمّد باقر الحكيم. أمّا ما نصّ السيّد الحكيم على أنّه للسيّد الصدر:

(١) تمهيد حول القرآن وأسمائه وحول علوم القرآن وتأريخها والحثّ على التدبّر في القرآن (١٧ ـ ٢٤) ؛ **(٢)** نزول القرآن الكريم (٢٥ ـ ٣٦) ؛ **(٣)** أسباب النزول (٣٧ ـ ٤٣) ؛ **(٤)** القرآن الكريم يحقّق الهدف من نزوله (٦٢ ـ ٧٢) ؛ **(٥)** المكّي والمدني (٧٣ ـ ٩٧) ؛ **(٦)** إعجاز القرآن (١٢٧ ـ ١٦٤) ؛ **(٧)** التفسير والتأويل (٢١٨ ـ ٢٤٢) ؛ **(٨)** المفسِّر (٢٤٢ ـ ٢٤٦) ؛ **(٩)** التفسير في عصر الرسول (٢٤٧ ـ ٢٦٩).

٤ ـ المرّة الرابعة: عن (المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر):

وقد تمّ مؤخّراً فصل ما كتبه السيّد الصدر بقلمه ونشره مستقلاً ضمن كتاب (المدرسة القرآنيّة) الصادر عن المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر. وقد اشتملت هذه الطبعة على العناوين التالية:

(١) تمهيد حول القرآن وأسمائه وحول علوم القرآن وتأريخها والحثّ على التدبّر في القرآن ؛ **(٢)** نزول القرآن الكريم ؛ **(٣)** أسباب النزول ؛ **(٤)** أبعاد التغيير الذي أحدثه القرآن الكريم (=القرآن الكريم يحقّق الهدف من نزوله) ؛ **(٥)** المكّي والمدني ؛ **(٦)** جمع القرآن وتأريخه ؛ **(٧)** إعجاز القرآن ؛ **(٨)** التفسير والتأويل ؛ **(٩)** المفسِّر ؛ **(١٠)** التفسير في عصر الرسول.

ولكن تجدر الإشارة إلى أنّ بحث (جمع القرآن وتأريخه) (ص ١٧٣ ـ ١٧٦) قد نسب إلى السيّد الصدر، في حين يبدو أنّه يرجع إلى السيّد محمّد باقر الحكيم، ولنا على ذلك مؤيّدان:

الأوّل: أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم قد تعهّد في طبعة (مجمع الفكر الإسلامي) بالإشارة إلى الأبحاث التي كتبها السيّد الصدر بقلمه، ولم يكن هذا البحثُ واحداً منها.

الثاني: أنّه قد جاء تحت عنوان (جمع القرآن وتأريخه) العبارة التالية: «..فقد عرفنا في بحث ثبوت النصّ القرآني.. وقد عرفنا أيضاً سلامة النصّ القرآني..» (ط المؤتمر: ٢٧٦). والغريب أنّ بحث (ثبوت النصّ القرآني) ـ المثبت في طبعة مجمع الفكر الإسلامي ـ لم تدرجه اللجنة العلميّة في المؤتمر ضمن ما كتبه السيّد الصدر، فيكون الإرجاع إليه أمراً غير منطقيٍّ إلاّ مع تصوّر نحوٍ من هذا التنسيق بين السيّد الصدر وبين السيّد الحكيم. وهذا وإن لم يمكن

تدريس السيّد الحكيم باقتراحٍ من السيّد الصدر[(١)].

وكان السيّد محمّد باقر الحكيم قد حظي بتاريخ ١٤/رمضان/١٣٨٤هـ (١٨/١٩٦٥م) على الإجازة التالية من الشيخ مرتضى آل ياسين:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ قرّة العين العلاّمة السيّد باقر السيّد محسن الحكيم قد حضر دروس المجتهدين الأعلام في النجف حضور تفهّمٍ وتدبّر وتعمّق، حتّى وصل إلى درجة الاجتهاد في الفقه وأصوله وعلوم القرآن وباشر التدريس في بعض مدارس النجف الأشرف بجدارة، وله بحوث تشهد بذلك. وبناءً عليه، فقد أجزناه أن يدرّس علوم القرآن والفقه والأصول في المعاهد العالية.

١٣٨٤/٩١/١٤هـ

مرتضى آل ياسين»[(٢)].

٢ ـ كتب السيّد الصدر مادة الاقتصاد الإسلامي والتي كانت تدرّس في الكليّة[(٣)].

٣ ـ كتب السيّد الصدر مادّة (النظام الإسلامي) التي كان الشيخ عارف البصري يلقيها على الطلاّب، وكان الدكتور جوت القزويني ممّن درسها على يديه[(٤)].

٤ ـ كتب السيّد الصدر مادّة أصول الفقه، تحت عنوان (المعالم الجديدة للأصول)[(٥)] بطلب من السيّد مرتضى العسكري[(٦)].

نفيه، ولكن لا دليل عليه طالما أنّ الأصل وبمقتضى تعهّد السيّد الحكيم المتقدّم هو أنّه ليس للسيّد الصدر.

(١) قبسات من حياة وسيرة شهيد المحراب: ١٢٣.

(٢) قبسات من حياة وسيرة شهيد المحراب: ١١٥، نقلاً عن: إطلالة على السيرة الذاتيّة: ١٧ ـ ١٨.

(٣) انظر في مجلّة (رسالة الإسلام): **(١) الجانب الاقتصادي من النظام الإسلامي:** مجلّة رسالة الإسلام، السنة الرابعة [١٩٧٠م]، العدد ١ ـ ٢، باسم (كاتب إسلامي كبير). وهذا البحث مأخوذٌ من (اقتصادنا) مع الاختصار والتغيير والتقديم والتأخير. انظر: اقتصادنا/ الهيكل العام للاقتصاد الإسلامي ؛ الاقتصاد الإسلامي جزءٌ من كل. **(٢) دور الدولة في الاقتصاد الإسلامي:** مجلّة رسالة الإسلام، السنة الثانية [١٩٦٨م]، العدد ٩ ـ ١٠، باسم (كاتب إسلامي كبير). وهذا البحث مأخوذٌ من (اقتصادنا) مع الاختصار والتغيير والتقديم والتأخير. انظر: اقتصادنا/ مسؤوليّة الدولة في الاقتصاد الإسلامي: مبدأ تدخّل الدولة ؛ الضمان الاجتماعي ؛ التوازن الاجتماعي. **(٣) النظريّة الإسلاميّة لتوزيع المصادر الطبيعيّة:** مجلّة رسالة الإسلام، السنة الثانية [١٩٦٨م]، العدد ٧ ـ ٨، باسم (كاتب كبير). وهذا البحث مأخوذٌ من (اقتصادنا) مع الاختصار والتغيير والتقديم والتأخير. انظر: اقتصادنا/ نظريّة توزيع ما قبل الإنتاج ؛ النظريّة. **(٣) البنك اللاربوي في الإسلام:** نشر في مجلّة رسالة الإسلام، السنة الثالثة، العدد ٩ ـ ١٠ ؛ السنة الرابعة [١٩٧٠م]، العدد ١ ـ ٢، باسم السيّد محمّد باقر الصدر. وهو مستلٌّ من مقدّمة كتاب (البنك اللاربوي في الإسلام، ط ١: ١٥ ـ ٣٠).

(٤) حدّثني بذلك الدكتور جودت القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٣٠م. انظر في مجلّة (رسالة الإسلام): **(١) النظام الإسلامي مقارناً بالنظام الرأسمالي والماركسي:** كاتب إسلامي كبير، السنة الثانية، العدد الرابع: ٤٢ ؛ **(٢) خصائص النظام الإسلامي:** كاتب كبير، السنة الثانية، العدد ٥، ٦: ٧٠. علماً بأنّ موادها مستقاة من (فلسفتنا) و(اقتصادنا).

(٥) مقدّمة مباحث الأصول: ٦٧، ٧٧ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه: ١١٨، ٢١٢ ؛ سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٤١ ؛ الحسين يولد من جديد: ٥٠ ؛ محمّد باقر الصدر.. تكامل المشروع الفكري والسياسي: ٣٥.

(٦) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري بتاريخ ١٩٨١/١/١٥م.

السيّد الصدر﵀ وكتاب (صراط الحق) للشيخ آصف محسني

في ٦/شوّال/١٣٨٤هـ (١٩٦٥/٢/٩م) فرغ الشيخ محمّد آصف محسني من تبييض الجزء الأوّل من كتابه (صراط الحق) الذي كتبه في علم الكلام[1].

وعندما أراد طباعته لم يكن يملك المبلغ اللازم لذلك، فقصد أستاذه السيّد محسن الحكيم﵀ وطلب منه أن يقرضه مائةً وعشرين ديناراً، فسأله﵀ عن مصرفها أهي للزواج أم للمنزل؟ فأجابه الشيخ المحسني بأنّها لطباعة كتاب، فسأله عن الكتاب في أيِّ باب هو، فأجابه بأنّه في علم الكلام، فتخوّف السيّد الحكيم﵀ وقال له: «**أنت محسوبٌ عليّ وأنا أخاف أنْ يكون في الكتاب ضرر**»، فقال له الشيخ: «**إذا كان فيه ضرر فأنا لا أطبعه**»، فاستمهله السيّد الحكيم﵀ ليلته تلك وطلب منه العودة في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي شعر الشيخ المحسني من خلال الحديث أنّ السيّد الحكيم﵀ يرغب في عرض الكتاب على أحد قبل أنّ يحسم قراره، فقال له الشيخ: «**إذا كنتم ترغبون في عرضه على أحد من أجل اتّخاذكم القرار فلا مانع عندي، إذا أحببتم أن أعرضه على السيّد يوسف أو على السيّد محمّد باقر الصدر**»، فقال السيّد الحكيم﵀: «**ابني السيّد يوسف لا، إنّما كنتُ أقصد السيّد محمّد باقر الصدر**»، فما كان من الشيخ إلاّ أنّ ذهب إلى بيت السيّد الصدر﵀ وأعطاه الكتاب منتظراً وجهة نظره.

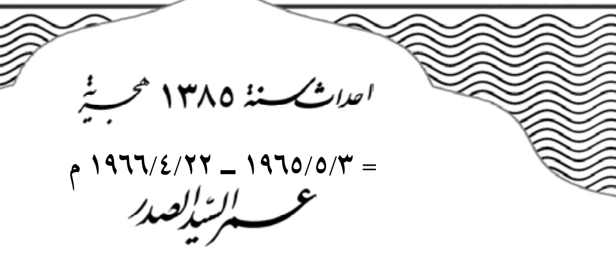
وبعد خمسة أو عشرة أيّام، أطلع السيّد الصدر﵀ السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ على رأيه في الكتاب، والذي نقله بدوره إلى والده، ولمّا دخل الشيخ المحسني على السيّد الحكيم﵀ رفع يديه ودعا له، فظنّ الشيخ أنّ أمراً قد وقع، إلى أن التفت إلى أنّ المسألة تتعلّق بالكتاب وأنّ رأي السيّد الصدر﵀ فيه كان إيجابيّاً[2].

* * *

---

(١) صراط الحق ١: ٣٤٨.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ محمّد آصف المحسني بتاريخ ٢٠٠٥/٤/٢٩م.



٣١ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣٠ سنة وشهران ويومان

***

زيارة السيّد موسى الصدر النجف الأشرف

في محرّم/١٣٨٥هـ (أيّار/١٩٦٥م) قام السيّد موسى الصدر بزيارة النجف الأشرف. وكان من المقرّر أن يشرع السيّد الصدر رحمه الله في بحث (المنطق الذاتي)، إلاّ أنّ انشغاله بابن عمّه وأمور أخرى حال دون ذلك[١].

لقد كان السيّد الصدر رحمه الله وأصحابه مقتنعين بالعمل من أجل إقامة دولة إسلاميّة، بينما كان السيّد موسى الصدر يطرح العمل الإصلاحي من خلال العلاقة مع الدولة. وقد سئل السيّد الصدر رحمه الله كيف يؤيّد السيّد موسى وهذه قناعاته، ولماذا لا يتمّ الحديث معه كي يتبنّى قناعاتهم حول إقامة الحكومة الإسلاميّة، فطلب منهم أن يناقشوه وعقد جلسةً غير رسميّة لهذا الغرض طالباً من طلاّبه مناقشة السيّد موسى. وكان السيّد موسى في تلك الفترة قد افتتح الصوم في الكنيسة وظهر في الصور والصليب فوق رأسه، وكان هذا محلّ انتقاد شديد وجّهه إليه الشيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله، فطلب السيّد الصدر رحمه الله من الشيخ علي كوراني أن يسأل السيّد موسى عن ذلك[٢].

ومن هنا عقد اجتماعٌ في منزل السيّد الصدر رحمه الله ضمّ ـ إضافةً إلى صاحب الدار ـ كلاًّ من السيّد موسى الصدر والسيّد إسماعيل الصدر رحمه الله ومجموعة من العلماء اللبنانيّين كان منهم: السيّد عبد المحسن فضل الله، الشيخ علي كوراني، الشيخ حسين كوراني، الشيخ حسن ملك، الشيخ حسن دبوق، وقيل الشيخ صبحي الطفيلي[٣]، كما كان السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله حاضراً[٤].

وبعد تناول طعام العشاء عقدت جلسةٌ استمرّت ما يقرب من ثلاث ساعات ونصف راح الشيخ علي كوراني ـ وبتوجيه من السيّد الصدر رحمه الله ـ يوجّه فيها الأسئلة إلى السيّد موسى الصدر حول ما أنجزه في لبنان وما قام به من أجل الشيعة في هذا البلد. وراح السيّد موسى الصدر يشرح كيف كان

---

(١) مستفاد من الرسالة الآتية.

(٢) المقطع الأخير من: مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله) الذي وصف قناعات السيّد الصدر رحمه الله حول إقامة الحكومة الإسلاميّة بـ(العنتريّات الإسلاميّة).

(٣) وجهُ الترديد في الشيخ الطفيلي أنّ شريف الحسيني أثبته في مقالته في مجلّة (الشراع)، ولكنّ الشيخ حسن ملك نفى لي ذلك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م. وقد فهمتُ من الشيخ ملك أنّ معلومات شريف الحسيني كانت من مقابلة أجراها مع الشيخ ملك نفسه، غير أنّه أثبتها في (الشراع) على خلاف ما ذكره له في المقابلة.

(٤) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

وضع الشيعة في لبنان عندما حلّ فيهم، وكيف استطاع أن يخلق جوّاً دينيّاً عامّاً.

هنا تدخّل السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**جزيت عن هذا العمل خير الجزاء، ولكنّ هذا لا يكفي**»، فسأله السيّد موسى: «**وما المطلوب؟!**» فأجابه السيّد الصدر رحمه الله: «**أن تبدأ بإنشاء جيل عقائدي**»(١).

وأثناء الحديث طرح الشيخ علي كوراني موضوع افتتاح السيّد موسى الصدر الصيام من الكنيسة، وسأله: «**ما هو المبرّر لتفتتح الصوم المسيحي وصورتكم تحت الصليب؟!**»، فأجاب السيّد موسى: «**أنا أذهب إلى الكنيسة لأبيّن المفاهيم الإسلاميّة**»، فتدخّل السيّد الصدر رحمه الله ليعلّق قائلاً: «**إنّ المفهوم الإسلامي الذي يخرج من الكنيسة يخرج ذليلاً، يجب أن يخرج المفهوم الإسلامي من المسجد ويذهب إلى الكنيسة**»(٢)، وكان السيّد الخوئي رحمه الله قد دافع عن موقف السيّد موسى الصدر بأنّه قادرٌ على تشخيص المصلحة في ما يفعله(٣).

وفي آخر الجلسة تقرّر أن يقوم السيّد موسى الصدر ـ وبعد رجوع هؤلاء العلماء إلى لبنان ـ بتهيئة الجوّ الدينيّ العام، ويقوموا هم ببناء الكوادر، وهو ما لاح لاحقاً سنة ١٩٦٩م عند رجوع الشيخ حسن ملك والشيخ حسين كوراني مؤقّتاً إلى لبنان، حيث راح السيّد موسى الصدر يدرّس (اقتصادنا) في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وراح الشيخ حسن ملك والشيخ حسين كوراني والسيّد فيصل الأمين يهتمّون بالشباب(٤).

يكتب رحمه الله إلى الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الرفيق المعظّم والأخ العزيز حجّة الإسلام العلاّمة الجليل آقاي شيخ محمّد إبراهيم الأنصاري دامت ألطافه.

بعد سلامٍ وشوقٍ بقدر ما أحمله لكم من حبٍّ وتقدير وإعجاب، أخبركم عن وصول رسالتكم الكريمة التي كنت ـ علم الله ـ أترقّبها وأتطلّع إليها يوماً بعد يوم لأطمئنّ على صحّتكم الغالية وراحتكم التي هي

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٢) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (١)؛ مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (٣).

(٣) غاب عن ذهني الآن مصدر هذه المعلومة التي لم أسجّلها حين سمعتها أو قرأتها لأنّني لم أحتمل أنّني سأحتاج إليها.

(٤) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م. وقد جاء الحديث عن هذه الحادثة في: دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلاميّة في إيران (قضايا إسلاميّة)، محمّد حسين جمشيدي: ٢٧٧، نقلاً عن: شريف الحسيني، حزب الله حركة عسكريّة أم سياسيّة أم دينيّة؟ مجلّة الشراع، ١٧/آذار/١٩٨٦م، وقد جاء في المصدر أنّه قد تمّ الاتّفاق في هذا الاجتماع على أن يعود المشايخ الثلاثة مع السيّد موسى الصدر إلى لبنان من أجل تأسيس حلقات سياسيّة فكريّة وتنظيم الشباب الشيعة وتدريسهم كتابي (فلسفتنا) و(اقتصادنا).

هذا ولم نطّلع على تاريخ هذه الحادثة، لكن من خلال العلماء اللبنانيّين المذكورين نعلم أنّها بين سنة ١٩٦٢م سنة سفر الشيخ حسن ملك إلى النجف الأشرف (في: تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٥١ اشتباه) وبين سنة ١٩٦٧م سنة سفر الشيخ علي كوراني إلى الكويت، وإذا ضممنا إلى ذلك تاريخ زيارات السيّد موسى الصدر إلى النجف لم يكن ما بنينا عليه بعيداً. أمّا الحديث عن حضور السيّد موسى الصدر في الكنيسة، فإنّ حضوره المعروف كان متأخّراً عن هذا التاريخ، وإن صحّ ما نقلناه في المتن فلعلّ المقصود كلمته التي ألقاها في بلدة (شقراء) اللبنانيّة بتاريخ ١٩٦٤/٨/١٤م (٦/ربيع الثاني/١٣٨٤هـ) بمناسبة الاحتفال بانتقال السيّدة العذراء (مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ١٢١ ـ ١٢٢)، ولم أتبيّن لحدّ الآن ما إذا هناك كنيسة في بلدة (شقراء).

شرطٌ من شروط راحتي، وتحقيق الأهداف الشريفة في التبليغ والتوجيه والهداية. وقد تلقّيتُ الرسالة الكريمة في هذا اليوم عصراً، وهي تبشّر عن جميع ذلك، فحمدتُ الله وشكرته على عظيم نعمه وآلائه، وسرّني جدّاً بقاؤكم في تهران، و[تهيّؤ] المجال الكافي لكم هناك، فإنّه أنسب وفوائده الدينيّة أكثر، ولكي يعلم كلٌّ من ينبغي أن يعلم أنّ من كان مع الله كان الله معه وأنّ العلم والإخلاص في العمل رأسمال لا يدانيه أيُّ رأسمال آخر. أسأل الله أن يقرَّ عيوننا برجوعكم واجتماع الشمل وأنتم على أفضل ما نحبُّ وتحبّون.

أمّا الأحوال هنا فكما تعهدون، وصحّتي بخير، وكان من المقرّر تقريباً أن نشرع في بحث المنطق الذاتي في عشرة محرّم، ولكن عدّة صدف، أحدها مجيء آقاي موسى وغير ذلك أوجب عدم تحقّق ذلك، وقد استأنفنا في هذا اليوم البحث التحصيلي الاعتيادي.

سلامي على آقاي عبادي وعلى آقاي شهابي إذا اجتمعتم به مرّة أخرى، والرفقاء جميعاً يسلّمون عليكم سلاماً مفصّلاً، والسلام عليكم أوّلاً وآخراً.

محمّد باقر الصدر
١٤ محرم الحرام ١٣٨٥»[١].

ازدهار مرجعيّة السيّد الحكيم رحمه الله

ابتداءً من هذا العام، اتّسع العمل الإسلامي ليشمل العراق كلّه، وذلك بإشراف وتخطيط نخبة من العلماء العاملين في ظلّ مرجعيّة السيّد الحكيم رحمه الله وهم: السيّد محمدّ باقر الصدر، السيّد مرتضى العسكري، السيّد مهدي الحكيم، السيّد محمّد باقر الحكيم والسيّد محمّد بحر العلوم. وكان السيّد هادي الحكيم يتناوب في حضور الاجتماعات التي كان يعقدها هؤلاء القادة.

كما أنّ السيّد الصدر رحمه الله واصل لقاءاته مع قادة (حزب الدعوة)، فكان حين يزور بغداد يلتقي بقياديّي الحزب، وممّن كان يلتقي بهم: محمّد هادي السبيتي، عبد الصاحب دخيل، داود العطّار، السيّد فخر الدين العسكري والسيّد حسن شبّر[٢].

ونشير استطراداً إلى أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله كان قد سافر إلى (الكوت) من قبل المرجعيّة بوصفه عالم دين، ولكنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يرى ضرورة بقائه في الحوزة، فكتب إليه رسالة هذا بعضُ ما جاء فيها:

«وقد نجحت هنا بصورة غير مباشرة بتعبئة ذهن السيّد الأعظم دام ظلّه[٣] بضرورة عدم بقائك في الكوت كعالم دائمي، إذ رفعت الحاج [...] للتكلّم معه مفصّلاً كممثّلٍ لطبقة من الأصدقاء الذين يلتفّون حول المرجعيّة. ثمّ اتّفقت مع السيّد أبي نوري[٤] في أن يتحدّث وقد تحدّث وأجاد. وإلى صفّ هذا وذاك تحدّث الأخ[٥] أيضاً، وقد صرّح السيّد[٦] بأنّه لا ينوي إطلاقاً، بل لا يرضى باستمرار مكثك [عالماً دائميّاً]

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٥٨).
(٢) انظر: حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٤٥ ـ ١٤٩.
(٣) يقصد السيّد محسن الحكيم رحمه الله.
(٤) يقصد السيّد مرتضى العسكري.
(٥) يقصد السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله.
(٦) يقصد السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

في الكوت.

.....

وإنّي في نفس الوقت الذي أغرق أحياناً في مشاعر الوحشة، أحسُّ من ناحية أخرى بأملٍ كبيرٍ هو أمل افتتاح الوجود الواعي في الحوزة للكوت.

فإنّ الوجود الواعي في الحوزة كلّما اتّسع نطاق اتّصاله وآفاق علاقاته ازداد تركّزاً في نفس الحوزة وتضاعفت قدرته على أداء رسالته الكبرى للحوزة وللأمّة عموماً.

وأريد بهذا أن أقول إنّ محاولة افتتاح منطقة جديدة كالكوت روحيّاً ودينيّاً من قبل أحد أفراد الوجود الواعي في الحوزة لا يعتبر مكسباً إسلاميّاً بلحاظ النجف والحوزة أيضاً، إذ يزداد هذا الوجود الواعي هيبةً ورصيداً في داخل الحوزة بسبب هذه الامتدادات الأفقيّة، لكن بشرط أن لا يصرف هذا الامتداد الأفقي عن الامتداد الأمامي الذي يسير عليه الوجود الواعي في داخل الحوزة.

فالامتداد الأفقي الكبير للنواة الواعية في داخل الحوزة، لكن على أن لا تكون على حساب الامتداد في الخط الأمامي بل إلى جانبه»[١].

سياسة عبد السلام عارف تجاه المرجعيّة

أظهر عبد السلام عارف نوعاً من الالتزام بالإسلام، محاولاً بذلك جلب عواطف الشعب في مقابل إلحاد الحزب الشيوعي وعلمانيّة حزب البعث[٢]، إلاّ أنّه رفع في الحقيقة لواء الطائفيّة والتمييز المذهبي، فأخذ هذا المنحى يبرز على مختلف المستويات حتّى بلغ الدوائر الحكوميّة.

وتعرّض الشيعة إلى حملة عنصريّة واسعة، وجاهر عبد السلام بعدائه للتشيّع واتّهمه بالشعوبيّة والفارسيّة، وكان هدفه من ذلك كلّه كسر شوكة المرجعيّة الدينيّة وتهميش دور الإسلاميّين الشيعة في أحداث البلاد. وفي محاولة منه لأجل إرضاء المرجعيّة الدينيّة وإسكاتها بعد أن استنكرت الأوضاع الجارية، أوفد عارف مجّموعةً من كبار رموز السلطة برئاسة طاهر يحيى إليها لهذا الغرض، إلاّ أنّ السيّد الحكيمرحمه الله لم ينظر إلى الأمور نظرة طائفيّة بحتة، ولم يركّز على طائفيّة النظام فقط، وممّا قاله للوفد: «**أنا لا أرغب أن أذكر لكم إلاّ ما فيه صلاحي وصلاح شعبي على اختلاف ما عندهم، ولا فرق عندي بين عربيٍّ وكرديٍّ وتركي، فكلّهم إخواني وأولادي، أرغب في إسعادهم والمحافظة عليهم بكلّ ما أوتيت من قوّة**»[٣].

عبد السلام عارف وزيارة السيّد الحكيمرحمه الله

في أعقاب رجوع وفد عارف صفر اليدين، حاول الأخير بنفسه ولأكثر من مرّة المجيء إلى

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، ٦/صفر/١٤٠٥هـ.

(٢) ذكرنا في ترجمة السيّد إسماعيل الصدر في الفصل الأوّل من الكتاب أنّه عندما اجتمع وفدٌ من جماعة علماء بغداد بعبد السلام عارف وكان فيهم السيّد إسماعيلرحمه الله، أراد عبد السلام التظاهر بحرصه على الإسلام فقال: «إنّ ابني أحمد يلتزم بالصلاة اليوميّة التزاماً تامّاً»، فردّ عليه السيّد إسماعيلرحمه الله بقوله: «نحن لا نريد ابنك فقط مصلّياً أو عابداً بل عليك أن تجعل جميع أبناء الشعب العراقي الذي ترأسه أنت من المصلّين..» (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٥، نقلاً عن جريدة الجهاد، العدد ٢٨٣، ٧/شعبان ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧/٤/٦ : ١١).

(٣) سنوات الجمر: ٧١ ـ ٧٣.

النجف وكان في نيّته زيارة السيّد الحكيم﵀، ولكنّ السيّد﵀ لم يوافق على ذلك. وقبل مجيء عارف إلى النجف، دار الحوار التالي بين السيّد مهدي وأخيه السيّد كاظم:

السيّد مهدي: «**هل أنّ طلباً رسمياً قدّم للسيّد بأنّ عبد السلام يريد زيارتك؟**».

السيّد كاظم: «**لا، إنّ طلباً رسميّاً من هذا القبيل لم يحصل**».

السيّد مهدي: «**إذا لم يكن هناك طلبٌ رسمي فيمكن لعبد السلام أن يأتي إلى النجف ولا تحصل الزيارة، فيقول بأنّني أصلاً لا أريد زيارته. وليس من المصلحة أن تكون المسألة بهذا الشكل، ولكنّ المصلحة هي أنّ عبد السلام أراد زيارة السيّد ولكنّ السيّد رفض الزيارة، وفي ذلك تقوية لمعنويّاتنا**».

السيّد كاظم: «**هذا صحيح، ولكن ما العمل؟**».

السيّد مهدي: «**أرى أن نلجأ إلى طريقة بحيث يكون الطلب رسميّاً**».

السيّد كاظم: «**حسناً**».

السيّد مهدي: «**أنا أفكّر بالموضوع**».

وذهب السيّد مهدي إلى العقيد ناجي سلمان ـ وهو عقيدٌ شيعيٌّ يخفي تشيّعه ـ وقال له: «**ما رأيك بزيارة عبد السلام عارف للسيّد؟**»، فقال: «**إنّ الزيارة في محلّها، لعلّنا نرتاح قليلاً، خاصّةً وأنّ عبد السلام طائفي وسيّء و[..]**». فقال السيّد مهدي: «**إنّ السيّد غير مرتاح إلى هذا الشخص، فلو أنّنا نتعاون على تحقيق هذا الأمر، وأنا أرى مصلحة في الموضوع**»، فرحّب هو بذلك واتّصل فوراً بأحد الأشخاص السنّة المقرّبين من عبد السلام وكان يعمل في مطار بغداد، فحضر هذا الشخص وأوضح له السيّد مهدي أنّ السيّد محسن﵀ غير راض عن عبد السلام وأنّه يرى أنّ المصلحة الوطنيّة تقتضي أن يعقد لقاءٌ بينهما لتصفية بعض القضايا لكيٍ تسير الأمور بشكل طبيعي.

وحرّك السيّد مهدي الأجواء لنشر الخبر، وتمّ الاتّفاق على زيارة هؤلاء المسؤولين السيّد محسن الحكيم﵀ ليطلبوا منه الموافقة على استقبال عارف، ولكنّه أصرّ على تعليق ذلك على إلغاء قانون الأحوال الشخصيّة والقوانين الاشتراكيّة[١].

عارف يحاول كفّ أيدي المرجعيّة

لقد أدّت هذه الأحداث إلى سخط حكومة عارف على الشيعة ومرجعيّتهم الدينيّة بشكل أكبر، وجعلت عارف يخطّط بجدّ لضربها.

ومن هذا المنطلق، خطّط الأخير لافتعال فتنة تنطلق شرارتها من الكاظميّة لتتّخذ منها السلطة بعد ذلك ذريعةً لاعتقال أذرع المرجعيّة في بغداد ممثّلةً بالسيّد مرتضى العسكري والسيّد مهدي الحكيم﵀ تمهيداً لإعدامهما. وفي حال حدوث تحرّك جماهيري مضاد، يتمّ سحقه بلا هوادة بالاستعانة بالقوّات المصريّة التي استقدمها عارف إلى العراق لحماية نظامه، وكانت قد رابطت في معسكر التاجي بالقرب من العاصمة بغداد.

وفي ٩/محرّم/١٣٨٥ هـ (١١/٥/١٩٦٥م) تمّ الهجوم على المسجد الذي يصلّي فيه السيّد

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٦٦ ـ ٦٨ ؛ سنوات الجمر: ٧٣.

إسماعيل الصدر‏رحمه الله على أساس أنّ هذا المسجد مسجد ضرار، وكتبوا عليه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

وفي ذلك الحين كان السيّد إسماعيل قد لجأ إلى النجف، ولم تتّخذ الحكومة أيّ إجراء ضدّ ذلك الهجوم.

وفي ذكرى عاشوراء، أراد السيّد مهدي الحكيم‏رحمه الله والسيّد مرتضى العسكري والشيخ عارف البصري‏رحمه الله ومجموعةٌ من علماء بغداد إعادة فتح المسجد، فأقاموا العزاء يوم التاسع من محرّم عصراً، وكان الخطيب هو السيّد عبد الرسول الكفائي، ثمّ خرجوا في موكب من الجامع ليُشعروا الناس بأنّ المسجد قد فتح، واتّجهوا إلى الصحن الكاظمي.

وفي هذه الأثناء ترك السيّد مهدي الحكيم‏رحمه الله والسيّد مرتضى العسكري الموكب لأجل أن يصلا إلى مسجديهما حيث يقيمان الصلاة.

وبعد الصلاة اتّصل السيّد مرتضى العسكري بالسيّد مهدي الحكيم‏رحمه الله وقال له: إنّ الواقعة قد وقعت، وهي أنّ الشيخ عارف البصري ذهب في موكب العزاء إلى الصحن فهاجمهم أتباع الشيخ محمّد مهدي الخالصي، وحدث اشتباك قتل فيه اثنان من جماعة الشيخ الخالصي، وحينذاك اعتقل جماعة من بني تميم الذين كانوا قد تصدّوا لحماية السيّد إسماعيل الصدر‏رحمه الله ومسجده.

وقد حاولت السلطة اعتقال السيّد مهدي الحكيم‏رحمه الله والسيّد مرتضى العسكري بتهمة التحريض على القتل، وبموجب القانون فإنّ هذا النوع من الاعتقال لا يتمّ معه إطلاق السراح حتّى تثبت براءة المعتقَل، ولا تنفع معه أيّة كفالة. وقد كان الهدف من ذلك إدخالهما السجن بصفة مجرمين بتهمة وجود اعترافات عليهما، ولكنّ الحاكم أزهر عيسى الخلف فهم المغزى، فأفشل المخطّط.

وعلى إثر هذه الأحداث انقلب الوضع تماماً لصالح المرجعيّة ومن يمثّلها، وبدأت الوفود تتقاطر من أنحاء العراق على مقرّ إقامة السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله في النجف الأشرف مستنكرةً مؤامرات السلطة ودسائسها[٢].

وبعد الإعلان عن تطبيق القوانين الاشتراكيّة على لسان طاهر يحيى، دعت المرجعيّة الدينيّة وعلماء الدين في النجف الأشرف إلى اجتماع جماهيري في مرقد الإمام علي‏عليه السلام، وقد عبّأت له الحركة الإسلاميّة الكثير من طاقاتها بالشكل الذي أنجح التجمّع في الوصول إلى أهدافه[٣].

---

(١) التوبة: ١٠٧.

(٢) انظر: من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٦٨ ـ ٦٩ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٤٩ ـ ١٥٠. يقول السيّد محمّد باقر الحكيم‏رحمه الله: «تعرّض أخوه آية الله السيد اسماعيل الصدر لمحنة قاسية حيث شرّد من موقعه المتميز في الكاظميّة على يد الشيخ مهدي الخالصي وأعوانه بتحريض من الحكم العارفي، واستمرّت هذه المحنة حتّى كاد أن يعتريها النسيان وكان يشعر بالألم الشديد من أجلها، ولكنّه أبى لعزّته وكرامته أن يطالب المرجعيّة الدينيّة بحلّها، وقد فاتحني في هذا الأمر وكنتُ قد اطّلعت على موقف سلبيٍّ نسبيٍّ مبرّر تجاه السيّد إسماعيل، ولكنّي كتمت عليه ذلك إذ قد يسيئه، ولكنّه بقي محتفظاً بجلده وعزّته حتّى أذن الله بالانفراج على يد المرجعيّة الدينيّة نفسها بعد أزمة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٧» [ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)].

(٣) سنوات الجمر: ٧٣.

وفي منتصف صفر/١٣٨٥هـ (منتصف حزيران/١٩٦٥م) أصدر عارف بياناً حول ضرورة خروج علماء النجف الأشرف إلى إيران. وعلى إثر ذلك خرج شيعة النجف والبصرة حاملين صور السيّد الحكيم ﵀ في مظاهرة ندّدوا فيها بسياسة عارف وبمحاولة إخراج السيّد الحكيم ﵀ من النجف(١).

محاضرة حول (الوحي)

في ٢٨/صفر/١٣٨٥هـ (٢٨/٦/١٩٦٥م) عصراً، ألقى السيّد الصدر ﵀ محاضرةً في مقبرة آل ياسين حول الوحي، ودور الحسّ في تربية النبي ﷺ واستنزال القيم العقليّة إلى مستوى المحسوسات(٢).

زيارة الشيخ محمّد جواد مغنية ﵀ إلى النجف الأشرف

في ليلة من ليالي ربيع الأوّل/١٣٨٥هـ (تمّوز/١٩٦٥م)، قال السيّد محمّد تقي الحكيم ﵀ للحاج حسين الشاكري: «**هل ترغب بزيارة الشيخ محمّد جواد مغنية؟ إذ هو الآن ضيفٌ على السيّد محمّد باقر الصدر؟**»، فأجابه: «**نعم، [لا]سيما أنّه في دار السيّد الصدر الذي هو صديقنا وعزيزٌ علينا**».

وذهب الاثنان إلى دار السيّد الصدر ﵀، وبعد السلام وأداء التحيّة، قام السيّد الصدر ﵀ بتقديم الحاج الشاكري وتعريفه بالشيخ مغنية ﵀، وكان المجلس غاصّاً بالعلماء.

وبعد فترة من الوقت جرى الحديث عن مشاكل الساعة والحوزة العلميّة، لا سيما الأمور الماديّة منها، فانبرىً أحد الجالسين وأخذ يلقي اللائمة والتقصير على أصحاب الثروات والتجّار لعدم مساهمتهم بفعالية لرفع المستوى العلمي عن طريق بذل المال، لتقوم النجف بواجباتها المطلوبة، وكان المتحدّث ينظر إلى الحاج الشاكري الذي شعر أنّ الكلام موجّهٌ إليه.

وبعد أن سكت المتكلّم ولم يعلّق أحدٌ على الموضوع، قام الحاج الشاكري وأوضح أنّ في المسألة قصوراً وتقصيراً، وصاحب المال حريصٌ على ماله ويحبُّ أن يضعه في محلّه، ثمّ أوضح أنّه قد مرّ على النجف الكثير من العلماء والمحقّقين، ولكنّ أحداً لم يفكّر في تأسيس دار نشر أو مكتبة أو مطبعة لطباعة نتاج العلماء وحفظ التراث من الضياع.

ثمّ استشهد بجهود الشيخ عبد الحسين الأميني ﵀ في تأليفه كتاب (الغدير) وتشييده (مكتبة أمير المؤمنين ﵇)، ثمّ أعلن عن استعداده لتشييد دار للطباعة والنشر مجهّزة بأحدث الوسائل، وذلك على قطعة الأرض التي يمتلكها بين النجف وبين الكوفة قريباً من مرقدً الصحابي ميثم التمّار ﵁، وذلك من أجل طباعة الكتب والمصادر القديمة بعد تحقيقها، ثمّ توزيعها مجّاناً على معاهد العلوم الدينيّة والجامعات في أنحاء العالم، وبيع الفائض منها في الأسواق ليكون ريعها للجهات العلميّة. ولم يطلب من العلماء سوى تشكيل جهاز إدارة مع عدد من المحقّقين ليتمّ اختيار الكتب القديمة المهمّة من أجل طباعتها. ثمّ أمهلهم الحاج الشاكري إلى الأسبوع القادم ليتّخذوا قرارهم.

وأثناء استرساله في الكلام، كان الحاج الشاكري ينظر إلى وجه السيّد الصدر ﵀ بين الفينة والأخرى ليرى ردّة فعله على ما دار من حوار، فلم يرَ منه إلاّ ابتسامةً خفيفةً مقرونةً بألمٍ دفينٍ

---

(١) تحولات داخلى عراق وامنيت ملى ايران به روايت اسناد ساواك (فارسي): ٤٢١.

(٢) أئمّة أهل البيت ﵈ ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة: ٣٥.

وحسرة. أمّا الشيخ مغنية﵀، فقد وجده الحاج الشاكري مذهولاً إذ لم يسمع بمثل هذا التصريح وبهذه الجرأة من (أفندي). وقد بقي الوضع على حاله على أيّة حال[١].

ولادة (نبوغ)

في ١٩٦٥/٨/١٧م = ١٩/ربيع الثاني/١٣٨٥هـ رزق السيّد الصدر﵀ مولوده الثاني (نبوغ)، وهي ثانية بناته. وهي حرم الشهيد السيّد مصطفى السيّد محمّد الصدر﵄. أولادها: أحمد، حسنات، صادق وزهراء[٢].

لقاء السيّد الصدر﵀ بالشيخ جعفر السبحاني والشيخ ناصر مكارم الشيرازي

سنة ١٣٨٥هـ كان السيّد الصدر﵀ يصطاف في سامرّاء، فالتقى به الشيخ جعفر السبحاني مع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وكانا قد قصدا كربلاء بعد عبدان، ثمّ توجّها إلى سامرّاء. فتواعدوا على الاجتماع في اليوم التالي بعد أن عرّف الشيخ السبحاني السيّد الصدر﵀ على الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، وكان قد سمع به ولم يره، وإنّما كان قد التقى بالشيخ السبحاني فحسب في مدرسة البروجردي في النجف سنة ١٣٧٥هـ.

وفي اليوم التالي اجتمع الثلاثة ودار في الاجتماع حديثٌ حول المشكلات الاجتماعيّة التي يعاني منها المسلمون، إلى أن وصل الكلام إلى السيّد محمّد حسين الطباطبائي﵀ فأبدى السيّد الصدر﵀ إعجابه بتفسيره (الميزان) أشدّ الإعجاب، وعدّه من حسنات الدهر وجلائل الزمان[٣].

افتتاح قسم خاص لكتب الشيعة في مصر

في هذا العام سعى السيّد مرتضى الرضوي إلى افتتاح قسمٍ خاصٍ لكتب الشيعة الإماميّة في دار الكتب المصريّة، فكتب إليه السيّد الصدر﵀ يبارك له هذا المشروع. وقد وصلت الرسالة إلى السيّد الرضوي بتاريخ ١٩٦٥/٩/٢م (٦/جمادى الأولى/١٣٨٥هـ)، وقد جاء فيها:

«بسمه تعالى

فضيلة الأخ العزيز المجاهد السيّد مرتضى الرضوي دام عزّه

السلام عليكم زنة تقديري وإعجابي.

وبعد فقد وصلتني رسالتكم الكريمة ففرحت بما توصّلت إليه جهودكم المشكورة من افتتاح جناح لكتب الإماميّة في دار الكتب المصريّة، فإنّ هذا الجناح له أهميّته الكبيرة بالنسبة إلينا إذ يكون نافذةً لأفكارنا وفقهنا وثقافتنا المكنوزة، فجزاكم الله عن المذهب والدين أفضل الجزاء، وكتبكم في زمرة العاملين في سبيل إعلاء كلمة الله والإسلام في الأرض، وحقّق بكم الآمال المعقودة على همّتكم وإخلاصكم والسلام عليكم أولاً وآخراً.

النجف الأشرف ـ العراق

محمّد باقر الصدر»[٤].

---

(١) ذكرياتي، الحاج حسين الشاكري ق١: ٩٠ ـ ٩٢ ؛ ق٦: ١٩ ـ ٢٢.

(٢) يأتي تعداد أولاد السيّد الصدر﵀ ضمن الفصل الرابع.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ جعفر السبحاني بتاريخ ٢٠٠٥/١٢/٣٠م ؛ وانظر: مقابلة مع الشيخ جعفر السبحاني (﵀).

(٤) مع رجال الفكر في القاهرة: ٢٣٩ ـ ٢٤٠ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٧١ ؛

وزار السيّد الرضوي السيّد الصدر رحمه الله وعرض عليه رغبته الملحّة في طباعة كتاب (المراجعات) في القاهرة وأن يكتب عليه: «**المراجعات.. أبحاث جديدة في أصول المذهب والإمامة العامّة..**»، فقال رحمه الله: «**تكون أوّل من عرّف [بـ]ـالكتاب**»، وذكر له السيّد الصدر رحمه الله أنّه يرغب في الاطّلاع على بعض كتب الدكتور زكي نجيب محمود[١].

الفراغ من بحث (الانسداد)

في ٨/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ (١٩٦٥/١٠/٣م)، فرغ السيّد الصدر رحمه الله من مبحث (الانسداد) من الدورة الأصوليّة الأولى. وفي ١٠/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ (١٩٦٥/١٠/٥م) شرع في مباحث البراءة والتخيير في الأصول العمليّة[٢].

الفراغ من بحث (الخمس) واستئناف البحث في (المياه)

يوم الثلاثاء ٢٩/صفر/١٣٨٥هـ (١٩٦٥/٦/٢٩م) فرغ السيّد الصدر رحمه الله من تدريس كتاب (الخمس)[٣].

ويوم الأربعاء ١٠/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ (١٩٦٥/١٠/٦م)، شرع في إلقاء المحاضرات الفقهيّة الاستدلاليّة على متن (العروة الوثقى) في مسائل المياه، والتي حرّرها فيما بعد في كتاب (بحوث في شرح العروة الوثقى) والذي صدر ١٣٩١هـ[٤].

وذات مرّة انتقل في درس الفقه لدى الحديث عن الطهارة والنجاسة إلى الحديث عن تطهير النفس وتزكيتها[٥].

انتقال السيّد ذيشان حيدر جوادي إلى الهند

سنة ١٩٦٥م انتقل السيّد ذيشان حيدر جوادي رحمه الله إلى الهند بسبب بعض الأوضاع العائليّة والاقتصاديّة، ولم يكن السيّد الصدر رحمه الله موافقاً على ذلك، ولكنّ السيّد ذيشان استخار الله تعالى فكان قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾[٦]، ولم يقتنع السيّد الصدر رحمه الله بذلك إلأى أن أصرّ السيّد ذيشان على الأمر، فقال رحمه الله: «**لو لم يكن هذا الفراق توسّعاً في وجود السيّد محمّد باقر الصدر لم نكن لنتحمّل هذا الفراق أبداً، إلاّ أنّ الآمال المعقودة عليك بالنسبة إلى الإسلام والمسلمين تمنعنا من أن نحول بينك وبين هذه السفرة**».

يوم الإنسانيّة يوم الغدير الأغرّ، السيّد رضا الصدر، ترجمة السيّد مرتضى الرضوي، وقد فاتني رقم الصفحة، وقد جاء في الهامش أنّ افتتاح هذا الفرع لم يتمّ رغم كثرة الجهود التي بذلت من أجل تحقيقه.

(١) مقابلة مع السيّد مرتضى الرضوي (حفظه الله).

(٢) مباحث الأصول ق٢، ٢: ٧٣١.

(٣) مستفاد من أرشيف المؤتمر العالمي للإمام السيّد الصدر قدس سره.

(٤) تقدّم سابقاً أنّ السيّد الصدر رحمه الله شرع في تدريس الخارج فقهاً سنة ١٣٨١هـ حول مسائل الطهارة والمياه، وأنّه لمّا باحث الخمس في شهر رمضان/١٣٨٣هـ أكمل البحث حتّى ٢٩/صفر/١٣٨٥هـ ثمّ استأنف البحث في الطهارة.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٤٨)، ٧/شعبان/١٤٠٤هـ.

(٦) الأنبياء: ٥١.

وعندما كان السيّد ذيشان جوادي يزوره بعد فترة رجوعه إلى بلده وانقطاعه عن درسه كان يذكر لطلاّبه دور السيّد ذيشان في ترتيب مكتبته سنة ١٣٨١هـ ويقول: «**هذا السيّد أعرف بالبيت منّي، وهذه المكتبة نتيجة جهوده..**»، وكان يقول عنه: «**إنّ هذا السيّد من الرفقاء الأقدمين**»، وكان يلقّبه بـ(الفاضل الهندي)، وكان يذكر أمامهم أنّه يقوم بترجمة كتبه إلى اللغة الأورديّة بشكل سريع، حتّى لو أنّه ـ أي السيّد الصدر ـ كان يعرف اللغة الأورديّة وأراد التأليف ابتداءً بها لما كان أسرع منه.

[وفي هذه السنة سافر السيّد ذيشان والسيّد شميم الحسن إلى بيت الله الحرام من النجف الأشرف][1] للحج النيابي الذي رتّبه السيّد الصدر عن طريق أحد مقلّديه، وقد ودّعهما بنفسه ولم يغادر حتّى تحرّكت السيّارة.

وعندما توفّي والد السيّد ذيشان في الهند أقام بعض أصدقائه مجلساً في النجف الأشرف لمدّة ثلاثة أيّام، فحضره السيّد الصدر بوصفه من أعضاء الأسرة، فكان يقف على باب المدرسة ويستقبل المعزّين[2].

حضور السيّد محمّد الغروي بحث السيّد الصدر

في هذه السنة حضر السيّد محمّد الغروي بحث السيّد الصدر الذي كان يحاضر حول أصالة البراءة في مقبرة آل ياسين[3]، وكان التحاقه إثر تعريف من ابن خاله الشيخ محمّد الإصفهاني[4].

وعند وصوله في درس الفقه إلى بحث لباس المصلّي وتعمّقه في المطلب حصل اليقين لدى السيّد الغروي بأعلميّته فقلّده[5].

نفي السيّد الخميني إلى النجف الأشرف

يوم الثلاثاء ١٩٦٥/١٠/٥م (٩/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ)، تمّ نفي السيّد الخميني ونجله السيّد مصطفى إلى العراق. وبعد أن حطّت الطائرة في مطار بغداد كان السيّد مصطفى يتوقّع اعتقالهما من قبل السلطة العراقيّة، فانتظرا قليلاً في صالة المطار كي تتّضح حقيقة الأمر. ولمّا لم يحصل ذلك، خرجا من المطار وقصدا مدينة الكاظميّة.

وفي الكاظميّة نزلا في نزل (الجمّالي) لصاحبه عبد الأمير الجمّالي، ومن هناك اتّصل السيّد مصطفى بالشيخ نصر الله الخلخالي في النجف ليعلمه بقدومهما وليذيع الخبر، ولكنّه لم يتمكّن

---

(١) ما بين [] استفدناه ممّا كتب على الصورة التي تجدها في الجزء الأخير والتي ضمّت السيّد ذيشان والسيّد شميم الحسن والسيّد الصدر، ومن الممكن أن لا يكون ما نقلناه ناظراً إلى هذا السفر بعينه.

(٢) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي () ؛ وانظر شيئاً من ذلك في: مقابلة مع السيّد حيدر ذي شان جوادي ().

(٣) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد محمّد الغروي. يُشار إلى أنّ السيّد الصدر قد شرع في (تنبيهات البراءة) يوم الأحد ١٧/محرّم/١٣٨٦هـ، وهذا يعني أنّه درّس أصل البحث سنة ١٣٨٥هـ.

(٤) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي () ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (). وفي المصدر الأخير: بحث الاستصحاب.

(٥) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي ()، وبحث لباس المصلّي من البحوث التي درّسها السيّد الصدر على شكل متفرّقات خلال تدريسه كتاب الطهارة.

من العثور عليه، فاتّصل بمنزل السيّد الخوئي رحمه الله للغرض نفسه، فلم يجد سوى المستخدم فأعلمه بذلك.

وقد اتّفق أنّ السيّد محمّد الغروي كان في ذلك الفندق، فلمح عند الاستعلامات سيّداً ـ نازعاً عمّته ـ فسلّم عليه، فسأله ذلك السيّد: «**إلى أين أنت ذاهب؟**» فأجابه: «**إلى النجف**»، فقال له: «**أنا ابن السيّد الخميني، والسيّد وصل ونريد أن نُعلم الشيخ نصر الله الخلخالي بذلك، وقد حاولتُ الاتّصال به ولكنّي لم أجده**»، فتكفّل السيّد الغروي بذلك، ولكنّه عندما وصل إلى النجف كان الشيخ الخلخالي قد علم بالخبر[1].

وعندما علم صاحب النزل أنّ ضيفيه هما الإمام ونجله رحمهما الله، ألحّ عليهما بالانتقال إلى منزله الخاص الذي وضعه تحت تصرّفهما.

وما إن تأكّدت محافل النجف من صحّة الخبر حتّى سارع الكثير من الطلاّب إلى الذهاب إلى الكاظميّة من أجل الترحيب بالسيّد الخميني رحمه الله، وكذلك كبار العلماء الذين أرسلوا ممثّلين عنهم للغرض نفسه.

وقد زار الوزير العراقي الدكتور عبد الرزّاق محيي الدين السيّد الخميني رحمه الله الأربعاء ليلاً (١٠/جمادى الثانية/١٣٨٥ هـ) ورحّب به نيابةً عن الرئيس عبد السلام عارف وعرض عليه التسهيلات اللازمة.

وقد تزامنت محاولة السلطة التقربَ من السيّد الخميني رحمه الله مع التوتّر الذي شهدته العلاقات العراقيّة ـ الإيرانيّة أواسط الستّينات بسبب المواقف السلبيّة لمحمّد رضا پهلوي من القضايا العربيّة والعداء المحتدم بينه وبين جمال عبد الناصر، إضافةً إلى التوتّر بين الحكومة العراقيّة وبين المرجعيّة النجفيّة[2].

وفي الكاظميّة زار السيّد الخميني رحمه الله وفدٌ من حزب الدعوة ضمّ كلاًّ من: محمّد هادي السبيتي، عبد الصاحب دخيل، السيّد فخر الدين العسكري، المحامي السيّد حسن شبّر، السيّد إبراهيم المراياتي ومهدي السبيتي، [وذكر له الوفد أنّ هجرته مثل هجرة النبي صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة، والتي أعقبها الفتح، وأعلن له الولاء والطاعة والاستماع إلى توجيهاته]. وبعد خروج هذا الوفد وصل وفدٌ آخر برئاسة الشيخ محمّد مهدي الآصفي ضمّ في عضويّته مجموعةً من طلبة الحوزة العلميّة في النجف الأشرف[3].

عصر يوم الخميس (١١/جمادى الثانية/١٣٨٥ هـ) انتقل السيّد الخميني رحمه الله مع نجله ومجموعة من علماء الدين إلى سامرّاء حيث استُقبِل بشعارات (**يعيش الخميني، فليسقط الشاه**). كما أقيم له مجلس استقبالٍ حاشدٍ حضره العلماء والناس وشخصيّات رسميّة، وألقى الشيخ سعيد البدري ـ أحد

---

(١) حدّثني بخصوص هذا المقطع السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م في منزله في صور.

(٢) هذا المقطع من: سنوات الجمر: ٧٧.

(٣) هذا المقطع من: حزب الدعوة الإسلاميّة: ٢٧١ ؛ وما بين [] من: حزب الدعوة الإسلاميّة.. مظهر آخر من عبقريّة الإمام الشهيد الصدر:٢٢.

شيوخ العشيرة السنّة[١] ـ كلمةً رحّب فيها بحلول السيّد الخمينيرحمه الله في سامرّاء.

عصر يوم الجمعة (١٢/جمادى الثانية/١٣٨٥ هـ) انتقل السيّد الخمينيرحمه الله مع نجلهرحمه الله إلى كربلاء، حيث التقى به قاصدوه من كربلاء في طريقهم إليه، فحملوه إلى مرقد الإمام الحسينعليه السلام بموكبٍ مهيب وبلافتة كتب عليها: «**ترفرف راية الإسلام بيد آية الله الخميني**».

عندما حلّ موعد صلاتي المغرب والعشاء طلب منه السيّد محمّد الشيرازيرحمه الله إقامة الصلاة جماعةً نيابةً عنه، وبعد انتهاء الصلاة طلب منه نيابةً عن أهالي كربلاء المكوث في كربلاء لمدّة أسبوع، فوافق السيّد الخمينيرحمه الله على ذلك.

بعد ظهر يوم الجمعة ١٩/جمادى الثانية/١٣٨٥ هـ (١٩٦٥/١٠/١٥م) انتقل السيّد الخمينيرحمه الله إلى النجف الأشرف حيث كان الناس والعلماء في استقباله في الطريق إلى النجف في أكثر من ثمانين سيّارة كان قد استأجرها كبار العلماء في النجف لهذا الغرض.

وتمّ استقبال السيّد الخمينيرحمه الله بلافتات كتب عليها: «**مدينة النجف الأشرف ترحّب بمقدم البطل الإسلامي المجاهد السيّد الخميني**» و«**جماهير النجف المسلمة تبدي سرورها بمقدم السيّد الخميني رمز التضحية والجهاد**».

عند الرابعة عصراً وصل السيّد الخمينيرحمه الله إلى مرقد أمير المؤمنينعليه السلام، وانتقل بعد زيارتهعليه السلام إلى منزله الواقع في شارع الرسولصلى الله عليه وآله والذي قد تمّ استئجاره له، حيث أدّى صلاتي المغرب والعشاء جماعةً[٢]. وكانت حوزة النجف ـ لا المرجعيّة ـ قد شهدت حديثاً حول المكان الأفضل لاستقرار السيّد الخمينيرحمه الله، وكان هناكٌ تفضيلٌ لاستقراره في كربلاء، وذلك لأمرين:

الأوّل: خلوّها بعد رحيل السيّد مهدي الشيرازيرحمه الله ومهاجرة السيّد محمّد هادي الميلانيرحمه الله.

الثاني: تجنيب السيّد الخمينيرحمه الله المشكلات التي يمكن أن تنشأ من وجوده في النجف الأشرف نتيجة الاختلاف الإجمالي بين نهجه ونهج الحوزة عموماً[٣].

زيارة السيّد الخوئيرحمه الله السيّد الخمينيرحمه الله

في الليلة الأولى من وصوله إلى النجف الأشرف أتى لاستقباله كلٌّ من السيّد محمود الشاهرودي والسيّد الخوئي[٤] ومعه نجله السيّد جمال الدين الخوئي والشيخ صدرا البادكوبي والشيخ مجتبى اللنكراني والسيّد جلال الدين فقيه إيماني، ومجموعة كبيرة من الطلاّب[٥]، وقيل: إنّ السيّد الصدررحمه الله كان أوّل الزائرين[٦].

---

(١) ما بين ـ ـ ذكره لي السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.

(٢) انظر: نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ١٦٤ وما بعدها ؛ حديث الانطلاق: ١٠٨ ـ ١٠٩ ؛ هفت هزار روز (فارسي) ١: ٢٣٤.

(٣) انظر بهذا الصدد: مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(٤) انظر: نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ١٧١.

(٥) أخذنا أسماء وفد السيّد الخوئيرحمه الله من كتاب: غروب خورشيد فقاهت (فارسي): ١١٤.

(٦) مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (حفظه الله).

وعندما جلس السيّد الخوئي تسلّم زمام الحديث ـ وكان محدّثاً يتحدّث بطلاقة ـ وكان السيّد الخميني مسدلاً رأسه. وعندما وجد السيّد الخوئي أنّ الحديث من طرفٍ واحد وشعر بأنّ السيّد الخميني غير مهتمّ لحديثه استأذن وانصرف[١].

زيارة السيّد محسن الحكيم السيّد الخميني

وفي الليلة الثانية زاره السيّد محسن الحكيم الذي قال له: «**سمعنا أنّكم وخلافاً للمتعارف قد أدّيتم الصلاة في البيت**».. فأجاب السيّد الخميني: «**إنّ كثيراً من أعمالي خلاف المتعارف**»[٢].

وكان المصوّرون قد التقطوا الكثير من الصور للسيّد الحكيم والسيّد الخميني. ولمّا ذهب أصحاب السيّد الخميني في اليوم التالي للحصول على نسخة منها من الاستديو، تبيّن لهم أنّه قد تمّ سحبها منهم، ولم يعرفوا من الذي قام بذلك[٣]. وقيل إنّه السيّد محمّد باقر الحكيم[٤].

وعلى كلّ حال، فقد أخذ السيّد محسن الحكيم يزور السيّد الخميني بين حين وآخر[٥].

السيّد الخميني يقيم صلاة الجماعة

لقد أقيم احتفالٌ تكريميٌّ بمناسبة حلول السيّد الخميني في النجف الأشرف، وزاره مرّة ثانية الوزير عبد الرزّاق محيي الدين الذي أبلغه سلام رئيس الجمهوريّة وعرض عليه تأمين الخدمات اللازمة لإقامته في العراق.

وبعد إلحاح من طلاّب مدرسة البروجردي، وافق السيّد الخميني على إقامة صلاتي المغرب والعشاء في تلك المدرسة، وشرع في ذلك ابتداءً من ليلة الاثنين ٢٢/جمادى الثانية/١٣٨٥ هـ (١٨/١٠/١٩٦٥م)[٦].

زيارة السيّد الخميني السيّد محسن الحكيم

في ليلة الثلاثاء ٢٣/جمادى الثانية/١٣٨٥ هـ (١٩/١٠/١٩٦٥م) بادر السيّد الخميني إلى زيارة علماء النجف، فزار كلاً من السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي والسيّد محمود الشاهرودي .

ولدى زيارته السيّد الحكيم جرى بينهما الحوار التالي:

السيّد الخميني: «**من الجيّد أن تسافروا إلى إيران لتغيير الجوّ ولتروا أوضاع البلاد عن كثب وتشاهدوا ماذا يجري على هذا الشعب المسلم.**

في زمان السيّد البروجردي كنت أحمل عدم قيامه في وجه السلطة الجائرة على الصحّة، إذ كنت

---

(١) خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي): ١٢٠، ويُضيف الشيخ الزنجاني أنّ السيّد الخوئي لم يكن يعرف سجايا السيّد الخميني.

(٢) نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ١٧١.

(٣) هذا المقطع من: خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي): ١٢٠ ـ ١٢١.

(٤) الإمام الحكيم ـ الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلاميّة: ٣١.

(٥) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٧٥.

(٦) انظر: نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ١٧١ وما بعدها ؛ حديث الانطلاق: ١٠٨ ـ ١٠٩ ؛ هفت هزار روز (فارسي) ١: ٢٣٤.

أقول: إنّ الأخبار لم تكن تصله. وبالنسبة إليكم، فأنا كذلك أعتقد أنّ أخبار ما تقوم به الحكومة الإيرانيّة من فجائع لا تصلكم، وإلاّ لما بقيتم ساكتين.

في طهران احتفلوا بالذكرى الخامسة والعشرين للحكم البهلوي، ومن أجل تغطية مصاريف هذا الاحتفال جمعوا عنوةً أربعمائة ألف دولار من الناس الفقراء، وجمعوا بين ثمانمائة فتاة وثمانمائة فتى تحت عنوان إقامة الدعاء، وأنا أخجل من الحديث عمّا قاموا به تحت هذا العنوان».

السيّد الحكيمرحمه الله: «بما أنّكم هنا فمن غير المناسب أن أسافر إلى إيران، ثمّ ماذا يمكن فعله؟ وما أثر ذلك؟».

السيّد الخمينيرحمه الله: «من المؤكّد أنّ لذلك أثراً، فإنّنا بهذه الانتفاضة [١٥ خرداد] قد استطعنا إيقاف المخطّطات الخطيرة للدولة، فكيف لا يكون لذلك أثر؟ إذا اتّحد العلماء، فإنّ ذلك سيكون مؤثّراً بالتأكيد».

السيّد الحكيمرحمه الله: «إذا كان لذلك احتمالٌ عقلائيٌّ وتمّ من طريق عقلائي، فلا بأس بالتحرّك حينئذٍ».

السيّد الخمينيرحمه الله: «من المؤكّد أنّ ذلك مؤثّر كما رأيناه، ومرادنا من التحرّك هو التحرّك العقلائي، ولسنا من أساس بصدد الحديث عن التحرّك غير العقلائي. فمرادنا هو تحرّك علماء الأمّة وعقلائها».

السيّد الحكيمرحمه الله: «إذا تمّ التحرّك بعنف فإنّ الناس لن يتّبعونا، فالناس يكذبون وهم أتباع شهوتهم ولا يفتحون صدورهم للدين».

السيّد الخمينيرحمه الله: «كيف تقولون إنّ الناس يكذبون؟! إنّ هؤلاء الذين تتحدّثون عنهم قد ضحّوا بأرواحهم ورزحوا تحت التعذيب وحبسوا وأبعدوا عن ديارهم وصودرت أموالهم. هذا البقّال والعطّار الذي واجه الرصاص بصدره، كيف تقولون إنّه يكذب؟!».

السيّد الحكيمرحمه الله: «إنّهم لن يتّبعونا، فهم أتباع الشهوات والأغراض الماديّة».

السيّد الخمينيرحمه الله: «لقد ذكرت لكم أنّ الناس في ١٥ خرداد قد عبّروا عن شجاعتهم وصدقهم».

السيّد الحكيمرحمه الله: «إذا قمنا بالانتفاضة وسال الدم من أنف واحد منّا، فسيضطرب الوضع وسيتّهمنا الناس بما لا يليق ويقلبون الأوضاع علينا».

السيّد الخمينيرحمه الله: «نحن عندما انتفضنا لم يقابلنا الناس سوى بمزيدٍ من الاحترام والسلام وتقبيل الأيادي، بل إنّهم قد قرّعوا كلّ من قصّر وتخاذل.

أنا عندما كنت مبعداً في تركيا، قصدت إحدى القرى هناك[1]، ولا أذكر اسمها الآن، وقد ذكر لي أهاليها أنّه عندما كان أتاتورك مشغولاً بأعماله المعادية للدين، اجتمع علماء تركيا لمجابهته وإحباط مخطّطاته، فما كان منه إلاّ أن حاصر القرية وقتل أربعين عالماً منهم.

لقد شعرت بالخجل عندما طرق سمعي هذا الكلام، وقلتُ في نفسي: إنّ هؤلاء السنّة عندما شعروا بالخطر يهدّد الإسلام قدّموا أربعين قتيلاً، أمّا علماء الشيعة، فمع هذا الخطر الكبير الذي أحدق بديننا، فإنّ الدم لم يسل من أنوفنا، لا أنا ولا أنتم ولا أيّ شخص آخر. إنّ هذا يبعث على الخجل حقّاً».

---

(١) وذلك يوم ١٩٦٤/١١/١٠م (٥/رجب/١٣٨٤هـ).

السيّد الحكيم رحمه الله: «**ماذا يجب أن نفعل؟ يجب أن نحتمل التأثير، وأن ننظر في الآثار المترتّبة على القتل**».

السيّد الخميني رحمه الله: «**إنّ الأعمال المناهضة للدين نوعان: أحدهما من قبيل أعمال (رضا خان)، فإنّه لم يكن يعر أيّ اهتمام للدين، ولم يكن ينسب ما يقوم به إلى الشرع. إنّ الوقوف بوجهه كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.**

أمّا الشاه الحالي، فإنّ ما يقوم به من أعمال ضدّ القرآن والمذهب، فإنّه ينسبه إلى الدين ويقول إنّ هذا هو رأي القرآن، وما أقوله من القرآن الكريم.

إنّ هذه البدعة العظيمة التي حلّت بأساس الدين لا يمكن تحمّلها. يجب أن نضحّي.. دعوا التاريخ يسجّل بأنّ الدين عندما صار في معرض الخطر، فإنّ مجموعةً من علماء الشيعة انتفضوا وقتل منهم جماعة».

السيّد الحكيم رحمه الله: «**ما فائدة التاريخ؟ يجب أن يكون لذلك أثر**».

السيّد الخميني رحمه الله: «**كيف لا يكون للتاريخ فائدة؟ أولم يقدّم قيام الإمام الحسين عليه السلام خدمة جليلة للتاريخ؟ ثمّ كم هي عظيمة تلك الفائدة التي نستفيدها من قيامه عليه السلام؟**».

السيّد الحكيم رحمه الله: «**وماذا تقولون عن الإمام الحسن عليه السلام؟ فإنّه لم يقم؟**».

السيّد الخميني رحمه الله: «**إذا كان للإمام الحسن عليه السلام أنصار بالقدر الذي لديكم لقام. فإنّه قد قام في أوّل الأمر، ولكنّه بعد أن رأى أنصاره يُشترون توقّف ولم يستمرّ. أمّا أنتم، فلديكم مقلّدون وأنصار في جميع البلدان الإسلاميّة**».

السيّد الحكيم رحمه الله: «**أنا لا أرى أنّ أحداً ممّن معي سيتّبعني لو قمت بالتحرّك**».

السيّد الخميني رحمه الله: «**أنتم تحرّكوا وأعلنوا الثورة، وسأكون أوّل من يتّبعكم**».

عندها ابتسم السيّد الحكيم رحمه الله ولم يتكلّم[1].

---

(١) نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٢٢١ ـ ٢٢٣ ؛ كوثر (فارسي) ١: ١٩٨ ـ ٢٠٠ ؛ الكوثر ١: ٢٩٧ ـ ٢٩٩ ؛ كما توجد الإشارة إلى مضمون الحوار في الرسالة الآتية التي أرسلها الميرزا علي الغروي التبريزي رحمه الله إلى السيّد كاظم شريعتمداري رحمهما الله بتاريخ ٢٧/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ ؛ وتجد الحوار أيضاً في: خاطرات حجة الاسلام والمسلمين سيد على اكبر محتشمى پور (فارسي): ٤٨٦ ـ ٤٨٩ ؛ خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ٨١ ؛ كما يشير السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله إلى أنّه لم يكن حاضراً في الجلسة ولكنّه سمع بمضمونها، وهو قريبٌ ممّا نقلناه في المتن (انظر: مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٧٨). ونلفت النظر إلى أنّنا قد أعدنا ترجمة نصّ الحوار عن أصله الفارسي، فهو يغاير النصّ العربي المتداول (سنوات الجمر: ٩٦ ـ ٩٨)

أقول: كنتُ أحسب أنّ معنى هذه الابتسامة يقف عند الاختلاف بين الرجلين في تشخيص مدى استجابة الشارع مع المرجعيّة فيما لو أقدمت على التحرّك، ولكنّني استوحيتُ لاحقاً وجهاً لذلك من خلال كلمات السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله، حيث يستوحي القارئ أنّ سبب ابتسامة السيّد الحكيم رحمه الله بعد أن أكّد له السيّد الخميني رحمه الله أنّه سيكون أوّل الطائعين، هو أنّ السيّد الحكيم رحمه الله كان قد أرسل في ٨/ذي القعدة/١٣٨٢هـ رسالة إلى السيّد الخميني رحمه الله وسائر علماء إيران يدعوهم فيها إلى السفر إلى النجف الأشرف من أجل الاجتماع واتّخاذ قرار إزاء الشاه، إلاّ أنّ السيّد الخميني رحمه الله والعلماء لم يروا مصلحةً في ذلك وامتنعوا عن السفر، على تفصيل تقدّم ضمن أحداث تلك السنة. وسواء كان المحق هو السيّد الحكيم رحمه الله أم هم، فإنّ السيّد الحكيم رحمه الله على أيّة حال كان قد خاض تجربة معهم، ولهذا تبسّم عندما وعده

يُشار هنا إلى ما نقل عن السيّد محسن الحكيم﵀ من تأثّره بالانكسار أمام الإنجليز إبّان مشاركته مع السيّد محمّد سعيد الحبّوبي﵀ في قتال الجيش البريطاني لدى احتلاله العراق[(١)]، وقد نقل السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ عن والده﵀ أنّه قال: «**لو كنتُ أثق بأنّ الناس يتحرّكون فإنّي سأفتي بالجهاد**»[(٢)]. كما نُقل عن السيّد محمّد باقر الحكيم﵀[(٣)] نقلاً عن السيّد الخميني﵀ أنّ الأخير كان يغبط السيّد الحكيم﵀ على جماهيريّته، ولكن بعد حادثة اتّهام السيّد مهدي﵀ بالعمالة وانفضاض الناس من حوله عرف السبب حول طبيعة تحرّك السيّد الحكيم﵀[(٤)].

زيارة السيّد الخميني﵀ السيّد الخوئي﵀

أمّا لدى زيارته السيّد الخوئي﵀، فقد طلب السيّد الخميني﵀ منه عقد جلسة انفراديّة بمعزل عن أصحابهما، وقد طال وقتها ليخرج السيّدان بعد فضّها وعدم الارتياح باد على وجهيهما. وبعدَ أن انصرف السيّد الخميني﵀ سئل السيّد الخوئي﵀ عن سبب عدم ارتياحهما فلم يجب، ولمّا ألحّوا عليه قال لهم: «**هذا السيّد إذا كان باستطاعته أن يحرق العالم لفعل**»[(٥)].

وحول وصول السيّد الخميني﵀ إلى النجف الأشرف واستقباله يكتب الميرزا علي الغروي﵀ بتاريخ ٢٧/جمادى الثانية/١٣٨٥ هـ (٢٣/١٠/١٩٦٥م) رسالةً إلى السيّد كاظم شريعتمداري﵀ يطلعه فيها على أوضاع النجف، هذا نصّها المعرّب:

٢٧ جمادى الثانية ٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

«نطلع جنابكم على أنّه قبل أسبوعين أرسلتُ لكم عريضةً بواسطة السيّد سبحاني، وأرجو أن تكون قد وصلت، كما أرجو أن تكونوا مع من لاذ بكم بخير.

يوم الجمعة الفائت في ١٩/جمادى الثانية وصل إلى النجف عند العصر السيّد (جديد التحرير)[(٦)]. وقبل ذلك بيوم أعلن الشيخ نصر الله[(٧)] أنّ خمسين سيّارة ستكون تحت تصرّف الطلبة، فمن كان مستعدّاً

السيّد الخميني﵀ بالطاعة، فكأنّ يقول: لقد سبق أن جرّبنا ذلك (انظر المعنى في: مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧١، نقلاً عن الحاج محمّد صالح الأديب.

(٢) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٩٠

(٣) في المصدر: الصدر بدل الحكيم، وأحسبُ أنّ في البين اشتباهاً.

(٤) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٩٥ ؛ كما نقل هذا الانطباع للسيّد محمّد باقر الحكيم﵀ السيّدُ الشيرازي ـ لعلّه السيّد محمّد﵀ ـ الذي اجتمع بالسيّد الخميني﵀ بعد وفاة السيّد محسن الحكيم﵀ وسمع منه هذا الكلام مباشرةً (****).

(٥) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢/٣/٢٠٠٥م نقلاً عن الشيخ محمّد المظفّري الذي كان حاضراً، ويُعتبر الأخير من أصحاب السيّد الخوئي﵀.

(٦) يقصد السيّد الخميني﵀، ولعلّه ناظرٌ في تعبيره بـ(جديد التحرير) إلى رسالة السيّد الخميني﵀ العمليّة التي أسماها (تحرير الوسيلة) والتي كتبها مؤخّراً في تركيا (تحرير الوسيلة ١: ٦)، بعد أن كانت تعليقته على رسالة (وسيلة النجاة) للسيّد أبو الحسن الإصفهاني﵀ قد طبعت في ذي الحجّة/١٣٨٢هـ؛ فيكون المراد (صاحب الكتاب الجديد تحرير الوسيلة).

(٧) يقصد الشيخ نصر الله الخلخالي، وهو صاحب البيت الذي كان يسكن فيه السيّد الصدر﵀ في تلك الفترة.

للاستقبال يمكنه الاستفادة منها. كما أنّ لجنة الإعداد للاستقبال ـ ومنهم السيّد موسى الإصفهاني ـ قد جهّزوا سيّدنا الأستاذ[١] وأعدّوا سيّاراته الـ(بنز) [المرسيدس] الأربع لغرض الاستقبال. كما فعلوا ذلك مع كلٍّ من الشاهرودي والشيرازي[٢].

لقد قام باستقباله حوالي ثمانين سيّارة، ويضاف إليها السيّارات الآتية من كربلاء. وكنت وبعض الأشخاص غير موافقين على ذلك، إلاّ أنّ سيّدنا الأستاذ دعانا إلى الاستعداد من أجل الاستقبال بسيّاراته الشخصيّة. وجمعاً بين أمر سيّدنا الأستاذ وبين رأيي الخاص في المسألة، فقد ركبتُ سيّارةً معيّنة لم تصل إلى المقصد، وقفلتُ راجعاً. في هذا الاستقبال شاركت جميع السيّارات باستثناء تلك العائدة إلى السيّد الحكيم.

ليلة السبت، زاره سيّدنا الأستاذ والسيّد الشاهرودي وكذلك أنا. ولقد كان المجلس في تلك الليلة والليلة التي تلتها مكتظّاً.

بعد ذلك بليلة زاره السيّد الحكيم ولكنّ المجلس انفضّ بعد خمس دقائق. وقد تمّ جمع كافّة الصور التي التقطت له مع السيّد (جديد التحرير) من قبل المصوّرين كي لا يتمّ نشرها[٣].

وابتداءً من الليلة الثالثة من قدومه إلى النجف، دأب على إقامة صلاة الجماعة في مدرسة المرحوم البروجردي. وقد ذبحوا له شاة عند دخوله إلى المدرسة.

ابتداءً من الليلة الرابعة بادر إلى زيارة المراجع، وقد زار الثلاثة[٤] في ليلة واحدة. وفي مجلس السيّد الحكيم دار الحديث حول تثاقل السيّد الحكيم، وقد اقترح عليه السيّد (جديد التحرير) السفر إلى إيران لتغيير الجوّ والاطّلاع أثناء سفره على الأوضاع ليقف على حقيقة القضيّة وأنّه لا مجال ولا مبرّر للسكوت. وقد دار بينهما نقاشٌ مختصرٌ طال بعد ذلك، وقد تمسّك أحدهما بقيام سيّد الشهداء عليه السلام على يزيد والآخر بسكوت الإمام الحسن عليه السلام عن جهاز معاوية. وفي النهاية، فإنّ الأمر لا ينتهي إلى نتيجة. ولولا خوف الإطالة لنقلتُ لكم جميع ما يُقال ويُسمع. يقال إنّ المتحدّث[٥] محسوبٌ عليه. ومن المقرّر أن يفتتح درساً لكن لا من باب أو كتاب معيّن، بل بعنوان مسائل متفرّقة ومتنوّعة.

يوم الخميس ٢٥ جمادى الثانية دعاه سيّدنا الأستاذ بحضور ٣٠ شخصاً إلى مأدبة الغداء، وقد كنتُ حاضراً.

بشكل عام فإنّ وضعه لم يتّضح بعد، وهو يعتبر إقامته في النجف مؤقّتة.

بالنسبة إلى تخلّصه[٦] فإنّ ما يذاع هو أنّكم قد أقدمتم على ذلك بمعيّة السيّد الخونساري[٧]، لكنّ الشيخ نصر الله ذكر بعد ذلك أنّ ذلك قد تمّ عبر السيّد الخونساري فقط. نجل المشار إليه[٨] يقول إنّه لم يقدم شخصٌ معيّنٌ على ذلك، وإنّما مجموع علماء النجف وقمّ قد أقدموا على ذلك. وقد نقلوا عن السيّد محمّد

---

(١) يقصد السيّد الخوئي رحمه الله.
(٢) يقصد السيّد محمود الشاهرودي وربّما السيّد عبد الله الشيرازي.
(٣) قلنا إنّ بعضهم ذكر أنّ ذلك كان بمبادرة من السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله (الإمام الحكيم ـ الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلاميّة: ٣١).
(٤) يقصد السادة الحكيم والشاهرودي والخوئي.
(٥) لم أدرك هل أنّه يعني نفسه أو شخصاً آخر؟
(٦) يقصد خروجه من تركيا.
(٧) يقصد السيّد أحمد الخونساري رحمه الله.
(٨) يقصد الشهيد السيّد مصطفى الخميني رحمه الله.

رضا الگلپايگاني أنّه قال إنّه لم يكن مكتوف الأيدي، إلاّ أنّ الآخرين سبقوه إلى إعلان ذلك. يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر (دى)[1] نقل عن راديو (پيك) في إيران أنّه قد أسند ذلك إلى نفسه.... إلاّ أنّه وعلى إثر تردّد المسافرين قد اتّضح أنّ ذلك قد تمّ عبركم، وسيتضّح ذلك في المجالس بشكلٍ تدريجي...

حرّره المخلص علي الغروي التبريزي»[2].

موقف السيّد الصدر ﵀ من قدوم السيّد الخميني ﵀ إلى النجف وعلاقته به

١ ـ كان السيّد الصدر ﵀ قد قام بجهود كبيرة من أجل إنجاح استقبال السيّد الخميني ﵀ في بغداد وكربلاء والنجف، وقد قام من أجل ذلك باتّصالات مكثّفة من أجل تحريك المرجعيّة لاستقباله[3]، وقد شارك بنفسه في الاستقبال[4].

٢ ـ وعند وصول السيّد الخميني ﵀ إلى النجف الأشرف، قام السيّد الصدر ﵀ بزيارته وسأله عن الأوضاع في إيران فأجابه قائلاً: «**الحكّام في إيران شياطين**»[5]، وقد سأله السيّد الصدر ﵀ عمّا إذا كان لديه فريق يعمل إلى جانبه، فأجابه السيّد الخميني ﵀ بالنفي، وكان السيّد الصدر ﵀ مستغرباً من ذلك[6].

٣ ـ وكان السيّد الصدر ﵀ قد أرسل الشيخ عبد الهادي الفضلي إلى السيّد الخميني ﵀ ليتعرّف على مشروعه وينقله إليه. وبعد أن عقد الشيخ الفضلي جلسةً مع السيّد الخميني ﵀ التقى الشيخ بالسيّد الصدر ﵀ الذي تبنّى ما نُقل له من أفكار بحسب ما نقل الشيخ الفضلي[7].

٤ ـ وقد التقى السيّد الخميني ﵀ بالسيّد الصدر ﵀ في منزل السيّد الخوئي ﵀[8]، فقال السيّد الخميني ﵀: «**السيّد الصدر ما رأيناه**»، فقال السيّد مصطفى الخميني ﵀: «**لقد جاء السيّد الصدر إلى زيارتكم، كيف لم تروه، يجب أن تعرفوه**» فقال السيّد الخميني ﵀: «**أنا لم أعرف، ولكن سمعت بذلك**»، فأكّد السيّد مصطفى حضور السيّد الصدر ﵀.

---

(١) الغريب أنّ ٢٧/دي/١٣٤٤ هـ ش يصادف نهار الاثنين.

(٢) انظر الرسالة في: نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ١٨٣ ـ ١٨٦. وقد ذكر لي السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٤/٧/٢٠٠٤م أنّ الحوزة النجفيّة بشكل عام كانت تخاف على إيران من السقوط بيد روسيا صاحبة الأطماع فيها بعد أن لم يكن السيّد الخميني ﵀ يمتلك كادراً منظّماً يعمل إلى جانبه.

(٣) الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ١٤ ؛ الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق: ٤٨.

(٤) زندگى نامه شهيد آيت الله صدر (فارسي): ٥٢، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

(٥) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (﵀).

(٦) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٤/٧/٢٠٠٤م ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﵀) ؛ مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (﵀).

(٧) أرسل إليّ رسالة بذلك السيّد صادق عبّاس الموسوي بتاريخ ٩/٤/٢٠٠٥م نقلاً عن السيّد حسين خليفة نقلاً عن خاله الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٨) ربّما كان ذلك أثناء الغداء الذي دعا فيه السيّد الخوئي ﵀ السيّد الخميني ﵀ بتاريخ ٢٥/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ (٢١/١٠/١٩٦٥م) مع ثلاثين شخصاً. وهنا يشار إلى أنّ النصّ الوارد في المقابلة حول هذه الفقرة مضطربٌ من ناحية الضمائر ولا يستقيم حاله إلاّ بما ذكرناه.

وبعد ذلك قام السيّد الخميني رحمه الله بردّ الزيارة، فذهب مع أصحابه إلى بيت السيّد الصدر رحمه الله[(١)].

٥ ـ وعندما مرض السيّد الخميني رحمه الله قام السيّد الصدر رحمه الله بزيارته[(٢)].

٦ ـ وعندما جاء السيّد رضا الصدر رحمه الله إلى النجف ونزل في بيت ابن عمّه وزوج أخته، قام السيّد الخميني رحمه الله بزيارته[(٣)].

وعن تلك الأيّام التي قضاها السيّد رضا رحمه الله في العراق كتب إليه السيّد الصدر رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله الإمام الرضا من آل الصدر ابن العمّ المعظّم والمفدّى متّعنا الله تعالى بوجودكم الشريف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمت قبل نصف ساعة تلك الرسالة الكريمة المنحدرة من ذلك المقام الرفيع المشعّ فضلاً ولطفاً، وقد قبّلت الرسالة بعيني وقلبي وقرأتُ من بين سطورها تلك الروح الكبيرة التي أظلّتنا بلطفها وذكرى تلك الأيّام الحبيبة التي جمعت الشمل بعد طول فراق وأسعدتنا بقربكم والتشرّف بمجلسكم. وعلم الله يا ابن العم العزيز يا بقيّة الماضين ويا عماد الباقين أنّها كانت فرصة من فرص العمر بالنسبة لي، وقد نعمتُ فيها بلطف أخٍ كبير، ولم أكن أنا المضيف ولم تكن أنت في دار غيرك ليشار إلى الزحمات، بل قد كنتم يا سيّدنا المفدّى في بيتكم وكنّا في كنفكم ولم نشعر من خلال ذلك إلاّ باللطف والرحمة. وثقوا يا مولاي أنّكم خلّفتم في نفوسنا وفي أرجاء البيت بفراقكم وحشةً كبيرةً وفراغاً شديداً، وإنّي أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يمتّعنا بوجودكم الشريف ويقرَّ عيوننا بالاجتماع بخدمتكم في كلِّ سنة مرّة على الأقل. وهل هناك من متعة لأمثالنا يا ابن العم إلاّ اجتماع الأحبّة.

أقدّم أزكى التحيّات لمقام السيّدة المكرّمة أم السيّد كاظم وبنتنا العزيزة العلويّة فاطمة الثالثة ولسائر من حولكم من الأحبّة، والجميع هنا بخير وعافية وهم يسلّمون عليكم ويقبّلون أياديكم، والسيّد آقا علي سافر اليوم من النجف إلى الكاظميّة على أن يطير في يوم الثلاثاء، كما أنّ آقاي فيروزان على أبواب السفر أيضاً.

هذا والسلام عليكم أولا وآخرا ورحمة الله وبركاته.

ابن عمّكم»[(٤)].

٧ ـ وعندما جاء السيّد صادق اللواساني إلى النجف لإعادة السيّد الخميني رحمه الله إلى إيران ـ وكان وكيله المطلق في إيران ـ زاره السيّد الصدر رحمه الله وبصحبته الشيخ علي أكبر برهان، وفي هذه الزيارة توجّه السيّد اللواساني إلى السيّد الصدر رحمه الله وقال له: «**من ارادتمند اين خانواده هستم**»[(٥)]، أي «**أنا مريدٌ (مخلصٌ) لهذه العائلة**».

٨ ـ وتفيد السيّدة أم جعفر الصدر أنّه كانت تربط أسرة السيّد الصدر رحمه الله ببيت السيّد الخميني رحمه الله علاقة ودّ وعلاقة طيّبة، فالسيّد الصدر رحمه الله كان يكنّ للسيّد الخميني رحمه الله مشاعر خاصّة، وينظر إليه على

---

(١) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله).
(٢) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله).
(٣) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (حفظه الله).
(٤) انظر الوثيقة رقم (٥٩).
(٥) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان (حفظه الله).

أنّه أكثر من عالم مجتهد أو مرجع تقليد. وأمّا العلاقة بين نفس العائلتين فتعتمد على وشائج متينة. وتلك العلاقة الودودة بين البيتين ابتدأت مع حلول السيّد الخميني رحمه الله في جوار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[(١)].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يذهب إلى بيت السيّد الخميني رحمه الله مرّةً كلّ شهرين تقريباً، وبسبب الوضع الخاص للسيّد الخميني رحمه الله فقد كان رحمه الله يردّ الزيارة عبر نجله السيّد أحمد رحمه الله[(٢)]، ولم يكن يزوره بنفسه[(٣)]. كما كانت زوجة السيّد الصدر رحمه الله تزور عائلة السيّد الخميني رحمه الله، وفي بعض رسائل الأخير ما يشير لذلك[(٤)]، وكذلك كانت تفعل عائلة السيّد الخميني رحمه الله: فقد كانت صدّيقة ـ أخت أم جعفر الصدر ـ تزور العراق بين الفينة والأخرى مع باقي أفراد أسرتها. وفي إحدى تلك الزيارات، جاءت عائلة السيّد الخميني رحمه الله لزيارتها وعائلتها في دار السيّد الصدر رحمه الله، إذ كانوا قد حلّوا ضيوفاً عليهم، فتعرّفوا بذلك على السيّدة فاطمة الطباطبائي ابنة السيّدة صدّيقة، وخطبوها من بيت السيّد الصدر رحمه الله للسيّد أحمد الخميني رحمه الله[(٥)].

٩ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله يشعر بمظلوميّة السيّد الخميني رحمه الله حتّى داخل الوسط الإيراني، إذ كان بعض الطلبة الإيرانيّين يصفونه بأنّه (كمونيستى)[(٦)] أي (شيوعي).

١٠ ـ وقد دار حديثٌ حول حقيقة علاقة السيّد الصدر رحمه الله بالسيّد الخميني رحمه الله، وأنّه يؤيّده أو لا، الأمر الذي حمل الشيخ حسن الحسّاني إلى الاستفسار من السيّد الصدر رحمه الله شخصيّاً حول ذلك، فأجابه رحمه الله: «**خطّه أقرب خطوط العالم إلى خطّنا، وشخصه أحبُّ أفراد العالم لنا**»[(٧)].

١١ ـ وكان بعضُ الإيرانيّين الوافدين من أوروبا يقومون بزيارة السيّد الصدر رحمه الله، فكان يستغلّ الفرصة من أجل تركيز الجانب الإسلامي عندهم. وفي إحدى المرّات ذكر لهم أنّ بعض شعاراتهم التي يطرحونها ليست صحيحة، وضرب لهم مثالاً على ذلك (تشي غيفارا)، وقال لهم إنّه إنسانٌ ملحدٌ كافر لا يتناسب طرحه شعاراً مع الحركة الإسلاميّة[(٨)].

١٢ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله يُستفتى حول المشاركة في التظاهرات في إيران ضدّ الشاه، فكان رحمه الله يجيب بأنّ كلّ من سقط صريعاً في هذه المظاهرات فهو شهيدٌ في أعلى علّيّين[(٩)]، وأنّ كلّ من يقتل في المعارضة بأمر من المراجع فهو شهيد[(١٠)]، وأنّ «**الذين يثورون في إيران دفاعاً عن الإسلام**

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٢٢٢.
(٢) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله)؛ وانظر: مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (حفظه الله).
(٣) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م.
(٤) في رسالة يبعثها السيّد الخميني رحمه الله إلى نجله السيّد أحمد بتاريخ ١٩٧٤/٨/٢٥م (٦/شعبان/١٣٩٤هـ) يذكر له أنّ والدته داخل البيت، وقد أتت زوجة السيّد الصدر رحمه الله لزيارتها (صحيفه امام ٣: ٤٢).
(٥) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٢٢٢.
(٦) مقابلة مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).
(٧) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م نقلاً عن الشيخ حسن الحسّاني.
(٨) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).
(٩) مقابلة مع الشيخ محمّد علي التسخيري (حفظه الله).
(١٠) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان (حفظه الله).

والمسلمين، ويقتلون، هم شهداء وسيحشرهم الله مع الإمام الحسين عليه السلام في الجنّة»[١].

١٣ ـ وكان رحمه الله متّصلاً بالمعارضة الإيرانيّة، وكان رجالاتها يفدون عليه[٢]، ومنهم من باب المثال المهندس مهدي بازرگان[٣]، وبني صدر والدكتور صادق الطباطبائي ابن أخت زوجته أم جعفر[٤].

١٤ ـ وقد استمرّ السيّد الصدر رحمه الله في تأييده للثورة الإسلاميّة وقائدها وكان على اتّصال دائم به، وقد استثمر كلّ وسيلة لدعم السيّد الخميني رحمه الله، فأمر ـ فيما بعد ـ أجلّة تلامذته من قبيل السيّد محمود الهاشمي والسيّد محمّد الصدر رحمه الله بحضور بحث السيّد الخميني رحمه الله، بل إنّه أوصى بتوزيع ونشر كرّاسات الدروس التي ألقاها السيّد الخميني رحمه الله فيما بعد حول (ولاية الفقيه)[٥]. كما وطلب السيّد الصدر رحمه الله من السيّد حسين الصدر حضور درس السيّد الخميني رحمه الله تأييداً له[٦]، كما صرّح للسيّد الخوئي رحمه الله أنّ السيّد الخميني رحمه الله أوعى المراجع[٧].

١٥ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله يتابع الكتب التي تصدر في إيران، خاصّةً كتب السيّد محمّد حسين الطباطبائي والشيخ مرتضى المطهّري رحمهما الله، وكتب غيرهما، ومجلّة (مكتب اسلام)، وكان أصحاب السيّد الخميني رحمه الله إذا قصدوه سألهم عن أحوال السيّد الخميني رحمه الله وأظهر عواطفه الإيجابيّة[٨].

١٦ ـ ويُشار إلى السيّد حسين الخميني نجل السيّد مصطفى رحمه الله قد التحق بدرس السيّد الصدر رحمه الله[٩].

أمّا ما قيل من أنّ السيّد الصدر رحمه الله هو الذي جهّز أثاث منزل السيّد الخميني رحمه الله في النجف[١٠]، فغير صحيح[١١].

---

(١) دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلامية في إيران: ٢٦٧.
(٢) مقابلة مع الشيخ علي أكبر برهان (دام عزه).
(٣) شصت سال خدمت ومقاومت، خاطرات مهندس بازرگان (فارسي) ٢: ٢٠٦.
(٤) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٤م.
(٥) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٦٤، نقلاً عمّن نقله عن السيّد محمود الهاشمي. انظر أحداث سنة (١٣٨٩ هـ). وقد ذكر لي حضور السيّدين الصدر والهاشمي عند السيّد الخميني رحمه الله السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م. وذكر لي حضور السيّد محمّد الصدر رحمه الله السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م ؛ وانظر عموماً: روزها ورويدادها (فارسي): ١٢٧.
(٦) دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلاميّة في إيران: ٢٦٧.
(٧) انظر أحداث سنة ١٣٨٩هـ.
(٨) خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي): ١٤٢ ـ ١٤٤.
(٩) حدّثني بذلك السيّد علي أكبر الحائري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٧م. ويظهر ذلك من رسالة أرسلها السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد محمّد الغروي، إضافةً إلى ما يذكره السيّد حسين الخميني نفسه في مقابلاته مع الصّحف.
(١٠) نقل لي ذلك الأخ أيمن زغيب بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٦م عن الأستاذ حميد الأنصاري.
(١١) من تعليقة أسرة السيّد الصدر رحمه الله على مسودّة الكتاب الثانية.

توضيح بعض الأمور

لقد حشدنا هذه النماذج من باب المناسبة، وإلاّ فإنّه لا بدّ من التنبيه إلى أنّها بهذه الطريقة ستؤدّي إلى رسم صورة مجتزأة في ذهن القارئ. ولذلك سنخرج عن نهجنا في هذا الكتاب ونحاول تسليط الضوء بقدر ما وصلنا وفهمناه حول العلاقة التي ربطت النجف عموماً بالسيّد الخميني رحمه الله وحركته، وبعد ذلك يأتي دور الحديث عن السيّد الصدر رحمه الله.

ومن هذا المنطلق أرى من اللازم تقديم تصوّر أوسع حول الجو السياسي للمنطقة، والذي من شأنه تفسير الكثير من المواقف. وقبل كلّ شيءٍ أشير إلى أنّني لا أقصد بكلامي إصدار أحكام عامّة وكليّة، فحتى عندما تأتي العبارة على نحو «أصحاب فلان» مثلاً، فمرادي بعضهم أو الجو المحيط به أو الجو المحسوب عليه. كما أنّي لا أشمل بكلامي شخص السيّد الخمينيّ﵀ وشخص السيّد الحكيم﵀.

أمّا أصل الموضوع، فالحقيقة أنّ هناك عاملين رئيسيين لعبا دوراً بارزاً في صبغ علاقة كلّ طرف بالآخر:

العامل الأوّل: هو العامل الدولي، حيث تختلف الفرق والمجموعات التي نحن بصدد الحديث عنها حول تحديد العدو الأوّل الذي يهدّد الكيان الديني. فمن ناحية، كانت حركة السيّد الخمينيّ﵀ ترى بأنّ الخطر الأوّل على المنطقة يتمثّل في أمريكا، بينما اتّجه الجو النجفي إلى إعلان النظام الشيوعي عدوّه الأوّل، ولم يكن في وارد استعداء أمريكا في ذلك الوقت.

العامل الثاني: وهو عبارة عن عامل إقليمي أضيق دائرةً ومتأثّر بالعامل السابق، وقد حكم هذا العامل علاقة البلدين الجارين إيران والعراق حتّى سنة ١٩٧٥م، سنة توقيع معاهدة الجزائر الحدوديّة بين البلدين، والتي أدّت إلى تغيير الوجهة العامّة لسياسة البلدين تجاه الحوزات العلميّة.

وسنحاول الآن الحديث الحديث عن جزئيّات الموقف:

ـ ١ ـ

دور الموقف من الرأسماليّة والماركسيّة

ولنبدأ بالعامل الدولي وتعامل كلّ طرف معه: فقد كان موقف السيّد الخمينيّ﵀ واضحاً كلّ الوضوح في أنّ العدو الأوّل للمنطقة هو النظام الأمريكي، وكان تواطؤ الشاه مع هذا النظام قد شكّل دافعاً رئيساً في شنّ السيّد الخمينيّ﵀ هجومه على نظام الشاه وفي خلافه معه. بينما لا نجد هذا التباين عند أصحاب السيّد الحكيم﵀ أو القريبين منه على الأقل، ولذلك سيأتيك ضمن أحداث سنة ١٣٨٩هـ أنّ السيّد مهدي الحكيم﵀ أوصل إلى السيّد الصدر﵀ عرضاً قدّمه الأمريكيّون لتسهيل وصولهم ـ أي إسلاميّي العراق بحسب الظاهر ـ إلى سدّة الحكم، فرفض السيّد الصدر﵀ ذلك قائلاً: «وأيُّ حكم هذا؟! إسلام أمريكي؟!». وهذا يكشف عن وجود جو مسبق لدى متلقّي العرض يسمح للأمريكان أن يعرضوا عليه خدمةً من هذا القبيل.

وفي هذه الضفّة، أكاد أطمئن إلى أنّ أصحاب السيّد الخمينيّ﵀ كانوا يحسبون أصحاب السيّد الحكيم﵀ على الاتجاه الأمريكي، أو المتناغم معه على الأقل. ومع أنّ السيّد الصدر﵀ كان فيما يتعلّق بهذه النقطة يلتقي مع السيّد الخمينيّ﵀ ومشروعه، ولذلك ـ وإضافةً إلى استنكاره الإسلام الأمريكي ـ فقد كتب إلى الشيخ محمّد جواد مغنيّة﵀ قبل ورود السيّد الخمينيّ﵀ إلى النجف: «... وأمّا بالنسبة إلى إيران فلا يزال الوضع كما كان، وآقاي خميني مُبعدٌ في تركيا من قبل عملاء أمريكا في إيران، وقد استطاع آقاي خميني في هذه المرّة أن يقطع لسان الشاه الذي كان يتّهم المعارضة باستمرار بالرجعيّة والتأخّر لأنّ خوض معركة ضدّ إعطاء امتيازات جديدة للأمريكان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصف ذلك بالتأخّر» (انظر أحداث سنة ١٣٨٤هـ).

ولكنّ هذا لم يكن ليخرج السيّد الصدر﵀ في حسابات بعض أصحاب السيّد الخمينيّ﵀ عن اتّجاه بعض أصحاب السيّد الحكيم﵀. ولذلك ينقل أنّ الشيخ محمّد منتظري﵀ كان ينسب إلى السيّد الصدر﵀ ميوله الأميريكيّة (مضمون كلامه ليس منضبطاً) في مقابل الشيوعيّين، مستشهداً على ذلك بكتاب (اقتصادنا) [أو فلسفتنا]، حيث كرّس السيّد الصدر﵀ جهوده لنقض الماركسيّة، بينما لم تلق الرأسماليّة اهتماماً مماثلاً منه، هذا في الوقت الذي يصرّح فيه السيّد الصدر﵀ في (فلسفتنا) بأنّ الرأسماليّة لا تملك نظاماً فكريّاً على غرار الماركسيّة لكي يتمّ تناوله بالنقض المفصّل. وأضف إلى ذلك موقف السيّد حميد زيارتي (روحاني) من السيّد الصدر﵀ واتهامه إيّاه بالعمالة، وبأنّ ما مارسه السيّد الصدر﵀ ـ بحسب الدعوى ـ للضغط على السيّد الحكيم﵀ والسيّد الخوئي﵀ من أجل الإفتاء بطهارة أهل الكتاب عبارة عن مطلب إمبريالي (انظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ).

هذا في ما يتعلّق بنظرة أصحاب السيّد الخمينيّ﵀ إلى أصحاب السيّد الحكيم﵀. أمّا العكس، فإنّ الجو النجفي كان يشاهد ضمن الجمهور المؤيّد للسيّد الخمينيّ﵀ مختلف الأطياف المعادية للشاه، حتّى الشيوعيّين، وكان الكثير ممّن يرد على السيّد الخمينيّ﵀ من حليقي اللحى وغير المتديّنين. وهذا جعل أصحاب السيّد الحكيم﵀ يتّهمون الطرف

المقابل بالتناغم مع الشيوعيّين عدو النجف الأوّل. وقد انعكست هذه النظرة على أصحاب السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ أيضاً، ولذلك تردّد بعضهم في تأييد حركة السيّد الخميني﴿رحمه الله﴾ سنة ١٣٩٩هـ باعتبار أنّ إسلاميّتها غير واضحة (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).

وخلاصة الكلام في العامل الأوّل، هو أنّ أصحاب السيّد الخميني﴿رحمه الله﴾ يحسبون الجو النجفي أو أصحاب السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ على الاتّجاه المتناغم ـ أو غير الرافض على تقدير آخر ـ مع أمريكا، بينما حُسب الخمينيّون على الاتّجاه الذي يتقبّل الشيوعيّين على الأقل.

ـ ٢ ـ

دور الموقف من النظامين الإيراني والعراقي

أمّا في ما يتعلّق بالعامل الثاني الذي أشرنا إلى تأثّره بشدّة بالعامل الأوّل، وهو العامل الإقليمي بحسب اصطلاحنا: فقد تقدّم ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ تحت عنوان (الموقف من اعتراف الشاه بإسرائيل) كيف أنّ السيّد مرتضى العسكري عندما تحرّك من أجل إرسال برقيّة إدانة لشاه إيران حول اعترافه بإسرائيل اتّهم بأنّه ناصريُّ الهوى ـ نسبة إلى جمال عبد الناصر ـ وأنّ ذلك هو الذي حمله على إدانة الشاه، كما تقدّم الحديث عن الضغوط التي تعرّض لها السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ إثر نشر (الأضواء) مقالاً تنتقد فيه خطوة إيران.

وهذا من شأنه أن يوضح الصورة شيئاً ما حول نظرة الوسط النجفي إلى نظام الشاه الذي لم يكن مرفوضاً ذلك الرفض، إن لم نقل إنّه كان مقبولاً، إذ كان الجوّ النجفي عموماً ـ أو قسم معتدٌّ به على الأقل ـ ينظر إلى دولة الشاه على أنّها دولة الشيعة الوحيدة في العالم، وأنّ أيّة محاولة لإسقاطها ستؤدّي إلى انهيار دولتهم الوحيدة، الأمر الذي يعدُّ بالنسبة لهم خسارة كبيرة، ولهذا تجد أنّ السيّد محمّد الروحاني﴿رحمه الله﴾ عندما عنّف السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ على ما نشرته (الأضواء) استند إلى أنّ دولة الشاه هي (دولة الإمام الصادق﴿عليه السلام﴾). وقد اجتمع نظام الشاه مع حوزة النجف لا إراديّاً في صفٍّ واحد ضدّ الشيوعيّين، عدوّهما المشترك.

وهذه الأجواء كرّست نوعاً من الالتقاء بين الشاه وحوزة النجف، انعكست على علاقتهما. وقد تقدّم ضمن أحداث سنة ١٣٨٠هـ تحت عنوان (وفاة السيّد البروجردي﴿رحمه الله﴾) ترجمة البرقيّة التي أرسلها السيّد الحكيم﴿رحمه الله﴾ إلى الشاه، ويُمكن أن تلاحظ فيها طبيعة الخطاب.

ومن ناحية أخرى فقد شهد العراق وإيران توتّراً سياسيّاً وحدوديّاً حكم علاقة البلدين حتّى سنة ١٩٧٥م، سنة توقيع معاهدة الجزائر. وإلى ما قبل هذا التاريخ، كان كلّ طرف يبذل المستحيل من أجل استنزاف الطرف الآخر، وكانت الحوزتان في قم والنجف وسيلةً لكلّ نظام للضغط على الآخر. ومن هنا تجد أنّ الشاه كان يعطي للحوزة النجفيّة المناوئة للنظام العراقي امتيازات لم يعط عشرها للحوزة القميّة، وكذلك فعل النظام العراقي على ما سيظهر لك.

واللطيف أنّ كلّ حوزة كانت تتّهم الأخرى بالعمالة للنظام الذي تجثم الأولى على أراضيه، وذلك بسبب الامتيازات التي تمتّع بها كلٌّ منهما. ومن الواضح لديّ أنّه لا مجال للحديث عن العمالة بمعناها المعطى لها، وإنّما اللعبة السياسيّة اقتضت أن يستفيد كل نظام من حوزة الآخر بشكلٍ من الأشكال. ولذلك تجد أنّ قوانين اللعبة تغيّرت بعد معاهدة الجزائر، وصار كلّ طرف ملزماً تجاه الآخر بتعهّدات، وهذا ما دفع النظام العراقي إلى عدم السماح للسيّد الخميني﴿رحمه الله﴾ بالبقاء في النجف، فسافرَ إلى فرنسا.

هذا في ما يتعلّق بموازين اللعبة السياسيّة، والتي يقف إلى جانبها طبيعة كلّ طرف في رؤيته وأيديولوجيّته.

وعندما تقرّر انتقال السيّد الخميني﴿رحمه الله﴾ إلى العراق دار حديثٌ في الحوزة ـ كما تقدّم ـ حول المكان المناسب الذي يمكن أن يستقرّ فيه، وأنّه كان هناك كلامٌ حول أنّ استقراره في كربلاء أفضل لسببين: أحدهما ابتعاده عن الاحتكاك بالنجف نتيجة انتمائه إلى جو فكري مغاير. كما تعرّضنا في أحداث هذه السنة إلى بعض المواقف المتعلّقة بحوزة النجف وبالسيّد الخميني﴿رحمه الله﴾، ويظهر منها بوضوح شبه التباين الموجود بينهما.

فإنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ السيّد الخميني﴿رحمه الله﴾ كان ينظر إلى الشاه بوصفه العدو الأوّل في المنطقة واليد الرسميّة لأمريكا، وكان مصرّاً على ضرورة قطع هذه اليد والإطاحة بنظامه في المرحلة الأولى. وفي المقابل لم تكن حوزة النجف الأشرف تنتمي إلى اتّجاه يدفعها إلى الإطاحة بنظام ما مهما بلغ اعتقادها بخطورته، ومهما كانت الفرصة مؤاتية لها لإنجاز عملٍ من هذا القبيل. ولهذا اتّهمت المرجعيّةُ النجفيّة بأنّها فوّتت على نفسها فرصةً ذهبيّةً لاستلام السلطة في

أيّام عبد السلام عارف، وإن كان هذا لا يعني أنّها لم تتحسّس مدى خطورة السلطة، خاصّةً في أيّام البعثيّين. ويقف إلى جانب ذلك اعتقادها بأنّ الشيوعيّة هي الخطر الأكبر على المنطقة لا أمريكا، ولهذا ليس غريباً تصوّر نوع من الالتقاء في المصالح بين النجف وشاه إيران، يد أمريكا الرسميّة في المنطقة.

وربّما كرّس جو التباين وعدم الالتقاء بين حركة السيّد الخمينيّ‏ﷺ وحوزة النجف تخوّف الجوّ النجفي من بساطة القدرات التي يمتلكها السيّد الخمينيّ‏ﷺ في مقابل نظام الشاه؛ فقد كان هناك تخوّف من فشله في استلام أمور البلاد، الأمر الذي سيعرّض إيران إلى السقوط بيد النظام الشيوعي السائد في الاتّحاد السوفييتي السابق، وهو الجار القريب لإيران، الأمر الذي سيجعل النظام الشيوعي جاراً للبلاد العربيّة عموماً وحوزة النجف خصوصاً.

وقد انعكست هذه المواقف على نظرة كلٍّ من الطرفين إلى الآخر:

فقد كان المحسوبون على مرجعيّة السيّد الحكيم‏ﷺ يرون أنّ أصحاب السيّد الخمينيّ‏ﷺ يجدون محذوراً في الطعن بنظام العراق كي لا يلزم منه تأييد الشاه وإضعاف الجبهة الشرقيّة المعادية لنظامه، وذلك نتيجة العلاقة السلبيّة الموجودة يومذاك بين النظام العراقي وبين النظام الإيراني قبل معاهدة الجزائر عام ١٩٧٥م، وقد ساءهم بشدّة امتناع علماء إيران ـ برغبة من الشيخ المنتظري المقرّب من السيّد الخمينيّ‏ﷺ ـ عن إرسال تنديد إلى حكومة البكر جرّاء الإهانات التي ألحقتها بمرجعيّة السيّد الحكيم‏ﷺ إثر اتّهامها نجله السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ بالعمالة، كما ساءهم لقاء البكر بالسيّد مصطفى الخمينيّ‏ﷺ أثناء الحصار الذي كان يعاني منه السيّد الحكيم‏ﷺ، حيث اعتبروه لقاءً اختياريّاً، بينما أكّد أصحاب السيّد الخمينيّ‏ﷺ على أنّه كان اعتقالاً (انظر أحداث سنة ١٣٨٩هـ).

وتظهر طبيعة العلاقة هذه واضحةً من خلال الرسالة التي أرسلها السيّد محمّد باقر الحكيم‏ﷺ إلى الشيخ محمّد مهدي شمس الدين‏ﷺ إثر اتّهام السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ بالعمالة سنة ١٩٦٩م (انظر: محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ؛ وانظر حول التفاصيل أحداث سنة ١٣٨٩هـ).

وفي المقابل كان أصحاب السيّد الخمينيّ‏ﷺ يطعنون في أصحاب السيّد الحكيم‏ﷺ، وذلك من جهة مواقفهم الليّنة تجاه الشاه، وتوغّل بعضهم إلى أعمق من ذلك متحدّثاً عن نوع من الارتباط بذلك النظام، وربّما يستفيد هؤلاء في هذا المجال ـ في ما يستفيدون منه ـ من طبيعة الخطابات الموجودة بين الطرفين، كما في برقيّة السيّد الحكيم‏ﷺ إلى الشاه عقيب وفاة السيّد البروجردي‏ﷺ أو من رسالة السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ إلى شاه إيران بتاريخ ١٠/تير/١٣٥٠هـ ش (١٩٧١/٧/١م) يطلب منه فيها داراً له ولعياله في طهران، وقد جاء الخطاب في هذه الرسالة على النحو التالي: «حضرة صاحب الجلالة الشاهنشاه آريامهر المعظّم أسعد الله الأمّة بتأييد ملكه ونفوذ سلطانه» (محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٥١٣ ـ ٥١٤)، وهي رسالة يقول السيّد محمّد باقر الحكيم‏ﷺ إنّ الخطّ فيها خطّ السيّد مهدي والتوقيع توقيعه (نقل لي ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري عن السيّد كاظم الحائري عن السيّد محمّد باقر الحكيم‏ﷺ)، وإن كان الشيخ علي كوراني يؤكّد على أنّ هذه العلاقة كانت ظاهريّة فحسب، وإلاّ فإنّ السيّد مهدي‏ﷺ لم يكن يثق بالشاه، ولمّا خرج من إيران سأله الشيخ كوراني عن سبب خروجه فأجابه بأنّه ليس مستعدّاً ليحضر في بلاط الشاه عند كلّ مناسبة، حتّى لو حاضت زوجته (مقابلة مع الشيخ علي كوراني، ﷺ). بل إنّ السيّد مهدي الحكيم‏ﷺ اتّهم من قبل رجالات الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة بالعمالة لبريطانيا (انظر مثلاً: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٢٢٨).

وإذا كان السيّد الحكيم‏ﷺ ـ أو جهازه فحسب ـ لا يرى من الصالح الخوض في صراع مع نظام الشاه، فقد كان الأخير يستغلّ بدوره هذا الموقف من أجل الضغط على السيّد الخمينيّ‏ﷺ، كما كان نظام البعث يحاول الاستفادة من وجود السيّد الخمينيّ‏ﷺ في النجف كي يضغط بدوره على نظام الشاه مستفيداً من حالة العداء الموجودة بين السيّد الخمينيّ‏ﷺ والشاه. وجماعة السيّد الحكيم‏ﷺ يرون مثلاً أنّ السيّد الخمينيّ‏ﷺ مكث في العراق أربعة عشر عاماً لم يتّخذ مواقف من البعث مثل التي اتّخذها من الشاه، وإن كنّا قد أحصينا له في هذا الكتاب مواقفه منه هنا وهناك، حتّى أنّه قالها صريحةً لأحد موفدي السلطة إليه: «ليس من الصحيح أن تؤذوا الناس وتتوقّعوا منّا الصمت، فإنّنا نعارضكم كما نعارض الشاه، وكما إنّه يظلمهم فإنّكم تظلمونهم أيضاً» [پرتويى از خورشيد (فارسي): ٣٨٦ ـ ٣٨٧]. وكان هذا الأمر يحمل أصحاب السيّد الحكيم‏ﷺ على الذهاب في تفكيرهم إلى بعيد، والأمر نفسه ينطبق على الطرف الآخر من جهة موقف السيّد الحكيم‏ﷺ من الشاه.

وصحيحٌ أنّ الحكومة العراقيّة كانت عدوّة حقيقيّة لحركة السيّد الخمينيّ‏ﷺ، إلاّ أنّها لم تتوقّف عن الاستفادة من

وجوده على أراضيها لاستفزاز الحكومة الإيرانيّة. وما الامتيازات التي حظي بها أصحاب السيّد الخميني إلاّ دليلاً على ذلك، طبعاً دون أن نوافق جماعة السيّد الحكيم في حديثهم ـ أعني بالتلميح ـ عن ألوان العمالة كما قلنا، فإنّ الخمينيّين أعداء للبعث بلا شك. إلاّ أنّ هذه الامتيازات ممّا لا يمكن إنكاره: فقد ذكر لي أحد السادة الذائبين في السيّد الخميني أنّ الحكومة العراقيّة كانت قد أطلقت يد أصحاب السيّد الخميني، ولهذا كانوا يجولون بحريّة تامّة في بغداد لينشروا كرّاساته حول ولاية الفقيه دون أن يعترض طريقهم أحد.

والحقيقة أنّ هذا لم يكن ليقنعني بصحّة هذا الاتّجاه، لولا أنّي شاهدت مقابلة للسيّد محمود دعائي ـ أحد أصحاب السيّد الخميني المقرّبين وسفير إيران في العراق بعيد انتصار الثورة ـ يتحدّث فيها عن ظروف سفر السيّد الخميني إلى باريس بعد أن صارت الحكومة العراقيّة ملزمة تجاه الحكومة الإيرانيّة بعدد من الالتزامات بعد توقيع معاهدة الجزائر سنة ١٩٧٥م، وممّا قاله إنّه لمّا أراد استصدار تأشيرة خروج للسيّد الخميني والأصحاب، قصد مديريّة الإقامات، وصرّح بأنّه كانت تربطه علاقة برئيس الدائرة بحيث كان يملأ الملف ويجهّز كلّ شيء، وكان رئيس دائرة الإقامات يوقّع دون أن ينظر إلى شيء، وبالفعل ملأ الملفّات ووقّعها ذاك، وبذلك استطاع السيّد الخميني السفر دون انتباه السلطات (﴿﴾). ومن الواضح أنّ الوصول في العلاقة إلى هذا الحد ليس بالأمر الهيّن، ولم يكن أصحاب السيّد الحكيم والجو النجفي عموماً ليحلموا بعشر معشاره.

فإن كان هناك ما يدفع أصحاب السيّد الخميني لاتّهام أصحاب السيّد الحكيم في علاقتهم مع الشاه، فهناك ما قد يبرّر ذلك للطرف الآخر حول علاقة أصحاب السيّد الخميني بالنظام العراقي.

ولكنّ الثغرة التي وقع فيها الطرفان أنّ كلاً منهما كان يتّهم الآخر بالعمالة، غافلاً عن أنّ ذلك كان محكوماً للّعبة السياسيّة التي حكمت المنطقة ما قبل سنة ١٩٧٥م. طبعاً هذا لا يمنع وجود عميلٍ بالفعل هنا وهناك.

***

أمّا السيّد الصدر ـ وهو الذي يعنينا بالدرجة الأولى ـ فقد كان موقفه مستقلاً عن اتّجاه مرجعيّة السيّد الحكيم، وإن كان محسوباً لدى أصحاب السيّد الخميني عليها:

وقد تقدّمت للتو رسالته التي بعثها إلى الشيخ محمّد جواد مغنيّة، ويظهر منها بوضوح التقائه مع الخمينيّين في موقفهم من الشاه وأمريكا على حدٍّ سواء، ولا يعقل تصنيفه في تلك المرحلة ضمن مخالفي السيّد الخميني نتيجة ارتباطه بمرجعيّة السيّد الحكيم، وإن كان أصحاب السيّد الخميني قد صنّفوه كذلك [انظر مثلاً: خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٧].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان السيّد الصدر في المرحلة الأولى متوقّفاً في ما يتعلّق بحركة السيّد الخميني، لكن لا من ناحية حقّانيتها، بل من ناحية عدم وضوح قدرتها على تحقيق أهدافها في ظلّ الإمكانيات البسيطة التي تمتلكها، ولهذا استغرب من جواب السيّد الخميني بأنّه لا يملك حزباً يعمل إلى جانبه على ما أثبتناه في المتن.

وهذا الشك في قدرة السيّد الخميني على إقامة حكومة إسلاميّة كان سائداً لدى أكثر الشرائح، ومنهم الكثير من الإيرانيّين الذين حسبوا لاحقاً ضمن رجالات الثورة الإسلاميّة نفسها. ويُروى أنّ أحد الباعة النجفيّين قال للسيّد الخميني: «أتريد بهذا اللباس وهذين النعلين أن تسقط تاج الشاه؟!»، فأجابه السيّد الخميني: «سترى بأنّ هذين النعلين سيطآ هذا التاج».

وعلى أيّة حال، فقد بقيت العلاقة بين الطرفين تسير في مسار رتيب إجمالاً، وأعتقد أنّه ممّا ساعد على ذلك طبيعة السيّد الخميني الخاصّة في كيفيّة تفاعله مع الأمور، أعني صمته المُطبق والمحيّر في كثير من الأحيان، إضافةً إلى عدم تدخلّه في الوسط النجفي قدر المستطاع، وهو أمرٌ يلاحظه الجميع ويعترفون به، حتّى أصحاب السيّد الخميني في مقابلاتهم (﴿﴾).

ونحن نجد أنّ السيّد الخميني كان حاضراً نسبيّاً عند السيّد الصدر، أو بنحو من الأنحاء على الأقلّ، الأمر الذي يجعل إدراج السيّد الصدر ضمن الحكيميّين في موقفهم تجاه السيّد الخميني بلا مبرّر على الإطلاق:

فإضافة إلى رسالته السابقة إلى الشيخ مغنيّة، تراه يفرح بشدّة عند شروع السيّد الخميني بتدريس فقه الحكومة الإسلاميّة، في حين وقفت النجف عموماً من السيّد الخميني موقفاً اتّسم بالبرود على أقلّ التقادير، وتجده يقول

للسيّد الخوئيّ إثر ذلك: «إنّ السيّد الخميني أوعى المراجع» (انظر أحداث سنة ١٣٨٩هـ).

وبعد وفاة السيّد الحكيم طرح اسم السيّد الخميني للمرجعيّة في مجلس السيّد الصدر الاستشاري، ولم يقع الاختيار عليه لأسباب موضوعيّة تفهّمها تماماً السيّد أحمد الخميني وقال إنّ السيّد الصدر محقٌّ في ما أقدم عليه، خلافاً لبعض الأصحاب الذين ساءهم ذلك (انظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ).

وسنة ١٣٩١هـ وعندما تصاعدت وتيرة التسفيرات في ظلّ غياب السيّد الخوئي وفكّر السيّد الصدر في تنفيذ عمليّة استشهاديّة، لجأ إلى السيّد الخميني ليأخذ رأيه في الموضوع (انظر أحداث سنة ١٣٩١هـ).

وسنة ١٣٩٢هـ وعندما وجد السيّد الصدر أنّ مرجعيّة السيّد الخوئي لا تفي بحاجات الساحة، فكّر في دعم مرجعيّة السيّد الخميني، ولكنّ الفكرة لم تلقَ دعم وتأييد أصحابه (انظر أحداث سنة ١٣٩٢هـ).

ولا يبدو لي أنّ السيّد الخميني كان يستحضر السيّد الصدر، لأمرين: لخصوصيّة في طبيعة السيّد الخميني تجاه استحضار الأشخاص، ولأنّ السيّد الصدر كان بالنسبة له شخصاً عاديّاً في تلك المرحلة على ما يبدو، خاصّة أنّ السيّد الخميني ـ وكما قلنا ـ لم يكن يتدخّل في الجو النجفي إلاّ بمقدار الضرورة.

ومهما يكن من أمر، فقد بقيت الحال على ما هي عليه إلى حين انتقال السيّد الخميني إلى فرنسا، حيث تكشّفت للسيّد الصدر خيوط المعادلة الجديدة التي تنتظرها المنطقة، فأعلن تأييده بشكل واضح وصارخ لا يقبل الشك.

وسيظهر إن شاء الله تعالى ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ أنّ السيّد الصدر بادر إلى كتابة رسالة مفتوحة إلى الشعب الإيراني في أواسط محرّم/١٣٩٩هـ وأملاها هاتفيّاً على بيت السيّد الخميني في باريس في ٥/صفر بعد أن طلب السيّد عبّاس خاتم اليزدي إضافة اسم السيّد الخميني إليها. وقد طلب السيّد الصدر في حينها ترجمة الرسالة وتوزيعها في إيران.

وقبيل انتصار الثورة أيضاً كتب السيّد الصدر بتاريخ ١٩٧٩/٢/٤م رسالة إلى السيّد الخميني يبارك له تلك الانتصارات التي تحقّقت حتّى ذلك اليوم.

وفي الوقت نفسه وبتاريخ ١٩٧٩/٢/٣م بادر إلى كتابة (لمحة فقهيّة تمهيديّة عن مشروع دستور الجمهوريّة الإسلاميّة)، ثمّ أعلن بعد انتصارها عن استعداده للقيام بأي شيء يُطلب منه، ولم يمانع ـ وهو في أوج مرجعيّته ـ أن يكون وكيلاً للسيّد الخميني أو مبلّغاً في قرية نائية من قرى إيران، بل وأكثر من ذلك ممّا تجده مفصّلاً إن شاء الله تعالى ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ.

وقبل الحديث عن العلاقة بين أصحاب كلٍّ منهما، نشير إلى ما نقله الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري من أنّه كان مع مجموعة من الإيرانيّين في مدرسة (قائم) قريباً من حسينيّة (جمران) مقرّ السيّد الخميني، فاتّصل آقاي رسولي من مكتب السيّد الخميني وأراد من الحضور الذهاب لزيارة السيّد محمّد باقر الحكيم الذي وصل لتوّه إلى إيران، فعلّق أحد الحاضرين: «كنتم تقولون لنا: إنّ السيّد محمّد باقر يعملٍ في (سي.آي.إي) (C.I.A) والآن تشيرون وتأمرون بزيارته» (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٩٤، نقلاً عن الشيخ الأنصاري).

ويصرّح الشيخ [علي] آل إسحاق بأنّ بعض الأشخاص من جماعة السيّد الخميني كانوا يقفون من السيّد الصدر موقفاً سلبيّاً ولم يكن يرى سبباً لذلك، وكانوا يضايقونه ـ أي آل إسحاق ـ بسبب ارتباطه العاطفي بالسيّد الصدر رغم التحاقه بدرس السيّد الخميني وانقطاعه عن درس السيّد الصدر بعد وصول السيّد الخميني إلى النجف، كما أنّ مجموعة من طلاّب السيّد الصدر كانوا يشيعون بين العشائر أنّ السيّد الخميني ضدّ السيّد محسن الحكيم (مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق،).

أمّا بالنسبة إلى الموقف من السيّد الصدر، فالذي يبدو من خلال جمع كثير ممّا تتناقله الألسن ويرتسم على الشفاه هو أنّ أصحاب السيّد الخميني يتوزّعون على ثلاثة أقسام بالنسبة إلى ذلك:

١ ـ قسمٌ يعتبر السيّد الصدر ـ وبحسب تعبيره ـ ممّن «لا نعلم منهم إلاّ خيراً» [انظر: خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي): ١٤٢ ـ ١٤٤]، بل ربّما كان بعضهم متفاعلاً معه ومتفهّماً وضعَه.

٢ ـ وقسمٌ يعتبره ـ وبحسب تعبيره ـ استبصر في الفترة الأخيرة، ولكن في وقتٍ متأخر جدّاً [انظر: خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٨ ـ ١٨٩].

٣ ـ وقسمٌ كان شديد الحساسيّة تجاهه، بل كان بعضهم يتّهمه بالعمالة لأمريكا والإمبرياليّة كما مرّ ويمرّ في

الكتاب.

وأحسبُ أنّ الشرارة الأكثر وضوحاً لهذا الخلاف قد اندلعت بعد إعلان السيّد الصدر﵀ عن أعلميّة السيّد الخوئي﵀ بعد وفاة السيّد الحكيم﵀، وهو ما أكّده لي لاحقاً الشيخ محمّد رضا النعماني (انظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ).

وفي المقابل كان بعض أصحاب السيّد الصدر﵀ بين مخلص لحركة السيّد الخميني﵀ وبين متّهم بعضَ أطيافها بأنّها شيوعيّة، نتيجة الجو العام المخيّم على بعض أنصاره الذينَ كانوا يردون إلى النجف لزيارته، فلمْ تكن بنظرهم حركة دينيّة بالمعنى الذي يرونه، لأنّها تجمع تحت عباءتها مختلف الأطياف السياسيّة المخالفة للشاه حتّى الشيوعيّين، وقد تقدّم الحديث عن بعض النماذج المتأثّرة بـ(تشي غيفارا).

ونتيجة هذه الحساسيّات، فقد كان كلٌّ من الفريقين يفسّر أيّ موقف صادر عن الطرف الآخر ضمن هذا السياق، ولهذا اعتبر بعض أصحاب السيّد الخميني﵀ إرسال السيّد الصدر﵀ السيّدَ محمود الهاشمي إلى درس (الحكومة الإسلاميّة) وكثرة الإشكالات التي كان يطرحها في المجلس، اعتبروه محاولةً من السيّد الصدر﵀ لتخريب الدرس على ما خبرته من أحد المشايخ، ولم يعتبروا هذه الخطوة دعماً وتأييداً من السيّد الصدر﵀ كما يتّفق عليه أصحاب الأخير.

وعلى أيّة حال، فقد ظلّت هذه النظرة مخيّمة عند أصحاب السيّد الصدر﵀ حتّى الأيّام الأولى للثورة، ولهذا طلبوا من السيّد الصدر﵀ التريّث في دعم السيّد الخميني﵀ لأنّ حركته غير واضحة، ولأنّ للشيوعيّين حضوراً واضحاً فيها. ولكنّ السيّد الصدر﵀ تحرّر من رؤية أصحابه ليعلن بشكل صارخ لا يقبل الشكّ عن تأييده المطلق للسيّد الخميني﵀، ومن هنا يعزو البعض سبب تأخّر السيّد الصدر﵀ في دعم السيّد الخميني﵀ بالشكل المطلوب ـ وإن لم نؤمن بأنّه تأخّر ـ إلى الصورة السلبيّة التي كان قد رسمها له أصحابه. وبعد ذلك اقترح بعضهم أن يقدّموا اعترافهم لأصحاب السيّد الخميني﵀ بأنّهم كانوا مخطئين (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).

إلاّ أنّ أصحاب السيّد الخميني﵀ اعتبروا هذه الخطوة متأخّرة، ولم تكن لتشفع للسيّد الصدر﵀ في تنظيف ملفه، فلم يرتّبوا أثراً على الرسالة المفتوحة التي أرسلها إلى باريس، وعاتبوه على عدم تفاعله مع الثورة حتّى بعد مسارعته إلى كتابة (لمحة فقهيّة تمهيديّة) قبيل انتصار الثورة بأيّام. وقد بقي موقفهم منه على حاله، حتّى قيل إنّ بعضهم لعب دوراً سلبيّاً في ما يتعلّق ببرقيّة السيّد الخميني﵀ إليه، والتي قلبت الموازين السياسيّة في العراق. ولا زال هذا الموقف سائداً عند بعضهم، حتّى لعب دوراً في منع تداول كتاب (دروس في علم الأصول) في الحوزة الإيرانيّة (إن صحّ التعبير عن الحوزة بذلك). ولا أخفي قارئي الكريم ميلي إلى أنّ عدم نظافة ملف السيّد الصدر﵀ لدى أصحاب السيّد الخميني﵀ ربّما لعب دوراً في بقائه في عزلته أيّام الحجز دون محاولة معتدٍّ بها تذكر، سوى محاولة السيّد محمود دعائي زيارته كما يأتيك (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).

وقد ذكر لي السيّد جعفر كريمي بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١م أنّ ما يشاع حول العلاقة بين السيّد الخميني وبين السيّد الصدر من أنّ الأخير دعا إلى الالتفاف حول الأوّل ليس بصحيح، ولم يكن بينهما علاقة، ثمّ قال: إنّ ما لديّ لا ينفعك، فقلتُ: إنّني لا أبحث عمّا يصبُّ في صالح السيّد الصدر، بل أستوضح ما جرى وإن لم يكن كذلك، فاعتذر عن الحديث، وقد بدا لي أنّ فتح موضوع السيّد الصدر﵀ قد أزعجه بشدّة.

وهنا أعلّق بأنّ الأخبار الدالّة على أنّ السيّد الصدر﵀ دعا إلى الالتفاف حول السيّد الخميني﵀ لو كانت منقولةً عن مريدي السيّد الصدر﵀ المؤيّدين للسيّد الخميني﵀ فحسب، لصار هناك مجالٌ للتشكيك بها، ولكن يوجد إلى جانب هذه الأخبار أدلّة حسيّة قطعيّة الصدور متمثّلة ببعض ما جاء بخطّ السيّد الصدر﵀ تارةً في (الإسلام يقود الحياة) وأخرى في رسائله الخطيّة، وثالثةً بصوته، وهذه الأمور لا يُمكن نفيها أو التشكيك بصحّتها (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).

يبقى أن أوضّح بعض ما يتعلّق بما ذكره بعض أصحاب السيّد الخميني﵀ من أنّ السيّد الصدر﵀ تأخّر جداً في تأييده السيّد الخميني﵀ [انظر: خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٩]، فإنّ النصوص الواضحة والمؤرّخة تظهر خلاف ذلك تماماً:

١ ـ ففي وسط محرّم/١٣٩٩هـ ١٩٧٨/١٢/١٦م كتب السيّد الصدر﵀ رسالته المشهورة إلى الشعب الإيراني.

٢ ـ وفي ٥/صفر/١٣٩٩هـ (١٩٧٩/١/٤م) أملاها هاتفيّاً على بيت السيّد الخميني﵀، ووضعها تحت تصرّفهم ليتمّ ترجمتها ونشرها.

وفد إيراني يزور السيّد الحكيم﵀ لتهميش السيّد الخميني﵀

بعد استقرار السيّد الخميني﵀ فى النجف الأشرف وصل من طهران وفدٌ إيرانيٌّ على رأسه عبّاس آرام وزير الخارجيّة، وقد ضمّ الوفد: الدكتور مقتدري، الدكتور مهدي پيراسته، أمير تيمور كلالي، پرويز أتابكي، سيفي، سپهبدي، وحضر كلٌّ من السيّد إبراهيم اليزدي ـ صهر السيّد الحكيم﵀ ـ وأحد العلماء المقيمين في العراق.

---

٣ ـ وبعد أن وصل السيّد الخميني﵀ إلى طهران في ١٩٧٩/٢/١م سارع السيّد الصدر﵀ إلى كتابة (لمحة فقهيّة تمهيديّة) لأنّ قادة إيران منشغلون في إرساء أمور الدولة، وقد فرغ منه في ١٩٧٩/٢/٣م (٨ أيّام قبل انتصار الثورة)، وأرسله إلى إيران بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢٤م (١٣ يوماً بعد انتصار الثورة).

٤ ـ وفي ١٩٧٩/٢/٤م أرسل السيّد الصدر﵀ للسيّد الخميني﵀ رسالةً يبارك له فيها الانتصارات التي تحقّقت إلى تلك الفترة.

٤ ـ وبعد انتصار الثورة أرسل السيّد محمّد باقر المهري ليبارك للسيّد الخميني﵀ انتصارَ الثورة، وقد التقى به في ١٩٧٩/٣/٥م.

٥ ـ وبعد تعيين المهندس بازرگان أبرق السيّد الصدر﵀ إلى السيّد الخميني﵀ برقيّتين.

٦ ـ وبعد انتقال السيّد الخميني﵀ إلى قم أبرق إليه ببرقيّة.

ويبدو أن بعض هذه البرقيّات لم تكن تصل، ولكن بعضها كان يصل قطعاً. ومن خلال بعض الرسائل يظهر أنّ بيت السيّد الخميني﵀ لم يرتّب أيّ أثر على رسالة السيّد الصدر﵀ إلى الشعب الإيراني، ولم يترجمها، ولم تنشر إلاّ بتاريخ ١٩٧٩/٦/١٧م، أي بعد خمسة أشهر ونصف من إملائها، وبعد يومين من فرض الحجز على السيّد الصدر﵀ في بيته. كما لم تؤخذ (اللمحة الفقهيّة) بعين الاعتبار، بل أظهر السيّد حسين الخميني عتبه على أستاذه السيّد الصدر﵀ لـ(تباطئه) في التفاعل مع الثورة (وإن كان الكثيرون على اعتقاد بأنّ الدستور الإيراني قد استند إلى اللمحة ولكن دون ذكر اسم الصدر). وفي رسالته إلى السيّد مرتضى مستجابي، يُظهر السيّد الصدر﵀ شيئاً من عدم ارتياحه إزاء عدم المبالاة التي يلقاها من قبل بيت السيّد الخميني﵀، ولكنّه يؤكّد على ضرورة تجاوز ذلك لأنّ الكيان الديني في خطر (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).

هذا إضافةً إلى شيء من عدم الارتياح لمسته من بعض أصحاب السيّد الصدر﵀ إزاء عدم تلقّي السيّد الصدر﵀ جواباً عن البرقيّات التي كان يرسلها، مع أنّ (البروتوكول) يقضي بإرسال الجواب على أقلّ تقدير، في حين لم يستلم السيّد الصدر﵀ أيّ ردٍّ على أيّة برقيّة أرسلها للتهنئة بانتصار الجمهوريّة الفتيّة.

وخلاصة ما تقدّم هو أنّ السيّد الصدر﵀ كان يكنّ للسيّد الخميني﵀ أسمى معاني الاحترام والولاء كما سيتأكّد لك مفصّلاً ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ وأنّ شخص السيّد الخميني﵀ كان يدرك خروج السيّد الصدر﵀ عن جو النجف عموماً، وكان يطمئن كثيراً إلى علمه وإلى إخلاصه لمشروع الجمهوريّة الإسلاميّة، ولذلك طلب منه أن يكتب أطروحات تعالج المشكلات التي تواجهها الدولة الفتيّة على ما سيظهر لك ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ أيضاً. ولكنّ السيّد الصدر﵀ كان محسوباً لدى أصحاب السيّد الخميني﵀ على الجو النجفي في علاقته مع السيّد الخميني﵀، في حين أنّ الأمر ليس كذلك قطعاً كما أفترض أن يكون قد ظهر للقارئ. وفي الوقت نفسه كان الجو النجفي يصنّف السيّد الصدر﵀ على أنّه في اتّجاه حركة السيّد الخميني﵀، ولذلك ترك السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ درس السيّد الصدر﵀ لفترة طويلة بسبب تردّده في أنّ عليه تبنّي خطّ السيّد الصدر﵀ أم خطّ والده (انظر أحداث سنة ١٣٨٤هـ). ولهذا أيضاً نجد أنّ السيّد جمال الدين الخوئي﵀ عاتب مدير أمن النجف بأنّهم إلى متى ينتظرون بالسيّد الصدر﵀، وهل ينتظرون ليصبح خمينيّاً آخر في العراق؟! (انظر أحداث سنة ١٣٩٥هـ)، وهذا يعني أنّه كان مصنّفاً لديهم على اتجاه السيّد الخميني﵀ أو الحركة الثوريّة.

مـــا بـــين حانـــا ومانـــا ربّ مـــسبلة ... ضـــاعت وكـــم شـــارب جـــزّت نواصـــيه

مصطفى التل

وكان البحث متمحوراً حول السيّد الخمينيﷺ وبقائه في النجف وعدم تحرّكه ضدّ الشاه، وكان الهدف من ذلك إيصال رسالة إلى الشعب الإيراني فحواها أنّ المرجعيّة الدينيّة لا ترفض تحرّكات السيّد الخمينيﷺ[(١)].

ويشير السيّد محمّد باقر الحكيمﷺ إلى أنّ والده كان يستقبل الشخصيّات الحكوميّة الإيرانيّة، وكان يتحدّث معهم وينصحهم، ولكنّه كان يرفض مقابلة الشاه نفسه، وكان الأخير عازماً على زيارة العراق بعد رجوعه من العمرة لكن بشرط أن يستقبله السيّد الحكيمﷺ[(٢)].

مقالة حول (الفقه والأصول)

نشر السيّد الصدرﷺ مقالاً تحت عنوان (الفقه والأصول) في العدد الأوّل من مجلّة (الأضواء) في سنتها السادسة، الصادر في رجب/١٣٨٥هـ (تشرين الثاني/١٩٦٥م)، وهذا البحث موجودٌ بعينه في مقدّمة كتاب (المعالم الجديدة للأصول)، وقد نشر لاحقاً في (اخترنا لك)[(٣)].

عارف يحاول إضعاف موقف السيّد الحكيمﷺ

وفي محاولة منها لتضعيف موقع السيّد الحكيمﷺ، خطّطت السلطة لتدبير لقاء لرئيس الجمهوريّة مع مراجع النجفً ما عدا السيّد الحكيمﷺ. وقد تمّ تكليف الدكتور عبد الرزّاق محيي الدين بالتمهيد للموضوع.

بعد ترتيب الموضوع مع السيّد الخوئيﷺ الذي وافق على اللقاء به في مرقد الإمام عليعليه السلام، توجّه مبعوث السلطة إلى السيّد محمود الشاهروديﷺ الذي لم يُعطه موقفاً واضحاً، وبقي السيّد الخمينيﷺ الذي هدفت السلطة من وراء تواجده إلى دفع إشكال التفرّد بالاجتماع بالسيّد الخوئيﷺ.

وقد حاول السيّد جمال الدين الخوئيﷺ إقناع الشيخ عباسعلي عميد الزنجاني بأهميّة هذا الاجتماع، مذكّراً بأنّ السلطة لم تتعرّض للسيّد الخمينيﷺ وليس هناك بأسٌ في أن يجتمع بهم ليبادلهم حسن موقفهم.

وبعد أن حمل الشيخ الزنجاني ذلك إلى السيّد الخمينيﷺ أجابﷺ بأنّه لا يستحسن الفكرة ورفض مقابلتهم، ثمّ قال ثلاثاً: «**إنّ السيّد الحكيم هو المرجع**»، ثمّ أضاف: «**يجب أن يراعي السيّد الخوئيﷺ ذلك**». وبعد تداول الموضوع فشلت المحاولة[(٤)].

---

(١) محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٥٤١.

(٢) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٨٤.

(٣) انظر مجلّة (الأضواء) السنة السادسة، العدد الأوّل ؛ وانظر حول (اخترنا لك) في أحداث ١٣٩٥هـ.

(٤) خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي): ١١١ ـ ١١٥. ولم يرد في المصدر تاريخ هذه الحادثة، ولكنّنا احتملنا بشدّة أن تكون في زمان عارف لأنّ الدكتور عبد الرزّاق محيي الدين كان وزيراً في حكومته، ولأنّ السيّد أحمد الخميني لم يكن بعدُ قد أتى إلى العراق كما في المصدر، وكان سفره إلى العراق سنة ١٣٤٤ و١٣٤٥هـ ش (المصدر: ١١٣)، أي ١٩٦٥م ـ ١٩٦٦م. وقد وجدنا أنّ الحادثة تتناسب مع السياق الذي وضعناها فيه.

مرور السيّد موسى الصدر بالنجف الأشرف

في كانون الأوّل/١٩٦٥م (شعبان ـ رمضان/١٣٨٥هـ) رجع السيّد موسى الصدر من إيران ماراً بالعراق حيث زار السيّد محسن الحكيم رحمه الله في الكوفة. وقد تحدّث السيّد موسى عن رحلته هذه إلى صحيفة (الحياة) في عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٥/١٢/٢٩م(١).

وقد قام السيّد موسى الصدر بزيارة السيّد الخميني رحمه الله وطلب منه الإذن له بصرف سهم الإمام عليه السلام في المصارف الكثيرة التي تثقل كاهله، ولكنّ السيّد الخميني رحمه الله لم يأذن له إلاّ بمقدار منه [لعلّه النصف]. وقد تأذّى السيّد موسى الصدر من هذا الأمر مرجعاً إيّاه إلى ما كان يقوم به جلال الدين الفارسي والسيّد الحسيني من تشويه صورته لدى السيّد الخميني رحمه الله(٢).

السيّد مرتضى العسكري في البصرة

وصل السيّد مرتضى العسكري البصرةَ يوم ١٩٦٦/٢/٥م (١٣/شوّال/١٣٨٥هـ) مندوباً عن السيّد محسن الحكيم رحمه الله للتعرّف على إمكانيّة تأسيس مدارس إسلاميّة تعنى بتربية الناشئة تربية إسلاميّة صادقة، وكان الأمر قيد الدرس. وألقى السيّد العسكري مجموعة من المحاضرات في بعض المساجد، ثمّ قفل راجعاً إلى بغداد عبر الجو(٣).

صدور مجلّة (رسالة الإسلام) عن كليّة أصول الدين

يوم الخميس ٢٠/شوّال/١٣٨٥هـ (١٩٦٦/٢/١٠م) صدر العدد الأوّل من مجلّة (رسالة الإسلام) التي تصدرها كليّة أصول الدين في بغداد، وقد اشتمل هذا العدد على ٧٤ صفحة(٤).

(المعالم الجديدة للأصول)

في هذا العام كتب السيّد الصدر رحمه الله كتاب (المعالم الجديدة للأصول) في علم أصول الفقه(٥)

---

(١) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ١٢٨.

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م نقلاً عن السيّد موسى الصدر نفسه. وقد أشار السيّد الغروي إلى بعض أوجه القرب بين السيّد موسى الصدر وبين السيّد الخميني رحمه الله: فمن ناحية كلاهما ينتسب إلى المدرسة القميّة، ومن ناحية أخرى تزوّج السيّد أحمد الخميني رحمه الله من بنت أخت السيّد موسى الصدر، ومن ناحية ثالثة كانت هناك علاقة حميمة بين السيّد موسى الصدر وبين السيّد مصطفى الخميني رحمه الله الذي يعتبر من أتراب السيّد موسى. وكان السيّد مصطفى الخميني رحمه الله يسافر إلى لبنان ويجتمع مع السيّد موسى الصدر في كيفون في منزل أحد السادة من آل الكشميري حيث يسهرون ويتسامرون. إلاّ أنّ فتوراً معيّناً حكم علاقتهما نظراً إلى تبنّي السيّد موسى الصدر مرجعيّة السيّد محسن الحكيم رحمه الله فمرجعيّة السيّد الخوئي رحمه الله، بينما كان السيّد مصطفى رحمه الله يدعو إلى مرجعيّة والده السيّد الخميني رحمه الله.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ ديدن السيّد الخميني رحمه الله كان عدم إعطاء الإذن إلاّ بمقدارٍ ولعلّه النصف، وليس ذلك مختصّاً بالسيّد موسى الصدر.

(٣) مجلّة (رسالة الإسلام)، العدد الأوّل، ٢٠/شوّال/١٣٨٥هـ = ١٠/شباط/١٩٦٦م: ٧٣.

(٤) مجلّة (رسالة الإسلام)، العدد الأوّل، ٢٠/شوّال/١٣٨٥هـ = ١٠/شباط/١٩٦٦م: ٧٣.

(٥) كتب رحمه الله مقدّمة الكتاب في ١٤/جمادى الثانية/١٣٨٥هـ = ١٩٦٥/١٠/٩م ، وانظر: معجم المطبوعات النجفيّة منذ دخول الطباعة إلى النجف حتّى الآن: ٣٢٦.

ليكون متناً دراسيّاً في كلية (أصول الدين)(١)، وكان ذلك بطلب من السيّد مرتضى العسكري(٢).

ويعبّر هذا الكتاب عن حلقة من حلقات ثلاث كان ينوي في ذلك التاريخ إصدارها تحت عنوان (دروس تمهيديّة في علم الأصول) تتدرّج في عرض علم الأصول وتمهيده، وتشكلّ كلُّ حلقة من هذه الحلقات دراسة كاملةً لعلم الأصول وإن اختلفت في مستوى العرض والدرجة العلميّة.

ولم يقدّر له رحمه الله إكمال هذه الحلقات في ذلك التاريخ حتّى تطوّرت لديه هذه الفكرة وتبلورت بعد ذلك في كتاب (دروس في علم الأصول) أو (الحلقات الثلاث) التي ألّفها سنة ١٣٩٧هـ.

وقيل: إنّ كليّة أصول الدين أهدته ثلاّجة صغيرة بعد أن لم يكن في بيته رحمه الله واحدة، وقد ظلّت هذه الثلاجة في بيته لسنوات حتّى خارت قواها، فرغبت إليه زوجته في تغييرها لضعفها وصغرها وبالغ حاجتهم إلى أكبر منها، فأبى إباءً شديداً حتّى عرف بالأمر أحد تلامذته فاشترى لأسرة أستاذه ثلاّجة جديدة، وكان ذلك عام ١٩٧٤م(٣)، ولكنّه غير صحيح(٤).

التحضير لكتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء)

في هذه الفترة كان السيّد الصدر رحمه الله منشغلاً بدراسة الأسس المعرفيّة بعد أن كان قد توقّف عندها عام ١٣٨٣هـ لدى وصوله إلى مبحث (القطع) في دورته الأصوليّة الأولى. وقد كان في معيّته تلميذه السيّد كاظم الحائري، الذي كان ـ على ما في بعض رسائله ـ يشارك أستاذه معاناة اكتشاف الأسس المنطقيّة التي يقوم عليها الاستقراء.

وقد استمرّت هذه الرحلة على ما نقل عن السيّد الصدر رحمه الله سبع سنوات(٥).

---

(١) مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الأولى، العدد ٥ ـ ٦، ١/رمضان/١٣٨٦هـ = ١٩٦٦/١٢/١٥م: ١٨٥ ؛ السنة الثانية، العدد الثالث: ٢٠٧ ؛ مقدّمة مباحث الأصول: ٦٧، ٧٧ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه: ١١٨، ٢١٢ ؛ سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٤١ ؛ الحسين يولد من جديد: ٥٠ ؛ محمّد باقر الصدر.. تكامل المشروع الفكري والسياسي: ٣٥.

(٢) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري بتاريخ ١٩٨١/١/١٥م (رحمه الله).

(٣) انظر: صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٥)، ١٦/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ ؛ سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٤٢ ؛ الشهيد الصدر فضائله وشمائله: ٦٣ ـ ٦٤ ؛ صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (٨٦):٥ ؛ كما جاء أصل الإهداء في: مقابلة (٣) مع الشيخ علي كوراني (رحمه الله). والثلاّجة في اللهجة العراقيّة هي (البرّاد) عندنا.

(٤) من تعليقة أسرة السيّد الصدر رحمه الله على مسودّة الكتاب الثانية.

(٥) حدّثني السيّد علي أكبر الحائري نقلاً عن الشيخ علي أصغر المسلمي أنّه سأل السيّد الصدر رحمه الله عن مدّة تأليفه كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) فأجاب رحمه الله: «سبع سنوات»، وسأله عن فترة تأليف (الحلقات)، فأجاب رحمه الله: «سبعة أشهر»، فسأله الشيخ المسلمي عن سرّ هذه المفارقة فأجاب رحمه الله :«عندما كنتُ منشغلاً بتأليف الأسس المنطقيّة للاستقراء، كان معي السيّد كاظم الحائري الذي كان يشكل عليّ بالإشكال تلو الآخر، فكنتُ أصرف الوقت في التفكير للإجابة عن إشكالاته، أمّا خلال تأليف الحلقات، فلم يكن معي».

وحدّثني الشيخ حسّان سويدان العاملي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٦م نقلاً عن السيّد حيدر الموسوي نقلاً عن الشهيد السيّد عبّاس الموسوي رحمه الله نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله أنّه يعتبر السيّد كاظم الحائري شريكاً له في تأليف (الأسس).

كما ذكر لي السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م أنّ إشكالات السيّد كاظم الحائري هي التي أنضجت البحث في (الأسس المنطقيّة).

وكان لا بدّ للسيّد الصدرﷺ وهو يبحث في الاستقراء أن يقف عند نظريّة الاحتمال في جانبها الرياضي، وهذا ما دفعه إلى التخصّص في مجال الرياضيّات بعد أن لم تكن دراسته المدرسيّة تخوله ذلك لأنّه كان قد ترك المدرسة باكراً.

ومن هنا فقد اتّفق مع بعض الأساتذة في بغداد على تدريسه الرياضيّات، فدأب يقصد بغداد أيّام الخميس والجمعة وأيّام العطل لهذا الغرض. وبعد فترة قصيرة قالوا له: «**الآن نعطيك بحسب لغتكم إجازة اجتهاد في الرياضيّات**». وفي الأيّام الأولى من بداية تأليفه الكتاب، كان يجمع تلامذته ويلقي عليهم جملة من المسائل الفلسفيّة لمناقشتها معه[١].

وكان السيّد الصدرﷺ يعتمد في الأيّام الأولى على ما جاء في الفصل الثامن والعشرين من كتاب (المنطق الوضعي) للدكتور زكي نجيب محمود تحت عنوان (الاحتمالات وحسابها)[٢]، إلاّ أنّ هذا المقدار لم يكن كافياً بالنسبة له.

وقد أراد الاطّلاع على آراء عالم الاقتصاد جون مينار كينز من خلال كتابه (مقالٌ في الاحتمال) فرغب في أن يُترجم، ولكن تبيّن له ـ من خلال الدكتور زكي نجيب محمود على ما يبدو ـ أنّ ترجمة كتاب (كينز) تكتنفها الصعوبات، فتحوّل إلى ترجمة الفصل الخامس من كتاب (المعرفة الإنسانيّة.. مداها وحدودها)[٣] لبرتراند رسل ـ وهو القسم الذي تناول فيه رسل نظريّة الاحتمال وتعرّض فيه إلى آراء كينز وغيره وطرح فيه رؤيته ـ وكان الدكتور زكي نجيب محمود هو الذي أشار عليه بذلك.

ومن هنا، فقد طلب السيّد الصدرﷺ من السيّد مرتضى الرضوي التفاوض مع الدكتور محمود من أجل تحصيل مترجمٍ موثوقٍ به لترجمة هذا القسم من كتاب برتراند رسل[٤].

وينقل الشيخ محمّد مراد قول السيّد الصدرﷺ: «إنّ أقدر من يدرّس الأسس المنطقيّة من الذين درسوا الأسس عندي هو السيّد كاظم الحائري» (مقابلة مع الشيخ محمّد مراد، ﷺ).

وقد ذكر السيّد محمّد الغروي أنّ السيّد الصدرﷺ كان يعبّر عن السيّد كاظم الحائري بـ«العقل المحض لأنّه كان يتناول كلّ مسألة علميّة وسياسيّة واجتماعيّة وتربويّة من المنظار العقلي ويدرسه» (مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٠٠). (اهـ)، ولكن أخبرني بعض تلامذة السيّد الصدرﷺ ـ الذين يحترمون السيّد الحائري ـ أنّ السيّد الصدرﷺ كان يأخذ على السيّد الحائري تعامله مع مختلف الأمور بهذه الدقّة العقليّة حتّى في الأمور الاجتماعيّة، وهو ما لم يكن يرتضيه السيّد الصدرﷺ.

(١) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (ﷺ). وذكر السيّد كمال الحيدري ـ نقلاً عن السيّد الصدرﷺ ـ أنّه على الرغم من عدم دراسته الرياضيّات في المدرسة، إلاّ أنّه كان يجلس في الليل و(يشخبط)، فينتج مطلبٌ رياضيٌّ، وهو ما أودعه في الأسس المنطقيّة للاستقراء [انظر: الشريط ٣٣ من شرح السيّد الحيدري على كتاب (الحلقة الثانية)؛ وانظر: صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (٨٥): ٥]، وأكاد لا أميل إلى هذا التصوير.

(٢) المنطق الوضعي: ٥١٠ ـ ٥٣٤.

(٣) Human Knowledge, Its Scope & Limits: ٥٣٠- ٦٣٤؛ انظر الوثيقة رقم (٦٠).

(٤) إلى هنا استنتجناه استنتاجاً من رسالة السيّد الصدرﷺ.

وهنا يشار إلى أنّ السيّد كمال الحيدري ذكر أنّ السيّد الصدرﷺ بعد أن انتهى إلى نظريّته في المعرفة، أراد التأكّد ما إذا كان فلاسفة الغرب قد توصّلوا إلى النتيجة نفسها. فسأل بعض الأخصائيّين في بغداد عن كتاب جامع يعرض

وفي ١٩٦٥/١١/١٥م (٢٢/رجب/١٣٨٥هـ) كتب السيّد الصدر﵀ إلى السيّد مرتضى الرضوي أثناء إقامته في القاهرة :

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الأستاذ الجليل المجاهد فضيلة السيّد مرتضى الرضوي دام عزّه.

السلام عليكم زنة الاحترام والدعاء والتقدير.

تسلّمت بالأمس رسالتكم الكريمة التي عبّرت من جديد وقدّمت برهاناً إلى جانب البراهين الكثر على أخوّتكم الصادقة وهمّتكم العالية وشعوركم العظيم بالمسؤوليّة تجاه العقيدة التي تقدّمون بها باستمرار في مجالاتكم التثقيفيّة الخدمات الجليلة، فشكراً وألف شكر لما قمتم به وتكلّفتموه من أتعاب، وشكراً جزيلاً للأستاذ الجليل الدكتور زكي نجيب محمود على ما تفضّل به من معلومات، فقد تفضّل مشكوراً بالإرشاد إلى الفصل الأخير من كتابه الجليل المنطق الوضعي والقسم الخامس من كتاب برتراند رسل.

أمّا كتاب المنطق الوضعي للدكتور زكي نجيب محمود فهو موجودٌ عندي بطبعته الأولى في مجلّد واحد ضخم، وقد جاء ذكره في رسالتي السابقة، وأنا أعتزّ بما جاء فيه عن الاحتمال. وكنتُ ولا أزال أرجع إليه وأستفيد منه، ولكنّه كان بودّي الاطّلاع على نظريّة الاحتمال وبخاصّة عند كينز بصورة أوسع، ولهذا فكّرت في طلب ترجمة لكتاب كينز. ويبدو الآن على ضوء رسالتكم أنّ ترجمة كتاب كينز تكتنفها الصعوبات، فإذا كان القسم الخامس من كتاب برتراند رسل الذي أشار إليه الدكتور زكي نجيب يكفي إلى حدٍّ ما لاستعراض النظريّة، فالرجاء يا أخي أن تفاوضوا الأستاذ الجليل زكي نجيب محمود على أساس ما تفضّل به من إرشاد إلى القسم الخامس من ذلك الكتاب في استحصال مترجمٍ موثوقٍ به لهذا القسم خاصّة إذا لم يكن قد سبق أن ترجم إلى اللغة العربيّة، وحاولوا أن تحدّدوا أقصر زمانٍ ممكن للترجمة وتفضّلوا بإخباري عن اتّفاقكم على الموضوع مدّةً وسعراً، كما أودّ أن أعرف حجم القسم الخامس في الأصل الإنجليزي. وشكراً لكم يا أخي أوّلاً وآخراً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملاحظة:

١ـ اطلبوا من المترجم تحديد المصطلحات الأساسيّة في النظريّة.

٢ـ اطلبوا من المترجم أن يكون واضحاً في الترجمة على المستوى العام بوضوح الأستاذ الدكتور زكي نجيب محمود في ترجمته لكتاب (الفلسفة بنظرة علميّة) وغيره من الكتب التي أنجز ترجمتها إلى اللغة العربيّة.

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[1].

ولكنّ الذي يبدو أنّ هذا الأمر لم يتمّ عبر الدكتور محمود، فاستشار السيّد الصدر﵀ الأستاذ أحمد عبد الأمير من أجل تحصيل مترجم متخصّص من العراق، على أن يكون ـ إضافةً إلى تضلّعه في اللغة الإنجليزيّة ـ عالماً متخصّصاً في الموضوع المُترجم له.

النظريّات الغربيّة، فأشاروا عليه بكتاب (المعرفة الإنسانيّة) لرسل. ولمّا طلبه قيل له إنّه غير مترجم، فأوعز إلى بعض أساتذة بغداد بترجمته. وبعد أن قرأه وجد أنّ نظريّته غير موجودة عند الغربيّين (اهـ)، وهذا وإن كان أصلُ وقوعه صحيحاً، لكن ضمن السياق الذي ذكرناه في المتن.

(١) مع رجال الفكر في القاهرة: ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ١٨٤ ـ ١٨٥.

وعلى ضوء ذلك، تمّ الاتّفاق مع الدكتور كريم متّي ـ وكان أستاذاً في جامعة بغداد[١] ـ على المبلغ اللازم مقابل الترجمة.

وبعد أن تمّت ترجمة الموضوع قام الأستاذ أحمد عبد الأمير بتقديمه إلى السيّد الصدر الذي طالعه جيّداً. وقد تبيّن للسيّد الصدر وجود خطأ في معادلة رياضيّة، فطلب مراجعة المترجم الذي أقرّ بذلك واعترف بوجود خطأ. وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على مدى تعمّق السيّد الصدر في الرياضيّات[٢].

كما استعان السيّد الصدر ببعض الكتب الفارسيّة المدوّنة حول هذا الموضوع[٣]، ولم يتعب على كتاب من كتبه كما تعب على كتاب (الأسس)[٤].

هذا، وقد سأل السيّد الغروي أستاذه السيّد الصدر أثناء توجّههما إلى الكوفة عن دواعي تأليف هذا الكتاب فأجابه: «**لكي أثبت للملحدين أنّه إمّا عليهم الإيمان بالله تعالى والعلوم الطبيعيّة وإمّا رفض الاثنين معاً، [وأقفلتُ في وجه الكافر باب الخضوع أمام العلم والتمرّد على الإيمان بالله سبحانه وتعالى]**»[٥]، وقال أيضاً حول ذلك: «**إنّ مرحلة الاستيراد في العالم الإسلامي من الغرب يجب أن تنتهي وعلينا أن نصدّر إبداعنا إلى الغرب**»[٦].

وقد عرض السيّد الصدر مسودّات كتاب (الأسس) على مجموعة من تلامذته لمناقشتها، وبعد أن أتمّ الكتاب شرع في تدريسه لكوكبة منهم[٧].

ولو أتيحت للسيّد الصدر فرصة الاطّلاع على ما جاء في كتاب (الأسس المنطقيّة للاحتمال) لردولف كرناب وبما جاء في كتابات كارل بوبر المختلفة، لكان النزال الفكري ـ المحض ـ أكثر ثراءً وخصوبةً[٨].

استلام عبد الرحمن عارف السلطة

حاول الرئيس عبد السلام عارف إعادة الاعتبار إلى نفسه بعد أن وصلت شعبيّته إلى الحضيض وازدادت معارضة حكمه بعد المحاولة التي قام بها من أجل ضرب مرجعيّة السيّد محسن الحكيم، فحاول إعادة ترميم الجسور مع المرجعيّة، فقام في نيسان/١٩٦٦م (ذي الحجّة/١٣٨٥هـ)

---

(١) ما بين ـ ـ من من مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان ().

(٢) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير ().

(٣) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي ().

(٤) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني ()، نقلاً عن السيّد الصدر.

(٥) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م. وما بين [] من: ترجمة السيّد الصدر، السيّد محمّد الغروي () ؛ وانظر: صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢) ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي () ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي ().

(٦) انظر: الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٩٨؛ وانظر قريباً منه في: خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٦٦.

(٧) صحيفة (لواء الصدر)، ١٧/شعبان/١٤٠٥هـ.

(٨) من البعيد لديّ أن يكون السيّد الصدر قد استفاد عنوانَ كتابه من عنوان كتاب (كرناب) المذكور. انظر أحداث سنة ١٣٩١هـ / موقع كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء).

ـ أي بعد ١١ شهراً من تأزّم الوضع ـ بزيارة إلى مدينة النجف الأشرف بهدف لقاء السيّد الحكيمؒ، وقد حطّت طائرته العموديّة الخاصّة في وسط مسجد الكوفة الكبير قبل أن يتوجّه موكبه إلى النجف الأشرف[١].

وفي النجف الأشرف رفض السيّد محسن الحكيمؒ الالتقاء به ـ وكان قد رغب في لقائه مرّات قبل ذلك وقوبل بالرفض[٢] ـ ، الأمر الذي رفع درجة حقده على المرجعيّة، فوعد بالانتقام منها بعد رجوعه من سفرته إلى البصرة جنوب العراق، [وقيل إنّه قصد في البصرة منطقة القرنة التي وقف فيها أمير المؤمنين؈ بعد معركة الجمل قائلاً «**يا أشباه الرجال ولا رجال**»، وقال: «**إذا قال لكم عليٌّ: (يا أشباه الرجال ولا رجال) فأنا أقول لكم: (أنتم رجالٌ ونعم الرجال)**»، فهتفت في وجهه العشائر: «**ما كو ولي إلاّ علي**»][٣]. وبعد ذلك تحطّمت طائرته في حادث غامض بتاريخ ١٤/٤/١٩٦٦م (٢٢/ذي الحجّة/١٣٨٥هـ).

وبعد مصرع عارف فرض ضبّاط الجيش شقيق الرئيس الأكبر اللواء عبد الرحمن عارف معاون رئيس أركان الجيش رئيساً للجمهوريّة وقائداً عاماً للقوّات المسلّحة.

وبتأثير من القادة العسكريّين، تمّت إقالة رئيس الوزراء الدكتور عبد الرحمن البزّاز الذي كان السيّد محسن الحكيمؒ قد تقدّم إليه بطلب عبر نجله السيّد مهديؒ بالاستفادة من فرصة رحيل عارف من أجل إقامة حكم مدني وتشكيل مجلس قيادة من ثلاثة أشخاص، يكون للمرجعيّة واحدٌ منهم. إلاّ أنّ البزّاز تردّد ولم يقبل، وخسر الفرصة[٤].

سياسة عبد الرحمن عارف

لقد حاول عبد الرحمن عارف تهدئة الأوضاع في العراق والسير بها نحو الاستقرار، وكان من شأن هذا الأمر أن يعيد ظهور التيّارات السياسيّة التي قمعها عبد السلام.

أمّا الحركة الإسلاميّة، فإنّ هذه المرحلة تعتبر مرحلة متميّزة بالنسبة لها، وقد استطاعت أن تتحرّك فيها بحريّة ملحوظة دون أن تتعرّض إلى القمع والضغط والتطويق[٥].

وفي هذا الإطار يذكر أنّ عارف زار كليّة الإدارة والاقتصاد في جامعة بغداد، فاستثمر الشهيد حسين جلوخانؒ هذه المناسبة ودخل في نقاش مع رئيس النظام قائلاً: «**أليست دولتنا إسلاميّة؟**»، فأجاب: «**نعم**»، فقال: «**إذاً، لماذا يدرّس فيها الاقصاد الشرقي والغربي ولا يدرّس الاقتصاد الإسلامي؟**».

وعندما لم يجد عارف جواباً عن هذا التساؤل الموضوعي وعد بتنفيذه. وبالفعل اختارت الأجهزة المختصّة كتاب (اقتصادنا) للسيّد الصدرؒ ليتمّ تدريسه في الكليّة بوصفه مادّة ثابتة تحت عنوان (الاقتصاد الإسلامي)[٦]، كما كتب السيّد عز الدين القبانجيؒ تعليقة على كتاب الأستاذ

---

(١) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٥٠ ـ ١٥١ ؛ سنوات الجمر: ٧٩ ـ ٨٠.
(٢) تحولّات داخلى عراق وامنيت ملى ايران به روايت اسناد ساواك (فارسي): ٢٧٠، ٣٤٢.
(٣) قصص وخواطر: ٤٩٨.
(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٥٠ ـ ١٥١.
(٥) سنوات الجمر: ٨٠.
(٦) سنوات الجمر: ٨٩، نقلاً عن: قبضة الهدى: ٧٨.

محمّد المبارك في الاقتصاد استجابةً لتوجيه السيّد الصدر رحمه الله[١].

وبشكل عام، تعتبر الفترة الواقعة بين الحكمين (١٩٦٣ و١٩٦٨م) الفترة الذهبيّة في عمر الحركة الإسلاميّة الشيعيّة، حيث خلت من عمليّات البطش والإرهاب التي كانت تمارسها الحكومات المتعاقبة على الحكم في العراق.

وقد ازداد أعضاء حزب الدعوة، وخاصّةً في الجامعات وبين طبقة المفكّرين والمثقّفين. وحسب مصادر حزب الدعوة فقد كانت توزّع أكثر من ١٥٠٠ نسخة من صحيفة الحزب السريّة (صوت الدعوة) على الأعضاء والمناصرين في جامعة بغداد وحدها. وكان الطلبة يخرجون في مسيرات تدعى (مواكب الطلبة) في ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام معبّرين عن تضامنهم مع الحزب.

كما تجدر الإشارة إلى ازدياد عدد الطلبة المنتسبين إلى الحوزة العلميّة في كلٍّ من النجف الأشرف وقم المقدّسة:

ففي النجف الأشرف ازداد عدد الطلبة الأفغانيّين من سبعين إلى أكثر من ألف وخمسمائة، واللبنانيّين من تسعة أو أحد عشر إلى حوالي مئتين، والعراقيّين من ثلاثين إلى حوالي سبعمائة، وعلى ذلك فقِس[٢]. أمّا في قم المقدّسة فقد ازداد عدد الطلاّب بنسبة ٤/١[٣].

يُشار إلى أنّ عدد الطلبة في حوزة النجف سنة ١٩٥٧م كان على النحو التالي:

إيران: ٨٩٦ طالباً ؛ باكستان: ٣٤٤ ؛ أفغانستان: ٢٧٠ ؛ الهند وكشمير والتبت: ٧١ ؛ سوريا ولبنان: ٤٧ ؛ الأحساء والقطيف والبحرين: ٢٠[٤]. وكان عدد الطلاّب العراقيّين إلى فترة متأخّرة لا يتجاوز الثلاثين[٥]، أو السبعين طالباً[٦].

محاضرتان حول (الوضع المعاش في الحوزة) ووظيفة المبلّغ

في حديث دار بين السيّد الصدر رحمه الله وبين السيّد محمّد الغروي حول وضع الأمّة الإسلاميّة حاول السيّد الصدر رحمه الله توضيح كيفيّة إصلاح حال هذه الأمّة. وضرب له مثلاً وقال له: «**إذا ألقينا حجراً في حوضٍ من الماء، فستتشكّل مجموعة من الدوائر. وهذه الدوائر تبدأ صغيرة ثمّ تأخذ بالتوسّع حتّى تستوعب الحوض كلّه. وفي عمليّة إصلاح الأمّة الإسلاميّة فإنّ الحوزة هي نقطة الإصلاح ويجب علينا أن ننطلق منها**

---

(١) شهداء العلم والفضيلة في العراق: ٣٠١.

(٢) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٩٩ ـ ١٠٠، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله. وقد استغربتُ ذلك كثيراً ولكنّ السيّد نور الدين الإشكوري أكّد لي صحّة هذه المعلومة.

(٣) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٧٦ ؛ انظر الوثيقة رقم (٦١) وهي عبارة عن تقرير للمخابرات الإيرانيّة حول ازدياد عدد طلبة الحوزة العلميّة في حوزة قم المقدّسة في زمن مرجعيّة السيّد الحكيم رحمه الله، ويرجع تاريخ التقرير إلى ١٣٤٧/٦/٢٦هـ.ش = ١٩٦٨/٩/٢٧م، وقد جاء فيه أنّ عدد طلاّب حوزة قم ازداد بنسبة ٤/١ وأنّه لم يعد هناك مكانٌ فارغٌ في المدارس العلميّة، واقترح التقرير إيجاد الخلاف بين السيّد شريعتمداي وبين السيّد الگلپايگاني رحمهما الله من أجل علاج المسألة.

(٤) عبد الصاحب دخيّل.. سيرة قائد وتاريخ مرحلة: ٣٠.

(٥) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٩٩ ـ ١٠٠، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٦) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

ثمّ نأخذ بالتوسّع شيئاً فشيئاً حتّى تستوعب هذه العمليّة العالم الإسلامي»[١].

وفي هذا الإطار طلب السيّد الصدر رحمه الله في يوم من الأيّام من تلامذته أنّ يعدّوا المسجّل لأنّه يريد أن يسجّل محاضرة حول مسؤوليّة عالم الدين ليستمعوا إليها[٢]، وكان هذا هو أسلوب السيّد الصدر رحمه الله في إيصال ما لديه إلى تلامذته، إذ كان السيّد كاظم الحائري قد طلب منه بعد أن حضر درسه أن لا تقتصر علاقته مع طلاّبه على العلاقة الدرسيّة، فكم من أستاذ قام بتربية طلاّبه من الناحية العلميّة ولكنّه لم يساهم في تربيتهم إسلاميّاً، وحثّه على أن تتعدّى علاقته بهم ذلك.

ومن حينها صار السيّد الصدر رحمه الله إذا أراد أن يوصل إليهم أمراً اختلى بنفسه وسجّل لهم ما لديه ثمّ استمعوا إليه، إلى أن راح يلقي عليهم مطالبه مباشرةً مستغنياً عن المسجّل[٣].

أمّا حول الوضع المعاش في الحوزة فيبدو أنّه سجّل كلمتين: أمّا الكلمة الأولى فقد جاء فيها:

«أيّها الأعزّاء!!

أريد أن أحدّثكم بحديث يرتبط بالموضوع الذي نعيش لأجله ونحيا بأمله والسير في خطّه، ونستعين بالمصاعب في طريق إنجازه وتحقيقه.

أريد أن أحدّثكم بحديثٍ يرتبط بواقع عملنا بصفتنا مبلّغاً ومفكّراً في بناء هذه الحوزة، لبناء أفضل يرتبط مع أداء رسالتها الكبرى وممارسة عملها ومسؤوليّتها في الدعوة والتبليغ في أرجاء العالم الإسلامي.

إنّ هناك أيّها الأعزّة اتّجاهين متناقضين سنجد لهما أمثلة وشواهد على طول الخطّ في التاريخ.

أحد هذين الاتّجاهين يقوم على أساس قاعدة المصلحة الشخصيّة كأسلوب في ما يفعل، وما يترك أصحاب هذا الاتّجاه يجعلون من مصلحتهم الشخصيّة مقياساً أعلى يميّزون به بين النافع والضارّ وما ينبغي وما لا ينبغي، فيقدمون حيث توجد، ويمنعون حيث لا يجدون مصلحة شخصيّة في الإقدام.

وإذا أردنا أن نلخّص منطق هؤلاء في وضع هذا المقياس وما يستندون إليه من مبرّرات بجعل المصلحة الشخصيّة أساساً وقاعدةً للعمل والسلوك، نستطيع أن نلخّص وجهة نظرهم بما يأتي:

١ ـ يقول هؤلاء المتديّنون: إنّ المتديّن بوصفه متديّناً ليس ملزماً من الشرع إلاّ باجتناب المحرّمات الصريحة وإتيان الواجبات الصريحة وفي غير نطاق الواجب والمحرّم. ولنسمّي كلّ ما يخرج عن هذا النطاق بنطاق المباحات بالمعنى الأعمّ للإباحة[٤].

في نطاق الإباحة بالمعنى الأعمّ يملك المتديّن حرّيّته وإرادته، فله أن يترك وله أن يفعل، وليس عليه حرجٌ على كلا التقديرين.

إذاً فبإمكان هذا المتديّن أن يجعل من مصلحة الشخص ومن المصلحة الشخصيّة قاعدة للانطلاق في ما يفعل وما يترك وأساساً للسلوك ما دام ملتزماً بالأصل الموضوعي المفروض، وهو اجتناب المخالفة في

---

(١) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٢) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله)؛ وقد تأكّدنا من ذلك لأنّ السيّد الشاهرودي يتذكّر من تلك المحاضرة المثال الذي ضربه رحمه الله حول العالم الذي أوجب الخمس في النفط لأنّه معدن.

(٣) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

(٤) للأصوليّين اصطلاحان للإباحة: أحدهما: الإباحة بالمعنى الأعمّ حيث تخلو من ملاك ملزم بالفعل أو الترك، فتشمل المستحبّ والمكروه، والآخر: الإباحة بالمعنى الأخص، وهي التي ليس فيها ملاكٌ يدعو إلى الفعل أو الترك ولو دون الإلزام، وهي بدورها تنقسم إلى اقتضائيّة وغير اقتضائيّة.

دائرة الواجبات والمحرّمات الصريحة.

وهذا الاتّجاه الذي يتمثّل في هذا المنطق يتّخذ دائماً مع الدنيا سلوكاً إيجابيّاً ويواجهها وجهاً لوجه ليأخذ منها ويتفاعل معها ويتأثّر بمغرياتها في حدودٍ هي على أفضل تقدير حدود المباحات بالمعنى الأعمّ التي افترضها في تحليله المنطقي السابق.

وأسعدُ الناس حظّاً من أصحاب هذا الاتّجاه من بقي وفيّاً لأصله الموضوعي أميناً على حدوده التي افترضها في تحليله المنطقي، فمارس مقياسه الشخصي في دائرة المباحات ولم يتعدّ هذه الدائرة.

وأتعس هؤلاء حظّاً من تمدّد به المقياس كلّما تمدّد في تطبيقه ومن اتّسع به كلّما اتّسع في تنفيذه حتّى أصبح هذا المقياس هو الحاكم المطلق في كلّ شؤون حياته دون فرق بين دائرة أو دائرة ومجال أو مجال.

وهناك أيّها الأعزّة اتّجاه آخر يناقض هذا الاتّجاه كلّ المناقضة، يقف بصورة مقابلة له تماماً. هذا الاتّجاه ينظر أصحابه إلى الدنيا من أعلى، ينظرون إليها من أعلى من قمّة الجبل فيشرفون بوضوح وبجلاء على كلّ ما في هذه الدنيا من محدوديّة وزيف وفراغ. وهم ينظرون إليها من أعلى يعصمون أنفسهم من التأثّر بمغرياتها والاستجابة لدوافعها والانصياع مع جذبها الأكيد في كلّ ميادين ومجالات مساعيها.

وعلى هذا الأساس يقفون منها موقفاً سلبيّاً ويرون أنّ الدنيا كميّة مهملة في حسابهم لا تميد إليها هممهم ولا يرتبط بها شأنهم، لأنّهم أعلى من هذه الزخارف والسفاسف، لأنّهم يعيشون مع الله في جوٍّ من المناجاة والانطلاق الروحي والانقطاع إلى الله تعالى، يشغلهم عن تلك الزخارف والسفاسف التي ألهت الأوّلين وجذبتهم وجعلت منهم أناساً يركضون وراء مصالحهم الشخصيّة.

إنّ منطق هؤلاء يتلخّص في أنّ هذه الدنيا بمحدوديّتها وزيفها وما تكتنفه من فتنة وشدائد ومصاعب وما يتمخّض عنها من زوال وما يلابسها من أخطار، إنّ هذه الدنيا ليست جديرة بالاهتمام.

وهكذا نجد أيّها الأعزّة أنّ هذين الاتّجاهين يختلفان اختلافاً كبيراً في طبيعة نظرتهما إلى صلتهما بالدنيا، ويختلفان اختلافاً كبيراً نتيجة لذلك في موقفهما العملي من الدنيا.

الاتّجاه الأوّل يقف موقفاً إيجابيّاً، والاتّجاه الثاني يقف موقفاً سلبيّاً.

الاتّجاه الأوّل يجد من مغريات الدنيا مبرّراً للاستجابة لها ما دام لا يخرج عن دائرة المناجاة، والاتّجاه الثاني يجد من وضاعة الدنيا وتفاهتها ومحدوديّة غاياتها وأشواطها ما يترفّع عن الانسياق معه ومواكبته والمشي في خطّه.

الاتّجاه الأوّل يفتح عينيه وقلبه للدنيا معاً، والاتّجاه الثاني يغمض عينيه وقلبه عن الدنيا معاً.

يقال في تاريخ هذه البناية التي نباحث فيها في كلّ يوم صباحاً ومساءً[1]: إنّ شخصاً من العلماء الأبرار كان يسكنها وهو الشخص المعروف بالمقدّس الأردبيلي رضوان الله عليه، هذا الشخص الذي نظر إلى الدنيا من أعلى فترفّع عنها وعن كلّ ما فيها وما تزخر به من متع وشهوات. هذا الرجل العظيم كان يسكن في هذه البناية بالذات على ما يقال في تاريخه.

يقال إنّه ﷺ استيقظ لصلاة الصبح أو لصلاة الليل، أراد أن يستسقي من البئر ماءً ليتوضّأ به فخرج الدلو مملوءاً ذهباً، فألقى بالذهب كلّه إلى قاع البئر وكرّر العمليّة فتكرّرت النتيجة هكذا ثلاث مرّات وهو يقول: ما شأني والذهب! أنا أريد ماءً أتوضّأ به.

---

(١) يقصد ﷺ مقبرة آل ياسين، وهي عبارة عن منزل كان الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ محسن الكاظمي ﷺ ـ جدّ السيّد الصدر ﷺ الأعلى لأمّه ـ قد اشتراه سنة ١١٦٢هـ، وهو منزل الملاّ أحمد الأردبيلي ﷺ المعروف بالمقدّس الأردبيلي.

إنّ هذا الرجل لم يكن يجد له شأناً من النظر لأنّه نظر إلى الدنيا من أعلى فأحسّ بواقع زيف الذهب. ولم يستطع الذهب بالرغم من كلّ قوّته وإغرائه ولمعانه أن يختطف أبصار هذا الرجل العظيم أو أن يزلزل قلبه أو أن يخطف منه عقله أو أن يسرق منه روحه، فبقي ينظر إلى هذا الذهب وهو يلمع أمامه كما ينظر إلى كومة من الحديد الأوّل، بل إنّه انزعج منه وتضايق لأنّه منعه أو حال بينه وبين الماء، بين الماء الذي يريد ليتطهّر به لكي يتهيّأ لمناجاة ربّه، للعبادة التي عاش لها وتعشّقها وشعر بلذّتها واستصغر كلّ اللذّات في مقابل تلك اللذّة.

هذه القصّة سواء كانت قد وقعت بالفعل أم لم تقع فهي رمزٌ بدون شكّ إلى روحيّة الاتّجاه الثاني ومنطق الاتّجاه الثاني وتعكس بوضوح سلبيّة الاتّجاه الثاني في الموقف العملي، وشعور أصحاب هذا الاتّجاه بأنّه لا يحسب للدنيا حساب في حياتهم العمليّة.

هذان الاتّجاهان يختلفان كلّ الاختلاف كما ترون أيّها الأعزّة.

وهناك اتّجاه ثالث عاش معهما بين الاتّجاهين على طول التاريخ يجد أيضاً له نظائر وشواهد كما نجد للاتّجاهين السابقين شواهدهما ونظائرهما، على اختلاف في شواهد ونظائر هذا الاتّجاه من حيث درجة الوعي ومستوى التفكير وإقبال الناس والقابليّات ومدى النظر الذي يتمتّع به هذا الاتّجاه ومن ينسب إلى هذا الاتّجاه.

إنّ هذا الاتّجاه يختلف عن كلا الاتّجاهين السابقين، فهو يأخذ من الاتّجاه الثاني جوهر روحه ويرفض سلبيّته، ويأخذ من الاتّجاه الأوّل طبيعته الإيجابيّة في العمل ويرفض مقاييسه وروحه ومنطقه، بينما فتح الاتّجاه الأوّل عينيه وقلبه معاً للدنيا وبينما أغلق الاتّجاه الثاني عينه وقلبه معاً عن الدنيا يقف هذا الاتّجاه فاتحاً عينه للدنيا موجّهاً قلبه إلى الرسالة وأهداف الرسالة وواقع المسؤوليّة التي تحدّد تلك الأهداف.

هذا الاتّجاه يعترض على كلا الاتّجاهين السابقين، فهو يناقش منطق الاتّجاه الأوّل ومقياسه وقاعدته في السلكوك والعمل فيقول: صحيح ما يقولونه من أنّ المتديّن بوصفه متديّناً هو بالخيار في دائرة المباحات إن شاء فعل وإن شاء ترك ما دام لم يرتكب معصية صريحة في دائرة الواجبات والمحرّمات، هذا صحيح ولكن هذا الشيء الصحيح إنّما ينسجم ويتّفق مع المتديّن الاعتيادي الذي يريد أن يعيش تحت الراية لا مع من يريد أن يمارس حمل الراية وأداء الأمانة والقيام بأعباء الرسالة، هذا صحيح بالنسبة إلى المتديّن الذي يسير في الخطّ المحدّد له لا بالنسبة إلى المخطّط الذي يريد أن يقود الأمّة ويمشي بها في طريقها الشرعي الصحيح، هذا صحيح بالنسبة إلى الرعيّة لا بالنسبة إلى من يريد أن يسجّل في موكب الأنبياء والأوصياء أي من يريد أن يسجّل اسمه في موكب الأنبياء والأوصياء هذا الموكب العظيم الذي قدّم لتاريخه الطويل الطويل من التضحيات والبطولات والدم الغالي والوقت الغالي والجهد الغالي ما لا يمكن أن يوصف أو يعبّر عنه.

إنّ من يريد أن ينخرط في هذا الموكب العظيم يجب أن يسمو إلى روح هذا الموكب، يجب أن يتعالى إلى مستوى أهداف هذا الموكب وإلى مقاييس هذا الموكب يجب أن يستشعر دائماً أنّه أمين على أغلى أمانة وأنّه مسؤول عن أعظم رسالة، مسؤول عن الأمانة التي من أجلها بذل الشهداء دماءهم، التي من أجلها بذل أغلى الناس دمه وبذل أغلى الناس نفساً نفسه، هذه الأمانة التي خاض في حملها آلاف الأنبياء والأوصياء والشهداء والصدّيقين، والأمين تختلف مسؤوليّته عن غيره.

أنت حين ترى مالا لغيرك لا تعتبر نفسك مسؤولاً عن حمايته وحفظه بدرجة معيّنة، وإنّما أنت مسؤولٌ فقط عن عدم التعرّض له بإتلاف أو غصب أو نحو ذلك، ولكنّك حينما تؤتمن على ذلك المال،

حينما يسلّم إليك ذلك المال لكي تحفظه، وحينما تقبل أنت هذا الائتمان، وحينما تعلن أنّك أمين على هذا المال، حين ذلك تجد نفسك مقيّداً، تجد نفسك محدّداً بمقتضيات هذه الأمانة، تجد نفسك مسؤولاً عنه لاضطلاعك بمسؤوليّة هذه الأمانة وقبولك حفظ ذلك المال.

إذا كان هذا هو شأن مال بسيط، فما هو بال أعظم الرسالات رسالة السماء على وجه الأرض؟! هذه الرسالة التي عمل من أجلها مئة وأربعة وعشرون ألف نبي وعمل من أجلها أوصياء هؤلاء الأنبياء وعمل من أجلها سيّد الأنبياء، وضحّى من أجلها سيّد الشهداء، ما بال هذه الرسالة وما هو ثمن أمانتها إذا كان الشخص يريد أن يضطلع بمسؤوليّة هذه الأمانة؟! أليس لهذه الأمانة حرمة تحدّد وتهيمن وتحكم على سلوك الأمين. الإنسان بالخيار في دائرة المباحات إن شاء فعل وإن شاء ترك ما لم يكن أميناً فإن أصبح أميناً تطلّب الموقف منه ما تفرضه عليه الأمانة. وكلّما كانت الأمانة أغلى وكلّما كانت الأمانة أعظم وأوسع نطاقاً وأكثر أهمّيّة وأكبر مسؤوليّة كان الموقف أدعى لأن يتكيّف بموجبها ويتأثّر بحدودها ويتلوّن بظروفها.

إذاً فالمنطق الذي يمثّله الاتّجاه الأوّل لا يمكن أن يكون منطق الداعية المبلّغ الذي نذر نفسه للرسالة، والذي اضطلع بواجبات الأمانة. إنّ القاعدة للسلوك يجب أن تكون هي الطاعة لله في دائرة الواجبات والمحرّمات الصريحة وهي التكيّف وفقاً لمتطلّبات الأمانة الكبرى وحمل الرسالة ومواصلة السير في طريق الشهداء والأنبياء والأوصياء.

هذا ما يقوله أصحاب الاتّجاه الثالث للاتّجاه الأوّل، ولكنّهم في نفس الوقت يعترضون على الاتّجاه الثاني أيضاً فلا يقبلون منه سلبيّة الدنيا، لا يقبلون منه اعتقاده بأنّ الدنيا صفر أو كمّيّة مهملة في حسابهم وفي حياتهم وفي مجال عملهم.

كلاّ! إنّ الدنيا في نظر الداعية المبلّغ سواء كان هذا الداعي المبلّغ نبيّاً أو وصيّاً أو شخصاً سائراً في موكب الأوصياء والأنبياء ومقتفياً آثارهم ومقتدياً بطريقتهم، إنّ الدنيا في نظر هؤلاء هي الحقل الذي يجب أن يمارسوه، يجب أن يحفروه، يجب أن يزرعوه، يجب أن يسقوه، يجب أن يحصدوا زرعهم، يجب أن يقطفوا ثمار زرعهم لأنّ الدنيا هي حقل التبليغ وهي حقل الدعوة.

إنّ الرسالة لم تنزل لتبقى وقفاً على أشخاص معيّنين أو على لحظات معيّنة من المناجاة ومن الانقطاع إلى الله، وإنّما نزلت ليعمّ نورها الأرض كلّها، نزلت الرسالة ليهتدي بنورها أكبر عدد ممكن من البشر وليسير على هداها وعلى نورها هؤلاء البشر. فلكي تحقّق الرسالة أهدافها ولكي تصل إلى أبعادها ولكي تنفذ في مجالها ولكي تنتشر أفكارها ولكي تعمّم أحكامها وثقافتها، هي الثقافة السائدة، الثقافة الواضحة اللائحة العامّة، لكي تحقّق كلّ ذلك أو لكي تكون في طريق التحقيق يجب أن يمارس العمل مع البشر، مع الناس الذين لأجلهم أنزلت هذه الرسالة، يجب ممارسة العمل مع الدنيا مع أهل الدنيا لكي تنتصر الرسالة وتملك زمام الموقف وتسيطر وتدخل إلى قلوب الناس وإلى عقولهم.

من يحمل بيده المصباح ويجد هناك أناساً يعيشون في الظلام ويجد نفسه مسؤولاً عن إنارة الطريق لهم، عن إزالة الظلام عنهم، عن إخراجهم من الظلمات إلى النور، إنّ هذا الشخص الذي بيده المصباح لا يجوز أن يتّخذ منهم موقفاً سلبيّاً فيقول: ما بالي وبالهم أنا في نور وهم في ظلام! كيف أنزل إلى مستوى ظلامهم! لا تتنزّل إلى مستوى ظلامهم وبيدك المصباح لكي ترفعهم إلى مستوى نورك.

إذاً فالعمل على صعيد الدنيا هو عمل الداعية المبلّغ ولكن لا بدافع الدنيا وإنّما بدافع الرسالة وبدافع الأمانة، فكما أنّ مقاييس الاتّجاه الأوّل تتعارض مع الأمانة ومع حفظ الرسالة كذلك سلبيّة الاتّجاه الثاني لا تنسجم مع طبيعة موقف الأمين الذي يريد أن يسير في موكب الأنبياء والأوصياء ويقتفي آثارهم

ويسجّل اسمه في قائمة متّبعيهم.

وهذا معنى ما قلته منذ البداية، أصحاب هذا الاتّجاه الثالث يفتحون عيونهم للدنيا ويفتحون قلوبهم للرسالة والأمانة، وحينما يوزّعون عيونهم وقلوبهم هذا التوزيع يصبحون قادرين على مواصلة العمل عمل الأنبياء والأوصياء.

من هنا وهنا يكمن الخطر، ومن هنا تبدأ المتاعب والمصاعب، ذلك أنّ الإنسان الداعية المبلّغ الذي يمثّل الاتّجاه الثالث قد قضي عليه بمنطق هذا الاتّجاه أن يفتح عينه للدنيا، وهذا معناه أنّه قد قضي عليه أن يواجه الدنيا بكلّ مغرياتها وشهواتها وأن يمارس العمل على صعيد الدنيا بكلّ ما في هذا الصعيد من أخطار وألوان ومتاعب ومشاكل، أي أنّه فرض عليه أن يعيش في المنزلق ولكنّه في نفس الوقت فرض عليه أن ينزلق لأنّ قلبه الموجّه لإرادته هو ملك الرسالة لا ملك الدنيا.

انظروا إلى هذا الموقف الحرج: انظروا إلى موقف شخص قدّر عليه دائماً في خطّ حياته أن يعيش في المنزلق وكلّف بأن لا ينزلق، إنّها المحنة إنّه الامتحان الذي إن نجح فيه المرء كان من الصدّيقين كان من أصحاب محمّد وعليّ عليهما السلام وإن سقط فيه المرء ثبت بذلك أنّه لا يتوفّر فيه الشروط الصحيحة الكاملة لأن يمثّل الخطّ الثالث.

وبودّي أن أوضح هذا الموضوع بشكل أوسع فأقول: إنّ المبلّغ الذي يحمل الرسالة ويريد أن يشقّ لها الطريق في عالم الدنيا، في عالم الناس الذي هو مجال التبليغ، حينما يريد أن يشقّ للرسالة طريقاً يشقّ في نفس الوقت طريقاً لنفسه، وهذا معناه أنّ طريق الرسالة هو طريق الرسول أو طريق القائد أو طريق المبلّغ وطريق الرسالة وطريق حمل هذه الرسالة.

أتّحدث في طبيعة انتصارات الرسالة مع انتصارات الشخص وانتصارات الشخص مع انتصارات الرسالة، التقت إلى حدّ كبير مصالح الشخص مع مصالح الرسالة ومصالح الرسالة مع مصالح الشخص. هذا يعني أنّ عمليّة التبليغ يمتزج فيها قطبان، يمتزج فيها عنصران: عنصر الرسالة وعنصر المبلّغ الذي يحمل أهداف الرسالة ويسعى في سبيل تحقيقها، إذ لا يمكن أن تتّسم عمليّة التبليغ بدون إنسان يسعى لتحقيق تلك الأهداف وإلاّ بقيت الرسالة وحدها معلّقة بدون تبليغ بين الأرض والسماء، كما أنّ المبلّغ بدون رسالة لا يمكن أن يكون مبلّغاً، فعمليّة التبليغ بطبيعتها توحّد بين عنصرين: بين الرسالة والإنسان الذي يضطلع بمسؤوليّات تلك الرسالة أو المجموعة من الناس التي تعيش أهداف تلك الرسالة وتسعى في سبيل تحقيقها. وهذا التوحّد بين هذين العنصرين يقتضي توحّدهما صريحاً وانتصاراً وانكساراً وتوحّدهما تقدّماً وتأخّراً، توحّدهما في المشاكل والمتاعب من ناحية وفي المكاسب والفوائد من ناحية أخرى، توحّدهما في الآلام والآمال، فآمال الداعية هي آمال الرسالة وآلام الداعية هي آلام الرسالة لأنّه يريد أن يشقّ الطريق للرسالة، من يكون بيده مصباح من نور ومن يريد أن يشقّ الطريق بهذا النور ماذا يصنع؟! إنّه في نفس الوقت بصورة أوتوماتيكيّة يشقّ الطريق لنفسه لأنّ المصباح بيده، فطريق المصباح هو طريق صاحب المصباح.

هذا التوحّد بين الرسالة وبين الأشخاص الذين يعملون من أجل هذه الرسالة في الطريق، بالانتصار والانكسار، بالمشاكل والمصاعب والمكاسب والفوائد، هذا التوحّد هو مصدر الخطر، وذلك لأنّ الرسالي الذي يشقّ هذا الطريق يجب عليه أن يبقى دائماً على درجة كبيرة من الإحساس لأنّه يشقّ الطريق للرسالة، وإنّه إنّما يمشي في هذا الطريق لأنّ له بمشيه كلّف هذه الرسالة[1]، لأنّه يحمل بيده

(١) كذا.

المصباح ولو توقّف لتوقّف هذا المصباح، يجب عليه أن يشعر بأنّ هذا الطريق منسوب إليه نسبة حرفيّة ومنسوب إلى الرسالة نسبة اسميّة، يجب عليه أن يشعر بأنّه هو في تحرّكاته وفي مصالحه وفي فوائده وفي خسائره إنّما يحسب الحساب للرسالة لا لنفسه، وهذا الشعور هو الذي قد يتحرّك، هو الذي قد يتأرجح. هذا الذي قد يبدو في بعض الأحيان صعباً على الإنسان ما لم يؤته الله التأييد، ذلك أنّ الإنسان الداعي حيث إنّه بحكم عمله لا بدّ له أن يفكّر في المصالح والمفاسد، هذا الطريق لا بدّ له أن يفكّر تفكيراً إيجابيّاً في الدنيا، لأنّ الدنيا هي مجال عمله. وبهذا قد ينفتح له من هذه الإيجابيّة مشاعر ومشاعر وقد ترد على قلبه انفعالات وانفعالات، وإذا به يخرج عن كونه ذلك الداعية المبلّغ الأمين الحامل للرسالة. قد يختلط عليه في أثناء الطريق المعنى الاسمى بالمعنى الحرفي وقد ينقلب المعنى الحرفي عنه إلى معنى اسمي وقد يتضاءل عنده المعنى الاسمي ويبرز الحرفي، قد يتعوّد عقله على التفكير في منطق المصالح والمفاسد فيتحوّل هذا العقل إلى عقل مصلحي كالعقل الذي يعيشه أصحاب الاتّجاه الأوّل.

انظروا أيّها الأعزّة ما هو قدر المسؤوليّة! وما هو قدر الحرج! ما هو مقدار ما يجب على الداعية أن يثبّت به نفسه لكي يتحصّن ولكي يواصل طريقه بكلّ أمانة ودقّة ووضوح. إنّه في نفس الوقت الذي يفكّر بعقليّة المصالح والمفاسد يجب أن يجعل في نفسه هذه الحقيقة واضحة جليّة في كلّ حين وهو أنّه إنّما يفكّر بهذه العقليّة لحساب الرسالة وإنّما يفكّر بهذا المقياس لا لأنّ هذا المقياس هو مقياس نفسه، بل لأنّه هو مقياس لانتصارات الرسالة وتقدّم الرسالة لا تقدّم ذاته وشخصه.

وهنا قد يشتبه الحساب، هنا يجب على الداعية أن يراجع نفسه بين كلّ حين وحين ويمتحن عمله ويمتحن إقدامه ويمتحن عقليّته ويمتحن اتّجاهه التفكيري في المصالح والمفاسد ليتأكّد في كلّ ساعة وفي كلّ وقت من أنّ اتّجاهه التفكيري في المصالح هو اتّجاه يقوم على أساس حمل الرسالة والأمانة ولا يقوم على أساس الأشخاص ولا يقوم على أساس آخر من الأسس النفعيّة التي يؤمن بها أصحاب الاتّجاه الأوّل ويعملون بها.

ويمكنني أن ألخّص الفروق الرئيسيّة بين الموقف الإيجابي للاتّجاه الثالث وأيّ موقف إيجابي آخر لا يقوم على أساس حمل الرسالة والأمانة في ثلاثة فروق:

هذه الفروق الرئيسيّة الثلاثة هي المأمن الرئيسي وهي الفارق الجوهري بين إيجابيّة الداعية وإيجابيّة غيره، بين إيجابيّة جماعة تؤمن برسالتها وتعمل في سبيل رسالتها وبين إيجابيّة جماعة تؤمن بنفسها وتعمل في سبيل نفسها. هذه الفروق الثلاثة:

١ ـ **نظافة الوسائل:** إنّ شقّ الطريق لا بدّ له من وسائل، تختلف هذه الوسائل باختلاف الظروف والملابسات، وباختلاف مرحلة الطريق التي يراد شقّها، وباختلاف نوع المصاعب والمشاكل التي يواجهها هذا الشخص الذي يريد أن يشقّ الطريق. وكثيراً ما يتّفق أنّ الشخص الذي يريد أن يشقّ الطريق أو الجماعة التي تريد أن تشقّ الطريق تواجه وسائل عديدة، بعضها نظيفة وبعضها غير نظيفة.

وأريد بالنظيف وغير النظيف من الوسائل هنا أنّ بعض هذه الوسائل تتّفق مع روح الرسالة وأهدافها الكبيرة وبعض هذه الوسائل توصل إلى الغرض ولكنّها تعتبر انتكاساً بحسب مقياس الرسالة، تعتبر تراجعاً بحسب مقاييس الأمانة.

افرضوا شخصاً يريد أن يحمي مال غيره: هنا تارةً يحمي هذا المال عن طريق سرقة مال من شخص آخر لينفقه في سبيل حماية هذا المال، هذه الوسيلة وسيلة غير نظيفة لأنّها لا تتّفق مع روح الأمانة وتكشف عن أنّه إنّما يحمي هذه الأمانة لأنّه بذلك يحمي ذاته وإلاّ لو كان يريد أن يحمي الأمانة من حيث إنّها أمانة لما خان في مقام حمل الأمانة، لما سرق مال شخص ليحمي مال شخص آخر.

هذه هي الوسيلة غير النظيفة، لا أريد أن أستعرض لها شواهد وأمثال من خطّنا الحياتي لأنّ الاستعراض هنا لا مبرّر له وإنّما تدرس هذه الوسائل وتطبّق وتعين على خطّ العمل بالتدريج، وأقصد هنا بيان الفكرة.

إذاً الفارق الأوّل الرئيسي بين إيجابيّة هذا المبلِّغ وإيجابيّة غيره هو نظافة الوسائل، التزامه بوسائل لا تتهافت بحسب مضمونها وبحسب روحها مع روح الرسالة والأمانة ولا تتناقض مع طبيعة تلك الرسالة والأمانة.

٢ ـ وهو إلى حدّ ما يرتبط بالفارق الأوّل: الاجتناب مهما أمكن وبقدر الإمكان عن العناوين الثانويّة واستغلال هذه العناوين الثانويّة للخروج بها عن أحكام العناوين الأوّليّة. صحيحُ أنّ العناوين الثانويّة قد تتغيّر وكثيراً ما تغيّر أحكام العناوين الأوّليّة، ولكنّ العمل على صعيد العناوين الثانويّة مظنّة الانزلاق ومظنّة الاستغلال ومظنّة تحوّل العمل من عمل رسالي إلى عمل آخر فردي.

إنّ الداعية يحتاج إلى مبرّرات كبيرة جدّاً لكي يقدم على ارتكاب العناوين الثانويّة. إنّ الداعية يجب أن يقتصر على أقلّ مقدار ممكن من العناوين الثانويّة، وأقصد من العناوين الثانويّة هذه العناوين التي لا يوجد لها مبرّر بما هي هي بحيث إنّها لو خلّيت ونفسها تكون غير جائزة بالشرع، ولكن يوجد لها مبرّر من ناحية فوائدها وما يترتّب عليها من نتائج ومن آثار. هذه العناوين التي تكتسب مبرّراتها من ناحية فوائدها وآثارها. هذه المبرّرات يجب على الداعية أن يتريّث ويصبر ويتوقّف ويتحقّق حتّى يقدم على ارتكاب شيء منها. إنّ هذه العناوين هي مظنّة الانزلاق أيّها الإخوان، ولعلّ هذا الفارق الثاني ينبع من الفارق الأوّل بحسب الحقيقة أو هو تطبيق من تطبيقاته.

٣ ـ الذي يرتبط أيضاً بحسب الحقيقة بالفارقين السابقين هو الفارق في مورد التزاحم إيجابيّة المبلّغ قد تتعرّض للتزاحم بين المصلحة الشخصيّة والمصلحة الرساليّة. نعم؛ صحيح ما قلناه من مصالح الرسالة ومصالح هؤلاء الذين يعملون في سبيلها تتوحّد في كثير من الأحيان، ولكنّها لا تتوحّد دائماً وإلاّ لأصبح كلّ إنسان رساليّاً ورساليّة الرساليّين، عظمة الأنبياء والأوصياء، عظمة هذه المواكب الحاملة للنور منذ خلق الله آدم على وجه الأرض إلى يومنا هذا، عظمة هذا الموكب مستمدّة من هذه المواقف التي كان يتّخذها رجالات هذا الموكب في موارد التزاحم بين مصلحة الرسالة في هذه الموارد ويتبلور ويظهر الفرق بين إيجابيّة الرساليّين وإيجابيّة المصلحيّين النفعيّين.

المصلحيّون النفعيّون الذين عاشوا بعقليّة المصلحة الشخصيّة هؤلاء كثيراً ما ينهارون في مورد التزاحم فيقدمون على مصلحتهم ولو أدّى ذلك إلى فوت المصلحة العامّة للرسالة، ويجدون في العناوين الثانويّة أو غيرها من المبرّرات أو حتّى قد لا يجدون مبرّراً ويقدمون. أمّا هؤلاء الرساليّون السائرون في طريق موكب حملة النور مع الأنبياء والأوصياء والشهداء والصدّيقين، أمّا هؤلاء أيّها الإخوان فإنّهم هم الذين يجب أن يثبتوا في لحظات شخصيّتهم كدعاة، شخصيّتهم كمبلّغين يثبتون ذلك بتقديم الرسالة على ذواتهم، على وجودهم، على مصالحهم، وكيف لا يقدمون؟! ألم يقدم قادة هذا الموكب، قادة موكب النور، ألم يقدّموا الرسالة على حياتهم، على وجودهم، على كلّ ما يمكن أن تصل إليه مطامع الإنسان، ألم تكن الدنيا منفتحة للحسين عليه السلام؟! ألم تكن الدنيا بكلّ ما فيها من متع، بكلّ ما فيها من إغراء، بكلّ ما فيها من جاه، بكلّ ما فيها من مال كانت منفتحة للحسين عليه السلام؟! لم يكن الحسين بحاجة إلى جاه ولم يكن بحاجة إلى مال ولم يكن الحسين بحاجة إلى شيء من المتع إلاّ ويجده بين يديه، ولكنّ هذه الدنيا المنفتحة كلّها كانت صفراً في نظر الحسين عليه السلام لأنّها لم تكن دنيا الداعية وإنّما كانت دنيا المتميّعين والمتسيّبين، والحسين عليه السلام لم يكن متميّعاً ومتسيّباً، وجد الدنيا إلى جانب ووجد الرسالة إلى جانب، فوقف إلى صفّ

الرسالة وحارب حتّى خرّ صريعاً.

إنّ لحظات التزاحم بين الدنيا والرسالة هي اللحظات التي يصعد فيها الداعية أو يهبط، هي اللحظات التي ينجح فيها الداعية أو يسقط. إذاً فهذا هو المائز الثالث الذي يتميّز به الموقف الإيجابي للداعية.

وبحسب الحقيقة، فإنّ هذه الفوارق الثلاثة ترجع بحسب روحها إلى نقطة جوهريّة واحدة. وهذه النقطة الجوهريّة الواحدة هي أنّ الدنيا هي مجال العمل، لا الدافع إلى العمل، هذا هو الفارق بين إيجابيّة الداعية وإيجابيّة غيره وبقدر ما يتوفّر في الجماعة الذين آلوا على أنفسهم أن يسيروا في الاتّجاه الثالث بقدر ما يتوفّر فيهم من الخصائص الروحيّة والشرائط الفكريّة والقابليّات النفسيّة التي تمهّد لهم تحقيق هذه المميّزات الثلاثة والحرص عليها وتشييدها في سلوكهم، في خطّ عملهم، بقدر ما يتوفّر لهم ذلك يتوفّر لهم النجاح والفلاح ورضا الله سبحانه وتعالى والوصول إلى ما لا أذن سمعت ولا عينٌ رأت ولا عرض على خيال بشر.

والوصول إلى الجنّة التي وعد الله بها المتّقين وهذه الأمور الثلاثة أو المميّزات الثلاثة تظهر أكثر فأكثر كلّما شقّ الداعي طريقه أكثر فأكثر ويتعرّض الداعي لها أكثر فأكثر كلّما اتّسع مجاله وكلّما امتدّ ميدانه وكلّما تنوّعت مشاكله وكلّما تعدّدت كما صار هذا أصبح معرّضاً أكثر لكي يثبت قدرته على الاحتفاظ بهذه المميّزات الرئيسيّة الثلاثة.

وما دمنا نحن الآن في أوّل الشوط وفي بداية الخطّ فأرجو منكم وأرجو من نفسي أن نفكّر دائماً وأن نتدبّر دائماً موقفنا، أن نتدبّر أنفسنا وأن نمرّن عقولنا وقلوبنا على هذه الأمور الثلاثة.

من الآن يجب أن نراجع أنفسنا بين كلّ حين وحين لكي نتأكّد من سلامة تفكيرنا ومن سلامة أجهزتنا الروحيّة والعقليّة، من أنّ هذا الدافع الذي نعيشه، هذا الدافع الروحي الذي نعيشه لا يزال متأجّجاً، لا يزال مشعراً في نفوسنا يملأ جوانب وجودنا، لا تزال المسؤوليّة موجودة في أعماقنا لا تزال هذه المسؤوليّة تعيش معنا في كلّ تصرّفاتنا وسلوكنا.

أيّها الإخوان! حينما نفكّر في المصالح والمفاسد يجب أن نرجع إلى أنفسنا بين كلّ حين وحين لنرى أ نّنا بأيّ عقليّة نفكّر وبأيّ دافع نفكّر، وهل أنّنا نفكّر بدافع موقفنا الرسالي أو نفكّر بدافع موقف آخر العياذ بالله.

أيّها الإخوان! يجب علينا أحياناً أن نمتحن أنفسنا ولو بأن نقوم بعمليّة مضادّة لما نفكّر، وذلك لأجل أن نرى أنّنا كيف ولماذا وبأيّ صورة نفكّر؟! أي بتعبير آخر: إنّنا في اللحظة التي نشكّ في أنفسنا، في اللحظة التي يخطر على بالنا أ نّه لعلّ تفكيرنا لم ينبع من واقع المسؤوليّة والرسالة، في لحظة الشكّ، من المستحسن أن نجرّب أنفسنا، أن نمتحن أنفسنا، وذلك بأن نخالف، وذلك بأن نرفع يدنا عمّا آثرنا فى تلك القضيّة أو في هذه القضيّة لكي نرى أنّ تفكيرنا في تلك القضيّة أو في هذه القضيّة، في هذه المسألة، في حلّ هذه المشكلة في التغلّب على هذه الصعوبة، في تحسين هذه المصلحة، في اكتساب هذه الفائدة. إنّ تفكيرنا كان تفكيراً موضوعيّاً، كان تفكيراً رساليّاً، كان تفكير ذلك الشخص الذي يريد أن يسير في موكب الأنبياء والأوصياء والشهداء والصدّيقين ﴿وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً﴾[1].

أنا أقول هذا ولا يعني أ نّني ضعيف الثقة بكم أيّها الأعزّاء، فأنتم والحمد لله قرّة العين، وأنتم والحمد لله أولئك الذين يمكن لإنسان أن يرافقهم في هذا الطريق الطويل الطويل البعيد البعيد، ولكن طويل مع قوّة، طويل مع لذّة، لا طويل مع سأم وملل. إنّ اللذّة التي يجنيها الإنسان من تحقيق انتصارات أهدافه ورسالته

(١) النساء: ٦٩.

وأمانته، إنّ هذه اللذّة أيّها الأعزّاء هي سلوتنا في هذا الطريق الطويل، إنّ هذه اللذّة وحدها هي أعظم اللذّات، هي اللذّة الكبرى التي يجب أن تملأ وجودها والتي يجب أن تهزّ مشاعرنا.

إنّ هذه اللذّة لا يعرف حلاوتها ولا يعرف كنهها إلاّ أولئك الذين ساروا في هذا الطريق إلاّ الذين حملوا الرسالة واتّبعوا طريق الأنبياء واقتفوا أثر الأوصياء، إنّ هذه اللذّة هي سلوتنا، إنّ رضا الله هو غايتنا، إنّ الله معنا ما دمنا معه، فلنكن أمينين في أهدافنا وفي رسالتنا، ولنكن مع الله ليكون الله معنا، والله وليّ التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وقد جاء في كلمته الثانية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حول الأعباء الرساليّة التي لنا شرف التحدّث بها والسير في خطّها والالتفات إلى أهدافها ومتطلّباتها، إنّ هذا السير وهذا الانفتاح لكي يكون سيراً واعياً وانفتاحاً محدّداً بصيراً ذكيّاً يجب أن نطرح بين أيدينا على بساط البحث كلّ المفاهيم التي ترتبط بموقفنا ممّا حولنا وبموقفنا من عملنا وموقفنا من غيرنا، لكي نحدّد خطوط العمل وننقل المفاهيم التي تلتزم مع طبيعة تلك الأعباء الرساليّة وتتّفق مع الوجود وتبعات المبلّغين السائرين بموكب الأنبياء والأوصياء.

وعلى هذا الأساس طرحنا في حديثنا السابق مشكلة الدنيا وموقف الداعية من الدنيا، وذكرنا بإزاء هذه المشكلة اتّجاهات متعارضة بعضها سلبي وبعضها إيجابي منحرف، وحاولنا أن نرسم الموقف الصحيح الذي يتلاءم مع طبيعة الرسالة، وهو الموقف الإيجابي من الدنيا والمستعلي عليها في وقت واحد.

ومواصلةً للخطّ يجب أن نطرح الآن نقطتين مهمّتين أخريين:

إحداهما: حول العلم ومدى ضرورة البحث العلمي للداعية الذي ينهض بأعباء الرسالة.

والنقطة الثانية: حول النظام والتنظيم.

أمّا بالنسبة إلى النقطة الأولى، كثيراً ما يسمع السامعون في النقطة الأولى الحديث عن البحث العلمي وضرورته أو تفاهته، وكثيراً ما يسمع السامعون بالنسبة إلى النقطة الثانية حديثاً عن تنظيم الدراسة للحوزة وأهمّيّته أو عدم جوازه. فلا بدّ لنا أن نتّخذ موقفاً محدّداً واعياً في هاتين النقطتين.

١ ـ أمّا بالنسبة إلى النقطة الأولى فنحن نجد في هذه النقطة كما وجدنا في مسألة الدنيا والتقيّد بمقابلها، نجد هنا كما وجدنا هناك اتّجاهين متناقضين كلّ التناقض يقبل أحدهما على العلم والتعمّق العلمي بوصفه غاية نهائيّة ولا يعني الباحث سواها. ويعرض الاتّجاه الآخر إعراضاً كاملا عن التوغّل في هذا الطريق ويعتبره تساهلاً غير مشروع، لأنّه يصرف الإنسان عن مجالات العمل الحقيقي للإسلام.

يقول أصحاب الاتّجاه الأوّل: إنّ الفقيه عالم بطبيعته وهو مسؤول بصورة رئيسيّة عن القيام بأعباء العمل الإسلامي ومواصلة الخطّ الفكري الذي سار عليه العلم لكي تحتفظ الشريعة بشكلها في كلّ زمان، هذا الفكر الذي يكفل الوصول إلى أحكامها وتعلّم حلالها وحرامها. فطبيعة الفكر العلمي أن ينمو ويُدقّق ويتقنّن ويتعمّق كلّما واصل العلماء البحث وقطعوا شوطاً بعد شوط. وما دام الفقيه يواكب عمله العلمي بكلّ متطلّباته فليس عليه بعد ذلك أن ينظر إلى خارج ميدانه.

وأذكر أنّ هذه القصّة كانت تدور على أمثلة عديدة كمثل رفيع للشخصيّة الفقهيّة المتمسّكة بعملها الأصيل.

---

(١) انظر هذه المحاضرة في كتاب (ومضات، تراث الشهيد الصدر ١٧: ٣٥٥ ـ ٣٧١)، والذي سينشر قريباً بإذن الله تعالى.

القصّة هي أنّ شخصاً كان يدرس القوانين في بلد من بلاد إيران. في يوم من الأيّام جاء تلامذته في الوقت المقرّر فحدّثوه عن أسباب المأساة القاتلة التي تساقط فيها مئات من المؤمنين في مفارز البلد الطيّب خراسان صرعى بأيدي الطغاة في قضيّة خراسان المعروفة، كان الأستاذ يستمع إلى الحديث استماعاً سلبيّاً هادئاً حتّى إذا انتهى التلامذة من حديثهم حول المأساة بادرهم قائلاً: أين انتهينا في البحث عن الحقيقة الشرعيّة؟! دون أن يعلّق ودون أن يواكب هؤلاء التلامذة في انفعالاتهم إلاّ قراءة بحث الحقيقة الشرعيّة في كتاب القوانين.

إنّ الاتّجاه الذي يمثّله هذا الأستاذ في القوانين هو الاتّجاه الأوّل الذي يحاول أن يخصّص الفقيهُ العلم ويجرّده للبحث النظري ويقطع صلته بواقع الحياة الخارجيّة لأنّها خارج نطاق عمله.

وأمّا أصحاب الاتّجاه الثاني فيقولون: إنّ العلم والتوغّل في طريقه السائد والتعمّق في أساليبه ليس إلاّ لوناً من ألوان الترف الفكري والتسلية العقليّة في وقت نحن نعيش فيه محنة الوجود الإسلامي الذي تعصف به تيّارات الحضارات الكافرة من كلّ صوب وحدب، إنّ الأمّة مريضة وهي بحاجة إلى إسعاف لا إلى تفلسف، وأيّ إنسان عاقل إذا أحسّ بخطورة في مرض الشخص الذي ينتمي إليه ويتفاعل معه فإنّه سوف يبادر إلى أساليب الإسعاف العمليّة فوراً ولا يتشاغل بدلاً عن ذلك في حلّ ألغاز كتاب الشفاء أو القانون للشيخ الرئيس أبو علي سينا في الفلسفة أو الطبّ.

هذان الاتّجاهان كلاهما [منحرف] وكلاهما خطأ، لأنّ أحدهما يركّز على النظريّة ويهمل التطبيق رأساً، والآخر يحاول ممارسة التطبيق بدون مشعل، بدون النظريّة التي تنير الطريق. إنّ النظريّة بدون تطبيق هي العلم بلا عمل الذي يشبه في الروايات بالشجر بلا ثمر. والتطبيق الأعمى بدون نظريّة محدودة واضحة مدروسة في أبعادها الفكريّة وفي أعماقها هو الذي يمارسه عادةً الهمج الرعاع الذين ينعقون مع كلّ ناعق.

إنّنا بحاجة إلى التوغّل بالبحث العلمي ولكن لا على حساب الواقع وبالابتعاد عن مشاكل الإسلام وآلام الأمّة وآمالها، لأنّنا دعاة قبل أن نكون علماء ونحن علماء في صفّ الدعوة كما كان الأنبياء والأوصياء، ونحن بحاجة إلى النظر إلى الواقع وحماية الإسلام في خضمّ هذا المعترك الذي تعيشه الأمّة ولكن لا على حساب العلم وبإلغاء التوسّع في البحث والتعمّق في العمل الشخصي. إنّنا أصحاب نظريّة ولسنا أشخاصاً عمياويّين نريد أن نمارس عملاً غير قائم على أساس من رصيد، نحن لا نمارس أيّها الإخوة قوانين روائيّة مجمّدة، بل نمارس نظريّة للحياة، فيجب أن نكون على صلة وثيقة بالحياة وأن لا ننشئ لأنفسنا عزلة عن العالم الذي نعيشه لكي ينير لنا الجوّ الخالص الفكري ونحن على صعيد الحياة لا نمارس عملاً غوغائيّاً، بل نحاول تغيير أوضاع الأمّة وإنارة العالم بنور الإسلام، وهذا ما يجعلنا أحوج ما نكون إلى تفتّح جدّي واستيعاب علمي عميق.

إنّنا لا نقرّ بأستاذ القوانين المتقدّم الذكر على تلك الانفصاليّة عن مشاكل الأمّة وأوضاع الإسلام لأنّ هذه الانفصاليّة تجرّد العمل الفكري من إطاره الإسلامي وصلته بالحياة وتجعله مجرّد نظريّات محنّطة وهواية فكريّة. إنّ هذه الانفصاليّة تجعلنا نسير في خطّ المختلسين للعلم لا في موقف الأنبياء والأوصياء، فإنّ الأنبياء والأوصياء الذين كانوا بموكب السماء على وجه الأرض على مرّ الزمن لم يكونوا مختلسين للعلم ولم يجيئوا ويبعثوا مدلّسين في جوامع فكريّة منقطعة، وإنّما جاؤوا هداة موجّهين للحياة الإنسانيّة وناشرين للنور والهدى والفكر الحيّ في أرجاء العالم، فلكي نسير في هذا الموكب ونكسب شرف الانتماء إليه يجب أن نكتسب منهم نفس النظرة إلى العالم ونخترع أهدافاً كبيرة وأن نحسّ في أعماقنا أنّنا دعاة قبل كلّ شيء، وأنّنا علماء لأنّ الدعوة تتطلّب منّا أن نكون علماء.

أمّا كيف تتطلّب منّا الدعوة أن نكون علماء وكيف تفرض علينا التوغّل في البحث العلمي؟ فهذا ما

نختلف فيه عن أصحاب الاتّجاه الثاني بأنّنا نرى أنّ العلم والتوغّل فيه إلى أبعد مدى ضرورة من ضروراتنا في طريق أهدافنا الكبرى.

ولنأخذ المثال نفسه ذاك المثال الذي يوجّهه أصحاب الاتّجاه الثاني ويقولون: إذا فرضنا شخصاً مني بمريض فهل يحاول أن يسعفه فوراً، أو يحاول أن يتشاغل عن إسعافه في التفلسف في كتاب القانون؟! نقول: في هذا المثال ذاته ماذا يصنع هذا الشخص الذي مني بمريض لو لم يكن يملك النظريّة الواضحة المحدّدة لشفاء مرض المريض؟! أليس الإسعاف يقوم على أساس نظريّة علميّة في الطبّ أو هو عمل عمياوي يمارسه الإنسان بدون هدى أو بصيرة؟! أليس من المنطقي والمعقول أن يبدأ هذا الشخص بتحويل نظريّة يقوم على أساسها الإسعاف؟! وليس معنى هذا أن [يُقعد] هذا المريض حتّى ينتهي بحثه العلمي بالنظريّة، بل أن يتخطّى المراحل العلميّة النظريّة، وإلى جانب ذلك يستخدم كلّ جزء وصل إليه من تلك النظريّة في مجال الإسعاف وإنقاذ المريض، فخطّ الإسعاف هنا يكون مواكباً لخطّ البحث عن النظريّة واقتناصها، فهو في وقت واحد يمارس العمل النظري العلمي، وينزل بمكاسب هذا العمل العلمي النظري إلى مستوى التطبيق، إلى مستوى التجربة، إلى مستوى الحياة فيحاول أن يستفيد ممّا كسبه نظريّاً في تمريض وتطبيب هذا الإنسان الذي بين يديه.

ومن ناحية أخرى ماذا يصنع هذا الإنسان لو كان لا يمكن أن يمتلك الصفة الشرعيّة التي تخوّله أن يسعف هذا المريض بدون أن يمرّ في خطّ البحث النظري، ويستوعب في هذا الخطّ المضمون العلمي للنظريّة؟ أليس من اللازم والحالة هذه أن يكتسب [المعلومات] التي تؤهّله أن يقوم بالإسعاف والتمريض. وهذه النقطة تبرز البحث النظري، تبرز الأهمّيّة في البحث النظري كأداة وكوسيلة لاكتساب الصفة الشرعيّة في مجال الإسعاف، بينما النقطة الأولى تبرز أهمّيّة البحث النظري بالذات بوصفه القاعدة الفكريّة الحقيقيّة التي يقوم على أساسها الإسعاف، كلّ هذا يمكننا أن ننقله من هذا المجال الضيّق إلى المثال الضخم إلى الأمّة بالذات.

إنّ الأمّة مريضة، وهذا ما لا شكّ فيه، فإنّ اليوم قد نفذ سمّ الحضارات الكافرة إلى كلّ أجوائها الفكريّة والروحيّة والاجتماعيّة والسياسيّة إلى كلّ كيانها أفراداً وجماعات، والمسؤوليّة الكبرى التي تقع على عاتقنا هي أن نواكب عمل الأنبياء والأوصياء في انتشال هذه الأمّة من جاهليّات الإنسان الغربي، إنسان هذا العالم الحديث المنحرف عن الله وإرجاعها إلى خطّ الإسلام، إرجاعها بأبصارها وبأرواحها وبأفرادها بجماعاتها بل بكلّ مناحي وجودها وشعب حياتها، هذه هي الأمنية الكبرى تجاه هذا المريض العزيز الذي نحاول إسعافه، وهذه المسؤوليّة الكبرى تتطلّب منّا أن ندخل في نفس الوقت في البحث النظري، وذلك لأمرين:

الأوّل: هو أنّنا لا نشكّ في أنّ الشريعة الإسلاميّة هي أعظم رسالات السماء وأقواها وأوسعها وهي وحدها دون غيرها من الرسالات السماويّة أو الأرضيّة قادرة الآن وسوف تبقى قادرة على حلّ جميع مشاكل الإنسان على وجه الأرض وملء كلّ الفراغات في حياته بأفضل ما يمكن أن تملأ به وتوفير الحدّ الأعلى من السعادة له في حياته الخاصّة والعامّة في دنياه وأخراه، هذا ممّا لا شكّ فيه.

كما أنّنا لا نشكّ في أنّ الحاجة البشريّة إلى الإسلام، إلى هذه الرسالة المنقذة تشتدّ يوماً بعد يوم لأنّ العالم سائر في طريق الهاوية وفقاً لخطّ الانحراف الذي رسم له من قبل صانعي هذه الحضارات البشريّة المزيّفة. وهو كلّ ما اقترب من الهاوية [أحسّ بحاجة] إلى المنقذ، أحسّ بضرورة الحصول على رسالة ترفعه إلى أعلى بدلاً عن هذه الرسالات التي تنزل به إلى أسفل وتأخذ به إلى الحضيض.

إذاً، فالإسلام كشريعة وكرسالة هو شيء مخطّط محدّد قادر على ملء كلّ الفراغات والعالم ممتحنة

بحضارات مزيّفة يلتفت يمنة ويسرة ليحصل على هذا المنقذ. ولكنّ حماة همزة الوصل التي يجب أن تتوفّر بين الإسلام والعالم لكي تكسب النظر العالمي وتكسب نظر الأمّة الإسلاميّة بالذات إلى رسالتها الكبرى.

وهذه الهمزة غير متوفرة حتّى الآن توفّراً كاملاً، وعدم توفّرها يعني أنّ الإسلام كشريعة سوف يبقى على الرفّ بكلّ اختباراته وطاقاته وإمكاناته الهائلة، وأنّ العالم مريض منحدر إلى الهاوية سوف يبقى ينحدر وهو يلتفت، ولا يجد من ينقذه وأنّ الأمّة الإسلاميّة جزء من هذا العالم المنحدر وستظلّ تواكب هذا الانحدار دون أن تجد من الإسلام الخيط الذي يمكنها أن تتمسّك به لينتهي بها إليه، إنّ هذا الخيط إنّ همزة الوصل بين الإسلام والعالم، أو بين الإسلام والأمّة هو الواجهة العلميّة للإسلام، هي المرآة التي تعكس الإسلام للأمّة، ما هي هذه المرآة التي تعكس الإسلام؟! هي الفقه، في الفقه تقّرر أحكام الإسلام، في الفقه تحدّد مفاهيم الإسلام، في الفقه تتبسّط في استيعابه وشموله ومواقفه تجاه مختلف المشاكل والقضايا التي تمتدّ إليها حياة الإنسان، فالفقه بوصفه عملاً علميّاً هو المرآة، هو الواجهة، هو المعرّف، هو المظهر الخارجي الحسّي الذي يعيش حتّى اليوم والذي تنعكس فيه الشريعة بأحكامها ومفاهيمها وقوانينها، فالفقه إذن هو همزة الوصل، وعلى دقّة التعريف وشموله في هذا العرف وعلى المرآة يتوفّر مدى انعكاس الإسلام وبالتالي مدى وضوحه كرسالة منقذة قادرة على استيعاب كلّ مناحي حياة الإنسان وتقديم الحلول لهذه المشاكل التي تضجّ بها الأمّة خاصّة والبشريّة عامّة، والفقه هنا كما تعلمون تطوّر من حيث الكيف ولم يتطوّر من حيث الكمّ، تطوّر من حيث الكيف لأنّ أساليبه في الاستنباط تعمّقت وطرائقه في التفكير دقّت، وأصبح العمق العلمي به أبّهة كبيرة، إلاّ أ نّه لم يتطوّر كمّيّاً لأنّ الفقه لا يزال يبحث ويتناول نفس المنطقة المحدّدة التي تناولها الفقه منذ ألف سنة أو منذ مئات السنين لا يزال الفقه يعالج تلك الحدود المغلقة لمشاكل الإنسان، لا يزال الفقه ينظر إلى العالم بمرآة ما قبل مئات السنين ثمّ يعالج هذا العالم.

نستطيع أن نقول: إنّ التطوّر في الفقه عمودي، وليس أفقيّاً، كيفيّاً وليس كمّيّاً، أي أنّه تعمّق عموديّاً ولم يتوسّع أفقيّاً، وما لم يتوسّع كمّيّاً ولم ينبثق أفقيّاً لا يستطيع أن يبرز الرسالة الإسلاميّة بكلّ شمولها وخصائصها وغناها وقدرتها وإمكاناتها على حلّ مشاكل اليوم، لا يستطيع أن يبرز الإسلام في الصورة التي تجلب انتباه الأمّة، هذه الأمّة السكرانة بحضارات الكفّار المستعمرين، هذه الأمّة [المغزوّة] بالأفكار الجاهليّة التي غزتها من كلّ صوب وحدب. إنّ هذه الأمّة السكرى النشوى بهذه الأفكار الجاهليّة تحتاج إلى قوّة الجذب، وقوّة الجذب تتوقّف على أن تعطى الرسالة في الفقه الإسلامي بصورتها المستوعبة الشاملة القادرة المحيطة.

إذن فمن ضرورات موقفنا الإسلامي ومن ضرورات أهدافنا الكبرى تحويل التطوّر الكيفي إلى تطوّر كمّي، ولا أقصد من التحويل أن نستغني عن تلك التطوّرات الكيفيّة بل أن نأخذ تلك التطوّرات الكيفيّة ونستعين بها في سبيل تحديد كمّي وتوسيع عرضي أفقي لكي تجيء الصورة في الفقه مطابقة للرسالة، وهذه العمليّة ليست بالعمليّة الهيّنة. قد يتصوّر بعض الناس أنّ هذه العمليّة لا تحتاج إلاّ إلى شخص يستطيع أن يستوعب ما قاله الفقهاء بكتبهم الصفراء المطبوعة بالطبعة الحجريّة ثمّ ينقل أقوالهم إلى لغة حديثة يطبعها على ورق أبيض في المطابع الحديثة.

إنّ القصّة ليست بهذه البساطة والسذاجة أيّها الإخوان، وإن تصوّرها كذلك كثير من البسطاء والساذجين، إنّ ما نشعر بالحاجة إليه وبضرورته بالفقه الإسلامي ليس هو فقط أن نغيّر من لغة التعبير، أو أن نغيّر من الورق الذي نطبعه عليه أو أن نستبدل المطابع الحجريّة بمطابع الحروف، بل لا بدّ من إحداث وتطوير في البناء الفقهي نفسه، لا بدّ من اتّخاذ عمليّة تطوير في البناء الفقهي نفسه، لا بدّ من توسيع فقهي في هذا البناء. هذا الانكماش بالأبعاد الفقهيّة لا بدّ من القضاء عليه، لا بدّ وأن تعطي الإسلام

في الفقه صورة، هذه الصورة تكون على مستوى العالم الحديث. ولا أقصد أ نّها على مستوى العالم الحديث من أنّها على مستوى اللغة والتعبير أو في الطبع على الورق الأبيض أو بمطابع الحروف، بل أقصد بذلك أنّها على مستوى حاجات هذا العالم على مستوى ما يتطلّبه حلّ مشاكل هذا العالم، على مستوى القضايا الكثيرة المطروحة أمام الإنسانيّة اليوم والتي عالجتها المذاهب البشريّة الفاسدة بعلاجات مختلفة متناقضة.

أتعلمون كم كان صعباً وكم أحسست بالصعوبة حينما حاولت أن أستخلص النظام الاقتصادي في الإسلام من الفقه الإسلامي. حينما بدأت هذه المحاولة رأيت أنّ الفقه الإسلامي بحاجة إلى عمليّة توسيع أفقي، وأمّا الفراغات الكثيرة الكثيرة التي تركها الفقهاء بسبب اتّباعهم النهج المحدّد الموروث الذي لا يزيد ولا ينقص تلك الفراغات التي تركوها بسبب اتّباعهم منهجاً تقليديّاً محدّداً، هذه الفراغات لا بدّ أن تملأ فقهيّاً، وملؤها فقهيّاً عمل صعب عسير جدّاً لأنّها مناطق جديدة يجب أن تغذّى بالفكر الفقهي، لأنّها أراض بكر لم يحاول ولم يمارس قبل الآن، أراض يدخلها الباحث الفقهي ويكتشفها لأوّل مرّة، وهذا يزيد من الصعوبة والخطورة ويجعل من صرف ممارسة هذا العمل وجود ذهنيّة فقهيّة في درجة عالية من الدقّة، أو أنّ الشخص أو الأشخاص الذين يستطيعون أن يقوموا بالتوسيع الأفقي للعمل الفقهي هم أولئك الذين بلغوا الذروة في التطوّر الفكري بلغوا الذروة بالامتداد العمودي. هؤلاء الذين بلغوا الذروة في التطوّر الفكري في الامتداد العمودي الفكري هؤلاء هم الذين يمكنهم على مرّ الزمن أن يطوّروا، أن يوسّعوا أفقيّاً، وتكون التوسعة أفقيّاً بنفس الدرجة من العمق والدقّة تتمتّع بنفس الضمانات التي تمتّع بها الفقه في حدوده التقليديّة.

لو كنتم أ يّها الإخوة تقرأون ما يكتبه الكتّاب المصريّون الذين يحاولون أن يدخلوا في معركة حماية الإسلام والدفاع عنه أو تعريفه للعالم دون أن يتوغّلوا في النظريّة، لو كنتم تقرأون نماذج ممّا يكتبون عن محاولاتهم بالتوسيع الأفقي للفقه، التوسيع الكمّي للفقه لشعرتم بالهزالة لشعرتم أنّ هذا مردّه إلى أ نّه لم يتهيّأ لهم من الامتداد العمودي بالعقليّة الفقهيّة ما يجعلهم قادرين على التوسيع الأفقي في هذه العقليّة.

والأمر الثاني يحتّم علينا في موقفنا الإسلامي أن نتمسّك بمبدأ ضرورة البحث والتوغّل على الصعيد الفقهي إلى أبعد مدىً ممكن. هذا الأمر الثاني هو أن نكتسب عن طريق هذا التوغّل والتعمّق في البحث الفقهي، الطرق الشرعيّة لتمثيل الرسالة التي ندعو إليها ونريد أن نمارس توعية كاملة على أساسها. وهنا ننظر إلى البحث الفقهي بوصفه أداة لاكتساب قوّة اجتماعيّة قادرة على أن تنزل إلى معترك التوعية وتشارك في تحقيق الأهداف الكبرى. فالأمّة لا تزال تدين في بنائها الديني والروحي وتحثّها إليها[1] بالتبعيّة للحوزة التي تعتبر هي الوريث الشرعي لهذا الفقه الذي نحن بصدده.

فالحوزة هي واجهة الإسلام في نظر الأمّة وهي المعبّر الشرعي عن هذا الإسلام وأحكامه ومفاهيمه وحلوله لمشاكل الحياة، وهذه النظرة من الأمّة إلى الحوزة ليست أمراً تلقائيّاً أو مدسوساً أو مصطنعاً، وإنّما هي جزء من التخطيط الواعي الذي وضعه سيّدنا صاحب العصر عليه السلام حينما أنهى عهد النيابة الخاصّة واستبدل ذلك بالنيابة العامّة وكان معنى الاستبدال بالنيابة العامّة جعل الطليعة الواعية المتفاعلة مع الإسلام فكريّاً وروحيّاً وعاطفيّاً جعل هذه الطليعة الواعية العاملة العادلة هي المسؤولة عن حماية الرسالة، وهي المؤتمنة على هذه الأمانة الغالية التي اضطرّ سيّدنا القائم عليه السلام أن يغادرها إلى غيبة قد تطول.

وهذا أمر طبيعي، فإنّ كلّ رسالة عقائديّة إذا خلا ميدانها من قادتها ومؤسّسيها أصبحت بذمّة الواعين

---

(١) غير واضح لنا.

من أبنائها، والواعون في عرف هذا التخطيط هم أولئك الفاهمون بأحوال الإسلام المستوعبون لمصادره، القادرون على الرجوع إليها لتأصيل الأصول وتفريع الفروع مع إخلاص شديد وورع وتقوى. هذه الطليعة اتّخذت مركز المسؤوليّة ومستوى القيادة وأصبحت هي الأمينة على هذا الصراط الغالي منذ انتهى عهد النيابة الخاصّة وخلا الميدان من القائد المباشر. وهذا التخطيط الذي طبّق منذ انتهت السفارة الخاصّة هو الذي أنشأ هذه الذهنيّة وهذا الارتكاز الذي تعيشه الأمّة خلال هذه القرون.

إنّ الحوزة باعتبارها هي الطليعة التي تضطلع بمسؤوليّات الأمانة والرسالة هي الواجهة وهي المعبّرة وهي التي تملك قيادة هذه الأمّة والتصرّف وفقاً لمتطلّبات الرسالة وحاجات الدعوة الدينيّة.

إذاً وجود هذا الارتكاز خيّر وناتج عن تخطيط خيّر أصيل من قبل القائد عليه السلام، هذا الارتكاز يجعلنا نواجه أمراً مرحليّاً وهو أنّ للحوزة تأثيراً كبيراً في مجال التوعية، أنّ هذا الامتثال الصارم الناتج عن التخطيط الصالح يعطي للحوزة أهميّة كبرى في توجيه الأمّة على الصعيد الإسلامي ويعطيها الصفة الشرعيّة الوحيدة، وهذا الواقع يجعل الإنسان غير قادر على أن يعرف الإسلام تعريفاً رساليّاً كاملاً ما لم يكتب أداة الحوزة وما لم يدخل هذا التعريف الرسالي الكامل في إطار الحوزة لن تتمتّع بذلك المنصب القيادي من الناحية الدينيّة والإسلاميّة.

وإنّي قد استحضرت الآن هذه القصّة في أيّام معركة التأميم في إيران حينما كان هناك صراع بين الحكومة الإيرانيّة وأنصارها في الداخل من ناحية وبين شركة النفط الإنجليزيّة التي كانت تملك حقّ الاستثمار، سمعت في ذلك الوقت أنّه استفتي أحد المراجع الكبار في هذه القصّة عن جهة هذا النفط العسيرة وموقف الإسلام منها فكتب في الجواب: إنّي لا أعرف شيئاً من مثل هذا الموضوع إلاّ أنّ المعدن عليه الخمس والنفط معدن.

انظروا إلى هذا الموقف! وهذا الموقف المتهرّب حينما يصدر من الجهة التي تضطلع بمسؤوليّة القيادة، والتعبير عن الإسلام ماذا ترون؟ وماذا تعطي من مفهوم عن هذه الرسالة وعن أبعادها وعن امتدادها وعن صمودها.

من هنا نعرف أنّ المفهوم المعطى من الحوزة عن الإسلام هو القوّة التي تتغلغل في الأمّة وهي الخطط الشرعيّة للإسلام في نظر الأمّة، فلكي يعطى المفهوم الرسالي الشامل الصحيح عن الإسلام يجب التوصّل عن طريق الحوزة لإعطاء هذا المفهوم وتعميمه ومدّه بالصفة الشرعيّة المعقولة. ولكي تكون الحوزة على مستوى عطاء هذا المفهوم وعلى مستوى الدعاية له وتنبيه العمل في سبيله بشكل واع لا بدّ من توعية هذه الحوزة والعمل في سبيل إنشائها إنشاءً واعياً شاعراً بالأهداف والمسؤوليّة والملابسات والظروف، وهذا كلّه ما لا يتأتّى بالطليعة الصالحة بالحوزة، ما لم تدخل إلى العمل من أبوابه الطبيعيّة، ما لم تدخل إلى العمل من هذه الأبواب وتكسب القدرة من داخل الحوزة على إنشاء الحوزة إنشاءً يتطلّبه هذا الواقع وتتطلّبه حاجة الرسالة إلى حوزة واعية تعطي مفهوم الرساليّة للإسلام مرّةً أخرى.

أريد أن أقول: سمعت أنّ شخصاً من كبار المساهمين في معركة التأميم في إيران عندما صمّم أن يدخل هذه المعركة في أن يستشير الإسلام في ذلك لأنّه على قدر كبير من التقوى والورع. أمّا كيف يستشير الإسلام؟! هل يستشير الإسلام بالرجوع إلى مصادره الأساسيّة بالرجوع إلى الكتاب والسنّة، أو بالرجوع إلى الحوزة المعبّرة عن الكتاب والسنّة ؟! لا، فإنّ الحوزة التي كانت تعطي المفهوم المنطلق عن الإسلام لم تكن تعطي في ذهن هذا الرجل ذلك المفهوم الرسالي عن الإسلام لكي يرجع إلى الإسلام بوصفه رسالة شاملة كاملة ويفكّر في هذه الرسالة لتحلّ له هذه المشكلة التي يحاول أن يتبنّاها، وإنّما الطريقة التي استوحاها من عقليّته الدينيّة ومن دعاماته العاطفيّة الناتجة من عدم صلته بالحوزة، الطريقة التي استوحاها

هي أن يستخير، فاستخار الله بالسبحة وقال: إذا طلعت بالفرد فعمله صحيح وإلاّ فهو غير صحيح.

إذاً فلا بدّ لنا أيّها الإخوة، لا بدّ للطليعة الصالحة الواعية الشاعرة بالموقف وملابساته، أن ندخل العمل من أبوابه وأن نحاول عن هذا الطريق توعية الحوزة والارتفاع بها إلى مستوى المسؤوليّة ومستوى العمل بإعطاء المفهوم الرسالي الكامل عن الإسلام، وحينئذ تصبح هذه الواجهة الكبيرة الضخمة واجهة حقيقيّة للإسلام، واجهة للإسلام بمعناه المنطبق، بمعناه الحيّ القادر على بناء هذا العالم، تخرج هذه الواجهة عن كونها واجهة مبنائيّة للإسلام إلى كونها واجهة للإسلام ككلّ، للإسلام الذي يملأ حياة المجتمع وحياة الجماعة بالخير والسعادة. وهكذا ننتهي إلى أنّ هناك صلة وثيقة بين التوغّل بالبحث الفقهي بوصفه مقصداً أو أداة لقوّة اجتماعيّة كبيرة وبين عمليّة التوعية في داخل الحوزة.

أنتم أيّها الإخوة لا تستطيعون أن توعّوا وأن توضّحوا وأن تهيمنوا روحيّاً على هذا الطالب وتنقلوه من مستوى مفهومه إلى مستوى المفهوم الأوسع عن الإسلام ما لم تنفذوا إلى عقله، إلى أعماق فكره، إلى روحه عن طريق القيم القائمة التي هي في هذه الحوزة، والقيم القائمة هي التوغّل في البحث الفقهي، بمواكبة الخطّ العمودي في الفقه، هكذا تبرز على هذا الضوء أنّ المسألة الفقهيّة، مسألة البحث الفقهي مرتبطة بالأهداف، مرتبطة بمصير المعركة في سبيل إعطاء المفهوم الصحيح عن الإسلام والتماس الأداة الصالحة للتعبير عن هذا الإسلام.

٢ ـ وهذه النتيجة تنقلنا إلى الحديث عن النظام والتي أشرنا إليها في أوّل الكلام بوصفه الوسيلة المهمّة لتوعية هذه الحوزة.

إنّ الحديث عن النظام والتنظيم في الحوزة كثير، فهناك من يرى أنّ التنظيم في أساليب الحوزة في دراساتها هذا التنظيم الحدّي خروجٌ على العرف المشروع الذي كانت تعيشه الحوزة منذ مئات السنين، وهو لون من ألوان التقليد للآخرين، وعلى هذا الأساس لا يكون له أسس فقهيّة مقبولة.

وهناك من يؤمن بأنّ التنظيم شيء من الضروري للحوزة من الوجهة التدريسيّة وأساليبها وطرائق حياتها وألوان ممارستها لأعمالها العلميّة والتقليديّة.

وبالرغم من أنّ الدعوة إلى التنظيم في الحوزة لا تمتدّ إلى أمد بعيد، بالرغم من ذلك فقد أحرزت تقدّماً كبيراً خلال السنوات القليلة الأخيرة، فبينما استطاع أعداد التنظيم قبل سنين عديدة أن يخوضوا للتنظيم معركة ضارية ضدّ التنظيم لا نجد لهم موقفاً إيجابيّاً شديداً اليوم تجاه الذبذبات التنظيميّة التي تجري هنا وهناك في الحوزات العلميّة في النجف الأشرف وقم.

وأنا أرى من فضول القول أن أتحدّث عن صحّة التنظيم وضروراته بالنسبة إلى الحوزة لعلاقتها بمستقبلها، فإنّ هذا أعتبره أمراً ضروريّاً لا ينبغي تركه، كما أنّي أعتبر أنّ المستوى الفكري الذي أعيشه معكم قد تعدّى مرحلة النزاع حول صحّة ذلك، وإنّما أتيت بموضوع النظام لكي أنبّه على نقطة مهمّة وهذه النقطة هي أنّ دعاة التنظيم في الحوزة وأنصار هذه الفكرة لا ينبغي لهم الغلوّ في التحمّس لهذه الفكرة حتّى تصبح هذه الفكرة عندهم غاية ووسيلة تخرج الفكرة التنظيميّة عن حدودها الصالحة، وتعتبرها الحدّ النهائي، وهذا هو موضع الخطر.

إنّ تنظيم روابط الحوزة ينبغي أن يكون بالشكل الذي يمكّنها من استيعاب معلومات أكثر في وقت أقصر لكي تحصّل ألواناً من المعرفة الداخليّة في رسالتها التبليغيّة. إنّ هذا التنظيم هو في الواقع أداة من الأدوات التي تمكّن الحوزة من الوصول إلى أهدافها [بشكل] أحسن وتجعلها في درجة أحسن على تحقّق أهدافها، ولكنّ هذا التنظيم ليس هو الهدف فقط، ليس هو كلّ شيء، فالحوزة بمجرّد أن تنتظم لا يعتبر كلّ شيء لأنّنا بحاجة إلى أن نحصل إلى جانب التنظيم على درجة من التضحية الدينيّة والتحفّظ على

المكاسب الموجودة وعلى الغاية.

ما فائدة جماعة تنتظم داخليّاً في وسائل معيشتها وطرائق جهادها إلى مجال دعوتها ثمّ لا يحقّقون الأهداف التي يعملون من أجلها ولا يكون لهم ارتباط بأهداف الرسالة كما يجب، ولا يكون لديهم إحساس بالرسالة كما يجب، ولا يكون لديهم شعور بأنّهم يمارسون عملاً في موكب الأنبياء والأوصياء. ما فائدة التنظيم إذا كان المنظّمون يعيشون مصالحهم الفكريّة؟! يعيشون مصالحهم الخاصّة؟! إنّ التنظيم أداة من أدوات عملنا لا غاية. الغاية النوعيّة هي توعية هذه الدعوة الفكريّة والروحيّة بحيث تعي أهدافها ورسالتها ودورها بالحياة التنظيم يساعد على أداء دورها في الحياة، لا أنّه هو الذي يضمن ممارستها بهذا الدور في الحياة.

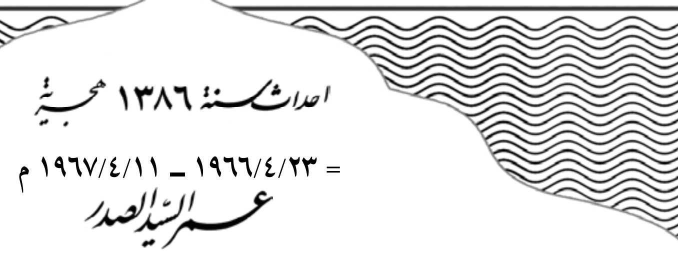
إذاً فنحن لا يجب أن لا نخلط بين أمرين: بين الأداة والغاية بين التنظيم والتوعية، التوعية هي قرين التنظيم. أمّا التنظيم الذي ينفصل عن التوعية فهو أمرٌ لا يحقّق لنا هدفاً ولا يخدم لنا رسالة. وأنا أقصد من هذا الحديث أن تكون المفاهيم من الناحية النظريّة واضحة لدينا، ويجب أن نحرص منذ الآن على أنّ التنظيم في إطار التوعية.

نسأل الله أن يأخذ بيدنا جميعاً لهذه الآمال ويعطينا القدرة على تحقيق هذه الأعمال الصالحة مع القدرة على الإحاطة بخطورة الموقف ونسأله ونبتهل إليه أن يجعل الحقّ أمامنا واضحاً لا لبس فيه ولا إبهام ويجعلنا في خطّ الأنبياء والأوصياء ويجعلنا من خيرة العاملين»[(١) (٢)].

* * *

(١) انظر هذه المحاضرة في كتاب (ومضات، تراث الشهيد الصدر ١٧: ٣٧٢ ـ ٣٨٨)، والذي سينشر قريباً بإذن الله تعالى.

(٢) (ﷺ) ؛ انظر: تراث الشهيد الصدر، ج١٧ (ومضات من فكر الشهيد الصدر).



احداث سنة ١٣٨٦ هجرية

= ١٩٦٦/٤/٢٣ ـ ١٩٦٧/٤/١١ م

عمر السيّد الصدر

٣٢ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣١ سنة وشهر و٢٢ يوماً م

❋ ❋ ❋

خروج مواكب الطلبة

في محرّم من هذا العام (نيسان/١٩٦٦م) قام حزب الدعوة الإسلاميّة بتنظيم مواكب الطلبة التي تخرج بمناسبة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام. وقد امتازت المواكب التي خرجت هذا العام بالتنظيم وبشعاراتها التي رفعتها والتي كانت تطالب فيها بالإسلام[١].

وعام ١٩٦٧م وزّع الشيوعيّون منشوراً حذّروا فيه السلطة من هذه الظاهرة، وكذلك تحدّثت عن هذه الظاهرة صحيفتا (السياسة) و(القبس) الكويتيّتان[٢].

الفهم الاجتماعي للنص في (فقه الإمام الصادق عليه السلام)

في العدد الثالث من مجلّة (رسالة الإسلام)، نشر السيّد الصدر رحمه الله مقالاً تحت عنوان (الفهم الاجتماعي للنص في الإمام [جعفر] الصادق عليه السلام). ويتناول المقال كتاب (فقه الإمام جعفر الصادق عليه السلام) للشيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله[٣].

إعدام سيّد قطب

في ٥/جمادى الأولى/١٣٨٦هـ (١٩٦٦/٨/٢١م) صدر حكم الإعدام بحق سيّد قطب مفكّر (الإخوان المسلمون)[٤].

وقد اتّخذ السيّد محسن الحكيم رحمه الله موقفاً من جمال عبد الناصر أدّى إلى تشنّج الأوضاع بينهما، بعد أن كان عبد الناصر قد ضغط على شيخ الأزهر محمود شلتوت للإفتاء بجواز اعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام بعد وقوف السيّد الحكيم رحمه الله موقفاً صارماً من الشيوعيّة عدوّ عبد الناصر[٥].

وعلى إثر ذلك أقنع السيّد الصدر رحمه الله خاله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله رئيس (جماعة العلماء)

---

(١) مقابلة مع السيّد حسن شبّر ( ) ؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري ( ).

(٢) مقابلة مع السيّد حسن شبّر ( ). ويتوفّر لديّ العدد (١٠٩٧٣) من صحيفة (القبس) الصادر في ٢٠٠٣/١٢/٢٩م في سنتها الثانية والثلاثين، وهذا يعني أنّها صدرت عام ١٩٧٢م، وربّما صدرت صحيفة (السياسة) سنة ١٩٦٨م.

(٣) مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الأولى، العدد الثالث، ١/صفر/١٣٨٦هـ = ١٩٦٦/٣/٢٢م.

(٤) موقع (المجتمع.. مجلّة المسلمين في أنحاء العالم) على شبكة الإنترنت.

(٥) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٣٧ ـ ٢٣٨. ولم يذكر السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله شيئاً عن حقيقة هذا الموقف.

بإرسال برقيّة استنكاريّة إلى جمال عبد الناصر مطالباً بإلغاء الحكم[١]، وقام‌رحمه‌الله بكتابتها بنفسه، وممّا جاء فيها أنّه «**لو لم يكن لهذا العالم إلاّ تفسيره (في ظلال القرآن) لكفى به خصيماً لك عند الله يوم القيامة**»[٢]، إلاّ أنّ النظام المصري أقدم على إعدامه فجر يوم الاثنين ١٣/جمادى الأولى/١٣٨٦هـ (١٩٦٦/٨/٢٩م)[٣].

(الإمام علي نبراسٌ ومتراس)

سنة ١٣٨٥هـ وعبر مجلّة (الأضواء الإسلاميّة) تحت عنوان (نداء إلى أعلام الفكر) وجّه السيّد جواد شبّر دعوةً إلى المؤلّفين والمفكّرين إلى تأليف كتاب عن شخصيّة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب‌عليه‌السلام باللغة العربيّة، [وكانت الفكرة فكرة الحاجّ علي الدخيّل][٤].

وقد وجّهت الدعوة إلى جميع الكتّاب والمؤلّفين، بأيّ دين دانوا وفي أيّة جهة كانوا. وقد تمّ اشتراط عدّة شروط، من قبيل عدم الخروج عن الموضوع، وأن لا يكون الكتاب مطبوعاً أو منشورة فصوله قبل هذا التاريخ، وأن لا يكون ملحمة شعريّة أو قصّة روائيّة أو مترجماً عن لغة أخرى، وأن تقلّ صفحاته عن ٢٠٠ ولا تزيد على ٤٠٠ صفحة بالقطع المتوسّط المألوف.

وقد خصّصت اللجنة المعدّة للاحتفال مبلغ ٤٠٠ دينار عراقي جائزةً أولى و٢٠٠ دينار جائزةً ثانية و١٠٠ دينار جائزةً ثالثة، وأمهلت الكتّاب ستّة أشهر ابتداءً من أوّل شهر ذي القعدة الحرام لسنة ١٣٨٥هـ المصادف ١٩٦٦/٢/٢٠م.

هذا وقد تولّى السيّد جواد شبّر أمانة سرّ هذه اللجنة وتشكّلت لجنة التحكيم من الشيخ مرتضى آل ياسين والسيّد الصدر والسيّد موسى بحر العلوم‌رحمهم‌الله، [وكان الشيخ آل ياسين‌رحمه‌الله يقول: «**إنّ رأيي من رأي السيّد محمّد باقر الصدر**»][٥].

وفي ١٣/رجب/١٣٨٦هـ (١٩٦٦/١٠/٢٣م) أقامت لجنة احتفالات ذكرى ميلاد الإمام علي‌عليه‌السلام في كربلاء احتفالاً ومباراةً لأفضل كتاب حول الإمام علي‌عليه‌السلام[٦]. وقد اشترك في المسابقة مجموعةٌ من الكتّاب المسلمين والمسيحيّين[٧].

وقد تقدّم المتبارون باثني عشر كتاباً، فرشّح السيّد الصدر‌رحمه‌الله كتاب الكاتب المسيحي اللبناني (سليمان كتّاني) الذي حمل عنوان (الإمام علي نبراس ومتراس).

يقول السيّد الصدر‌رحمه‌الله: «**كنتُ حكماً في المباراة التي أجريت حول أفضل كتاب عن الإمام علي‌عليه‌السلام،**

---

(١) مسائل في البناء الفكري: ٣٩ ؛ مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).
(٢) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).
(٣) موقع (المجتمع.. مجلّة المسلمين في أنحاء العالم) على شبكة الانترنت.
(٤) ما بين [] من: خواطر محفوظة بدون سند (المؤلّف).
(٥) ما بين [] من: خواطر محفوظة بدون سند (المؤلّف).
(٦) مجلّة (الأضواء الإسلاميّة)، رقم العدد غير محدّد، (المؤلّف): ١٥٣ ـ ١٥٦ ؛ وانظر: الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٤٢.
(٧) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٤٢.

وقد قدّم الكاتب المسيحي سليمان كتّاني كتابه (الإمام علي نبراسٌ ومتراس)، ومع أنّه في ثلاثمائة صفحة، إلاّ أنّني عندما بدأت بمطالعته لم أتركه حتّى قرأته بأكمله ووجدتُ أنّه جيّدٌ جدّاً»(١).

وقد قدّم السيّد محسن الحكيم‏ موسوعة (التبيان في تفسير القرآن) للشيخ الطوسي‏ هديّة إلى بعض المشتركين في المسابقة(٢).

وقد طبع الكتاب المنتخب في النجف الأشرف سنة ١٣٨٦ ـ ١٩٦٧م(٣).

افتتاح (مكتبة الإمام الحكيم العامّة)

عصر يوم ٢٧/رجب/١٣٨٦هـ (١١/١١/١٩٦٦م) تمّ افتتاح (مكتبة الإمام الحكيم) العامّة المكوّنة من خمسة طوابق، وقد اشتملت المكتبة على ثلاثين أو أربعين ألف كتاب، كما زوّدت بوسائل تأمين الراحة للمطالعين، وبأحدث وسائل التصوير والعرض وقراءة أفلام الكتب. وقد جمع السيّد الحكيم‏ في هذه المكتبة (٥٥٠٠) مخطوطةً، وأرسل وفداً إلى القاهرة لتصوير مخطوطات مكتبة الأزهر وغيرها من المكتبات، كما أرسل لجنةً أخرى إلى دمشق لتصوير وثائق المكتبة الظاهريّة. ثمّ توسّعت المكتبة داخل العراق وخارجها، وقد بلغت فروعها داخل العراق ثلاثةً وسبعين فرعاً، إضافة إلى فروعها في جاكرتا في أندونيسيا (١٠/ربيع الأوّل/١٣٨١هـ) وحمص في سوريا وكرمانشاه في إيران، وجناح في مكتبة المقاصد في بيروت (١٥/شعبان/١٣٨١هـ) وجناح في مكتبة الأزهر في القاهرة، والهند وباكستان وغيرها(٤).

ولكن قيل: إنّ أوّل مكتبة تمّ تأسيسها كانت في مدينة (القاسم) بطلب من السيّد سعيد الخطيب من أجل جمع الشباب وتثقيفهم، فاستجاب لهم السيّد الحكيم‏ وفتحَ المكتبة، ثمّ بدأت فكرة المكتبات(٥). ويُحتمل أن يكون المراد أنّها أوّل مكتبة خارج النجف.

مكتبة الطريحي

ومن باب الحديث عن المكتبات نذكر أنّه لدى تأسيس مكتبة في جامع الطريحي طُلب من السيّد الصدر‏ افتتاحها، فحضر‏ مع طلبته وافتتحها وكتب كلمةً في بداية دفتر التشريفات وتبرّع بمبلغٍ من المال لأجل شراء الكتب، وكان يتفقّدها في كثيرٍ من الأحيان(٦).

كلمة حول (الاتّجاه الشمولي في دراسة حياة الأئمة‏)

في هذا العام ألقى السيّد الصدر‏ بحثاً حول الاتّجاه الشمولي في دراسة حياة الأئمّة‏ بوصفه خطوة لاحقة على دراسة حياتهم دراسة تجزيئيّة مفصّلة ومستوعبة، وذلك في الجلسة الخامسة

---

(١) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري ().
(٢) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٤٢.
(٣) الإمام علي نبراس ومتراس، النجف عام ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.
(٤) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٣٣ ـ ١٣٤.
(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٩.
(٦) مقابلة مع الشيخ منير الطريحي ().

للموسم الثقافي الأوّل لجمعيّة الرابطة الأدبيّة في النجف الأشرف، ونشر لاحقاً تحت عنوان (دور الأئمة عليهم السلام في الحياة الإسلاميّة)(١)، وكانت هذه المحاضرة حلقةً ضمن سلسلة من المحاضرات التي ألقاها السيّد الصدر رحمه الله وصدرت بعد شهادته تحت عنوان (أهل البيت.. تنوّع أدوار ووحدة هدف)، ثمّ (أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة)(٢).

انتقال السيّد محمّد حسين فضل الله إلى لبنان

في هذا العام انتقل السيّد محمّد حسين فضل الله من العراق إلى لبنان، وقد نُقل أنّ السيّد الصدر رحمه الله قال إثر ذلك: «**كلُّ من خرج من النجف خسر النجف إلاّ السيّد فضل الله، فعندما خرج من النجف خسره النجف**»(٣).

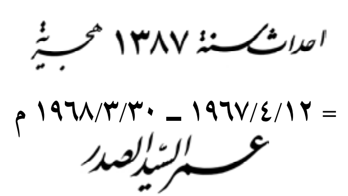
***

---

(١) انظر: مجلّة (الإيمان)، السنة الثالثة، العدد (٣ ـ ٤) ؛ اخترنا لك: ٥٧ ؛ دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة ١: ٤٩٨ ـ ٥٠١ ؛ أهل البيت.. تنوّع أدوار ووحدة هدف: ١٤١ ؛ أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة: ٥٣. والسيّد الصدر رحمه الله هو الذي ألقى البحث المذكور، وقد استمعتُ إليه بصوته رحمه الله، وقد لاحظتُ أنّه يقرؤه بشكل منظّم ويضع له العناوين فاستبعدتُ أن يكون قد ألقاه على طلاّبه في جلسة خاصّة في غير المناسبة المذكورة.

(٢) انظر كذلك أحداث سنة ١٣٩٧هـ.

(٣) المرجعيّة المؤسّسة.. إنجازات وآمال: ٧ ؛ موقع (بيّنات) على شبكة الإنترنت حيث ذكر مرسلاً. وقد ذكر ذلك السيّد فضل الله في موضعٍ آخر حيث جاء: «عندما جئتُ إلى لبنان قال لي كلمة: هناك أشخاصٌ يخسرون النجف وهناك أشخاص تخسرهم النجف» (ذكريات السيّد محمّد حسين فضل الله مع السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر في حديث مع صحيفة صوت العراق: ٤). ويظهر منه أنّ السيّد فضل الله سمع ذلك من السيّد الصدر رحمه الله مباشرةً، إلاّ أنّه ذكر ليً بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م أنّه لم يسمعه من السيّد الصدر رحمه الله لأنّه كان قد خرج من العراق، ولكنّه شاع متواتراً على ألسنة القادمين من العراق منسوباً إلى السيّد الصدر رحمه الله، ولعلّه قال في المصدر السابق: «قال فيّ كلمة..»، فصحّفت إلى «قال لي كلمة»، ولم أقف بعدُ على مصدرٍ رواه عن السيّد الصدر رحمه الله بالمباشرة.



٣٣ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣٢ سنة وشهر و١١ يوماً م

***

ترخيص جامعة الكوفة

إنّ فكرة تأسيس جامعة علميّة في النجف ـ أو في الكوفة ـ هي فكره قديمة كانت تداعب مخيّلات الكثيرين من رجالات الشيعة، خاصّة بعض العلماء والمثقّفين والمفكّرين منهم، وقد سعى الشيخ محمد رضا الشبيبي رحمه الله حينما كان وزيراً للمعارف إلى تأسيس جامعة علميّة في الكوفة، وقد جاهد كثيراً واتّصل بعدد من العلماء والمثقّفين والشخصيّات المعنيّة بالأمر، وقد استجاب له بعضهم. غير أنّ بعض المراجع أبدوا بعض التحفّظات، وكان كلام المرجع هو الفصل، بالإضافة إلى العقبات التي حصلت من الحكومة في وقتها.

ومرّة أخرى حاول السيّد محمّد الحيدري رحمه الله (إمام جامع الخلاّني في بغداد) تأسيس جامعة علميّة ذات هدف ونظام معيّن محاولاً إحياء الفكرة من جديد قبل ثورة عبد الكريم قاسم، فعقد عدّة اجتماعات في قاعة مكتبة الخلاّني وحضرها شخصيّات مرموقة من رجالات الشيعة السياسيّين والمثقّفين أمثال السيّد عبد المهدي المنتفجي والدكتور ضياء جعفر والمحامي صادق البصّام ـ وكانوا كلّهم وزراء ـ وغيرهم من المثقّفين والأطباء والمهندسين والتجّار، وكان الحاج حسين الشاكري أحد الأعضاء المجتمعين، وذلك في سنة ١٩٥٥م.

والمحاولة الثالثة كانت بهمّة الشيخ محمد رضا المظفّر رحمه الله، مؤسّس ورئيس جمعيّة منتدى النشر.

أمّا المحاولة الرابعة، فعندما كان الحاج حسين الشاكري عضواً في جمعيّة منتدى النشر في النجف الأشرف عام ١٩٦٥م، كانت عدّة مشاريع مطروحة أمام أعضاء الهيئة الإداريّة لتوسعة الجمعيّة، ومن ضمنها إحداث وتشييد بناية لكليّة الفقه، وبناية أخرى للثانويّة، وكان المبلغ الموجود في الجمعيّة لا يكفي لسدّ عشر نفقات أحد هذين المشروعين. وكان بودّ الحاج حسين الشاكري وفي قرارة نفسه أن يقوم بخدمة دينيّة لبلده ومسقط رأسه عن طريق الجمعيّة، فاختمرت عنده الفكرة وانتهز الفرصة، فأعلن في إحدى جلسات الجمعيّة عن رغبته في تشييد وبناء أحد المشروعين على حسابه الخاص على إحدى قطعتي الأرض اللتين تملكهما الجمعيّة، فلاقت هذه الرغبة قبولاً واستحساناً من قبل أعضاء هيئة الإدارة، واقترح السيّد محمد تقي الحكيم رحمه الله أن يتعهّد الشاكري بكلفة بناء الكليّة على الأرض الواقعة على الشارع العام عند مدخل النجف الأشرف، فوافق بدوره، واستحسن الأعضاء هذا الاقتراح، ودوّن في سجلّ القرارات.

وسمع المهندس الدكتور محمد مكيّة بالمشروع فاستبشر وأخبر الشاكري ـ بواسطة عضو

الجمعيّة الدكتور محمود المظفّر ـ عن استعداده للمساهمة بوضع التصاميم للكليّة وهندسة الجامع والمكتبة والقيام بتنفيذه على حسابه الخاص. فقصد الحاج الشاكري الدكتور مكيّة بعد يومين بصحبة السيّد محمد تقي الحكيمؒ والدكتور محمود المظفّر لشكره على هذه البادرة الطيّبة ودراسة الخطوط الأوليّة للمباشرة بالعمل، وطلب منهم قبل المباشرة بالخطوط الأوّليّة لوضع التصاميم أن يرى موقع الأرض ميدانيّاً.

وفعلاً بعد أسبوع سافروا من بغداد إلى النجف، وكان في استقبالهم السيّد محمّد تقي الحكيمؒ والدكتور المظفّر. وبعد أن شاهد الدكتور مكيّة المكان، أخذ يحدّثهم عمّـا يخالج فكره ويدغدغ خياله منذ سنين طويلة في تأسيس جامعة علميّة في هذه المنطقة بالذات تحمل اسم (جامعة الكوفة) لتحيي وتعيد تراثهم التليد، واسترسل بالحديث وأخذ يشرح لهم بإسهاب عن مشروع الجامعة والفوائد التي تجنيها هذه المنطقة بصورة خاصّة والفرات الأوسط بصورة عامّة، بالإضافة إلى إحياء التراث وإعادة الأمجاد الإسلاميّة في الكوفة، حتّى كأنّه نسي الشيء الذي جاء من أجله. ولمّـا لمسوا منه الجدّ والإخلاص في حديثه وصدق رغبته واستعداده الكامل لتأسيس مثل هذه الجامعة في هذه المنطقة بالذات، ابتدره السيّد محمّد تقي الحكيمؒ قائلاً: «**لم يفتنا الوقت بعد، فلتكن هذه الجلسة هي أوّل جلسة تأسيسيّة لجامعة الكوفة، ونكون نحن الأربعة كادرها الأوّل، وأن تكون هذه الكليّة هي النواة الأولى للجامعة**».

وفوراً فتح الحاج الشاكري حقيبته اليدوية وأخرج منها ورقة، وحرّروا بعد التوكّل على الله تعالى القرار الأوّل لتأسيس جمعيّة باسم (الجمعيّة التأسيسيّة لجامعة الكوفة)، وفي البند الثاني انتخبوا الدكتور محمّد مكيّة رئيساً، والدكتور محمود المظفّر سكرتيراً، والسيّد محمّد تقي الحكيمؒ والحاج حسين الشاكري عضوين لهذه الجمعية، وختمت الجلسة الأولى، وعادوا إلى بغداد، وكان ذلك في ربيع عام ١٩٦٥م.

وهكذا تمّت فكرة تأسيس جامعة الكوفة، ووضعت لبنتها الأولى في الأساس، وبدأ العمل.

وبعد عقد مجموعة من الجلسات والاجتماعات تمّ تقديم طلب إلى رئاسة الجمهوريّة وإلى رئاسة الوزراء، وكان في حينها عبد الرحمن عارف رئيساً للجمهوريّة، وناجي طالب رئيساً للوزراء. أمّا الأعضاء الموقّعون على الطلب فكانوا ستّة وعشرين عضواً، وقد نشرت جريدة البلد الصادرة في بغداد بعددها (٩٠٧) والمؤرّخ يوم الجمعة ٢٠/ ٥/ ١٩٦٧م (١٦/صفر/١٣٨٧هـ) ملخّصاً عن الجامعة وملحقاتها.

وبعد الحصول على رخصة تشييد الجامعة نزلوا إلى الأسواق وعقدوا الاجتماعات لجمع التبرّعات، وكان أنشطهم في هذا الحقل الدكتور كاظم شبّر. وفي هذه الفترة استأجروا داراً كبيرة في كرادة مريم قرب مقرّ رئاسة الجمهوريّة ـ المجلس الوطني وجعلوها مقرّاً للجمعيّة وللاجتماعات، وانتخبوا عدّة لجان، منها: اللجنة الإداريّة، اللجنة الماليّة، اللجنة الهندسيّة، اللجنة الثقافيّة، اللجنة العلميّة، اللجنة الإعلاميّة، وغيرها من اللجان. وباشرت كلّ لجنة من هذه اللجان أعمالها بكلّ جدٍّ ونشاط في حقل اختصاصها.

وقبل هذا وذاك، وقبل الحصول على الرخصة، تمّ تكليف الأستاذ كاظم الروّاف المحامي ـ وكان وزيراً للعدل في ذلك الحين ـ بوضع النظام الأساسي للجامعة وجمعيّتها، وكان أوّل عمل قاموا به بعد استئجار المقرّ إجراء انتخابات لعضويّة هيئة إدارة الجمعيّة.

وقد جمعت مبالغ طائلة في حينها ممّا دفعهم إلى الاتّجاه نحو الكوفة لشراء الأراضي الواسعة والبساتين العديدة في المنطقة التي قرّروا أن تكون الجامعة فيها، وموقعها من نهر الفرات مروراً بمسجد السهلة حتّى الشارع العام الذي يقع بين الكوفة وبين النجف الأشرف، وقد بلغت المساحة التي اشترتها الجمعية أكثر من خمسين ألف متر مربّع.

وكانت المساحة التي تحتاجها الجامعة غيرَ محدودة، فكلّما اتّسعت المساحة كان ذلك موجباً توسّعَ الجامعة وشعبها، وكان المأمول هو الحصول على مساحة لا تقلّ عن أربعمائة ألف متر مربّع من الأراضي الزراعيّة والبور. وكانت الأراضي التي حصلوا عليها وتمّ استملاكها وشراؤها تفي بالحاجة في ذلك الوقت. وقد تمّ تصميم البوّابة الرئيسيّة على الطريق العام (النجف ـ الكوفة) وكذلك بناية الإدارة والمكتبة وتليها كليّة الزراعة، وبعدها كلية الطب البيطري، وتليها كليّة الهندسة ـ الميكانيك[١].

نكسة حزيران / حرب الأيّام الستّة

في ١٩٦٧/٦/٥م (٢٦/صفر/١٣٨٧هـ) شنّ الكيان الصهيوني حرباً خاطفة على الدول العربيّة تمكّن خلالها من السيطرة على شبه جزيرة سيناء والجولان والضفّة الغربيّة، وأصبحت مساحة الأراضي الخاضعة للسيطرة الإسرائيليّة ٨٩،٣٥٩ كلم٢ بعد أن كانت لا تتجاوز ٢٠،٧٠٠ كلم٢ [٢]، وكان ذلك أيّام جمال عبد الناصر[٣].

موقف النجف الأشرف من نكسة حزيران

أعقاب النكسة قال السيّد الصدر رحمه الله لشخص كان شديد التأثّر بهذا الحدث: «**إنّ اليهود أمّة قزم مهما تجبّروا وتطاولوا.. إنّ عددهم في العالم كلّه أربعة عشر مليوناً فقط**»[٤].

وقد قام رحمه الله بزيارة السيّد الخميني رحمه الله في محاولة منه لحشد الزعماء الدينيّين أمام ما كان يسمّيه «**المعركة الحاسمة ضدّ إسرائيل**»[٥]، وكان يرى أنّ هذه الحرب ضريبة دفعتها الأمّة جزاء تخلّفها عن

---

(١) ذكرياتي ١: ٦٧ ـ ٧٧، مع تقديم وتأخير وتلخيص.

(٢) انظر: موسوعة السياسة ٢: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) رأي السيّد الصدر رحمه الله في (جمال عبد الناصر): يقول رحمه الله: «إنّ عبد الناصر من الأشخاص الذين يمتلكون قدرات قياديّة نادرة، ولكن من تعاسته أنّه وظّف هذه الإمكانيّات القياديّة في أمور بعيدة عن مصلحة المسلمين وفكر المسلمين.. لو أنّ هذا الرجل يستعمل هذه المواهب والطاقات في سبيل الإسلام لأعطى الإسلام والمسلمين دفعاً وزخماً كبيراً إلى الأمام، ولكنّه بدل ذلك راح يلتمس طرقاً أخرى، تارةً شيوعيّة وأخرى اشتراكيّة وثالثة قوميّة». مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

(٤) خواطر محفوظة بدون سند (حفظه الله).

(٥) تجديد الفقه الإسلامي، الجزء الأوّل: ٧٠ ـ ٧١، نقلاً عن أ.طاهري، Khomeiny، باريس، ١٩٨٥: ١٦٣ ؛ وانظر: الإمام الشهيد محمّد باقر الصدر، مراجعة لما كتب عنه باللغة الإنجليزيّة: ٢٩٩.

رسالتها وإسلامها[١].

وبعد وقوع النكسة، دخل عليه الشيخ نجيب سويدان فوجده يبكي على الهزيمة التي فرضها حكّام الدول العربيّة على شعوبهم قبل أن يفرضها العدوّ الإسرائيلي، وقال: «**إنّ الأنظمة الكافرة عطّلت طاقات المسلمين وجمّدت إمكانيّاتهم وسحبت قوّتهم من داخلهم فأصبحوا مجرّد كم، ولذا فلا بدّ من تغيير هذه الأنظمة وإعادة الشعوب الإسلاميّة إلى خطّها الحقيقي ورسالتها التي تستطيع أن تفجّر هذه الإمكانيّات والطاقات التي من شأنها أن تقضي على هذه المرحلة**» التي كان يسمّيها (مرحلة الهزائم)[٢].

وبعد هذه النكسة كان السيّد الصدر رحمه الله يقوم بإلهام ابنته مرام العداء تجاه العدوّ الإسرائيلي، فكان يحدّثها عمّا جرى على الإسلام والمسلمين من اعتداءات[٣].

والحقيقة أنّ علماء النجف وقم لم يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء الأحداث الأخيرة، ففي ٢٨/صفر/١٣٨٧ هـ (١٩٦٧/٦/٧م) أصدر السيّد الخميني رحمه الله بياناً حرّم فيه إقامة أيّة علاقة مع إسرائيل وبيعها النفط. وقد أذاع الراديو العراقي هذا البيان باللغتين العربيّة والفارسيّة بتاريخ ١٣٤٦/٣/١٩ هـ ش (٣٠/صفر/١٣٨٧هـ)[٤].

وقد أرسل عبد الرحمن عارف رسالة إلى السيّد محسن الحكيم رحمه الله يطلب منه فيها إصدار بيان يحثّ المسلمين على تحمّل مسؤوليّاتهم، وقد حمل رسالة عارف إسماعيل مصطفى الذي عادً يحمل رسالة السيّد الحكيم رحمه الله إلى عارف، والتي عبّر فيها عن شديد تألّمه إزاء العدوان الصهيوني ودعا فيها زعماء الدول الإسلاميّة إلى التوحّد مقابل عدوّهم المشترك، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ولدنا المعظّم الفريق عبد الرحمن محمّد عارف رئيس الجمهوريّة العراقيّة المحترم دام توفيقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والدعاء لكم بالسداد والتوفيق لما فيه الخير والصلاح.

وبعد، فقد تسلّمنا رسالتكم الكريمة التي تذكرون فيها الموقف العصيب الذي تواجهه الأمّة الإسلاميّة في قضيّة فلسطين، وما تتعرّض له البلاد من عدوان من قبل أعدائها الذين ناصبوها العداء العقائدي والديني منذ صدر الإسلام، فتألّمنا كثيراً لهذه الحال التي تهدّد المسلمين في وجودهم وكرامتهم، وإنّنا بالوقت الذي نرفع أكفَّ الدعاء إلى الله جلّ جلاله أن يشمل هذه الأمّة الإسلاميّة بلطفه وتأييده، و[يكلّل] مجهود المسلمين وقادتهم بالنصر والعزّة ويردّ كيد المعتدين ويعيد فلسطين إلى موضعها من دار السلام، ندعو حكّام البلاد الإسلاميّة في مختلف أرجاء الأرض وعلى اختلاف لغاتهم وقوميّاتهم باسم المصلحة الإسلاميّة العليا أن يتناسوا جميعاً خلافاتهم ويوحّدوا صفوفهم ويبذلوا كلَّ ما لديهم من إمكانيّات في سبيل كسب الموقف لمصلحة الإسلام والردّ على الاعتداء الصهيوني الصريح، وأن يستعينوا بهذا الغرض بالتوجّه إلى الله جلّ شأنه والإخلاص له وطلب النصر منه، إنّه على نصرهم لقدير.

كما ندعو المسلمين عامّةً إلى المزيد من التمسّك بالإسلام والاهتمام الكامل بتطبيقه والالتزام بمناهجه وتعاليمه التي تكفل للأمّة مجدها وعزّها وانتصارها على أعدائها، والله سبحانه وليُّ المعونة والسداد

---

(١) قبسات من حياة آية الله السيّد محمّد باقر الصدر، حزب الله: ١١.

(٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

(٣) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله).

(٤) نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٣٢٩ ـ ٣٣؛ حديث الانطلاق: ١٢٢.

والتوفيق، وهو حسبُنا ونعم الوكيل، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم
٢٧ صفر ١٣٨٧ هـ»[١].

وقد اغتنم السيّد الحكيم الفرصة لفتح قضيّة السيّد إسماعيل الصدر، وقال له: «**لماذا المسجد معطّل لحدّ الآن؟**»، فبادر إسماعيل مصطفى إلى اصطحاب السيّد إسماعيل الصدر ليلاً لفتح المسجد، وكان الجيش واقفاً يحرس المكان. وبعد افتتاح المسجد تمّ إغلاق الموضوع بالكامل[٢].

وقام السيّد الحكيم باستدعاء مهدي پيراسته سفير إيران لدى العراق، وتحدّث معه حول العدوان الصهيوني، وأبلغه ضرورة تكاتف حكومات وشعوب البلدان الإسلاميّة من أجل إنقاذ البلاد المقدّسة، وأنّ على الحكومة الإيرانيّة بما تملك من مصالح ونفوذ أن تؤكّد بكلّ قواها موضوع إعادة حقوق المسلمين. وقد أظهر السفير الإيراني تجاوباً كبيراً وتسلّم منه رسالةً خاصّةً إلى الحكومة الإيرانيّة بهذا الصدد[٣].

كما أبرق السيّد الخوئي إلى رئيس الوزراء الإيراني أمير عبّاس هويدا يطالبه فيها بقطع علاقات إيران مع الكيان الصهيوني وضرورة مساندة البلدان الإسلاميّة المدافعة عن مقدّسات المسلمين في فلسطين[٤]، وقد جاء في البرقيّة:

«السيّد هويدا رئيس الوزراء المحترم.

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي تتعرّض فيه البلاد الإسلاميّة لهجوم اليهود الغادر، ويحارب أبناء المسلمين العدو الغاشم للدفاع عن بلادهم ونواميسهم، وفي الوقت الذي أعلنت الدول الإسلاميّة عن تضامنها وتأييدها لإخوانهم، فإنّه يجب على الحكومة الإيرانيّة أن تعلن فوراً تأييدها ووقوفها معها لدحر اليهود، ودفع خطرهم عن البلاد الإسلاميّة.

أبو القاسم الموسوي الخوئي
الختم
النجف الأشرف
٢٨ صفر ١٣٨٧ هـ»[٥].

وبعث السيّد عبد الله الشيرازي برقيّة شديدة اللهجة إلى هويدا تتعلّق بالعلاقات الرسميّة المخزية بين إيران وبين الصهاينة، وأعقبها ببيان يشرح فيه واقع القضيّة ويحثّ المسلمين على دعم إخوانهم الذين يقاتلون المعتدين اليهود[٦]. هذا إضافةً إلى موقف السيّد المرعشي النجفي والسيّد

---

(١) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣١٦ ـ ٣١٧ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٩٠ ؛ انظر الرسالة مترجمةً إلى الفارسيّة في: نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٣٣٥ ـ ٣٣٦.

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٧٧.

(٣) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٩٠.

(٤) سنوات الجمر: ٨١ ـ ٨٢.

(٥) لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٦٥.

(٦) سنوات الجمر: ٨١ ـ ٨٢ ؛ وانظر: اسناد انقلاب اسلامى (فارسي) ١: ٣٠٧.

محمّد هادي الميلاني رحمهما الله والسيّد علي البهبهاني [(١)].

وعوداً على موقف السيّد الخوئي رحمه الله، فقد صرّح رحمه الله لوكالات الأنباء بالجهاد وطرد المعتدين الصهاينة من الأراضي الإسلاميّة، وفي ما يلي نصّ التصريح:

«إنّ القضيّة هي قضيّة المسلمين عامّة، بل قضيّة البشريّة بأسرها، لأنّ الخطر اليهودي المستشري بفساده وشروره إنّما يهدّد العالم أجمع، فليست للصهيونيّة رسالة إلاّ الفساد في الأرض والاستعلاء فيها، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾[(٢)]، فمن واجب المسلمين قبل غيرهم تصفية الخطر اليهودي ومكافحة شروره وأخطاره، لأنّ الله قد جعلهم أمّة وسطاً وأناط [بهم] مسؤوليّة قيادة الأمم وهدايتها وإقامة العدل والاستقرار فيها، فكيف بهم وقد استهدف اليهود محاربتهم وقتلهم وتشريدهم واغتصاب أوطانهم وأماكنهم المقدّسة، فإنّه يجب على المسلمين والحال هذه النهوض برسالتهم أكثر من أيّ وقت، وحرمانهم من موارد المسلمين وخيراتهم، وأن يشعروا بخطورة مسؤوليّتهم، وأنّ طريقهم إلى تحقيق ذلك هو وحدة الكلمة والتمسّك بأهداف رسالتهم الإسلاميّة، وهي أمضى سلاح لدحر العدو وإزالة خطره، ليعلم المسلمون أنّ بيت المقدس ـ وهو القبلة الأولى ـ لأهمّ ما يجب عليهم تحريره واسترداده من الأيدي الصهيونيّة الآثمة وتطهيرها من دنسهم وأرجاسهم، وأهيب بالمسلمين الغيارة شعوباً وحكومات وأصرخ فيهم بضرورة الصبر والصمود والتذرّع بكلّ وسائل المقاومة والفداء في هذه المعركة التي يواجهون فيها جميع أعدائهم بكلّ أحابيلهم وأسلحتهم. وليعلم المسلمون أيضاً أنّ الله ينصرهم ويفتح لهم ويظهرهم على أعدائهم اليهود ويطفيء نار حربهم، كما قال الله تعالى في شأنهم: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[(٣)]».

كما أصدر بياناً حثّ فيه المسلمين جميعاً لأخذ موقف حازم موحّد تجاه الصهاينة أعداء الإسلام والإنسانيّة، وهذا نصّ البيان:

«إنّ النكبة التي أصابتنا في صراع المسلمين مع اليهود والقوى الكافرة المتعاونة معهم قد أدمت قلوبنا، وإنّ هذا الحق المغتصب يجب استرداده على أيدي المسلمين بمختلف قوميّاتهم، وأن يكونوا يداً واحدة في ردّ كيد اليهود ودحرهم متمسّكين بقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[(٤)]. كما نوصي حكّام البلاد الإسلاميّة جميعاً بنبذ خلافاتهم، واتّخاذ موقف حازم موّحد تجاه أعداء الإسلام، وليطمئنّ المسلمون العرب إلى إخوانهم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يقفوا جنباً إلى جنب في معركتهم هذه، وعليهم الدفاع عن أنفسهم وكرامتهم، وينبغي أن نجاهد جميعاً بالمال والنفيس للدفاع عن كيان الإسلام والقضاء على إسرائيل الكافرة»[(٥)].

وفي هذا الإطار أيضاً أقام مراجع الدين والحوزة العلميّة في النجف الأشرف المجالس التأبينيّة على أرواح شهداء الحرب، وأقيمت مجالس مشابهة في كربلاء والبصرة ومدن عراقيّة أخرى.

وفي بغداد بادرت (جماعة العلماء) إلى إرسال بيانات الاستنكار إلى المنظّمات والهيئات الدوليّة ومن بينها الأمم المتّحدة، ونداءات الاستغاثة إلى المسلمين لشحذ هممهم واستنهاضهم. وقد أذيعت

---

(١) نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٣٣٩ ـ ٣٤١.

(٢) الإسراء: ٤.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) انظر: لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٦٤ ـ ٦٦.

هذه البيانات من أجهزة الإذاعة والتلفزيون العراقيّة.

وقد هيّأت الأوضاع السائدة الأجواء للمزيد من التفاهم والتقارب الداخلي بين الإسلاميّين، كبعض أطراف المرجعيّات الدينيّة وحزب (الدعوة الإسلاميّة) وجماعة (الإخوان المسلمون) وحزب (التحرير). وأثمر هذا التقارب ولادة أكثر من مشروع يتعلّق في مجال العلاقات الخارجيّة للحركة الإسلاميّة.

وفي هذا الإطار قام وفدٌ إسلاميٌّ عراقيٌّ مشتركٌ بزيارات خاصّة إلى بعض الدول الإسلاميّة خلال شهري تمّوز وآب/١٩٦٧م شملت تركيا وأفغانستان وباكستان والهند وأندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وإيران بهدف شرح أبعاد القضيّة الإسلاميّة الفلسطينيّة، والاجتماع بالزعامات الدينيّة والرسميّة في هذه البلدان، ودراسة الإجراءات اللازمة لمواجهة الخطر الصهيوني.

وقد ضمّ الوفد سبعة أعضاء من السنّة والشيعة يمثّلون الاتّجاهات الإسلاميّة الرئيسيّة في الساحة، وهم المهندس عبد الغني شنداله رئيساً، الشيخ عبد العزيز البدري، الدكتور داوود العطّار، الدكتور عدنان البكّاء، الدكتور صالح السامرّائي، صالح سريّة ومحمّد الآلوسي أعضاءً. وقد بارك السيّد الحكيمﷺ فكرة الوفد ودعم سفره على ما تؤكّده بعض المصادر.

وفي ختام جولاته أصدر الوفد بياناً مفصّلاً في بغداد ضمّنه جملةً من التوصيات والمقترحات التي حالت إرادة الاستكبار وإمكانات الحركة الإسلاميّة المتواضعة دون تنفيذ أو متابعة معظمها[١].

انعقاد المؤتمر الإسلامي في عمّان

بين ١٦ ـ ١٩٦٧/١٠/٢٠م انعقد المؤتمر الإسلامي في عمّان ـ الأردن[٢]، وقد أرسل السيّد محسن الحكيمﷺ نجليه محمّد مهدي ومحمّد باقرﷺ ممثّلين عنه إلى المؤتمر، وقد كتب السيّد مهديﷺ كرّاساً تحت عنوان (**نكسة ٥/حزيران أسبابها ونتائجها**) تمّ توزيعه على المؤتمرين، ثمّ طبع لاحقاً في كتيّب صغير[٣]، كما نشر في مجلّة (رسالة الإسلام)[٤]، وقد وجّه السيّد محسن الحكيمﷺ إلى المؤتمر كلمةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أصحاب الفضيلة رئيس وأعضاء مؤتمر العالم الإسلامي المحترمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنّي إذ أحيّي مؤتمركم الموقّر وأرجو له التوفيق في أداء مهمّته، أحسُّ إحساساً واضحاً بأنّ المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى التفكير العملي في الواقع المرّ الذي تعيشه الأمّة، وإعادة النظر في هذا الواقع بكلّ جوانبه الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة، ومناقشته على ضوء المأساة المروّعة التي أصيب بها المسلمون في هذه الأيّام، والتي لم تكن إلاّ نتيجة لانحرافٍ أساسيٍّ في ذلك الواقع الذي ساهم المسلمون

---

(١) سنوات الجمر: ٨٢ ـ ٨٣. وفي عبد الصاحب دخيّل.. سيرة قائد وتاريخ مرحلة: ٢١٥ أنّ الشهيد عبد الصاحب دخيّلﷺ قام بجولة بين ٦/٢٧ وبين ١٩٦٧/٨/٨م.

(٢) مجلّة رسالة الإسلام، السنة الثانية، العدد الرابع: ٥ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

(٣) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيمﷺ (ﷺ).

(٤) مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الثانية، ١٩٦٧م، العدد الخامس والسادس: ٥٠ وما بعد.

بكلِّ أسفٍ مع أعدائهم المستعمرين في إقامته وترسيخه وفصله عن الله سبحانه، وقطع صلاته برسالته المقدّسة.

وقد وضع الله سبحانه المسلمين جميعاً أمام مسؤوليّات كبيرة في أعقاب هذه المأساة المفجعة، كما وضع الحكّام منهم بصورة خاصّة أمام مسؤوليّات أكبر. وليست هذه المسؤوليّات إلاّ امتحاناً جديداً للأمّة وإرادتها، وللحكّام في العالم الإسلامي ومدى قدرتهم على الارتفاع إلى مستوى القيادة الواعية الحريصة على كرامة الإسلام والمسلمين.

وبحكم تلك المسؤوليّات الفخمة، فإنّ المسلمين جميعاً حكّاماً ومحكومين مدعوّون للتوبة إلى الله سبحانه والرجوع إلى صراطه المستقيم، وبناء حياتهم على أساس تعاليمه وتشريعاته، وتغيير الوضع الاجتماعي للأمّة تغييراً إسلاميّاً شاملاً ليغيّر الله ما بنا ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1]، ويبدّل ذلّنا بعزّ وانكسارنا بنصر وضيعتنا بوجود حقيقيٍّ فعّال.

وإنّ حكّام المسلمين جميعاً مدعوّون بصورة خاصّة إلى مواجهة مسؤوليّاتهم أمام الله والتاريخ والأمّة الإسلاميّة بروحٍ مخلصة وإيمانٍ صامد، وحشد كلِّ قواهم وإمكاناتهم لإعادة الأراضي السليبة إلى دار الإسلام، والعمل بكلّ ما يملكون من حولٍ في سبيل تحرير القدس والمسجد الأقصى الذي أسري إليه رسول الله ﷺ من المسجد الحرام، واستنقاذ أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من أيدي اليهود المجرمين الذي أباحوا حرمة تلك البقعة الطاهرة وداسوا بأقدامهم أرضها التي باركها النبيّ ﷺ في مسراه العظيم.

ولا بدّ للحكّام في العالم الإسلامي أن يعلموا أنّ استنقاذ القدس والأراضي السليبة الأخرى من براثن الأعداء لا يمكن إلاّ باتّخاذ موقف إسلاميٍّ صارمٍ يتمثّل فيه الإصرار الهائل المستميت على تطهير البقعة المقدّسة والأرض الطاهرة من الأعداء الغاصبين، ورفض أيّة محاولة يقوم بها المستعمر الكافر لتمييع الموقف أو تقديم أنصاف الحلول أو استغلال المأساة الراهنة لطرح فكرة التدويل.

ولا بدّ لنا أن نؤكّد هنا كما أكّدنا في مجالات سابقة أنّ قضيّة فلسطين عموماً والقدس خصوصاً هي قضيّة الإسلام مهما حاول البعض أن يضعها في إطار ضيّق أو يفسّرها على أساسٍ آخر، ولهذا فإنّ مسؤوليّات الموقف العظيمة يواجهها المسلمون عموماً وحكّامهم بشكلٍ خاص على اختلاف لغاتهم وقوميّاتهم. وإنّ التاريخ سوف يقيّم والأمّة سوف تحدّد مفهومها عن الحكّام اليوم، العرب منهم وغير العرب، على أساس مواقفهم من المأساة ودرجة الصمود الذي يتحلّون به في معركة تحرير القبلة الأولى للإسلام، وطرد الغاصبين من أرضنا الإسلاميّة الطاهرة.

وختاماً، أسأل المولى سبحانه أن يوفّق الجميع لمراضيه ويأخذ بيدكم لما فيه عزّة الإسلام وخير المسلمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم
١٥ جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ»[2].

احتفالات (جماعة العلماء) بمناسبة المولد النبوي

في ١٧/ربيع الأوّل/١٣٨٧هـ (١٩٦٧/٦/٢٦م) وبمناسبة المولد النبوي الشريف أقامت (جماعة العلماء) حفلاً ضخماً برعاية السيّد محسن الحكيم رحمه الله، وتمّ نقله عبر أجهزة الإذاعة والتلفزيون

---

(١) الرعد: ١١.

(٢) مجلّة رسالة الإسلام، السنة الثانية، العدد الرابع: ٥ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٩٣ ـ ٢٩٥.

وأحاطته وسائل الإعلام المحليّة والإسلاميّة بالاهتمام الكبير، كما أرسل عبد الرحمن عارف ممثّلاً عنه إليه[(١)].

وفي الاحتفال ألقى السيّد مهدي الحكيم؁ كلمةً بالنيابة عن والده السيّد الحكيم؁، وممّا جاء فيها:

«إنّنا بدل أن نقدّم للعالم من واقع حياتنا الحيّ المضمونَ الروحي والأخلاقي والاجتماعي لحضارتنا الإسلاميّة العظيمة النبيلة، اقتبسنا مضموناً حضاريّاً غربيّاً عن تراثنا الروحي ومثلنا الأخلاقيّة وشريعتنا الإسلاميّة.. ومن أجل إعادة البناء الروحي، لا بدّ من وضع حدٍّ لجميع عمليّات التخريب الرخيصة والدعوات الشرّيرة التي يتعرّض لها الكيان للإنسان المسلم منذ أمد بعيد، ولا بدّ من العمل لإدخال مزيد من الإسلام في الحياة اليوميّة عن طريق القضاء والتعليم والصحافة والإذاعة وغير ذلك، ولا بدّ من إتاحة جميع الفرص أمام القيادة الروحيّة لتقوم بهذه المهمّة العظيمة»[(٢)].

ثمّ في ٢٧/رجب/١٣٨٧هـ (١/١١/١٩٦٧م) وبمناسبة المبعث النبوي، أقامت (جماعة العلماء) وبرعاية السيّد الحكيم؁ احتفالاً آخر وتمّ نقله كذلك عبر الوسائل الإعلاميّة وحضره ممثّلٌ عن عارف.

وكان هذان الاحتفالان يشكّلان تهديداً واضحاً لمصالح المستعمرين في العراق نظراً لمدى قوّة الحركة الإسلاميّة التي يعبّران عنها.

وفي أعقاب الحفل الأخير التقى أحد السياسيّين المعروفين بولائهم للإنجليز بسياسيٍّ آخر، والذي نَقَل ما جرى بينهما إلى عدنان سلمان أحد كوادر حزب (الدعوة الإسلاميّة). وخلاصته «**أنّ التيّار الإسلامي أصبح خطراً في العراق وأنّ هذه الجماعة ستُضرب بعنف**». ثمّ قال الناقل لعدنان سلمان: «**إنّ المخابرات البريطانيّة ستضربكم، فقد أصبحتم أقوياء تخوّفون**»[(٣)].

السفير الأمريكي يزور السيّد الحكيم؁

إثر ازدياد خطر الحركة الإسلاميّة قام السفير الأمريكي في بغداد بزيارة السيّد محسن الحكيم؁ الذي فوجئ به في بيته بمعيّة جمع من كبار مسؤولي السفارة.

وفي هذا اللقاء وجّه السفير الأمريكي سؤاله إلى السيّد الحكيم؁ قائلاً: «**ماذا تريدون من الحكومة القائمة؟ ولم تعارضونها؟**» ثمّ أطال السفير في الحديث عن النظام القائم وأراد الخروج بنتيجة يقنع بها السيّد الحكيم؁، فقال: «**هذا الوضع هو أفضل صورة للوضع السياسي في العراق**».

وكان السيّد الحكيم؁ ملتزماً الصمت، إلاّ أنّه عمد إلى رسالته العمليّة (منهاج الصالحين) وسلّمها إلى السفير الأمريكي قائلاً: «**هذا ما نريد..**».

وقد تصوّر المبعوث الأمريكي أنّه وجد ضالّته، إلاّ أنّ بعض مرافقيه قال له بعد خروج الوفد: «**إنّ هذه رسالة فقهيّة.. والمقصود منها المطالبة بتطبيق أحكام الإسلام**»[(٤)].

---

(١) سنوات الجمر: ٩١.
(٢) الإمام الحكيم ومرجعيّة النهضة الحديثة: ٣٦ ـ ٣٧.
(٣) سنوات الجمر: ٩١ ـ ٩٢.
(٤) انظر: سنوات الجمر: ٩٣.

(دور الأئمّة عليهم السلام في الحياة الإسلاميّة)

نشرت مجلّة (الإيمان) غي عددها (٣ ـ ٤) من سنتها الثالثة (١٩٦٧م ـ ١٣٨٧هـ) بحثاً للسيّد الصدر رحمه الله تحت عنوان (دور الأئمّة في الحياة الإسلاميّة)(١)، وكان رحمه الله قد ألقى هذا البحث سنة ١٣٨٦هـ في الجلسة الخامسة للموسم الثقافي الأوّل لجمعيّة الرابطة الأدبيّة في النجف الأشرف(٢).

بحث الدكتور أحمد عبد الستّار الجواري حول (فلسفتنا) في (رسالة الإسلام)

نشرت مجلّة (رسالة الإسلام) في عددها ٣ ـ ٤ من سنتها الثانية بحثاً للدكتور أحمد عبد الستّار الجواري ـ أستاذ النحو في كليّة أصول الدين ـ كان قد نشره في مجلّة (التضامن العراقي) في عددها الثالث من سنتها الأولى الصادر في ١٩٦٠/١٢/٥م(٣).

(الاتّجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد في النجف)

عند الساعة السادسة من يوم الخميس ٣٠/جمادى الثانية/١٣٨٧هـ (١٩٦٧/١٠/٥م) فتحت قاعة المركز العام لجمعيّة الرابطة الأدبيّة ذراعيها لتحتضن الوافدين إليها في الأسبوع الأوّل من موسمها الثقافي الثاني.

وعند الساعة السابعة والربع ابتدأ الاحتفال بتلاوة عطرة لآيات كتاب الله المجيد، ثمّ تقدّم الشيخ محمّد الخاقاني ـ عضو الهيئة الإداريّة وعرّيف الحفل ـ فألقى كلمة مختصرة قدّم على إثرها منهاج الجلسة الأولى المخصّصة للافتتاح.

وقد ابتدأت الجلسة بكلمة للسيّد محمّد بحر العلوم رئيس الجمعيّة تحت عنوان (رسالة جمعيّة الرابطة الأدبيّة) افتتح بها الموسم. ثمّ ألقى السيّد هاشم الهاشمي كلمةً بالنيابة عن والده السيّد محمّد جمال الهاشمي رحمه الله تحت عنوان (رسالة النجف الأشرف). ثمّ ألقى الشاعر الشيخ جعفر الهلالي ـ عضو الهيئة الإداريّة ـ قصيدة بعنوان (تحيّة الموسم).

وبعد ذلك ألقى الشيخ علي كوراني ـ عضو الجمعيّة ـ كلمة الختام، وذلك نيابةً عن أستاذه السيّد الصدر رحمه الله، وذلك تحت عنوان (الاتّجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد في النجف)(٤).

الشيخ علي كوراني وكيلاً إلى الكويت

في هذه الفترة تقريباً أراد السيّد محسن الحكيم رحمه الله إرسال عالم دين إلى الكويت من أجل تولّي جامع النقي الذي كان مقرّراً افتتاحه. وكان السيّد الحكيم رحمه الله قد بنى على تعيين بعض أقاربه [وهو

---

(١) (﴿﴾).

(٢) انظر ضمن أحداث سنة ١٣٨٦هـ عنوان (كلمة حول الاتّجاه الشمولي في دراسة حياة الأئمّة عليهم السلام).

(٣) انظر أحداث سنة ١٣٨٠هـ.

(٤) الموسم الثقافي الثاني لجمعيّة الرابطة الأدبيّة ـ النجف الأشرف، نشرة دوريّة مؤقّتة تلخّص ما يلقى في الموسم الثقافي الثاني، تصدرها جمعيّة الرابطة الأدبيّة في النجف الأشرف، ١٣٨٧/٦/٣٠هـ ١٩٦٧/١٠/٥م: ٢ ؛ وانظر البحث في كتاب (اخترنا لك) ؛ مجلّة الهادي، السنة الثانية، العدد (٣)، ١٣٩٣هـ : ١٧ ؛ مجلّة (الإيمان)، السنة الثالثة، العدد (٧ ـ ١٠)، ١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م ؛ مجلّة (الذكر)، العدد (٢١). وقد سئل الشيخ كوراني عن سبب إلقائه البحث نيابةً عن السيّد الصدر رحمه الله فأجاب: «لأنّ إلقائي أحسن من إلقاء السيّد الصدر» (﴿﴾).

صهره على ابنته السيّد محمّد علي الحكيم]، ولكنّ السيّد الصدر أصرّ على إرسال الشيخ علي كوراني بدلاً منه، وكان الشيخ وكيلاً عن السيّد الحكيم في مدينة الخالص التابعة لمحافظة (بعقوبة). وقد جرت نقاشات حول هذا الموضوع استخار خلالها السيّد الحكيم ثلاث مرّات وكانت النتيجة لصالح عدم إرسال الشيخ كوراني، إلاّ أنّ السيّد الصدر أصرّ إصراراً شديداً على مخالفة الاستخارة [بعد التصدّق] حتّى نزل السيّد الحكيم عند رغبته.

وبالفعل، تمّ إرسال وفد مؤلّف من الشيخ علي كوراني والسيّد محمّد باقر الحكيم والشيخ محمّد مهدي الآصفي من أجل افتتاح الجامع. وبعد حفل الافتتاح بقي الشيخ كوراني إماماً للمسجد بينما رجع السيّد الحكيم والشيخ الآصفي[١].

وكان الحاج حامد عزيزي قد انتقل إلى الكويت قبل الشيخ كوراني بيومين، وكان لمسجد النقي بيتان تابعان له، فنزل الشيخ كوراني في الكبير بينما نزل الحاج حامد في الصغير[٢].

وقيل: إنّ السيّد محسن الحكيم لمّا أرسل وراء الشيخ كوراني ذكر له أنّه استخار على إرسال فلان وفلان وكانت الخيرة غير جيّدة، ولكنّها كانت جيّدة على إرساله[٣].

وبعد سفره فوجئ إخوة الشيخ علي كوراني ـ الشيخ حسين والشيخ عبّاس ـ بالسيّد الصدر يزوروهم ذات صباح بعد أن وجد أنّ أخاهم الذي كان يشرف على وضعهم قد سافر[٤]، وكان يأتيهم ـ وأبوهم في البيت قد أقعده المرض ـ ويعطيهم مبالغ ماليّة ويقول: «**إنّ هذا المبلغ أرسله لكم الشيخ علي كوراني**»، وكانوا يعلمون أنّ المال منه وليس من الشيخ علي وأنّه كان ينسب العطاء لغيره لكي لا يشعروا بشيء من الضعف[٥].

وبعد استقرار الشيخ كوراني في الكويت، كتب إليه السيّد إسماعيل الصدر:

«بسمه تعالى

أخي الأعزّ العلاّمة المجاهد العبقري الحجّة الشيخ علي الكوراني المحترم.

السلام عليكم قدر شوقي إليكم وإعجابي بكم ودعائي لكم، وقدر ما يدخلني من السرور حينما تبلغني جهودكم وأعمالكم، [أسأل] الله سبحانه أن يحقّق فيكم آمالنا الكبيرة، وأن يرفع بكم كلمة الإسلام، وأن تكون دائماً كما أنت مناراً للهداية والإرشاد، فما أسعد الكويت بك، وما أسعد النجف إذ أخرجت من أمثالك، فنعم الممثّل للنجف أنت، ونعم القائد للكويت أنت، ونعم الموجّه للشباب أنت، فدُم

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٣/٢٩م ؛ والسيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م وبتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م ؛ وذكر لي قسماً منه الحاج حامد عزيزي بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٤م. وما بين [] من السيّد محمود الخطيب لاحقاً. وقد ارتأيت أن يكون تاريخ سفر الشيخ كوراني قبل سفر السيّد الحكيم إلى حج بيت الله الحرام، لأنّ الشيخ حسن ملك ذكر لي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م أنّ الرسالة التي استلمها السيّد الصدر من وزارة الأوقاف الكويتيّة كانت قبيل سفره إلى الحج، وقد حرّر الجواب بعد عودته. ونحن نعلم أنّ الشيخ كوراني كان في الكويت عندما وقعت هذه الحادثة. ومن ناحية أخرى ذكر الشيخ علي كوراني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١١م أنّ سفره كان بعد النكسة (بأيّام) ().

(٢) حدّثني بذلك الحاج حامد بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٤م.

(٣) مقابلة مع الشيخ علي كوراني ().

(٤) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني ().

(٥) السيّد حامد علي الحسيني نقلاً عن الشيخ عبّاس كوراني ().

علماً عاملاً ومجاهداً مناضلاً.

ثمّ يا أخي العزيز وردتني رسالتك العزيزة، فشكراً لك شكراً، وقد سررت بما بشّرت به من نجاحك الكبير، وهذا ما كنتُ أعلمه سابقاً لأنّي دائم التفحّص عن أحوالك، والسؤال عن أوضاعك، بل هذا ما كنتُ أتوقّعه قبل سفرك لما أعرفه فيك من قابليّات يندر وجودها في أقرانك. وقد سرّني ما بلغني من اتّصالك بعلماء الكويت واتّصالهم بك.

[أسأل] الله لك دوام التوفيق والتأييد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إسماعيل الصدر
[الختم]»[١].

درس رمضاني حول (نظريّة الحقّ والملك)

في شهر رمضان من هذا العام (كانون الأوّل/١٩٦٧م)، شرع السيّد الصدر‎ في تدريس الفقه المقارن بين الفقه الإسلامي وبين الفقه الغربي في عطلة شهر رمضان المبارك. كما كان يفكّر في كتابة كتاب حول هذا الموضوع[٢]، وكان الدرس حول (نظريّة الحقّ والملك في الفقه الإسلامي مقارنةً بالفقه الغربي)[٣]، وقد تناول هذا الموضوع في سبع جلسات بتاريخ: ٢، ٣، ٤، ٨، ٩، ١٠، ١١/رمضان/١٣٨٧هـ[٤].

محاضرة حول الدَيْن في المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي ومحاضرتان حول الحوالة

في ١٥/رمضان/١٣٨٧هـ (١٩٦٧/١٢/١٨م) ألقى السيّد الصدر‎ محضارةً حول الدَيْن في المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي. وفي ١٦/رمضان ألقى محاضرةً حول الحوالة في الفقه الإسلامي والفقه الجزائي. وفي ١٧/رمضان ألقى محاضرةً حول الحوالة على حدّ تفسير عبد الرزّاق السنهوري[٥].

وكانت إحدى أمنيات السيّد الصدر‎ أن تسنح له الفرصة للقيام بدراسة مقارنة على مستوى فقه العقود والمعاملات بين الإسلام وبين الفقه الوضعي الغربي، وذلك قريباً من كتابة السنهوري في

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٦٢).

(٢) انظر: الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ٥٤ ـ ٥٥ ؛ كلمة للسيّد كاظم الحائري في (منتدى جبل عامل) بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٤م ؛ مقابلة (٣) مع السيّد كاظم الحائري (). وقد جاء في المصدر الأوّل أنّ ذلك كان في نهاية الستّينات أو أوائل السبعينات.

(٣) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (). وقد جاء على غلاف (البنك اللاربوي في الإسلام) المطبوع سنة ١٩٦٩م أنّ للمؤلّف تقريرات حول (نظريّة الحقّ والملك في الفقه الإسلامي مقارنةً بالفقه الغربي) وهو بتقرير أحد تلامذته ولم يطبع (البنك اللاربوي في الإسلام، ط الكويت، الغلاف). وأرجع إليه السيّد عدنان البكّاء في هامش واحد من هوامش كتابه (الحكم والحقّ بين الفقهاء والأصوليّين: ٣٦٧ ـ ٣٦٨) تحت عنوان (نظريّة الحق والملك في الفقه الإسلامي، مخطوط). كما أشار السيّد كاظم الحائري في كلمته المتقدّمة في (منتدى جبل عامل) إلى أنّه قد أشار على السيّد نور الدين الإشكوري بطباعة هذا البحث ضمن (تراث الشهيد الصدر).

أقول: إنّ البحث المذكور موجودٌ بتقرير السيّد عبد الغني الأردبيلي‎ وبتقرير السيّد كاظم الحائري، والأوّل أطول من الثاني، والأوّل سيرى النور قريباً بإذن الله تعالى في مجلّة (نصوص معاصرة).

(٤) دفاتر السيّد عبد الغني الأردبيلي‎ ().

(٥) دفاتر السيّد عبد الغني الأردبيلي‎ ()، وقد ينشر قريباً بإذن الله تعالى.

كتابه (الوسيط)، لكن مع إبراز رأي الفقه الإسلامي في المسائل المطروحة[(١)].

وكانت رغبة السيّد الصدر‏ على مستوى درسه الفقهي هي تدريس فقه المعاملات، ولكنّ خاصّة طلاّبه فضّلوا له تدريس كتاب الطهارة وفق الطريقة المعهودة ريثما يصبح درسه درساً معترفاً به، وبعد ذلك يستطيع تدريس فقه المعاملات، إلاّ أنّ الأجل لم يسعفه[(٢)].

مراسلات مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري

حول آخر الأوضاع كتب السيّد الصدر‏ إلى الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ المعظّم حجّة الإسلام آقاي أنصاري دامت ألطافه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فكم كنت متلهّفاً على أخباركم ومشغول البال من هذه الناحية، واشتدَّ تشويشي بسبب اطّلاعي على أنّه لم تصل منكم رسالة إلى العائلة أيضاً، وهكذا جاءت رسالتكم الكريمة في لحظة الترقّب الشديد للاطمئنان على أحوالكم واستقراركم، فحمدت الله على سلامتكم وعافيتكم وتأسّفت لعدم ترتّب الأثر المطلوب على الرسالة التي كانت معكم. ولئن كان موجباً للتأسّف من ناحيتنا فلا شكّ في أنّه موجبٌ لتوفيق الأراكيّين[(٣)] وحسن حظّهم إذ حظوا بوجودكم بين ظهرانيهم.

أسأل الله أن يجعل وجودكم دائماً مصدراً للتوجيه والإرشاد والتثقيف.

أمّا أنا فصحّتي بخير، وقد شرعنا في بحث تعطيلي بعنوان الحق والحكم، وكنّا نسهر إلى ساعة متأخّرة من الليل في المقبرة، وعطّلنا ليالي القدر لنستأنف البحث بعد ذلك إن أمكن، والرفقاء الحاضرون يسلّمون عليكم جميعاً وبعضهم مسافرون كالشيخ الكوراني[(٤)] الذي سافر إلى الكويت وكيلاً من قبل السيّد الحكيم لجامع أنشئ حديثاً من قبل بعض تجّار الشيعة الذين طلبوا منه عالماً فوقع الاختيار على الشيخ الكوراني.

وقد شرعنا في طبعة ثانية لكتاب اقتصادنا ولا يوجد بعد جديد غير هذا، والسلام عليكم أولاً وآخراً.

محمّد باقر الصدر»[(٥)].

ومن باب الحديث عن الشيخ الأنصاري، فبعد رجوعه من إيران كان عنده مقدار من المال من الحقوق الشرعيّة، وكان الشيخ مديوناً بسبب المنزل شائه منزلاً في حي كندة، ولذلك قال للسيّد الصدر: «**إنّ السيّد محمّد باقر يأتي إلى بحثكم ولو يقول للسيّد محسن الحكيم أن أصرف المبلغ في الدين الذي عليّ**». وقد نقل السيّد الصدر‏ ذلك إلى السيّد محمّد باقر الحكيم‏ إلاّ أنّ الأمر لم يتمّ، ويظنّ الشيخ الأنصاري أنّ السبب في ذلك هو أنّه كان يحضر درس السيّد الخميني‏ في (المكاسب)[(٦)]. كتب السيّد الصدر‏ إلى الشيخ الأنصاري:

---

(١) كلمة للسيّد كاظم الحائري ضمن أعمال اليوم الأوّل لـ(مؤتمر الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر‏) بتاريخ ٢٠٠١/١/١٨م.

(٢) سمعتُ ذلك من السيّد محمود الهاشمي بتاريخ ٢٠٠٦/٣/٢م.

(٣) يقصد أهل مدينة أراك الإيرانيّة التي كان يحلّ فيها الشيخ الأنصاري.

(٤) يقصد الشيخ علي كوراني.

(٥) انظر الوثيقة رقم (٦٣).

(٦) مقابلة مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري (‏).

«بسمه تعالى

عزيزي الحجّة المعظّم آقاي أنصاري دامت بركاته.

ذهبت اليوم أوّل الصبح إلى السيّد أبي صادق[١] وحدّثته بالموضوع، فاعتذر قائلاً بأنّي أعلم بأنّ السيّد[٢] لن يقبل لو حدّثته أنا[٣]، وليس لي طريق آخر غير الاتّصال المباشر بالسيّد، وهو لا يعجبه مثل هذا الأسلوب. ثمّ قال: إنّ الطريق الذي أراه موصلاً إلى المقصود هو أن يذهب آقاي أنصاري بنفسه ويسلّم المقدار الموجود عنده من المال إليه ثمّ يوعز إلى السيّد بأنّ المناسب هو كذا وكذا، وحينئذ يكون على استعداد للمطلب. وإمّا أن أقنعه أنا [ليشترك][٤] بالموضوع قبل تسليم المبلغ إليه فهذا خارج عن اختياري.

هذا خلاصة ما ذكره أبو صادق، وقد جئت إلى الكوفة مستعجلاً لإخباركم عسى أن يترجّح في نظركم أن تطبّقوا الطريقة التي ذكرها هو. وكم يحزّ في نفسي ويؤلمني أن أكون أنا مقصوص الجناح تجاه أعزّ إخواني وأصدقائي»[٥].

ومن رسائله حول الموضوع:

«بسمه تعالى

حضرة الأخ المعظّم والصديق الوفي الصفي آقاي أنصاري دام عزّه وكلأه الله بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم بقدر شوقي إليكم.

وبعد، فقد استلمت رسالتكم الكريمة وكنت مشتاقاً إلى أخبار صحّتكم وسلامتكم وارتياحكم في سفرتكم، ولكنّي استلمت الرسالة وأنا في أشدّ الأحوال ارتباكاً وقلقاً وتشويشاً من ناحية المشاكل التي تعهدونها والتي اشتدّت وتطوّرت وتعقّدت بعد سفركم. وقد عطّلت هذه المشاكل نشاطي وجمّدت أحوالي، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

وقد طالعت رسالتكم الكريمة مرّتين فلم أفهمها لكثرة تشويش البال، ثمّ تفرّغت لفهمها بعد ذلك وحدّثت السيّد محمّد باقر[٦] بالموضوع، وهو شريك في الابتلاءات والمشاكل والمحن. وظهر بعد التحقيق أنّ المصرف العقاري كان قد أعلن منذ عشرين يوماً قبل ذلك أنّه سوف لن يدفع أيّ مبلغ من المال إلى مدّة من الزمان. وعلى هذا الأساس ذكر السيّد محمّد باقر أنّه لا يمكن فعلاً الاستعانة بالمصرف العقاري بعد هذا الإعلان الرسمي.

وأمّا موضوع القرض: فقد يمكن تحصيله بنحو بيع الخيار إلى مدّة ستّة أشهر أو سنة مثلاً، وأمّا في المدّة الطويلة التي تفرض في المصرف العقاري فصعبٌ جدّاً. ويقول السيّد محمّد باقر: إنّ آقاي أنصاري إذا رجع أمكن التفتيش عن شخص يشتري البيت مع شرط الخيار للبائع ويؤجّره بمبلغ ما إلى مدّة قصيرة من قبيل سنة ونحو ذلك إلى أن يتيسّر له تحصيل المبلغ من الجهات التي هو بصددها.

وختاماً يؤسفني جدّاً أن لا تكون الظروف مساعدة على تتميم قصّة المصرف العقاري، ويؤسفني جدّاً أن تأتي رسالتكم في وقت نمرُّ فيه بالمحنة ونواجه المشاكل من كلّ جهة. ويجدُّ علينا الابتلاء يوماً بعد يوم

---

(١) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٢) يقصد السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

(٣) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله كذلك.

(٤) الكلمة غير واضحة في الأصل، وقد أثبتنا ما بدا لنا.

(٥) انظر الوثيقة رقم (٦٤).

(٦) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

بحيث يجعلنا قاصرين عن كثيرٍ من الأمور، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

والسلام عليكم أوّلاً وآخراً.

محمّد باقر الصدر»[١].

ومن رسائل السيّد الصدرﷺ إلى الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري الرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ العزيز حجّة الإسلام الشيخ محمّد إبراهيم أنصاري دامت بركاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد وصلني قبل يومين كتابكم الكريم بعد انتظار وتلهّف ففرحت به وسرّني ما بشّر به عن صحّتكم وسلامتكم، وآلمني جدّاً الوضع المفصّل الذي شرحتموه، وحزّ في نفسي أن يصيبكم بسبب العلاقة التي بيننا أدنى ضرر، أو أن تكون أوضاعي في هذه المرحلة غير موجبة لقدرتي على تلك تدارك ذلك الضرر. وعلى أيّ حال فأنا أبتهل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يكلأكم بعينه ويرعاني ويرعاكم ويهيّئ لكم من أسباب التمكّن والجاه ما يحتسب وما لا يحتسب، كما أرجو أن تكون أوضاعكم الآن على أحسن ما يؤمل تبليغاً وانتفاعاً وإقبالاً من المؤمنين، فإنّ أحسن الجاه وألذّ المال هو ما حصل عن طريق العمل الإيجابي المثمر في سبيل الرسالة وإعلاء كلمة الإسلام.

لا جديد في أحوالنا وقد شرعنا في الأبحاث، والإخوان كلّهم يسلّمون عليكم ويسألون عن أخباركم، وأسأل الله أن يقرّ عيوننا برجوعكم والاجتماع بكم على أفضل ما نحبّ وتحبّون، والسلام عليكم ورحمة الله.

محمّد باقر الصدر

تأخّر إرسال هذه الرسالة في البريد بسبب الفحص عن عنواكم لأنّي حينما فتحت رسالتكم الكريمة تمزّق شيء من العنوان المكتوب على الظرف، ولهذا تأخّر إرسالها إلى حين التأكّد من خصوصيّات العنوان»[٢].

وكذلك الرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليكم زنة شوقي ودعائي ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت قبل يومين رسالتكم الكريمة التي تبشّر عن سلامتكم وارتياحكم وانشغالكم على خطّ التبليغ الديني في تهران، فحمدت الله على ذلك ودعوت الله أن يحقّق على يديكم الكريمتين وبهمّتكم العالية دائماً الفوائد العظيمة للإسلام والدين، وأن ينفع بكم وبتوجيهاتكم الصالحة ومنابركم البليغة من حولكم من المؤمنين.

صحّتي جيّدة والإخوان كلّهم يسلّمون عليكم بلسان المقال والحال، ولا جديد في الأحوال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٣].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٦٥).

(٢) انظر الوثيقة رقم (٦٦).

(٣) انظر الوثيقة رقم (٦٧).

تقديم كتاب (هكذا نبدأ)

بين شهري محرّم الحرام ورمضان المبارك من هذا العام[١]، نشر عبد الغني شكر كتابه التمهيدي في الفلسفة (هكذا نبدأ)، وقد اجتمع بالسيّد الصدر رحمه الله وطلب منه تصدير الكتاب فاستجاب له وكتب ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

لئن كان المظهر أضخم من الحقيقة في أكثر الأحايين، فقد كان العكس هو الصحيح بالنسبة إلى هذا الكتاب ومصنّفه الكريم الذي اجتمع بي وأنا لا أعرف عنه شيئاً على الإطلاق، فأوحى لي مظهره العام وما تتجلّى فيه من وداعة وحرص على تنفيذ الشرع بالتقدير والإعجاب. وحين حدّثني عن محاولته التي مارسها في هذا الكتاب لم أكن أتصوّر أنّه على مستوى هذه المحاولة الضخمة، ورغب إليّ أن أقرأ من الكتاب بعض بحوثه، وما بدأت بالقراءة في الكتاب حتّى أخذت بحوثه تبرهن على أنّ هذا الشاب الوادع المؤمن في مستوى المحاولة حقّاً، وأنّ هذه الوداعة تتحوّل على الصعيد الفكري خلال بحوث الكتاب إلى قوّة وصرامة وتوثّب، وأنّ ذلك الحرص على تنفيذ الشرع في المظهر العام يوازيه حرصٌ فكريٌّ لا يقلّ عنه في الروعة والتقدير وإيمانٌ واعٍ بصيرٌ بالإسلام وطريقته في التفكير ومبادئه الكبرى.

ومن حقِّ الكتاب أن أقول عنه إنّه وفّق إلى درجة ملحوظة في المحاولة التي مارسها وهي تبسيط المذاهب والاتّجاهات الفلسفيّة المتعدّدة ومحاكمتها والتدليل باستمرار على صحّة الموقف الفلسفي الإسلامي و[تفنيد] المواقف الفلسفيّة الأخرى التي تقفها مختلف المدارس المعادية للاتّجاه الإلهي على المستوى الفلسفي.

وقد دلّل الكتاب في عرضه الموفّق على ما يتمتّع به مصنّفه الكريم من اطّلاعٍ واسعٍ واستعدادٍ فكريٍّ خصبٍ وجودة ذهن في المناقشة والاستنتاج ومواهب تؤهّله لأداء رسالته وتعدّه لمستقبلٍ أكبر إن شاء الله تعالى.

ولا شكّ في أنّ هذا الكتاب سدّ فراغاً كنّا أحوج ما نكون إلى سدّه، وهو الفراغ الذي كان المبتدئون وتلامذة المدارس يشكون منه، إذ قلّما يجدون ما يتّفق مع مستواهم من البحث الفلسفي الميسّر في الإطار الإسلامي.

وإنّي إذ أهنّئ العزيز الفاضل الألمعي عبد الغني شكر على نجاحه وتوفيقه في هذه الدراسة الجليلة أتمنّى له مواصلة بحوثه ودراساته والنموّ المتواصل في هذا الخط، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[٢].

مدارس الزهراء عليها السلام

عام ١٩٥٨م تشكّلت في العراق (جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي) في مدينة بغداد، وسرعان ما توسّعت هذه الجمعية وأنشأت لها فروعاً في البصرة، الديوانية، الحلّة والكاظميّة.

كانت هذه الجمعية متميّزة بنشاطاتها الخيريّة المتعدّدة. وفي الحقل التعليمي، كانت تشرف على

---

(١) يقع محرّم الحرام ١٣٨٧هـ في سنة ١٩٦٧م وينتهي عام ١٩٦٧م في شهر رمضان المبارك ١٣٨٧هـ. وقد نشر مقالٌ حول (هكذا نبدأ) في العدد الخامس والسادس من مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الثانية.

(٢) هكذا نبدأ، عبد الغني شكر: ٦ ـ ٧.

كليّة (أصول الدين) في بغداد ومدارس الإمام الجواد عليه السلام للبنين بمرحلتيها الابتدائيّة والثانويّة، ثمّ مدارس الزهراء عليها السلام للبنات بمرحلتيها الابتدائيّة والثانويّة أيضاً(١).

لقد تمّ الحصول على الموافقة على إنشاء هذه المدارس واعتُمدت فيها المواد الدراسيّة المعتمدة في المدارس الحكوميّة سواء في الابتدائيّة أو الثانويّة لكي لا يعيق ذلك الطالبات عن مواصلة دراستهنّ بعد إنهاء الدراسة في مدارس الزهراء عليها السلام، وأضيف إلى ذلك عدّة مواد منها: دروس في العقيدة الإسلاميّة بشكل مكثّف ورصين.

وقد ساهمت الشهيدة بنت الهدى رحمها الله في تأسيس مدارس أهليّة رسميّة تتبع المنهج الحكومي، إلاّ أنّها تضيف عليها مادتين أو أكثر بغية تربية الناشئة، وتُدرِّس فيها مدرّسات جامعيّات ذوات كفاءة علميّة عالية ومزايا خاصّة منها الالتزام الإسلامي كي يكنّ قدوة للطالبات، وسمّيت هذه المدارس (مدارس الزهراء عليها السلام الأهليّة للبنات)، وكان مقرّها بغداد (الكاظميّة) وتحتوي على روضة للأطفال ومدرسة ابتدائيّة ومدرسة ثانويّة.

وكانت الشهيدة بنت الهدى رحمها الله تقوم بالتدريس في الصفّين الخامس والسادس الابتدائيّين، ثمّ رشّحها السيّد مرتضى العسكري للتدريس في المرحلة المتوسّطة لما لمس عندها من نبوغ، ولكنّ وزارة التربية والتعليم رفضت ذلك باعتبار أنّها لا تحمل شهادة رسميّة، فأصدر السيّد العسكري بصفته رئيس (جمعيّة الصندوق الخيري الإسلامي) الذي تتبع له المدرسة أمراً إداريّاً يقضي بتعيينها مشرفةً على مدارس الزهراء عليها السلام فتدخل الصفوف بعنوان مشرفة تربويّة، ومن صلاحيّاتها اختيار إدارة المدرسة والمعلّمات(٢).

ولم يكن الهدف من إنشاء مدارس الزهراء عليها السلام سدّ حاجة المجتمع من المدارس الابتدائيّة والثانويّة، فإنّ المدارس الحكوميّة كانت كافية لاستيعاب الطالبات كافّة، وإنّما كانت هناك ضرورات اقتضت إنشاء هذه المدارس منها: مواجهة الثقافات الماديّة التي تدعو إلى الفساد والانحراف والتردّي الأخلاقي، ومنها: السعي لنشر الثقافة الإسلاميّة الصحيحة والوعي الذي يجب أن ترقى إليه المرأة . وكانت المدارس من أفضل الأساليب التي يمكن من خلالها تربية الأجيال وتثقيفهم، وهي الأسلوب الذي يناسب العصر ويلبّي متطلّباته .

لقد تمّ اختيار السيّدة آمنة الصدر رحمها الله لتكون المشرفة على مدارس الزهراء عليها السلام في الكاظميّة. وقد رحّبت السيّدة بنت الهدى رحمها الله بهذه المهمّة المقدّسة التي اعتبرتها خطوة أخرى في توسيع نطاق نشاطها الإسلامي العام، وتمكّنت بفطنتها وذكائها وثقافتها الرفيعة من اكتساب احترام وحبّ النسوة

---

(١) نبذة عن حياة الشهيدة بنت الهدى (ملف) ؛ وانظر: مجلة (رسالة الإسلام)، العدد ٥ ـ ٦، ١/رمضان/١٣٨٦هـ = ١٩٦٦/١٢/١٤م: ١٩٤.

(٢) هذا المقطع من: العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٣٩ ـ ٤٠. وقد جاء في المصدر: ٤١ أنّ أحد المفتّشين أراد أن يدخل أحد صفوف الطالبات فقالت له بنت الهدى رحمها الله: «إنّه لا ينبغي الدخول إلى داخل الصف ويمكن الاكتفاء بأخذ المعلومات من الإدارة.. أرجو أن تقوم إحدى المفتّشات بزيارة مدرستنا»، فلبّى المفتّش طلبها وكتب تقريراً إلى وزارة التربية جاء فيه «أنّ هذه المدارس قلعة للحجاب».

اللائي كنّ على اتّصال معها..

وكانت الشهيدة بنت الهدى تقوم بمهمّة تدريس الدروس الإسلاميّة (العقيدة، التربية الإسلاميّة) لطالبات الثانويّة والصفوف العليا الابتدائيّة. والدور الأهم هو إعطاء ثقافة إسلاميّة هادفة للمعلّمات والمدرّسات، وكانت تعقد ندوات خاصّة بعد انتهاء دوام المدرسة حيث يكون الحضور إلزامياً.

كانت السيّدة بنت الهدى رحمها الله دقيقة ومنظّمة، ولذا كانت تنجز أعمالها في الإشراف على مدارس الزهراء عليها السلام لثلاثة أيّام في الأسبوع إضافةً إلى مدرسة إسلاميّة أخرى للبنات في النجف الأشرف، ثمّ تنفق ما تبقى من نهارها في الالتقاء بمعلّمات مدارس الزهراء عليها السلام اللائي كنّ في الغالب خرّيجات دار ومعهد المعلّمات، إضافةً إلى الالتقاء بالطالبات الجامعيّات والمؤمنات الملتزمات لتفيض لهنّ في حديثها عن مسؤوليّة المرأة المسلمة.

لقد حقّقت هذه المدارس نسبة نجاح كبير في الامتحانات الوزاريّة بين المدارس الحكوميّة حتّى اشتهرت بسمعتها العلميّة والتربويّة وتزايد إقبال الناس عليها لدرجة أصبحت معها الصفوف لا تستوعب الطالبات.

وبالإضافة إلى ما كانت تحقّقه مدارس الزهراء عليها السلام من مستوى دراسي رفيع للطالبات، فإنّها حقّقت لشريحة كبيرة من المجتمع النسائي إمكانيّة التعلّم، إذ إنّ بعض الفتيات كُنّ يمتنعن عن دخول المدارس الحكوميّة بسبب قناعتهن بأنّ المدارس الحكوميّة ما هي إلاّ وسيلة للوصول إلى إفسادهن، فكانت مدارس الزهراء عليها السلام البديل الذي وفّر لهذا القطاع الكبير فرصة التعليم الديني والثقافي العام.

وما من شك فإنّ الشهيدة بنت الهدى رحمها الله بذلت جهداً جبّاراً في استمراريّة هذا المشروع المبارك كلّفها الكثير من المال والوقت والصحّة، فكانت تنتقل بين بغداد والنجف تدرّس وتشرف وتوجّه، وكانت تمضي النهار في إدارة المدرسة وظهراً تقوم ببعض الأعمال وفي العصر تدير الجلسات في البيت بتدريس الفقه (شرائع الإسلام)، وبعد انتهائها تمضي الوقت في الليل بقراءة الكتب الإسلاميّة والثقافيّة والفقهيّة[1].

جاء في المذكّرات المدوّنة حول السيّدة بنت الهدى: «**وكان تحت يدها آنذاك أربع مدارس تحت مسمّى (مدارس الزهراء الأهليّة): ثلاث منها كانت في بغداد والكاظميّة، والرابعة كانت تقع في النجف الأشرف، بالقرب من الحرم الشريف في حي المشراق. ولقد كانت تتردّد كثيراً بين النجف وبغداد لهذا الغرض؛ فكانت هذه المدارس مشاعل نور وهداية، ومصانع للعزّة والكرامة الإسلاميّة، ومحطّاً لآمال المؤمنين والمحرومين والفقراء، ومصدر ثقة ومصداقيّة عند جماهير الناس.**

ولذلك كان الإقبال في كلّ سنة جديدة يتزايد، واللهفة تكبر في أنفس الناس لتسجيل فتياتهم في صفوف هذه المدارس النموذجيّة، على إمكاناتها المتواضعة، ممّا حدا بالسلطة الطاغوتيّة الحاقدة في العراق آنذاك لأن تتحرّك للقضاء على هذا المشروع الحضاري الكبير...

---

(١) الشهيدة بنت الهدى، سيرتها ومسيرتها: ٩٨ ـ ١٠٠ ؛ نبذة عن حياة الشهيدة بنت الهدى (ملف) ؛ الشهيدة بنت الهدى، سيرتها ومسيرتها: ١٠١ ـ ١٠٢.

وصارت سلطات الحزب والدولة تحرّك أقزامها لإشاعة جوٍّ من الأساريج والأكاذيب حول حقيقة وأهداف مثل هذه المدارس وما يجري في داخلها. وصارت توعز لأجهزتها بعرقلة الإجراءات الرسميّة المطلوبة لتسيير شؤونها، وتيسير أمورها. ولمّا لم ينفع ذلك في محاصرة هذا المشروع وجعل الناس ينكفون عن التعلّق به، وزعزعة ثقتهم فيه، عمدت لبعض الإجراءات الشيطانيّة الفاشلة.

وكمثال على ذلك: أرسلت أجهزة السلطة امرأة من الأعراب ممّن يسمّون في العراق (المعدان)، وذلك لإحداث بلبلة وخوف في أوساط الفتيات الصغار وأهاليهنّ، فقامت تلك المرأة المشبوهة بمحاولة اختطاف فتاة صغيرة من مدرسة النجف بالمشراق، إلاّ أنّها افتُضحت وباءت محاولتها بالفشل. وهكذا جرت أحداث ودسائس أخرى من هذا القبيل، إلاّ أنّ ذلك كلّه لم ينفع.

ويئست السلطة من مواجهة هذا المشروع الذي ظنّته صغيراً، وأنّه يكفي مواجهته من خلال أقزامها.

وما كان من قيادة حزب البعث إلاّ أن تحرّكت على أعلى مستويات القيادة، فقد صدر قرار من مجلس قيادة الثورة البعثي في عام ١٩٧٢م، نصَّ على تأميم جميع المدارس الأهليّة في العراق كافّة.

وكان المستهدف لهذا القرار في الدرجة الأولى القضاء على متاريس العفّة والنور وقلاع الحجاب في العراق. وبالرغم من أنّ القانون السيّئ الصيت هذا كان يشمل كلّ المدارس الأهليّة بحسب ما ورد في بنود نصِّه، إلاّ أنّ السلطة سرعان ما أعادت الشرعيّة للمدارس الأهليّة المسيحيّة والأرمنيّة والمدارس الأهليّة الأخرى، مع دعم السلطة لها ماديّاً وإعلاميّاً، إلاّ مدارس نور الزهراء، فقد بقيت موؤودة»[1].

دار الفكر ترغب بطباعة (اقتصادنا)

التقى الأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر بالشيخ محمّد المبارك في دمشق. وقد أبدى الشيخ المبارك إعجابه بكتاب (اقتصادنا) للسيّد الصدر رحمه الله ورغب إلى الأستاذ سالم بطباعته ونشره خارج العراق لأنّ الطبعة الفعليّة تكاد تنحصر داخل العراق.

وعلى إثر ذلك سافر الأستاذ سالم إلى العراق حيث التقى في بغداد بالشهيد صاحب دخيل رحمه الله الذي أوصله إلى منزل السيّد الصدر رحمه الله في النجف الأشرف.

وبعد الاستقبال والترحاب عرض الأستاذ سالم الموضوع على السيّد الصدر رحمه الله الذي رحّب بالفكرة[2].

وفي بغداد وقّع الأستاذ محمّد أديب السروجي ـ بالنيابة عن الأستاذ محمّد سالم وإخوانه ومنهم محمود ـ والشهيد صاحب دخيّل رحمه الله ـ بالوكالة عن السيّد الصدر رحمه الله ـ عقد طباعة الكتاب، وكان ذلك بتاريخ ١٩٦٨/١/٧م (٦/شوّال/١٣٨٧هـ). وقد تمّ الاتّفاق على أن لا يطبع من الكتاب أكثر من ثلاثة آلاف نسخة، ويكون حقّ المؤلّف منها عبارة عن مئتي دينار ومئة نسخة من الكتاب، وقد تمّ استلام مئة دينار عند توقيع، وهذا نصُّ العقد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٢١ ـ ١٢٢، والمذكّرات على ما يبدو للسيّدة أم أحمد الشاهرودي.

(٢) حدّثني بذلك الأستاذ محمود سالم بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٩م.

حضرة الأخ محمّد أديب أحمد السروجي المحترم

السلام عليكم

يسرّني أن أقدّم لكم هذا الكتاب لإتمام الاتّفاق بين سماحة السيّد محمّد باقر الصدر وبين الأخ محمّد عدنان سالم وإخوانه في دمشق على طبع كتاب اقتصادنا بجزئيه الاثنين على أساس ما يلي:

١ ـ نأخذ حصّة المؤلّف وقدرها مائتا دينار بدفعتين، الدفعة الأولى فعلاً، والدفعة الثانية بعد إكمال طبع الكتاب.

وأعترف لكم بهذا أيضاً أنّني قد تسلّمتُ منكم مبلغ مائة دينار بموجب الصكّ التجاري رقم ٣٩٢٦٥٤ والمؤرّخ ٩٦٨/١/٧.

٢ ـ نأخذ كذلك مائة نسخة من الكتاب بعد انتهاء الطبع. طبعاً كلُّ نسخة تحتوي على جزئين، على أن تسلّموها لنا هنا بالطريقة التي ترون.

٣ ، نضع لتسلّم المائة دينار الثانية وتسلّم المائة نسخة من الكتاب مدّةً قصوى قدرها ستّة أشهر، ولكن لا بدّ أن تسلّموني ذلك قبل هذه المدّة حال صدور الكتاب إذا صدر قبل هذه المدّة المعيّنة.

٤ ـ وعلى ألاّ يطبع من الكتاب أكثر من ثلاثة آلاف نسخة، وإذا ظهر أنّه قد طبع أكثر من ذلك فللمؤلّف حقّ هذه الزيادة.

٥ ـ لا بدّ أن يسجّل على الكتاب في كلا جزئيه عبارة «الطبعة الثانية».

٦ ـ لا بدّ ألاّ يتغيّر أيُّ شيء من الكتاب حتّى الإخراج إلاّ بموافقة المؤلّف، وأن يكون شكل كلا الجزئين مثل ما هو في الجزء الثاني المطبوع فعلاً.

نعم يحقُّ للأخ محمّد عدنان أن يسجّل عليه علامته أو اسمه باعتباره ناشراً.

هذا وشكراً.

في بغداد ١٩٦٨/١/٧

أديب أحمد السروجي — صاحب دخيّل

بالنيابة عن [السادة] محمّد عدنان سالم وإخوانه. — بالوكالة عن السيّد محمّد باقر الصدر»[1].

وتمّ استلام المئة الثانية بتاريخ ١٩٦٨/١٠/٢٨م (٥/شعبان/١٣٨٨هـ)، وقد جاء في عقد الاستلام:

«بسمه تعالى

...

١٠٠،٠٠٠ فقط مائة دينار لا غير

لقد قبضنا مائة دينار لا غير من الأستاذ محمود سالم، وهي المائة الثانية تسديداً للمبلغ المدفوع لسماحة السيّد محمّد باقر الصدر عوض طبع كتاب اقتصادنا حسب الاتّفاقيّة السابقة بيننا. وبهذا فلم يبقَ بذمّة الأستاذ محمود أيُّ مبلغٍ حسب الاتّفاقيّة، وشكراً.

صاحب حسين دخيّل

١٩٦٨/١٠/٢٨»[2].

وممّا يذكره الأستاذ سالم أنّه كان يزور السيّد الصدر﵀ مرّتين في السنة تقريباً، وقد بقي على ديدنه هذا حتّى بعد طلب السيّد الصدر﵀ منه التوقّف عن طباعة كتبه نتيجة بعض الحرج الذي وقع

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٦٨).

(٢) انظر الوثيقة رقم (٦٩).

فيه رحمه الله مع دار أخرى.

وذات مرّة وصل الأستاذ سالم إلى منزل السيّد الصدر رحمه الله عند الظهر في وقت لم يره مناسباً للزيارة، فقصد حرم الإمام علي عليه السلام ريثما يصبح الوقت ملائماً. وقد تأذّى هناك منً مشهد قابضي النذورات وغيرهم من المعتاشين على هذه الأمور. وعندما التقى بالسيّد الصدر رحمه الله أخبره بما جرى معه، فبادله رحمه الله استياءه هذا، فقال له: «**سيّدنا، أنتم العلماء، أليس من واجبكم الردع عن هذه الأمور؟!**»، فتبسّم السيّد الصدر رحمه الله وأجابه بكلّ شفافيّة: «**إنّ مشكلة علماء السنّة هي أنّهم توظّفوا عند الدولة، فهم عنها ساكتون، ومشكلتنا نحن أنّ وارداتنا من عامّة الناس، فنسكت عنهم قليلاً**»[١].

وزراة الأوقاف الكويتيّة و(البنك اللاربوي في الإسلام)

في شهر رجب/١٣٨٧هـ (تشرين الأوّل/١٩٦٧م)[٢] تسلّم السيّد الصدر رحمه الله رسالة من (لجنة التحضير لبيت التمويل الكويتي) التي كانت قد تشكّلت في وزارة الأوقاف الكويتيّة من أجل وضع نظام بنك إسلامي غير ربوي في الكويت، وكانت هذه اللجنة قد وجّهت ثلاث رسائل إلى كلٍّ من السيّد الصدر رحمه الله وأبي الأعلى المودودي وشخص ثالث[٣]، وأمهلت السيّد الصدر رحمه الله مهلة ستّة أشهر

---

(١) حدّثني بذلك الأستاذ محمود سالم بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٩م. وانظر مقدّمة الكتاب حيث أوردنا هذه القصّة وأوردنا بعض ما يمكن تأييدها به.

(٢) ارتأينا أن يكون تأليف الكتاب في هذه الفترة لأمور: **الأوّل:** أنّ ذلك كان في حياة السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله على ما ذكره الأستاذ أحمد عبد الأمير. **الثاني:** أنّ الشيخ كوراني كان عند تأليفه في الكويت. **الثالث:** لما ذكره السيّد أبو موسى من أنّ السيّد الصدر رحمه الله أُمهل ستّة أشهر لكتابة الجواب، ولما ذكره لي الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م من أنّ السيّد الصدر رحمه الله استلم الرسالة قبل سفره إلى الحج وأنّه حرّر الجواب بعد رجوعه خلال أيّام وسلّمه في الموعد المناسب. فكأنّ المهلة كانت ستّة أشهر من رجب إلى ذي الحجّة/١٣٨٧هـ ضمناً، أو من شعبان إلى محرّم/١٣٨٨هـ.

(٣) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير (حفظه الله) ؛ وانظر: البنك اللاربوي في الإسلام، كلمة الجامع: و.

وقد نفى الشيخ علي كوراني بشدّة أن يكون الكتاب استجابةً لطلب البنك المذكور الذي أزمعت وزارة الأوقاف الكويتيّة إنشاءه، وأكّد على أنّ ما هو شائع حول الموضوع لا أساس له من الصحّة، وقال: إنّ السيّد الصدر رحمه الله ألّفه شأن غيره من كتبه، ثمّ أرسله له إلى الكويت لطباعته، وهذا كلّ ما في الأمر (...).

وهذا الكلام غاية في الغرابة، وهو مردودٌ بلا شك، ولا يحتمل الصحّة، وذلك لأمور:

١ ـ أنّه لا مبرّر لطباعة السيّد الصدر رحمه الله هذا الكتاب بالذات في الكويت إذا كان حاله حال غيره من كتبه إلاّ إذا كان هناك ما يدعوه لذلك، فإنّ ديدنه طباعة كتبه في العراق ولبنان.

٢ ـ ما ينقله الأستاذ أحمد عبد الأمير عن الشيخ علي كوراني من أنّ الجواب كان أطول ممّا توقّعوا وكان محلّ ارتياحهم (حفظه الله). وبحسب الأسلوب الفقهي فإنّ الشيخ في تلك المرحلة ـ عندما نقل عنه الأستاذ أحمد عبد الأمير ـ كان (أذكر)، فيؤخذ بكلامه المتقدّم زماناً.

٣ ـ ما جاء في رسالة السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ يوسف نفسي حيث يقول له: «... والتي كانت جواباً على طلب وجّهته إليه الحكومة الكويتيّة قبل عشر سنوات تقريباً، وقد طبعت في الكويت ضمن كتاب تحت عنوان (البنك اللاربوي في الإسلام)..» (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ).

٤ ـ ما ورد في مقدّمة الكتاب حيث جاء: «وفضل التسبيب في هذا البحث [لجنة] التحضير لبيت التمويل الكويتي التي شكّلت في وزارة الأوقاف لوضع نظام لبنك إسلامي لا ربوي، فوجّهت السؤال بذلك إلى عدد من كبار الفقهاء ليكون نظام البنك المذكور على هدى النظام المصرفي في الإسلام» (البنك اللاربوي في الإسلام: و).

وقد وقّعت هذه المقدّمة باسم مكتبة جامع النقي العامّة ـ الكويت، كما طبع الكتاب باسم المكتبة المذكورة، وهي

من أجل إرسال الجواب[١]، وقيل: إنّه استلم الجواب وهو على أهبّة الاستعداد للسفر إلى الحج[٢].

وفي زيارة من زياراته إلى الكاظميّة، ذكر السيّد الصدر﵀ تسلّمَ رسالة تتضمّن السؤال عن كيفيّة استثمار الأموال على شكل دار إسلاميّة للتمويل أو على شكل بنك إسلامي، وأنّه إذا كان الإسلام قابلاً للتطبيق وليس نظريّة فحسب، فما هو الحلّ؟ عقّب السيّد الصدر﵀ قائلاً: «**إنّنا أمام مسؤوليّتنا التاريخيّة باعتبارنا علماء، ونحن على مرّ السنين نقول إنّ الإسلام قابلٌ للتطبيق، ونقول إنّه ليس نظريّة فحسب، بل هو قابلٌ للمعايشة العمليّة وفقاً للظروف، والآن قد وضعنا أمام المحكّ**».

ودار الحديث بين الجالسين الذين اتّجهوا إلى تشجيع السيّد﵀ على تقديم الحلّ، فقالوا له: «**هذا مجالٌ للكتابة.. إنّ المسؤوليّة الآن على عاتقكم باعتباركم علماء، وهي تقضي بأن تثبتوا للعالم بأنّ الإسلام قابلٌ للتطبيق**». فقال السيّد﵀: «**أعتقد أنّ الأفكار حاضرة في ذهني، وإن شاء الله سأبدأ بالكتابة في الأسبوع المقبل**»[٣].

وفي النجف الأشرف، قام السيّد الصدر﵀ بعرض الرسالة على طلاّبه فقرأوها، وسأله الشيخ نجيب سويدان: «**سيّدي ما هو الجواب؟!**»، فأجاب﵀: «**سوف أكتب**»، فقال: «**عفواً، ولكنّ البنوك علمٌ واختصاص ولا علاقة له بالفكر الإسلامي**»، فأجاب﵀ بعفويّة ممزوجة بالبسمة: «**نتخصّص ثمّ نكتب**»[٤].

وفي إحدى المرّات جاء إلى الكاظميّة وتحدّث مع إخوانه حول الموضوع، وكان ضمن الحاضرين الأستاذ أحمد عبد الأمير الذي رغب في متابعة موضوع الرسالة وجوابها. وقد اقترح على السيّد الصدر﵀ أن لا يقتصر جوابه على الناحية الفقهيّة فحسب، بل الأفضل أن يضع نظاماً متكاملاً يأخذ ظروف النظام المصرفي القائم حاليّاً بعين الاعتبار، وفي الوقت نفسه ينبغي أن يكون الجواب مختصراً.

استحسن السيّد الصدر هذه الفكرة التي كان يميل إليها هو منذ البدء، فطلب من الأستاذ أحمد عبد الأمير ـ باعتباره طالب محاسبة ـ ومن السيّد حسن شبّر وعبد الصاحب دخيل وداوود العطّار ـ باعتبارهم حاضرين في الأسواق ويتعاملون مع المصارف ـ أن يمدّوه بالأفكار.

مكتبة الجامع الذي كان الشيخ كوراني قد تولّى إمامته. وأغلب الظنّ عندي أنّ الشيخ نفسه هو الذي كتب هذه المقدّمة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّه إمام المسجد وأحد طلاّب السيّد الصدر﵀، وإن لم يكن الأمر كذلك، فلا أقلّ من اطّلاعه عليها، وهو ما تقتضيه طبيعة الأمور.

٥ ـ وأكثر من ذلك ما في رسالة وجّهها السيّد الصدر﵀ إلى الشيخ كوراني ـ تأتي إن شاء الله تعالى ـ حيث يقول﵀: «لأنّي غارقٌ في إعداد الصيغة النهائيّة للجواب بشأن البنك اللاربوي..». ويقصد من (الجواب) جواب وزارة الأوقاف الكويتيّة كما لا يخفى.

والمتحصّل أنّ الصحيح الذي لا شكّ فيه هو ما أثبتناه في المتن، وأنّ ما ذكره الشيخ مردود.

(١) صحيفة (الجهاد)، الاثنين ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد أبي موسى.

(٢) السيّد حسين هادي الصدر في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد محمود الهاشمي والسيّد كاظم الحائري (﷿)؛ كلمة للسيّد حسين هادي الصدر (﷿).

(٣) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير (﷿).

(٤) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (﷿).

وقد تمّ الاتّفاق على عقد لقاءات أسبوعيّة في النجف في أيّام الخميس، فيتمّ اللقاء في بيت من البيوت من أجل مناقشة المسائل المصرفيّة، وكان السيّدﷺ يحفظ ما يدور في الجلسة ويرجع إلى البيت ويسجّله ويناقشه ثمّ يأتي في الأسبوع المقبل باستفسارات جديدة. وكانﷺ في هذه الجلسات يستفسر عن المعاملات المصرفيّة وكيفيّة إنشاء كلّ معاملة وقانونها وأثرها ومداها و.. وكانت هذه النقاشات متخلّلة بالمزاح[١].

وفي هذه الفترة كان السيّد الصدرﷺ في النجف الأشرف بعد صلاتي المغرب والعشاء يقصد مكتبة أمير المؤمنينعليه السلام العامّة أو مكتبة السيّد الحكيمﷺ، وبقي لمدّة شهر كامل يقرأ حول علم البنوك[٢]. وكان يدخل مكتبة أمير المؤمنينعليه السلام الواقعة في سوق القبلة صباحاً ويخرج ظهراً[٣].

مع الشيخ محمّد علي خرّمآبادي

في شوّال ـ ذي القعدة/١٣٨٧هـ كتب السيّد الصدرﷺ رسالةً إلى الشيخ محمّد علي خرّمآبادي وصلت إلى البريد بتاريخ ١٩٦٨/٢/٤م (٥/ذي القعدة/١٣٨٧هـ) جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة الفاضل العزيز الشيخ محمّد علي خرّمآبادي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمت بعد طول انتظار وتلهّف رسالتكم الكريمة ففرحت كثيراً بسلامتكم وعافيتكم وخروجكم من المآزق التي وقعتم فيها والتي تألّمت لها تألّماً كثيراً بل فوجئت بها مفاجئة غير منتظرة، فأنا بينما كنت أنتظر مجيئكم إلى النجف الأشرف وفق إخباركم وإذا بي أسمع الأخبار المحزنة عن وضعكم، وقد حاولت بقدر الإمكان السعي في سبيل إنقاذكم من المشكلة واتّصلت بمن أعرف من الإخوان وألححت على من يمكن الإلحاح عليه في النجف وفي بغداد، غير أنّ العمل لم ينتج شيئاً، وقد آلمني ذلك بقدر ما سرّتني رسالتكم المبشّرة عن استقراركم.

وإنّي أسأل المولى سبحانه أن يكتب كلّ ما لقيتم من صعوبات في سجلّ حسناتكم ويعوّضكم عن ذلك أحسن العوض ويأخذ بيدكم في طريق العلم والعمل ويكلأكم بعينه التي لا تنام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[٤].

السيّد الصدرﷺ يعتزم حجّ بيت الله الحرام

أواخر العام/١٣٨٧هـ (ذو القعدة = شباط/١٩٦٨)[٥]، وبعد بلوغ نبوغ فطامها، وصارت والدتها

---

(١) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير (حفظه الله).

(٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

(٣) ترجمة السيّد الصدرﷺ، السيّد محمّد الغروي (حفظه الله)، وهذا في أيّام العطل وإلاّ فإنّ درسه كان صباحيّاً.

(٤) انظر الوثيقة رقم (٧٠).

(٥) إنّ المعلومات المتوفّرة حول تاريخ سفر السيّد الصدرﷺ إلى الحجّ تسير في اتّجاهين:

الاتّجاه الأوّل: أنّ ذلك كان في ذي الحجّة/١٣٨٧هـ، ويعزّز هذا الاتّجاه أمور:

تطمئن إلى أنّها يمكن أن تستغني عنها إذا ما غابت عن البيت فترة، جاهرت السيّدة فاطمة الصدر زوجها بحلم طال كتمانها إيّاه في حنايا قلبها، وظلّ يراودها فترة طويلة، ولكن لعلمي بعدم قدرة زوجها على جعله واقعاً، فقد كانت تكتمه، ألا وهو الانطلاق إلى حج بيت الله الحرام. وكان قد أعاقها عن الأمر أمرٌ آخر؛ حيث اصيبت لمدّة بمرض اليرقان، وكان قد عمّ الابتلاء بهذا المرض كثيراً في تلك الأيّام، إلاّ أنّ الله تعالى منّ عليها بالشفاء.

بعد ذلك وصل السيّدة فاطمة شيءٌ من المال من وطنها الأم قم المقدّسة، وذلك كان إرثها من والدها السيّد صدر الدين الصدر‹رحمه الله›، وكان عبارة عن سبعة آلاف تومان إيراني، فادّخرتها لمثل هذا اليوم، حيث يمكن أن يتحقّق الحلم.

ولمّا صارحت السيّدة فاطمة زوجها حول الموضوع، اعتذر كما توقّعت هي، ولكنّها قالت له: «**إنّي أدعوك للحج معي بهذا المبلغ المدّخر عندي، فهو كاف لكلينا، خاصّةً وأنّ زوج أخيك إسماعيل**[1]،

---

١ ـ ما ذكره لي السيّد نور الدين الإشكوري من أنّ سفر السيّد الصدر‹رحمه الله› كان في حياة السيّد محسن الحكيم‹رحمه الله›. بل إنّه التحق بموكب السيّد الحكيم‹رحمه الله› الذي لا شكّ في أنّه سافر سنة ١٣٨٧هـ.

٢ ـ جاء في كتيّب يحمل عنوان (لمحات موجزة عن حياة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر‹قدس سره›) مجمع الشهيد آية الله الصدر العلمي، ١٤٠٧: ١٥ أنّ تعليقة السيّد الصدر‹رحمه الله› على مناسك الحجّ لأستاذه السيّد الخوئي‹رحمه الله› قد كتبها بمناسبة تشرّفه بالحجّ سنة ١٩٦٧م (اهـ). وربّما كانت هذه المعلومة مأخوذة من السيّد محمود الهاشمي.

٣ ـ حدّثني السيّد جعفر الصدر نجل السيّد الصدر‹رحمه الله› بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٣م أنّ سفر والده إلى الحجّ كان في العام الذي سافر السيّد الحكيم‹رحمه الله› إلى الحجّ، ولم يذهب معه بل لحق به.

٤ ـ ذكرت لي كتبيّاً السيّدة أم جعفر الصدر حرم السيّد الصدر‹رحمه الله› أنّه‹رحمه الله› حجّ سنة ١٩٦٧م. (وذو الحجّة الواقع عام ١٩٦٧م يأتي في عام ١٣٨٦هـ).

وأنا أتصوّر أنّ السيّدة أم جعفر اعتمدت على التاريخ الهجري وحوّلت (١٣٨٧هـ) إلى (١٩٦٧م)، وأنّها تقصد (١٣٨٧هـ) لا (١٩٦٧م)، خاصّةً وأنّ نجلها السيّد جعفر الصدر علّق على كلام والدته بأنّ ذلك كان في السنة التي سافر فيها السيّد الحكيم‹رحمه الله›.

٥ ـ ما ذكره لي الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م من أنّهم شرعوا في كتابة (البنك اللاربوي في الإسلام) على آلة (الدكتيلو) بعد رجوع السيّد الصدر‹رحمه الله› من الحجّ، ولمّا كان ذلك في حياة السيّد إسماعيل الصدر‹رحمه الله›، فهذا يعني أنّه حجّ سنة ١٣٨٧هـ.

وهنا نشير إلى أنّ السيّد الصدر‹رحمه الله› يذكر في رسالة له إلى ابن عمّه السيّد رضا الصدر‹رحمه الله› عام ١٣٨٨ هـ أنّ (آمنة وحسين في الحجّ) ـ ويقصد أخته بنت الهدى (قطعاً) وابن أخيه السيّد إسماعيل (على الأرجح) ـ، وهذا يعني أنّه لم يكن معهم عام ١٣٨٨هـ.

الاتّجاه الثاني: أنّ ذلك كان في ذي الحجّة/١٣٩٠هـ، ويشهد لذلك:

١ ـ ما يأتي إن شاء الله تعالى ضمن أحداث ١٣٩٠هـ أنّ السيّد الصدر‹رحمه الله› كتب إلى الأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر بتاريخ ٩/ذي القعدة/١٣٩٠هـ أن يرسل إليه مبلغ (٥٠٠) دينار بدل حقوق طبع (فلسفتنا) و(اقتصادنا) لكي يتمكّن من السفر إلى الحجّ.

٢ ـ إضافةً إلى ما جاء من أنّ السيّد الصدر‹رحمه الله› حجّ بمئتي دينار قدّمتها دار الفكر مقابل حقّه من طباعة كتاب (فلسفتنا) (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٧١، نقلاً عن جريدة الجهاد العدد (٢٨٤) ١٤/شعبان/ ١٤٠٧هـ: ٧). وسيأتي أنّ عقد طباعة (فلسفتنا) كان بتاريخ ١٩٧٠/١٠/٣م.

أقول: يبدو أنّ السيّد الصدر‹رحمه الله› لم يسافر إلى الحجّ مرّتين، وهو ما أكّدته لي لاحقاً السيّدة أم جعفر، فلعلّه أراد سنة ١٣٩٠هـ الحجّ مرّةً ثانية، ولكنّه لم يُوفّق لذلك.

(١) في المصدر: «المرحوم»، ولكنّ ذلك كان سنة ١٣٨٧هـ أي قبل وفاة السيّد إسماعيل‹رحمه الله›.

العلويّة أم السيّد حسين الصدر، أيضاً هي راغبة في الحج. وهي تملك أيضاً قسطاً من المال من إرث لها كذلك، ولسوف يكفي مجموع المبلغين بعد ضمهما إلى بعضهما لنا نحن الثلاثة. في رحلة مبرورة إلى حج بيت الله»، فوافقﷺ بشرط اشترطه عليهما معاً، وهو أن يكون السفر للحج فقط، وتكون رحلتهم عبادّية محضة، يؤدّون فيها فرض ربّهم لا غير، وألاّ يذكروا في هذا السفر السوق ولا التسوّق، فقبلتا بذلك.

وهكذا كان؛ فتحرّكوا لترتيب أمور السفر، من إعداد الأوراق الرسميّة والإجراءات الضروريّة[1].

وقد نقل أنّ السيّد الصدرﷺ أدّى فريضة الحج بمئة دينار دفعتها إليه دار الفكر مقابل حقّ طبع كتابه (اقتصادنا)[2]، وقد يبدو الأمر مستبعداً إن كان على نحو الاستقلال، وقد لا يبدو كذلك[3].

السيّد الصدرﷺ يودّع طلاّبه بمحاضرة تربويّة

وقبل سفره وبعد الفراغ من إلقاء درسه، ألقى على طلاّبه كلمةً بهذه المناسبة جاء فيها:

«أستودعكم الله، رزقكم الله السفر إلى بيت الله الحرام بمعناه الحقيقي الذي هو السفر إلى مكّة، وبمعناه الأشرف من هذا المعنى الحقيقي وهو السفر إلى أهداف مكّة، وإلى رسالة مكّة، وإلى تلك المراتب العالية التي ترمز إليها مكّة، فإنّ مكّة بمعناه المادّي يحجّ إليها بهذه العمليّة التي نحن نفكّر فيها.

وأمّا مكّة بمعناها الرسالي العظيم، بالمعنى الذي يرمز إلى نهج في الحياة وأسلوب في العيش ونظام للمجتمع، بهذا المعنى لا بدّ وأن يحجّ إليه بأسلوب آخر من الحجّ، ويعمل له بنحو آخر من العمل، فهو أشرف من هذا الحجّ الذي سوف نحجّ مئات المرّات، لأنّ ذلك الأسلوب هو الجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد في سبيل استعادة أمجاد هذه الرسالة، وفي سبيل تحقيق أهداف مكّة العظيمة، هذه الأهداف التي سعد المسلمون في ظلّها ثمّ شقوا باعتبار انحسارها وخروجهم عليها، وتمرّدهم عليها.

وكلّ واحد منّا مدعوٌّ للحجّ لمكّة بمعناه المادّي إذا تمّت في شأنه شروط الحجّ من الاستطاعة وغيرها، وكلّ واحد منّا مدعوّ للحجّ إلى رسالة مكّة بالمعنى الرمزي والمعنوي، سواء كان مستطيعاً أو لم يكن مستطيعاً، هذا الحجّ الآخر ليس من شرائطه الاستطاعة. إنّ رسالة مكّة تناديكم، تستنجد بكلّ واحد منكم، بطاقة من طاقاتكم في سبيل الدفاع عنها وفي سبيل حمايتها، وفي سبيل إيصالها إلى أكبر عدد ممكن

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) قيل إنّ ذلك كان بمئتي دينار دفعتها إليه الدار المذكورة مقابل حقّ طباعة (فلسفتنا) (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٧١، نقلاً عن جريدة الجهاد العدد (٢٨٤) ١٤/شعبان/ ١٤٠٧هـ: ٧). وهذا قد يصحّ إذا تبنّينا أنّ السيّد الصدرﷺ حجّ سنة ١٣٩٠هـ أمّا إذا تبنّينا أنّ ذلك كان سنة ١٣٨٧هـ ـ كما هو الصحيح ـ ، فيكون الصحيح ما أثبتناه. أمّا كون ذلك بدل (اقتصادنا) لا (فلسفتنا) فلما تقدّم من أنّ عقد طباعة (اقتصادنا) كان في ١٩٦٨/١/٧م. وأمّا كون المبلغ مئة دينار لا مئتين، فلما تقدّم مؤخّراً من أنّ الدار سلّمته مئة دينار بتاريخ ١٩٦٨/١/٧م، أي قبل سفره إلى الحج، ومئة أخرى بتاريخ ١٩٦٨/١٠/٢٨م، أي بعد عودته منه بأشهر.

(٣) بعد أن فرغنا عن أنّ السيّد الصدرﷺ استلم من دار الفكر إلى هذا التاريخ مئة دينار لا مئتين، نرى ـ كما تقدّم ضمن أحداث سنة ١٣٨٢هـ ـ أنّ أجار بيته ـ وهو ٧٠ ديناراً في السنة ـ كان يساوي (٢٨٠$)، وهذا يعني أنّ مئة دينار كانت تساوي (٤٠٠$). وفي المقابل نلاحظ ما جاء في الرسالة التي وجّهتها (اليونسكو) إلى الشهيد الشيخ مرتضى المطهّريﷺ في ١٣٤٤/١١/٢٤ هـ ش (١٩٦٦/٢/١٣م)، من أنّ الـ(٤٠٠$) تساوي (٣٠٠٠) تومان (داستان راستان، انتشارات صدرا ١٤٢٠ هـ ١: ٥)، وهذا يعني أنّ (٧٠٠٠) تومان تساوي حوالي (٩٣٠$).. فإذا كان مبلغ ٩٠٠$ منضمّاً إلى مال زوجة السيّد إسماعيلﷺ ـ والذي قد لا يتعدّى ذلك ـ يكفي لحج ثلاثة أشخاص، فمن غير البعيد أن يكفي مبلغ (٤٠٠$) لحجّ شخصٍ واحد.

من المسلمين.

اليوم أصبحنا نعيش في عصرٍ الانحرافُ فيه عن رسالة مكّة هو القاعدة، والعود إلى رسالة مكّة هو الاستثناء، بعد أن تغيّر وضع العالم الإسلامي. العالم الإسلامي بعد أن خرج عن كونه كياناً قائماً على أساس الإسلام ودخل عصر الاستعمار الذي بناه على أساس القواعد الفكريّة الكافرة، صبغه بأنظمته الكافرة، دخل هذا العصر، وكان بدخوله في هذا العصر كان يواجه تحوّلاً كبيراً في كلّ وجوده، في كلّ تركيبه العضوي، الروحي، الفكري، السياسي، الاجتماعي، فأصبحت القاعدة فيه هي جاهليّة الغرب، القاعدة فيه هي الانحراف عن الله، هي الانقطاع عن السماء، هي التمرّد على رسالة الله، وأصبح الاستثناء فيه هو الطاعة، الاستثناء فيه هو الالتفات إلى مكّة، الالتفات إلى رسالة مكّة، إلى قيم مكّة ومثل مكّة، هذا أصبح هو الاستثناء، وهذا معنى ما جاء في الصحيح عنهمعليهم السلام حينما تنبّأوا أنّ المؤمن في عصور متخلّفة من عهد الغيبة سوف يصبح المؤمن القابض على دينه كالقابض على جمرة[١].

نعم؛ المؤمن القابض على دينه كالقابض على جمرة، لأنّ هذا استثناء، لأنّ هذا شذوذ، أصبح القبض على الدين، وأصبح التمسّك بالدين، أصبح الوقوف على هذا الخطّ دون ململة ودون تذبذب وتأمّل ودون تمييع أصبح هذا كالقبض على الجمرة، يعني أصبح نوعاً من التضحية ولوناً من العذاب الذي يستعين به المؤمن الصحيح في سبيل الله تعالى، لماذا؟ لأنّه بهذا الصمود يواجه تيّاراً عظيماً كاسحاً، هذا التيّار الذي غزا العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، لكن على مراتب مختلفة، على درجات متفاوتة، لا تتصوّروا أنّنا في منجى من هذا التيّار، هذا التيّار يكتسح كلّ العالم الإسلامي، لكن بهذه الدرجات.

أنتم إذا أردتم أن تعلموا مصيرنا ونحن في العراق، مصيرنا ونحن في مصر، في إيران، مصيرنا ونحن في أيّ جزء من العالم الإسلامي، انظروا إلى أسرع بلاد الإسلام انفتاحاً على أوروبا، انفتاحاً على حضارة أوروبا، انظروا إلى تركيا وما وصلت إليه تركيا من انفتاح على حضارة أوروبا والابتعاد عن الإسلام، هذا البلد الذي كان من البلاد التي يحكم على العالم فكانوا أسرع انفتاحاً على حضارة أوروبا فكان مآله إلى ما ترون، كانوا أقرب إلى الميوعة وأسرع ذوباناً منّا.

إذاً فهناك تيّار جارف، هذا التيّار الجارف يكتسح العالم الإسلامي وهذه العمليّة سوف تتكرّر، وإنّما التفاوت تفاوت الزمن، هؤلاء كانوا أكثر انفتاحاً منّا، ولهذا كانوا أقرب إلى الميوعة وأسرع ذوباناً منّا.

إذاً فهناك تيّار جارف لا بدّ من مقابلته والصمود في وجهه، وهذا الصمود في وجهه هو معنى قوله إنّ المؤمن القابض على دينه كالقابض على الجمرة.

فلا بدّ من الصمود في وجهه لأنّ الله تعالى وعد المؤمنين بالنصر، فلا بدّ إذاً لكلّ إنسان أن يعمل قدر طاقته، وقدر جهده وإمكاناته في سبيل الوقوف في مقابل هذا التيّار، في سبيل أن يعطّل من سببيله، ومن أبدأ أولّيات هذه الأساليب التي يمكن أن تتّخذ في هذا الموضوع هو إنشاء المجالس للتبليغ والوعظ والإرشاد في بلادنا.

هل تصدّقون أنّه في النجف الأشرف نفسه، في مركز الحوزة العلميّة في النجف الذي من المفترض فيه أن يموّن بإشعاعه الفكري والعلمي والروحي والديني أن يموّن كلّ العالم أو على الأقلّ كلّ العالم الإسلامي، أو على الأقلّ كلّ العالم الشيعي، النجف يوجد فيه آلاف من الناس لا يعرفون أحكام رسالتهم، غير منفتحين على رسالة مكّة، ولا على مبادئ مكّة، منجرفون مع تيّارات أخرى، أو جاهلون أو مقصّرون، من الذي

---

(١) يقصدرحمه الله قولهصلى الله عليه وآله لابن مسعود: «يا ابن مسعود! يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيه على دينه مثل القابض على الجمر بكفّه... » (مكارم الأخلاق: ٤٥٠).

يُسئل عن هؤلاء أمام الله، نحن نُسئل أمام الله عن منحرف انحرف عن دينه وعن منحرف انحرف في آخر نقاط العالم الإسلامي، في وجود إمكانيّات فكيف لا نسأل عن منحرف انحرف في أوطاننا في أهلنا، في بلدنا؟!

كيف نرى أنّنا من الدعاة إلى الله ويوجد في بلدنا من لا يعرف من الإسلام شيئاً ونحن لا نفكّر فيه؟! وأبسط الأشياء هو عقد المجالس وغير ذلك وعقد الحلقة والجلسة لتبليغ الأحكام.

ولهذا لا بدّ وأن نفكّر في أن نحجّ إلى بيت الله الحرام بهذا النحو الأفضل من الحجّ، نلتقي مع رسالة مكّة، أن نلتقي مع المجاهدين الأوّلين من أصحاب بدر وأحد وحنين، هؤلاء الذين بذلوا دماءهم في سبيل الله وأرواحهم ونفوسهم»[١].

الانطلاق من العراق

اتّفق السيّد الصدر﵀ مع أحد المؤمنين من أصحاب السيّارات، وهو الحاج حسُّون، الذي كان يكنّى بـ«**أبو علاء**»، والذي جعل من الرحلة رحلة ميسّرة بدماثة خلقه، واستجابته لكلّ ما يطلب منه، من دون ملل و لا تضجّر[٢]، وإن ورد في بعض المصادر أنّ السائق لم يكن كثير الالتزام بالإسلام. ولكنّه بعد أن رافق السيّد الصدر﵀ إلى الحجّ انقلب إلى إنسان آخر، وكان كثيراً ما يتحدّث عن أخلاق السيّد الصدر﵀ في سفره ويقول: «**لم أرَ في حياتي مثل هذا الإنسان، إنّ أخلاقه تشبه أخلاق الأئمّة الأطهار**﵈»[٣]، ولكنّ ظاهر المصدر الأوّل خلافه.

من جهتها، أخذت السيّدة فاطمة تعدّ العدّة اللازمة من مأكل وملبس؛ فخصّصت حقيبة من حقائب السفر لحمل الحبوبات، من أرز وغيره، ومقادير من النواشف والسكّر والشاي. ولم تنسَ اصطحاب موقد صغير، ووُفِّقوا بسببه لاختصار جزء كبير من النفقات وتكاليف السفر.

ثمّ أمَّنت طفلتيها عند جدّتهما أمِّ زوجها، حتّى أذن الله لهم في يوم مبرور من أيّام شهر ذي القعدة الحرام من تلك السنة، وتحرّكت السيّارة. وكان السيّد الصدر﵀ قد اتّخذ موقعه في الكرسي بجانب السائق، ومن ورائه تقاسمت زوجته المقعد الخلفي مع العلويّة أم السيّد حسين [حوراء، أم حنان] زوجة السيّد إسماعيل الصدر﵀، وألسنتهم تلهج بذكر الله، والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ..[٤]. ويبدو أنّ خبر سفر بنت الهدى معهم[٥] غير صحيح[٦].

---

(١) (﵁). وستنشر بإذن الله تعالى ضمن المجلّد السابع عشر من (تراث الشهيد الصدر).

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٦.

(٣) الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٩.

(٤) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٥) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م ؛ وانظر: الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٩.

(٦) ذكرت لي السيّدة أم جعفر الصدر أنّها كانت برفقة زوجها مع زوجة السيّد إسماعيل﵀، ولم تذكر اسم الشهيدة بنت الهدى، وكذلك ظاهر المصدر السابق، حيث تقاسمت المقعد الخلفي مع السيّدة أم حنان فقد. فلعلّ الراوي ناظرٌ إلى أدائهما العمرةَ عام ١٣٩٨هـ.

وبالمناسبة نشير إلى أنّه بعد أن كتبت بنت الهدى (ذكريات على تلال مكّة) اعترض أحد العلماء على السيّد الصدر﵀ قائلاً له: «إنّ العلويّة تقول في آخر صفحة: (وصلنا إلى الوطن وكلّنا لسان شر لله)، لماذا هذا القول لم نكن نتوقّع هذا القول...!»، فأجابه السيّد: «إنّ الكاف قد سقطت عند الطبع فالكلمة هي شكر لله وهذا غلط مطبعي»، فبهت

وأثناء غيابه أقام في منزله مجموعة من الطلاّب كالشيخ حسين كوراني والشيخ حسن ملك والسيّد حسين هادي الصدر والسيّد حسين إسماعيل الصدر والشيخ خالد العطيّة وكانوا ـ أو معظمهم ـ يدرسون كتاب (اللمعة الدمشقيّة) عند السيّد پشتوائي[1].

السيّد الصدر رحمه الله في المدينة المنوّرة

سافر السيّد الصدر رحمه الله عبر البرّ عن طريق الكويت[2]، وأدركهم الليل وهم في الكويت، حيث راحوا يبحثون عن مكان للمبيت فيه، فنزلوا في أحد فنادق العاصمة. ومع أنّ للسيّد الصدر رحمه الله هناك معارف وأصدقاء ومحبّين، إلاّ أنّه شاء أن تكون حجّتهم خفيّة خالصة، بلا ضجيج، ولا حاشية ولا أتباع.

في الفندق رحّب بهم مسؤول الاستقبال وأخذ يعرض عليهم خدماته ومميّزات الإقامة في فندقه، ومن أهمّها حسبما قال وجود أحد الأسواق الراقية قريباً من الفندق، وأنّه يستطيع أن يدلّهم عليه، فتبادل السيّد الصدر رحمه الله النظر مع زوجته وهي تبتسم له، وكأنّها تقول: «**خذ.. هذا في أوّل الطريق، لسنا نحن من ذكر السوق، بل هو مضيفك**».

وفي صباح اليوم التالي توجّهوا إلى الحدود السعوديّة، وباتوا ليلتهم الثانية في فندق في مدينة الدمّام في المنطقة الشرقيّة. ثمّ واصلوا الطريق حتّى مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله. وهناك نزلوا في دار من الدور التابعة لشيعة المدينة المنوّرة (النخاولة) المعدّة للإيجار ونزول الزائرين. ولكنّهم وجدوهم آنئذ فئةً من الناس محرومة، تعيش الفقر والإهمال في تلك السنين، إذ كانوا يعيشون في بيوت متهالكة تفتقر إلى أبسط الخدمات المدنيّة العادية؛ فحتّى الماء كانوا يجلبونه إلى بيوتهم على العربات اليدويّة في براميل، ويخزنون الماء عندهم في خزّانات من الصفيح.

لم تتحمّل السيّدة فاطمة الصدر هذا الوضع، إذ كانت قد تربّت ونشأت في بيئة أكثر تمدّناً من هذه الجهة في إيران ثمّ في العراق، ووجدت مسألة التطهير والنظافة مسألة شائكة وعويصة شاقة عليها. ومع أنّ مبلغ الإجارة كان مناسباً لهم، إذ لم يكن ليكلّفهم كثيراً، والأهالي كانوا على درجة عالية من الطيبة والطهارة والتديّن، إلاّ أنّ الوضع لم يكن محتملاً من جهتها لناحية توفّر إسالة الماء.

عندها طلبت السيّدة فاطمة من زوجها تغيير مكان الإقامة والانتقال إلى مكان أنظف والماء فيه أكثر وفرة وأسهل من ناحية الاستخدام، فقال: «**إنّ ذلك يقتضي أن يكون مبلغ الإجارة مضاعفاً، وهذا يتطلّب بالتالي الاقتصاد في مصروف المأكل والمشرب**». فوافقتا على ذلك، وانتقلوا إثر ذلك إلى فندق في شارع رئيس مطلٍّ على الحرم الشريف والبقيع معاً. وهناك استقرَّ بهم المقام، وطاب لهم حينها حتّى القيام بالطبخ؛ إذ مضت عليهم عدّة أيّام منذ خروجهم من العراق ولم يطعموا أكلاً من طبخ الأيدي، إذ كان اعتمادهم طوال أيّام متوالية على الخبز والنواشف. ولكن مع طيب الإقامة في الفندق ذاك، تسنّى لهم أن يستمتعوا بتناول ما تطبخه أيديهم، فحتّى الفسنجون [الأكلة المعروفة في إيران

الرجل (بطلة النجف: ٤٤).

(١) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٢) حدّثتني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م.

والعراق] تمكّنوا من إعداده هناك مرّة وحيدة لم تتكرّر في تلك السفرة.

بالطبع كانوا قد بادروا متلهّفين بكلّ شوق في أوّل ساعات وصولهم إلى المدينة المنوّرة لزيارة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله. فمبجرّد وضع متاعنا، وبعد الاغتسال والتهيّؤ للزيارة، خرجوا مهرولين تدفعهم أمواج من الحب والشوق هاجت وجاشت في الصدور، للقاء الحبيب، والسلام على نبي السلام، ساكن طيبة المباركة[1].

سفر السيّد محسن الحكيم رحمه الله إلى الحجّ

في ٣٠/ذي القعدة/١٣٨٧هـ (١٩٦٨/٢/٢٩م) انتشر خبر عزم السيّد الحكيم رحمه الله على السفر إلى حجّ بيت الله الحرام[2].

وفي مطلع ذي الحجّة سافر السيّد محسن الحكيم رحمه الله إلى الديار المقدّسة، وقد جرى له توديعٌ واستقبالٌ شعبيّان كبيران في بغداد والنجف، وكانت الجماهير تقدّر بمئات الآلاف، وقيل ربع مليون نسمة، حتّى أنّ سيّارة السيّد الحكيم رحمه الله عندما دخلت المطار لدى توديعه، كانت نهاية الموكب خارج بغداد. وقد استغرق وصوله السيّد الحكيم رحمه الله من النجف إلى بغداد ثماني ساعات.

وفي الدورة شارك الجيش في توديعه، حيث تقدّم سيّارته عددٌ من الدرّاجات الناريّة والسيّارت المسلّحة، ووزّع الجنود ابتداءً من البيّاع حتّى المطار على جانبي الطريق يحملون بنادقهم.

وقد أرسل عبد الرحمن عارف إلى وداع السيّد الحكيم رحمه الله في المطار ممثّله الخاص ورئيس وزرائه طاهر يحيى على رأس وفد حكوميٍّ رفيع المستوى ضمّ كافّة الوزراء والمسؤولين العراقيّين، كما كان في وداعه سفيرا السعوديّةً وإيران وممثّلو الطوائف المسيحيّة. وقدّم عارف طائرته الخاصّة لتقلّ السيّد الحكيم رحمه الله إلى الديار المقدّسة، وقد صعد خلفه طاهر يحيى ورئيس التشريفات الدكتور بديع شريف.

وكان السيّد الحكيم رحمه الله قد اعتمد في تحرّكه السياسي غير الرسمي على مثلّث اختاره بنفسه ومنطلقه بغداد وليس النجف، ويتكوّن من السيّد مهدي الحكيم رحمه الله والسيّد محمّد بحر العلوم والسيّد مرتضى العسكري، ويدعمهم من النجف السيّد الصدر رحمه الله والسيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله[3].

وبعد مرور الطائرة التي قلّت السيّد الحكيم رحمه الله من فوق بيروت، اعترض السيّد موسى الصدر على الرئيس اللبناني آنذاك شارل الحلو بأنّه لم يوجّه دعوة إلى السيّد الحكيم رحمه الله، في حينٍ كان قد وجّه دعوةً إلى البابا؟! فأجابه الحلو بأنّ للبابا صفةً رسميّة وله في لبنان سفير يمثّله رسميّاً، وللبنان

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٧ ـ ١٥٩.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٢٥.

(٣) سنوات الجمر: ٨٥ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٣، استفادةً من مجلّة العدل النجفيّة، العدد الثالث، السنة الثالثة، آذار/١٩٦٨م: ٣٢ ؛ مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الثانية، العدد ٧ ـ ٨، ١/ذي القعدة/[١٣٨٧هـ] = ١٩٦٨/٢/١م (في المصدر ١٣٨٨هـ وهو خطأ): ١٨٠ ـ ١٨٢ ؛ وانظر أيضاً: الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ١٠٨.

أقول: إنّ وقوف السيّد الصدر رحمه الله في دعم سفر السيّد الحكيم رحمه الله قد يحتاج إلى تأمّل، لأنّه بنفسه سافر إلى الحج في ذي القعدة، قبل سفر السيّد الحكيم رحمه الله. اللهمّ إلاّ أن يكون قد رتّب بعض الأمور قبل سفره.

في الفاتيكان سفير. أمّا المرجعيّة الشيعيّة فليست شخصاً واحداً، وليس لديها ممثّل رسمي لكي يوجّه إليه دعوة، وأكّد على أنّ ذلك ليس نابعاً من قلّة اعتنائه بالمرجعيّة الشيعيّة[١].

السيّد الصدر رحمه الله في مكّة المكرّمة

بعد تصرّم عشرة أيّام تامّة في ظلال رسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمّة الطاهرين عليهم السلام، توجّه السيّد الصدر رحمه الله مع زوجته وزوجة أخيه إلى مكّة المكرّمة استعداداً للحج؛ فمن مسجد الشجرة حيث أحرموا انطلقوا صوب المشاعر المقدّسة، يلبّون: «**لبّيك اللّهُمّ لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إنّ الحمد، والنّعمة، لك والمُلك، لا شريك لك لبّيك.. لبّيك ذا المعارج لبّيك، لبّيك داعياً إلى دار السّلام لبّيك، لبّيك غفّار الذنوب لبّيك، لبّيك أهل التّلبية لبّيك، لبّيك ذا الجلال والإكرام لبّيك، لبّيك تبدئ والمعادُ إليك لبّيك، لبّيك تستغني ويُفتقرُ إليك لبّيك، لبّيك مرهُوباً ومرغُوباً إليك لبّيك، لبّيك إله الحقّ لبّيك، لبّيك ذا النّعماء والفضل الحسن الجميل لبّيك، لبّيك كشّاف الكُرب العظام لبّيك، لبّيك عبدُك وابنُ عبديك لبّيك، لبّيك يا كريمُ لبّيك**»[٢].

دخلوا مكّة المكرّمة، واتّجهوا إلى البيت الحرام. التفتٌ السيّد الصدر رحمه الله وهم على أعتاب الحرم الشريف، فرأته زوجته قد ذهل عن وجوده وعمّن حولـه حينذاك.

لقد أتمّوا أعمال عمرة التمتّع في يسر؛ إذ لم يكن هناك أعداد كبيرة من الحجّاج آنذاك في مثل تلك الأيّام. وقد بقوا في مكّة ـ قبل التحرّك نحو عرفات ـ عدّة أيام، يكرّرون الزيارة والطواف في البيت العتيق.

ولا تنسى السيّدة فاطمة أنّها أتت يوماً مع زوجها إلى المسجد الحرام، وبعد الطواف حول البيت رمى رحمه الله بنفسه على شاذروان الكعبة متعلّقاً بأستارها، وكان ذلك في داخل حِجر إسماعيل تحت الميزاب، وقد تحاذفت عيناه بالدموع، وسالت على وجهه، وقد اضطرب كيانه. وكانت تراه يرتعد.

جلست السيّدة فاطمة جانباً تقرأ بعض الأوراد والأذكار حيناً، وترقب زوجها حيناً آخر، حتّى إذا سكت أنينه الخافت، وذهب عنه ما كان فيه، توجّه إلى خلف مقام إبراهيم عليه السلام، وكانت قريبة منه هناك، فشاهدته قد بقي واقفاً خلف المقام مشدوهاً، قد انشدّ وجوده إلى الكعبة الشريفة، ولاحظت أنّ عينيه بدتا كالزائغتين، وقد انخطف لونه، وخيِّل لها أنّه يترنّح، فخافت عليه من السّقوط، فأسرعت إلى بئر زمزم، ورجعت ومعها شيءٌ من مائها المبارك، فرشّت منه على وجهه، وقدّمت إليه إناء الماء وقالت: «**هاك ابن عمٍّ، فاشرب من هذا الماء**». وهنا التفتَ إلى ناحيتها موجّهاً إليها نظرة عتاب، قائلاً في نبرة كلّها أسف: «**ماذا فعلتِ يا ابنة العم، هلاّ تركتِني وما كنت فيه**»، فردّت: «**خفت عليك أن تسقط، لقد أشفقت عليك من الهلاك**».

وعندما حلّ يوم عرفة، راح السيّد الصدر رحمه الله يحدّث أثناء صعودهم عن هذه المشاعر والشعائر المقدّسة، وتاريخها، وعظمتها، والمعاني العامرة في أجوائها، وأريج النبوّات المتعاقبة المنبعث منها.

---

(١) زندگانى زعيم بزرگ عالم تشيع آيت الله بروجردى (فارسي): ٣١٧، والقصّة ينقلها في الهامش المؤلّف الشيخ علي دواني عن السيّد موسى الصدر، الذي ذكرها في بيته في صور. وليس واضحاً إن كان قد سمعها منه مباشرة. يُشار ـ من باب الركون إلى صحّة المعلومة ـ إلى أنّ شارل الحلو كان رئيس الجمهوريّة فعلاً سنة ١٣٨٧هـ.

(٢) وردت التلبية في المصدر مبتورة، وقد تمّمناها من المصادر الروائيّة (تهذيب الأحكام ٥: ٩١).

لقد رأت السيّدة فاطمة زوجها وقد أخذ موقفه على ذلك الصعيد الطاهر مشتغلاً بأذكار ذلك اليوم وأوراده، وهو في أحوالٍ وأهوال لم تشهده في مثلها من قبل، ولكنّها في هذه المرّة عندما عرفت أنه بدأ يفقد إحساسه بوجوده، تركته ولم تقطع عليه نشوة الروح؛ فقد راح يقرأ دعاء الإمام الحسين عليه السلام المعروف والمختصّ بذلك اليوم العظيم، وفي دعائه ذاك أحسّت أنّه لم يكن يشعر بما يجري من حوله، تارةً يناجي، وتارةً يسكت متأمّلاً، وعيناه تتفجّر دموعاً، وتارةً يسبّح، وقد ينخرط فجأة في نوبة من البكاء المرير. وكانت حالةً لم ترَ السيّدة فاطمة مثلها في حياتها، مع أنّها لطالما استيقظت في بهيم الليل، فتراه صافّاً قدميه بين يدي ربّه، فكانت تبقى مستيقظةً مرافقةً له، ثمّ تتأمّل ما قد ينتابه من حالات روحيّة مختلفة. وكان يخيَّل إليها عندها أحيانا ـ لطول سجوده ـ أنّه قد قُبِض.. أو أنّه يقوم بعد ذلك واقفاً ليطيل القراءة؛ فإذا نشر كفّيه للدعاء، تهدّج صوته وخنقته عبرته، فتسمعه يناجي طويلاً، ثمّ قد يختفي صوته، فيبقى ساكناً واجماً في وقوفه حتّى يركع.. ذلك كان ديدنه، ولكن ليس كمثل يوم عرفة ما يشبهه[(١)].

مجريات سفر السيّد الحكيم رحمه الله

لقد جرى استقبالٌ رسميٌّ للسيّد الحكيم رحمه الله في الديار المقدّسة، وكان الملك فيصل قد أصرّ مسبقاً على السيّد هادي الحكيم ممثّل السيّد الحكيم رحمه الله على نزول الأخير في ضيافته في قصر (خزام) في مكّة والمدينة، إلاّ أنّ السيّد الحكيم رحمه الله رفض ذلك لأنّه يمنعه عن الاتّصال بالجماهير، ولكنّه استجاب بعد إصرار الملك فيصل بشرط رفع موانع الاتّصال بالجماهير.

وقد زار السيّد الحكيم رحمه الله رئيس رابطة العالم الإسلامي الشيخ محمّد سرور الصبّان وأعضاء الرابطة.

وزاره كبار علماء المسلمين وأقام مأدبة غداء لهم، وألقى نجله السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله كلمة والده[(٢)] والتي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فإنّ من أعظم نعم المولى سبحانه وتعالى علينا أن جمعنا في هذه البقعة الطاهرة، في ظلال فريضةٍ من أكبر فرائض الإسلام، وفي جوٍّ عامرٍ بذكريات النبوّة والوحي والجهاد.

ويجب علينا ـ شكراً لهذه النعمة ـ أن نستوحي من فريضة الحجّ المباركة وقدسيّة الذكريات الشريفة ما يوضح لنا الطريق ويعين على أداء واجبنا العظيم تجاه الإسلام ومسؤوليّتنا الكبيرة في حماية الشريعة والحفاظ على كيان الأمّة ومقدّساتها.

ولئن كان الإسلام بحاجةٍ في كلّ عصر إلى التبليغ والحماية والعمل في سبيله، فهو أحوج إلى ذلك في هذا العصر من أيّ عصرٍ مضى لما يتعرّض له ديننا الحنيف من أخطاء وما يواجهه من تيّارات، ولهذا فإنّ الرسالة الإسلاميّة الغالية التي بذل النبيُّ الأعظم وآله وصحبه المجاهدون نفوسهم في سبيلها تطلب منّا اليوم

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦١ ـ ١٦٣.

(٢) مجلّة (رسالة الإسلام)، السنة الثانية، العدد ٧ ـ ٨، ١/ذي القعدة/[١٣٨٧هـ] = ١٩٦٨/٢/١م (في المصدر ١٣٨٨هـ وهو خطأ): ١٨٠ ـ ١٨٢ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٤ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ١٠٩.

أن نعبّئ كلّ جهودنا وقوانا للعمل في سبيل الإسلام، وذلك عن طريق تعريف المسلمين بأحكامه وكنوزه العظيمة وتربية جيلٍ مؤمنٍ صالحٍ مشبعٍ بروح الإسلام قادرٍ على الصمود في وجه التيّارات الكافرة وحماية مقدّساتها من خطرها، وعن طريق [صناعة] روح الأخوّة والمحبّة بين المسلمين لكي يحسّوا جميعاً على اختلاف مذاهبهم وقوميّاتهم ولغاتهم أنّهم أبناء رسالةٍ واحدةٍ وكتابٍ واحد وقبلةٍ واحدة.

وفي رأينا أنّ من أهمّ ما يشدُّ المسلمين بعضهم إلى بعض ويوحّد كلمتهم الشعور بالخطر المشترك والهجوم المركّز من كلّ جبهات الكفر والإلحاد.

ومأساتنا الفاجعة في فلسطين والقدس الشريفة هي أحد مظاهر هذا الهجوم المركّز الذي لم يتح له أن ينجح ويهزم المسلمين على أيدي قومٍ ضربت عليهم الذلّة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ورسوله إلاّ لأنّ المسلمين انحرفوا عن نهج رسالتهم وابتعدوا عن تعاليم دينهم واستجابوا لرغبة الكافر المستعمر في إقامة حياتهم على غير أساس الإسلام.

ولا يمكن للأمّة الإسلاميّة أن تنتصر على كلّ أعدائها وفي كلّ الجبهات وتسترجع ما سلب منها من أرض وكرامات [و]أمجاد إلاّ إذا واجهت أعداءها بوصفها أمّة إسلاميّة صادقة في إسلامها وجسّدت الإسلام في كيانها كلّه.

وختاماً فإنّنا نرفع أكفّ الضراعة إلى المولى عزّ اسمه في هذه البقعة الطاهرة في أن يتولّى المسلمين بلطفه وأن يفتح لهم سبيل الخير والرشاد، إنّه سميعٌ مجيبٌ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[١].

وفي ١٢/ذي الحجّة/١٣٨٧هـ (١٢/٣/١٩٦٨م) نزل السيّد الحكيم رحمه الله ضيفاً عند الحملة الإيرانيّة[٢].

السيّد الصدر رحمه الله ينال شرف غسل الكعبة

في سفره هذا، كتب السيّد الصدر رحمه الله تعليقته على (مناسك الحجّ) لأستاذه السيّد الخوئي رحمه الله[٣]، وكتب رسالته في الحجّ (موجز أحكام الحجّ) التي أعاد صياغتها وتبسيطها لاحقاً[٤].

من أعظم المنن والألطاف التي حظي بها السيّد الصدر رحمه الله في مكّة تلك السنة، أن وفّق للدخول إلى داخل الكعبة المشرّفة، وذلك من خلال مشاركته في إجراء مراسم غسل البيت العتيق شرّفه الله، وذلك أنّه وجِّهت إليه دعوة رسميّة من قِبل المسؤولين في إدارة سدانة البيت الحرام للمشاركة؛ فعلى الرغم من محاولتهم أن تكون سفرتهم هذه خفيفة خفيّة بلا ضجيج ولا شواغل ولا أتباع، إلاّ أنّ الكثيرين علموا بوجود السيّد الصدر رحمه الله، وتعتقد زوجته أنّ السيّد الحكيم رحمه الله هو الذي أعلن عن وجوده بين الحجّاج في ذلك الموسم، وهذا ما دفع البعض للاعتناء والاهتمام بحضوره في مراسم غسل الكعبة الشريفة، وهكذا وجِّهت إليه الدعوة المذكورة.

وبعد عودته إلى البيت كان شحوبٌ كشحوب الموتى يصبغ محيّا وجهه، ولمّا أراد أن يتخفّف من ثيابه طلباً لشيء من الراحة، قالت له زوجته: «صبراً ابن عمّي، قبل أن ترفع شيئاً من ثيابك،

---

(١) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٠٠ ـ ٣٠١.
(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٢٧.
(٣) لمحات موجزة عن حياة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر قدس سره: ١٥. ويُلفت الانتباه إلى أنّ تعليقة السيّد الصدر رحمه الله على (مناسك الحجّ) ستطبع إن شاء الله تعالى وللمرّة الأولى ضمن تراث الشهيد الصدر قدس سره الذي يقوم بنشره المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر قدس سره في عشرين مجلّداً.
(٤) يظهر ذلك من مقدّمة السيّد الصدر رحمه الله على (موجز أحكام الحجّ).

انفض عليَّ عباءتك، لعلّي أنال من بركات ما علق بها من غبار الكعبة»، وبالفعل أخذها ونفضها عليها مرّتين، ثمّ رمى بنفسه ليستريح[(١)].

المشاركة في اجتماع لعلماء المسلمين بدعوة من السيّد الحكيم رحمه الله

اقترب موعد الوداع، وأخذ المسافرون يستعدّون للرحيل. وقبيل اليوم الأخير، دعي السيّد الصدر رحمه الله من قبل السيّد الحكيم رحمه الله لحضور مأدبة غداء كان قد رتَّبها على إثر مؤتمر كبير أقامه، وحضره جمعٌ من أعلام المسلمين من مختلف الطوائف، والذين أتوا حجّاجاً في تلك السنة.

وعندما حضر السيّد الصدر رحمه الله، وجدها مأدبة عظيمة، عامرة بألوان الطيّبات، وذلك مراعاةً لوزن الضيوف الذين أتوا من كلّ فجٍّ عميق، لكنّه تشاغل ببعض ما وجد أمامه من الخضرة أو الماء، عن تناول أيّ شيءٍ ممّا تطيب لـه النفس، وتلذّ لـه العين. دون أن يلحظ ذلك منه أحد.

وعندما رجع إلى المنزل قال لزوجته: «**ابنة عمّي، هاتِ ما عندك إن وُجد عندك ما يؤكل**»، فاستغربت كلامه وقالت: «**ألم ترجع للتوِّ من مأدبة الأكابر تلك؟**»، فأجاب: «**نعم، ولكنّي ما كنت لأنعم بشيءٍ من لذّاتها، وأنت قد رضيتِ لنفسكِ بقطعة من الخبز، وشيءٍ من الإدام الخفيف**»، حيث كانوا قد حزموا أمتعتهم بعد أن اتّفقوا على أن يكتفوا في يومهم الأخير من إقامتهم بقوت المسافرين العجلين، ولم يكن بين يدي زوجته حينها إلاّ شيء من الخبز، والقليل من الجبن والخيار مع الشاي، فتناولوا غداءهم شاكرين[(٢)].

متفرّقات

وفي هذا السفر ذهب السيّد الصدر رحمه الله مع الشيخ عارف البصري والحاج أبي آلاء [والسيّد محمود الهاشمي][(٣)] الى غار حراء، وقد شعروا بإرهاق شديد وهم يتسلّقون غار ثور نحو غار حراء، وكان الطريق وعراً واستغرق التسلّق حوالي ساعة ونصف كاد أن يُغمى على السيّد، ولكنّه أصرّ على الاستمرار حتّى وصلوا إلى الغار. ولمّا دخل السيّد رحمه الله تغيّر لونه وارتعدت فرائصه ثمّ أجهش بالبكاء وهو يقول: «**هنا كان يلتقي صلى الله عليه وآله وسلم مع الله عزَّ وجلّ**»[(٤)]، ثمّ صلّى داخل الغار ودعا الله لإنقاذ الأمّة الإسلاميّة وليجعلها كما أراد أمّةً أخرجت للناس[(٥)].

وعندما كان رحمه الله مع جماعة من أصدقائه ومحبّيه شاهد رجلاً بسيطاً وكان [بعيداً]، فترك جماعته وذهب إلى ذلك الرجل وقال له: «**تعال معي لكي أزوّرك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله**»، فقال له: «**سيّدي أنت**

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦٤ ـ ١٦٥.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) ما بين [] من: ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (حفظه الله) نقلاً عن السيّد محمود الهاشمي، ويُحتمل أن يكون أبو آلاء هو السيّد الهاشمي وإن لم تكن هذه كنيته الحقيقيّة. ولكنّ أم جعفر لم تذكر شيئاً عن وجود السيّد الهاشمي في تلك الرحلة، والذي كان في العشرين من عمره حينها، ولعلّ الحادثة كانت في سفرهم إلى العمرة سنة ١٣٩٨هـ ولم يكن البقيّة معه، فإنّ الشيخ عارف البصري استشهد سنة ١٣٩٤هـ.

(٤) في البين تسامحٌ في الأصل أو النقل، والمراد رؤية رسول الله جبرائيل عليه السلام.

(٥) صحيفة الجهاد، ملحق العدد (٨٠)، ٢٠/جمادى الثانية/١٤٠٣هـ (١٩٨٣/٨/٤م) في حديثٍ مع الحاج أبي آلاء ؛ وانظر عموماً: مقابلة (٣) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

الذي تزورّني؟!»، فأجابه: «**نعم، إنّك صاحب فضل على النجف الأشرف**»، وبعد ذلك تعانقا وودّعا بعضهما البعض[١].

وأثناء الموسم حضر السيّد الصدر محاضرة لأحد علماء السنّة الذي تعرّض ضمن كلامه إلى الشيعة وراح يشرح للحاضرين موقفهم السلبي من بقيّة المسلمين.

وبعد أن انتهى قام السيّد الصدر واستأذن بالحديث فأذن له، وبعد أن أثنى على ما جاء في محاضرته ذكر له أنّ لديه ملاحظة على ما ذكره فيما يتعلّق بالشيعة، وأنكر عليه أن يكون موقف الشيعة من بقيّة المسلمين موقفاً سلبيّاً، فأجابه المحاضر: «**لقد عرفتك، أنت أحد علماء الشيعة في العراق، ويكفي حول موقف الشيعة السلبي من بقيّة المسلمين أنّهم لا يعتمدون في فقههم إلاّ على ما يرويه رواتهم ولا يأخذون روايات غيرهم بعين الاعتبار**»، فأنكر عليه السيّد الصدر مقولته وقال له: «**إنّ الوحيد البهبهاني أحد فقهائنا ألّف رسالة حول قاعدة لا ضرر ولا ضرار دافع فيها عن الرواية السنيّة للقاعدة وهي (لا ضرر ولا ضرار في الإسلام) مقابل الرواية الشيعيّة التي جاء فيها (لا ضرر ولا ضرار)**»، فبهت المحاضر، وتسلّم السيّد الصدر زمام الحديث[٢].

وربّما في هذا السفر دار نقاشٌ بين السيّد الحكيم وبين أحد علماء السعوديّة ـ وكان ضريراً ـ حول مسألة الوقوف عند ظواهر القرآن حيث ذاك العالم على ذلك. فما كان من السيّد الحكيم إلاّ أنّ أجابه قائلاً: «**إذا كان ظاهر اللفظ ولا غير، إذاً ما قولك في الآية الشريفة ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٣]؟!**»، فسكت ولم ينطق بكلمة[٤].

رجوع السيّد الحكيم إلى العراق

بعد انتهاء موسم الحجّ عاد السيّد محسن الحكيم إلى العراق وسط استقبال شعبيٍّ كبير[٥]، إذ ما إن أعلن عن نبأ وصوله إلى بغداد من المذياع حتّى خفّ الناس من كافّة أنحاء بغداد لاستقباله، ولكنّه أُخرج من باب غير الذي ينتظره الناس عنده.

وما إن وصل إلىٰ بيته في النجف الأشرف حتّى تقاطرت عليه الوفود من جميع أنحاء العراق وخارجه، وقد استمرّت الوفود إلى أنّ أمر بإيقافها بمناسبة حلول أيّام شهر محرّم الحرام[٦].

رجوع السيّد الصدر

بعد ظهيرة يومهم الأخير في مكّة المكرّمة، حمل الحجّاج متاعهم، وركبوا السيّارة ميمّمين وجوههم صوب الوطن.

---

(١) مقابلة مع السيّد محمّد باقر الحكيم بتاريخ ١٩٨١/١/١٤م (). وما بين [] غير واضح، وهو مردّد بين (بعيداً) وبين (بصيراً).. وفقرات الحادثة متقطّعة.

(٢) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني ().

(٣) الإسراء: ٧٢.

(٤) انظر: قصص وخواطر: ١٨١ ـ ١٨٢.

(٥) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٤.

(٦) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ١١٠.

ومن الخواطر الظريفة التي يطيب للسيّدة فاطمة تذكّرها، أنّهم في مرحلة من مراحل طريق العودة، أضاع السائق أبو علاء طريقه عند مفترق طرق، وكان السيّد الصدر رحمه الله مشغولاً طوال الطريق إمّا بالمطالعة، أو الاستغراق في الكتابة. فلمّا رأت السائق متحيّراً، أشارت إليه من الخلف ـ حيث كانت تجلس ـ إلى جهة اليمين، وقالت: «**إنّ من هناك طريقنا الصحيح**»، فلم يقتنع السائق، واتّجه إلى وجهة أخرى، وتوغّل فيها مسافة.. إلى أن أدرك أنّ الطريق غير الطريق. وسرعان ما سأل أحدهم، فأرشده إلى الجهة التي كانت تصرّ عليها. وهكذا عاد أدراجه إلى الجهة نفسها، فشعرت السيّدة فاطمة بزهوٍ وثقة، وصار السائق بعدها إذا تحيّر، سألها عن اتّجاهه، هل هو صحيح أم لا.

وكانت هذه الحجّة حجّة السيّد الصدر رحمه الله الوحيدة، وإن وفّق لاحقاً إلى العمرة[١].

السيّد الصدر رحمه الله يجيب وزارة الأوقاف الكويتيّة

بعد رجوع السيّد الصدر رحمه الله من الحجّ لم يكن قد تبقّى من مهلة تسليم أطروحة (البنك اللاربوي) سوى أيّام، فبدأ بتحرير الجواب، وكان يُشرك طلاّبه في المسائل المطروحة ويناقشها معهم[٢].

وقيل: إنّ السيّد الصدر رحمه الله فرغ من تحرير الأطروحة خلال أسبوع واحد[٣]، وقيل: ثمانية أيّام ثمّ أرسلها في اليوم التاسع[٤]، وقيل: عشرة أيّام[٥]، وقيل: خلال شهر[٦]. وأحسبُ أنّه حرّره في شهر وطبعه طلاّبه في عشرة أيّام، فكأنّ ما يُنقل لم يُؤخذ فيه بعين الاعتبار فترة التحضير للكتاب (وكانت شهراً)، وإنّما اعتبر فيه أنّ فترة طباعة الكتاب على الآلة الكاتبة هي فترة تأليفه.

بعد ذلك قام طلاّبه بكتابة الجواب، ولم يتبقّ سوى مراجعته، فطلب من الأستاذ أحمد عبد الأمير الحضور إلى منزله من أجل المراجعة الأخيرة. وهكذا كان، فقد تمّ الاجتماع في سرداب بيت السيّد الصدر رحمه الله وتمّ إدخال بعض التصحيحات الأخيرة[٧].

وقد رغب السيّد الصدر رحمه الله في طباعة الجواب قبل إرساله إلى الكويت، ولكنّه وجد أنّ طباعته مكلفة والمال اللازم لذلك غير متوفّر لديه، فأشار عليه طلاّبه بأنّ لديهم صديقاً يملك آلة للطباعة (دكتيلو) يمكن أن يستعيروها منه.

وبعد أن حازوا على الآلة المذكورة، ظلّوا ليومين أو ثلاثة أيّام يتدرّبون على الطباعة، ثمّ قاموا بطباعة الجواب خلال عشرة أيّام[٨]، وقد قام بذلك كلٌّ من الشيخ نجيب سويدان والشيخ حسن

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦٦. وحول العمرة: انظر أحداث سنة ١٣٩٨هـ.
(٢) بعضه من: مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).
(٣) أورد هذا القول الأستاذ عبد الكريم نجف في: جدليّة الخطّ والبطل (ضمن أعمال الندوة الثانية لدراسة فكر الشهيد الصدر قدس سره): ٣٨، ناقلاً إيّاه عن إحدى الكرّاسات، ثمّ انتقده ؛ كما جاء في: صحيفة (الجهاد)، الاثنين ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد أبو موسى.
(٤) صحيفة (الجهاد)، الاثنين ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد أبو موسى.
(٥) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.
(٦) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).
(٧) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير (حفظه الله).
(٨) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله) ؛ وقد ذكر لي المدّة الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

ملك والشيخ حسن دبوق والسيّد نور الدين الإشكوري.

وذات مرّة وبينما هم منهمكون في طباعة الأطروحة حان وقت الغداء، فطلب السيّد الصدر رحمه الله من الشيخ حسن ملك إحضار طعام للإخوة من المطعم[١].

وقبيل الفراغ من إعداد الصيغة النهائيّة للكتاب كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ علي كوراني، وكان قد سافر إلى لبنان من أجل عيادة والده المريض:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم وعضدي المفدّى لا عدمتك ولا حرمتك، وبنفسي أنت وكلّ ما أحاطت بك من مشاكل وكلّ ما بذلته في سبيل الرسالة العظيمة من جهود، وكلّ ما أقلقك من ظروف أدّت إلى سفرك إلى لبنان لتفقّد أحوال الوالد العزيز، [وبروحي][٢] كلّ انتصاراتك ومكاسبك وأمجادك التي هي انتصاراتي ومكاسبي على خطّ الأنبياء والأوصياء العظيم.

أكتبُ هذه السطور على عجلٍ لأرسلها إلى من يحملها إليك بعد أن تسلّمتُ منك أيّها العزيز المفدّى رسالتين عشتُ مع الأولى منهما لحظات من أروع لحظات الأمل ومن أثرى لحظات الحبّ والعاطفة، ولا أزال محتفظاً بالرسالة في جيبي أرجع إليها بين كلّ حينٍ وحينٍ أقرأ فيها نفسي وأملي.

سوف أترك الآن أيّ تعليقٍ على الرسالة الحبيبة، وكذلك على الرسالة الثانية التي شئت أن تطمئنني فيها وتزيل القلق في نفسي عليك، لأنّك تعلم أنّي أواكب كلّ مشاعرك وأعمالك، فألفُ شكرٍ على شفقتك عليّ وأرجو أن تكون دائماً وحتّى في حالة حدوث المشاكل أو الصعاب مرتاحاً راضياً مطمئنّاً، وأيّ اطمئنان أكبر من إحساس العامل العميق بأنّ عين الله ترعاه وأنّ ملائكة الله يباركونه ويدعون له، وأنّ رصيداً ضخماً يمثّل كلّ تاريخ الأنبياء والأوصياء والصدّيقين من ورائه يمدّه ويسنده وينير له.

سوف أقتصر الآن على هذه السطور لأنّي غارقٌ في إعداد الصيغة النهائيّة للجواب بشأن البنك اللاربوي، وسأحاول أن أكتب إليكم بعد يومين أو ثلاثة رسالةً أخرى مفصّلة إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم أوّلاً وآخراً منّي ومن كلّ إخوانك وإخوتك في الروح والإطار الذّين يلهجون بذكرك.

محمّد باقر الصدر»[٣].

ثم كتب إليه مرّةً أخرى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المفدّى والمرجى لا عدمته لحظةً ولا حرمته جزءاً من وجودي وآمالي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد فقد تسلّمتُ قبل حوالي ثلاثة أسابيع على ما أتذكّر رسالتك الأخيرة السارّة البارّة أيّها العزيز المفدّى، وكانت مع الأخ الساعدي الذي أضاف إليها من مشاهداته وانطباعاته ما ملأني اطمئناناً وسروراً، وقد عشتُ مع رسالتك العزيزة ألذّ اللحظات رساليّاً وعاطفيّاً وكنتُ أجدُ في جوّها الحنون السلوة عن أجواء الدنيا الخانقة، وفيما تعكسه من عواطف البنوّة الرائعة ما يفوق كنوز الدنيا مجتمعة. وقد انشرح صدري لتأكيداتك أيّها العزيز واستعادتك لصحّتك الغالية وسير الأمور بالشكل المطلوب وثقتك بالتغلّب على كلّ الصعاب التي يخلقها أعداء الإسلام في الطريق، أقرّ الله عيني دائماً بصحّتك ونشاطك وجهادك

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٢) قبل كلمة (روحي) كلمة غير واضحة.

(٣) انظر الوثيقة رقم (٧١).

وفيض عقلك وقلبك.

حمدتُ المولى سبحانه على انتهاء مشكلة السيّد عبد الأمير صفي الدين، وكان تصرّفك في تدارك الموضوع عن طريق السيد محمّد جيّداً جداًّ، وقد جاءتني قبل بضعة أيّام رسالة من الأخ يوسف الفضل وهو يشعر بارتياح والحمد لله رب العالمين.

كنتُ على وشك الانتهاء من ملاحق البنك اللاربوي حين حمل الأخ الساعدي إليّ رسالتك وأخبارك يا عزيزي، وقد واصلتُ العمل في الملاحق بغية إكماله في أسرع وقت وأرسلتها»[١].

وبعد الانتهاء كليّاً من صياغة الجواب، أرسل السيّد الصدر رحمه الله نسخةً من المطبوع بـ(الدكتيلو) إلى السيّد موسى الصدر ليبدي رأيه حول الأطروحة ويقوم بعرضها على جملة من الأخصائيّين للغرض نفسه[٢].

ثمّ أرسل نسخة إلى الشيخ علي كوراني ليرسله بدوره إلى بيت التمويل الكويتي. وكان الجواب أطول ممّا توقّعوا، وكان محلّ ارتياحهم بحسب ما نقل الشيخ كوراني[٣].

أمّا حول والد الشيخ علي كوراني فقد كان مرضه سنة ١٩٦٨م، وقد نقله بعد ذلك الشيخ حسين كوراني من لبنان إلى بغداد للعلاج، ومن ثمّ أتى إلى النجف حيث توفّي رحمه الله، وقد طلب الشيخ علي من أخيه الشيخ حسين أن يراجع السيّد الصدر رحمه الله في الأمور المتعلّقة بالصلاة والدفن. وقد شارك السيّد الصدر رحمه الله في مراسم التشييع، وبقي منظراً في حرم الإمام علي عليه السلام حتّى يتمّ دفن الجثمان[٤].

زيارة الدكتور خليل الشمّاع السيّد الصدر رحمه الله

بعد أن انتشر خبر فكرة البنك غير القائم على الربا، رغب [د]. خليل الشمّاع أستاذ مادّة (المؤسّسات الماليّة) بزيارة السيّد الصدر رحمه الله لمعرفة كيفيّة التعامل المصرفي بغير ربا، فهو يعرف طول حياته أنّ كلّ البنوك تتعامل بالربا والآن سمع أنّ رجلاً معمّماً يسكن النجف يذهب إلى إمكانيّة إنشاء بنك غير قائم على الربا. وقد رتّب له الأستاذ أحمد عبد الأمير لقاءً في بيت السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله في الكاظميّة دام ساعات عديدة أعجب فيها الشمّاع بشخصيّة السيّد الصدر رحمه الله ورغب في التواصل معه. وبالفعل، فعندما كان الشمّاع عضواً في مجلس إدارة المصرف المركزي العراقي وأرادت الدولة تغيير أوراق النقد، سأل الشمّاع عن حكم وضع صور مراقد الأئمّة عليهم السلام على الأوراق النقديّة فأحالوه إلى المرجعيّة، فسأل السيّد محسن الحكيم رحمه الله والسيّد الصدر رحمه الله، وجاء الجواب بالجواز، إلاّ أنّ المشروع لم يتمّ[٥]. وقد أشار السيّد الصدر رحمه الله إلى دراسة الدكتور شمّاع أطروحة (البنك اللاربوي في الإسلام)[٦].

* * *

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٧٢).

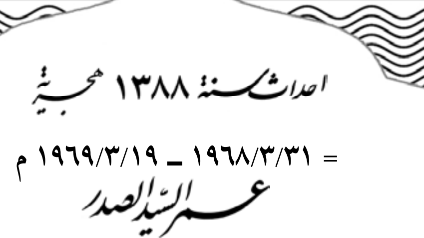
(٢) حدّثني بذلك السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.

(٣) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير (حفظه الله).

(٤) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٥) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير (حفظه الله).

(٦) البنك اللاربوي في الإسلام، ط المؤتمر: ٥١.



٣٤ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣٣ سنة و٣٠ يوماً م

❊❊❊

زيارة السيّد موسى الصدر العراق

في ١٩٦٨/٥/١٠م (١٢/صفر/١٣٨٨هـ) سافر السيّد موسى الصدر إلى النجف عبر بغداد بعد رحلة أوروبيّة بدأت من فرنسا حيث كان مشاركاً في المؤتمر الفكري الكبير المنعقد في ستراسبورغ في فرنسا من ١٩٦٨/٤/٢٨م إلى ١٩٦٨/٥/٧م[١]، والذي كان مخصّصاً للبحث حول الشيعة الإماميّة وتاريخهم العلمي والحضاري، وقد شارك فيه خمسٌ وعشرون عالماً من من جامعات فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وسويسرا وبلجيكا وأمريكا، ومن جامعات لبنان وإيران، وكان منهم السيّد موسى الصدر[٢].

وفي زيارته هذه نزل السيّد موسى الصدر عند ابن عمّه وزوج أخته السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله الذي رتّب له محاضرة في المدرسة اللبنانيّة الواقعة في محلّة الجديدة في جانب خان المخضّر، فتحدّث فيها عن تجاربه وعن سفره في ١٩٦٧/١/٢٦م إلى أفريقيا الشماليّة حيث زار غانا، نيجيريا، أبيدجان، شاطئ العاج، السنغال، سيراليون.. وقد أجاب عن أسئلة الطلبة، وكان السيّد الصدر رحمه الله حاضراً[٣]. ولعلّ الصحيح أنّ السيّد موسى الصدر ألقى كلمته حول الإسلام في أفريقيا في الرابطة الأدبيّة في النجف، ولكن قبل موعد الكلمة ـ وعندما كان في منزل السيّد الصدر رحمه الله ـ راح يجيب عن أسئلة الناس حول أفريقيا والإسلام فيها وإلى غير ذلك من الأسئلة، فالتفت إليه السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**إذا أجبت على كلّ الأسئلة فماذا سيكون ليوم المحاضرة؟ ابقِ شيئاً جديداً ليوم غد لأنّ كلمتكم ستكون عبارة عن معلومات متكرّرة**»[٤]. وفي كلمته في الرابطة ذكر السيّد موسى الصدر أنّه زار مكتبة لاغوس عاصمة نيجيريا، ولم يجد فيها إلاّ كتاباً وحيداً للشيعة وهو الجزء الخامس من تفسير (الميزان) للسيّد الطباطبائي رحمه الله[٥].

السيّد الحكيم رحمه الله و(جمعيّة العتبات المقدّسة في العراق)

كان حسن الدجيلي ـ سفير العراق لدى إيران ـ قد شاهد حرم الإمام الرضا عليه السلام في مشهد منظّماً،

---

(١) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ٣٩٦ ـ ٣٩٧.
(٢) الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: ٢١.
(٣) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ١: ٢٤٣ ؛ الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ١٦.
(٤) مقابلة مع الشيخ محمّد طحيني (حفظه الله).
(٥) ذكريات السيّد عامر الحلو (حفظه الله).

فجاء إلى العراق وشكّل (جمعيّة العتبات المقدّسة)، وكانت العتبات بيد شورى الأوقاف المؤلّفة من عشرة علماء من أهل السنّة. وقد انضمّ إلى الجمعيّة كبار تجّار الشيعة ورئيس غرفة تجارة بغداد والشيخ أحمد الوائلي رحمه الله، ولم ينضمّ إليها السيّد العسكري إلاّ بعد شهر من تشكيلها وإثر الإلحاح.

وكان الماء قد جرى تحت حرم الإمام الحسين عليه السلام وحرم العبّاس عليه السلام، فقام السيّد مرتضى العسكري بتمثيل السيّد الحكيم رحمه الله عند الدولة وطالب بإصلاح الأمر، إلاّ أنّها لم توافق، فطالبوا بأن تكون للعتبات مديريّة خاصّة تستلم العتبات.

لم توافق الحكومة على تشكيل هذه الجمعيّة، فقام السيّد العسكري وآخرون بتشكيل وفد زار السيّد محسن الحكيم رحمه الله يوم الجمعة حاملاً إليه رسالةً كتبها السيّد العسكري، فكان جواب السيّد الحكيم رحمه الله: «**أنتم وجوه الشيعة.. العتبات المقدّسة زائدة ناقصة ماشية.. روحوا فكّروا بالشيعة**»[(١)]، ولكنّه حرّر لهم الرسالة التالية بتاريخ ١١/ربيع الأوّل/١٣٨٨هـ (١٩٦٨/٦/٨م)، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته والدعاء لكم بالتأييد والتسديد.

وبعد فإنّني أبتهل إلى الله سبحانه في أن يبارك لكم في جهودكم في هذا السبيل الصالح وأن يقرن عملكم المبرور بالنجاح والقبول وأن يجعل منه بادرة طيّبة يتحقّق فيها كثيرٌ من الخير للمسلمين عامّة، إنّه سميع مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محسن الطباطبائي الحكيم

١١ ربيع الأول ١٣٨٨هـ»[(٢)].

ترجمة (اقتصادنا) إلى اللغة الفارسيّة

بعد فترة من صدور (اقتصادنا) كتب الشيخ محمّد تقي الجعفري التبريزي رحمه الله رسالةً إلى السيّد الصدر رحمه الله يطلب منه فيها الإذن بترجمة الكتاب إلى اللغة الفارسيّة على يد الدكتور عبد العلي اسبهبدي (اسپهبدى)، فكتب السيّد الصدر رحمه الله في جواب رسالة الشيخ الجعفري رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ المعظّم والملاذ المؤمّل حجّة الإسلام والمسلمين الفقيه الأصولي الفيلسوف المتكلّم الشيخ محمّد تقي الجعفري دام عزّه.

تلقّيت بمزيد السرور رسالتكم الكريمة وقرأتها بكلِّ مشاعري وعواطفي، وكيف لا أقرأها كذلك وهي إشعاعةٌ من ذلك النور الذي شعّ على العالم الإسلامي بعلمه وفضله وإبداعه وتحقيقاته.

وإنّي إذ أشكر اهتمامكم وعنايتكم الشريفة بكتاب اقتصادنا أودّ أن أذكر للأخ الفاضل عبد العلي أنّه كيف يتوقّف على إجازتي بعد صدور الإجازة التكوينية من سماحتكم بتفضّلكم بالإشراف على الترجمة. وأحبُّ أن يعرف دام عزّه أنّ إجازتكم هي إجازتي وإرادتكم هي إرادتي وقبولكم ورضاكم هو قبولي ورضاي، فلا داعي لأن يتوقّف بعد رضاكم أيّها الأخ المفدّى عن الترجمة، فله أن ينشر ترجمته للكتاب

---

(١) مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (رحمه الله) ؛ وانظر: العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٣٢.

(٢) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٢٥.

على أن لا يسقط من الكتاب شيئاً حتّى الملاحق لا بدّ أن ينشرها ولو بنصّها العربي إن لم تشملها الترجمة. كما أحبُّ أن يطّلع الأخ العزيز السيّد عبد العلي أنّه لم يصل إليّ ما وعدني به في رسالة أرسلها إليّ قبل سنة أو أقلّ إذ وعدني بأن يرسل إليّ نموذجاً من الترجمة. وكنتُ طولَ المدّة منتظراً لوصولها ومتلهّفاً عليها ولكنّها مع الأسف الشديد لم تصل حتّى الآن، ولا أدري كيف لم تصل مع تصدّي الأخ المترجم لإرسالها.

وختاماً أبتهل إلى المولى سبحانه أن يديم وجودكم الشريف مناراً شامخاً وعلماً من أعلام العلم والإسلام، وأرجو تبليغ تحياتي واحترامي وشكري للأخ العزيز السيّد عبد العلي متمنياً له توفيقاً كبيراً ومستقبلاً عظيماً وأن يحقّق الله على يديه المكاسب الكبيرة للإسلام والشريعة الإسلامية.

ودمتم للمخلص

محمّد باقر الصدر»[(١)].

ويبدو أنّ العمل على الترجمة المذكورة قد طال، وكان السيّد الصدر رحمه الله مهتمّاً بنشرها، فكتب السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله رسالةً إلى الشيخ الجعفري رحمه الله يستوضح فيها أسباب التأخير وأوصلها إلى الشيخ الجعفري عبر الحاج محمّد الآخوندي صاحب المكتبة الإسلاميّة بطهران وهو صديق الشيخ الجعفري رحمه الله. وقد جاء في الرسالة المؤرّخة بتاريخ ١٣٤٧/٤/٢٨هـ ش (٢٢/ربيع الثاني/١٣٨٨هـ = ١٩٦٨/٧/١٩م):

«تهران ـ بازار سلطانى ـ كتابفروشى اسلاميّه ـ ايران

توسّط آقاى شيخ محمّد آخوندى

بحضور معظّم حضرت حجة الاسلام والمسلمين آقاى شيخ محمّد تقى جعفرى دام ظلّه العالى

نجف ـ سيد عبد الغنى اردبيلى

حضور محترم دانشمند معظم

حضرت حجة الاسلام آقاى جعفرى دام ظله العالى

بعد از اهداء عرض سلام اميدوارم هميشه اوقات در كمال افاضه وترقى روحى روحانيان بوده باشيد، واز توجهات خاصه ولى عصر در كمال صحت وسلامت بوده باشيد.

غرض از تصديع اوقات شريفه اينست مدتى است از استاد معظم آقاى صدر دام ظله العالى ترجمه اقتصادنا را درخواست مى كنند، ومعظم له در جواب ميفرمايند در تهران مشغول ترجمه هستند، وباين زودى انتشار ميشود، ولذا از حضرت عالى تمنى مى كنم علل تاخير انتشار را مرقوم فرمائيد.

در خاتمه آقاى صدر بحضور معظم وآقاى مترجم سلام خالصانه دارند، وهميشه اوقات از درگاه خداوند احديّت توفيق وموفقيت در انجام وظيفه مسئله مى نمايند.

سيد عبد الغنى اردبيلى

نجف ـ توسط سيد حسين خيّاط»[(٢)].

وترجمتها شبه الحرفيّة ما يلي:

«طهران ـ سوق سلطاني ـ المكتبة الإسلاميّة ـ إيران

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٧٣).

(٢) ياران امام به روايت اسناد ساواك (٧)/ علامه جعفرى: ٤٨ ـ ٤٩.

عبر الشيخ محمّد الآخوندي

إلى حضرة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ محمّد تقي الجعفري دام ظلّه العالي

النجف ـ السيّد عبد الغني الأردبيلي

إلى جانب العالم المعظّم حضرة حجّة الإسلام الشيخ الجعفري دام ظلّه العالي

بعد إهداء السلام، أرجو أن تكونوا دائماً في كمال الإفاضة والترقّي الروحي، وأن تشملكم عناية وليّ العصر فتكونوا في أتمّ الصحّة والسلامة.

إنّ الغرض من وراء تصديع أوقاتكم الشريفة[١] هو أنّه منذ فترة يطالبون الأستاذ المعظّم السيّد الصدر دام ظلّه بترجمة كتاب اقتصادنا، ويجيبهم السيّد الصدر بأنّه قيد الترجمة في طهران، وسيتمّ نشره في وقتٍ قريب، لذا أرجو منكم بيان أسباب تأخّر صدور الترجمة.

في الختام يبلّغكم السيّد الصدر والسيّدَ المترجِمَ سلامه الخالص، وهو دائماً يسأل المولى الأحد تعالى لكم التوفيق في القيام بوظيفتكم.

السيّد عبد الغني الأردبيلي

النجف ـ عبر السيّد حسين الخيّاط».

والذي يبدو من خلال الترجمة الفارسيّة الصادرة:

أولاً: أنّ الذي قام بترجمة القسم الأوّل من الكتاب هو السيّد محمّد كاظم الموسوي، وقد كتب مقدّمة الترجمة في ١٣٤٨/٧/٢٢هـ ش (٢٥/رجب/١٣٨٩هـ = ١٩٦٩/١٠/٨م).

ثانياً: أنّ الذي قام بترجمة القسم الثاني من الكتاب هو الدكتور عبد العلي اسبهبدي (اسپهبدى) المذكور، ولكنّه لم يُدرج ملحقات الكتاب بنصّها العربي كما كانت رغبة السيّد الصدر‌رحمه‌الله في الرسالة المتقدّمة، بل أحال إلى النسخة العربيّة من الكتاب، ويبدو أنّ ذلك كان بموافقةٍ لاحقة من السيّد الصدر‌رحمه‌الله كما يُستفاد من هامش المترجم[٢].

وقد صدر الكتاب سنة ١٣٩١هـ[٣].

استلام البعثيّين الحكم

قرّر الأمريكيّون تنحية الرئيس عبد الرحمن عارف عن الحكم[٤]، وذلك لعدّة أسباب منها:

١ ـ تعليقه أوّل الأمر منح الشركات الأمريكيّة امتياز استثمار الكبريت في العراق على تغيير موقف الولايات المتّحدة من الصراع العربي ـ الإسرائيلي، ومن ثمّ قراره باستثمار مناجمه الكبريتيّة بشكل مباشر وبمساعدة خبراء من بولونيا.

٢ ـ منحه شركة (إيراب) الفرنسيّة امتياز التنقيب عن النفط جنوبي العراق، وهذا ما أوجد منافساً حقيقيّاً للمصالح الأمريكيّة والبريطانيّة.

---

(١) تعبير فارسي في سياق التواضع والتذلّل لا نستخدم مثيله في العربيّة.

(٢) انظر: اقتصاد ما ١: ٥ ـ ٦، ٢: ١٤.

(٣) انظر أحداث سنة ١٣٩١هـ.

(٤) يؤكّد السيّد مرتضى العسكري أنّ الانقلاب البعثي كان بدعم إنجليزي ـ أمريكي (العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ١٣٨) ؛ وهو ما جاء في: من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ١٦.

٣ ـ تواجد قطعات ضاربة من الجيش العراقي على الجبهة الشرقيّة، ما يشكّل خطراً على الكيان الصهيوني.

عندها قرّرت الولايات المتّحدة قلب الحكم في العراق، [وقد تمّ التواصل بين بعثيّي العراق وبين صدّام حسين وميشيل عفلق والسفارة الأمريكيّة في بيروت. إذ بعد أسبوع من المفاوضات مع السفارة الأمريكيّة قام صدّام حسين بإبلاغ بعثيّي العراق بأنّ الحكومتين الأمريكيّة والبريطانيّة أبدتا استعدادهما للتعاون إلى أقصى حدٍّ بشرطين:

الأوّل: تقديم تعهّد خطّي بالعمل وفق ما يرسمونه لهم.

الثاني: أن يبرهن البعثيّون على قوّتهم في الداخل، فتمّ تنظيم مظاهرة ضخمة ضدّ عبد الرحمن عارف بالتعاون مع الشيوعيّين والدينيّين، وقد مشى في مقدّمتها أحمد حسن البكر وحردان التكريتي وعماش وآخرون.

وقد أناطت السفارة الأمريكيّة ببيروت استعدادها للتعاون معهم بالتساهل بعد نجاح الانقلاب في مسألة النفط مع الشركات الأمريكيّة، فوافقوا على هذا الشرط.

وبعد ثلاثة أيّام كلّفتهم السفارة الأمريكيّة بالتعاون مع عبد الرزّاق النايف آمر الحرس الجمهوري لعبد الرحمن عارف والسير على ما يرسمه لهم، وقد انعقد الاجتماع في سيّارته الخاصّة ليلة ١٩٦٨/٧/١٢م وتمّ الاتّفاق على كلّ شيء][١].

وقد وقع الاختيار أوّل الأمر على العقيد رجب عبد الحميد ليكون واجهة الانقلاب، ثمّ استقرّ الرأي فيما بعد على اللواء المتقاعد أحمد حسن البكر.

اتّصل أحمد حسن البكر وحردان التكريتي وفاضل حسن بالسيّد مهدي الحكيم رحمه الله لمعرفة مطالب المرجعيّة، فكان الجواب: «**إنّنا لا نريد شيئاً سوى قيام حكومة بحيث يشعر أبناء العراق أنّها حكومتهم، ويدافعون عنها بكلّ قلوبهم لأنّها تضمن مصالحهم**»، فكان الجواب: «**نحن استفدنا من دروس سنة ١٩٦٣**».

وفي زيارة لوفد من علماء بغداد والكاظميّة للرئيس عارف، حذّره السيّد مرتضى العسكري من عودة حزب البعث إلى الحكم، إلاّ أنّ عارف طمأن الحضور بأنّ الأوضاع تحت السيطرة وأنّ كلّ شيء على ما يرام.

[وفي زيارة للسيّدين مرتضى العسكري ومهدي الحكيم لوزير الدفاع في حكومة عارف حول إعفاء طلبة العلوم الدينيّة من الخدمة العسكريّة، قال السيّد العسكري: «**أرى هناك علامات تحرّك بعثي**»، فقال الوزير: «**لا سيّدنا.. ما كو كلّ شي، لم يكونوا سوى بعض الضبّاط البعثيّين المعتقلين الذين أطلقنا سراحهم بعد إعلان توبتهم**». وقد كرّر الحديث نفسه مع رئيس الوزراء طاهر يحيى، ولكنّه لم يأخذ بتحذيره][٢].

---

(١) من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ١٦ ـ ١٧.

(٢) ما بين [] من: العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٣٨.

وفي صبيحة ١٩٦٨/٧/١٧م (٢١/ربيع الثاني/١٣٨٨هـ)، تمّ الإعلان عن تنحية عارف عن الحكم، وإعلان البكر رئيساً للجمهوريّة وقائداً عامّاً للقوّات المسلّحة، [وتمّ إغلاق الحدود العراقيّة ـ الإيرانيّة، كما وتعطّلت خطوط الهاتف، وقد اعترفت إيران بالدولة الجديدة في ١٩٦٨/٧/٢١م].

وفي ١٩٦٨/٧/٣٠م (٥/جمادى الأولى/١٣٨٨هـ) تمّ الانقلاب على [رئيس الوزراء الجديد عبد الرزّاق النايف ووزير الحربيّة وقائد الأركان، وذلك بعد أن أعلن النايف في مؤتمره الصحفي الأوّل والأخير أنّ حكومته ستنهج الاستقلال في ما يتعلّق بقضايا النفط، وأنّها ستعيد النظر في الاتّفاقيّات المعقودة بين العراق وبين شركات النفط، وكان ذلك بمعونة السفارة البريطانيّة في بغداد][(١)]، وجاء حزب البعث رسميّاً إلى السلطة. لكن منذ ذلك الحين أخذت السلطات تتركز بيد صدّام حسين بصورة تدريجيّة إلى أن تسلّمها رسمياً بعد إزاحة البكر في ١٧/تموز/١٩٧٩م[(٢)].

موقف السيّد محسن الحكيم رحمه الله

وكان موقف السيّد محسن الحكيم رحمه الله هو أن لا يظهروا المسالمة أو المحاربة، بل عليهم مراقبة الأوضاع باعتبار أنّ البيان الأوّل للنظام الجديد كان لا بأس به..

وبعد ذلك جاء مدير عام الشرطة فاضل العسّاف إلى السيّد مهدي رحمه الله وقال له: «**إنّ أخاك أبا هيثم [أحمد حسن البكر] يسلّم عليك ويقول: إنّنا لم نرَ السيّد مهدي وإنّه لم يأتِ إلينا..**»، فضحك السيّد مهدي رحمه الله قائلاً: «**في يومٍ من الأيّام كان يملك وقته فكنّا نشاطره هذا الوقت، أَمّا الآن فإنّ وقته للناس وليس عندي عملٌ معيّنٌ حتّى أوجد مبرّراً وجدانيّاً لزيارته، وإنّ هذه الزيارة والمجاملة ليس وقتها الآن، ولنتركه يهتمّ بشؤون الناس، فأمامنا وقتٌ آخر للزيارات**»، وذكر له أنّ البيان الأوّل لا بأس به.

ثمّ اتّصل البكر مرّة أخرى وقال: «**ماذا جرى؟ لم نركم.. أين أنتم؟**» فأجابه السيّد مهدي: «**إنّ شاء الله الفرص طويلة، وأنتم الآن مشغولون بالثورة**».

ثمّ اتّصل مرّة ثالثة، وعندها استشار السيّد مهدي والده وقرّرا أن يغيب السيّد مهدي والسيّد هادي عن الأنظار لفترة، فسافرا إلى سوريا ثمّ إلى مصر ثمّ إلى لبنان لمدّة شهر أو أكثر، ورجعا بعد أن وقفت الثورة على رجليها[(٣)].

موقف السيّد الصدر رحمه الله

وكان تشخيص السيّد الصدر رحمه الله أنّ صدّام حسين هو الرأس المدبّر للنظام، وكان هذا التشخيص في وقت مبكّر جدّاً، وقبل استلام صدّام كافّة السلطات، وكان رحمه الله يقول: «**ما دام هذا الشخص في الحكم لا يمكننا عمل شيء، بل إذا سكتنا عنه فسوف يُحطّم ويهدّم الكيان الإسلامي في العراق**»[(٤)].

---

(١) ما بين [] من: من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ١٧ ـ ١٨.

(٢) انظر: حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٥٢ ـ ١٥٦. وللتفصيل انظر: موسوعة السياسة ٤: ٦٢ ؛ وما بين [] من: هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٤١ ؛ وانظر: الفكر السياسي المعاصر في العراق: ٣٦٨ ـ ٤٠٨.

(٣) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٧٨ ـ ٧٩.

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ٥٩.

ومنذ بداية وصول حزب البعث إلى السلطة قال السيّد الصدر رحمه الله: «**إنّ نظام الشاه كان واضحاً في ارتباطه بأمريكا، وهذا الأمر هو الذي أسقطه في قلوب الناس. وأمّا نظام البعث فهو يجمع مكر معاوية وبطش يزيد، فهم يظهرون بصورة الحزب الوطني المدافع عن مصالح الشعب والمعادي للأمريكان، وهذا هو نموذج مكرهم وخداعهم للناس ويتعاملون مع الشعب بكل بطش وقسوة ودمويّة كما مارسه يزيد الطاغية الذي لم يكن يملك مكر معاوية**»(١)، «**إنّ الأمّة تحتاج إلى دم كدم الحسين عليه السلام، وحيث لا يوجد شخصٌ له مثل موقع الحسين عليه السلام في الأمّة، إذن يقظة الأمّة بحاجة إلى مجموعة دماء**»(٢)، وأعلن أنّ الأمّة تحتاج إلى دمٍ كدم الإمام الحسين عليه السلام(٣).

وقال رحمه الله: «**لقد ضرب البعثيّون طوقاً من الخوف على رقاب هذه الأمّة، وسأعمل على تحطيم هذا الطوق**»، و«**إذا كان الشعب العراقي لمسلم يحتاج إلى سفك دمي حتّى يتحرّك فإنّي على استعداد لذلك**»، «**يا ليت هؤلاء يقتلونني حتّى تؤجّج دمائي ثورة الإسلام في العراق**»(٤).

مع الأستاذ حسين عبيد حول واقع الأمّة الإسلاميّة وعتابه على العلماء

في ١٩٦٨/٨/٣م (٨/جمادى الأولى/١٣٨٨هـ) حرّر الأستاذ حسين حسن عبيد من لبنان الرسالة التالية وأرسلها إلى السيّد الصدر رحمه الله، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حجّة الإسلام آية الله العلاّمة المجاهد السيّد محمّد باقر الصدر دام ظلّه الوارف.

سيّدي!

تحيّة إسلاميّة تنبع من الأعماق، تحيّة البراءة المعطاءة للخيرات.

يقولون: إنّ الإنسان حفنة من تراب ونفخة من روح، وإنّ لكلٍّ منهما [طبيباً]: طبيبٌ يداوي الجسد، ألا وهو العدد الوافر من الأطبّاء في هذا الزمان وفي كلّ زمان ؛ وطبيبٌ يعالج الروح، ألا وهو الله الذي يعالج بواسطة الأنبياء والرسل وأوصيائهم.

سيّدي!

إنّي لأعجب العجب الشديد عندما أرى أنّ طبيب الأجساد قد أعطى ثمّ أنتج ثمّ أثمر ثمّ أبدع واستمرّ في العطاء.. بينما أرى طبيب الأرواح أنّه قد أعطى وأنتج وأثمر، وفي الفترات الأولى من عطائه أبدع.

---

(١) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٢٩)، نقلاً عن السيّد صدر الدين القبانجي.

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، ١٩/رجب/١٤٠٥هـ نقلاً عن السيّد صدر الدين القبانجي. وهذا المعنى واردٌ على لسان السيّد الصدر رحمه الله في محاضراته حول أهل البيت عليهم السلام حيث يقول: «إذن لا بدّ من حسين جديد لهذه الحركة ولا بدّ من زينب، ولا بدّ من رجال كأصحاب الحسين عليه السلام، وهذا أمر مستحيل، فلا يمكن لأيّ إنسان أن يمتلك كلّ هذه المواصفات التي يمتلكها الحسين عليه السلام، ولا مقوّمات ثورته بالكامل، وإذا كان الأمر مستحيلاً، فلا بدّ من قطار من الدماء ورتلٍ ضخم من التضحيات تشكّل بمجموعها جزءاً من مقوّمات مأساة الطف، لتحرّك ضمير هذه الأمّة الميّتة وتوقظ مشاعرَها وأحاسيسها، وعلى المسلمين أن يكونوا دائماً على أهبّة الاستعداد لتلبية نداء الإسلام متى استصرخهم لنصرته، لعلّ في قطار الدم عودة إلى الواقع الرسالي الكريم» (المجموعة الكاملة لمؤلّفات السيّد محمّد باقر الصدر ١٣: ٩٥، محاضرة حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام).

(٣) صحيفة (بدر)، العدد (١٨٥)، في حديث مع السيّد محمّد الحيدري ؛ وانظر في المصدر نفسه الحديث مع المنهدس أبي مهدي رئيس هيئة الأركان الإداريّة في فيلق بدر.

(٤) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢).

وعلى مرور الزمان والليالي نرى أنّ عطاءه توقّف ثمّ بدأ بالتقهقر، حتّى وصلنا إلى ما وصلنا إليه في يومنا.

سيّدي!

ما هو السبب في ذلك؟! العجز أم التقصير؟! وحاشا لله أن يكون عاجزاً وهو المصرّح بأنّه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[١]، الأنبياء والرسل؟! أيعقل أنّهم يقصّرون وهم أمناء الله على تبليغ رسالته؟! أم الإهمال [من][٢] الأوصياء في المحافظة على الرسالة؟! والتاريخ يحدّثنا أنّهم قدّموا أنفسهم وأموالهم وعيالهم في سبيل الله؟!

سيّدي!

إذاً على من وقعت المسؤوليّة؟! إذا لم تقع على الله ولا على رسله ولا على أوصياء رسله؟!

سيّدي!

ولماذا المسؤولون لا يقومون بالمسؤوليّة الملقاة على عاتقهم و[قد][٣] وعدهم الله بالنصر والتثبيت و[إعطائهم] كرامة الدنيا والآخرة؟! ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٤]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٥].

سيّدي!

نقل لي فضيلة الشيخ حسن طراد كلاماً عن فضيلتكم فهمت من خلاله بالرغم من إيجازه وعدم إبرازه الصفات اللائقة التي تليق بمجتهد مطلق كما ذكر هو نفسه، فهمت أنّ فضيلتكم تملكون شراباً، [شراباً] من الصبر [محفوظاً] في جوهرة يُرى داخلها من خارجها، فإذا ألقت الشمس إشعاعاتها عليها انعكس نورها شعاعاً ثمّ تتوهّج فتبعث أشعّتها لتبدّد جحافل الظلام عن وجه المعمورة..

سيّدي!

من شرب شربةً من هذا الشراب لا يظمأ بعدها أبداً، إنّه يملك الحياة ويتغلّب على الموت..

سيّدي!

إنّ هذا الشراب ملكٌ لكم، ولكن ما هي الشروط التي تطلبونها لتعطوا منها شربةً واحدةً لظمآن؟!

سيّدي!

إن كان الأيمان المغلّظة فذلك سهلٌ ويسيرٌ على الناس في زماننا..

وإن كانت الأرواح فالأرواح رخيصة أيضاً، حيث إنّنا نرى أنّها تبذل لحماية الخنافس كما تقول إحدى المنتسبات لهذه الجمعيّة الشيطانيّة: (أبذل روحي رخيصة في سبيل إنقاذ حياة الخنافس جميعاً).

سيّدي!

الشياطين تبذل أرواحها في سبيل العدم، في سبيل الموت الأبدي.. فلماذا لا نبذل أرواحنا وأموالنا رخيصةً في سبيل الحياة؟!

سيّدي!

---

(١) البقرة: ٢٠.
(٢) ما بين [] أضفناه للسياق.
(٣) ما بين [] أضفناه للسياق.
(٤) محمّد: ٧.
(٥) البيّنة: ٧.

أقسم عليكم بحقّ دم الحسين وحرمته عند الله إلاّ ما أجبتموني على رسالتي هذه، حيث سبق وأرسلت لفضيلتكم رسالتين قبل هذه ولم أحظَ بالجواب.

تحرير في: ٦٨/٨/٣
طالبٌ للحياة
حسين حسن عبيد»[١].

أمّا الرسالة التي يتحدّث عنها الأستاذ عبيد والتي لم يجب عنها السيّد الصدر رحمه الله، فقد جاء فيها[٢]:

« بسم الله الرحمن الرحيم

آية الله العظمى وحجّة الإسلام والمسلمين أدام الله ظلكم

سيّدي !

بعد لثم يدكم الطاهرة:

مثولاً بين يديكم، تعظيماً لمقامكم، وتكريماً لشخصكم اسمحوا لي بعرض ما يلي:

المقدّمة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (علماء أمّتي كأنبياء بني إسرائيل)[٣].

سيّدي ! انتم وأمثالكم المعنيّون بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنتم حجّة الله على العباد بعد غياب صاحب الأمر عليه السلام، ولم يأخذ الله عهداً على الأنبياء بتبليغ الرسالة وعلى الأوصياء بالمحافظة عليها وعلى العلماء بالقيام بالأمر بعد الأوصياء إلاّ بعد أن أخذ عهداً من الناس أن يتعلّموا منهم، حيث إنّ الله [عادلٌ] لا يجوز عليه ظلم.

الموضوع: بناء لذلك، فإنّي أقول: أنتم العلماء والشيعة المتعلّمون ـ ولا يسمّى العالم عالماً حتّى يعمل بعلمه، فإنّ العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلاّ ارتحل[٤] ـ ، ولا ينطبق على المتعلّم صفة طلبة للعلم حتّى يعي ثمّ يحفظ ثمّ يعمل ثمّ يخلص و(من حفظ أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة عالماً)[٥].

الغاية: بما أنّكم وأمثالكم من العلماء بصاحب الأمر وبكم يرزق الله العباد وينعم على المؤمن منهم والكافر، وبصاحب الأمر وبكم محفوظة السموات والأرض أن تزولا، وبما أنّ الشيعة هم المتعلّمون وهم المسلمون والمؤمنون حقّاً، فإنّي أحد هؤلاء وفرد منهم أطالبكم بحقّ المتعلّمين عملاً بقول رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس من المسلمين)[٦].

النتيجة: كما أنّ العالم محفوظ بصاحب الأمر وبكم، كذلك قامت فئة تدّعي التديّن وارتقت منبر الحق وادّعت أنّها من صاحبة الحقّ الشرعي ويجب الأخذ عنها، وهذه الفئة ليست بأهل من جهة واحدة فحسب، بل من عدّة جهات:

١ ـ لا علم لهم.

٢ ـ لا تديّن ولا ورع عندهم سوى اللباس الظاهري (مسوح الرهبان على جلود الذئاب).

٣ ـ لا أخلاق يتحلّون بها، بل يروغون كما تروغ الثعالب.

---

(١) (رحمه الله)
(٢) في هذه الرسالة بعض الاضطراب.
(٣) بحار الأنوار ٢: ٢٢.
(٤) انظر: الكافي ١: ٤٤.
(٥) انظر قريباً منه في: الكافي : ٤٦.
(٦) الكافي ٢: ١٦٤. وفي المصدر: «من أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس منهم».

٤ ـ لا عمل دينيّ يقومون به إلاّ منازعة أهل الحق والمناصرة السلبيّة لأهل الباطل.

كما جرى ذلك بين اثنين من أهل العلم:

الأوّل: أمر بأنّ كل من يقذف على الله أو على النبي أو الإمام فاضربوه.

الثاني: قال أليس من الحرام أنّ فلاناً يعترض أحد العصاة فيأخذ ذاك سلاحاً ويطلقه عليه فإذا هو من الأموات؟!

والأمثلة على ذلك كثيرة في بعض بلدان الشيعة.

فبالقسم الثاني هلك الناس وضلّوا، وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله: حيث قال قصم ظهري إلاّ اثنان: عالم متهتّك وجاهل متنسّك[١].

هذه الفئة ليس لها همٌّ إلاّ محاربة أهل الحق الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فإذا قام العالم المحقّ بمشروع خيري مثلاً يقوم الثاني بمشروع آخر ضدّه، فيقف الناس حيارى ولا يدرون مع أيٍّ منهم يسيرون، وأخيراً ينقسمون إلى ثلاث فئات:

الأولى: قسمٌ يلتحق بالمحق ويناصره بكلّ ما لديه من قزّة[٢]، وهؤلاء هم الأقلّون عدداً.

وقسمٌ ينحاز متّبعاً للمنافع الدنيويّة، فمتى ما حصّل غايته ابتعد كأنّه ليس من المسلمين.

الثانية: قسمٌ ينحاز إلى المبطل انتصاراً لمبدئه لأنّه من أنصار الباطل.

قسمٌ ثانٍ ينحاز تبعاً للمنافع الدنيويّة يميل معها حيث يميل.

الثالثة: هم الانعزاليّون، لا مع العير ولا مع النفير[٣].

فاتّضح لنا من ذلك أنّ الشبهة حصلت عند الناس، والناس كما هو معلوم لديكم ـ تباع كلّ ناعق[٤]، عقولهم بأعينهم، فإذا دعاهم المؤمن أو العالم المحقّ للإتلاف[٥] مثلاً فإذا لم يقولوا له وجهاً لوجه، يقولون ذلك بعد أن يغيب عنهم.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[٦].

«روحوا اتّفقوا مع بعضكم وبعد ذالك ادعونا لنصرتكم».

وإذا دعاهم لبذل قسمٍ من المال يقولون وجهاً لوجه: (إنّما يريد ذلك لنفسه، لو كان تقيّاً لماذا اختلف مع فلان؟!).

ولكن مع هذا كلّه [فأكثر] هؤلاء يعرفون المحقّ من المبطل بحكم رسول الباطن الذي هو العقل، حيث لا يوجد مال من قبل الطرفين، لأنّ المحقّ لا يبيع دينه بدنياه، والمبطل أعمى قلبه وبصره حبّ الدنيا واتّباع الشهوات، فلا تسمح نفسه بأن يكون مناصره إلاّ بما هو يسير ما دام له فيه [..] منفعة.

سيّدي ! لعلّك تقول لي الآن: ما دام الأكثر يعرفون المحقّ فلماذا لا يلتزمون به ويتّبعونه؟!

فأقول: نعم سيّدي، كلامكم هو الصدق والواقع، ولكم يختلط الحق على أكثر الناس عندما يبرز هذا

---

(١) كذا في الوثيقة، والصحيح أنّه عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قصم ظهري عالمٌ متهتّك..» (بحار الأنوار ٢: ١١)، وفي بعض الكلمات: «ما قصم ظهري إلاّ رجلان...» (غرر الحكم: ٤٨، رقم ٢٤٥)، وورد مثله عن الإمام الصادق عليه السلام (بحار الأنوار ١: ٢٠٨).

(٢) كذا في الوثيقة، والقزّة في اللغة هي الوثبة، أو أن يكون الصحيح (قدرة).

(٣) يقال للخامل: «لا في العير ولا في النفير» (شرح نهج البلاغة ١: ٣٣٤).

(٤) انظر: نهج البلاغة: ٤٩٥.

(٥) كذا، ولعلّ الصحيح: الائتلاف.

(٦) البقرة: ٤٤.

المتعمّم المبطل شهادته موثّقة من مرجع مجتهد آخر، فيدعو إليه ضدّ ما يدعو إليه المحق، ولعلّ الذي أعطى الشهادة يكون معذوراً بإعطائه ذالك عملاً بشهادة صدرت من شاهدين موثّقين لديه حسب الظاهر، ولعلّ الشاهدين هما [اللذين] اعوجّا.

وهكذا سيّدي تجد أعمالنا في كلّ بقعة من بقاع الأرض متفرّقة وغير منتظمة تجرّ علينا عدّة مصائب وويلات منها بل أهمّها:

١ ـ الفقر المدقع الواقع بأكثر طلبة العلم الديني الخلّص.

٢ ـ الغنى الزائد بالنسبة للبعض من إخوانهم، كأنّ هؤلاء نسوا قول رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتّى يحب لأخيه كما يحبّ لنفسه)[1].

٣ ـ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ أهله غلبوا على أمرهم من وجود المناوئ لهم.

٤ ـ الشبهات الكثيرة التي تدخل على العوام والغير مثقّفين بالثقافة الدنيويّة المتداولة بين الناس.

٥ ـ الكفر والإلحاد الذي يلحق بالمثقّفين بالثقافة المتداولة في الدول.

٦ ـ انزواء وانعزال المؤمن لاشتباهه بالمبطل من المحق.

٧ ـ هلاك العاجز والفقير والمعدوم، لأنّ الرحمة فقدت من المتعلّم العلم العصري، والمؤمن انعزل عن الناس، والعامي همّه نفسه لأنّه لا علم له، والعالم العامل بعلمه انعزل في بيته وهو همّه نفسه، لو كان منصفاً لأعان [أخاه] الذي يعلم أنّه يبيت طاوياً من الجوع.

٨ ـ وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انتشر الفساد.

والطامّة الكبرى والبلية العظمى أنّنا قد أصبحنا وجلّنا إلى النار إلاّ من شمله الله بالرحمة وكان على يقين من دينه و[عاملاً] بعلمه و[مخلصاً] بعمله لوجه الله.

فعلى من تقع المسؤوليّة؟؟

سيّدي ! لعلّكم تنظرون إليّ نظرة الوالد الرحيم الرؤوف لولده العاق، فإنّي أخاف أن يكون كلامي هذا فيه أذى لكم وتوجّهون إليّ الأسئلة التالية:

١ ـ على من تقع المسؤوليّة؟!

٢ ـ لماذا لا يقوم المسؤولون بما وجب عليهم؟

٣ ـ كيف يكون العلاج؟

سيّدي ! إنّ الولد العاق لا يتورّع عن الجواب مهما كان قاسياً، فأرجوكم وأستميحكم عذراً أن تسمحوا لي بالكلام، و[..] أعطيتكم الحقّ الكلّي في تأديبي لأنّ رأيي في هذا الموضوع رأي العوام لا رأي العلماء.

أقول:

الجواب على السؤال الأوّل:

تقع المسؤوليّة في الدرجة الأولى على العلماء، وثانياً على الناس[2]:

١ ـ أمّا طلبة العلم فمنهم المجتهد المطلق أو لا.

٢ ـ المجتهد.

٣ ـ المجتهد المتجزئ.

---

(١) انظر: منية المريد: ١٩٠، حيث ذكر مرسلاً وعبّر عنه بـ«صحيح الأخبار».

(٢) لا يخفى الاضطراب في التقسيمات.

٤ ـ على باب الاجتهاد.
٥ ـ في سبيل الاجتهاد.
٦ ـ في المقدّمات.
٧ ـ المبتدئ.

أمّا المجتهد المطلق: انحصر ذلك في الأقليّة، وكلٌّ منهم التزم بحاشية تحوطه، ثمّ إنّه انكبّ كلياً على استنباط الأحكام الشرعيّة، الحكم الشرعي والردّ على كلّ سؤال يوجّه إليه، فلم [يبق] عنده من الوقت ما ينظر به إلى الرعيّة وماذا يدور بين الناس، إلاّ الجزء اليسير الذي يتسرّب إليه من قبل الحاشية، وإن كان بعض الوقت يبذله في التعليم. ثمّ إنّ هؤلاء (أعني الحاشية) منهم الخلّص إلى الله عزّ وجلّ والبعض الآخر ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[١].

أمّا المجتهد: فإنّ الأغلب منهم حريصٌ على أن يفارق النجف رغبةً منه للوصول إلى المرجعيّة، وإن كان البعض منهم يقوم بالتدريس لمن دونه، والبعض الآخر وربّ العدد الوفير من هؤلاء يحصرون جهودهم في النجف ويعلمون ماذا يدور في خارج النجف، وما هم عليه الناس من تركهم للدين وتعاليمه، فلا يوطّنون أنفسهم للخروج إلاّ ضمن شروط إذا لم تؤمّن هذه الشروط فلا ينتبهون ولا يهتمّون.

ملاحظة: هنا أقول: إنّ كلّ إنسان لا يؤمن بقضيّة من القضايا لا يعمل لها مهما كانت ثمينة، وهكذا الناس لا يعلمون عن الدين إلاّ أنّه رجعي لا يتماشى مع مبادئ الحضارة الحاضرة، ويجهلون الآثار الماديّة والروحيّة التي يحصلون عليها باتّباعهم الدين، وينظرون بادئ الأمر إلى رجال الدين بأنّهم لا يهمّهم إلاّ جمع الأموال فحسب، لأنّهم جرّبوا ذلك وعرفوا من رجال [لا] أهليّة لهم ولا خبرة لهم من المتعمّمين، فظنّوا أنّ كلّ رجال الدين هكذا.

حيث إنّ العلماء الكبار العاملين لا يتنازلون ولو في الشهر مرّة ولو في السنة مرّة يحضرون على الناس و[يعلّمونهم] و[يعظونهم].

فمن هنا تجد تقاعس الناس على تنفيذ الشروط المطلوبة، فـ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٢].

وهكذا بقيّة من لهم أهليّة للقيام بأعباء المسؤوليّة الدينيّة.

أمّا الناس: (ونحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وباقي الناس همج رعاع أتباع كلّ ناعق مع كل ريح يميلون)[٣].

فليس على العالم العامل إلاّ أن يدّرع بالصبر ويشهر باليمنى سيف الحق ويأخذ باليسرى جنّة الحلم، ثمّ يخوض في [عباب] هذا التيّار الجارف، حتّى يعثر على اللؤلؤة الثمينة التي يجتمع بعضها إلى بعض، فيكون منها المؤمنون الذين هم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود[٤]. (وفضلنا المجاهدين على القاعدين درجات)[٥].

---

(١) سبأ: ١٣.
(٢) آل عمران: ١٧٣.
(٣) يبدو أنّه لا يوجد رواية من هذا القبيل، وأنّه لفّق بين روايتين: الأولى عن الإمام الصادق‌عليه‌السلام: «نحن العلماء وشيعتنا المتعلّمون، وسائر الناس غثاء» (بصائر الدرجات: ٩) ؛ والثانية عن أمير المؤمنين‌عليه‌السلام: «همجٌ رعاعٌ أتباع كلّ ناعق يميلون مع كلّ ريح» (نهج البلاغة: ٤٩٥).
(٤) انظر: بحار الأنوار ٢٧: ٧٤.
(٥) لا يوجد في القرآن الكريم آية بهذا النص، ولعلّ المراد الآية التالية: ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء: ٩٥).

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

(لو كانت السموات والأرض على عبد رتقاً ثمّ اتّقى الله لجعل الله عزّ وجلّ جعل له منها مخرجاً)[(٢)].

(من لم يصبر على مرارة القشرة الظاهرية للجوزة لا يصل إلى اللب)[(٣)].

وهكذا صاحب كلّ رسالة إذا لم يطبّقها على نفسه لا تؤثّر تعاليمه في من يلقيها إليه:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[(٤)].

الجواب على السؤال التالي:

١ ـ الكلّ يعلم أنّ من تعلّم لله وعمل لله دعي في ملكوت السموات عظيماً.

٢ ـ والكلّ يعلم أنّ الله تعالى كما قال في محكم كتابه ﴿مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُون * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾[(٥)].

٣ ـ الكلّ يعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: (أيّها الناس! اعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا إنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادلٌ بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزونٌ عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه)[(٦)].

٤ ـ الكلّ يعلم أنّ الله تعالى قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٧)].

٥ ـ الكل يعلم أنّ الله تعالى قال: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[(٨)].

٦ ـ الكلّ يعلم أنّ الله تعالى قال: ﴿وَبَشِّرْ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُهْتَدُونَ﴾[(٩)].

٧ ـ الكلّ يعلم بأنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثمّ الأوصياء ثمّ الأمثل فالأمثل.

٨ ـ الكلّ يعلم قول أمير المؤمنين عليه السلام: (من رضي بالقضاء وصبر على البلاء وشكر في الرخاء كان له من الله الرضا)[(١٠)].

٩ ـ الكلّ يعلم أنّ أفضل الجهاد جهاد النفس في طاعة الله عزّ وجل.

لم [يبق] أمامنا إلاّ أن نقول: أمّا عن هذا الكلام غير مأخوذ به أو غير صحيح. وهذا مستحيل لأنّه يخرج قائله من حظيرة الإيمان، وإمّا أن نقول إنّ نفوسنا تغلّبت على عقولنا، فهي في صراع دائم مع العقل ولها الرجحان، لذلك تناسينا أو نسينا هذا المجتمع الضال، وأصبحنا وقد تحوّل إيماننا من مستقرٍّ إلى

---

(١) الصف: ١٠ ـ ١١.

(٢) الكافي ٨: ٢٠٦، وقد صحّحناها من الأصل.

(٣) لم نجده، ولعلّه من الكاتب.

(٤) البقرة: ٤٤.

(٥) الذاريات: ٥٦ ـ ٥٧.

(٦) الكافي ١: ٣٠.

(٧) غافر: ٦٠.

(٨) العنكبوت: ٢٣.

(٩) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(١٠) لم نعثر عليه، ولعلّ المراد ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: «ومن رضي بالقضاء أتى عليه القضاء، وعظّم الله أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره» (الكافي ٢: ٦٢).

مستودع، لا نعلم متى نسلبه، وهنا الطامة الكبرى والبلية العظمى.

أمّا الأوّل فالقول به مستحيل.

لم [يبق] عندنا سوى الثاني، ونسأل الله عزّ وجلّ أن يثبّتنا على دينه القويم ويأخذ بأيدينا بما فيه رضاه، إنّه أرحم الراحمين.

الجواب على السؤال الثالث: ما هو العلاج؟

إنّ جوابي كما قلت: إنّه جواب العوام، لأنّي من العوام الذين لا يهتدون إلى الطريق إلاّ بالتقليد، ولكن ماذا أعمل والنار تأجّج بين جوانحي حزناً على الإسلام و[شفقةً] على المسلمين وخوفاً على نفسي من النار، ولا أعني الناس والقنوط، إنّ الله رحيم ورؤوف بالعباد.

ومع هذا كلّه أرى نفسي بدافع العوامل النفسيّة التي تختلج في صدري ملزماً على الجواب فأقول: إنّه إذا قام كلٌّ منّا بواجبه صلح مجتمعنا بأكمله، وحيث إنّ هذه الكلمة ينطوي تحتها مبدأ الإصلاح كما صرّح بذلك فضيلة العلاّمة الراحل الشيخ حبيب آل ابراهيم قدّس الله سرّه، وحيث إنّني لست بأهلٍ لأن أطرق الموضوع من جميع نواحيه، فإنّني أقتصر على الذي أعلمه، والمهمّ منه، فأقول والحياء يستولي عليَّ ولكنّ العلماء هم الحلماء، يسعون بحلمهم ذلاّت الجاهل.

إنّ البناء لا يستقيم إلاّ باستقامة أسسه، كذلك نحن: لا يلتئم جمعنا إلاّ باجتماع السادة الأعاظم من علمائنا.

القسم الأوّل

ما هو السبب لا تتبادل الزيارات بين سماحتكم وسماحة السيّد الحكيم، سماحة الشهرودي، ولو بالأسبوع مرّة، ولو بالشهر مرّة، ولو بالشهرين مرّة، ثمّ تأخذ لكم صور يحفظها المؤمنون في قلوبهم فضلاً عن بيوتهم. إنّ في ذلك في نظري جنّة واقية يدّرع بها المؤمنون ليصدّوا جيش الكفر والإلحاد، حيث إنّ أتباع الباطل يروّجون الإشاعات أنّ الخلافات قائمة على ساق وقدم بين الخوئي والحكيم والشهرودي وبالعكس[1].

وهذه حرب باردة أشدّ فتكاً في قلوب المؤمنين من ضرب السيوف وطعن الرماح إذا تلقّاها المؤمن وصبر، وهناك الحسرة إذا دوّنها قتيل الشبهات لا يدري، فهو حائرٌ أين يذهب، وتكثر عليه الأسئلة: لماذا هذه الخلافات؟! لماذا؟! ... لماذا؟! ... وهو من المقلّدين يصعب عليه أن يعثر على الجواب لكلّ شبهة، فإذا هو رمية تلك السهام، لما لا يكون هذه الاجتماع؟ والتآلف؟ والتحابب؟ فضلاً عن ما ذكرتُ قصم أنف الحكّام الطغاة والجبابرة الذين يرصدون لأهل الحق حتّى يكيدوهم بباطلهم. لماذا لا يكون كذلك؟

١ ـ أبينكم علي وعمر لا سمح الله؟ وهذا عليٌّ كان يجلس في مجلس عمر حينما يحدق بالإسلام الخطر.

٢ ـ أبينكم الحسن ومعاوية لا سمح الله؟ وهذا الحسن صالح معاوية حقناً لدماء المسلمين وحفظاً [لهم].

٣ ـ هذا الحسن سلام الله عليه ضحّى بنفسه، ماله وعياله في سبيل الله، ألا يضحّي الواحد منّا بأن يتنازل ويتواضع لأخ له في الإيمان ومن درجته العلميّة في سبيل التعاون على البرّ والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ونحن نقول إنّنا شيعة أهل البيت؟

٤ ـ ما يضرّ هذا الاجتماع لو صدر رأيٌ جماعيٌّ في حلّ المشاكل العامّة التي تحول دون الانتشار الديني والأمراض العظمى التي تحلّ بالإسلام والمسلمين؟؟

٥ ـ ما يضرّ هذا الاجتماع لو صدر رأيٌ جماعيٌّ في حصر الأموال الواردة في صندوق واحد

---

(١) يقصد السيّد أبو القاسم الخوئي، السيّد محسن الحكيم والسيّد محمود الشاهرودي رحمهم الله.

[وتصرفون] أي الكل فيما يرضي الله عزّ وجلّ؟؟

٦ ـ ما يخلّ بعدالة وبإيمان الإنسان المؤمن إن قلّد الحكيم، أو الخوئي أو الشهرودي أو غيره ممّن لهم شهرة الأعلميّة حتّى ينبري لكلّ من المراجع العليا حاشية؟!

هذا عالم يدعو للسيّد الحكيم، هذا آخر يدعو للسيّد الخوئي، هذا ثالث يدعو للسيّد الشهرودي.

ثمّ إنّ هنالك البعض من الذين يدعون لا يتبيّن عندهم ما يخرجهم عن حدّ الإنصاف، فيقع ضحيّة الشبهات، هذا المسكين المؤمن الذي لا علم له بالرواية ولا بالدراية؟؟

٧ ـ إذا أنا قلّدت الحكيم مثلاً وأخي المؤمن قلّد الخوئي مثلاً، هل هذا التقليد أخرج أحدنا من الإيمان حتّى يقع النفور وتنفصم عرى الإيمان يوماً حتّى تزول ويزول ذاك التعاون على البرّ والتقوى؟؟

٨ ـ من أمر هؤلاء المتعلّمين بنشر ذلك في المؤمنين البسطاء وأدخلوا إلى قلوبهم الشبهات؟؟

٩ ـ أليس كلٌّ من السيّد الحكيم، الخوئي، الشهرودي عالم وثقة وعدل. إنّما أتى الاختلاف حول الأعلميّة وميزة الأتقى لا أقلّ ولا أكثر.

١٠ ـ إذا كانت هذه النفوس الصافية يحملها هؤلاء العظام من الرجال، لماذا لا يلتقي على صعيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!

القسم الثاني، المجتهدون من العلماء

لماذا تنحاز كلّ فئة منهم إلى تأييد مرجع، بل الأحرى والأجدر يجتمع الكلّ وينطوون تحت لواء من رأوا فيهم الأهليّة لأن يكونوا مراجع للتقليد ثمّ يقسّمون إلى فئات تعون المرجع.

الفئة الأولى: تشرف على جبي الأموال وصرفها برأي وبإذن المرجع.

الفئة الثانية: تتسقط أخبار[1] وتنبري لحلّ مشاكل الأمّة الإسلاميّة بواسطة أعوان لهم.

الفئة الثالثة: تشرف على تنظيم الطلبة والعناية بهم وحفظ سجلاّت لهم، من كان علمه وعمله لله يحفظ ذلك له حتّى يصل لدرجة الثقة والعدالة، ممّا يستدعي المحافظة عليه. ومن كان بالعكس فهذه اللجنة تأمر بصرفه وإبعاده [عن] الحوزة العلميّة، فإنّ ضرره أخطر من كلّ ضرر، وفتكه بالإسلام أشدّ من ضرب السيوف، وخاصّة إذا استعمل عمله وازداد علمه.

الفئة الرابعة: تشرف على الأعمال الخارجيّة التي هي خارج دائرة النجف والعراق، وإلاّ لماذا أغلب الشيعة في بلاد العالم لا يعرفون من التشيّع إلاّ الاسم.

الفئة الخامسة: التي لا يحتاج إليها ضمن دائرة النجف ترسل إلى خارج البلاد للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ هؤلاء أهل هذا المنصب ويعرفون كيف يكلّمون الناس وكيف يصلون إلى قلوبهم، ويكون ذلك كلّه تحت إشراف المصدر الأساسي الذي هو المرجع الأعلى المحصور، إمّا في شخص واحد متّفق عليه بأنّه الأعلم والأتقى، وإمّا في عدّة أشخاص اثنين أو ثلاثة اتّفق رأي الجمهور من العلماء المجتهدين عليهم والعدل يسود على الجميع ونابع من أحكام الله.

من خرج على رأي المرجع الأعلى من العلماء يلفظ ويحجر ولا يعمل برأيه مهما كان عظيماً، لأنّ العلماء المجتهدين الخلّص إلى الله هم صفوة العالم. ورأيهم أفضل الآراء، وهم الأكثريّة فالأقليّة منهم معاندون ومخالفون لا يريدون إلاّ الفتنة وحصّة الأسد.

القسم الثالث، الناس

إنّ الناس إذا رأوا ذلك من العلماء انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) كذا.

١ ـ المؤمنون: تفانوا في الدفاع عن دينهم ووضعوا أنفسهم وأموالهم تحت تصرّف المرجع الأعلى ومعاونيه وأنصاره.

٢ ـ المنافقون: خذلوا وذلّوا وكانوا أشبه بالضبع، تأوي إلى أوجارها ولا تخرج منه حتّى يضغط عليها الجوع.

٣ ـ الملحدون: أرغمت أنوفهم وماتوا بكيدهم وحنقهم وذاقوا حتفهم الأليم وارتفعت راية الإسلام خفّاقة، وحفظ المؤمنون واطمأنّوا إلى حسن سيرهم القويم في سبيل الله.

وأخيراً

سيّدي ومولاي ! أكرّر المثول بين يديكم وأقبّلهما تقبيل خاضع ذليل راجياً أن تأخذوا كلامي هذا بعين الاعتبار، وأن تحاكموني، [فإنّي] موطّنٌ نفسي على تلقّي كلّ حكم يصدر من قبلكم والعمل به، وذلك لأنّ الرادّ على الحاكم الشرعي رادٌّ على الإمام، والرادُّ على الإمام رادٌّ على النبي، والرادُّ على النبي رادٌّ على الله.

والله يقول: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

سيّدي ! وإن صدر منّي بعض الإساءة رأيتم سبيلاً للمغفرة والسماح، فالله أولى بالمغفرة وإلاّ فالعصا فيها شفاءٌ لقلوب قوم مؤمنين، واعتبروني أشبه بالخاتم في إصبعكم، أئتمر بأوامركم [الصادرة] من أحكام الله، وأنتهي بنواهيكم كذلك، أمّا إذا أهملتم كتابي هذا ولم تنصفوني بالنصيحة، إنّ لي معكم موقفاً غداً بين يدي الله عزّ وجلّ وأمام رسول الله صلّى الله عليه وآله وأستنصر عليكم صاحب الأمر عليه السلام»[2].

وقد جاء في جواب السيّد الصدر رحمه الله عن رسالته الثانية ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المرجى والمؤمّل الفاضل الأستاذ حسين عبيد زاد الله في توفيقه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فلقد نفذت رسالتك العزيزة إلى أعماق قلبي وتسرّبت إلى جوانب متعدّدة من نفسي والتقت بآمالي وآلامي، وقمّة الالتقاء بين شخصين أن يلتقيا في الأمل والألم إذا كان هذا الأمل والألم على مستوى الهموم الكبيرة التي تعيشها النفس الكبيرة وتعكس فيها الآمال والآلام الحقيقيّة للأمّة.

إنّ هذا الالتقاء الكبير وهذا القلب الذي تبيّنته بين سطور الرسالة الكريمة وهو يحمل همّ الأمة ويقطر دماً لمآسيها وانحرافها عن الدين، وهذا الإيمان الصامد المشعّ في الرسالة بالله وبوعده وبموكب النور الذي قاده الأنبياء والأوصياء والمجاهدون من تلامذتهم على مرّ التاريخ، كلّ ذلك يجعل منك أملاً من آمال الأمّة التي تتمثّل في أبنائها الصالحين الواعين.

إنّ مسؤوليّة هذا الانحسار والهبوط أيّها العزيز لا يتحمّلها الله تعالى ولا الدعاة إلى الله من الأنبياء والأوصياء، وإنّما تتحمّلها الأمّة الإسلاميّة ككلّ، هذه الأمّة الرائدة لموكب البشريّة التي أسبغ الله عليها نعمه فجعلها أمّة وسطاً لتتسلّم زمام القيادة والشهادة على الأرض، ومنحها أضخم قاعدة فكريّة وهي التوحيد، وزوّدها بأكبر رسالات السماء وهي الإسلام، وذلّل لها مشارق الأرض ومغاربها. ولكنّ الأمّة لم يقدّر لها أن تواصل رسالتها ودورها الحقيقي، فأخذت تتعثّر وتتضاءل الجذوة العظيمة التي تعيش في أعماقها، وكان من نتيجة ذلك بعد مئات السنين أن تخرّ صريعة بأيدي الكفّار، ثمّ تدخل عصر الاستعمار.

---

(١) النساء: ٦٥، والآية في الأصل خطأ.

(٢) (﴿﴾)

وإذا بالأمّة الرائدة القائدة أسيرة قفص والآسر هو الكافر، وترتّب على ذلك تحوّل كبير في مختلف مجالات الحياة وفي كلّ تصوّراتها الخلقيّة والدينيّة.

ولئن كان هذا المصير المؤلم نوعاً من العقاب الذي تلقاه الأمّة نتيجة لعدم استمرارها في المنهج الرباني، فإنّ من المأمول أن يكون هذا العقاب بنفسه قوّة من القوى الكبيرة المحرّكة لأعصابها والمثيرة لعواطفها والمفجّرة لطاقاتها وإيمانها بالله من جديد.

والسلام عليكم وعلى آثار الشيخ الحجّة الحبيب الدينيّة في بلدكم الطيّب، وعلى العلماء والمؤمنين من حولكم وخصوصاً سماحة العلاّمة اليحفوفي دام عزّه.

محمّد باقر الصدر»[1].

محاضرة حول الإمام الحسن عليه السلام

يوم الأحد ١٢/رجب/١٣٨٨هـ (٥/١٠/١٩٦٨م) ألقى السيّد الصدر رحمه الله محاضرةً حول ظروف إمامة الإمام الحسن عليه السلام[2].

وعندما ذكر رحمه الله صعود معاوية بن أبي سفيان على منبر المسلمين راح يبكي رحمه الله وضجّ معه الحاضرون[3].

الفارق بين الإسلام وبين الاستعمار في فتحهما البلاد

ليلة الخميس ١٦/رجب/١٣٨٨هـ (٩/١٠/١٩٦٨م)، وعندما كان السيّد الصدر رحمه الله في الجلسة الأسبوعيّة في منزل السيّد نور الدين الإشكوري، قال له الشيخ محمّد يعقوب: «**سيّدي: ما هو الفارق بين الإسلام والاستعمار في فتحهما للبلاد الأخرى مع العلم أنّ دعوى الإسلام بأنّه يفتح هذه البلاد لنشر الدين الإسلامي، ودعوى الاستعمار أنّه يفتح هذه البلاد للتصاعد بها فكريّاً وحضاريّاً واقتصاديّاً؟**»، فأجاب رحمه الله مرتجلاً، وقد دوّن السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله الجواب:

«تارةً يكون الحديث عن الفارق على مستوى النظريّة، وأخرى يكون الحديث عنه على مستوى التطبيق.

أمّا الحديث عن الفارق على مستوى النظريّة بين الإسلام ـ وهو يدّعي شرعيّة التوسّع بالقوّة ـ والحضارة الغربيّة القائمة اليوم ـ وهي تدّعي شرعيّة التوسّع بالقوّة ـ يكون كما يلي: الفارق النظري بين الموقفين هو في الواقع مرتبطٌ بطبيعة القاعدة الفكريّة التي يقوم عليها الإسلام والقاعدة الفكريّة التي تقوم على أساسها الحضارة الغربيّة.

الحضارة الغربيّة تقول: أنا أفتح وأتوسّع وأسيطر بالقوّة على الشعوب المتخلّفة في سبيل أن أنشر العلم وأن أوسّع من آفاق المعرفة في هذه الشعوب، وأصعّدها إلى مستوى القرن العشرين أو التاسع عشر أو الثامن عشر.. هكذا تقول. والإسلام يقول: أنا أوسّع نطاق سيادتي وسلطاني في سبيل أن أنشر كلمة لا إله إلاّ الله.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٧٤).

(٢) أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الأمّة الإسلاميّة: ٢٧٣.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ١٥/٧/٢٠٠٤م ؛ مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله) ؛ انظر: أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الأمّة الإسلاميّة: ٢٩٣.

الإسلام حينما يقول هذا فهو منسجمٌ مع قاعدته الفكريّة، الحضارة الغربيّة حينما تقول هذا فهي متناقضة مع قاعدتها الفكريّة.

الإسلام يقول هذا لأنّ الإسلام يعبّر عن رسالة، من وجهة رأي الإسلام طبعاً نتكلّم، كما أنّنا نتكلّم هناك من وجهة نظر الحضارة الغربيّة، الإسلام من وجهة نظره وتصوّره لموقفه يعبّر عن رسالة، وهذه الرسالة ليست نابعة من إنسان معيّن، أو كيان إنساني معيّن، وإنّما هي نازلة من السماء، من الله تعالى، فهذه الرسالة بطبيعة انتسابها إلى الله تعالى بإمكانها نظريّاً أن تدّعي القيمومة على الحياة البشريّة.

تبقى فكرة القيمومة طبعاً صعبة بمقدار صعوبة الإيمان بالله، بمقدار ما يصعب على الإنسان أن يؤمن بالله. إذا كان في هذا صعوبة على الإنسان، فمن الصعب عليه أن يؤمن بقيمومة رسالة ناشئة من الله سبحانه وتعالى. ولكن هذه الفكرة كمتمّم طبيعي لفكرة الله تعالى، أي: إذا كنّا قد فرضنا في الرسالة الإسلاميّة أنّها رسالة من الله تعالى، ففكرة القيمومة متمّمة لفكرة الله بالذات، لأنّ الله تبارك وتعالى التعبير العلمي عنه هو القيمومة، فقيمومة الله على الإنسان هذه مستبطنة في فكرة الله بالذات. وحيث إنّها مستبطنة في فكرة الله بالذات، فأيُّ رسالة تفترض فكرة الله بالذات هي تفترض قيمومة الله أيضاً باعتبارها مستبطنة فيها. فالإسلام يعبّر عن رسالة، وهذه الرسالة تدّعي أن هناك خالقاً مدبّراً قيّماً، وأنّ هذه الرسالة هي مظهر قيمومة الله تعالى على الإنسان. وهذا الإنسان الذي يحمل هذه الرسالة ليس ـ بحسب منطق هذه الرسالة ـ إلاّ أداة تنفيذ، وفي هذه اللحظة التي تقتضي هذه الرسالة أن يحملها شخصٌ آخر غير هذا أو أن يتبادل مع شخص آخر دخل في الإسلام على يده، فلا بدّ أن يحصل تبادل المراكز في حمل هذه الرسالة. فالقيمومة هنا في الواقع ليست قيمومة إنسان على إنسان، وإنّما هي قيمومة الرسالة النازلة من السماء، هي قيمومة الله تعالى. والإنسان هو أداة تنفيذ هذه القيمومة، هو مظهر تنفيذ هذه القيمومة، وبإمكان هذه الرسالة أن تصطنع دائماً مظهراً آخراً جديداً إن اقتضت مصلحتها ذلك. ونحن لا نتوقّع من غير المسلمين أن يؤمنوا بهذا التصوّر. لكنّنا نريد أن نشرح وجهة النظر الإسلاميّة. يعني: نريد أن نبيّن انسجام الإسلام مع قاعدته الفكريّة حيثما اتّخذ موقفه من الشعوب الأخرى.

النقاش مع القاعدة الفكريّة: نقول ـ وهنا باب النقاش مفتوح ـ : هل أنّ فكرة الله صحيحة أو خاطئة، هل أنّ فكرة القيمومة صحيحة؟ هذا نقاشٌ مفتوحٌ، ولكنّنا لسنا الآن بصدد ذلك، وإنّما بصدد شرح وجهة نظر الإسلام في المشكلة المطروحة.

الإسلام بحسب موقفه منسجم مع قاعدته الفكريّة التي يؤمن بصحّتها، سواء آمنتَ بصحّتها أو [ناقشتها]. هو مؤمن بهذه القاعدة الفكريّة، وهذه القاعدة الفكريّة تبرّر تبريراً كاملاً هذا الموقف، لأنّ القيمومة تكون قيمومة الرسالة، والرسالة تمثّل إرادة الله. وإرادة الله قيّمة على الإنسان، لأنّ قيمومة الله مستبطنة في فكرة الله بالذات. وأمّا أيّ حضارة أخرى تنبع من واقع الإنسان، فهذه الحضارة مهما كانت متفوّقة مرحليّاً على شعوب معيّنة أو على أشخاص معيّنين، هذا التفوّق المرحلي لا يبرّر القيمومة بالقوّة، أي لا يبرّر انتزاع إرادة هذا الإنسان والسيطرة عليه بالقوّة في سبيل تطويره.

صحيح أنّ وجهة نظر هذا القيّم، هذه الحضارة المتفوّقة ننظر إليها على أنّها الأصحّ والأكمل. ولكن هذه وجهة نظر محدودة في حدود التجربة التي عاشتها هذه الحضارة، في حدود أبعاد الزمان والمكان والملابسات والشروط الموضوعيّة والشروط الاقتصاديّة والسياسيّة التي تمخّضت عنها وجهة النظر هذه.

من قال لك أيّتها الحضارة: إنّ ذاك الشعب المتخلّف إذا تركتيه دون أن تسيطري عليه بالقوّة، إذا تركتيه وأعفيتيه من سلطانك بالقوّة، وبدأ يتحرّك ذاتيّاً، وينشأ ذاتيّاً، وبدأ يتحسّن ذاتيّاً، ويتحرّك وينشط ذاتيّاً، ويقع في محاولات الخطأ والصواب ذاتيّاً، يسقط مرّة، ويقف مرّة، إلخ... من قال لك: إنّه سوف لن يكتشف

حقيقة حضاريّة أكبر من الحقيقة التي اكتشفتيها خلال [شوطك الاجتماعي]، أنت اكتشفت حقيقة خلال تاريخ معيّن، وضمن ملابسات معيّنة؟ أمّا هل هذه الحقيقة تمثّل الحقيقة المطلقة؟ طبعاً لا توجد هناك حضارة بشريّة تدّعي هذا. فمن قال لهذه الحضارة: إنّ شعباً آخر لو اعتمد على طاقاته الذاتيّة، لو أنّه أعفي من فرض مراسيم بالقوّة وتحديدها بخط مرسوم كما يقال للطفل: امشِ في هذا الخط. لو أعفي هذا الشعب من هذا، مَن قال: إنّه سوف لن يكشف جانباً أكبر من هذه الحقيقة، الحقيقة ليست ملك شعب دون شعب أو عقل دون عقل. والحقيقة قد تكشفت جوانبها بالتفاعل والتساند بين كلّ الشعوب. أنت فرضت مسبقاً أنّ الحقيقة المطلقة هذه، بينما أنت نظريّاً لا يمكنك أن تدّعي أنّ الحقيقة المطلقة هذه. ومع هذا طلبت بالقوّة من الشعوب المختلفة في العالم بأن تنهج نفس الخط وأن تسير نفس الطريق. بينما لو فسح المجال لكلّ شعب أن يمارس تجربته الذاتيّة وتفاعل في التجارب الذاتيّة ضمن زمن وشروط مختلفة موضوعيّة ومع ملابسات مختلفة اقتصاديّاً وسياسيّاً وفكريّاً وروحيّاً، كان بالإمكان أن ترى التجربة البشريّة ككُلّ بدرجة أكبر ممّا أن تعرض نتائج تجربة معيّنة لشعب معيّن على كلّ شعوب الأسرة البشريّة.

فمن غير المنطقي أن تقول حضارة ما: إنّني اكتشفت الحقيقة من [زاويتي] وضمن شروط وملابسات. لكنّ هذه الحقيقة التي اكتشفتها من [زاويتي] وشروطي وملابساتي وأريد أن أفرضها على شعوب العالم، بينما هذه الشعوب بالإمكان أن تكشف حقيقة من جوانب وزوايا أخرى، وقد تكون هذه الكشوف الأخرى في التجربة التاريخيّة للبشر، قد تكون نافعة في سبيل تصعيد الحياة الإنسانيّة ككل. فيبقى هنا نوع من التناقض، التناقض العقلي في موقفهم.

صحيحٌ أنّ هناك احتمالاً آخر، وهو أنّه بالإمكان أنّ هذا الشعب الآخر لو ترك فسوف يضيع وسوف يستمرّ في الضياع ولكنّ هذا مجرد احتمال. طبعاً الاحتمال موجود ولكنّ الاحتمال الآخر هو الأقوى، لأنّه هو الذي يساعد عليه التاريخ، والذي ينظر إلى تاريخ شعوب العالم وإلى حركة التاريخ يرى بأنّ الحقيقة لن تنكشف من قبل شعب واحد ولم تكن الحقيقة في وقت من الأوقات محتكرة لشعب واحد أو مكتشفة من قبل شعب واحد. جميع شعوب العالم تقريباً ساهمت في الحقيقة التاريخيّة ككلّ، كلّ شعب خلال حضارته وخلال وجوده ودخوله على مسرح الإنسان اليوم، فالشيء الأقرب احتمالاً سوف يكون مانعاً عن فرض القيمومة لشعب على شعب بالقوّة.

ولو جمّدنا المواهب والعطايا والطاقات الخّام الموجودة في هذه الشعوب وفرضنا عليهم بالقوّة أن يعملوا عملنا، ويعيشوا اقتصاديّاً وسياسيّاً كما نعيش سياسيّاً واقتصاديّاً، فإنّنا سوف نجمّد حركة هذه الشعوب، وكذلك يمكن أن تكتشف هذه الشعوب أخطاءنا، وبالتالي نصبح متخلّفين عنها حضاريّاً، فهل نقبل قيمومة هذه الشعوب بالقوّة.

وفي وجهة النظر المحدودة التي تفرضها الحضارة الغربيّة على الشعوب المتأخّرة أذكر هذه الحادثة:

[إنجلز] كتب في ضدّ دوهرنك يعتذر ـ كأنّ كاتباً ما انتقده على قوله: إنّ الديالكتيك ينطبق على كلّ شيء حتّى على الرياضيّات، وكونه طبّق الديالكتيك على الرياضيّات حيث قال: إنّ الأعداد السالبة والموجبة تمثّل نفياً وإثباتاً، حينذاك الكاتب قال بأنّ إنجلز يجهل معنى الموجبة والسالبة، وإلاّ ما معنى أنّ الأعداد الموجبة تمثّل إثباتاً والأعداد السالبة تمثّل نفياً ـ، هو يعتذر في هذا الكتاب ويقول ما معناه:

إنّي قد تسرّعت في دعواي أنّ الديالكتيك ينطبق على كلّ شيء وعلى الرياضيّات، ومطالعاتي في الرياضيّات قليلة، ولذا لا أستطيع أن أجعله في هذا الميدان. ولكنّي حينما حاولت هذا كنتُ متأكّداً من أنّ الديالكتيك ـ ولا أزال متأكّداً ـ بشكل من الأشكال ينطبق على كلّ شيء.

طبعاً إنّ قصده أنّ الديالكتيك ينطبق على كلّ أنواع التطبيقات، وذلك لأنّه عاش ومارس الفترة

التاريخيّة التي عاشتها أوروبا في القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر. هذه ثلاثة قرون أصبح واضحاً لكلّ ذي عينين ـ إلاّ أن يكون أعمى ـ أنّها عاشت [التناقض]. الفلاّحون يتعاركون مع الإقطاعيّين، العمّال يتعاركون مع أصحاب المعامل، إنّ الحياة تناقض وصراع. إذن فيجب أن يكون الكون كلّه صراعاً، لأنّ الحياة مظهر من مظاهر الكون. يعني أنّ إنجلز اكتشف جانباً من الحقيقة، لو قلناه [فإنّ] هذا الجانب ضمن شروط خاصّة جدّاً، هو ضمن فترة معيّنة من تاريخ كائن حيٍّ في منطقة معيّنة على الكرة الأرضيّة، وفي زمان معيّن في هذه الحدود الزمانيّة والمكانيّة التي لا تزيد عن [ثلاثمائة] سنة. وفي أوروبا كان التناقض هو الذي حرّك المجتمع، تناقض بين الطبقة الحاكمة.

[إنجلز] جرّدَ من هذا نظريّة ملأت كلّ أبعاد الزمان والمكان، وكلّ الأرض والكون، إلى أن جاءت إلى الرياضيّات وإلى الأعداد الموجبة والسالبة. هذا طبعاً يعتبر خطأً علميّاً، لأنّ الحضارة التي تحترم نفسها لا تدّعي [أيّ] نوعٍ من التعميم المطلق قطّ، وإنّما تقول: أنا اكتشفت الحقيقة من خلال زاوية معلومة معيّنة ليست أكثر من هذا المقدار.

إذاً أنا حينما أكتشف هذه الحقيقة من خلال هذه الزاوية فإذن: إنّ آلافاً من الطاقات التي أجمّدها والتي أفرض رأيي عليها والتي أحجّرها لأمنعها من النمو الطبيعي، ولأجسّد عليها منافع الصعود بشكلٍ آخر غير هذا الشكل الذي أنا صعدت به. إذاً ماذا يدريني أنّي بهذا لم أقصِ معالم قصور بشريّة كبيرة جداً.

ولو نظرنا إلى هذا ككلّ مقولة، [تصبح] مؤاخذة هذا التفكير لا جواب عليها من وجهة النظر الغربيّة. بينما هذا نفسه لا يكون بالنسبة إلى الرسالة الإسلاميّة إلاّ إذا كانت نتاج بشري محمّدي وليست نتاج الله.

بهذا يتغيّر الموقف. ولكن هنا يأتي نقاشٌ بالنسبة إلى الأصول الموضوعيّة على ما قلناه، والمفروض أنّ كلامنا في كلٍّ من الحضارتين بالنسبة لوجهة نظرها نفسه، فنقول بأنّ المؤاخذة التي ذكرناها للحضارة الغربيّة لا تكون بالنسبة للحضارة الإسلاميّة، لأنّ الفارق النظري بين الحضارة الغربيّة والحضارة الإسلاميّة كبيرٌ جداً. والاستعمار يحمل من شعارات كان يقول: أحمل العلم، وأحمل الحقيقة إلى الشعوب المتخلفة، فإنّه في الواقع يحمل وجهة نظره عن الحقيقة ويفرضها على الآخرين، وهذا خطأ كبير وفادح بالنسبة للحضارة البشريّة.

هذا على المستوى النظري، وأمّا على المستوى التطبيقي، نقول:

بطبيعة الحال، التطبيق للنظريّة الإسلاميّة لو كان سائراً في الخطّ الصالح مائة بالمائة لوجدنا الفارق على [المستوى] التطبيقي بقدر الفارق على المستوى النظري ـ ولما طرح هذا السؤال ـ ، حيث إنّه لو كانت هكذا لما بقي هذا السائل يعيش إطاره الفكري الذي تحدّثتم عنه، ولكنّ التطبيق بالنسبة للنظريّة الإسلاميّة انحرف انحرافاً كبيراً جدّاً . لكن بالرغم من هذا الانحراف، وبالرغم من أنّ هذا التطبيق كان يعيش في ظلمات ما يسمّى عهد النهضة وعصر الانفتاح والتجديد والحرية وحقّ الإنسان في الحياة والتعبير عن الإرادة، بالرغم من أنّه كان يعيش قبل أن يعرف إنسان هذه الأرض كلّ هذه المفاهيم. ونرى أنّ هناك فارقاً كبيراً في التطبيق، في هذا التطبيق الذي مارسه أعداء الرسالة الإسلاميّة من الداخل، أي الذين استلموا الإطار الداخلي للرسالة ومارسوا التطبيق لهذه النظريّة.

بالرغم من هذا كان هناك فارقٌ في التطبيق، عندما نلحظ الحياة الإسلاميّة وحياة المسلمين في البلاد المفتوحة إسلاميّاً، ونلحظ مآسي الاستعمار وفضائح الاستعمار، هذه الفضائح التي كانت بعد ما سمّي بعصر النهضة، وبعد النداء بالحريّة وحقوق الإنسان، بعد كلّ هذا عندما نقارن بين التطبيق هنا وبين التطبيق هناك نرى فارقاً كبيراً.

لم يوجد في تاريخ الإسلام على الإطلاق أنّ شخصاً يمسك به خارج نطاق الغرض السياسي فتتحرّك

أعضاؤه عضواً عضواً كما يفعل في الزنجي في أميركا إلى الأمس، وذلك لأجل شعور بالتميّز والاستعلاء. هذا النوع من الاستعلاء والتمييز، هذا النوع من الاستهانة بكرامة الإنسان كإنسانٍ لم يوجد في تاريخ الإسلام بشكلٍ من الأشكال.

قرأت قصّةً أنقل حاصلها: أنّ جيشاً إسلاميّاً حاصر منطقة فلم يقدر على فتحها وبقي محاصراً لها إلى أن انتهت من عنده الذخيرة والطعام، ولكنّ قائد الجيش بعدما أصيب بهذا قام بصلح مع هذه المنطقة بشرط أن يزوّد بحاجته ثمّ يرحل. ولكنّ قائد الجيش بعد الصلح وبعد أن دخل المنطقة ليتزوّد بالمؤن فرض الاحتلال العسكري، وفاجأ أهل المنطقة بهذا الاحتلال. لكنّ أهل المنطقة شكّلوا وفداً وأرسلوا إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز. وقال الوفد لعمر: إنّ جيشك احتلّ منطقتنا بعد أن عقدنا وإيّاه عقد الصلح. عمر بن عبد العزيز حوّلهم على فقيه من الفقهاء: وقال اذهبوا وترافعوا. قائد الجيش الفاتح يقف ويقف وفد المنطقة يتداعيان عند القاضي على أنّه هل هذا الاحتلال مشروع أو غير مشروع. يطلب القاضي الشهود على وجود عقد الصلح، وبعد أن ثبت وجود عقد صلح مستوف الشروطَ الشرعيّة، هذا الفقيه العادل حكم بوجوب الوفاء بهذا العقد ولزوم خروج الجيش الفاتح ولزومٍ التعويض عن كلّ ما أتلفه في هذه المنطقة. ومن ثمّ يخرج من المنطقة ويتركها لأهلها[(١)]..

هذا النوع من اللمحات بعدالة الإسلام هي في الواقع تعطي روح تطبيق الحضارة الإسلاميّة، وإنّما صارت هي لمحات ولم تصر هي الخط العام لأنّ النظريّة لم تطبّق بأيدي أصحابها بل طبّقت بيد أعدائها. أي أنّ هذه العمليّة تمّت في عهد شخص أمويٍّ من أسرة أمويّة معادية للإسلام في المعركة الدائمة التي دارت رحاها بين ممّثل الإسلام الصحيح علي بن أبي طالب عليه السلام وممثّل الأعداء في الداخل معاوية وأبيه وأبنائه ومروان وأبنائه.

وأخيراً صار الفارق بين الحضارتين واضحاً من خلال ما قدّمنا، وخصوصاً إذا عرفنا تقبّل الأمّة الإسلاميّة للأحكام التي تماثل حكم القاضي ضدّ الجيش بعد الاستيلاء على السلطة في الأماكن المهاجمة»[(٢)].

محاضرة حول (التغيير والتجديد في النبوّة)

في ٢٧/رجب/١٣٨٨ هـ (١٩٦٨/١٠/٢٠م) ألقى السيّد الصدر رحمه الله محاضرة حول (التغيير والتجديد في النبوة)[(٣)].

مفاوضات بين العراق وإيران

في ١٩٦٨/١٢/٥م (١٤/رمضان/١٣٨٨هـ) دخل وفدٌ ضمّ وزير الدفاع العراقي حردان التكريتي مع وزير الخارجيّة إلى إيران.

وفي ١٩٦٨/١٢/٩م أعلن معاون رئيس الوزراء [الإيراني] أنّ العراق وإيران توصّلا إلى حلٍّ حول

---

(١) فتوح البلدان ٣: ٥١٨ ـ ٥١٩، غزوة قتيبة لسمرقند. وقد أفاد السيّد الصدر رحمه الله من هذه القصّة أيضاً في: الإسلام يقود الحياة/ منابع القدرة في الدولة الإسلاميّة: ١٧٨.

(٢) تقريرات السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله (مخطوط) ؛ لواء الصدر، ١٤٠٢هـ العدد (٦٠: ٦، ٦١: ٦) ؛ المجموعة الكاملة لمؤلّفات السيّد محمّد باقر الصدر، ط دار التعارف، ج١٣.

(٣) انظر: أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف: ٣٣ ؛ موجز أصول الدين، تحقيق ودراسة عبد الجبّار الرفاعي: ٢٢٩ ؛ أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة: ١٧.

مشكلة الخليج الفارسي ـ العربي[(١)].

محاضرتان حول الإمام علي عليه السلام ومعاوية

في ذكرى ضربة الإمام علي عليه السلام وشهادته، ألقى السيّد الصدر رحمه الله في ١٩ و٢٠/رمضان/١٣٨٨هـ (٩، ١٩٦٨/١٢/١٠م) محاضرتين حول أسباب عدم عمل الإمام علي عليه السلام بقوانين التزاحم في صراعه مع معاوية من أجل تثبيت أمور خلافته[(٢)].

(ليلة القدر) و(صورة الجهاد الإسلامي بين مكّة والمدينة)

في العددين الثالث والرابع من سنتها الثانية الصادر في رمضان ـ شوّال/١٣٨٨هـ (كانون الأوّل/١٩٦٨م ـ كانون الثاني/١٩٦٩م) نشرت (رسالة الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة) مقالين للسيّد الصدر رحمه الله، أحدهما تحت عنوان (ليلة القدر) والآخر تحت عنوان (صورة الجهاد الإسلامي بين مكّة والمدينة)، وقد نسب الأخير إلى (كاتب إسلامي كبير)[(٣)].

محاضرة حول موقف الإمام الحسين عليه السلام من تمييع معاوية الأمّة الإسلاميّة

في ٢٥/شوّال/١٣٨٨هـ (١٩٦٩/١/٢٥م) ألقى السيّد الصدر رحمه الله محاضرة حول موقف الإمام الحسين عليه السلام من تمييع معاوية الأمّة الإسلاميّة، وكان قد تحدّث في محاضرتين حول محنة الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية[(٤)].

السلطة تقدم على إغلاق جامعة الكوفة

وفي الوقت الذي كان العاملون على جامعة الكوفة يسيرون في عملهم بكلّ نجاحٍ وفي أوج نشاطهم، وإذا برجال البعثيّين قد طوّقوا المنطقة واقتحموا مقرّ الجمعيّة واحتلّوها ليلاً، وصادروا جميع ممتلكاتها بما في ذلك الأثاث والسجلاّت والخرائط، وحتّى الأرصدة التي كانت في البنوك والعائدة للجمعيّة والمسجّلة باسمها، وكان ذلك بقرار صادر عن مجلس قيادة الثورة بحجّة أنّ هذه الجمعيّة طائفيّة «**لأنّها شيعيّة**»، وأصبح مؤسّسوها خاصّة وبعض أعضائها النشطين مطاردين من قبل أجهزة المخابرات والأمن، فاعتقل من اعتقل، وهرب إلى خارج العراق من استطاع الهروب، وتشتّت الجمع[(٥)].

ولمّا أعلن صالح مهدي عمّاش عن مصادرة أموال جامعة الكوفة [وكانت هذه الأموال تبلغ

---

(١) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٥٠.

(٢) انظر: أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف: ٥، ١٩؛ أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة: ١١٥، ١٣٥. وفي المصدر الأخير أنّهما بتاريخ: ١٨ و١٩.

(٣) رسالة الجمعيّة الخيريّة الإسلاميّة، نشرة إسلاميّة جامعة، كربلاء ـ العراق، السنة الثانية، العددان ٣ ـ ٤، رمضان وشوّال/١٣٨٨هـ. ويُشار إلى أنّ هذين المقالين سينشران بإذن الله تعالى في المجلّد المشتمل على المقالات المتفرّقة ضمن (تراث الشهيد الصدر قدس سره) الصادر عن المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر قدس سره.

(٤) أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة: ٢٩٧.

(٥) ذكرياتي ١: ٧٣. ولعلّ ذلك كان في آخر ذي القعدة لأنّ السيّد مهدي الحكيم رحمه الله كان عازماً على السفر إلى مكّة كما يأتي.

(٤،٥٣٠،٠٠٠ ديناراً]، فبعث السيّد محسن الحكيم إلى السيّد مهدي وقال له: «**يجب أن تذهب إلى أحمد حسن وتحتجّ على موضوع إلغاء جامعة الكوفة لأنّي أرى أنّه ليس من الصلاح أن يمرّ هذا الأمر دون أن أسجّل احتجاجاً، وإن كان في علمي أنّهم لا يستجيبون ولكنّ ذلك أفضل**». فقال السيّد مهدي: «**حسناً**».

وكان في نيّة السيّد مهدي الذهاب إلى مكّة، إلاّ أنّه أخّر موضوع السفر لمدّة يومين فعاد إلى بغداد واتّصل بالقصر الجمهوري وطلب مقابلة البكر الذي أعطاه موعداً لليوم التالي.

وفي اليوم التالي أراد السيّد مهدي الذهاب وحيداً، لكنّ والده قال إنّه يجب أن يصحبه أحد ليشهد اللقاء، فقد يقولون: إنّه ذهب إليهم وقال لهم «**حسناً فعلتم**» أو إنّهم أعطوه مبلغاً، فمن يضمن أنّهم لا يقولون ذلك؟!

وبناءً على ذلك اتّصل السيّد مهدي بأعضاء جامعة الكوفة، إلاّ أنّ أحداً لم يوافق على الذهاب معه، فذهب معه سلمان التميمي والشيخ موسى اليعقوبي مع أنّه لا علاقة لهما بجامعة الكوفة.

وعند وصولهم إلى القصر الجمهوري، قام البكر واستقبلهم وعانق السيّد مهدي وأخذ يسأل عن صحّته وغير ذلك وقال: «**هاي وين إنت، صار مدّة ما شفناك**»، فقال السيّد مهدي: «**إنّني لم آت لكم زائراً، إنّما جئت لأسجّل احتجاجاً نيابةً عن السيّد الوالد فيما يتعلّق بجامعة الكوفة ولماذا حدث هذا؟ الجمعيّة حلّت والأموال احتجزت..**». فحلف البكر اليمين وقال: «**والله.. لا الحزب ولا الحكومة لديها علم بالموضوع، وإنّما حردان فعل ذلك**». فقال السيّد مهدي: «**نحن نعلم أنّ الدولة تحاول الإكثار من معاهد الثقافة والعلم وليس التقليل منها، وإنّ هؤلاء الناس لم يكلّفوا الدولة شيئاً، ولديهم كفاءات علميّة وقد جمعوا مبلغاً من المال من أجل أن يقيموا معهداً ثقافيّاً، فلماذا تلغونه أنتم؟! إنّ لكم الحقّ أن تقولوا: نحن نشكّ في الأشخاص أو إنّنا لا نعرف القائمين على المشروع، وهذا معقول من قبل دولة، حيث إنّ لها حقّ الإشراف.. أمّا أن تلغي هذا العمل فهو شيءٌ غريبٌ وغير معقول**».

فأخذ البكر يحلف مرّة ثانية وقال: «**ليس لدينا علمٌ لا في الحزب ولا الحكومة**» وإنّ حردان اتّخذ هذه الخطوة لوحده وإنّه (**مو خوش آدمي**) وما إلى ذلك من الكلام، ثمّ قال: «**سمعت أنّك تريد الذهاب إلى مكّة المكرّمة، وكان بودّي أن أسافر إلى مكّة كذلك، ولكن ما العمل مع هذه الظروف؟**»، ثمّ أخذ يتحدّث بالقضايا الإسلاميّة، وفي الختام قال: «**إن شاء الله سوف تسمعون أخباراً جيّدة قبل وصولكم إلى مكّة في ما يتعلّق بجامعة الكوفة، فإنّنا سوف نفتح الموضوع إن شاء الله ونرتّبه**».

ولكنّ الأيّام مرّت ولم يتغيّر شيء[١]، وكان هذا هو اللقاء الأوّل للسيّد مهدي بالبكر[٢].

صدّام حسين يطلب زيارة السيّد محسن الحكيم

بعد خمسة أو سبعة أشهر من انقلاب البعثيّين، قدم السيّد مهدي الحكيم إلى النجف، فقال له

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٠ ـ ٨١، ٩٤ ـ ٩٥.

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٩٤. والمراد أنّه اللقاء الأوّل بعد استلام البكر الحكم، لأنّ السيّد البكر قال له: (صار مدّة ما شفناك)، وهذا يعني أنّه كان يراه سابقاً.

السيّد محسنﷺ: «**إنّ محمود الصافي قد جاءني وقال: إنّ صدّام يريد زيارتك، وقد أجبته بأنّ السيّد مهدي هناك في بغداد، وإذا كان لديه ـ صدّام ـ شيء فهو يستطيع أن يراه**».

وبعد ذلك التقى محمود الصافي بالسيّد مهديﷺ في بيت السيّد عبد الصاحب شقيق السيّد مهدي، وقال له: «**إنّي رأيت السيّد الحكيم وقلتُ له إنّ أبا عدي يريد أن يراكم ويزوركم فقال لي السيّد: اذهب إلى السيّد مهدي**»، فتجاهل السيّد مهدي الخبر وأظهر له أنّه لا علم له بالموضوع وقال له: «**أنا في بغداد، ومتى تحبّ فأنا حاضر**»[1].

ثمّ بعد ذلك جاءه خالد الدوحية ـ أو التوحة ـ ومعه كاظم السعدي ـ واسمه كاظم الساعدي لا السعدي ـ فقال له الأوّل: «**إنّ أبا عدي يريد رؤيتك**»، فأجابه السيّد مهدي: «**أهلاً وسهلاً، فمتى يحبّ القدوم فأهلاً به**»، فقال له خالد: «**هل بإمكانك أن تذهب أنت إلى بيته؟**»، فأجابه: «**لكن نحن هنا ولو أنّنا كالدراويش، إلاّ أنّه نستقبل أشكال الناس، وهو واحد من الإخوة**»، وانتهى اللقاء.

وفي اليوم التالي، اتّصل خالد مرّة أخرى بالسيّد مهدي وقال: «**إنّ أبا عدي يقول: لو يأتي عندي في البيت أفضل، ولاعتبارات أمنيّة لا نستطيع أن نذهب إليكم**»، فقال له السيّد مهدي: «**كيف تقول هذا؟ فهنا دولة ونحن نعيش في رعايتها وننام آمنين على اعتبار أنّها تحرسنا، فكيف لا تستطيع حماية شخص يأتي زائراً لشخص آخر؟ وعلى كلّ حال، فإنّ ذهابي إليه صعب، وإذا كان يحبّ الحضور فأهلاً وسهلاً، وإنّ الأمر يتعلّق به**».

ثمّ اتّصل خالد مرّة ثالثة وقال: «**حسناً، لماذا ذهبت إلى أحمد حسن البكر ولم تأتِ إلى صدّام؟**»، فأجابه السيّد مهدي: «**أحمد حسن رئيس دولة، فإذا أصبح هو غداً رئيس دولة فسأذهب إليه إذا حصل مقتضٍ لذهابي، وصدّام لا توجد له صفة رسميّة، فعلى أيّ أساس أذهب إليه؟ فليست بيني وبينه صداقة شخصيّة ولا له صفة رسميّة حتّى أقول إنّي جزءٌ من الناس الموجودين في هذه الدولة فأبرّر ذهابي**».

ثمّ اتّصل خالد مرّة رابعة وقال: «**إنّ صدّام يقول: لنعقد اجتماعاً ثلاثيّاً معكم بحضور أحمد حسن البكر في القصر الجمهوري**»، فقال له السيّد مهدي: «**أنا لستُ مستعدّاً لذلك.. يأتي إلينا أهلاً وسهلاً.. لا يأتي في أمان الله**».

وكان إصرار السيّد مهديﷺ ناتجاً ـ إضافةً إلى قناعته ـ من إصرار والده الذي لم يشأ إدخال المرجعيّة في مفاوضات مع الحزب.

وعندما أطلع السيّد مهدي والدهﷺ على ما جرى قال له: «**نعم ما صنعت، وسوف تدفع الثمن غالياً**». وبالفعل، فقد تناهى إلى سماع السيّد مهديﷺ أنّ صدّام قال: «**هذا العطاس الذي في أنفه، يجب أن أخرجه**»[2].

وفود السيّد محمود الخطيب على السيّد الصدرﷺ

في زيارة له إلى السيّد الصدرﷺ، اصطحب السيّد عبد الكريم القزويني السيّد محمود الخطيب.

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٧٩.

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨١ ـ ٨٣، ٩٦.

وأثناء الجلسة أبدى السيّد الصدرؒ رغبته في انضمام السيّد الخطيب إليه وأخبر السيّد القزويني بذلك وطلب منه عرض ذلك على السيّد الخطيب.

وبعد مدّة استفسر السيّد الصدرؒ من السيّد القزويني عن موقف السيّد الخطيب، فأعاد السيّد القزويني طلبه على السيّد الخطيب قائلاً: «**إنّ السيّد جدّيٌّ في طلبه ولا يمزح، ما هو موقفك؟**»، فأجاب السيّد الخطيب بالإيجاب[١].

محاضرة حول (الإمامة المبكّرة للإمام الجوادؑ)

في ١٩/ذي القعدة/١٣٨٨هـ (١٩٦٩/٢/٦م)، ألقى السيّد الصدرؒ محاضرةً حول الإمامة المبكّرة للإمام الجوادؑ[٢].

نشر (الاتّجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد في النجف)

في هذا العام نشرت مجلّة (الإيمان) بحثاً للسيّد الصدرؒ تحت عنوان (الاتّجاهات المستقبلة لحركة الاجتهاد في النجف)، وذلك في عددها (٧ ـ ١٠) من سنتها الثالثة. وكان الشيخ علي كوراني قد ألقى هذا البحث نيابةً عن السيّد الصدرؒ يوم الخميس في ٣٠/جمادى الثانية/١٣٨٧هـ (١٩٦٧/١٠/٥م) في قاعة المركز العام لجمعيّة الرابطة الأدبيّة في النجف الأشرف في موسمها الثقافي الثاني[٣].

اعتراض الحكومة الإيرانيّة على العراق

في ١٩٦٩/٢/١٠م (٢٢/ذي القعدة/١٣٨٨هـ) اعترض رئيس جهاز السافاك الإيراني على العراق لعمله على تقوية السيّد الخمينيؒ بعد نشره في صحيفة (النور) فتوى حول صرف الحقوق للمقاتلين الفلسطينيّين.

وفي ١٩٦٩/٢/١٢م عاد الوفد الإيراني من جولة المباحثة التي قصد من أجلها بغداد، وذلك بسبب تدهور الأوضاع[٤].

وفاة السيّد إسماعيل الصدرؒ

في ٦/ذي الحجة/١٣٨٨هـ (١٩٦٩/٢/٢٣م)، توفّي السيّد إسماعيل الصدرؒ الأخ الأكبر للسيّد الصدرؒ ودفن في النجف الأشرف في مقبرة السيّد عبد الحسين شرف الدينؒ[٥]. وقد تأثّر السيّد الصدرؒ بذلك كثيراً. أمّا ما قيل من أنّه أغمي عليه أكثر من مرّة[٦]، فمبالغٌ فيه[٧].

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.
(٢) انظر: مجلّة الفكر الإسلامي، العدد (٢١ ـ ٢٢): ١٥.
(٣) انظر أحداث سنة ١٣٨٧هـ.
(٤) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٥٣.
(٥) راجع ترجمة السيّد إسماعيل الصدرؒ في الفصل الأوّل من الكتاب.
(٦) مسائل في البناء الفكري: ٣٩.
(٧) من تعليقة أسرة السيّد الصدرؒ على مسوّدة الكتاب الثانية.

في اليوم الأوّل من وفاته، أقام له السيّد الصدر فاتحةً في الكاظميّة. وفي اليوم الثاني أقام له السيّد الخوئي فاتحةً في النجف الأشرف، فعاد السيّد الصدر من الكاظميّة من أجل المشاركة في مجلس السيّد الخوئي.

وفي المجلس رأى السيّد نور الدين الإشكوري، فقال له: «**لي معك كلام بعد انتهاء المجلس**».

وبعد المجلس ذهب الاثنان إلى مقبرة آل ياسين حيث ذكر له السيّد الصدر أنّ أخاه السيّد إسماعيل كان قد أسّس حوزة في جامع (الهاشمي) في الكاظميّة، وهي تضمّ خيرة الشباب هناك، وتحدّث له عن ضرورة المحافظة عليها، وطلب منه الذهاب إلى الكاظميّة من أجل إدارة هذه الحوزة. كما وحدّثه عن الرصيد الذي كان السيّد إسماعيل قد حقّقه، وقد اقترح السيّد الصدر أن يقوم السيّد حسين نجل السيّد إسماعيل بمهام والده حفاظاً على ذلك الرصيد لأنّ الناس ترى في السيّد حسين استمراراً للسيّد إسماعيل، وطلب منه مساعدته في تأدية هذه المهام.

عندها قال له السيّد الإشكوري: «**سيّدنا ..أنا أقلّدكم في الأمور الفقهيّة والأمور الاجتماعيّة.. لكن اسمحوا لي أن أقول رأيي، فأنا أرى أنّي في النجف أقدّم بعض الخدمات ـ حيث كان مدرّساً في دورة السيّد الحكيم ـ ولعلّي في النجف أستطيع تقديم الخدمة أكثر منّي في الكاظميّة**». إلاّ أنّ السيّد الصدر شرح له بعض الحيثيّات حتّى نزل السيّد الإشكوري عند رغبته وسافر إلى الكاظميّة[1].

وفي اليوم الثالث، أقامت هيئة (خدمة أهل البيت) في مدينة الكاظميّة احتفالاً في جامع الحيدريّة قرب منطقة (باب الدروازه) لمدّة ثلاثة أيام، وقد حضر السيّد الصدر برنامج اليوم الثالث المخصّص للشعراء و(الرواديد) من أعضاء الهيئة المذكورة منذ بدايته وحتّى ختامه، وكان يطلب إعادة قراءة القصائد. وممّا نظم يومها:

أسفاً وهل يجدي الأسف	للأكرمين من السلف
أسفاً وهل يجدي لنا	أسفٌ بفقد من اتّصف
بنزاهة الأخلاق حتّى	صار جوهرة التحف[2]

كما نعته مجلّة (رسالة الإسلام) معزّيةً السيّد محسن الحكيم والسيّد الصدر، وقد جاء في نعيها:

قد فقدناك زعيماً ناهضاً	يرهب الله ولا يخشى العباد
فاذرفي يا عينُ واسعر يا فؤاد	قد قضى من كان ذخراً للجهاد
أيّها (الباقر) هذي سنّةٌ	سنّها الله إلى يوم المعاد
وعزاءٌ لك يا جيل الهدى	بمصابٍ جللٍ هزّ البلاد[3]

---

(١) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤هـ ؛ وانظر أصل القضيّة في: مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله).

(٢) ٭ ٭ ٭، غاب عنّا المصدر.

(٣) انظر الوثيقة رقم (٧٥).

وفي أيّام الوفاة ألقى السيّد علي العلوي‏ﷺ كلمةً في الجامع الهاشمي الذي كان مشرفاً فيه على الطلبة بالنيابة عن السيّد إسماعيل الصدر‏ﷺ، وقد جاء فيها:

«إنّا لله وإنّا إليه راجعون

ما خلت أنّي أقف هذا الموقف الكئيب الحزين، لم يكن في حسباني أنّي أقف يوماً معزّياً نفسي وإخواني، ما دار في خلدي أنّي أكتب ودمي ينزف من عيني، لماذا كلّ ذلك؟ لموت سيّدي! لموت أبي حيدر!..

آه! فُقد أبو حيدر.. غابت الشمس، انطفأت الشمعة، ليتني متُّ من قبل ولم أر هذا اليوم، الله أكبر.

اذاً يحَقّ لنا ـ شباب جامع الهاشميـ يحقّ لحيدر، والحسين، يحقّ لنا جميعاً أن نترك الحناجر هاتفة، والدموع ذارفة، وننادي: وا أبتاه، وا أبتاه، وا سيّداه، وا مرشداه، وا ضيعتاه بعدك يا أبا حيدر.

لا، لا أصدّق، لن يموت سيّدي، حيث عرفته الرجل الخالد خلود الإسلام، لأنّه عاش للإسلام ومات فيه.

عرفته في خلواته وفي اجتماعاته، عرفته العالم المجتهد الزاهد العابد الورع البطل المجاهد، لا يخشى إلاّ الله، ولا يهاب إلاّ الحق.

عشت معه حقباً من الزمن، عشت معه الجندي المخلص، والابن المطيع، والنائب الأمين، والأخ البار، عشت معه ساعات الدرس، فلم أره إلاّ البحر الذي لا ينزف، يصبُّ المعاني كالمزن، ويصوغها كعقد الجوهر، ويصوّرها كأنّها الشاخص المرئي.

عشت معه ساعات العبادة، فلم أره إلاّ العبد الذليل بين يدي الرب الجليل، كان مع ما هو عليه من التعب الشديد والعناء المرير، يعمل أضعاف ما نعمل، من إقامة الصلاة، وقراءة أدعية، وغير ذلك.

عشت معه ساعات المنبر والخطابة، فإذا به ينحدر كالسيل العرم، ما من مشاعر إلاّ وهزّها، وما من عواطف إلاّ وهاجها، وما من قلوب إلاّ وملكها.

عشت معه ساعات الشدّة وفي أحلك الظروف، فما رأيته إلاّ الجبل الأشم الذي لا تحرّكه الزوابع والعواصف، رأيته الرجل الحديدي، رأيته الجيش المندفع في خطّ النار، رأيته ذات الكيان الفولاذي.

عشت معه في مجالسه واجتماعاته، فما كان إلاّ البنّاء الماهر، بنّاء مجتمعه على الأسس الإسلاميّة القويمة، وما كان إلاّ المفكّر الفذ، يفكّر في تقويم من انحرف عن جادة الصواب، وما كان إلاّ المصلح العدل، يجدّ في إصلاح ما أفسدته الأيادي العابثة والمبادئ الضالّة، وما كان إلاّ الحاكم المطلق، يحكم بين الرعية بالعدل والسوية، وما كان إلاّ القائد المحنّك، يقود الناس إلى شاطئ السعادة والطمأنينة، هكذا كلّ حياته مليئة بالعمل المتواصل، والجهاد المستمر، والكفاح المرير، مثله كمثل الشمعة تحرق نفسها لتضيء لغيرها، وكان ـ والله ـ كذلك حتّى مضى إلى ربّه قرير العين ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[1].

مضى ولم يمض.. مضى وقد خلّف أمّة من الناس تحمل روحه، وتعيش أفكاره، وتدرس آراءه.. خلّف علماء من طلبته، وشباباً ناهضاً متكاملاً بتربيته.. خلّف ثروة علميّة من مطبوع وغير مطبوع، كتبت بعضها بيدي مبيضّة.. خلّف حيدراً والحسين اللذين سيقومان مقامه إن شاء الله.

سيّدي! لم تمت ولك المآثر الخالدة في نفوسنا..

سيّدي! لم تمت ولك جند مجنّدة، سائرة نحو الهدف الذي كنت ترمي إليه، و[هو] إقامة الحق والعدل في المجتمع..

---

(١) القمر: ٥٥.

مولاي! لم تمت وهذه الجحافل من الطلائع المؤمنة تعيش بمعنويّاتك ومفاهيمك الخيّرة..

نم قرير العين، فإنّا كما عهدت مخلصون..

مولاي! عزّ عليّ فراقك..

حبيبي! عزّ عليّ أن أرثيك..

سيّدي! كنت أشعر بقوّة، أين هي الآن؟

مولاي! لا أنسى تلك الساعة التي كنت بخدمتك، فاستأذنتك بالذهاب، وقبّلت يديك، وكرّرت التقبيل ثانياً، ثمّ خرجت من الباب، ورجعت وقبّلت يدك الكريمة للمرّة الثالثة، وقلت: (سيّدي! لا اشبع من تقبيل يدك)، فأجبتني بلطيف قولك: (أنت مكانك في القلب عزيزي)، وهي آخر كلمة أسمعها منك.

وا أسفاه على قلبك.. وا أسفاه على ذلك القلب الحنون.. وا أسفاه على ذلك القلب المفقود.. وما يجدي الأسف، ولكن لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

فما كان قيس هُلكُهُ هُلك واحدٍ ... ولكنّه بنيان قوم تهدّما[1]

وفي الختام، باسم أهالي حي طارق في بغداد، أرفع أحرّ التعازي إلى الإمام المعصوم المهدي المنتظر عجّل الله فرجه، وإلى المرجع الديني الأعلى الآية الكبرى الإمام الحكيم أدام الله ظلّه، وإلى سماحة الحجّة آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل يس دام ظلّه، وسماحة الحجّة المجاهد آية الله السيّد محمّد باقر الصدر دامت بركاته، والأخوين السيّد حيدر والعلاّمة السيّد حسين، وأسرة آل الصدر جمعاء، سائلاً العلي القدير أن يلهم الجميع الصبر والسلوان، إنّه سميعٌ مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[2].

كما ألقيت كلمة من قبل مكتبة (الإمام علي بن الحسين عليهما السلام) وذلك في الجامع العلوي، بغداد ـ حي طارق، وقد ألقاها في الجامع الهاشمي مدير المكتبة عبد الهادي الجواراني:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، إنّا لله وإنّا إليه راجعون..

أيّها المؤمنون!

في هذا الظرف العصيب الذي تمرّ به الأمّة الإسلاميّة، في هذه المرحلة الشاقة، ووسط هذا الجو المكفهر الذي يخيّم على بلاد المسلمين، نعم في هذا العصر الذي تكالبت فيه على الإسلام والمسلمين كلُّ قوى زمر الإلحاد الصهيونيّة، في هذه الفترة الدقيقة المحتاجة إلى جهابذة مفكّرين وأبطال مجاهدين وقادة محنّكين، أصيبت الأمّة في كبدها، أصيبت في مركز ثقلها، أصيبت بفقد أبي حيدر والحسين، بل الأب الروحي لكلّ الشباب المناهض المؤمن، أولئك الذين عاشوا بكنفه، يحيطهم بعطفه وحنانه، بتوجيهاته وتدريسه.

أيّها المؤمنون!

إنّها لم تكن فجيعة آل الصدر فحسب، إنّها فجيعة الكاظميّة وبغداد، فجيعة العراق كلّه، فجيعة العالم الإسلامي أجمع، فجيعة كلّ مؤمن أينما حلّ.

سيّدنا أبا حيدر!

بأيّ مفخرة من مفاخرك نبدأ؟ وبأيّها نفتتح سجلّنا؟ فكلّك مفاخر، وكلّ حياتك جهاد وعمل في سبيل إعلاء شأن الإسلام.

---

(١) في المصدر: «وما كان قيس فقده فقد واحد»، والبيت لعبدة بن الطبيب (الموسوعة الشعريّة/ ديوان عبدة بن الطبيب)، وقد ورد كذلك في أشعار أبي هلال العسكري (الموسوعة الشعريّة/ ديوان أبي هلال العسكري).

(٢) الرافد: ٣٢٩ ـ ٣٣٢.

فنحن في بغداد، منطقة حي طارق، كنّا نتّبع أفكارك ومناهجك، ولا نزال نعيشها.. لقد كنت كالشمس تغمر كلّ البرية بنورك الزاهر، وتصل إلى كلّ زاوية من زوايا واقع أمّتك.

سيّدنا أبا حيدر والحسين!

وسع قلبك هموم أمّتك ولم يضق بها ذرعاً، وسع قلبك مصاعب الأمّة، ولم تغفل عنها لحظة حتّى الموت.

مولاي!

لقد استقبلت كلّ المصاعب والمكاره بصدر رحب، كيف لا؟! وأنت المؤمن بأنّ الجنّة مأواك، والنعيم نهاية مطافك.

فسلام الله عليك حين عشت، وحين متّ، وحين تبعث حيّاً.

وفي الختام باسم مكتبة (الإمام علي بن الحسين عليه السلام العامّة) في الجامع العلوي ـ حي طارق، وبرعاية سماحة العلاّمة المجاهد السيّد العلوي دام بقاه[١]، نرفع أحرّ التعازي وأصدق مشاعر الحزن والرثاء، لسماحة العلاّمة الفذ المجاهد آية الله السيّد محمّد باقر الصدر، وإلى السيّدين الجليلين حيدر والحسين، وإلى أسرة آل الصدر، وإلى الشباب المؤمن، وإلى العالم الإسلامي أجمع.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

(الرائد القائد)

يـــا حمـــاة الـــدين نوحـــوا وانـــدبوا	واذرفـــوا الـــدمع لفقـــد الرائـــد
فقـــد الـــصدر فيـــا ليـــت القـــضا	أبـــدل الجنـــد بـــذاك القائـــد

١٣٨٨ هـ»[٢].

وأقام الشيخ علي حجّتي الكرماني رحمه الله ورفاقه مجلساً تأبينيّاً عن روح السيّد إسماعيل رحمه الله في المسجد الأعظم بقم، فأرسل له السيّد الصدر رحمه الله رسالةً يشكره فيها على ذلك، وكانت أوّل معرفة الشيخ به في مدرسة السيّد البروجردي عند وروده إلى النجف الأشرف[٣].

وممّن أرسل إليه مواسياً السيّد حسن جواد الموسوي من لبنان، وقد أجابه السيّد الصدر رحمه الله برسالةٍ جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الفاضل السيّد حسن جواد الموسوي دام عزّه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تسلّمت رسالتكم العزيزة وأنا في غرّة المصاب الأليم، فقرأت فيها عواطفك العالية ومشاعرك النبيلة ومشاركتك الأخويّة. وكان للرسالة الكريمة أعمق الأثر في نفسي.

وإنّي أبتهل إلى المولى القدير سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويطيل في عمركم ويجعل من شبابك وإيمانك وقوّة عقيدتك وحسن وعيك دائماً أملاً وسنداً للدين، والسلام عليكم ورحمة الله.

محمّد باقر الصدر»[٤].

---

(١) يقصد السيّد علي العلوي رحمه الله.

(٢) الرافد: ٣٣٣ ـ ٣٣٥.

(٣) مقابلة مع الشيخ علي حجّتي الكرماني (دام عزه).

(٤) انظر الوثيقة رقم (٧٦).

رسالة إلى السيّد رضا الصدر

بعد وفاة السيّد إسماعيل الصدر، بعث السيّد الصدر برسالة إلى ابن عمّه السيّد رضا الصدر جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدي المفدّى وملاذي المعظّم، بنفسي أنتم وبروحي جلسة أجلسها بين يديكم فأشمّ من عبيركم عطر الآباء والأعمام والأجداد وأشعر بالروح والارتياح في ظلالكم الوارفة وأنهل من نميركم العذب.

وعلم الله يا بقيّة الماضين وثمال الباقين أنّي كلّما التفتُّ إلى تلك الأيّام التي عشناها معاً وعشناها قبل أن أفقد طودي وأخي أكاد أتحرّق ويكاد قلبي يتمزّق، فوا حسرتاه على اجتماعاتنا الثلاثيّة التي لم أكن أشعر بأنّها سوف تسلب منّي بهذا الشكل المرير. وا أسفاه على أيّام مضت وليال خلت كنتُ أعيش فيها وأنا مغترٌّ ولا أدري ماذا يخفي الدهر لنا.

كثيراً ما أصعد إلى الغرفة الفوقيّة أستذكر تلك الساعات الحبيبة التي كنت سعيداً فيها بقربكم وأحاول أن أسترجع تلك النسمات، ولكن هيهات.

كثيراً ما أقف أمام الدار التي كان السيّد الأخ يسكنها في النجف في هذه الأيّام، وإنّما أخصُّ هذه الأيّام لأنّها الأيّام التي أتاحت لنا قبل سنين أن نجتمع ثلاثيّاً في تلك الدار وفي هذه الدار.

سيّدي.. إنّ الكلمات تجمد على شفتي وتتحوّل إلى دموع ولا أدري لماذا دخلت في هذا الحديث وأنا المتماسك بقدر الإمكان.

أظنُّ أنّي خيّل لي وأنا أكتب هذه السطور أنّي بين يديك، ومن أولى منك يا بقيّة الماضين وثمال الباقين أن أشكو إليك أشواقي الضائعة وهمومي وآلامي، من أولى منك يا بقيّة الماضين وثمال الباقين أن أسمح لنفسي معه بالانطلاق على سجيّتها فأبكي بين يديه على ذلك الجمع الذي تشتّت وتلك الأيّام التي تصدّعت وأنا الذي أمسك بلجام نفسي دائماً لكي لا تضعف.

فلأترك هذا الحديث يا مولاي.

إنّ صحّتي جيّدة والأهل كلّهم بخير ويقدّمون الواجب بخدمتكم، وقد كانت آمنة وحسين في الحج في هذه السنة وقد رجعا بعد عيد الغدير وهما يقبّلان أياديكم.

تسلّمتُ يا مولاي رسالةً منكم مع آقاي أنصاري ولا تشيرون فيها إلى وصول رسالتي، فإنّي قد كتبت إليكم يا مولاي رسالةً قبل مدّة وتعرّضت فيها إلى النقطة التي تفضّلتم بها ويبدو من عدم الإشارة أنّ الرسالة لم تصل، وقد ذكرت أنّي غير مطّلع على أنّ الشيخ آل يس رحمه الله كان يرى عدم وجوب تقليد الأعلم بل هو في رسالته يرى الوجوب، وقد سألت الشيخ الخال المرتضى دامت بركاته فذكر أنّه هو أيضاً غير مطّلع وغير مسبوق بذلك.

ولا أدري ما هو طريقكم إلى معرفة ذلك من رأي المرحوم الشيخ.

وأخيراً فأنا لم أكن أعرف أنّ البوخارة[1] لذيذةٌ بهذا المقدار، لم أكن أعرف ذلك حتّى وصل ما تفضّلتم به من البوخارة، ولا أدري هل أنّي شعرت بهذه اللذّة من أجلها أو من أجل أنّها قد لثمت أياديكم قبل ذلك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) هذه الكلمة فارسيّة، ورسمها الصحيح: (آلو بخاره)، وأصلها (آلو بخارائى) نسبةً إلى (بخارى) حيث اشتهر نوعٌ خاصٌّ من الخوخ، ثمّ خفّفت إلى (بخاره) فصارت (آلو بخاره).. وهي الخوخ المجفّف، طعمه حامضٌ شيئاً ما، يستخدمه الإيرانيّون في طعامهم.

محمّد باقر الصدر»[١].

مشاركة السيّد موسى الصدر في عزاء السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله

في ٢٢/ذو الحجّة/ ١٣٨٨هـ (١١/٣/١٩٦٩م)، سافر السيّد موسى الصدر من لبنان إلى العراق من أجل المشاركة في عزاء ابن عمّه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله[٢].

وفي زيارته هذه عقدت جلساتٌ طويلةٌ بين السيّد الصدر رحمه الله وبين السيّد موسى الصدر والشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله لتداول الوضع الإسلامي في لبنان، وتمّ على أساسها الاتّفاق مع الشيخ شمس الدين رحمه الله على الانتقال إلى لبنان.

وفي ليلة من تلك الليالي، جلسوا بعد صلاة العشاء واستمرّت الجلسة إلى قريب الفجر. وكان في الجلسة ـ إضافةً إلى السيّد الصدر والشيخ شمس الدين رحمهما الله ـ السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

وقد تمّ في الجلسة عرض طبيعة المرحلة وخصوصيّات العمل فيها في العراق ولبنان عرضاً شاملاً، وكانوا يتداولون مسألة تواجد الشيخ شمس الدين وأين يكون أكثر نفعاً للإسلام والمسلمين.

وبعد بحث مستفيض مع السيّد الصدر رحمه الله استغرق أكثر من جلسة ـ وكانت الأخيرة منها في بيته الواقع خلف ثانويّة الخورنق ـ هاجر الشيخ شمس الدين رحمه الله إلى لبنان[٣]، وكان السيّد الصدر رحمه الله يجتمع في بيت الشيخ مع مجموعة من العلماء منهم: السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، السيّد محمّد حسين فضل الله، السيّد محمّد بحر العلوم، السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله والشيخ كاظم الحلفي رحمه الله[٤].

الخلاف بين السيّد الصدر وبين الشيخ كوراني حول خليفة السيّد إسماعيل

قلنا: إنّ السيّد الصدر رحمه الله رغب بعد وفاة أخيه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله ـ الذي كان يشكّل ثقلاً كبيراً في الكاظميّة ـ أن يكون ولده السيّد حسين الصدر مكان أبيه ليواصل المسيرة نفسها مستفيداً من التركة الاجتماعيّة لأبيه التي لا يمكن أن يرثها غيره.

لم يعجب الأمر الشيخ علي كوراني الذي كان قد سافر إلى الكويت عام ١٣٨٧ هـ لافتتاح مسجد علي النقي عليه السلام، وكان المتصدّي لأمور المسجد قد طلب حينها من السيّد محسن الحكيم رحمه الله تعيين إمام للمسجد، فتمّ تعيين الشيخ علي كوراني على ما تقدّم.

وكان الشيخ علي كوراني على خلاف سابق مع السيّد الصدر رحمه الله حول السيّد موسى الصدر، حيث كان الشيخ كوراني يتهجّم عليه ويتّهمه بالعمالة لأمريكا، وكان السيّد الصدر رحمه الله يتحمّل منه ذلك، وكان يرى أنّ السيّد موسى الصدر مخلصٌ وله أسلوبه الخاص في العمل السياسي[٥].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٧٧).

(٢) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٧ ـ ٨.

(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد مهدي شمس الدين (قدس سره). ولم يتعرّض الشيخ رحمه الله إلى تاريخ الحادثة، ولكنّه ذكر أنّها كانت في الأشهر الأخيرة من تواجده في النجف. وقد جاء في ترجمته في موقع (المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى) على شبكة الإنترنت أنّه انتقل إلى لبنان سنة ١٩٦٩م، وحيث إنّ زيارة السيّد موسى الصدر المتقدّمة هي الزيارة الوحيدة له آنذاك، فقد بنينا على ما أثبتناه في المتن.

(٤) مقابلة مع الشيخ محمّد جعفر شمس الدين (قدس سره).

(٥) حدّثني بهذه الأمور السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ١٥/شعبان/١٤٢٤هـ ولكنّ الشيخ كوراني ينفي على ما يبدو

وبعد حادثة تعيين السيّد حسين الصدر خليفةً للسيّد إسماعيلﷺ، انتقد الشيخ علي كوراني هذا الموضوع وكيف يعيّن السيّد الصدرﷺ ابن أخيه وهو لا يزال صغيراً، خاصّةً وأنّ السيّد الصدرﷺ كان ينتقد الأسريّة والمرجعيّة الأسريّة(١)، حتّى أنه عند تأسيس (حسينيّة آل الصدر) في الكاظميّة [من قبل السيّد مهدي السيّد علي السيّد حسن الصدر](٢) طُلب من السيّد الصدرﷺ المساهمة فيها وافتتاحها فقال: «**إنّه مركزٌ حسيني جيّد، ولكن لا عيب فيها إلاّ اسمها**»، فأجابه بعض آل الصدر: «**لماذا هذا الانتقاد لنا؟! آخرون كثيرون لديهم مساجد وحسينيّات بأسمائهم، هذه حسينيّة آل فلان وآل فلان**»، فأجاب السيّدﷺ: «**هذه الحسينيّات فيما مضى، يعني في فترة الركود كانت الحسينيّة تعني المبكى، حسينيّة آل فلان يعني مبكى آل فلان.. أمّا الآن والأمّة تتّجه إلى مرجعيّتها، فالمساجد والحسينيّات يجب أن تتحوّل إلى مراكز قياديّة، حسينيّة آل فلان تعني قيادة آل فلان وهذا لا يصحّ، يجب أن تكون قيادة الإسلام قيادة المرجع**».

ويذكر الشيخ كوراني أنّ السيّدﷺ كان يعتبر الفترة الممتدّة من العشرينات إلى الخمسينات أو الستّينات فترة «**نصف قرن من الركود**»(٣).

وعلى أيّة حال فقد أجاب السيّد الصدرﷺ بما يلي:

«بسمه تعالى

عزيزي وعضدي المفدّى لا عدمتك ولا حرمتك. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا أستطيع أن أقول شيئاً في خضمّ الآلام التي لا تطاق لولا الإيمان بالله، والآمال الضخمة التي انهارت في لحظة، والصرح الذي تداعى، والجزء الذي تفتّت من وجودي وخطّي وكياني، هذا الجزء الذي كان لي أخاً في الدم أباً في المعنى، وشريكاً في الخط، ورفيقاً في الألم والأمل، وملجأً في الشدائد، وعضداً في كلّ ملمّة، وكياناً متمّماً للكيان الكبير.

أقول لا أستطيع أن أقول شيئاً في خضمّ تلك الآلام سوى كلمة واحدة أستمدّ منها شيئاً من التسلية والرضا المنطقي، وهي أنّ الحياة التي تزخر بالألم تهون على الإنسان في مجال التضحية والفداء.

إنّ العذاب الذي قدّر لحياتي أن تمتزج به والتمزّق الذي قدّر لقلبي أن يعيشه سوف يمدّني بقدرة أكبر على التضحية بتلك الحياة المتمزّقة المتوهّجة بالألم. وهكذا كلّ إنسان يعيش حياة الألم يكون أقدر على التسامي والتضحية لأنّه يضحّي بحياة زاخرة بالمنغّصات، والحمد لله ربّ العالمين وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

كنت أعيش الجانب العاطفي من المصاب، وأعيش العقلي منه معاً، وعلى مستوى الجانب العقلي بدا لي من اللحظة الأُولى أنّ التخطيط كلّه تحطّم، وأنّ الجهود العظيمة التي بذلت خلال عشر سنوات لإقامة هذا الكيان ليساهم في البناء الشامل للوضع الديني قد صدمت صدمةً كبرى، وقد خرَّ الإنسان الذي سلّطت الأضواء كلّها عليه شهيداً أو كالشهيد في لحظة انفجرت فيها كلّ تراكمات الألم في سبيل العمل الإسلامي قبل أن يؤتيِ الكيان كلّ ثماره، ولم يكن هناك أيُّ اهتمام خلال السنين السابقة لإبراز وجودنا بشكل مباشر اكتفاء بالوجود الآخر المنسجم مع الخطّ والفكر والنتيجة، حتّى أنّ أكثر الأشخاص الذين كانوا

أنّه اتّهم السيّد موسى الصدر بالعمالة.

(١) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٢) ما بين [] من: مجلّة (الموسم)، العددان (٢٣ ـ ٢٤): ٢٥٦.

(٣) انظر: صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٣٩٦)، ٢/رمضان/١٤٠٩هـ، في حديثٍ مع الشيخ علي كوراني ؛ مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

يدورون في فلك زعامة الجامع الهاشمي في أرجاء المنطقة لم يكونوا يحملون عنّا أيّ مفهوم، إذ لم يكن من الضروري للإسلام تكوين هذا المفهوم بعد أن كان تكوينه عن السيّد الأخ يغني في النتيجة عن ذلك.

وقد شعرت أنّ الفراغ الكبير الذي خلّفه المصاب في نطاق العلاقات الضخمة الواسعة في المنطقة سوف يملأ بالتدريج إذا ترك ونفسه بالبدائل الجاهزة في الكاظميّة المتمثّلة في بقيّة المعمّمين، وهؤلاء حينما [يتقاسمون] التركة و[يملأون] الفراغ سوف يملأونه بأذواقهم وأفكارهم وطريقة تفكيرهم في الإسلام وتقييمهم للأشخاص والأحداث، وبذلك نخسر كلّ شيء، ولهذا كان من الضروري في نظري لتفادي المشكلة أو جزء كبير منها من أمرين:

الأوّل: السعي لتكوين مفهوم عنّا ينسجم مع مستوى العمل الإسلامي المطلوب، ومع متطلّبات مستقبل المرجعيّة.

والثاني: إبقاء صورة المركز في جامع الهاشمي لينعكس عليه ذلك المفهوم ويتفاعل معه، لأنّ إبقاء صورة المركز شرط في إيجاد ذلك المفهوم وشرط في كيفيّة استثماره وتفاعل الأمّة معه.

والأمر الأوّل بحاجة إلى تخطيط، وأمّا الأمر الثاني فكانت هناك صور:

الأُولى: أن يقدّم شخص من مستوى الفقيد الحبيب اجتهاداً وعلماً وشهرةً ومقاماً في النجف. وهذه الصورة لا تحقّق الغرض الديني، إذ ـ بقطع النظر عن إمكانيّة تحصيل شخص من هذا القبيل أو عدمها ـ [فـ]إنّا لا نملك شخصاً على هذا المستوى يعيش نفس الخطّ كما كان السيّد الأخ يعيشه، وإذا ترك الاختيار للأجهزة الحاكمة في النجف فقد تختار فرداً على هذا المستوى من أعداء الخط، وبذلك نخسر كلّ الجهود العظيمة التي بذلت سنين متطاولة.

والصورة الثانية: أن يستقدم شخصٌ من الشباب على مستوى السيّد نوري الإشكوري والشيخ عبد الهادي فضلي مثلاً، ونحن نملك على مستوى الشباب من يكون منسجماً على الخط. ولكنّ شابّاً من هذا القبيل لا يملك العناوين الضخمة والرصيد لا يمكن أن يستقطب ولا أن يرث شيئاً ذا قيمة من التركة الكبيرة، بل سوف يؤخذ على أمره ويسبقه إلى كلّ شيء البدائل الجاهزة في البلد، وبذلك يتفتّت الكيان، ويجب أن يبدأ هذا الشاب عمله منذ البداية فاقداً كلّ الأسلحة التي كان الكيان يملكها من اجتهاد وشهرة ومقام راسخ لدى المرجعيّة، وارتباط تاريخي وعائلي بالكاظميّة إلى آخر ما هناك.

الصورة الثالثة: أن يقدّم شخصٌ يملك الرصيد العاطفي بوصفه امتداداً للفقيد بحيث يستطيع بهذا الاعتبار أن يُبقي صورة المركز، ونحتفظ بسبب ذلك بالأرضيّة التي نستطيع من خلال الاحتفاظ بها تعبئة مختلف القوى لجعلها تمارس دورها المطلوب في خدمة الإسلام والحوزة، فالرصيد العاطفي الذي شهد أبناء الخمسين وأبناء الستين أنّهم لم يشهدوا له نظيراً كان يفرض حلاً من هذا القبيل، وقد تجسّد هذا الحلّ في عناصر ثلاثة:

العنصر الأوّل: إشغال المركز وامتصاص الرصيد العاطفي الهائل بتقديم ابن الفقيد، وقد قدّم السيّد حسين دون السيّد محمّد الذي اقترحتموه أو السيّد حسين الآخر لعدّة اعتبارات، منها: أنّ الظروف الموضوعيّة أوضحت أنّ الشخص الوحيد الذي تسلّطت كلّ الأضواء العاطفيّة عليه هو ابن الفقيد، والاندفاع الشديد من مختلف الطبقات التي كانت تدور في فلك سيّدنا الأخ دلّل على ذلك بوضوح، هذا إضافةً إلى أمور أخرى لا يمكن أن أستوعبها في هذه الرسالة...

العنصر الثاني: استدعاء السيّد نوري الإشكوري من النجف بعنوان ملأ الفراغ العلمي في جامع الهاشمي، فالأرضيّة التي احتُفظ بها بسبب العنصر الأوّل تهيّئ الجوّ المناسب للسيّد نوري، ونحن نخطّط الآن بصورة جادّة لتهيئة ظروف لحوزة حقيقيّة في الكاظميّة تكون قاعدتها جامع الهاشمي بمسؤوليّة السيّد نوري

وإشراف كامل منّا، وسوف تسلّط الأضواء على السيّد الإشكوري بوصفه أستاذاً فاضلاً لكي يحتلّ من الفراغ القدر الذي يتاح له، ولكي يكون له من الوزن ما يجعل له تأثيراً في تقييم المرجعيّة حاضراً ومستقبلاً.

العنصر الثالث: التفقّد الأسبوعي من قبلي بمعنى حضوري ليلة الجمعة ونهار الجمعة من كلّ أسبوع في الكاظميّة، ليساهم هذا الحضور في تكوين المفهوم الجديد بما يهيّء من لقاءات، وليكون شرطاً في إنجاح المساعي الأخرى لتكوين هذا المفهوم والإشراف على التخطيط بصورة كاملة.

هذه خلاصة الموقف في خضمّ المحنة، وأهمّ شيء في إنجاح التخطيط التعاون في تكوين ميزانيّة محترمة للحوزة التي من المأمول أن تكون قاعدة العمل الديني في المنطقة كلّها، وبالرغم من أنّي قد أقدمت أنا شخصيّاً الآن على تغطية نفقات التخطيط والتعهّد براتب للسيّد الإشكوري الذي لا يقلّ مع إيجار البيت عن أربعين ديناراً شهريّاً، بالرغم من هذا أشعر أنّه لا بدّ من التفكير لضمان الموقف عن طريق آل البهبهاني من ناحية، وعن طريق الأصدقاء في المنطقة والمؤمنين من ناحية أخرى.

أشعر الآن يا عزيزي بإعياءٍ شديد ولهذا سوف أكتفي بهذا القدر والسلام عليك

محمّد باقر الصدر»[1].

وقبل أن يستلم الشيخ كوراني هذه الرسالة، أرسل رسالة أخرى يبدو من عبارات السيّد الصدر رحمه الله في جوابه عنها أنّها كانت تحمل الاتّهام بمحاولة إرضاء آل الصدر وأن لا تجوع عائلة السيّد إسماعيل رحمه الله[2]. وهذا ما جاء في جواب السيّد الصدر رحمه الله:

«بسمه تعالى

عزيزي المعظّم. كنتُ قد أرسلت إليكم رسالة قبل يومين عن طريق النجف، واليوم تسلّمتُ رسالةً منكم حملها لي الشيخ طالب الصيمري، وأنا أتصوّر أنّ الرسالة التي كتبتها إليكم يمكن أن تجيب إلى حدٍّ كبير على الرسالة التي تسلّمتها اليوم منكم ولكنّي مع هذا سوف أحاول أن أقول شيئاً.

قرأت رسالتك مراراً عديدة، وأظنّ أنّها تركت في نفسي نَفسَ ما تركه في نفس الإمام أمير المؤمنين قولُ عضده المجاهد مالك الأشتر حين رآه قد ولّى أولاد عمّه على أمصار المسلمين فقال: على ماذا حاربنا الشيخ بالأمس؟

أنا أظنّ أنّ الشعور الذي تركه كلام الأشتر في نفس صاحبه هو شعور الارتياح المزوج بألم عنيف، أو هو الألم المزوج بالارتياح. ارتياح لأنّ في الأصحاب من يراقب ويسدّد، وألم نتيجة لرغبة الشخص في أن يحيط أصحابه بوجهة نظرة كاملة غير منقوصة، هذا مع فارق في المسألة كبير بين صاحبك وصاحب الأشتر، وهو أنّ صاحب الأشتر معصوم، والوضوح لديه وضوح على مستوى الحس المطلق، وهذا يؤكّد ألمه من ناحية حين يشكّ الأشتر فيه ويخفّف من ألمه من ناحية أخرى لأنّ الوضوح الحسّي لعمله خير عزاء وسلوة له.

نعم قد تألّمت ألماً ممزوجاً بالارتياح، وقد أكون متسامحاً في كلا التعبيرين حين أفترض أنّي تألّمت وحين أفترض أنّي ارتحت لأنّي أعيش دوّامة ألم غير محدّد يملأ كلّ وجودي، فلا أدري كيف يدخل إلى نفسي ألمٌ جديد أو ارتياحٌ في خضمّ ذلك الألم ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٧٨).

(٢) ذكر لي الشيخ علي كوراني مختصراً بتاريخ ٢٠٠٤/٢/٢٦م أنّ اعتراضه في رسائله على السيّد الصدر رحمه الله هو أنّه يريد أن ينصّب أرحامه، واعتذر عن التفصيل.

هناك نقطتان في رسالتك يا عزيزي أجدني مضطراً بحكم وضعي أن أختصر في الجواب عليها:

أمّا إحدى النقطتين فهي الخطر الذي تراه ناجماً من صيرورتي عالماً لجامع الهاشمي يومين أو نصف يوم، وهذا الخطر أُؤكّد لك أنّه لا وجود له، إذ لا توجد هناك أيّ فكرة عندي إطلاقاً لصيرورتي عالماً يومين أو نصف يوم في جامع الهاشمي، لأنّ العالميّة في الجامع أو البلد تتمثّل في صلاة الجماعة أو التدريس أو أيّ نشاط من هذا القبيل مرتّب، وأنا مقرّر لعدم القيام بأيّ عمل من هذا القبيل، نعم هناك شيء اسمه التفقّد الأسبوعي، وهذا شيءٌ أراني ملزماً به ولو لم يخلق الله جامع الهاشمي وفاءً لأبسط حقوق أخي التي تفرض عليَّ أن أتفقّد عائلته في كلّ جمعة، وفي خلال هذا التفقّد سوف أشرف طبعاً على سير العمل الديني في الجامع، وأوثّق العلاقات على مستوى عالم نجفي بالمؤمنين، وهذا ما لا يشكّل خطراً. نعم هذا سوف يعيق عن بعض الفوائد التي يمكن أن تحصل في يوم الجمعة على صعيد الحوزة في النجف، إلاّ أنّها إعاقة موقّتة وفيها ملاك أقوى من تلك الفوائد، وسوف يستمرّ هذا التفقّد منّي إلى أن تعود إلى عائلة أخي حياتها الطبيعيّة من الناحية النفسيّة وإلى أن يتفاعل السيّد نوري والسيّد حسين ضمن الوضع الديني بالشكل الذي يؤدّي إلى ملأ أكبر قدر ممكن من الفراغ.

وأمّا النقطة الأخرى فهي نقطة الأُسريّة والوراثة، وهذه النقطة تارةً تُعرض على مستوى الاتّهام الثبوتي، أي اتّهامي بالانحراف ثبوتاً، وأخرى تُعرض عل مستوى الاتّهام الإثباتي، أي أنّ هذا العمل يفسح المجال للاتّهام. فإن كنت يا عزيزي تعرض ذلك على المستوى الأوّل فجوابه مفصّلاً قد شرحته في الرسالة التي أرسلتها قبل يومين إليك، فإنّي رأيت أنّ الاحتفاظ بالرصيد الضخم الذي تركه فقيدي الحبيب بالشكل الذي ينسجم مع حاجة الدين يتوقّف على مزج عنصرين أحدهما بالآخر وهما السيّد حسين والسيّد نوري، على أن يقوم كلٌّ منهما بالدور الذي تمليه عليه طبيعة الموقف وطبيعة شروطه وظروفه، وكلّ التصوّرات التي طبّقت كانت موضوعيّة بالاتّفاق مع أشخاص يعيشون الرسالة كما أعيشها ويعيشون ظروف المنطقة أكثر ممّا تعيشها أنت، ويقدّرون أهميّة التركة التي تركها السيّد الأخ.

إنّ الاعتراف بقوى واقعيّة أمرٌ لا بدّ لنا منه، وأنا أذكر أنّي قلت للشيخ مهدي [ابن] الشيخ محمّد الخالصي حينما لم يكن معمّماً وكان منسجماً كلّ الانسجام، قلت له: إنّك لا بدّ أن تتعمّم لترث هذا الكيان لأنّ الرصيد التاريخي والعاطفي لهذا الكيان لا يمكن أن يرثه غيرك فإذا لم تعمّم فسوف يذهب هدراً من حساب الدين.

هناك كلماتٌ كثيرةٌ لا أستطيع أن أكتبها لكنّي بشكل عام أطلب منك أن لا تنساق مع العاطفة وتحكم بهذا الشكل السريع الباتّ، إنّ المفاهيم النظريّة وحدها لا تكفي أساساً للعمل ما لم تؤخذ كلّ الظروف بعين الاعتبار. إنّ امتلاك مركز ديني في المنطقة هنا أعتبره في غاية الأهميّة، وكان الأسلوب الوحيد هو ما وقع.

وأمّا عرض النقطة على المستوى الثاني فأنا معك في أنّ التفسير اللارسالي يتبادر إلى ذهن الكثير، ولكن ماذا نصنع وقد حكمت الظروف بذلك، وهذا الانعكاس سوف يخفّفه من ناحية شرح واقع الظروف في نطاق المحبّين، ويخفّفه من ناحية أخرى التفاعل المثمر الذي سوف يتحقّق بالمجموع المركّب من السيّد الإشكوري وسيّد حسين ووضوح كامل جوانب الموضوع.

وأمّا ما نقلتموه من أنّ بعض الحاشية يرجّحون انتقالي إلى بغداد، فإن كنتم تقصدون من ذلك جماعة السيّد[١] فأنا لم أحسّ بهذا، بل أحسست من الأصدقاء جميعاً الحرص الشديد على وضعي النجفي وفي

(١) يقصد السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

مقدّمتهم أبو صادق وأبو صالح[1].

وهكذا نعرف يا عزيزي أنّ المسألة ليست هي مجرّد إرضاء آل الصدر أو إرضاء السيّد دام ظلّه، وإن كان كلّ من هذين الإرضاءين في غاية الأهميّة في نظري، لكن لم يكن يتوقّف تحصيله على ما وقع، وليست المسألة أن لا تجوع عائلة أخي، وإن كانت هذه المسألة لاعتبارات وفاء معيّنة أعزّ عليّ من أن أفقد كلتا عينيّ لكن لم يكن يتوقّف حلّها على ما وقع، وإنّما المسألة هي ما شرحتها لك، وأحسّ بأنّي عاجز الآن عن كتابة المزيد وإن كان هناك مزيد»[2].

ثمّ كتب رحمه الله للمرّة الثالثة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم حرسه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله.

أكتب إليك أيّها العزيز للمرّة الثالثة، نعم للمرة الثالثة.. فتعساً لدنيا لا يتاح فيها حتّى المراسلة بين أخوين في الله، وسامحك الله إذ تترقّب الرسائل المفصّلة وأنا أحير حتّى بالسطور القليلة، أكتب رسالةً ثمّ أبقى أنتظر بها رسولاً فلا يحصل الرسول إلاّ بعد شهر مثلاً. وحين يحصل تكون الرسالة قد ضاعت أو أتلفت وتفوت الفرصة وأكتب من جديد. وبهذا المنوال أصبحت هذه هي الرسالة الثالثة التي لا أسمّيها رسالةً إلاّ مجازاً لأنّها سوف تعبّر عن انفعالي العاطفي فعلاً أكثر ممّا تعبّر عن أيّ شيء آخر.

كتبتُ قبل أكثر من نصف شهر رسالةً مفصّلةً وأعددتها للسيّد شرف، وإذا به حين جاء يودّعني يخبرني أنّه سوف يطير إلى البحرين رأساً، وبقيتُ أنتظر رسولاً، واليوم وبعد اليأس عن الرسول قلت للسيّد علاء القزويني الذي سوف يسافر الليلة إلى البصرة أعطِ الرسالة إلى ابن عمّك، وجاء ليأخذ الرسالة إلاّ أنّ تعاسة الظروف تأبى إلاّ أن أقضي ساعةً كاملةً في التفتيش عنها فلا أجدها، فأمسك هذه الورقة لأكتب هذه السطور، ولن يكون من حقّك أيّها العزيز في ظلّ ظروف تعيسة مليئة بالأسباب التي تدعو إلى هذه الخربطة والتعاسة أن تجيء رسالتي لك كما كانت رسائلي السابقة، أنت لا تعرف كيف أعيش والحمد لله على كلّ حال.

حالتي النفسيّة لا تسمح لي بأكثر ممّا كتبت، ولولا رضا الله سبحانه وتعالى لتمنّيتُ أن ألتحق بالأحبّة الذين سبقوني إلى الرفيق الأعلى واستراحوا من همّ الدنيا وغمّها وأتيح لهم أن يتقابلوا ويتحدّثوا في ظلٍّ من رضوان الله ونعيمه.

الحمدُ لله على كلّ حال ونسأله تعالى أن يمدّنا بعونه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[3].

ثمّ كتب إليه لاحقاً سنة ١٣٨٩هـ[4]:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم أبا ياسر لا عدمته ولا حرمته

---

(١) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله والسيّد مهدي الحكيم رحمه الله.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٧٩).

(٣) انظر الوثيقة رقم (٨٠).

(٤) ربّما ترجع هذه الرسالة إلى عام ١٣٨٩هـ أو ١٣٩٠، حيث فيها الحديث عن مواصلة الشيخ حسين كوراني دراسته، وربّما كان المقصود مواصلته الدراسة في قمّ المقدّسة، وقد ذكر لي الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م أنّه بعد أن أتى إلى لبنان بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢٥م مع السيّد الصدر رحمه الله، انتقل بعد ستّة أشهر إلى مدينة قمّ المقدّسة لمواصلة الدراسة. إضافةً إلى قوله: «خلال سنة».

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

فقد تلقّيتُ رسالتكم الأخيرة في وقت لم يكن بإمكاني أن أكتب الجواب عليها مع الرسول؛ لأنّ السيّد أبا صادق[١] سلّمني إيّاها قبل اجتماعه بالرسول، والآن أغتنم فرصة سفر العزيز المرجى العلاّمة الرضوي[٢] دام عزّه، فأرسل هذه السطور لكي يسلّمها إليكم أو ليلقيها في صندوق البريد في الكويت على الأقل.

في الواقع: إنّ النقاط التي كنتم تتحدّثون بها معي خلال سنة أيّها العزيز[٣]، أنا أؤمن بأنّ الحديث المفصّل والمؤثّر حولها لا يكون بالكتابة، وقد جرّبنا ذلك؛ لأنّ الحديث المؤثّر لا يكون إلاّ مع فرض المناقشة وتبادل الفكر بشكلٍ لا يأتي في الرسائل المتقطّعة، ولهذا كنتُ أشعر أنّ من الضروري انتظار فرصة تقرُّ فيها عيني بالاجتماع بكم، وحينئذ نستطيع أن نتحدّث حديثاً مؤثّراً ومستوعباً. والآن يبدو أنّكم اتّخذتم مواقف ثابتة نظراً لعدم تيسّرٍ فرصة الاجتماع ولشعوركم بالمسؤوليّة، وإنّي أبتهل إلى المولى سبحانه أن يكلأكم بعينه التي لا تنام ويجعلكم دائماً سبباً من أسباب العزّة والكرامة لهذه الطائفة.

بالنسبة إلى الطلاّب الخمسة الذين تعهّد الحاج أحمد البهبهاني بشؤونهم، أرجو أن تبلّغوه دعائي له بالتوفيق. وأمّا الأسماء فالواقع أنّ تعيينها يتوقّف على المشاورة مع السيّد كاظم والسيّد نوري[٤] لمعرفتهما أكثر منّي بالأشخاص، ولم يتح لي حتّى الآن ذلك، فإمّا أن ينتظر إلى أن أرسل الأسماء، وإمّا أن يبدأ بإرسال المبلغ وتحدّد الأسماء هنا، وحينما نرسل إليه الوصولات سوف تتعيّن الأسماء عنده.

يهمّني جدّاً استمرار الأخ العزيز الشيخ حسين[٥] في مواصلة دروسه بالشكل الجيّد؛ لأنّي أرجو له فرصاً علميّة كبيرة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٦].

وجاء في رسالة أخرى:

«بسمه تعالى

في هذه الليلة (ليلة السبت) زارني الأخ مال الله حفظه الله تعالى ومعه الرسالة والأمانة، فحمدت الله سبحانه وتعالى. وأمّا موضوع السيّد محمّد باقر فلم أره حيث إنّه يقضي الخميس والجمعة في بغداد في كليّة أصول الدين، ولا بدّ أنّه رجع الآن، وسوف أراه غداً إن شاء الله تعالى. وقد سرّني اهتمام الحاج حمزة[٧] وإخوانه، فأرجو أن تكون قد استعدت الهدوء والرضا، فلو كنت تعلم ما نواجهه هنا من مزعجات وايذاءات من أشخاص كثيرين ممّا لا يمكنني أن استعرضه لهان عليك ما ذكرت، فهو ليس ـ علم الله ـ إلاّ شيئاً يسيراً من المزعجات التي نواجهها والتي جعلتني في بعض لحظات الضعف التي تنتاب كلّ إنسان عدا من عصمه الله أودُّ أن أهاجر من النجف إلى قريةٍ من القرى، ولكن لا بدّ من التحمّل على أيّ حال. وأنا أوصيك بضبط النفس والهدوء والشعور بأنّ الصبرَ في مثل هذه الحالات عبادةٌ كبيرة أيضاً.

---

(١) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.

(٢) ربّما كان السيّد مرتضى الرضوي.

(٣) مراده على ما يبدو الأمور المرتبطة بخليفة أخيه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله في الكاظميّة.

(٤) يقصد السيّد كاظم الحائري والسيّد نور الدين الإشكوري.

(٥) يقصد الشيخ حسين كوراني.

(٦) انظر الوثيقة رقم (٨١).

(٧) يقصد الحاج حمزة مقامس رحمه الله.

مراجعةُ الحاكم الشرعي في قبض الراتب له أصلٌ شرعي؛ لأنّ الراتب مجهول المالك لعدم إمضاء الشريعة لوجود تلك الجهة التي تدفع الراتب، والحاكم الشرعي باعتبار ولايته هو المرجع في ذلك، وقد أجزتُ لكلّ مبتلى بشيءٍ من هذا القبيل أن يقبض راتبه وينوي التصدّق به على نفسه من قبلنا، بحيث أكون أنا المتصدّق بحسب الولاية.

وأشترط في هذه الإجازة ثلاثة شروط:

الأوّل: ألاّ يكون العمل الذي يُتقاضى الراتب بإزائه محرّماً بطبيعته، من قبيل عمل السجّان ومأمور الضرائب والقاضي بدون استحقاق.

الثاني: ألاّ يصرف الراتب في الفجور والمعاصي.

الثالث: أن يدفع خمس فاضل المؤونة في آخر السنة.

الفوائد التي تؤخذ أو ترفع إلى البنوك الأهليّة أو المشتملة على رأسمالٍ أهلي تتضمّن الربا فلا يجوز تعاطي ذلك، وإذا اقترض الإنسان من البنك الأهلي بفائدة فأصل المبلغ حرام؛ لأنّه من قبيل المقبوض بالعقد الفاسد.

وأمّا البنوك الحكوميّة فلا بأس بالإيداع فيها، وحينما يسحب أصل المبلغ أو الفوائد المترتّبة يقبضها بوصفها مجهول المالك ويتصدّق بها على نفسه بإذن الحاكم الشرعي. وأمّا الاقتراض منها فهو جائزٌ على أن ينوي المقترض أنّه يقترض قرضاً بدون فائدة؛ لأنّه يقترض في الحقيقة من الحاكم الشرعي الذي هو ولي المال المجهول المالك، ولا إثم عليه في دفع الفائدة بعد ذلك لأنّ حالها حال الضريبة.

وكلُّ ما يأخذه زبون البنك الحكومي منه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: ما يكون مضموناً عليه، كما إذا أخذ تسهيلات من البنك أو أحال دائنه بشيك على البنك، بحيث يصبح مديناً للبنك بمقدار الوفاء أو بادله معه نقداً بنقد، ففي كلّ ذلك تعتبر المعاملة فضوليّة لأنّها معاملة مجهولة المالك، وقد أمضينا جميع هذه المعاملات فلا تحتاج إلى تصدّق ونحو ذلك.

والآخر: ما يكون غير مضمون عليه، من قبيل الشخص الذي يسحب من حسابه الجاري المودع في البنك أو يسحب بعض ودائعه الثابتة أو الفوائد المترتبة على ذلك الإيداع، وفي ذلك يحتاج إلى أن ينوي حين الأخذ تملّكه من قبل مقلّده بوصفه مالاً مجهول المالك»[1].

وقد بقيت العلاقة بين السيّد الصدر رحمه الله وبين الشيخ علي كوراني محكومة لمدٍّ حيناً وجزر حيناً آخر، حتّى انفصمت بشكل كلّي في السنين الأربع الأخيرة من حياة السيّد الصدر رحمه الله على ما يأتيك في مباحث الكتاب[2].

مواصلة السيّد الصدر رحمه الله نشاطات أخيه رحمه الله في الكاظميّة

وبعد ذلك كان السيّد الصدر رحمه الله يقوم بزيارات إلى الكاظميّة من أجل المساهمة في الحفاظ على الرصيد الذي كان قد أوجده السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله:

١ ـ وفي إحدى زياراته هذه (سنة ١٩٦٩م)، وأثناء إلقاء محاضرة في مسجد الهاشمي حول الخمرة، طلب أحد الشبّان الحاضرين ـ وكان طالباً في السنة الثانية من كليّة الصيدلة ـ من السيّد الصدر رحمه الله أن يسمح له ببيان الفرق بين (الميثانول) و(الإيثانول) لعلاقتهما بمادّة الخمر، فتقبّل السيّد

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٨٢).

(٢) انظر أحداث سنة ١٣٩٤هـ ـ ١٣٩٦هـ و١٣٩٨هـ.

الصدر ﵀ ذلك برحابة صدر وقال: «**يتفضّل الأستاذ الفاضل ببيان ما لديه من معلومات حول الموضوع**»، وقد كان لهذا التكريم الأثر الكبير في نفس هذا الطالب والشباب من حوله.

٢ ـ وقد شوهد السيّد الصدر ﵀ مرّة من المرّات مشغولاً بالحديث مع شاب عمره لا يتجاوز الثالثة عشرة من عمره أكثر من ساعتين في مسجد الهاشمي، وكان هذا الشاب يعاني من معارضة والديه لتديّنه حديثاً ولصلاته، حيث لم يكونا متديّنين[١].

٣ ـ وذات مرّة تلقّى السيّد الصدر ﵀ سيلاً من الأسئلة حتّى جهد بالإجابة عنها. ثمّ بادر أحدهم إلى سؤاله عن مسار وعي الأمّة، وكان التعب قد أخذ من السيّد مأخذاً وطلب التوقّف عن الحديث، ولكن بسبب اهتمامه بالشاب وبطبيعة السؤال المطروح تحمّل التعب وبدأ يجيب، حتّى استوعب الفكرة المطلوب طرحها.

وقد طلب منه السائل أن يسمح له بتفصيل الفكرة والبناء عليها، فكانت مقدّمة لكتاب صدر فيما بعد تحت عنوان (أرقام وآراء حول نظام البعث في العراق)، فشجّعه واستبشر خيراً.

٤ ـ وفي إحدى المرّات اهتمَّ بالسؤال عن الإمام المنتظر ﷻ قبل الظهور وبعد الظهور، فاستغرق الجواب جلستين ليومين متعاقبين استغرقت كلُّ جلسة حوالي ساعة، حضرها جمعٌ غفيرٌ من الشباب الرسالي في الكاظميّة[٢].

٥ ـ وكان ﵀ يصرّ على افتتاح مكتبة في جامع الهاشمي، وبعد أن تمّ ذلك بقي ﵀ يرعاها ويزورها من حينٍ لآخر[٣].

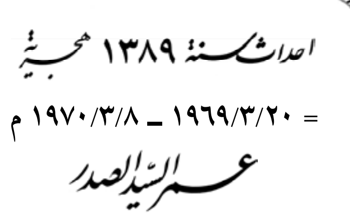
❊ ❊ ❊

---

(١) الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٣.

(٢) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديثٍ مع الأستاذ فؤاد كاظم.

(٣) خواطر محفوظة بدون سند (﵀).



٣٥ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣٤ سنة و١٩ يوماً م

***

عودة السيّد موسى الصدر إلى لبنان

في ١٩٦٩/٣/٢٤م (٦/محرّم/١٣٨٩هـ)، رجع السيّد موسى الصدر من العراق إلى لبنان بعد مشاركته في عزاء السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله[1].

حزب البعث يضيّق على المواكب الحسينيّة

بعد أن كان حزب البعث قد بثّ مقتل الإمام الحسين عليه السلام في السنة الأولى من وصوله إلى الحكم، ظهر على حقيقته في السنة التالية وقام بالتضييق على المواكب الحسينيّة، وكان أوّل موكب قد استهدف في هذا المجال هو (موكب الطلبة).

وفي ليلة ٩/محرّم/١٣٨٩هـ (١٩٦٩/٣/٢٨م) أغلقت أجهزة السلطة في النجف الأشرف أبواب مرقد الإمام علي عليه السلام الذي تقام فيه المراسم الختاميّة لمواكب العزاء، وذلك تحسّباً لأيّة ردود فعل عنيفة من قبل الجماهير.

إلاّ أنّ هذا الأمر أدّى إلى التهاب الجماهير ووقوع مصادمات عنيفة بينها وبين السلطة أدّى إلى فرار رجال الأخيرة ودخول الآلاف من المعزّين الغاضبين صحن مرقد الإمام علي عليه السلام عنوة. وقد استمرّت الانتفاضة حتّى صباح اليوم التالي، ودمّر خلالها الثوّار العديد من مؤسّسات النظام ومراكزه الرسميّة. وقد تمّ اعتقال عدد من من محرّكيها، وكان من بينهم الشيخ محمّد علي التسخيري[2]، الذي زُجَّ في معتقلات (قصرِ النهاية)، وهو أوّل كادر من حزب (الدعوة الإسلاميّة) يتمّ اعتقاله في العراق. وقد عرّضته السلطة إلى أشدّ أنواع التعذيب خلال شهرين تقريباً، وذلك بهدف الحصول منه على اعتراف حول طبيعة علاقته بالسيّد الحكيم رحمه الله ونشاطه الإسلامي وارتباطاته التنظيميّة، ولكنّها لم تحصل منه على أيّة معلومة[3].

---

(١) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٨.

(٢) سنوات الجمر: ١٦٤.

(٣) سنوات الجمر: ١١٥.

أقول: إنّ في المتن اضطراباً، لأنّ المصادر ذكرت أنّ السلطة كانت قد أقدمت في العام الأوّل لحكمها على إذاعة المقتل الكامل للإمام الحسين عليه السلام من الإذاعة (سنوات الجمر: ١٠٢ ـ ١٠٣)، وفي السنة الثانية بدأت بعمليّة القمع. ولكنّ الغريب أنّ السلطة جاءت في ربيع الثاني/١٣٨٨هـ أي بعد شهر محرّم، فيكون أوّل شهر محرّم يمرّ على السلطة هو محرّم/١٣٨٩هـ وذكرت هذه المصادر نفسها الأحداث التي نقلناها أعلاه. وربّما كانت السلطة قد أقدمت على هذه

حزب البعث يقرّر القضاء على الحركة الإسلاميّة

في ١٩٦٩/٤/٤م (١٦/محرّم/١٣٨٩هـ) صدر عن قيادتي حزب البعث القوميّة والقطريّة القرار الرسمي بالقضاء على الحركة الإسلاميّة والوجود الديني، وقد نصّ القرار على «**ضرورة القضاء على الرجعيّة الدينيّة باعتبارها العقبة الكبرى في طريق مسيرة الحزب**». وبهذا أصبحت المواجهة رسميّة ومعلنة[١].

وحقيقة هذا القرار أنّ القيادة البعثيّة اجتمعت في بغداد من أجل تمييز أعدائها، وقد صنّفتهم إلى ستّ مجموعات منها: الإخوان المسلمون، الناصريّون، الشيوعيّون والنجف. ثمّ قسّمت النجف إلى ثلاث فئات هي:

١ ـ **الواعون:** وهم الذين يجب القضاء عليهم.

٢ ـ **النفعيّون:** وهم الذين يمكن تدبّر أمرهم عبر الأموال.

٣ ـ **الجامدون:** وهم الذين لا يضرّونها بشيء.

وبعد أن أرسلوا هذا القرار إلى أحد الأعضاء القياديّين في البصرة، اطّلع عليه أحد المؤمنين العاملين في سلك النظام، فأخذ نسخةً منه وأرسلها إلى النجف الأشرف مع أحد العلماء من آل السوداني[٢] الذي أطلع عليه الشيخ حسن ملك، فقاما بعرضه على كلٍّ من السيّد محسن الحكيم والسيّد الخوئي والسيّد محمّد باقر الصدر رحمهم الله، وقد قال الأخير للشيخ ملك: «**يجب أن تغادر العراق**»، فما كان منه إلاّ أن سافر ونزل عند الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله[٣].

وقد حاول النظام وفي أكثر من مرّة الطلب من السيّد مهدي الحكيم رحمه الله ـ ممثّل والده السيّد محسن الحكيم رحمه الله في بغداد منذ عام ١٩٦٤م ـ القيام بزيارة علنيّة إلى الرئيس أحمد حسن البكر، ولكنّ طلبهم كان يرفض في كلّ مرة.

وخطا النظام خطوته الأولى في طريقه إلى تقليص نفوذ المؤسّسة الدينيّة الشيعيّة بإغلاقه المدارس الدينيّة وبالتحديد مدارس (الجوادين عليهما السلام) الابتدائيّة منها والثانويّة، وكذلك كليّة (أصول الدين)، وكذلك صادر الأرض والأموال المخصّصة لبناء جامعة الكوفة الخيريّة الأهليّة التي كانت قيد الإنشاء، وكانت هذه الأموال تبلغ (٤،٥٣٠،٠٠٠) ديناراً[٤].

كما وأوقف النظام إصدار مجلّة (رسالة الإسلام) وهي المجلة الدينيّة الوحيدة التي سمحت بإصدارها رقابة الأنظمة السابقة[٥]، ومنع تنظيم مواكب طلبة الجامعات في ذكرى استشهاد الإمام

الأعمال في الوقت الذي كانت تبثّ فيه المقتل.

(١) انظر: من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٣٨ ؛ سنوات الجمر: ١٠٩.

(٢) ربّما كان الشيخ سلمان السوداني.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٤) يبدو من: من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٣٤ أنّ ما وقع بالنسبة إلى جامعة الكوفة كان بعد توتّر العلاقات مع إيران.

(٥) لقد صدرت المجلّة سنة ١٣٨٥هـ وكان عددها الأخير هو العدد الأوّل والثاني من سنتها السادسة، فربّما توقّفت عن الصدور سنة ١٣٩٠هـ.

الحسين عليه السلام. كما قام النظام بتطبيق الخدمة العسكريّة الإلزاميّة على طلبة الحوزة العراقيّين والذين كانوا معفيّين منها سابقاً.

وقد التقى السيّد مهدي الحكيم رحمه الله بأحمد حسن البكر وأبلغه احتجاج والده على عدم استثناء طلبة العلوم الدينيّة من التجنيد الإجباري كما يأتي[١].

وقد تجرّأت السلطة فيما بعد على ما لم يجرأ عليه حاكمٍ أو حكومة، فمنعت الأذان ـ الذي هو شعار الإسلام ـ من الإذاعة، وقد أعادته فيما بعد امتصاصاً لنقمة الجماهير، وجعلت المساجد والحسينيّات والمحافل الدينيّة هدفاً لسهامها وحملاتها الوحشيّة، وجعلت خيرة أبناء العراق ضحايا تقتطف رؤوسهم كلّما شاءت دون رحمة أو شفقة، وخصّصت لهم قسماً كبيراً من مديريّات الأمن باسم (الشعبة الخامسة) لمكافحة الرجعيّة، ولا زالت دماء عشرات الآلاف منهم تصبغ جدرانها[٢].

توتّر العلاقات العراقيّة ـ الإيرانيّة

في ١٩٦٩/٤/١٩م (٢/صفر/١٣٨٩هـ) اعترض مجلس النوّاب الإيراني على التجاوزات العراقيّة على الحدود بين البلدين. وفي الجلسة أعلن قائمقام وزارة الخارجيّة عن إلغاء القرار (١٣١٦) المتعلّق بالقضايا الحدوديّة مع العراق.

وفي اليوم التالي أعلن راديو العراق أنّ الدولة العراقيّة لا تعترف بإلغاء القرار.

وفي ١٩٦٩/٤/٢١م بدأ العراق بالتعامل بخشونة مع الزوّار الإيرانيّين. وفي ٢٣ منه تمّ إغلاق الحدود عند نقطة (خسروي).

وفي ١٩٦٩/٤/٢٦م قام العراق بحملة اعتقالات واسعة للزوّار الإيرانيّين.

وفي اليوم التالي أكّدت إيران على إلغاء القرار (١٣١٦)[٣].

أحمد حسن البكر يزور السيّد الحكيم رحمه الله والسيّد الخميني رحمه الله يرفض التوسّط

بعد توتّر العلاقات بين إيران والعراق، قام البكر بزيارة مفاجئة للسيّد الحكيم رحمه الله ليقنعه بالتوسّط بين الحكومتين العراقيّة والإيرانيّة[٤]، إلاّ أنّ السيّد الحكيم رحمه الله رفض التدخّل. وكان الهدف من ذلك إظهار أنّ علاقة السيّد الحكيم رحمه الله بالشاه علاقة طيّبة.

وعلى إثر إلغاء المعاهدة الحدوديّة بين البلدين اجتمع المسؤولون في النجف بالسيّد الخميني رحمه الله بتاريخ ١٩٦٩/٤/٢٩م (١٢/صفر/١٣٨٩هـ) وبحثوا معه قضيّة التوسّط مع الحكومة الإيرانيّة، إلاّ أنه

---

(١) سنوات الجمر: ١١٠.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ٥٧.

(٣) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٥٣ ـ ٣٦٢.

(٤) ما عثرت عليه هو أنّ البكر قام في شهر رمضان المبارك بزيارة مفاجئة للسيّد محسن الحكيم رحمه الله بدون موعد مسبق، وأنّ الصحف التابعة للنظام أظهرت الحدث وكأنّ زيارة السيّد الحكيم رحمه الله كانت مقرّرة ضمن برنامج البكر في زيارته النجف الأشرف. ثمّ إنّ جماعة السيّد الحكيم رحمه الله أبلغوا محافظ كربلاء أنّ الخبر إذا لم يعدّل فسيضطرّون إلى تكذيبه، فنشروا في اليوم التالي بياناً يوحي بأنّ الزيارة كانت مفاجئة وبدون موعد مسبق (مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ١٥ ـ ١٦). وإذا وقعت هذه الزيارة في شهر رمضان المبارك، لم يستقم ما في المتن.

استنكر بشدّة ممارسات السلطة الوحشيّة، وواجههم بالحقائق والأرقام الدامغة(١).

وفي اليوم نفسه قام العراق باعتقال الزوّار الإيرانيّين وأخرج ألفاً منهم إلى النقطة الحدوديّة عند (خسروي).

وفي ١٩٦٩/٤/٣٠م واحتجاجاً على اعتقال الإيرانيّين، امتنع العلماء والمراجع في العراق عن الخروج إلى صلاة الجماعة.

وفي ١٩٦٩/٥/١م (١٤/صفر/١٣٨٩هـ) أمهل العراق السيّد الخمينيّ رحمه الله مدّة يومين لمغادرة البلاد، إلاّ أنّه عاد عن قراره(٢).

(التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة)

في ١٦ و١٧/صفر/١٣٨٩هـ (٣ و١٩٦٩/٥/٤م)، قام السيّد الصدر رحمه الله وفي ظلّ الظروف التي يعيشها الكيان الديني بإلقاء محاضرتين حول (التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقيّة الهزيمة) حاول فيهما نزع روح الهزيمة من نفوس الطلاّب(٣)، وممّا جاء في المحاضرة الأولى:

«.. وأسأل الله أن لا يجعلنا نقتل الإمام الحسين ونحن نبكي، أن لا يجعلنا نقتل أهداف الحسين عليه السلام ونحن نبكي، الإمام الحسين ليس إنساناً محدوداً عاش من سنة كذا ومات في سنة كذا، الإمام الحسين عليه السلام هو الإسلام ككلّ، الإمام الحسين هو كلّ هذه الأهداف التي ضحّى من أجلها هذا الإمام العظيم، هذه الأهداف هي الإمام الحسين لأنّها هي روحه وهي فكره وهي قلبه وهي عواطفه، كلّ مضمون الإمام الحسين عليه السلام هي هذه الأهداف، هي هذه القيم المتمثّلة في الإسلام.

فكما أنّ أهل الكوفة كانوا يقتلون الحسين وهم يبكون، فهناك خطرٌ كبيرٌ في أنّ نُمنى نحن بنفس المحنة، أن نقتل الحسين ونحن نبكي. يجب أن نشعر بأنّنا يجب أن لا نكون على الأقلّ قتلةً للحسين ونحن باكون، البكاء لا يعني أنّنا غير قاتلين للحسين، لأنّ البكاء لو كان وحده يعني أنّ الإنسان غير قاتل للحسين، إذن لمّا كان عمر بن سعد قاتلاً للحسين، لأنّ عمر بن سعد بنفسه بكى حينما مرّت زينب عليها الصلاة والسلام في موكب السبايا، في الضحايا، حينما التفتت إلى الإمام الحسين وهي بالعراء، [إلى] السبايا وهم مشتّتون، [إلى] الأطفال وهم مقيّدون، حينما أخبرت جدّها صلى الله عليه وآله بكلّ ذلك ضجّ القتلة كلّهم بالبكاء، بكى السفّاكون، بكى هؤلاء الذين أوقعوا هذه المجازر، بكوا بأنفسهم. إذن فالبكاء وحده ليس ضماناً، العاطفة وحدها ليست ضماناً لإثبات أنّ هذا صاحب العاطفة هو لا يقف موقفاً يقتل فيه الإمام الحسين أو يقتل فيه أهداف الإمام الحسين.

لا بدّ من امتحان، لا بدّ من تأمّل، لا بدّ من تدبّر، لا بدّ من تعقّل لكي نتأكّد من أنّنا لسنا قتلةً للإمام الحسين، ومجرّد أنّنا نحبّ الإمام الحسين بمجرّد أنّنا نزور الإمام الحسين، مجرّد أنّنا نبكي على الإمام الحسين، مجرّد أنّنا نمشي إلى زيارة الإمام الحسين، كلّ هذا شيء عظيم، شيء جيّد، شيء ممتاز، شيء راجح، لكنّ هذا الشيء الراجح لا يكفي ضماناً ودليلاً لكي يثبت أنّنا لا نساهم في قتل الإمام الحسين عليه السلام، لأنّ بإمكان إنسانٍ أن يقوم بكلّ هذا عاطفيّاً وفي نفس الوقت يساهم في قتل الإمام الحسين.

---

(١) انظر: سنوات الجمر: ١١٠ ـ ١١٢.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ؛ وانظر: سنوات الجمر: ١١٢.

(٣) انظر المحاضرتين في: مجلّة الفكر الإسلامي، العدد (١٧): ٤٧ ؛ أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة: ٣٢١ ـ ٣٥٨.

يجب أن نحاسب أنفسنا، يجب أن نتأمّل في سلوكنا، يجب أن نعيش موقفنا بدرجة أكبر من التدبّر والعمق والإحاطة والانفتاح على كلّ المضاعفات والملابسات، لكي نتأكّد من أنّنا لا نمارس من قريبٍ أو بعيد بشكل مباشر أو بشكلٍ غير مباشر قتل الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام».

وممّا جاء في الثانية:

«ومن هذا التخطيط يمكننا أن نستفيد درساً عاماً، وحاصل هذا الدرس: أنّ عمليّة التغيير في أخلاقيّة الأُمّة لا يجوز أن تقوم بأيّ مجابهة واضحة للأخلاقيّة الفاسدة الموجودة في الأُمّة، لأنّ المجابهة الواضحة الصريحة للأخلاقيّة الفاسدة الموجودة في الأُمّة يكون معناها الانعزال عن هذه الأُمّة والانكماش وعدم القدرة على القيام بعمل مشروع في نظر هذه الأُمّة. حينما نريد أن ننفذ إلى ضمير الأُمّة التي ماعت أخلاقيّاً، لا بدّ لنا أيضاً في نفس الوقت الذي نفكّر في إنشاء أخلاقيّتها من جديد أن نفكّر في عدم مجابهة الأخلاقيّة القائمة بالشكل الذي يعزل هذا الشخص الذي يريد أن يغيّر أخلاقيّة الأُمّة، فلا بدّ له أن يفكّر في انتهاج طريق في التغيير يستطيع به أن ينفذ الى ضمير الأُمّة، وهو لا يمكنه أن ينفذ إلى ضمير الأُمّة إلاّ إذا حافظ باستمرار على معقوليّة ومشروعيّة عمله في نظر الأُمّة، كما عمل الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام. لم يبقَ لدى شخص من أبناء الأُمّة الإسلامية أيّ شكّ في أنّ عمل الإمام الحسين كان عملاً مشروعاً صحيحاً، وأنّ عمل بني أُميّة كان عملاً ظالماً عاتياً جبّاراً.

وهذا الوضوح في الرؤية هو الذي جعل المسلمين يدخلون بالتدريج الى آفاق جديدة من الأخلاقيّة تختلف عن أخلاقيّة الهزيمة، هذا الوضوح هو الذي هزّ ضمير الإنسان المسلم، وهو الذي يهزّه إلى يومنا هذا، فليس دم الإمام الحسين عليه السلام رخيصاً بدرجة يُكتفى في ثمنه بأن يهتزّ ضمير الإنسان المسلم في عصر واحد أو في جيل واحد، لا يمكن أن يكون ثمن دم الإمام الحسين عليه السلام أن تتزلزل قواعد بني أُميّة، أو أن يكشف عن حقيقة بني أُميّة، أو أن تنتعش ضمائر جيل من أُمّة الإسلام... هذا لا يكفي ثمناً لدم الإمام الحسين الطاهر، بل إنّ ثمن دم الإمام الحسين ـ الذي هو أغلى دم سفك في سبيل الإسلام ـ أن يبقى محرّكاً، منورّاً، دافعاً، مطهّراً، منقّياً على مرّ التاريخ لكلّ أجيال الأُمّة الإسلاميّة، لا بدّ وأن يهزّ ضميرنا وضمير كلّ واحد منّا اليوم كما كان يهزّ ضمير المسلمين قبل ثلاثة عشر قرناً، لا بدّ أن يهزّ ضمير كلّ واحد منّا حينما نجابه أيّ موقف من مواقف الإغراء، أو الترغيب أو الترهيب، لا بدّ وأن نستشعر تلك التضحية العظيمة حينما نلتفت إلى أنّنا مدعوّون إلى تضحية جزئيّة بسيطة، حينما يتطلّب منّا الإسلام لوناً من التضحية وقدراً بسيطاً وضئيلاً من التضحية، لا بدّ وأن نلتفت دائماً الى ذلك القدر العظيم غير المحدود من التضحية الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام لكي نستصغر، ولكي يتضاءل أمامنا أيّ قدر نواجهه في حياتنا ونكلّف أنفسنا بالقيام به في سبيل الإسلام.

إنّ الإسلام اليوم يتطلّب منك قدراً قليلاً من التضحية بوقتك، براحتك، بمصالحك الشخصيّة، برغباتك، بشهواتك، في سبيل تعبئة كلّ طاقاتك وإمكانيّاتك وأوقاتك لأجل الرسالة. أين هذه التضحية من تلك التضحية العظيمة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام؟! من تضحيته بآخر قطرة من دمه، بآخر شخص من ذرّيته، بآخر كرامة من كراماته بحسب مقاييس الإنسان الدنيوي؟!

لا بدّ أن نعيش دائماً هذه التضحية، ونعيش دائماً مدلول هذا الدم الطاهر لكي يكون ثمن دم الإمام الحسين حيّاً على مرّ التاريخ.

غفر الله لنا ولكم».

وفي هذه الفترة أيضاً طلب بعضٌ من طلبة السيّد الصدر رحمه الله عقد جلسة خاصّة ليلة الخميس في

بيت من البيوت، وكانت جلسة فكريّة تربويّة.

وقد حضر في هذه الجلسة السيّد عبد الهادي الشاهرودي، السيّد عبد الغني الأردبيلي، الشيخ عبّاس الأخلاقي، الشيخ علي أكبر برهان والسيّد محمود الهاشمي وآخرون..[١].

وفي إحدى كلماته ـ وربّما في هذه الجلسات ـ تحدّث السيّد الصدر رحمه الله عن الهجمات التي كانت تلاقيها الحوزات العلميّة وحجم هذه الهجمات الشرسة وكيف أنّ الحوزات انتصرت مع أنّ الظروف الماضية كانت أشدّ، ولكن الحمد لله انتصرت الحوزات آنذاك. ثمّ تكلمّ عن خصوص حوزة كربلاء ثمّ ذكر أنّ ما نلاقيه نحن في هذا الوقت قليل بالنسبة إلى ما كان يلاقيه الأوائل، ثمّ تحدّث عن تدعيم روح الطلبة في الحوزة العلميّة بالنجف الأشرف[٢].

الإذعان ببداية حملات التسفير

لقد كانت عادة الإيرانيّين أنّهم كانوا يزورون العتبات المقدّسة في العراق بعد رجوعهم من موسم الحج، وقد تعرّضوا في هذه السنة إلى استفزازات من قبل السلطة بطريقة تشعر بأنّ هناك قضيّةً مرتبطة بهم[٣].

وقد استغلّ النظام العراقي الأجواء الأخيرة، وقام بحملة قاسية وشاملة ضدّ العراقيّين من ذوي الأصول الإيرانيّة والإيرانيّين المقيمين في العراق، فبدأ في بغداد والكاظميّة بحملة التهجير الجماعيّة الأولى في أواخر نيسان/١٩٦٩م، ثمّ شملت هذه الحملات النجف الأشرف في ١٩٦٩/٥/٥م (١٩/صفر/١٣٨٩هـ)، هذا إضافةً إلى مدينتي سامرّاء وكربلاء. وكان قرار الحكومة العراقيّة بتهجير أكثر من نصف مليون نسمة إلى إيران، أي ٦٪ من نفوس العراق.

وقد صادفت حملات التهجير أيّام أربعين الإمام الحسين عليه السلام وتواجد السيّد الحكيم رحمه الله في كربلاء، فقطع رحمه الله زيارته إلى كربلاء راجعاً إلى النجف الأشرف احتجاجاً على الممارسات الأخيرة[٤].

وكان قطعُ السيّد الحكيم رحمه الله زيارتَه إثر طلب السيّد الصدر رحمه الله منه ذلك، وقد اتّصل عبد الصاحب القرغولي محافظ كربلاء بالقيادة الفعليّة المتمثّلة بصدّام حسين وأبلغها بأنّ السيّد الحكيم قد (زعل)[٥].

وربّما في هذه الفترة اجتمع في كربلاء وفي إحدى ليالي الجمعة كلٌّ من السيّد محمّد باقر الصدر، السيّد مهدي الحكيم، السيّد مصطفى الخميني، السيّد حسن الشيرازي والسيّد محمّد تقي الجلالي في حرم الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء[٦].

---

(١) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (دام عزّه).

(٢) مقابلة مع السيّد عبّاس الموسوي رحمه الله (دام عزّه).

(٣) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ١٧.

(٤) سنوات الجمر: ١١١ ؛ الإمام الحكيم.. لمحة موجزة عن مرجعيّته وجهاده: ٢٨.

(٥) حدّثني بذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.

(٦) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٢٩)، نقلاً عن الشيخ أحمد الحائري نقلاً عن الشيخ محمّد حسن آل طه صهر السيّد محسن الحكيم رحمه الله الذي مرّ بهم وسلّم عليهم.

لقاء حردان التكريتي

وعلى إثر قرار التهجير هذا، قام السيّد مهدي الحكيمؒ بزيارة إلى أحمد حسن البكر بتكليف من والده السيّد محسنؒ، وقد أنكر البكر ذلك وقال: «**ليس بهذا الشكل، بل نعطيهم الأموال**»، وكانت هذه هي زيارة السيّد مهديؒ الثانية إلى البكر[١].

وفي محاولة لامتصاص نقمة الجماهير، التقى حردان التكريتي بالسيّد الحكيمؒ عصر يوم الأربعين ٢٠/صفر/١٣٨٩هـ بعد أن قرّرت الحكومة بثّ إشاعة في أنحاء العراق حول تراجع الحكومة العراقيّة عن تسفير الإيرانيّين[٢]، بل يبدو أنّ اللقاء كان يوم ١٩/صفر/١٣٨٩هـ وبحضور خير الله طلفاح[٣].

وقد حضر السيّد الخوئيؒ وكبار المراجع والعلماء في النجف باستثناء السيّد الخمينيؒ الذي امتنع السيّد الحكيمؒ عن دعوته[٤]، وفي الأثناء دخل السيّد الصدرؒ[٥]. ولكن الذي يبدو أنّ الحوار الذي دار بين حردان وبين السيّد الحكيمؒ كان في اجتماع مغلق وبطلب من حردان[٦].

وكان السيّد الصدرؒ قبل وصول حردان قد ذكر للسيّد الحكيمؒ أنّه يحدسً بأنّ الوفد سيطلب منه التدخّل لإنهاء الحرب بين شاه إيران وبين البعثيّين، واقترح عليه أن يلقي بثقله بهذا الاتّجاه، ورجّح له اتّخاذ موقف مرن ويطلب من الوفد أن تفاتح الدولة رسميّاً بالأمر[٧].

وأثناء الجلسة شرح حردان التكريتي للسيّد الحكيمؒ كيف أنّ الحكومة الإيرانيّة تحاول جرّ الجيش العراقي إلى معارك جانبيّة من أجل إلهائه عن فلسطين، وذكر له أنّ لديهم معلومات تؤكّد ذلك.

ولكنّ السيّد الحكيمؒ أجابه: «**إنّ أيّة حرب لا يمكن أن تكسب إلاّ بوجود جبهة داخليّة قويّة، وإذا كان هناك مثل هذه الجبهة فإنّ باستطاعة أيّة حكومة أن تحارب أقوى دولة، والإيرانيّون ليسوا مجرّد جالية مهاجرة، إنّهم عراقيّون أصلاً ونسباً، ولكنّهم عراقيّون حرموا من الجنسيّة العراقيّة في العهود السابقة، والقيام بطردهم ـ إضافةً إلى أنّه عملٌ غير إنساني ومخالف لأبسط المبادئ الإنسانيّة ـ فإنّ من شأنه أن يضعف الجبهة الداخليّة التي أنتم بأمسّ الحاجة إليها**»، ثمّ أضافؒ: «**لنفرض أنّ الحكومة**

---

(١) انظر: محنة العراق اليوم: ١١ ـ ١٢ ؛ من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٩٥ ؛ الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٤٨. **أقول:** إنّ بعض من أرّخ لتسفيرات الأيام الستة قرن بينها وبين وفاة السيّد الحكيمؒ، والبعض الآخر صرّح بأنّها كانت في حياته، والصحيح أنّها سنة ١٣٩١هـ على ما يأتيك إن شاء الله تعالى موثّقاً.

(٢) من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٣٦.

(٣) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ١٨.

(٤) نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٥٦٢ ؛ سنوات الجمر: ١١١ (حيث ورد أنّ ذلك كان برغبة الأطراف المعنيّة).

(٥) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله) ؛ حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م ؛ وقد ذكر الشيخ كوراني أنّ السيّد الصدرؒ دخل أثناء الاجتماع، والذي قد يبدو هو أنّه دخل أثناء تجمّع العلماء ولكن قبل وصول حردان، أو أن يكون قد أشار على السيّد الحكيمؒ بما أشار به عليه قبل التجمّع أصلاً ؛ ويؤكّد حضور السيّد الصدرؒ أيضاً السيّد حسين [هادي] الصدر في ما نقله عنه الدكتور جودت القزويني (الروض الخميل، مخطوط).

(٦) من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٣٧.

(٧) السيّد حسين [هادي] الصدر في ما نقله عنه الدكتور جودت القزويني (الروض الخميل، مخطوط).

الإيرانيّة ظالمة خمسمائة بالمائة، فما شأن الإيرانيّين العزّل المسالمين الذين ولدوا و[تربّوا] وعاشوا في العراق بموقف إيران؟!».

كما أثار السيّد الحكيم قضيّة اعتقال بعض السياسيّين من أمثال البزّاز وغيره. كما أثار قضيّة القرار الذي اتّخذته القيادتان القوميّة والقطريّة بتاريخ ١٩٦٩/٤/٤م والذي ينصّ على «**ضرورة القضاء على الرجعيّة الدينيّة باعتبارها العقبة الكبرى في طريق مسيرة الحزب**»، ولمّا أنكر حردان القرار في أوّل الأمر، أخرج له السيّد الحكيم العدد المؤرّخ بـ١٩٦٩/٤/٧م من مجلّة (العمل الشعبي) وأراه الفقرة كما جاءت في القرار، فنفى له حردان أن يكون على علمٍ به وأنّه سيبحث الموضوع مع مجلس القيادة.

وفي هذا اللقاء أعيد تداول وساطة السيّد الحكيم بين الحكومتين العراقيّة والإيرانيّة، فوافق السيّد الحكيم بشرط واحد وهو أن تطلب الحكومة العراقيّة هذا الأمر منه رسميّاً وبتوقيع شخصِ رئيس الجمهوريّة حتّى يحقّ له التدخّل في القضيّة، بالإضافة إلى الكفّ عن عمليّات الإرهاب والاعتقال والإفراج عن السجناء الذين كان عددهم آنذاك خمسة وعشرون ألف سجين.

والواقع أنّ هذا الشرط كان شرطاً تعجيزيّاً من السيّد الحكيم حتّى يتهرّب من الوساطة[1].

ودار حوارٌ مع خير الله طلفاح الذي كان يدافع عن إسلاميّة النظام البعثي، فأجابه السيّد محمّد باقر الحكيم بأنّ هناك مجموعة من المنشورات التي تصدر عن جهات رسميّة حكوميّة تؤكّد أنّ الحكومة تقف موقفاً للإسلام. ولمّا طلب طلفاح هذه المنشورات أخرج له السيّد الحكيم المجلّة التي تؤكّد على ضرورة تحطيم المرجعيّة الدينيّة التي كانوا يعتبّرون بها عن التحرّك الإسلامي في النجف الأشرف الذي تقوده المرجعيّة.

وقد تقرّر في هذا المجلس رجوع السلطة عن قرارها، إلاّ أنّها نكثت به في اليوم التالي[2].

السلطة تلغي إعفاء طلبة العلوم الدينيّة من الجنديّة

وفي خطوة أخرى للسلطة، قامت بإلغاء قانون إعفاء طلبة العلوم الدينيّة من الخدمة العسكريّة. وعقيب هذا القرار، التقى السيّد مهدي الحكيم بأحمد حسن البكر:

السيّد مهدي: «**إنّ الله سبحانه وتعالى أعفاهم، وذلك بالنصّ الموجود في القرآن الكريم الذي يعتبر الانضمام إلى هؤلاء الجماعة الذين هيّأوا أنفسهم للتفقّه في الدين والذي يعتبر بديلاً عن الذهاب إلى ساحة الجهاد وحمل السلاح، وإنّ كلّ الحكومات المتقدّمة إلى زمن العثمانيّين وحتّى قبل صدور هذا القانون كانت تعفي علماء الدين من أداء الخدمة العسكريّة، فلماذا أصدرتم هذا القانون؟**».

فأخذ البكر يتحدّث عن فضل الجهاد وأهميّته وكيف أنّ الناس كانوا يستبقون إليه وأنّه شرفٌ

---

(١) من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٣٧ ـ ٣٩ ؛ سنوات الجمر: ١١٠ ـ ١١٢ ؛ نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٥٦٢. وقد جاء في (سنوات الجمر: ١١٢) أنّ صدّام حسين حاول اللقاء بالسيّد الحكيم بعد هذه الأحداث، وأنا أميلِ إلى أنّ ذلك كان قبل هذه الأحداث على ما استظهرته من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم على ما أوردناه سابقاً. وانظر حول المقاطع الثلاثة الأخيرة: هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٤.

(٢) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ١٩.

وغير ذلك..

السيّد مهدي: «**ما تقوله صحيح، فيوم أن كان الجهاد شرفاً كان الناس يتسابقون إليه. أمّا اليوم، فالجهاد والانضمام إلى ما يسمّونه بخدمة العلم ليس شرفاً، وإنّما هو عقوبة**».

البكر: «**كيف؟**».

السيّد مهدي: «**لستُ أنا أقول ذلك، وإنّما هو المشروع الذي كتب هذا القانون والجهات وافقت عليه.. يقولون إنّه ليس شرفاً، وإنّما هو عقوبة**».

البكر: «**وكيف ذلك؟**».

السيّد مهدي: «**إنّ القانون يقول إنّ كلّ فرد يتخلّف عن الخدمة العسكريّة تضاعف له الخدمة، فهل يمكن إصدار قانون أنّ كلّ وزير لا يباشر في وزارته لمدّة سنة فسوف نعاقبه بأن نجعل وزارته للوزارة سنتين بدلاً من سنة واحدة؟ هل يحدث هذا أم أنّه يُطرد؟ إذا كانت الخدمة العسكريّة شرفاً فيجب أن تقولوا: إنّ كلّ من لا يلتحق بهذا الشرف فهو لا يستحقّه ويجب أن يطرد. وهذا ما صنعه القرآن حينما تخلّف جماعة عن الجهاد إذ نزل القرآن يأمر الرسول بأن لا يقبلهم ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِي﴾[1] وذلك حرماناً لهم من هذا الشرف. فالعقوبة هي أن تحرموهم من هذا الشرف لا أن تضيفوا إليهم شرفاً**».

فأخرج البكر ورقة وقلماً وقال: «**والله إنّ هذه ملاحظة جيّدة**». وكان هذا آخر لقاء بين البكر وبين السيّد مهدي‬رحمه الله، ولم يره بعد ذلك[2].

ثلاث محاضرات حول (المحنة)

يوم السبت ٢٢/صفر/١٣٨٩هـ (١٠/٥/١٩٦٩م) وقبل إلقاء درسه المعتاد، ألقى السيّد الصدر‬رحمه الله كلمة حول المحنة التي تعيشها الحوزة، مفتتحاً الكلام حول قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3]، وقد جاء فيها:

«لولا أنّ السير الخارجي يقتضي الصمود والثبات على قدر الإمكان، وإلاّ فالظروف بمضاعفاتها وتشويشاتها غير مناسبة للبحث أبداً. لكنّ ضريبة الصمود والثبات والاستمرار في ممارسة المسؤوليّة يقتضي أن نتغلّب على كلّ الظروف وأن نواصل بالرغم من كلّ هذه المضاعفات. لكن في نفس الوقت أيضاً حينما تعرض المحن للإنسان لا بدّ وأن يفكّر أيضاً إلى جانب تصميمه على الصمود بإزاء المحنة، لا بدّ وأن يفكّر في القدر الذي يتحمّله من المسؤوليّة إزاء هذه المحنة، ما هو القدر الذي يتحمّله هو من المسؤوليّة، ما هو القدر الذي يتحمّله من التقصير تجاه هذه المحنة؟! القرآن الكريم واضح جدّاً بأنّ كلّ البلايا والمحن نتيجة ما كسبت أيدي الناس: ﴿أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[4].

المصائب كلّها بما كسبت أيدي الناس: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ]﴾[5].

---

(١) التوبة: ٨٣.

(٢) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٣ ـ ٨٤، ٩٦.

(٣) الشورى: ٣٠.

(٤) الشورى: ٣٠.

(٥) الروم: ٤١.

يقول: حتّى يذيقهم عملهم، نفس عملهم يتحوّل بعد هذا إلى المصيبة، إلى محنة، هذا العمل الذي كان يمارسه في حالة الرخاء وهو لا يعلم كيف يتطوّر هذا العمل، كيف يتعقّد هذا العمل، كيف ينعكس عليه هذا العمل. يتخيّله عملاً بسيطاً على مستوى بسيط، مشاغبة بسيطة بقضيّة معيّنة، فتنة بسيطة في قضيّة معيّنة، غيبة بسيطة لشخص معيّن، هتك بسيط لجهة معيّنة، هذه القضايا تتراكم بالتدريج. ثمّ نفس هذه الأعمال بحدّ ذاتها تتحوّل إلى مصائب، تتحوّل إلى محن، تتحوّل إلى بلايا. حينما تتحوّل إلى محن، وإلى مصائب حينئذ يشعر الإنسان بمفعولها، بأثرها ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾.

نحن إذا كنّا نؤمن بالقرآن الكريم يجب أن نشعر بأنّ كلّ المحن التي تمرّ على المسلمين هي بعض الذي عمله المسلمون، ومحن من المسلمين.

الحوزة، الطلبة جزءٌ من المسلمين، يعملون كما يعمل المسلمون، مقصّرون كما يقصّر المسلمون، يغفلون كما يغفل المسلمون، فإذا كنّا قد ابتلينا بمحنة وإذا كنّا دائماً وعلى طول الخطّ نواجه المحن والمصائب فلا بدّ لنا من أمرين:

أحدهما: التفكير في درجة الصمود اللازمة في وجه المحنة ومستوى هذا الصمود.

والأمر الثاني: هو أن نلتفت إلى أنفسنا، نرى ماذا قدّمنا من مساعدات لكي تتكوّن هذه المحنة، لكي تتكوّن هذه الظروف.

طبعاً قدّمناها من دون قصد، لكن على أيّ حال قدّمناها. لأنّ القرآن يقول: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾، هذا بعض الذي عملناه، وليس كلّ الذي عملناه، لأنّ البعض الآخر يذيقنا إيّاه في يوم الحساب.

هذه مقدّمات بسيطة جدّاً تعرض للإنسان في الدنيا حتّى يلتفت أنّه ماذا عمل، كيف فكّر، كيف دبّر. ماذا قدّم تجاه دينه، تجاه عقيدته، تجاه صموده في الله، تجاه حوزته.

نحن الآن في حالة لا بدّ أن لا يشغلنا الألم الشديد الذي يقطع نياط قلوبنا، الذي يقضي على جلّ آمالنا، الذي يفتّت وجودنا، هذا الألم يجب أن لا يشغلنا عن التفكير بأنّنا ماذا صنعنا، وكيف نمنا، وكيف لم نلتفت إلاّ بعد أن فاتنا الوقت.

ماذا كنّا نقول، ماذا كنّا نزرع في الطريق دائماً من صعوبات، من عقبات، كيف كنّا لا نعمل، وكيف كنّا نزرع الصعاب والعقبات في وجه من يعمل.

كوننا لا نعمل وكوننا نزرع العقبات والصعاب في وجه من يعمل، هذا هو الذي تحوّل إلى فتنة، هو الذي يتحوّل دائماً إلى محنة وإلى مصيبة، قد يكون عملاً بسيطاً جدّاً وصغيراً جدّاً، كون واحد يستغيب واحداً، ينتقد واحداً، يريد أن يهتك واحداً، يريد أن يفضح شيئاً من الأشياء، هذا عمل بحدّ ذاته بسيط، لكنّ هذا العمل كجزء من عشرين عمل من هذا القبيل يؤدّي إلى انهيار كياننا.

هناك عوامل موضوعيّة خارجيّة للمحن دائماً، هذه العوامل لا بدّ أن تفكّر فيها الزعامة الدينيّة القائمة.

وهناك عوامل داخليّة يجب أن نفكّر [فيها] نحن الطلبة، عوامل داخليّة في داخل نفوسنا، في داخل ضمائرنا، في داخل قلوبنا، في داخل نيّاتنا، هذا هو الجهاد الأكبر.

صحيح يجب أن نفكّر أنّ هؤلاء الذين بلونا بهذه المحنة كيف يمكن أن نقف في وجههم، لكن يجب أن نقف في وجوه أنفسنا، نحن إذا كنّا لا نستطيع أن نقف في وجوه أعدائنا على الأقلّ نستطيع أن نقف في وجوه أنفسنا، أن نقف أمام أطماعنا، نقف أمام شهواتنا، نقف أمام رغباتنا غير المحدودة، غير المؤطّرة بإطار الرسالة وإطار الإسلام.

يجب أن نفكّر من الآن وصاعداً، يعني كلّ ذي عينين شاهد الأحداث يجب أن يعرف أنّ القصّة ليست فقط قصّة الرسالة، يعني أن يخون الرسالة، يخون مصالحه الشخصيّة أيضاً على الخطّ الطويل، قد يتراءى

للإنسان أنّه في الشوط القصير ربح المصلحة ويخون الرسالة.

ابن عبّاد كان يتخيّل أنّ من مصلحته الشخصيّة أن يخون الرسالة، لكن فيما بعد تكشّف له الموقف.

اليوم أمام كلّ واحد منّا صار واضحاً أنّ أيّ انحراف عن خطّ الإسلام في سلوكنا، في وضعنا، في أخلاقنا، في عواطفنا، هذا الانحراف، هذا التكاسل، هذه النزعة التحطيميّة التحريميّة لأيّ نوع من العمل الصالح في الحوزة، هذا الذي يؤدّي بنا إلى ما أدّى، وسوف يؤدّي إلى الدمار حتماً إذا لم يتغيّر الوضع الداخلي في الحوزة.

لا يكفي أن يتغيّر الوضع الخارجي، يحتاج الوضع الداخلي إلى التغيير، تحتاج ضمائرنا إلى تطهير، تحتاج نفوسنا إلى تطهير، نحتاج أن نشعر بمسؤوليّتنا اليوم. قد يذنب واحد ذنباً في بيت، الله يغفر له، لكن إذا أذنب في بيت الله الحرام يصير ذنبه مضاعفاً.

هذا من ناحية المكان، من ناحية الظرف كذلك، أيضاً يا إخوان، يا أعزّاء، قد يذنب إنسانٌ ذنباً، قد يرتكب خطيئةً، قد يتكاسل عن عمل، قد يحطّم عمل العاملين، لكن في أيّام الرخاء الله يغفر له. لكن إذا صار البناء عليه في أيّام الشدّة، في أيّام المحنة، في أيّام المصيبة التي تأكل كلّ هذا الوجود وكلّ هذا الكيان، إذاً ماذا يكون حاله؟!

أنا بودّي حقيقةً أنّ كلّ واحد منّا منفرداً ومجتمعاً يفكّر في هذه المسألة. يعني هذه مسألة حياتيّة بالنسبة إلينا، مسألة أساسيّة. على أقلّ حينما نموت نموت طاهرين، بعد هذا لا أن نموت ونحن ملوّثون. نفكّر على الأقلّ حينما نخرج من الدنيا نخرج من الصالحين، لا أن نخرج من الدنيا ونحن عبيد الدنيا. فلنخرج من الدنيا ونحن فوق الدنيا، لا أن نخرج من الدنيا ونحن دائماً نعيش الدنيا في همومنا في آلامنا في خطايانا.

وإلى متى نعيش في هذه الدنيا حتّى يؤخذ هذه الدنيا، وماذا بقي من هذه الدنيا حتّى نعيش في هذه الدنيا غير العيش الخسيس على حدّ تعبير الإمام الحسينعليه السلام[1].

إذاً لا ينبغي أن يكون هذا العيش الخسيس هو شغلنا الشاغل، هو همّنا في الليل والنهار، هو هدفنا في كلّ أوجه النشاط، لا ينبغي أن يكون هذا العيش الخسيس هو هدفنا وإلاّ لكنّا أذلّ الناس واقعاً، كما أنّنا أذلّ الناس ظاهراً. بينما إذا غيّرنا الهدف، إذا جعلنا الهدف هو الله، فسوف نكون أعزّ الناس وكنّا أذلّ الناس ظاهراً.

بلال كان أعزّ الناس، ولو كان أذلّ الناس ظاهراً. كان يعذّب، كانت الصخرة توضع على قلبه، كان يعذّب وهو يقول: أحدٌ أحد، كان أعزّ الناس. يعني: الجاهليّة بكلّ جبروتها ما استطاعت أن تدخل إلى قلبه، ما استطاعت أن تغيّر ضميره، ما استطاعت أن تشتري منه عقيدته، ما استطاع أن يفكّر في معارك أخرى غير معركته الرئيسيّة، معركته مع الجاهليّة، معركته مع أعداء الله تعالى. إذاً هو أعزّ الناس لأنّهم ما استطاعوا أن يغيّروه، لقد استطاعوا أن يعذّبوه، أن يقتلوه، لكنّ القتل ليس معناه الانكسار، قتلوه، عذّبوه، ولكنّه لم يبع إرادته وعواطفه، كان أعزّ [الناس] بالرغم من أنّه كان عبداً ذليلاً أسيراً مقيّداً.

ونحن بإمكاننا أن نكون على أقلّ تقدير كبلال، إذا لم يكن بإمكاننا أن نكون سادة الأرض، فعلى الأقلّ بإمكاننا أن نكون كبلال، أن نشتري العزّة عن هذا الطريق. إذا خسرنا العزّة عن طريق آخر فلنشتري العزّة عن هذا الطريق، وهذا الطريق مفتوح، هذا الطريق مفتوح مهما أغلقت السبل الأخرى،

---

(١) يقصدرحمه الله خطبة الإمام الحسينعليه السلام في أصحابه يوم الثاني من محرّم حين قال لهم: «إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها ولم يبقَ منها إلاّ صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل..» (بحار الأنوار ٤٤: ٣٨١).

ويبقى مفتوحاً.

كلّ الجبابرة، كلّ الحكّام، كلّ السلاطين، قد يغلقون أبوابهم في وجوهنا، إلاّ سلطان واحد. هذا السلطان الواحد دائماً أبوابه مفتوحة أمامنا، يمكننا أن نتوجّه إليه في كلّ حين، يمكننا أن نتعامل معه بعزّة وكرامة، نتعامل معه بروح حقيقيّة، نتعامل معه ونحن نشعر بأنّنا رابحون على كلّ تقدير.

هذا السلطان الواحد الوحيد الذي يمكننا أن نتعامل معه ونحن واضحون على كلّ تقدير هو الله تعالى.

على الأقلّ في هذا المجلس، من الآن فليصمّم كلّ واحد منّا في ظلّ هذه المحنة، وفي ظلّ هذه الظروف القاسية، فليصمّم كلّ واحد منّا ويطلب من الله أن يبارك له هذا التصميم، وأن يمدّ بيده وأن لا ينسى هذه اللحظة حتّى لو انفرجت المحنة، حتّى لو عادت أيّام الرخاء، بعد هذا يجب أن يتذكّر أنّه عاش هذه اللحظة، يصمّم من الآن على أن يتعامل مع هذا السلطان وحده ودون شريك ودون سلاطين أخرى..

كان الكلام في التنبيه الأوّل من تنبيهات الاستصحاب...»[١].

وفي ٢٥/صفر/١٣٨٩هـ وصل عدد المبعدين الإيرانيّين إلى ستّة آلاف نسمة[٢].

وفي ٢٦ و٢٧/صفر/١٣٨٩هـ (١٤ و١٥/٥/١٩٦٩م) أكمل رحمه الله البحث حول (المحنة). وقد أراد رحمه الله من هذه المحاضرات تثبيت أرجل المؤمنين في مقابل الأعمال القمعيّة للنظام[٣].

وقد جاء في محاضرته الثانية ـ المعروفة بالأولى ـ:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلوات على سيّد الخلق وآله الطيّبين الطاهرين.

[تحليل جوانب المحنة]

أيُّ محنة تمرُّ بالإنسان المسلم لها جانبٌ موضوعي، ولها جانبٌ ذاتي يرتبط بذاتيّة ذلك الإنسان المسلم الذي يواجه تلك المحنة.

الجانب الموضوعي: أقصد به مجموعة الظروف والملابسات والعوامل الخارجيّة التي أدّت إلى تكوين هذه المحنة ووضعها بين يدي هذا الإنسان الممتحَن، أو هذه الجماعة الممتحنة.

والجانب الذاتي: من المحنة أقصد به دور هذا الإنسان الممتحن وموقفه من المحنة بعد وقوعها، وقبل وقوعها. فهناك في الجانب الذاتي أمران:

أحدهما: موقف الإنسان الممتحن، مستواه الشعوري والنفسي والإدراكي إزاء المحنة بعد وقوعها.

والأمر الآخر في الجانب الذاتي: هو دوره الإيجابي في تكوين هذه المحنة قبل وقوعها، القدر الذي ساهم فيه عن قصد أو لا عن قصد، عن خبث أو عن حسن نيّة في تكوين هذه المحنة التي يواجهها.

ولهذا، حيث إنّ كلَّ محنة لها جانبها الموضوعي وجانبها الذاتي.. فلا بدّ بالإضافة إلى التفكير في الجانب الموضوعي الذي تتولّى التفكير فيه الجهات المسؤولة عن تلك المحنة، بالإضافة إلى ذلك لا بدّ للممتحنين

---

(١) من كاسيت بصوت السيّد الصدر رحمه الله (قدس سره) ؛ انظر هذه المحاضرة في كتاب (ومضات، تراث الشهيد الصدر ١٧: ٤١٧ ـ ٤٢٢)، والذي سينشر قريباً بإذن الله تعالى.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٥.

(٣) يُشار إلى أنّ المحاضرتين الثانية والثالثة نشرت سابقاً ضمن كرّاس مستقلٍّ أصدره السيّد علي أكبر الحائري. كما نشرت في الطبعة الثانية من (اخترنا لك). وقد طابقنا المحاضرة من خلال شريط الكاسيت، وبينها وبين ما هو منشور يسيرُ اختلاف.

جميعاً أن يفكّروا في الجانب الذاتي من المحنة أيضاً، أن يعيشوا المحنة كعمليّة تطهير لأنفسهم وتزكية لأرواحهم، وتصميم على التوبة من التقصيرات المتراكمة المتلاحقة التي عاشوها عبر حياتهم العمليّة والعلميّة. هذه التقصيرات التي قد لا يُحسّ بكلّ واحد منها على حدة، لكنّها حينما تتراكم تتحوّل إلى فتنة تأكل الأخضر واليابس، تأكل من ساهم ومن لم يساهم، تأكل من قصّر ومن لم يقصّر، تأكل الحسين عليه السلام.

أليست تلك التقصيرات المتراكمة التي عاشها المسلمون منذ سقط الإمام علي عليه الصلاة والسلام صريعاً في المحراب في سبيل الدفاع عن المسلمين، التقصيرات المتراكمة التي عاشتها الكثرة الكاثرة من المسلمين، ألم تأكل الفتنة التي تمخّضت عن تلك التقصيرات كلّ الناس حتّى الحسين؟ حتّى الحسين نفسه أكلته الفتنة بالرغم من أنّه كان أنصف الناس وأبعد الناس عن تقصيرٍ في قولٍ أو عمل.

إذاً فدرس هذا الجانب الذاتي، اختبار نفوسنا ونحن نواجه محنةً، واختبار مشاعرنا تجاه المحنة بعد وقوعها، واختبار أعمالنا التمهيديّة التي مهّدت لهذه المحنة.. هذا الاختبار عملٌ ضروريٌّ آنيٌّ يجب أن لا ننشغل بالألم أو بالانفعالات العاطفيّة عن حساب مرير من هذا القبيل. ونحن كيف يمكن أن نترقّب فرجاً من الله، أن نترقّب رحمةً من الله تعالى إذا كنّا لا نتفاعل من النُذُر التي يريد الله تبارك وتعالى أن يميّز فيها الخبيث من الطيّب، ويريد بها أن يفتح أمامنا أبواب التوبة من جديد وأبواب التطهير من جديد.

أوّل الشروط أن نرجو من الله تعالى رجاءً حقيقيّاً، أن نرجو منه الرحمة والإمداد والعون على الصبر والثبات ومواصلة الخطّ.. أوّل شروط ذلك أن نتجاوب مع هذه النُذر ونعيش مع الله لنقرأ من جديد صفحات حياتنا وأعمالنا وما قدّمنا وما أخّرنا.

[مشاعرنا تجاه المحنة]

ولنبدأ ـ قبل أن نرجع إلى الوراء ـ إلى ما قدّمنا، نبدأ بالأمر الأوّل، أي بمشاعرنا تجاه المحنة. لا بدّ قبل كلّ شيء أن نوظّف هذه المشاعر، أن نجعل مشاعرنا تجاه المحنة، مشاعر صحيحة، مشاعر إسلاميّة تنبض بالغيرة على الإسلام لا بالغيرة على مصالحنا الخاصّة، بالغيرة على الوجود الكلّي لهذا الكيان لا بالغيرة على هذا الوجود وهذا الوجود وهذا الوجود، لأنّنا ما لم ننظّف هذا الشعور ونحن في غمرة الامتحان القاسي المرير، ما لم نستطع على أقلّ تقدير أن ننتصر في معركة تغيير هذا الشعور وفي معركة إيجاد شعور نظيف تجاه هذا الامتحان، ما لم نستطع أن نغيّر هذا القدر الضئيل من نفوسنا.. كيف نطمح أن نبني أنفسنا ككلّ؟ وكيف نطمح أن نبني المسلمين ككلّ؟ إذاً منطلق الحديث هو هذا الشعور، هذا الشعور الذي يواجهه الإنسان الممتحن تجاه محنته. كيف يكون هذا الشعور؟

كثيراً ما توجد محنة، وتولّد المحنة مشاعر متعدّدة، وبالرغم من وحدة المحنة تختلف هذه المشاعر في درجتها ومستوياتها تبعاً لاختلاف التصوّر والتفكير ولاختلاف الروحيّة والاتّجاه. واختلاف الشعور يؤدّي لا محالة إلى اختلاف الموقف الذي يتّخذه الممتحن تجاه محنته، تبعاً لنوعيّة الشعور سوف يتّخذ الموقف المطلوب وفقاً لذلك الشعور.

[محنة الصراع بين الاكراد والعرب]

أضرب لكم مثلاً قبل أن نأتي إلى الموضوع الذي نتحدّث [عنه]. مثلاً هناك محنة يعيشها العراق منذ سنين وسنين، محنة صراع مسلّح بين أخوين مسلمين في الشمال، بين بعض الأكراد وبعض العرب، هذه المحنة يعيشها العراق.

قد يخطر على بال إنسان، قد يكون شعور بعض الناس إزاء هذه المحنة أنّ هذه المحنة كلّفته ولده، كلّفته أخاه، كلّفته صديقه، لأنّه أُخذ أخوه أو أُخذ أبوه أو أُخذ صديقه إلى المعركة فقتل. قد يعيش هذه المحنة

على هذا المستوى ويشعر بها بهذه الدرجة، وهذا هو الشعور الشخصي المحدود بالمحنة. وموقفه إزاء هذا الشعور أن يُهَرِّب أخاه، أن يُهرّب أباه، أن يتهرّب من واجبات القانون حتّى لا ينخرط في مأساة من هذا القبيل، ولا يرى له واجباً وراء ذلك.

وأخرى يتعمّق هذا الشعور أكثر فأكثر، فيكون شعوره إزاء المحنة، يكون شعوراً إقليميّاً على أساس أنّ أبناء البلد الواحد يتصارعون ويتنازعون فيما بينهم، وهذا الشعور الإقليمي، وهذا الانفعال الإقليمي تجاه المشكلة يؤدّي إلى اتّخاذ موقف أوسع من الموقف الأوّل، إلى موقف يفكّر فيه بأنّه كيف يعيد الصفاء والسلام إلى أبناء البلد الواحد.

وقد يكون شعوره أعمق من هذا وذاك، قد يشعر بإزاء المحنة أنّ هذه المحنة هي نتاج عدم تطبيق شريعة الله على هؤلاء المسلمين، أنّ عدم تطبيق شريعة الله عليهم هو الذي أدّى إلى تعميق التناقض بين الأخ وأخيه حتّى ولدت مشكلة بين هذا وذاك وتصارع الكردي والعربي.

حينئذ، هذا الشعور سوف يولّد موقفاً يختلف عن الموقف الذي ولّده الشعور السابق الإقليمي أو الشعور الأسبق الشخصي، سوف يجعله هذا الشعور يحمل همّ الشريعة ويصل إلى السبب الحقيقي لهذا التوتّر.

[المحنة التي نعيشها]

كذلك المحنة التي نعيشها[1]: تارةً يفكّر هذا الشخص الذي طُورد وشُرِّد تارةً يفكّر بأنّ المحنة هي أنّه قد فقد أيّام الدعة والراحة، أنّه كان يعيش حياة الدعة والراحة، واليوم يعيش حياة القلق والارتباك، إمّا هو فقط أو هو مع قطاع معيّن من الحوزة يعيشون حياة القلق والارتباك لأنّهم مطاردون مشرّدون من قبل الوضع الذي يعيشون في داخل إطاره. قد يكون الشعور تجاه هذه المحنة هو شعور شخص يفقد الأمن والاستقرار ويريد أن يفتّش عن الأمن والاستقرار. وهذا هو الشعور الشخصي المحدود الذي لا يمكن أن يدخل في حساب الموقف الحقيقي، ذلك لأنّ هذا الشعور من طبيعته أن يجعل هذا الإنسان يحسب حساب المحنة في حدود علاقتها معه شخصيّاً، فإن كان هو في منجىً من هذه المحنة شخصيّاً على أساس أنّه لا يدخل في نطاق ذلك القطاع المطارد فعلاً فسوف لن يتفاعل مع المحنة، سوف لن يشعر بوجودها.

وذاك الإنسان الآخر الذي دخل في ذاك القطّاع الذي يتفاعل فيه مع المحنة، ذاك الإنسان الذي يعيش فعلاً مشكلة التشريد والتطريد، مشكلة الطرد والمراقبة، هذا الإنسان أيضاً يفكّر في علاج المشكلة في حدود أنّها مشكلة جعلته يفقد أمنه واستقراره، وحينئذ يفكّر أوّل ما يفكّر في أن يغادر الساحة ما دامت هذه الساحة، ما دام هذا المكان لا يوفّر له حياة الاستقرار والثبات والطمأنينة وما دام بالإمكان أن ينتقل منه إلى مكان آخر أكثر استقراراً وطمأنينة. فلماذا لا يستعجل؟ لماذا لا يغادر هذا المكان وبذلك تنحلّ المشكلة؟

في الواقع: إنّ السلبيّة التي توجد في بعض الأفراد الذين يعيشون في إطار هذه الحوزة تجاه هذه المحنة وروح الهزيمة الموجودة في بعض الأفراد الآخرين الذين يعيشون في إطار هذه الحوزة.. هذا وذاك معاً نشأ من نوعيّة الشعور وردّ الفعل النفسي الذي يعيشونه تجاه المحنة. حينما يُنظر إلى المحنة أنّها محنة حياة استقرار قد فقدت وأنّها محنة التفتيش عن وضع أكثر طمأنينة.. حينئذ سوف لن يشعر بالمحنة ذاك الذي لم يتعرّض فعلاً للاضطراب، وسوف يفكّر من تعرّض للاضطراب فعلاً أن يفتش عن مكان لا اضطراب فيه. هذا هو المنطق الطبيعي والنتيجة الطبيعيّة لشعور شخصيٍّ مصلحيٍّ وانفعال محدود تجاه المحنة.

وأمّا حينما نعيش شعورنا وغضبنا وألمنا لله لا لأنفسنا، حينما نشعر بأنّ المحنة ليست هي أنّنا فقدنا

---

(١) يقصد محنة تسفير طلبة العلوم الدينيّة.

حياة الاستقرار والطمأنينة..

متى كنّا نعيش حياة الاستقرار والطمأنينة منذ توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ منذ وقعت تلك المصيبة العظيمة، حينما خلّف القائد الأعظم في مثل هذه الأيّام أمّة بناها بجهده وتضحياته وسهره في آناء الليل وأطراف النهار، حينما ترك هذه الأمّة وهي بعد بداية الطريق تواجه ألوان العواصف والمحن والمشاكل.. منذ تلك اللحظة لم يعش الإنسان المؤمن حياة استقرار. ألم يصف الأمير عليه السلام الفتنة التي وجدت وولدت عقيب وفاة النبي صلى الله عليه وآله بأنّها الفتنة التي يشيب فيها الوليد[١]، فهل تكون حياة يشيب فيها الوليد هي حياة الاستقرار والاطمئنان؟ لكنّ الفرق هو أنّ هناك من الناس من لا يحسُّ بفقدان الاستقرار، الاستقرار غير موجود ولكنّه لا يحسُّ بفقدان الاستقرار، ولا يدرك أنّه لا استقرار إلاّ حينما تمسّه النار.

وإلاّ الواقع لم يتغيّر ولم يتخلّف منذ مئات السنين، حياة الاستقرار والدعة غير موجودة لشخص يحمل الهموم التي كان يحملها ذلك القلب الكبير، قلب الإمام علي عليه السلام الذي قال بأنّ الفتنة يشيب فيها الوليد، الشخص الذي يعيش تلك الهموم لا يجد في الدنيا حياة الاستقرار والدعة، بل هي حياة العناء والمسؤوليّة، حياة الكفاح والجهاد، لا حياة الدعة والاستقرار مهما توفّرت أمامه أسباب الرخاء بحسب الظاهر.

إذاً فالمشكلة ليست أنّا فقدنا حياة الدعة والاستقرار، نحن كنّا قد فقدنا حياة الدعة والاستقرار منذ عصف القدر بنبيّنا صلى الله عليه وآله. ولئن كان بعضنا يشعر مؤقّتاً بالدعة والاستقرار، فهذا لأنّه لم يعش تلك الهموم، لأنّه لم يكن مع الناس، لأنّه لم يكن على مستوى المسؤوليّة، وإلاّ كان من المفروض أن لا يعيش حياة الدعة والاستقرار وإمامه يقول بأنّها فتنة يشيب فيها الوليد. وتلك الفتنة التي يشيب فيها الوليد لا يمكن أن توفّر للإنسان حياة الدعة والاستقرار.

إذاً فلا دعة ولا استقرار.. نحن لم نخسر دعةً واستقراراً، وإنما امتُحِنّا في كيان، امتُحنّا في هذا الكيان الذي ورثناه منذ مئات السنين، هذا الكيان الذي بذل في سبيله منَ جهود سلفنا الصالح الطاهر من أصحاب الأئمّة عليهم الصلاة والسلام، ومن أجيال الفقهاء بعد ذلك وجعله مشعلاً للإسلام في كلّ أرجاء العالم الإسلامي.. بذل في سبيل ذلك من الدم الطاهر والوقت الطاهر والعمر الطاهر ما امتلأ به تاريخ سلفنا الطاهر، المشكلة هي مشكلة هذا الكيان.

إذاً فليست المشكلة مشكلة هذا الفرد أو هذا الفرد، وإنّما هي مشكلة هذا الوجود الكلّي لكلِّ هؤلاء الأفراد. وهذا الكيان كما قلت: ليس كياناً قد وصل إلينا مجّاناً حتّى نستطيع أو حتّى يجوز لنا ـ بمبرّرات الهزيمة النفسيّة ـ أن نسلّمه بسهولة، أن ننسحب عنه باختيار، أن نضيّعه بأنفسنا.. وإنّما هو كيانٌ وصل إلينا عبر تاريخ مليء بالتضحيات، بالعمل الصالح والجهاد الصالح. هذا هو الكيان الذي تسرّبت في كلّ أرجائه الآلام التي عاشها محمّد بن أبي عمير في سبيل إنشاء هذا الكيان ومئات من أمثال ابن أبي عمير من أصحاب الأئمّة عليهم الصلاة والسلام الذين عاشوا ألوان المحنة والاضطهاد وألوان البلاء في سبيل ترسيخ بذور هذا الكيان.

[المحنة التي عاشها محمّد بن أبي عمير]

أليس محمّد بن أبي عمير على سبيل المثال هو ذاك الشخص الذي استطاع أن يصمد لا أمام خوف نفسي بل أمام تعذيب خارجي وجّهه عليه أعظم سلاطين العالم في ذلك الوقت[٢].

---

(١) يقصد رحمه الله ما قاله الإمام علي عليه السلام في خطبته الشِقْشِقِيّة: «.. أو أصبرَ على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير..» (نهج البلاغة: ٤٧).

(٢) يقصد هارون الرشيد.

استدعي من قبل جهاز ذلك السلطان وكلّف بأن يشي بالشيعة لأنّه كان من مشاهير فقهاء الشيعة. قيل له: أنت تعرف أسماء الشيعة، اذكرهم لنا، وأنت بخير. امتنع محمّد بن أبي عمير، وبقي يكرّر بأنّي أعرف من الشيعة محمّد بن أبي عمير ومحمّد بن أبي عمير، قالوا: وبعد من؟.. قال: ومحمّد بن أبي عمير. قالوا: وبعد؟... قال: ومحمّد بن أبي عمير. فأمر به فضرب حتّى أغمي عليه.

قال عليه رضوان الله: إنّه في حالة هذا الضرب صارت عندي لحظة ضعف، حاولت أن أنطق، حاولت أن أذكر أسماء جملة من الأصحاب، من الإخوان من تلامذة مدرسة الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، فتمثّل أمامي شيخي (حمران) ـ وكان حمران ميْتاً وقتئذ ـ تمثّل أمامي في مخيّلتي شيخي وهو يقول لي: يا محمّد إيّاك وأن تنطق بكلمة ولو متّ تحت السياط. يقول: فاستعدت رباطة جأشي وقوّتي وحولي وطولي وصمّمتُ على أن لا أنطق مهما كلّف الأمر[١].

حمل هكذا إلى بيته بعد أن عجز الآخرون عن استنطاقه، ثمَّ صودرت أملاكه، صودرت أمواله، كان بزّازاً تاجراً واسع النطاق في الثراء والمال، أصبح بين عشيّة وضحاها إنساناً فقيراً لا يملك شيئاً من تلك الأموال يجلس في شرفة بيته يشتغل برواياته وأحاديثه. قصّةُ نهب داره هي القصّة التي جعلتنا نخسر كثيراً من أسانيد روايات ابن أبي عمير. يقولون: إنّ السبب في أنّ أكثر روايات هذا الرجل العظيم كانت مراسيل[٢] هو أنّ كتب هذا الرجل العظيم كانت من جملة الأموال التي نهبت وصودرت من بيته من قبل الآخرين، ولهذا بقي ينقل ما علق بذهنه وكان لا يحفظ الأسانيد في كثيرٍ من الأحيان فكان يرسل، ولهذا كانت روايات ابن أبي عمير أكثرها مراسيل. يجلس في الشرفة ويتلهّى ويشتغل بالروايات التي عرفها هو. لم يشعر بنوع من الانهيار، كان لا يزال أقوى ما يكون صموداً وثباتاً واستبسالاً واعتقاداً بأنّ خط الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام هو الخطّ الصالح الذي يجب على الإنسان ـ ليكون إنساناً صالحاً ـ أن يواصل الاستمرار فيه والبذل له والعطاء له بقدر ما يمكنه.

جاءه شخص عميلٌ له من عملائه الذين [كانوا يشترون] منه الأقمشة حينما كان تاجراً، وكان عليه دينٌ قد بقي في ذمّته لمحمّد بن أبي عمير، وكان يتقاعس عن الوفاء، حينما بلغه أنّ محمّد بن أبي عمير وقع في محنة مصادرة أمواله وأملاكه، جاء إليه ليقدّم إليه المبلغ من المال ـ ولا أتذكّر كم كان ـ قدّم بين يديه المبلغ وقال له: اعذرني يا شيخي إن كنت قد تأخّرت حتّى الآن في تقديم هذا المبلغ لأنّي كنتُ معسراً، ولمّا سمعت بأنّك قد صودرت أملاكك ووقعت في ضائقة قرّرت أن أبيع داري ثمّ أقدّم بين يديك حقّك لكي تستعين به على أمور دنياك. ماذا قال هذا الفقيه الصالح؟ ماذا قال هذا الإنسان الذي يمثّل نتاج

---

(١) الصحيح (محمّد بن يونس بن عبد الرحمن)، فقد وروي أنّه سعي بمحمّد بن أبي عمير إلى السلطان لأنّه يعرف أسامي عامّة الشيعة بالعراق، فأمره السلطان أن يسمّيهم فامتنع فجرّد وعلّق بين العقارين وضرب مائة سوط. قال الفضل: فسمعت ابن أبي عمير يقول: لمّا ضربت فبلغ الضرب مائة سوط أبلغ الضرب الألم إليّ فكدت أن أسمّي فسمعت نداء محمّد بن يونس بن عبد الرحمن يقول: يا محمّد بن أبي عمير! اذكر موقفك بين يدي الله تعالى، فتقوّيت بقوله فصبرت ولم أخبر والحمد لله. قال الفضل: فأضرّ به في هذا الشأن أكثر من مائة ألف درهم (اختيار معرفة الرجال = رجال الكشّي، مع تعليقة الميرداماد : ٨٥٥ ؛ وانظر: فهرست النجاشي المعروف برجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي: ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٢) الرواية المرسلة هي الرواية التي لم يذكر في سندها تمام رجال السند، بأن حذف بعضهم أو كلّهم. وقد ألحق بعض علمائنا ما تضمّن لفظاً مبهماً من قبيل (بعض أصحابنا) بالمرسل، ومنعه آخرون (انظر: مقباس الهداية ١: ٣٣٨ ـ ٣٤١ ؛ الرواشح السماويّة: ٢٥١). ويُشار إلى أنّ ابن أبي عمير يروي ما يقرب من (٥٥٠٠) أو (٦٠٠٠) رواية، وقع الإرسال في ما يقرب من (٢٩٤) رواية منها، وقد روى عن المغموز فيهم ما يقرب من عشرين مورداً.

مدرسة الإمام جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام؟!. قال له: سمعت من أشياخي عن الإمام جعفرعليه السلام أنّه يقول: «لا يُباعُ دارُ سكنٍ في وفاءِ دين»، خذ هذا المال إليك والله خير الرازقين!![1].

إذاً فهو ـ في قمّة المحنة ـ لم يشأ أن ينحرف قيد أنملة حتّى عن التعاليم والوصايا الأخلاقيّة التي ذكرها الإمام جعفر بن محمّد الصادقعليه السلام، وإلاّ فمعنى «لا يباع دار سكن في وفاء دين»، يعني أنّه لا يجبر الدائن المدين على أن يبيع دار سكن، أمّا إذا تبرّع المدين بأن يبيع دار سكنه فيجوز شرعاً للدائن أن يأخذ مال الوفاء، ولكنّه مكروه. هذه الكراهة، هذا المفهوم الشرعي للكراهة جعل هذا الرجل الممتحن يقف في هذه اللحظة موقف الإباء والتمنّع، لأنّه لا يطلب الحياة إلاّ لكي يضرب المثل الأعلى للإنسان المسلم في أخلاقه وسلوكه وسيرته.

هذا الكيان هو الكيان الذي أنبتّت فيه آلام محمّد بن أبي عمير ومئات من أمثال محمّد بن أبي عمير.

[المراحل التي مرّت بها الحوزة العلميّة]

هذا الكيان، هذه الحوزة لها تاريخها الطويل الذي مرّ بعدة مراحل:

[١ ـ مرحلة الاتّصال الفردي:]

مرّ بمرحلة كان فيها هذا الكيان يعبّر عن اتّصالات فرديّة بين علماء مجتهدين وقواعد شعبيّة في بلاد أولئك العلماءً المجتهدين، يُستفتى العالم فيفتي، وكان الارتباط يقوم بشكل فردي ومباشر بين العلماء وبين العالم المفتي. وهذه المرحلة هي المرحلة التي عاشها أصحاب الأئمّةعليهم السلام. واستمرّت هذه المرحلة إلى أيّام العلاّمة الحلّي رضوان الله عليه، كان الوضع العام لهذا الكيان هو وضع علماء مجتهدين يوجد كلٌّ منهم في مكان ويرتبط به شيعة يستفتونه فيفتي. ثمّ بعد هذا دخل مرحلة أخرى.

[٢ ـ مرحلة الجهاز المرجعي:]

المرحلة الثالثة، ودخلها، بحسب ما أفهم من سير الأحداث أنّه دخلها على يد الشهيد الأوّل رضوان الله عليه.

هذا الشهيد الأوّل الذي قدّم دمه في سبيل نقل هذا الكيان من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية. على عهد الشهيد الأوّل رضوان الله عليه تطوّر هذا الكيان، أصبح هذا الكيان عبارة عن أجهزة من الوكلاء وعلماء الأطراف، يرتبطون بالمرجع ويتّصلون بالقواعد الشعبيّة. يعني هذا الوضع الموجود للمرجعيّة فعلاً، أنا لا أعرف تطبيقاً أسبق من الناحية التاريخيّة له من تطبيق الشهيد، شهيدنا الأوّل رضوان الله عليه. قام بهذا التطبيق في لبنان وسوريا وعيّن الوكلاء وفرض جباية الزكاة والخمس على القواعد الشعبيّة من الشيعة. وبذلك أنشأ كياناً دينيّاً قويّاً للشيعة مترابطاً لأوّل مرّة في تاريخ العلماء. وكان إنشاؤه لهذا الكيان هو من أهمّ الأسباب التي أدّت إلى مقتلهرحمه الله في قصّةٍ لا مجال الآن للتوسّع فيها[2].

---

(١) ناظرٌ إلى قول أبي عبد اللهعليه السلام: «لا تباع الدار ولا الجارية في الدين، وذلك لأنّه لا بدّ للرجل من ظلٍّ يسكنه وخادمٍ يخدمه» (الكافي ٥: ٩٦).

أمّا القصّة المذكورة، فقد روى محمّد بن عليّ بن الحسين بإسناده عن إبراهيم بنِ هاشم أنّ محمّد بن أبي عميررحمه الله كان رجلاً بزّازاً فذهب ماله وافتقر، وكان له على رجلٍ عشرة آلاف درهم، فباع داراً له كانَ يسكنها بعشرة آلاف درهم وحمل المال إلى بابه، فخرج إليه محمّد بن أبي عُميرٍ فقال: «ما هذا؟!»، فقال: «هذا مالك الّذي لك عليّ»، قال: «ورثته؟!»، قال: «لا»، قال: «وهب لك؟!»، قال: «لا»، فقالً: «هو من ثمن ضيعة بعتها؟!»، فقال: «لا»، فقال: «ما هو؟!»، فقال: «بعت داري الّتي أسكنها لأقضي ديني»، فقال محمّد بن أبي عمير: «حدّثني ذريحٌ المحاربيّ عن أبي عبد اللّهعليه السلام قال: (لا يخرج الرّجل من مسقط رأسه بالدين)، ارفعها فلا حاجة لي فيها وإنّي لمحتاجٌ في وقتي هذا إلى درهمٍ وما يدخل ملكي منها درهم» (وسائل الشيعة ١٨: ٣٤١ ـ ٣٤٢).

(٢) انظر: الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة ١: ٣٧ ـ ١٢٤ (مقدّمة الشيخ محمّد مهدي الآصفي).

[٣ ـ مرحلة التمركز والاستقطاب:]

واستمرّت هذه المرحلة (مرحلة المرجعيّة مع الجهاز) إلى أن دخلت المرجعيّة (المرحلة الثالثة) على يد الشيخ كاشف الغطاء ومعاصريه من العلماء، وهي مرحلة التمركز والاستقطاب، لأنّ المرجعيّة في المرحلة الثانية بالرغم من أنّها كانت ذات أجهزة، لكنّها لم تكن متمركزة بنحو تستقطب العالم الشيعي كلّه. وفي عهد الشيخ كاشف الغطاء وعن طريق علاقات وارتباطات واسعة بين العراق وايران، أمكن وضع بذرة للاستقطاب والتمركز، ونشأت المرجعيّة المركزيّة التي تستقطب أنظار العالم الإسلامي[1].

وكان لهذا الإنشاء ولهذا التطوير تضحياته الكبيرة وجهوده التي أيضاً لا مجال الآن للتوسّع في الحديث عنها.

وفي هذه المرحلة الثالثة، حيتما وجدت هذه المرجعيّة [المركّزة المستقطبة]، مرّت على هذه المرجعيّة فترة طويلة من الزمن في عهد الحكم العثماني ما قبل عصر الاستعمار.

[٤ ـ مرحلة القيادة:]

ثمّ حينما دخل المسلمون عصر الاستعمار وجد نوع من التحوّل والتطوّر في هذا الكيان، لأنّ هذا الكيان الذي كان قد أصبح كياناً مركزيّاً يستقطب أنظار العالم الشيعي، بدأ بتسلّم زمام القيادة، بدأ يدخل الصراع مع الكافر المستعمر ويتبنّى مصالح المسلمين ويدافع عنهم.

وهكذا بدأ هذا الكيان مرحلة أخرى هي مرحلة (القيادة) زيادة على استقطابه وتمركزه، وذلك منذ حوالي خمسين أو ستّين سنة، منذ أحداث دخول النفوذ الاستعماري إلى هذه المنطقة في العراق وإيران ولبنان وغيرها من أنحاء العالم الشيعي. بل الأمر أنّ هذه القيادة كانت تتذبذب بين مدّ وجزر، بين ظهور وخفاء، حسب الظروف والملابسات التي تمنى بها خلال عملها.

إذاً هذا الكيان هو كلّ هذا التاريخ، كلُّ هذه الجهود، كلُّ هذه التضحيات، هي عبارة عن هذا الكيان الذي بأيدينا!!. فهل بالإمكان أن يكون شعورنا تجاه محنة يتعرّض لها هذا الكيان هو الشعور تجاه إنسان يفقد مصلحة شخصيّة محدودة فقط؟! يفقد نعمة الرخاء والدعة فقط؟! يفقد حياة الاستقرار والأمن فقط؟! هل هذا هو الشعور الذي يجب أن يكون لدى وريث محمّد بن أبي عمير؟! لدى وريث الشهيد الأوّل الذي بذل دمه في سبيل هذا الكيان؟! هل يجب أن يكون وريث ذلك الرجل العظيم، يحسُّ تجاه المحن التي تعصف بذلك الكيان، إحساس شخص يفقد مالاً أو يفقد استقراراً؟! لا، بل يجب أن يكون أكثر شعوراً بالمسؤوليّة.

ومن أعظم مظاهر هذا الشعور بالمسؤوليّة من ناحية هو الشمول والعموم، يعني أن يكون هذا الانفعال وهذا الغضب وهذا الشعور بالألم، أن يكون هذا الألم ألماً يعيشه كلُّ أبناء هذا الكيان لا أن يعيشه خصوص من يواجه النار وجهاً لوجه، لأنّ هذه النار ليست نار شخص، وإنّما هي نار هذا الكيان، فلا بدّ وأن يعيش أبناء الكيان جميعاً شعوراً خاصّاً، وانفعالاً معيّناً، وتضامناً معيّناً في هذا الموضوع. يجب أن يشعر أيّ واحد منّا بأنّ الجسم الواحد إذا قطعت يده اليمنى أو قطعت يده اليسرى فليس بإمكان اليد الأخرى أن تقول: أنا في أمان لأنّي أنا لم أقطع، قطعت اليد الأخرى وأنا لم أقطع، لأنّ إحدى اليدين إذا قطعت فاليد الأخرى سوف تشلُّ عن العمل في لحظة عاجلة أو آجلة حتماً.

إذاً فالمسألة مسألة جسم واحد ومسألة كيان واحد، ولا بدّ أن يعيش أبناء هذا الكيان الواحد شعوراً واحداً تجاه الموضوع.

---

(١) انظر: كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغرّاء ١: ٢٤ ـ ٢٩ (مقدّمة التحقيق).

ثمّ أولئك الذين يواجهون الأحداث وجهاً لوجه يجب أن لا ينهاروا، ألاّ يفقدوا إرادتهم بين ساعة وأخرى، وأن لا يشعروا بأنّ حلَّ المشكلة هو أن يغادروا أرض الله الطيّبة هنا، ويذهبوا إلى أرض أخرى. هذا لا يحلُّ المشكلة، هذا هو الذي يجعل الكيان يتفتّت ويجعل هذه الحوزة تنتهي باختيار، بعمل اختياري لا بعمل قسري. وهذا هو الذي يعطي أكبر الأضرار على الإسلام والمسلمين.

إنّ هذا البلد، إنّ هذه الأرض، إنّ الإسلام الذي قام بإعالتك، قام بالإنفاق عليك أو عليّ، قام بإعالتنا والإنفاق علينا.. هذا الإسلام نحن مدينون له بوجودنا، مدينون له بأموالنا، مدينون له بكرامتنا، بعزّتنا، بكلّ ما نملك من اعتبار، هذا الإسلام إذا كلّفنا أن نقيم على الضيم أسبوعاً، أو أسبوعين، شهراً أو شهرين، أن نتحمّل الأذى في سبيل الله، أن نصمد، أن نصبر في سبيل أن لا يتفتّت، في سبيل أن يواصل وجوده حتّى تنكشف هذه الأزمة عن الإسلام والمسلمين.. إذا كلّفنا ذلك فليس هذا التكليف بالنسبة إلينا تكليفاً غير طبيعي. لأنّه هو المحسن الذي كان دائماً يقدّم ونحن نأخذ، الذي كان دائماً يتفضّل ونحن نستفيد، الذي كان دائماً يسدّد ونحن نتمتّع بكلٍّ ما يقدّم لنا من خيرات ومكاسب وجاه عريض.

ما هو جاهنا؟! ما هو اعتبارنا لولا الإسلام؟! بِمَ نصول؟! بِمَ نجول إلاّ بالاسلام؟! بِمَ عشنا طيلة هذه المدّة؟! بِمَ استقطبنا؟! من استقطبنا من قلوب المؤمنين؟!

أيُّ واحد منكم لا ينفذ إلى قلب شخص إلاّ عن طريق الإسلام. كلُّ من تجدونه يقدّركم إنّما يقدّركم على أساس الإسلام. فلا تبيعوا الإسلام بثمن رخيص.. لا تبيعوه بانسحاب سريع لا مبرّر له! لا يوجد هناك مبرّر لمثل هذا الانسحاب إلاّ ذلك الشعور الضيّق!!

اللهمّ املأ قلوبنا إيماناً. اللهمّ اجعلنا على مستوى المسؤوليّة. اللهمّ امدّنا بإمداد منك.. اللهمّ اجعلنا نعيش المحنة كما يعيشها المؤمنون الصابرون الصامدون، الذين يعيشونها لله لا لأنفسهم. اللهمّ ذكّرنا دائماً بأنّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام حينما وقف يقاتل عمرو بن عبد ودّ وحينما عاش لحظة الغضب لنفسه توقّف عن قتل عمرو بن ودّ حتّى يرجع إليه غضبه لله تعالى وحتّى يتألّم لله[1].

اللهمّ ذكّرنا بذلك حتّى تجعل ألمنا دائماً لله لا لأنفسنا، للإسلام لا لمصالحنا، للكيان العام لا لوجودنا.

[محنة المدّ الأحمر في العراق]

أنا حينما مرّ بالعراق المدُّ الأحمر الشيوعي، حينما مرّ ذلك المدّ الشيوعي بالعراق كنتُ ألف مرّة ومرّة أمتحن نفسي، أوجّه إلى نفسي هذا السؤال: أنّي أنا الآن أشعر بألمٍ شديد لأنّ العراق مهدّد بخطر أن يصبح شيوعيّاً، لكن هل أنّي سوف أشعر بنفس هذا الألم، بنفس هذه الدرجة لو أنّ هذا الخطر وجّه إلى ايران بدلاً عن العراق، لو وجّه إلى باكستان بدلاً عن العراق وايران، لو وجّه إلى أيّ بلد آخر من بلاد المسلمين الكبرى بدلاً عن هذه البلاد. هل سوف أشعر بنفس الألم أو لا أشعر بنفس الألم؟

أوجّه هذا السؤال إلى نفسي حتّى أمتحن نفسي لأرى أنّ هذا الألم الذي أعيشه لأجل تغلغل الشيوعيّة في العراق هل هو ألمُ لخبزٍ سوف ينقطع عنّي؟! لمقامٍ شخصيٍّ سوف يتهدّم؟! لكيانٍ سوف يضيع؟! لأنّ مصالحي الشخصيّة مرتبطة بالإسلام إلى حدٍّ مّا، فهل أنّ ألمي لأجل أنّ هذه المصالحَ الشخصيّة في خطر؟! ذا كان هكذا..

إذاً فسوف يكون ألمي للشيوعيّة في العراق أشدَّ من ألمي للشيوعيّة في إيران.. أو أشدَّ من ألمي للشيوعيّة في باكستان. وأمّا إذا كان ألمي لله تعالى، إذا كان ألمي لأنّي أريد أن يعبد الله في الأرض، وأريد لا يخرج الناس من دين الله أفواجاً.. فحينئذٍ سوف أرتفع عن حدود العراق وإيران وباكستان، سوف

---

(١) بحار الأنوار ٤١: ٥١.

أعيش لمصالح الإسلام، سوف أتفاعل مع الأخطار التي تهدّد الإسلام بدرجة واحدة دون فرق بين العراق وإيران وباكستان وبين أيِّ أرجاء العالم الإسلامي الأخرى!!..

[محاسبة النفس]

كلُّ واحد منّا يجب أن يحاسب نفسه قبل أن يدخل إلى محاسبة الآخرين، يجب أن يتأمّل في آلامه، في انفعالاته النفسيّة، هل هي انفعالات لله أو انفعالات لمصالحه؟!..

إذا كانت انفعالات لمصالحه فيجب أن لا يرجو من الله شيئاً، يجب أن لا يرجو من الله حتّى الثواب. لأنه هو يتألّم لنفسه لا يتألّم لله، فلماذا يثيبه الله؟ على ماذا يثيبه الله؟! سوف يكون محروماً حتّى من الثواب فضلاً عن الفرج، سوف يكون محروماً حتّى من الثواب الآجل. أمّا إذا كان ألمه لله حقيقة، إذا كان انفعاله لله حقيقة، فحينئذ سوف يكون أوسع نفساً، سوف يكون أوسع أفقاً، سوف ينظر إلى كلّ العالم الإسلامي، إلى كلّ المسلمين، إلى كلِّ المشاكل بنظرةٍ واحدة.

هذه المرجعيّة الموجودة اليوم ابتليت بمصائب كثيرة قبل اليوم، ابتليت بمحن كبيرة، ابتليت بمحنة كبيرة قبل بضع سنوات[1]. لكن انظروا هل أنّ درجة التفاعل مع تلك المحن والمصائب التي ابتليت بها المرجعيّة، وابتلي بها الكيان الموجود اليوم هل أنّ درجة التفاعل بها كانت واحدة؟! إنّ الشخص الذي يعيش لله يجب أن يتفاعل مع كلِّ هذه المصائب، مع كلِّ هذه المحن التي يبتلي بها هذا الكيان بدرجة واحدة وبنحو واحد، سواء كانت النار موجّهةً إلى وجهه مباشرةً، أو موجّهةً إلى أخيه، أو موجّهةً إلى أخيه الآخر.

إنّ تفاوت درجات الانفعال، إنّ اختلاف موقف الإنسان تجاه هذه المحن، هذا الاختلاف يجب أن يعالجه كلُّ إنسان منّا في نفسه لكي يعيش لله. وغفر الله لنا ولكم جميعاً».

أمّا المحاضرة الثالثة ـ المعروفة بالثانية ـ فقد جاء فيها:

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلوات على أفضل النبيّين وآله الطيّبين الطاهرين.

[المفهوم القرآني عن المحنة]

قلنا: إنّ المفهوم القرآني عن المحنة ـ أيّ محنة ـ يؤكّد أنّ الإنسان الممتحن والجماعة الممتحنة تتحمّل مسؤوليّة هذه المحنة، مسؤوليّة وقوع هذه المحنة بما قدّمت من عمل.

حينما يظهر الفساد في البرّ والبحر يقول القرآن الكريم: إنّ هذا الفساد الذي ظهر في البرّ والبحر هو نفس ذاك العمل الذي قدّمه الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلّهم يرجعون[2]. فالمحنة هي في الواقع تجسيدٌ بشكل مرير للأعمال المسبقة التي قامت بها الجماعة الممتحنة، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[3]، هي تجسيدٌ للأعمال التي قدّمها الناس أنفسهم، وهي في نفس الوقت موعظةٌ ونذير من الله سبحانه.

على هذا الأساس قلنا: إنّنا في دراسة الجانب الذاتي من المحنة لا بدّ أن نُقيّم أوّلاً شعورنا تجاه المحنة، وهذا ما صنعناه بالأمس. ولا بدّ لنا ثانياً أن نحاسب أنفسنا على ما قدّمنا من عمل، وعلى مساهمتنا في تكوين هذه المحنة، وعلى دورنا الإيجابي في صنعها.

---

(١) يقصد مرجعيّة السيّد محسن الحكيم رحمه الله وابتلاءها بالشيوعيّة على ما يبدو.

(٢) انظر: الروم: ٤١.

(٣) الشورى: ٣٠.

[الأرضية النفسية لأساليب العمل]

وهنا أنا لا أريد أن أناقش أساليب العمل التي أدّت إلى هذه المحنة، ولا أريد أن أتحدّث عن الأساليب التي من طبيعتها أن تغيّر من الموقف، بل أريد أن أتحدّث قبل ذلك عن الأرضيّة النفسيّة لهذه الأساليب.

قبل أن نتحدّث عن العمل، نتحدّث عن الأرضيّة النفسيّة لأساليب العمل، فإنّ منطلق المصيبة والمحنة هو تلك الأرضيّة النفسيّة التي عشناها طيلة الزمن الذي تقدّم وسبق هذه المحن. هذه الأرضيّة النفسيّة لم تكن أرضيّة نفسيّة صالحة لكي تنشأ ضمنها أساليب العمل الصالح، ولكي تؤتي هذه الأساليب ثمارها.

هذه الأرضيّة النفسيّة التي عشناها والتي كانت ولا تزال تساهم في خلق المشاكل في طريقنا، وفي تكوين المحن في وجوهنا، هذه الأرضيّة النفسيّة أستطيع أن أرجعها بالتحليل إلى عاملين نفسيّين أساسيّين، وهما ـ بالرغم من كونهما عاملين ـ هما مرتبطان كلّ الارتباط فيما بينهما:

أحد العاملين: هو عدم الشعور التفصيلي بالارتباط بالله تعالى.

والعامل الآخر: هو أنّ الأخلاقيّة التي كنّا نعيشها ليست أخلاقيّة الإنسان العامل، بل هي أخلاقيّة إنسان آخر لا يصلح للعمل الحقيقي.

وإذا كنّا نريد أن نستفيد من هذه المحنة، وإذا كنّا جادّين في الحساب، فلا بدّ أن نرجع إلى هذين العاملين الأساسيّين لكي نستطيع أن نتيح لأنفسنا فرصة التكفير عمّا سبق بالنسبة إلى كلٍّ من هذين العاملين: عامل (عدم الشعور بالاتّصال بالله بالدرجة الكافية) وعامل (أخلاقيّة الإنسان اللاعامل).

[١ ـ عدم الشعور التفصيلي بالارتباط بالله سبحانه]

أمّا بالنسبة إلى العامل الأوّل، بالنسبة إلى عدم الشعور التفصيلي بالاتّصال بالله سبحانه وتعالى، فهذا ما يقع عادةً وعلى مرّ الزمن في حياة الطالب الاعتيادي الذي يهاجر من بلده ويأتي إلى هنا متحمّلاً آلام الغربة وآلام السفر وآلام الوحشة وآلام فراق الأحبّة والأهل والوطن... كلّ هذا التحمّل يكون في اللحظة الأولى قائماً على أساس شعور تفصيليٍّ بالله تعالى، شعورٌ تفصيليٌّ يشدّه إلى الله تعالى، يشعر بأنّ هذه القوّة هي التي تجذبه وتنتزعه من أهله ووطنه وبلده ومن أحبّته لكي يهاجر إلى الله ويتعلّم على يد ورثة الأنبياء، ثمّ يواصل خطّ الأنبياء. ولكن بعد أن يدخل إلى إطار هذه الحوزة ويكون هذا الشعور التفصيلي موجوداً في نفسه، بعد أن يدخل إلى إطار هذه الحوزة فينخرط في مناهجها، ويسلك مسالكها ويعيش دروبها.. بعد هذا تتضاءل بالتدريج جذوة شعوره بالاتّصال بالله تعالى، بينما كان من المفروض أنّ هذه الجذوة تنمو بالتدريج بدلاً عن أن تخمد أو عن أن تتضاءل، وذلك لأنّه حينما يأتي إلى الحوزة لا يعيش تطبيقاً حيّاً لهذا الاتّصال بالله تعالى، وإنّما يعيش على أفضل تقدير دروساً معيّنة ومناهج معيّنة هي في حدود كونها مفاهيم وأفكار لا تغذّي هذا الشعور، فيبقى هناك فراغٌ نفسيٌّ كبيرٌ في قلبه، في وجدانه، في ضميره. هذا الفراغ النفسي الكبير لا يمكن أن يُملأ بمطالب من الفقه والأصول، لأنّ مطالب الفقه والأصول تملأ عقل الإنسان ولكنّها لا تملأ ضميره، لا تملأ وجدانه، سوف يمتلئ عقله علماً، لكنْ من الجائز أنّ ضميره ووجدانه سوف يبقى فارغاً كما كان فارغاً حينما كان ابن القرية، أو ابن المدرسة، أو ابن المعمل الذي جاء منه إلى هذه الحوزة. وهذا الفراغ في الضمير والوجدان الذي يعيشه هذا الإنسان، حتّى إذا أصبح ثريّاً من الناحية العقليّة، هذا الفراغ سوف يميّع بالتدريج شعوره بالارتباط بالله ، لأنّ هذا الشعور لن يجد ما ينمّيه وما يُغذّيه لا نظريّاً ولا عمليّاً.

أمّا نظريّاً فلأنّه لا يأخذ من النظريّات إلاّ ما يرتبط باستنباط الأحكام الشرعيّة، والنظريّات التي يستنبط على أساسها الحكم الشرعي غذاءٌ للعقل لا للوجدان والضمير.

وأمّا عمليّاً فلأنه لا يعيش تجربة الاتّصال بالله تعالى، لا يعيش حياةً عمليّة، وإنّما يعيش حياة مدرسيّة

خالصة، وهذه الحياة المدرسيّة الخالصة التي يعيشها كثيراً ما تكون مشوبة أيضاً بالمبعّدات عن الله تعالى، قد تكون أحياناً مشوبة بكثيرٍ من الذنوب التي تبعد الإنسان عن الله تعالى وتميّع صلته به، فما يمضي عليه برهة من الزمن حتّى تكون جذوة ذلك الشعور التفصيلي قد انطفأت بعد أن تكون قد تحوّلت إلى ارتكاز. يعنّي في بداية الأمر يتحوّل شعوره التفصيلي إلى شعور مبهم غامض يختفي في الأعماق وتتراكم عليه مشاعر أخرى لا ترتبط بالله، هذه المشاعر الأخرى تستورد من أهواء البيئة، من طبيعة البيئة، من الملابسات والتعقيدات غير الصالحة التي يعيشها في البيئة، تتراكم هذه المشاعر الثانويّة غير الطاهرة ويبقى ذاك الشعور النظيف، يبقى في الأعماق شعوراً مبهماً غامضاً باهتاً، ثمّ بعد مضيٍّ زمن يتلاشى ذاك الشعور، يتلاشى حتّى كقاعدة، ويتمزّق، ويعوّض عنه شعور آخر، بعد أن يكون هذا الطالب قد قضى مرحلة طويلة من حياته العلميّة، بعد أن يكون قد أصبح مهيّئاً من الناحية العلميّة لكي يجسّد ذلك الشعور في عمله، في جهاده، في تطبيقه، بعد أن يكون قد وصل إلى المرحلة التي يكون مدعوّاً فيها إلى المساهمة في خدمة الدين.. يكون قد فرغ وجدانه وضميره نهائيّاً من ذلك الشعور الذي عاشه وهو في طريقه من القرية إلى النجف، وهو في طريقه من المدينة إلى النجف، تلك الأحلام والآمال، تلك التصوّرات الكبيرة الضخمة الروحيّة التي كان يعيشها وهو في طريقه إلى مهجره العظيم، تلك التصوّرات تعود كلّها خواء، تعود كلّها فراغاً، لأنّها بعد أن جُمّدت وأصبحت شعوراً إجماليّاً، بعد هذا فقدت أيَّ غذاء وإمداد متّصل حتّى تمزّقت، وهذا هو معنى نسيان الله تعالى. وأنتم كلّكم تعرفون أنّ من ينسى الله ينساه الله، من ينقطع عن الله ينقطع عنه الله سبحانه وتعالى. ألم يقل الله: (صانع وجهاً واحداً يكفك الوجوه كلّها)[١].

نحن اليوم نرى أنّ الوجوه ساخطة علينا متبرّمة بنا، وإنّما كانت ساخطة علينا متبرّمة بنا لأنّنا لم نصانع وجهاً واحداً حتّى يكفينا ذلك الوجه الواحد الوجوه كلّها، نحن لم نشعر خلال حياتنا العلميّة بأنّنا مرتبطون ارتباطاً حقيقيّاً بالله تعالى، وأنّنا مدعوّون من قبله سبحانه وتعالى إلى بذل كلِّ وجودنا وإمكانيّاتنا في سبيله، هذا الشعور حيث إنّنا لم نعشه، لم نصانع وجهاً واحداً، ولمّا كنّا لم نصانع وجهاً واحداً لم يكفنا الوجوه كلّها. أفضلنا، أشطرنا هو من صرف قواه وطاقاته في سبيل أن [يصانع] هذا الوجه، وهذا الوجه، وهذا الوجه، وعمليّة [مصانعة] الوجوه بشكل فردي، هذا لا يمكن أن تؤدّي إلاّ إلى نتيجة فرديّة. وأمّا من صانع ذلك الوجه العظيم الذي بيده ملكوت السماوات والأرض فهو القادر على أن يكفيه الوجوه كلّها.

الأئمة عليهم أفضل الصلاة والسلام بالرغم من أنّهم كانوا مضطهدين من قبل سلاطين وقتهم، كانوا دائماً يعيشون المحنة من حكّام زمانهم، بالرغم من أنّ أجهزة تلك الحكومات كانت كلّها تقوم على أساس الدعاية ضدّهم، وعلى أساس نشر المفاهيم المعاكسة لخطّهم، وبالرغم من أنّهم سبّوا على منابر المسلمين ألف شهر[٢]، وبالرغم من كلّ الطاقات التي بذلت من قبل سلاطين الوقت في سبيل تمييعهم وفي سبيل فصل قواعدهم الشعبيّة عنهم... بالرغم من كلّ ذلك نرى أنّ عليَّ بن الحسين حينما يأتي عليه الصلاة

---

(١) الوارد أنّ هذه الكلمة للحكماء، فقد قال أويس القرني: ما سمعتُ كلمةً كانت للحكماء أنفع لي من قولهم: «صانع وجهاً واحداً يكفك الوجوه كلّها» (مجموعة ورام ٢: ١١٣ ؛ وانظرها في: الكشكول للشيخ البهائي ١: ١٢٤) ؛ ونسب في مصدر آخر إلى بعض الوعاظ على النحو التالي: «يا هذا! صانع وجهاً واحداً تقبل عليك الوجوه كلّها» (ديوان المتنبّي، أبو البقاء العكبري ٤: ٢٨٠) ؛ وأسند في مصدر ثالث إلى أبي عثمان سعيد بن إسماعيل حيث نقل عنه قوله: «أيّها المتصنّع إلى الناس وفهلاً وفولا، صانع وجهاً واحدًا يقبل عليك بالوجوه كلّها» (الأمالي الشجريّة، الحديث الثاني والثلاثون، ذكر الرياء وشرّ عاقبته: ٢٠٩٧).

(٢) انظر: المناقب ٣: ٢٥٣.

والسلام ليستلم الحجر الأسود ينفرج هؤلاء المسلمون الذين يُسبُّ عليُّ بنُ الحسين وأبوه وجدّه على منابرهم، في بلادهم، هؤلاء المسلمون أنفسهم ينفرجون بين يديه، بينما لم يكونوا ينفرجون أمام سلطان من أولئك السلاطين الذي كان ينتظر طريقه إلى الحجر فلا يجده[1]. لماذا؟! لأنّ علي بن الحسين عليه السلام صانع وجهاً واحداً فكفاه الوجوه كلّها.

لا تقولوا بأنّ الناس [...][2] لأنّ الناس على دين ملوكهم[3]، لأنّ الملوك وقتئذ ماذا كان موقفهم من عليٍّ بن الحسين؟ هل كان هشام بن عبد الملك أو كان عبد الملك نفسه كان مع علٍيٍّ بن الحسين؟! أكان يحمل مفهوماً صحيحاً أو يبشّر بمفهومٍ صحيحٍ عن علي بن الحسين؟! لكنّ الناس أنفسهم كانوا مجذوبين إلى الإمام علي بن الحسين لأنّه كان يعيش بكلّ وجوده حالة الاتّصال بالله.. حالة الاتّصال بالله بالرغم من أنّها كمال للإنسان هي بحدٍّ ذاتها طاقة للنجاح في خطٍّ العمل، لأنّ هذا الاتّصال بالله سوف يضع قاعدة لما سنتحدّث عنه بعد قليل من (أخلاقيّة الإنسان العامل)، أخلاقيّة الإنسان العامل التي سوف نتحدّث عنها بعد قليل لا يمكن أن تتكوّن عند الإنسان إلاّ إذا كان يعيش حالة الاتّصال بالله سبحانه وتعالى عيشاً تفصيليّاً، إضافةً إلى ذلك: إنّ هذا الاتّصال بالله تعالى يجعل الإنسان قادراً على أن يدعو ويترقّب من الله الاستجابة. أمّا إذا كان نسي الله تعالى أيّام رخائه، قد ترك الله ودينه، تركه ومحنته، تركه ومشاكل رسالته، وكان لا يفكّر في الله، وكان يفكّر في نفسه لا في الله.. حينئذٍ كيف يمكن أن يرجو هذا الإنسان أن يمدّ يديه إلى السماء حينما يقع في محنة فيستجيب الله دعاءه؟! ولماذا يستجيب الله دعاءه؟! ولماذا يستمع إلى لسانٍ لم يلهج بذكر الله؟! وإلى يدين لم [تتحرّكا] في طاعة الله؟! وإلى قلبٍ لم ينبض بالحب لله تعالى؟!

نحن لا يمكننا أن نترقّب استجابة الدعاء إلاّ إذا كنّا نعيش حالة الاتّصال بالله، وكنّا قد عبّأنا وجودنا وقوانا لله سبحانه وتعالى، حينئذٍ يمكن أن [نطلب] من الله سبحانه وتعالى الإمداد والمعونة والتغلّب على كلّ المشاكل والمحن.

[محنة يوسف بن تاشفين]

المسلمون في إسبانيا حينما تعرّضوا في القرن الخامس لغزوٍ مسيحيٍّ من قبل إسبانيا المسيحيّة عندما تعرّضوا لهذا الغزو استنجدوا بأمير المغرب يوسف بن تاشفين.

يوسف بن تاشفين قام مع جيش جرّار، عَبَرَ البحر إلى إسبانيا لكي ينقذ المسلمين في إسبانيا من الغزو المسيحي الذي كان يهدّد كيانهم[4].

---

(١) يقصد قصّة الشاعر الفرزدق مع الإمام زين العابدين عليه السلام وهشام بن عبد الملك. انظر: مستدرك الوسائل ١٠: ٣٩٤.

(٢) شريط الكاسيت غير واضح.

(٣) التمثيل والمحاضرة: ١٧٨ ؛ فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء: ٢٥ ؛ حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: ١٦٩٥. وقد جاء في المصدر الأخير أنّ السبب في هذا المثل ـ [الذي قد يُنسب أحياناً إلى عمر بن الخطّاب] ـ هو أنّ الوليد بن عبد الملك بن مروان كان مشغوفاً بتشييد البنيان، فكان الناس في زمانه ليس لهم همّة إلاّ تشييد البنيان والقصور. ثمّ ولّي بعده أخوه سليمان بن عبد الملك بن مروان، فكان مشغوفاً بكثرة الأكل وتنويع الأطعمة وتكثير الألوان، فكان الناس في زمانه يتفاخرون بالتوسعة في تنويع المأكولات وينهمكون في التلذّذ بالشهوات، ثمّ ولي بعد سليمان ابن عمّه عمر بن عبد العزيز بن مروان، فكانت همّته في الاشتغال بالطاعات والعدل وإقامة الدين، فكان الناس في زمنه راغبين في فعل الطاعات مستكثرين من فعل الخيرات، فقالوا: «الناس على دين ملوكهم».

(٤) يوسف بن تاشِفين أبو يعقوب اللمتوني البربري الملثّم (ت ٥٠٠هـ = ١١٠٦م) أوّل الملوك المرابطين وأشهرهم، بنى مدينة مراكش قاعدةً لحكمه واستولى على فاس ومدّ سيطرته على أنحاء المغرب (المنجد في الأعلام: ٦٢٥، مادة

تقول القصّة: إنّ يوسف بن تاشفين حينما نزل البحر مع كلِّ أسطوله وجيشه تحرّك ماء البحر وهبّت عاصفة شديدة جدّاً كادت أن تقضي على الأسطول، حينئذ يوسف بن تاشفين وقف في وسط جيشه ورفع يديه إلى الله سبحانه وتعالى، قال ما مضمونه: يا ربّ أنتَ تعلم أنّي لم أترك بلادي، لم أترك أرضي، لم أعبر هذا البحر، لم أقرّر أن أطوي هذه المسافة من قارّة إلى قارّة (من إفريقية إلى أوروبا)، لم أتحمّل خطر الموت على نفسي، على أهلي، على ولدي، على جيشي، خطر تفتّت مملكتي هناك، لم أتحمّل كلَّ هذه الأخطار إلاّ في سبيل حماية دينك ورسالتك في إسبانيا، في سبيل الحفاظ على المسلمين وعلى الوجود الإسلامي في أوروبا، في سبيل ذلك قمت.. اللهمّ فإن كنت تعلم أنّي حَسَنَ النيّة في ذلك، وإن كنت تعلم أنّ وصولي إلى الشاطئ فيه خيرٌ للإسلام والمسلمين.. اللهمّ فأسكن عنّا هذه العاصفة وأزلها عنّا!![1].

يوسف بن تاشفين لم يكن إماماً، أنا أمثّل بيوسف بن تاشفين لأنّه شخصٌ من الناس، لا يمكن أن يقال بأنّه أفضل من أيٍّ واحدٍ من عندنا بحسب الموازين الاعتياديّة، ليس هو الإمام علي عليه السلام، ليس هو الإمام الحسين عليه السلام، ليس هو أحَد المعصومين عليهم السلام، هو إنسان من المسلمين. لكنْ هذا الإنسان من المسلمين وضع كلَّ قواه في سبيل الله تعالى، هاجر من بلده في سبيل الله تعالى، كان يشعر شعوراً تفصيليّاً بالاتّصال بالله تعالى. هذا الشعور التفصيلي بالاتّصال بالله تعالى جعل من حقّه أن يدعو، وجعل من حقّه أن يتوقّع الاستجابة من الله تعالى.

تقول الرواية التاريخيّة: ما أتمّ الأمير يوسف حديثه ودعاءَه مع الله تعالى إلاّ وسكن البحر، وهدأت العاصفة، وتغيّرت كلّ الملابسات إلى صالح السفرة، حتّى وصل يوسف بن تاشفين سالماً إلى الشاطئ، واستطاع أن يقضي على الغزو المسيحي ويؤخّر من مأساة الإسلام في إسبانيا أربعة قرون.

بقي الإسلام أربع مائة سنة بعد هذا الحادث (بعد غزو يوسف بن تاشفين للمسيحيّين الذين كانوا مجاورين للأندلس) ثمّ بعد أربع مائة سنة، المسلمون هم المسلمون، كانوا يشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، كما كان يشهد المسلمون في عصر يوسف بن تاشفين، ولكنّهم كانوا نسوا الله تعالى وانقطعوا عنه وانصرفوا إلى لهوهم وفسقهم وتراكمت في حياتهم الذنوب، لم يكونوا يعيشون لله تعالى.. بعد أربع مائة سنة اضطرَّ ملك المسلمين في غرناطة ـ البلد الأخير الذي بقي للمسلمين في إسبانيا ـ اضطرَّ إلى توقيع وثيقة الاستسلام، إلى توقيع وثيقة التنازل عن الإسلام والوجود الإسلامي، إلى توقيع وثيقة فناء الإسلام في كلِّ إسبانيا، اضطرَّ إلى توقيع هذه الوثيقة[2].

يوسف بن تاشفين). والقصّة هي أنّ المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية استنجد بيوسف بن تاشفين مستنصراً إيّاه على ألفونس السادس زعيم المسيحيّين في الأندلس، وكان له النصر في واقعة الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٤: ٣٠٠؛ وانظر: تاريخ ابن خلدون ٦: ١٨٣ ـ ١٩٠ / دولة المرابطين).

(١) بحثنا في عشرات المصادر التي تتعرّض لعبور ابن تاشفين البحر، ولم نعثر في أيٍّ منها على التفاصيل التي ذكرها رحمه الله في القصّة. انظر على سبيل المثال المعجب في تلخيص أخبار أهل المغرب: ١: ١٣١؛ كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١: ٣٩؛ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: ٤: ٣٦٠؛ الكامل في التاريخ ٨: ٤٤٦؛ بطل الإسلام الملثّم يوسف بن تاشفين: ٥٣ ـ ٧٨. وانظر في (الموسوعة الشعريّة): الإحاطة في أخبار غرناطة: ٣٧٩٢؛ المطرب من أشعار أهل المغرب: ٣٧. والملفت للنظر ما جاء في (نفح الطيب) من أنّه: «عبر يوسف البحر عبوراً سهلاً».

(٢) يقصد توقيع ملك غرناطة أبي عبد الله محمّد الحادي عشر بن علي في ٢/ربيع الأوّل/٨٩٧هـ (١٤٩٢/٥/٢م) وثيقة الاستسلام للملك فرديناند الخامس ملك أراجون والملكة إيزابيلا ملكة قشتالة وتسليمهما مفاتيح المدينة، وكانا قد تزوّجا سنة ٨٨٤ هـ ـ ١٤٧٩م ووحّدا مملكتيهما. وقد اشتملت الوثيقة على سبعة وستّين شرطاً، وقد خاطبت أمّ الملك أبي عبد الله ولدها بكلمة أصبحت مثلاً إذ قالت له: «فعلت خيراً إذ بكيت كالنساء لأنّك لم تحفظ ملكك حفظ الرجال». (انظر القول الأخير في: أخبار سقوط غرناطة: ٤٠٧).

تقول الرواية: إنّه قبل أن يوقّع هذه الوثيقة، إنّه قبل أن يوقّع هذا الملك المسكين التعيس وثيقة إعدامه، وإعدام دينه وعقيدته وأمّته في ذلك البلد نظر نظرة، ثمّ قال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله. فضجّ الأمراء الذين كانوا حوله قائلين: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله. قال: ولكن لا رادَّ لقضاء الله، ولا رادَّ لأمر الله تعالى. ثمّ وقّع على هذه الوثيقة التي أدّت إلى فناء الإسلام في إسبانيا[1]. هل كانوا مسلمين؟!

نعم كانوا مسلمين. كان يريد أن يؤكّد إسلامه في آخر لحظة. وقّع على وثيقة إعدام الإسلام، وتشهّد الشهادتين حينما وقّع على هذه الوثيقة.

لكن ما قيمة هاتين الشهادتين؟! لأنّه لم يذكر الشهادتين إلاّ حينما واجه خطر هذه الوثيقة، إلاّ حينما أصبح ملكه وسلطانه كلّه في غمرة هذا الخطر. كان هذا الرجل نفسه وكان غيره من الأمراء المحيطين به يعيشون حالة التفتّت والتناقض والانشغال بأمرهم عن الله إلى اليوم الأخير من حياتهم، لهذا لم ينفعهم شعورهم بالاتّصال بالله في اللحظة الأخيرة، في لحظة الغرق، هذا لم ينفعهم.

لا بدّ من أن يعيش الإنسان خطّه الطويل متّصلاً بالله تعالى حتّى يمكن أن يترقّب من الله الاستجابة لدعائه، والإمداد والمعونة، المساندة والمعاضدة له في علمه.

[٢ ـ أخلاقيّة الإنسان اللاعامل]

الأمر الثاني والعامل الثاني: هو الأخلاقيّة، أخلاقيّة الإنسان العامل. نحن أخلاقيّتنا التي نعيشها لم تكن أخلاقيّة الإنسان العامل.

هناك مظاهر أساسية للأخلاقيّة التي كنّا نعيشها. وهذه الظاهرة هي أبعد ما تكون عن أخلاقيّة الإنسان العامل الذي يريد أن يحمل رسالة الله والذي يريد أن يمثّل الأنبياء على الأرض. هذه الأخلاقيّة لا بدّ لنا أن نطوّرها من نفوسنا، لا بدّ لنا أن نغيّر هذه الأخلاقيّة ونفتح بالتدريج أخلاقيّة الإنسان لكي نُهيّء الأرضيّة النفسيّة التي يقام على أساسها العمل الصحيح.

[أ ـ روح التضحية والإيثار]

الأخلاقيّة التي كنّا نعيشها من نقاطها الرئيسيّة الارتباط بالمصلحة الشخصيّة بدلاً عن الاستعداد للتضحية. نحن بحاجة إلى أخلاقيّة التضحية بدلاً عن أخلاقيّة المصلحة الشخصيّة. نحن بحاجة إلى أن نكون على أهبّة لإيثار المصلحة العامّة للكيان على المصلحة الخاصّة لهذا الفرد أو لهذا الفرد. نحن لا بدّ لنا من أخلاقيّة التضحية بالمصالح الخاصّة في سبيل المصالح العامّة، أمّا ما كنّا نعيشه، أمّا ما كان موجوداً فهو على الغالب إيثار للمصلحة الخاصّة على المصلحة العامّة. كنّا نعيش لمصالحنا، وكنّا لا نعيش للمصلحة العامّة حينما تتعارض مع مصالحنا الخاصّة.

وهذه النزعة الأخلاقيّة ـ النزعة الأخلاقيّة التي تتّجه نحو المصلحة الخاصّة لا نحو المصلحة العامّة ـ تجعل القدر الأكبر من طاقاتنا وقوانا وإمكانيّاتنا خصوصاً في جوٍّ من قبيل جوّ الحوزة، في جوٍّ غير منظّم، في جوٍّ لا بدّ لكلِّ إنسانٍ أن يبني نفسه فيه بنفسه، في مثل هذا الجو الذي لا بدّ فيه لكلّ إنسانٍ أن يبني نفسه بنفسه، إذا عاش الناس دائماً عقليّة المصلحة الخاصّة ولم يكن عندهم أخلاقيّة التضحية بالمصلحة الخاصّة في سبيل المصلحة العامّة.. فسوف يصرف القدر الأكبر من الطاقات والإمكانيّات والقابليّات في

(١) جاء في نصٍّ معرّب أنّه قال: «الله أكبر ولا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، ومحالٌ مقاومة إرادة الله، فلقد كتب في لوح القدر عليّ أن أكون آخر ملوك هذه المملكة، فلا رادَّ لقضائه في تعاستي هذه»، فردّ عليه الفقهاء والوزراء بالتكبير مرجعين الأمر إلى إرادة الله (أخبار سقوط غرناطة: ٣٩٩، والكتاب نشر بلغته الأم سنة ١٨٣١م).

سبيل تدعيم المصالح الخاصّة أو في سبيل الدفاع عن هذه المصالح الخاصّة.

حينما تتحوّل الاتّجاهات من المصلحة العامّة إلى المصلحة الخاصّة سوف يضطرُّ كلُّ إنسانٍ يعيش في جوٍّ عامرٍ بهذا الاتّجاه، سوف يضطرُّ كلُّ إنسانٍ إلى التفكير في نفسه، وإلى الدفاع عن نفسه، وإلى تثبيت نفسه، وبذلك نصرف ثمانين بالمائة من قوانا وطاقاتنا داخل الإطار بالمعارك داخل الإطار. كان بالإمكان لو أنّنا نتحلّى بأخلاقيّة الإنسان العامل، يعني لو كنّا نتحلّى بأخلاقيّة التضحية بالمصلحة الخاصّة في سبيل المصلحة العامّة، أن نحوّل هذه الثمانين بالمائة للعمل في سبيل الله للعمل بتدعيم الإطار ككلّ لترسيخه، لتكديسه، لتوسيعه. وبذلك كنّا نستفيد أيضاً لو كنّا نعقل، لو كنّا نعقل كنّا نستفيد حتّى بحساب المقاييس العاجلة أيضاً أكثر ممّا نستفيد ونحن نتنازع ونتعارك ونختلف داخل إطارٍ معرّضٍ لخطر التمزّق، داخل إطار مهدّد بالفناء.

إلى متّى نحن نعيش المعركة داخل إطار يحكم عليه بالفناء يوماً بعد يوم، أو يواجه خطر الفناء يوماً بعد يوم؟! ولا نفكّر في نفس الإطار! ولا نفكّر في أن نتناسى مصالحنا الصغيرة في سبيل المصلحة الكبيرة!!

أخلاقيّة الإنسان العامل، إنّ شروطها هو أن يكون عند الإنسان شعورٌ واستعداد بالتضحية بالمصلحة الصغيرة في سبيل المصلحة الكبيرة، وهذا ما لا بدّ لنا من ترويض أنفسنا عليه.

[ب ـ نزعة التجديد في اسباب العمل]

المظهر الثاني من مظاهر أخلاقيّة الإنسان العامل الاتّجاه إلى التجديد في أساليب العمل، نزعة التجديد في أساليب العمل.

نحن عندنا نظريّة وعندنا عمل. النظريّة هي الإسلام، ولا شكّ ولا ريب أنّ ديننا ثابت لا يتغيّر ولا يتجدّد، ولا يمكن في يوم من الأيام أن يفترض كون هذا الدين بحاجة إلى تغيير أو تحوير أو تطوير، لأنّ هذا الدين هو أشرف رسالات السماء وخاتم تلك الأديان الذي ارتضاه الله تبارك وتعالى للإنسان في كلّ مكان وفي كلّ زمان، ولهذا الصيغة النظريّة للرسالة صيغة ثابتة لا تتغيّر، ولا يمكن أن نؤمن فيها بالتجدّد.

من الخطأ ألف مرّة أن نقول بأنّ الإسلام يتكيّف وفق الزمان، الإسلام فوق الزمان والمكان، لأنّه من وضع الواضع الذي خلق الزمان والمكان، فقد قدّر لهذه الرسالة القدرة على الامتداد مهما امتدَّ المكان والزمان.

الصيغة النظريّة للإسلام صيغة ثابتة فوق التجدّد، فوق التغيّر، لا بدّ لها هي أن تحكم كلَّ عوامل التغيّر وكل عوامل التجدّد، لا أنّ عوامل التجدّد والتغيّر تحكم الرسالة، تحكم الإسلام، بل الإسلام يحكم على كلّ عوامل التجدّد. هذا واضح على مستوى النظريّة ولا بدّ وأن يكون واضحاً عندنا جميعاً.

وأمّا العمل في سبيل هذه النظريّة.. العمل الخارجي، أساليب العمل في هذه الحالة، في حالة العمل، كانت لدينا حالة أنا أستطيع أن أسمّيها (الاستصحابيّة لأساليب العمل)، (حالة النزعة الاستصحابيّة). الاستصحاب الذي قرأناه في الأصول طبّقناه على أساليب العمل، طبّقناه على حياتنا، فكنّا نتّجه دائماً إلى ما كان ولا نفكّر أبداً في أنّه هل بالإمكان أن يكون أفضل ممّا كان؟!

وهذه النزعة الاستصحابيّة إلى ما كان والحفاظ على ما كان يجعلنا غير صالحين لمواصلة مسؤوليّاتنا، وذلك لأنّ أساليب العمل ترتبط بالعالم، ترتبط بمنطقة العمل، ترتبط بالبستان الذي تريد أن تزرع فيه، وهذا البستان، هذه الأمّة التي تريد أن تزرع فيها الخير، التقوى، الورع، الإيمان.. هذه الأمّة التي تريد أن تزرع فيها بذور الخير والتقوى والإيمان، هذه الأمّة ليست لها حالة واحدة. الأمّة اليوم غير الأمّة بالأمس، غير الأمّة بالأمس في مستواها الفكري، في مستواها الأخلاقي، في علائقها الاجتماعيّة، في أوضاعها الاقتصاديّة، في كلّ ظروفها، الأمّة اليوم غير الأمّة بالأمس، الأمّة اليوم حيث إنّها غير بالأمس لا يجوز

لك أن [تتعامل] مع الأمّة اليوم كما [تتعامل] مع الأمّة بالأمس.

أنت اليوم حينما تريد أن تتّصل بإنسانٍ من أبناء الأمّة في بلد آخر لا تمشي على رجليك ولا تركب حيواناً، وإنّما تركب سيّارة تصل إلى هناك، يعني أنت تغيّرت أساليب عملك مع أبناء الأمّة، لماذا؟ لأنّ الأمّة تغيّرت. حيث إنّ أساليب العمل هي الأمّة، حيث إنّك تريد أن تزرع بذورك، بذور التقوى والورع والإيمان في الأمّة.. ولهذا يجب أن تأخذ بعين الاعتبار الظروف والتغيّرات والتطوّرات التي توجد في الأمّة. هذه التطوّرات والتغيّرات التي توجد في الأمّة تحدّد لنا أساليب العمل، وليس بالإمكان أن يكون هناك أسلوبٌ واحدٌ يصدق على الأمّة اليوم وعلى الأمّة بالأمس وعلى الأمّة غداً.

لا بدَّ لنا أن نتحرّر من النزعة الاستصحابيّة، من نزعة التمسّك بما كان حرفيّاً بالنسبة إلى كلِّ أساليب العمل. هذه النزعة التي تبلغ القمّة عند بعضنا، حتّى أنّ ـ أمثّل بأبسط الأمثلة ـ ، حتّى أنّ كتاباً دراسيّاً مثلاً إذا أريد تغييره إلى كتاب دراسيٍّ آخر أفضل منه، حينئذ تقف هذه النزعة الاستصحابيّة في مقابل ذلك. إذا أريد تغيير كتاب بكتابٍ آخر في مجالس التدريس ـ هذا أضأل مظاهر التغيير، إذا وجد ذلك ـ حينئذٍ يقال: لا ليس الأمر هكذا، لا بدّ من الوقوف، لا بدّ من الثبات والاستمرار على نفس الكتاب الذي كان يدرس فيه الشيخ الأنصاري رضوان الله عليه، أو المحقّق القمّي رضوان الله عليه. هذه النزعة الاستصحابيّة التي تجعلنا دائماً نعيش مع أمّة قد مضى وقتها، مع أمّة قد ماتت وانتهت بظروفها وملابساتها، لأنّنا نعيش بأساليب، هذه الأساليب كانت منسجمة مع أمّة، هذه الأمّة لم يبق منها أحد، تلك الأمّة انتهت وحدثت أمّة أخرى ذات أفكار أخرى، ذات اتّجاهات أخرى، ذات ظروف وملابسات أخرى، فحينئذ من الطبيعيِّ أن لا نُوفّق في العمل لأنّنا نتعامل مع أمّة ماتت، والأمّة الحيّة لا نتعامل معها. فمهما يكن منَ تأثيرنا فسيكون هذا التأثير سلبيّاً، لأنَّ موضوع العمل غير موجود في الخارج، موضوع العمل ميت، وما هو الموجود في الخارج لا نتعامل نحن معه.

نحن يجب أن يكون واضحاً عندنا أنّنا يجب أن نتعامل مع هذا الإنسان الحي الموجود في الخارج المكوّن من اللحم والدم، وهذا الإنسان الموجود في الخارج يتغيّر، يتطوّر، تختلف ظروفه وملابساته، نحن لا بدّ لنا أن نتعامل مع هذا الإنسان. وحيث إنّنا لا بدّ وأن نتعامل مع هذا الإنسان، لا بدّ دائماً من أن نفكّر دائماً في الأساليب التي تنسجم مع هذا الإنسان.

الشهيد الأوّل قبل قرون وقرون ـ كما قلنا بالأمس ـ فكّر في تنظيم شؤون الدين والمرجعيّة بشكلٍ من الأشكال كما قلنا، ونقل الكيان الديني من مرحلة إلى مرحلة.

لكن أليس بالإمكان أن يفكّر مئات العلماء الذين جاؤوا بعد الشهيد الأوّل إلى الآن، ومئات العلماء الموجودين مثلاً، ومئات العلماء الذين سوف يخلفون هؤلاء العلماء بعد ذلك، أليس بالإمكان أن يفكّر هؤلاء المئات في تطوير أساليب الأوّل؟ في تحسينها؟ في تنقيتها؟ في تطويرها؟ أليس بالإمكان هذا؟!

فكّر الشهيد الأوّل في أن يضع قواعد لهذه المرجعيّة، لكن هذه القواعد أهي هي؟! لا بدّ وأن تبقى بحدودها التي كانت في أيّام المماليك؟! تلك الحدود التي كانت في أيّام المماليك في سوريا تصدق على ما هو موجودٌ اليوم في العالم مع تغيّر العالم! اليوم العالم ليس عالم المماليك.

فإذا كنّا نؤمن بأنّ الأساليب تتغيّر وإن كانت النظريّة ثابتة، إذن فلا بدّ لنا أن نفتح باباً للتفكير في هذه الأساليب، كما نفكّر في النظريّات الفقهيّة والنظريّات الأصوليّة، كما نفكّر في (الترتّب) وفي بحث (اجتماع الأمر والنهي)، كما نفكّر في أنّ العصير العنبي هل هو محكوم عليه بالحرمة أو بالنجاسة أو غير محكوم عليه بالحرمة والنجاسة. كذلك لا بدّ وأن نفكّر إلى جانب ذلك بأساليب العمل.

هذا جزء من وظيفتنا، لأنّنا ندرس العلم للعمل ولا ندرس العلم لكي نجمّده في رؤوسنا. نحن ورثة

الأنبياء بحسب زعمنا[1]، والأنبياء عالمون من دون عمل؟! فإذا كنّا نحن ورثة الأنبياء فيجب أن نفكّر في أنّنا عالمون لكي نجعل جزءاً من وظيفتنا أن نطرح على أنفسنا، أن نطرح على أساتذتنا، أن نطرح على زملائنا، أن نطرح في كلِّ مكان هذه الأسئلة: ما هو العمل؟ كيف نعمل؟ ما هي أساليب العمل؟ كيف يمكن تجديد أساليب العمل بالشكل الذي ينسجم مع اليوم؟ مع أمّة اليوم؟!

نحن نتعامل مع عالم اليوم لا مع عالم عصر المماليك، إذن كيف نتعامل مع عالم اليوم؟!

هذه مسائل، هذه أسئلة قد يكون جوابها صعباً في بداية الأمر، لأنّه ليس هناك مطالعات، ليس هناك ترويض فكري على الجواب عليها. قد تجد أنَّ الجواب على مسألة أصوليّة سهل، لأنّ هذا الإنسان الذي تسأله قد درس الأصول عشرين سنة. وأمّا مثل هذه الأسئلة، حيث إنّها بنفسها أيضاً أسئلة دقيقة ومرتبطة بمدى خبرة الإنسان وتجاربه واطّلاعه على ظروف العالم.. ولهذا قد يجد الصعوبة في الجواب على هذه الأسئلة. لكن هذه الصعوبة لا بدَّ من تذليلها بالبحث والتفكير ومواصلة البحث والتفكير.

إذن فلا بدّ وأن نجعل جزءاً من وظيفتنا أن نفكّر دائماً في أنّه كيف نغيّر أساليب العمل، كيف ننسجم مع وضعنا، مع بيئتنا.

لماذا تعيش الحوزة في هذا البلد مئات السنين، ثمَّ بعد هذا يظهر إفلاسها في نفس هذا البلد الذي تعيش فيه؟! في نفس هذا البلد الذي تعيش فيه يظهر إفلاس هذه الحوزة، وإذا بأبناء هذا البلد، وإذا بأبناء هذا البلد أو ببعض أبناء هذا البلد يظهرون بمظهر الأعداء والحاقدين والحاسدين والمتربّصين بهذه الحوزة!!!

ألا تفكّرون في أنَّ هذه جريمتنا قبل أن تكون جريمتهم؟ في أنّ هذه هي مسؤوليّتنا قبل أن تكون مسؤوليّتهم؟ لأنّنا لم نتعامل معهم، نحن تعاملنا مع أجدادهم ولم نتعامل معهم! فهؤلاء، هذه الأجيال التي تحقد علينا، تتربّص بنا اليوم، تشعر بأنّنا نتعامل مع الموتى، لا نتعامل مع الأحياء! ولهذا يحقدون علينا، ولهذا يتربّصون بنا، لأنّنا لم نقدّم لهم شيئاً، لأنّنا لم نتفاعل معهم.

أنا منذ سنة، منذ أكثر من سنة أتحدّث مع الإخوان، ومع الأعزّاء في أنّ كلَّ واحدٍ من أهل العلم ـ كلّ واحد يكون عنده قدرة ـ لو كان يكّون له مجلساً، مجلساً تبليغيّاً في النجف الأشرف يضمّ خمسة فقط لا أكثر من خمسة، يضمّ هذا البقّال الذي يشتري منه اللبن، هذا العطّار الذي يشتري منه السكّر، هذا الجار الذي يسلّم عليه عندما يخرج من بيته، يضمّ خمسة.. لو كان كلُّ واحد من أهل العلم عنده مجلس تبليغي في يوم الجمعة بدلاً عن أن يذهب إلى (الكوفة) ويسبح من الصبح إلى العصر، بدلاً عن أن يبذّر الوقت بالمطاردة في الشعر، بدلاً عن أن يبذّر الوقت في ألف لهو ولهو... بدلاً عن كلّ ذلك لو أنّه يستثمر جزءاً من هذا الوقت الذي يهدره لا في غرض معقول، لو يستثمر جزءاً من هذا الوقت في تكوين مجلسٍ تبليغيٍّ لخمسة من أبناء النجف.. لو أنّ ألف طلبة كلّ واحد منهم يكّون مجلساً تبليغيّاً لخمسة، لكان لدينا قاعدة شعبيّة مكوّنة من خمسة آلاف، لأحسَّ الناس من أبناء البلد بأنّنا نتعامل معهم، أنّنا نفكّر فيهم، أنّنا نعطيهم، أنَّ وجودنا مرتبط بوجودهم، أنَّ حياتنا مصدر خير لهم، مصدر عطاء لهم. لكنّنا، لكنّنا لم نتعامل معهم، ومن الطبيعي أن لا يتعاملوا معنا إذا كنّا لا نتعامل معهم.

إذن لا بدّ لنا أن نفكّر في تغيير أساليب العمل ولا بدّ لنا دائماً أن نفكّر فيما هي الأساليب الأفضل والأصح.

[ج ـ العقلية الرياضيّة والعقليّة الاجتماعيّة]

بقيت هناك نقطة أخرى متمّمة لهذه النقطة لا بدّ لي من إثارتها، وأظنُّ الوقت انتهى، على نحو

---

(١) إشارة إلى قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ العلماء ورثة الأنبياء» (الكافي ١: ٣٢).

الاختصار أقولها، وهي: أنّنا حينما نفكّر في أساليب العمل يجب أن لا نفكّر في أساليب العمل بعقليّة الأصول والفقه، يجب أن لا نفكّر في أساليب العمل بعقليّة (الترتّب) و(استحالة اجتماع الأمر والنهي)، بعقليّة الرياضيّة.

هناك عقليّة رياضيّة، وهناك عقليّة اجتماعيّة. توجد عقليّتان، يوجد نوعان من التفكير، تفكير رياضي، وتفكير اجتماعي.

التفكير الرياضي: هو التفكير الذي لا يقبل حقيقة من الحقائق إلاّ إذا كانت كلُّ نقاط الضعف فيها قد أزيلت بالبرهان، بالبرهان القوي الواضح الذي لا يقبل الشكّ والجدال، إذا كانت النتيجة الرياضيّة واضحة بعد التحليل على مستوى أنّ ٢ + ٢ = ٤ حينئذ تقبل، وأما إذا لم يكن البرهان الواضح القاطع على صحّتها لا تقبل. هذا هو التفكير الرياضي، وهذا هو التفكير الذي نعيشه في علم الأصول، لأنّ كثيراً من قواعد علم الأصول يبنى على أساس البرهنة. لكنَّ هذا التفكير يختلف عن التفكير الاجتماعي، التفكير الاجتماعي لا يمكن أن نطلب فيه البرهان، لا يُمكن أن نطلب في التفكير الاجتماعي البرهان.

لنرجع مرّة أخرى إلى ذاك المثال الساذج البسيط حينما نريد أن نغيّر كتاباً دراسيّاً بكتاب دراسيٍّ آخر لا يمكن أن نطلب في مقام الامتناع برهاناً رياضيّاً بحيث إنّي أبرهن لك على أنّه لو لم يدرسْ هذا الكتاب لوقع اجتماع النقيضين، وأمّا لو درس هذا الكتاب فلا يقع اجتماع النقيضين، مثل هذا البرهان الرياضي لا يمكن أن يكون في العمل الاجتماعي.

العمل الاجتماعي يقوم على أساس الحدس الاجتماعي، والحدس الاجتماعي يتكوّن من الخبرة، والتجربة ومن الاطّلاع على ظروف العالم وملابسات العالم.

إذن فيجب أن نفتح أعيننا على العالم.

إذن يجب أن نعيش الخبرة والتجربة في العالم.

إذن يجب أن نفكّر في أساليب العمل لا بالطريقة التي نفكّر فيها في أساليب الأصول، نغمض أعيننا ونجلس في الغرفة ونفكّر في أنَّ الترتّب مستحيل أو ممكن.

نعم هذه هي الطريقة المفضّلة في التفكير، في أنّ الترتّب مستحيل أو ممكن، أن نجلس في غرفة خالية ونقفل باب الغرفة ثمَّ نفكّر في أنّ الترتّب مستحيل أو ممكن، لأنّها مسألة نظريّة تنبع من واقع الأمر لا تنبع من الخارج.

وأمّا العمل الاجتماعي، فالعمل الاجتماعي يحتاج إلى حدس اجتماعي، والحدس الاجتماعي يتكوّن من خلال التفاعل مع الناس، من خلال الاطّلاع على ظروف العالم، من خلال الاطّلاع على الملابسات، من خلال الاطّلاع على التجارب التي قام بها الآخرون، من خلال المقارنة بين أحوالنا وأحوال الآخرين، من خلال كلّ ذلك يتكوّن هذا الحدس الاجتماعي.

إذن فلكي نكون متّجهين اتّجاهاً صحيحاً في تفكيرنا، في أساليب العمل، يجب أن نغيّر من طريقة تفكيرنا، يعني أن لا نصطنع نفس الطريقة الأصوليّة حينما نفكّر في أساليب العمل، وإنّما نعتمد على الحدس الاجتماعي ونفتّش عن كيفيّة تكوين هذا الحدس في أذهاننا، عن طريق تعميق خبراتنا وتجاربنا.

وفقنا الله وإيّاكم... وغفر الله لنا ولكم...»[1].

حماية السيّد الصدر﵀ مرجعيّة السيّد محسن الحكيم﵀

في ٢٧/صفر/١٣٨٩هـ (١٦/٥/١٩٦٩م)[1]، قام السيّد الصدر﵀ وبالتنسيق مع (جماعة العلماء في

---

(١) طابقنا المحاضرة من خلال شريط الكاسيت، وبينها وبين ما هو منشور يسيرُ اختلاف.

الكاظميّة وبغداد) و(جماعة علماء النجف) بتنظيم تجمّعٍ جماهيريٍّ حاشد في مرقد الإمام علي عليه السلام في النجف تضامناً مع السيّد محسن الحكيم رحمه الله وتنديداً بتصرّفات النظام ضدّه. وقد ألقى السيّد مهدي الحكيم رحمه الله كلمة نيابةً عن والده حدّد فيها الموقف العام للمرجعيّة من الأوضاع السياسيّة. وكانت هذه الكلمة في الواقع من بنات أفكار السيّد الصدر رحمه الله الذي كتب مسودّتها بنفسه(٢)، وكان السيّد الحكيم رحمه الله نفسه قد كلّفه بكتابتها(٣)، ثمّ راجعها وعدّل فيها، وكانت أكثر هذه التعديلات ترتبط بالأسلوب لا بالمضمون، باعتبار أنّ أسلوب السيّد الحكيم رحمه الله بوصفه مرجعاً يحتاج إلى لون خاص من التخاطب مع الناس(٤)، ولذا فقد أضاف السيّد الحكيم رحمه الله بعض الكلمات(٥).

وقد حضر هذا الاحتفال السيّد الحكيم والسيّد الخوئي والشيخ مرتضى آل ياسين والسيّد عبد الله الشيرازي والسيّد الصدر رحمهم الله(٦). وكان الأخير قد خرج من بيته إلى الصحن الشريف من جهة باب الطوسي رحمه الله وجلس في المجلس وإلى جانبه السيّد محمود الهاشمي ووراءه بقليل الشيخ أديب حيدر(٧). وهذا نصُّ البيان:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أيّها المؤمنون

إنّ هذه الأيّام تحمل إلينا وإلى المسلمين كافّة ذكرى أعظم مصيبةٍ مني بها الإسلام وأصيبت بها الأمّة الإسلاميّة، وهي فقدها نبيّها العظيم الذي أنشأ هذه الأمّة وحدّد لها معالم وجودها.

ولم يكن فقدُ النبي يعبّر عن خسارة رجلٍ عظيمٍ فحسب، بل كان يعبّر أيضاً عن بداية أخطار عظيمة تهدّد كيان الأمّة وتعصف بوجودها وتزعزع تماسكها وتلاحمها وتصدع رسالتها وعقيدتها.

وهكذا كان، فقد بدأت المحن والفتن تعصف بالأمّة الإسلاميّة ورسالتها، وكان الواعون من المسلمين

---

(١) انظر: نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٤٩ ؛ الإمام الحكيم ـ الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلاميّة: ٧٤ ؛ الإمام محمّد باقر الصدر معايشة من قريب: ٥٠. وقد ذكر آخرون أنّ ذلك كان في ٢٨/صفر (سنوات الجمر: ١١٣)، ولكنّ الأوّل أكثر شهرةً، وقد نقله من عايش تلك المرحلة، فيكون الاعتماد عليه، إضافةً إلى ما جاء في: هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٥، وهو مصدرٌ دقيق.

ثمّ إنّ بعض الباحثين قد ذكر أنّ ما قام به السيّد الصدر رحمه الله كان بعد عودته من لبنان (الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٨٠)، وهو غير صحيح على ما يأتيك من بيان للأحداث.

(٢) انظر: نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٤٩ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٧٦ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٦٧ ـ ١٦٨ ؛ الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٨٠ ؛ الإمام محمّد باقر الصدر.. معايشة من قريب: ٥٠ ؛ الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ١٧ ـ ١٨. ويقول الشيخ أديب حيدر: إنّه ليس متأكّداً إن كان البيان الذي تلاه السيّد مهدي رحمه الله من كتابة السيّد الصدر رحمه الله، ولكنّه متأكّدٌ من أنّه شارك في صياغة أفكاره [صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديثٍ مع الشيخ أديب حيدر].

(٣) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ١٩ ؛ مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (رحمه الله).

(٤) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ١٩.

(٥) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (رحمه الله).

(٦) انظر: سنوات الجمر: ١١٣ ـ ١١٤.

(٧) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠٤م.

بقيادة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام يواجهون تلك المحن والفتن بقلب مطمئنٍّ وإرادة صامدة وروحٍ مستعدّة للتضحية والفداء، وكانت القيادة الواعية لأئمّتنا الأطهار وسائر الواعين من أبناء الأمّة هي الضمان الوحيد لعدم الانحراف، والقوّة الصامدة في وجه الضلال، وقد كلّف ذلك أئمّتنا عليهم السلام حياتهم، فخرّ هذا الإمام العظيم صريعاً في المحراب وهو يدافع عنكم وعن رسالتكم وكرامتكم، وخرّ أولاده صرعى بين قتيلٍ ومسموم، ولم يترك أهل البيت عليهم السلام ـ بالرغم من كلّ ما لاقوه من ألوان المحن والاضطهاد ـ خطّهم العظيم وعملهم المتواصل في خدمة الإسلام ودفع الظلم عن الأمّة والحفاظ على مصالحها ومقاومة الحكّام الظالمين الذين يتآمرون عليها.

وجاء بعد ذلك دور العلماء، فكانوا ورثة الأئمّة في قيادتهم، وامتداداً لدورهم في الذبّ عن مصالح الأمّة والدفاع عن كرامتها وحماية تراثها وعقائدها، وقد كان العالم في مختلف العصور التي مرّت بها الأمّة يعيش دائماً مع الناس وفي قلوب الناس، يذبّ عنهم إذا اضطهدوا ويواسيهم إذا أوذوا ويعيش محنتهم إذا امتحنوا، ويرفض أيّ مساومة مهما كانت لكي يظلّ الممثّل الحقيقي لمصالح الأمّة وعقيدتها.

وتاريخ النجف.. نجفكم أيّها المؤمنون في كلّ مكان.. أيّها المسلمون في أرجاء الأرض.. نجفكم الصامد المجاهد الثابت على خطّ أئمّتكم الطاهرين.. إنّ تاريخ النجف أكبر دليل على هذه الحقيقة الناصعة، لأنّ النجف منذ عشرة قرون تقريباً وإلى يومنا هذا هو مركز العلماء وبلد الحوزة العلميّة التي تحمل رسالة الإسلام وفقه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام.

وقد أثبتت هذه الحوزة العلميّة في مواقفها المختلفة التي وقفتها بقيادة علمائها الأعلام أنّها هي اللسان المعبّر عن مصالحكم أيّها المسلمون، وأنّها هي القوّة المستعدّة للتضحية في سبيل كرامتكم، وأنّها هي الجهة التي لا تقبل أيّ مساومة من المساومات على حسابكم، فكلّ الناس يعرفون ـ حكومةً وشعباً ـ أنّ هذه الحوزة بمختلف قطاعاتها العربيّة وغير العربيّة هي التي تزعّمت بقيادة علمائها الأعلام معركة الشعب العراقي الأبيّ ضدّ الغزاة الإنجليز حين دخل الاستعمار الكافر بلادنا بقوّة السلاح والنار[1]، فقد زحف العلماء بقواعدهم الشعبيّة إلى خطّ النار للذبّ عن أعدائها الغزاة المستعمرين. وكلُّ الناس يعرفون أنّ المستعمر الكافر حين واجه الثورة المسلّحة التي خاضها الشعب العراقي برعاية العلماء، حاول أن يدخل في مساومات مع العلماء لكي يعزلهم عن دورهم الحقيقي[2]، بينما انهارت كثيرٌ من الجهات الأخرى أمام مساومات الاستعمار.

وقد كلّف الحوزة هذا الصمودُ ثمناً غالياً، إذ بدأ الاستعمار منذ وطأت قدمه هذه الأرض الطيّبة يفكّر في القضاء على الحوزة العلميّة وتفتيت وجودها. وكلّ الناس يعرفون موقف العلماء يوم وضع الاستعمار آنذاك المخطّط الرهيب بتشريع القوانين الكافرة التي استهدفت إبعاد الأمّة تدريجيّاً عن أصالتها الفكريّة ودينها القويم، وإشاعة عوامل الفرقة والبغضاء في صفوفها، وإخماد معاني العزّة والكرامة والرفعة في نفوس أبنائها.

ثمّ تعاقبت الحكومات واحدة بعد الأخرى وهي تجري وفق هذا المخطّط بقصد أو بدون قصد في الأخذ بخناق الأمّة وكبت حريّتها وإرادتها وإرهاقها بالقوانين الظالمة المرتجلة.

وكلّ الناس يعرفون من الذي كان يعبّر عن ظلاماتهم وبؤسهم، ويطالب بحقوقهم ومصالحهم منذ بدأ الناس يضطهدون في عقائدهم وفي أنفسهم، ويقاسون الظلم الاجتماعي والظلم الاقتصادي والظلم الطائفي

---

(١) يقصد حركة السيّد محمّد سعيد الحبّوبي رحمه الله.
(٢) يقصد قصّة المجدّد الشيرازي رحمه الله مع الإنجليز على ما يبدو.

والظلم العنصري.. في وجودهم وكيانهم.

إنّ الحوزة العلميّة بقيادة المرجعيّة العليا هي التي كانت تقول كلمة الحقّ في كلّ حين، وسوف تقول هذه الكلمة كذلك إن شاء الله.

إنّنا نريد أن يصبح واضحاً كلّ الوضوح للشعوب الإسلاميّة وللحكومات، أنّ هذا المركز الديني المتمثّل بالحوزة العلميّة جزءٌ لا يتجزّأ من كيان الأمّة، لأنّه الجزء المعبّر عن عقيدتها ومصالحها والحامي لرسالتها وتراثها.

وعلى هذا الأساس يجب أن لا يتأثّر وضع الحوزة بأيّ خلافات ونزاعات مهما كان مضمونها ومهما كان الظرف فيها، لأنّ الحوزة هي ممثّلة الإسلام قبل كلّ شيء، وليست ملكاً لهذا الإقليم أو لذاك، لكي تزجّ في الخلاف.

والمرجعيّة العليا تشعر بمسؤوليّة الحفاظ على الإسلام والمسلمين، والتدخّل لحلّ مشاكلهم أينما كانت هذه المشاكل، لأنّها بحكم أبوّتها العامّة للمسلمين على اختلاف أقطارهم وشعوبهم، تدرك بأنّ من واجبها أن تقف موقف الإصلاح لحقن الدماء في أيّ مشكلةٍ من مشاكل المسلمين، ولكن بالنحو الذي يحفظ للدين كرامته وللحوزة العلميّة عزّتها وهيبتها وقدرتها على الإصلاح والتأثير.

وإنّنا نريد أن يصبح أيضاً واضحاً كلّ الوضوح للمسلمين ـ حكّاماً وشعوباً ـ أنّ العتبات المقدّسة في النجف الأشرف وكربلاء والكاظميّة وسامرّاء هي منارات الإسلام في عراقنا الكريم، شأنها في ذلك شأن مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة والقدس الشريف.. تهفو إليها قلوب المسلمين، ويقصدونها من كلّ حدب وصوب.. يؤدّون فيها شعائرهم الدينيّة ويتقرّبون بتعظيمها إلى الله سبحانه، وهي من أجل ذلك كانت منذ بعيد ولا تزال تضمّ المسلمين من مختلف أقطار العالم الإسلامي وشعوبه.. يجدون في ظلالها المقدّسة حاجاتهم من الغذاء الروحي ومثلهم الدينيّة الرفيعة، كما أنّها تجعل العراق في عداد البلاد المقدّسة في نظر المسلمين، وتمنحه مكرمةً يفتخر بها على كثير من البلاد الإسلاميّة. ولا بدّ أن تبقى هذه العتبات محتفظة بطابعها الإسلامي دون أيِّ تخصيص، ويجب أن يظلّ المسلم من أبناء الأمّة الإسلاميّة قادراً على ممارسة الشعائر الدينيّة فيها، ومواصلة العيش في كنفها مهما كانت قوميّته ما دام منسجماً مع قيمها ومثلها، ومحتفظاً بكرامتها.

ويجب على المسلمين جميعاً ـ شعوباً وحكومات ـ أن يعملوا على تحقيق هذا الغرض، ويقدّموا التسهيلات كافّة لاحترام هذه العتبات وتعظيمها وإعمارها.

أيّها المسلمون..

ونريد أن يصبح واضحاً كلّ الوضوح أنّنا أحوج ما نكون دائماً وفي هذا الظرف العصيب بالذات ـ ونحن نواجه أكبر خطر يهدّد الإسلام ومتمثّلاً في الغزو الصهيوني الغادر ـ أنّنا أحوج ما نكون إلى الشعور الحقيقي بالمسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى لإنقاذ أرضنا المغتصبة وإرجاع فلسطين إلى دار الإسلام، وأنّ التصميم والعزم والإخلاص والإرادة في العمل الجاد والابتعاد عن مظاهر الانحلال والتفسّخ والكلام غير الهادف، والتوكّل على الله سبحانه والاستعانة به بعد ذلك لمن أهم عوامل النصر.

أيّها المسلمون..

وهناك شيءٌ بالغ الأهمّية بهذا الصدد يجب التأكيد عليه، هو بناء الجبهة الداخليّة والتصدّي لمعالجتها وحلّ مشاكلها المختلفة المتزايدة، إذ من الواجب القضاء على جميع عوامل التفكّك والانهيار، وإمداد هذه الجبهة بعناصر القوّة والعزيمة والصمود. ولا يمكن أن يتحقّق ذلك إلاّ بالتأكيد على القيم الروحيّة، والرجوع إلى القاعدة الإسلاميّة، ورفض الأفكار الضالّة والانحرافات الاجتماعيّة، والقضاء على الفساد الاجتماعي

والأَثَرَة والتفرقة العنصريّة والطائفيّة، وإشعار المواطنين بحقوق المواطنة العامّة والعزّة والكرامة، وبدون ذلك فسوف نواجه العدو الصهيوني بمواطنين متفكّكين، تعوّدوا الظلم والاضطهاد والاستسلام. ولا يمكن لمثل هذا المواطن المنهار روحيّاً واجتماعيّاً أن يصمد أمام الغزو، وأن يثور على الظلم ويثأر على الظالم المغتصب.

ومن الواجب على حكّام الشعوب الإسلاميّة الالتفات إلى هذه الحقائق الناصعة، والعمل على تحقيقها.. والله سبحانه هو الموفّق للصواب.

ارفعوا أيديكم بهذه الفقرات من دعاء الافتتاح:

(اللهمّ إنّا نرغب إليك في دولةٍ كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذلّ بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة... اللهمّ إنّا نشكو إليك فقد نبيّنا صلواتك عليه وآله، وغيبة وليّنا، وكثرة عدوّنا، وقلّة عددنا، وشدّة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا. فصلِّ على محمّد وآل محمّد، وأعنّا على ذلك بفتحٍ منك تعجّله، ونصر تعزّه، وسلطان حقٍّ تظهره، ورحمةٍ منك تجلّلناها، وعافية منك تلبسناها.. برحمتك يا أرحم الراحمين)[١]»[٢].

وأثناء إلقاء السيّد مهدي هذه الكلمة كان السيّد الصدر رحمه الله قد أخرج المسودّة من جيبه وراح يتابع معه ما يتلوه، وكان يعلّق: «**هذه العبارة حذفها السيّد، وهذه أضافها، وهذه عدّلها..**»[٣]، وكان فرحاً عندما كان السيّد مهدي رحمه الله يلقي الكلمة[٤]. وكان من المقرّر القيام بنشاط أوسع من ذلك، وهو تنظيم مظاهرة شعبيّة تضامناً مع السيّد الحكيم رحمه الله في إحدى ضواحي بغداد. ولكنّ حكومة البعث بادرت ـ وقبل تنفيذ المخطّط ـ إلى إعلانها عن كشف محاولة لقلب نظام الحكم بواسطة ضبّاط كبار ورجال أعمال شيعة مرتبطين بإيران والغرب (الولايات المتّحدة وإسرائيل) واتّهام السيّد مهدي الحكيم رحمه الله بأنّه كان الرأس المدبّر للانقلاب على ما يأتي[٥].

ردود الفعل على احتفال (صفر)

بعد ثلاثة أيّام من احتفال (صفر) الذي أقامته (جماعة العلماء) في مرقد الإمام علي عليه السلام، شنّت السلطة حملة اعتقالات جديدة في ١٩٦٩/٥/١٨م (١/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) شملت عدداً من علماء الدين الذين تمّ نقلهم إلى زنزانات (قصر النهاية). ومن بين هؤلاء الشيخ عبد العزيز البدري في بغداد الذي قتل بعد تهشيم جمجمته في ١٩٦٩/٧/١٥م (٢٩/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ) ورميت جثّته قرب داره.

ومن بين المعتقلين السيّد حسن الشيرازي رحمه الله الذي عرضت عليه السلطة قائمة بأسماء (٣٠)[٦] شخصيّة إسلاميّة بارزة بينهم عددٌ من المراجع وعلماء الدين كالسيّد محسن الحكيم رحمه الله والسيّد

---

(١) التهذيب ٣: ١١١.

(٢) سنوات الجمر: ٥٥٣ ـ ٥٥٨ ؛ وانظر: صحيفة (الحياة)، العدد ٧١٧٢، ١٩٦٩/٨/٤: ٨ ؛ وفي: الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٠٥ أنّ الكلمة ألقيت بمناسبة ولادة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وقد اتّضح ما في ذلك.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(٤) صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديثٍ مع الشيخ أديب حيدر.

(٥) الحياة السياسيّة للإمام الصدر: ٤٨٠.

(٦) في سنوات الجمر (٣٠٠) بدل (٣٠) وما أثبتناه من: قصص وخواطر: ٤٦٨ عن السيّد حسن الشيرازي رحمه الله نفسه.

الخميني رحمه الله والسيّد موسى الصدر، وحاولوا تحت مختلف الضغوط إجباره على الظهور في وسائل الإعلام والإقرار بأنّ هؤلاء جواسيس وعملاء لجهات أجنبيّة، إلاّ أنّه رفض[(١)].

السيّد موسى الصدر رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

في ١٩٦٩/٥/٢٢م (٦/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ)، تمّ انتخاب السيّد موسى الصدر رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان[(٢)].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يعتبر وجود السيّد موسى الصدر والمشروع الذي يتصدّى له في لبنان مشروعَه، ولهذا كان يدعم مشروع تأسيس المجلس الإسلامي الشيعي في لبنان ويعتبره إنجازاً سياسيّاً كبيراً يمكن أن يكون له دورٌ مهمٌّ لدعم حركة المرجعيّة والكيان الإسلامي، ولهذا كان له التأثير الكبير على السيّد محسن الحكيم رحمه الله في تأسيس المشروع ودعمه[(٣)]، إلى جانب السيّد مهدي الحكيم والشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمهما الله[(٤)]، كما كان للسيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله دورٌ في تأسيس المجلس[(٥)].

سفر السيّد محسن الحكيم رحمه الله إلى بغداد

يقول السيّد مرتضى العسكري: إنّ بعض مخلصي الشيعة الذين كانوا يعملون في جهاز الأمن التابع إلى القصر الجمهوري كانوا يسرّبون المعلومات المرتبطة بنشاطات المرجعيّة إلى السيّد العسكري والسيّد مهدي الحكيم رحمه الله. وقد بلغ السيّدَ العسكري أنّ السلطة دبّرت له وللسيّد مهدي رحمه الله تهمة العمالة، وقد اطّلع كلاهما على الموضوع، إلاّ أنّ أيّاً منهما لم يطلع الآخر على الخبر مخافة أن ينهار، حتّى علم كلٌّ منهما فيما بعد بأنّ الآخر على علم بالأمر[(٦)].

وكما تقدّم، فقد أعلن وزير الداخليّة صالح مهدي عمّاش عن إلغاء جامعة الكوفة ومصادرة أموالها. كما وتضمّن قانون التجنيد الجديد عدم إعفاء طلبة الحوزة من الخدمة الإلزاميّة. هذا إضافةً إلى مضايقة أصحاب المواكب الحسينيّة والاعتقالات الواسعة التي طالت أعداداً كبيرة من الشخصيّات السياسيّة.

---

(١) سنوات الجمر: ١١٤ ـ ١١٥. لكنّ الوارد في مصدر آخر: الشيخ محمّد الشريعة في باكستان والسيّد موسى الصدر في لبنان والشيخ محمّد تقي الفلسفي في إيران والسيّد مصطفى الخميني في النجف (قصص وخواطر: ٤٦٨). وقد ذكر لي السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م أنّ رشيد مصلح هو الذي اتّهم السيّد حسن الشيرازي رحمه الله بالعمالة عبر التلفاز، وأضاف السيّد الكشميري بأنّه وفي هذه الظروف العصيبة كان السيّد محمّد رضا الحكيم رحمه الله نجل السيّد الحكيم رحمه الله يُرى وهو يتمشّى مع محمود الصافي.

(٢) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ١٩.

(٣) الإمام محمّد باقر الصدر.. معايشة من قريب: ١٦، نقلاً عن السيّد عبد العزيز الحكيم.

(٤) الإمام السيّد موسى الصدر، السيّد حسين شرف الدين: ١١٨.

(٥) شهداء العلم والفضيلة في العراق: ١٣٨.

(٦) انظر حول الموضوع: كلمة للسيّد مرتضى العسكري بمناسبة ذكرى السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢هـ ؛ من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٥ ـ ٨٧، ٩٧ ـ ٩٨ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٥٧ ـ ١٥٩ ؛ سنوات الجمر: ١١٨ ـ ١١٩. وما ورد لحدّ الآن ذكره السيّد العسكري في كلمته، وقال: إنّ دعوة السيّد محسن الحكيم رحمه الله إلى بغداد كانت على إثر الاطّلاع على تهمة العمالة.

في هذه الفترة أمر السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله بعقد اجتماع ضمّ نحو ستّين عالماً من بغداد والكاظميّة[١]، وقد جرى عقد الاجتماع في حسينيّة التميمي في (رخيته) في منطقة الكرّادة الشرقيّة في بغداد والتي يؤمّ الصلاة فيها السيّد مهدي الحكيم‏رحمه الله.

انعقد الاجتماع وخلص المجتمعون إلى أنّ الشعب العراقي سيطر عليه الخوف بشكلٍ غير طبيعي، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن يمارس أيُّ عمل في مواجهة السلطة ما لم يكسرً هذا الخوف، ويجب بيان إسناد وتأييد الناس للمرجع.

وكان من جملة القرارات دعوة السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله إلى السفر إلى بغداد وتعبئة الجماهير ضدّ إجراءات حكومة البعث[٢]. وتمّ انتخاب عشرة علماء من بين المجتمعين توجّهوا إلى النجف الأشرف لمقابلة السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله وإبلاغه نتائجَ الاجتماع، وكان من بينهم: السيّد مرتضى العسكري، الشيخ علي الصغير، السيّد محمّد الخلاني، السيّد هادي الحكيم والسيّد مهدي الحكيم.

وعرض الوفد الفكرة على السيّد الحكيم‏رحمه الله. وأثناء اللقاء، سأل السيّد الحكيم‏رحمه الله نجله السيّد مهدي: «**لماذا أنت ساكت؟**»، فأجابه: «**إنّ من الصعوبة بمكان أن أبدي رأياً يتعلّق بك لأنّك لا تمثّل نفسك وإنّما تمثّل أمّة، وخطؤك ليس خطأ فرد، وإنّ الله قد عوّدك على الجميل وأنت والحمد لله تملك القدرة على التفكير بشكل جيّد.. لذلك أرى أن تخلو بنفسك وتفكّر والله سبحانه وتعالى يلهمك الصواب.. وانظر ما هي المصلحة**».

على ضوء ذلك قرّر السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله التوجّه إلى بغداد من أجل كسر طوق الخوف ومن أجل القيام بتحرّك حقيقي، ولكنّ السيّد مهدي اتّفق مع السيّد هادي الحكيم على أن لا يتمّ إعلان الخبر خوفاً من العدول عن الفكرة.

[ومن جملة ما قاله السيّد الحكيم‏رحمه الله يومذاك: «**أنا أشعر بأنّي لا أطمع في أيّ شيءٍ من الحياة، في أيّ شيءٍ من الأشياء حتّى في الأشياء العاديّة التي يشتهيها الإنسان من الأكل والشرب وما أشبه ذلك، وأفضلُ شيءٍ بالنسبة لي هو أن أذهب إلى فراشي وأنام، فهذا يقتضيه وضعي الجسمي والنفسي والشخصي، ولكنّني أشعر أنّ سفري إلى بغداد كسفر الحسين بن علي‏عليه السلام إلى كربلاء، فأنا أشعر بمسؤوليّة شرعيّة لا بدّ لي أن أتحمّلها في هذا الموضوع، والقضيّة ليست قضيّة مصالح أو جاه أو سمعة أو استقبال أو أيِّ شيء..**»][٣].

[وكان السيّد الخميني‏رحمه الله مخالفاً لخروج السيّد الحكيم‏رحمه الله من النجف، وأوصل إليه ذلك، لكن لم يُؤخذ برأيه][٤]، وذلك خلافاً للسيّد الصدر‏رحمه الله الذي [ذكر للسيّد حسين هادي الصدر ـ لاحقاً ـ أنّه كان يتوقّع ضرب المرجعيّة وكان يرى أنّه لا يناسب كرامة المرجعيّة أن تضرب وهي ساكتة وأنّه لا بدّ من التحرّك، وذكر له أنّه كان قد اقترح شخصيّاً على السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله قبل هذا التاريخ أن يقوم بجولات ميدانيّة تشمل عدّة محافظات في العراق لتهيئة الأرضيّة الشعبيّة المناسبة استعداداً

---

(١) في: مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٥ سبعون معمّماً وفي المصدر نفسه: ٩٧ ستّون عالماً. ومن هنا ورد في: سنوات الجمر: ١١٦ سبعون عالماً بدل ستّين.

(٢) قيل إنّ ذلك كان بتوجيه من السيّد الصدر‏رحمه الله. انظر: مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

(٣) ما بين [] من: الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٤) ما بين [] من: خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي): ١١٥.

وتحسّباً لمثلِ هذا الصدام المحتمل في ذهنه بشكل قوي، إلاّ أنّ السيّد الحكيم رحمه الله لم يقم بهذه الجولة، ويقيناً ـ والكلام لا زال للسيّد الصدر رحمه الله على ما يبدو ـ أنّ جولة شخصيّة للمرجع الأعلى وتطوافاً من هذا القبيلِ في الفرات الأوسط لو كان قد حصل لكان ردّ الفعل الشعبي على تحدّي السلطة للمرجعيّة شيئاً يختلف مدىً ومضموناً وآثاراً عن ردود الفعل التي شهدتها الساحة العراقيّة بعد ذلك الصدام][1].

وعلى أيّة حال ففي اليوم التالي اتّصل السيّد كاظم الحكيم رحمه الله بأخيه السيّد مهدي رحمه الله وقال له: «**إنّ السيّد استثنى**»، فقال السيّد مهدي: «**الحمد لله أنّنا لم نخبر الناس**»، وكان سبب العدول هو عروض حمّى شديدة على السيّد الحكيم رحمه الله.

ويوم السبت ١٤/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ (٣٠/٥/١٩٦٩م)[2] استيقظ السيّد محسن الحكيم رحمه الله وقال لنجله السيّد كاظم: «**قل لسيّد عبّاس ـ السائق الخاص ـ أن يملأ السيّارة بنزين**»، ولمّا أراد الخروج قال له: «**قل لعمّك السيّد سعيد يأتي على إثرنا، أنا ذاهب**». فقال له أحد السادة العلماء: «**سيّدنا أنا لا أرجّح لأنّ هؤلاء أطفال**»، فأجابه السيّد: «**[هؤلاء] لا يسكتون عنّي، فأنا أفجّر الموقف أفضل من أن أنتظرهم ليفجّروه..**».

وعند وصولهم إلى بغداد اتّصل السيّد كاظم مجدّداً بالسيّد مهدي وقال له: «**نحن وصلنا إلى بغداد**»، فكانت هذه مفاجأة.

ووصل السيّد الحكيم رحمه الله إلى محلّ إقامته في الكاظميّة حيث بدأت الوفود المحتشدة تتقاطر إلى محلّ إقامته[3].

زيارة خير الله طلفاح ممثّلاً السلطة

وفي مقرّ إقامة السيّد الحكيم رحمه الله في الكاظميّة، وبحضور كلٍّ من السيّد العسكري والسيّد مهدي الحكيم والسيّد هادي الحكيم، بعث رئيس الجمهوريّة سلاماً إلى السيّد محسن الحكيم رحمه الله حمله إليه خير الله طلفاح محافظ بغداد وحامد العاني مدير الأمن العام. وقد جاء في رسالة رئيس الجمهوريّة بعد إبلاغ السلام: «**جهاز الدولة أمامكم، فماذا تأمرون؟**».

فأجاب السيّد الحكيم رحمه الله: «**أنا مريض، وقد أتيت للعلاج**».

فقال له: «**نقدّم لكم الأطبّاء**».

فقال السيّد الحكيم رحمه الله: «**أنا طبيبي السيّد كاظم شبّر**» ـ وكان موقوفاً ـ، ثمّ أضاف: «**ليست القضيّة قضيّة السيّد كاظم شبّر**» وعدّ له اثنتي عشرة شخصيّة سنيّة موقوفة وقال: «**هؤلاء ثروة البلد، ولا يجوز التفريط في حقّهم**». وقال له: «**على أيّ أساس تتّهمون الناس بكلّ سهولة بالجاسوسيّة و.. ثمّ إنّ هذا العمل غير جيّد، وهو تلويث لسمعتنا نحن العراقيّين لأنّ العالم يرى أنّ شخصيّاتنا ومثقّفينا وأساتذتنا**

---

(١) السيّد حسين [هادي] الصدر في ما نقله عنه الدكتور جودت القزويني (الروض الخميل، مخطوط).

(٢) محنة العراق اليوم: ١٧ ؛ وقد ذكر السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أنّ ذلك كان بعد يومين، ولكنّه ذكر في موضع آخر أنّ ذلك كان بعد أربعة أو خمسة أيّام (من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٩٨).

(٣) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٧، ٩٨.

وأطبّائنا جواسيس، إذاً فكيف هو حال الإنسان العادي؟! فلو قلتم إنّ هؤلاء لهم آراء مخالفة لنا ولسياستنا ولهم اتّجاه خاص، فهذا شيءٌ معقول.. أمّا أن تقولوا إنّ هؤلاء جواسيس، فهذا غير ممكن».

فأجابوا: «**هؤلاء أرادوا شقّ البلد وإجراء الدماء**».

فأجاب السيّد الحكيم رحمه الله: «**هذا كان قبل عصركم، هم حاولوا وأنتم حاولتم، وللمجتهد إن أخطأ حسنة وإن أصاب حسنتان**»، ثمّ أضاف السيّد الحكيم رحمه الله: «**ماذا بالنسبة إلى السيّد حسن الشيرازي؟**» (وكان أهله قد تحدّثوا إلى السيّد العسكري ليثير السيّد الحكيم رحمه الله موضوعه أمامهم).

فأجاب خير الله طلفاح: «**إنّ هناك اعترافات عليه، إذا أحببتم ننشرها الليلة**»، ثمّ قال: «**إنّ المتّهم ليس فقط سيّد حسن، والواقع أنّ هناك شخصين متّهمين: أحدهما اعتقل والآخر ترك لاعتبارات**».

وبعد ذلك قاموا وقام السيّد مهدي رحمه الله ليوصلهم إلى الباب، وبقي مع السيّد محسن رحمه الله كلٌّ من السيّد العسكري والسيّد هادي الحكيم رحمه الله، وكلاهما كان منزعجاً لأنّ السيّد الحكيم رحمه الله لم يقابلهم بشدّة. اتّجه السيّد محسن رحمه الله إلى السيّد هادي رحمه الله قائلاً: «**عمّي! كيف كان الكلام؟**»، فقال: «**كان ليّناً يا عمّ**». وعندما جاء السيّد مهدي قال له والده: «**أتدري من هو الثاني؟**» فقال: «**نعم، أتوقّع أنا**»، فقال: «**هو الصحيح وهذا يعتبر لغة تهديد**»[(١)].

وقد عاتب السيّد مرتضى العسكري السيّد محسن الحكيم رحمه الله على موقفه من الوفد، وقال له: «**سيّدنا! ألم تقل للسيّد عبد الرحمن البزّار أطلقوا سراح فلان، فقال لك: هذا متآمر، فقلت له: أنت متآمر وهو متآمر، والفرق بينكما هو أنّك نجحت وهو لم ينجح! أولم تقل لعبد الله مجيد سكرتير القصر الجمهوري الذي جاء من قبل عبد السلام عارف يقنعك باستقبال عارف بأنّ لك مجموعة من المطالب كإلغاء الاشتراكيّة.. وقال لك: سيّدنا إنّ الوقت ضيّق دعه يزورك وأنا أضمن لك تنفيذ مطالبك، فقلت له: وأنت من يكفلك ومن يضمنك! يمسكك بيدك ويضعك خارجاً.. سيّدنا لماذا تتكلّم مع هؤلاء ـ البعثيّين ـ هكذا؟!**»، فأجابه السيّد الحكيم رحمه الله باختصار: «**هؤلاء غير أولئك**»[(٢)].

تعطيل السيّد الصدر رحمه الله درسه

أبّان اشتداد الأزمة بين السيّد محسن الحكيم رحمه الله وبين حزب البعث، قام السيّد الصدر رحمه الله بتعطيل درسه إلى حين رجوعه من لبنان[(٣)] في شهر آب/١٩٦٩م. وربّما كان ذلك بعد هذه الفترة بقليل.

تطوّر الموقف

يوم ١٩٦٩/٦/٢م (١٥/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) حصل السيّد مهدي الحكيم رحمه الله على إجازة سفر. ولعلّه كان يريد السفر لفكّ الضغط عن المرجعيّة.

---

(١) هذا ما جاء في (من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٩٨)، وفي ص: ٨٧ أنّ السيّد مهدي رحمه الله هو الذي قال: «إنّ الآخر الذي ترك لاعتبارات هو أنا».

(٢) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني، نقلاً عن السيّد مرتضى العسكري (رحمه الله).

(٣) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

وفي اليوم التالي، الثلاثاء ١٩٦٩/٦/٣م (١٦/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) جاء السيّد مهدي‌رحمه‌الله خبرٌ من أحد أصدقائه في الكاظميّة كان عنده صديقٌ يعمل في [مديريّة] الأمن العامّة فقال له: «**اليوم ـ الثلاثاء ـ الجماعة استطاعوا أن يأخذوا اعترافاً من مدحت الحاج سري، فإذا كان السيّد مهدي يستطيع أن يغيّب وجهه فليفعل ذلك، كما أنّني بلغني أنّ مدحت حاول الانتحار مرّتين بقطع وريده وأنّ هذا الاعتراف أخذ منه بعد أن هدّد بالاعتداء على عرضه، إذ جاءوا بزوجته أمامه وهدّدوه فقال لهم: نعم أعترف بما تريدون.** وهذا الكلام مثبتٌ في كتابة كتبها بخطّ يده على نسخة من القرآن أرسلها إلى أهله **وفيه أنّ كلّ الذي قلته سواء في ما يتعلّق بشخصي أو ما يتعلّق بالآخرين لا واقع له وإنّما قلته نتيجة التهديد بعرضي**»[(١)].

وفي اليوم التالي، وبمناسبة المولد النبوي في ١٧/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ (١٩٦٩/٦/٤م) زار اللواء حمّاد شهاب وزيرُ الدفاع السيّدَ محسن الحكيم‌رحمه‌الله الذي أظهر له امتعاضه حول طريقة تعامل السلطة مع ذكرى المولد النبوي حيث ألغى النظام الاحتفالات التي كانت تقام بالمناسبة وتبثُّ من الإذاعة الرسميّة، ولم يظهر سوى مقال لميشيل عفلق بعنوان (ميلاد الرسول العربي)[(٢)]، فقال له السيّد الحكيم‌رحمه‌الله: «**إنّ هذا غير ممكن، ومثل هذا الوضع لا يطاق، ففي بلدٍ إسلاميٍّ وفي مولد الرسول‌صلى‌الله‌عليه‌وآله تمرّ هذه المناسبة ليس هناك أيّ مظهر من مظاهر الاحتفال، إلاّ (ميشيل عفلقَ) المسيحي يقيّم رسول الله‌صلى‌الله‌عليه‌وآله ويتكلّم عنه؟**». عندها بدأ حمّاد شهاب يتحدّث عن البعثيّين، وممّا قاله للسيّد الحكيم‌رحمه‌الله: «**إنّ هؤلاء مجرمون وكفرة ملحدون لا يؤمنون بالله ولا برسوله، وهم جماعة أطفال، ونحن الآن نعمل على إفساح المجال لهم لكي يجتمعوا ونتعرّف عليهم ثمّ نجهز عليهم مرّة واحدة ونقضي عليهم جميعاً**»[(٣)].

حزب البعث يقرّر القضاء على المرجعيّة الشيعيّة

أثارت ردود فعل السيّد الحكيم‌رحمه‌الله أحمد حسن البكر الذي دعا رجاله إلى اجتماعٍ [في ١٩٦٩/٦/٥م][(٤)] وكلّف لجنة مؤلّفة من طه الجزراوي وناظم كزار وعبد الوهاب كريم وشبلي العيمسي وصالح مهدي عمّاش بوضع خطّة لذلك. وقال: «**إنّ نجاحنا في ضرب المرجعيّة الشيعيّة سيمكّننا من التحرّك كما نريد لأنّه سيصفى لنا الجوّ بالتخلّص من أكبر قدرة لا مصلحة لها في التقرّب من الحاكم، وهي قدرة تتمتّع بسلطة كبيرة على الشعب ولا تبالي بالموت، وثورة العشرين ضدّ الاستعمار البريطاني أكبر دليل على ذلك**».

ثمّ أخرج رسالة جوابيّة من ميشيل عفلق ظهر بأنّها بشأن المرجعيّة الشيعيّة التي بدأت تقلق بالَ الحكومة وتثير في وجهها بعض الصعوبات، وقد قرأ الرسالة وذكر أنّ عفلق سيصل إلى بغداد قريباً ليبحث الموضوع من جوانبه المختلفة[(٥)].

---

(١) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٨، والظاهر أنّ تمام ما نقلناه بين «» هو للناقل.

(٢) أقول: ربّما في هذا المقال ذكر عفلق أنّ الرسول الأكرم‌صلى‌الله‌عليه‌وآله كان «رجلاً عبقريّاً أنتجته الأمّة العربيّة» (العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ١٦٧).

(٣) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٧.

(٤) ما بين [] من: هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٧.

(٥) سنوات الجمر: ١١٩ ؛ وانظر: نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٥٦٧.

السيّد مهدي الحكيم﵀ يشكو أعمال النظام

لم يبقَ أمام المرجعيّة سوى إظهار الحقائق كاملة، وعندها أقدم السيّد مهدي الحكيم﵀ في ١٩٦٩/٦/٧م (٢١/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ)[١] على رفع مذكّرة إلى قيادة النظام باسم (علماء بغداد والكاظميّة) يحتجّ فيها على مجمل التصرّفات ويدين النظام على أساسها، ويقدّم اقتراحات محدّدة بشأنها.

وقد طلبت هذه المذكّرة من أحمد حسن البكر إفساحَ المجال أمام الفكر الإسلامي وحقّه في استثمار وسائل الإعلام ـ بما فيها الصحف ـ وإيقاف حملات الاعتقال ومطاردة المؤمنين، وفكّ الحصار عن الحوزات العلميّة الدينيّة، ووضع حدٍّ للتيّار الطائفي المتفشّي في البلاد كنتيجة طبيعيّة لممارسة السلطة[٢]، وهذا نصّ المذكّرة:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السيّد رئيس الجمهوريّة المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد.. فانطلاقاً من إيماننا بالمسؤوليّة الملقاة على العلماء والواجب الديني الذي يفرض عليهم أن يقولوا كلمة الحقّ في كلّ الظروف، ويأمروا بالمعروف وينهَوا عن المنكر، ويعبّروا عن حاجات الأمّة ومصالحها الحقيقيّة، ويقدّموا نصائحهم وتوجيهاتهم إلى كلّ المسلمين حكّاماً ومحكومين، واستمراراً في الخطّ الذي سار عليه العلماء بقيادة المرجعيّة الدينيّة العليا في كلّ المراحل السابقة من تاريخ هذا البلد الكريم، ذلك الخطّ الذي عرفت فيه الأمّة بأسرها الموضوعيّة والأصالة والإخلاص لله سبحانه وتعالى، واستلهاماً من الكلمة التوجيهيّة القيّمة لسماحة المرجع الديني الأعلى السيّد محسن الطباطبائي الحكيم التي ألقيت في الصحن الحيدري الشريف.

انطلاقاً من ذلك كلّه، نرى لزاماً علينا أن نتقدّم إليكم [بالمطالب] التالية، راجين النظر فيها باهتمام حقيقيٍّ وتنفيذها، ومؤكّدين ارتباطها بمصلحة هذا البلد وكيانه وجمع شمله، وبالتالي تمكينه من القيام بدوره الحقيقي في المعركة الكبرى التي تخوضها الأمّة الإسلاميّة ضدّ الصهيونيّة والصليبيّة والاستعمار.

أوّلاً: إنّ العقيدة الإسلاميّة هي القاعدة الفكريّة الأصيلة لكلّ أبناء البلد، وبالرغم من ذلك نرى أنّ الإسلام يتعرّض بمفاهيمه وأفكاره لعمليّة تذويب مستمرّة، بينما يعيش البلد ظاهرةً في غاية الخطورة على كيانه الفكري والعقائدي، وهي ظاهرة تسميم الأفكار بالمبادئ الماديّة الكافرة.

وعلى هذا الأساس، فإنّ السلطة مدعوّة بهذا الصدد للقضاء على ظاهرة هذا التسميم العقائدي وإعطاء الإسلام حقّه الطبيعي في أجهزة الإعلام المختلفة، والحيلولة دون تسخير الرقابة على المطبوعات لخنق الفكر الإسلامي أو التضييق على تراثنا الديني.

ثانياً: إنّ القواعد الشعبيّة للمرجعيّة الدينيّة العليا التي تضمّ كلّ المسلمين من أبناء هذا البلد الكريم محرومةٌ من صحيفة يوميّة تعبّر عن عقيدتها أو تساهم في خدمة هذا البلد وحماية مصالحه، بينما نجد أنّ جهات أخرى لا ترتبط بعقيدة هذا البلد وتراثه وتاريخه قد حصلت على ذلك..

ولهذا، فإنّ السلطة مدعوّة لإجازة صدور صحيفة إسلاميّة تعبّر عن عقيدة الأمّة وترتبط بقيادتها

---

(١) في: حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٥٩: ١٩٦٩/٦/٥م وما أثبتناه من البيان نفسه.

(٢) سنوات الجمر: ١١٦.

الدينيّة.

ثالثاً: إنّ البلد يعيش مشكلة خطيرة هي مشكلة الاعتقالات، وينشأ الخطر في هذه المشكلة من الناحية النظريّة والتطبيقيّة للاعتقال.

فمن الناحية النظريّة يبدو أنّ هناك اتّجاهاً إلى اتّخاذ الاختلاف في وجهات النظر السياسيّة بل والعقائديّة والفكريّة وحده سبباً كافياً للإدانة والتشهير.

ومن الناحية التطبيقيّة يلاحظ بكلّ مرارة أنّ الاعتقالات تتمُّ في كثيرٍ من الأحيان بدون مذكّرة توقيف رسميّة، وأحياناً من قبل أناس لا يحملون أيّة صفة رسميّة. ويمارس بعض الأشخاص مع المعتقلين ألوان التعذيب الجسدي والنفسي في سبيل الإدلاء بأقوال وشهادات كاذبة بالقوّة والإكراه.

ولهذا فإنّ السلطة مدعوّة من الناحية النظريّة إلى عدم اتّخاذ الاختلاف العقائدي أو السياسي بمجرّده سبباً للإدانة أو التشهير بالعمالة والتجسّس، ومن الناحية التطبيقيّة إلى عدم أخذ المعتقلين بدون مذكّرة توقيف رسميّة، وعدم ممارسة التعذيب معهم بقصد الإدلاء بشهادات كاذبة بالقوّة والإكراه، وجعل التحقيق معهم من قبل لجنة تحت إشراف محكمة تمييز العراق والسماح لأهالي المعتقلين وذويهم بزيارتهم.

رابعاً: إنّ دراسات العلوم الدينيّة واقعٌ يعيش في هذا البلد منذ ألف سنة، وقد ساهم في هذه الدراسات علماء وباحثون من مختلف الشعوب الإسلاميّة، كما ساهمت هذه الدراسات في الحفاظ على الرسالة والتراث ورفع المستوى الفكري والديني للأمّة.

ولهذا، لا بدّ من الاعتراف بهذه الدراسات وإعفاء طلبتها العراقيّين من التجنيد ما داموا مواظبين على دراستهم حسب نظام الدراسة الدينيّة تحت إشراف المرجعيّة الدينيّة المقدّم إلى وزارة الدفاع قبل فترة طويلة، ومنح طلبتها غير العراقيّين من تبعيّة البلاد الإسلاميّة الأخرى جوازات الإقامة ما داموا منصرفين إلى البحث والتدريس وطلب العلم.

خامساً: إنّ العتبات المقدّسة هي [المراكز] الدينيّة الكبرى في هذا البلد، التي تعتبر من أعظم شعائر الله سبحانه، ولهذا يجب وضع نظامها بالشكل الذي يحفظ للمراقد كرامتها وقدسيّتها ويؤمّن تطبيق الحكم الشرعي عليها وعلى سائر الأوقاف.

ويجب أن يظلّ المسلم من أبناء الأمّة الإسلاميّة [قادراً] على ممارسة الشعائر الدينيّة فيها ومواصلة العيش في كنفها مهما كانت قوميّته ما دام منسجماً مع قيمها ومثلها ومحتفظاً بكرامتها وأمنها. ومن أجل مراحل ذلك نطالب:

أوّلاً: بالرجوع إلى التعديلات التي اقترحت من قبل المرجعيّة الدينيّة من أجل إجرائها على نظام العتبات المقدّسة وأخذها بعين الاعتبار، وتعديل النظام الجديد للعتبات المقدّسة على أساسها.

ثانياً: رفع مستوى مديريّة العتبات المقدّسة إلى مديريّة عامّة ترتبط برئيس الوزراء مباشرةً من أجل القيام بمهامها بشكل جدّي ومستمر.

ثالثاً: منح أبناء الشعوب الإسلاميّة المختلفة الساكنين في العتبات المقدّسة جوازات الإقامة بالشكل الذي كان معمولاً به سابقاً.

سادساً: إنّ مشكلة الغلاء تتفاقم يوماً بعد يوم، ويقع أكبر عبئها على الفقراء ومحدودي الدخل. ولهذا يجب التفكير الجدّي في وضع حدٍّ لهذه المشكلة ومعالجتها معالجة أساسيّة بالحدّ من التزايد في الضرائب غير المباشرة [التي] تتّجه السلطة إلى وضعها على مختلف السلع والحاجات، والاتّجاه الحقيقي نحو استثمار الطاقات الطبيعيّة والإمكانات الضخمة التي لا تزال عاطلة في هذ البلد بالشكل الذي يؤدّي إلى وفرة الإنتاج وتشغيل الأيدي العاملة وتوفير المستوى المطلوب من الرفاه والتغلّب بذلك على مشكلة الغلاء.

سابعاً: معالجة مشكلة الطائفيّة المزمنة التي تتمثّل في كثير من ألوان المعاملة والإجراءات كما يحدث ذلك في دوائر الجنسيّة، وتجاه بعض الجمعيّات ذات النفع العام كجمعيّة الكوفة وجمعيّة رعاية العتبات المقدّسة وغيرها.. وذلك بالنظر إلى أنّ جميع المواطنين ينتمون إلى هذا البلد ويجب أن يعاملوا على أساس الإخلاص في العمل.

وإنّنا في الوقت الذي نتقدّم بهذه المطالب، نؤمن بأنّ تحقيقها شرطٌ أساسيٌّ في إيجاد الاستقرار في هذا البلد وإعداده لتحمّل مسؤوليّاته الكبيرة في هذه الفترة العصيبة من تاريخ أمّتنا الإسلاميّة المجيدة التي تكالبت عليها جميع قوى الشرّ والعدوان متمثّلةً في الصهيونيّة والاستعمار وأتباعه الذين [يعملون] من الداخل على تخريب مقوّمات الأمّة وكيانها وتشتيت شملها وإخضاعها لسيطرة الكفّار المستعمرين، والله سبحانه وليُّ التوفيق.

٢١ ربيع الأوّل ١٣٨٩ هـ
٧ حزيران ١٩٦٩ م
عن جماعة علماء بغداد والكاظميّة المقدّسة
محمّد مهدي الحكيم»[١].

وقد قام جهاز السيّد الحكيم‏رحمه الله بإذاعة هذه المذكّرة عبر إذاعة طهران عدّة مرّات[٢].

زيارة موفد البكر السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله

في ١٩٦٩/٦/٨م (٢٢/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) جاء وزير الزراعة عبد الحسين ودّاي موفداً من قبل البكر لزيارة السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله، وكان السيّد مهدي والعقيد سلمان جالسين، فقال ودّاي: «**سيّدنا، أحمد حسن يسلّم عليك ويقول إنّك مثل عمّه، وهو يتشرّف بالتراب الذي تدوسه، فلماذا تؤذيه وتصرّ وهو يعطيك ما تريد؟**»، ثمّ قال: «**إنّ هناك تحقيقاً وهو سليم، والجماعة مصرّون على أن ينتهي مهما تكن الظروف، بحيث قالوا لأحمد حسن: إذا جاء اسمك في التحقيق فسوف نستجوبك كذلك**».

عندها قال له السيّد الحكيم‏رحمه الله: «**الآن بلغ كره الناس لكم إلى حدٍّ لو أنّهم تمكّنوا منكم لما قتلوكم بالرصاص لأنّهم يأسفون على خسارة الخمسين فلساً عن الطلقة الواحدة، بل سيقطّعونكم بأسنانهم**»[٣].

زيارة حزب (الدعوة) السيّد الحكيم‏رحمه الله

في ١٩٦٩/٦/٩م (٢٤/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) أبلغ القيادي في حزب الدعوة محمّد هادي السبيتي‏رحمه الله قياديّي الحزب بأنّه قد وصله خبر حول عزم السلطة العراقيّة على الإساءة إلى السيّد الحكيم‏رحمه الله دون أن تتضح حقيقة هذه الإساءة[٤]، فتوجّه وفدٌ من الحزب إلى زيارة السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله في الكاظميّة وذلك عند الساعة الثانية من بعد الظهر. وقد ضمّ الوفد: الحاج عبد الصاحب دخيل، السيّد فخر الدين العسكري، السيّد حسن شبّر، داود العطّار ومهدي السبيتي، وقد حضر

---

(١) محنة العراق اليوم: ٧٥ ـ ٨٠.
(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٧٣، نقلاً عن: تاريخ الحركة الإسلاميّة في العراق، عامر الحلو: ١٠٠.
(٣) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٩ مع تغيير طفيف ؛ وانظر: المصدر نفسه: ٩٩.
(٤) مقابلة مع السيّد حسن شبّر (حفظه الله).

الاجتماع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله[(١)].

وقد اقترح الوفد على السيّد الحكيم رحمه الله أن يقوم الحزب بتحرّك كبير لتثوير الشعب العراقي بجميع فئاته بشرط موافقة السيّد الحكيم رحمه الله نفسه، ويكون ذلك عبر تنظيم المظاهرات وإغلاق السوق الرئيسي في بغداد.

وقد رفض السيّد الحكيم رحمه الله الخطّة بأكملها على أساس أنّ الحزب لم يكن مهيّئاً بعد للقيام بمثل هذا، مع الأخذ بعين الاعتبار الإجراءات القمعيّة السريعة التي قد يقدم عليها النظام، أو حرصاً من السيّد الحكيم رحمه الله على الحزب وسلامته، حيث قال: «**لا أريد ذلك، ينبغي أن يكون هذا الحزب مخفياً**»[(٢)].

كما كان الحزب على استعداد من أجل تقديم مائة شخص من كوادره بشرط موافقة السيّد الحكيم رحمه الله على ذلك.. لكنّ السيّد الحكيم رحمه الله رفض الاقتراح قائلاً: «**لا لا لا، الحزب يجب أن يبقى مكتوماً**».

بعد ذلك قرّر الحزب أن يصدر منشوراً شديد اللهجة يعمّم على الشعب العراقي، يشرح أبعاد تلك الهجمة الظالمة، لكن بشرط موافقة السيّد الحكيم رحمه الله أيضاً.

ولهذا الغرض ذهب السيّد حسن شبّر من قبل حزب الدعوة إلى دار السيّد محسن الحكيم رحمه الله من الجهة الخلفيّة ودخل الدار وخرج منها دون أن تشعر به عيون السلطة. وقد عرض السيّد شبّر الفكرة على السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله الذي ذهب إلى غرفة أخرى[(٣)] ثمّ أتى حاملاً مائة دينار من أجل طبع وتوزيع المنشور في أرجاء العراق، وقد طبع المنشور بآلة (الرونيو).

وبعد أن بدأ توزيع المنشور كان أوّل ما وصل إلى البصرة حيث استمرّت التظاهرات ثلاثة أيّام حتّى وصل خبرٌ من عناصر في الجيش مفاده «**أنّنا معكم**». وقد استمرّ الوضع على هذه الحال حتّى أتى الحزبَ أمرٌ من قبل المرجعيّة بواسطة السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله بعدم نشر إلاّ الدعاء المستلّ

---

(١) قال لي السيّد حسن شبّر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩م إنّ السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله يقول إنّه كان حاضراً، ولكنّ السيّد شبّر نفى ذلك.

(٢) سنوات الجمر: ١١٧ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٢) ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩م ؛ مقابلة مع السيّد حسن شبّر (حفظه الله).

والواقع أنّ النصوص الواردة حول موقف حزب (الدعوة) متضاربة: فمنها ما يوحي بأنّ الحزب كان مستعدّاً للمواجهة، ومنها ما يوحي عكس ذلك.

وما ذكرناه كان اعتماداً على المصادر التي سجّلناها في الخوامش السابقة. أمّا وجهة النظر الثانية، فينقل في صددها السيّد كاظم الحائري عن الحاج محمّد صالح الأديب نفسه قوله: إنّه في أيّام أزمة المرحوم السيّد مهدي الحكيم وأزمة المرجع العظيم المرحوم السيّد محسن الحكيم رحمه الله التقى السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله بالحاج محمّد صالح الأديب وقال له: «وأيّ شيء تنتظرون بعد وقوع ما وقع، أما آنت لكم أيّام المواجهة؟». فنقل الحاج محمّد صالح هذا الرأي إلى قيادة الحزب، فلم يقتنعوا بهذا الكلام لأنّهم رأوا أنّ ذلك غير ممكن قبل الانتقال إلى المرحلة الثانية ولم تحن بعدُ شروط الانتقال» (كلمة للسيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٦/محرّم/١٤٢٢هـ) ؛ وانظر: نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٥٣، ٢٨٣ حيث ورد أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله طلب شخصيّاً من أحد أبرز قادة التنظيم إصدار منشور يتضمّن على الأقلّ دعاء الفرج لإشعار الأمّة بالمحنة، ووعد بذلك ولكن لم ينفّذ الوعد، ولعلّه كان يرى شخصيّاً صحّة إصدار المنشور ؛ وانظر: مسائل في البناء الفكري: ١٨.

(٣) يقول السيّد حسن شبّر: إنّ من المفترض أن يكون السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله قد دخل إلى أبيه السيّد محسن رحمه الله.

من دعاء الافتتاح «**اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة..**»[(١)].

إلاّ أنّ الحزب لم يوزّع مثل هذا المنشور لاعتقاده بأنّه لم يكن بمستوى الحدث والهجمة التي تعرّض لها السيّد الحكيم رحمه الله[(٢)].

السيّد محسن الحكيم رحمه الله يضع حلاًّ للمسألة

بعد عدم موافقته على اقتراح حزب الدعوة، لم يشأ السيّد محسن الحكيم رحمه الله العودة إلى النجف دون اتّخاذ موقف حاسم تجاه القضيّة. عندها طلب من (علماء بغداد) تدوين مطالب الناس والتوقيع عليها. وعندما تقدّم السيّد العسكري بذلك إلى علماء بغداد والكاظميّة، لم يوافق على التوقيع سوى السيّد العسكري، السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، الشيخ علي الصغير والسيّد هادي الحكيم رحمه الله.

وبعد ظهر يوم ١٩٦٩/٦/٩م (٢٣/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ)، اجتمع هؤلاء الأربعة في دار أحدهم قريباً من دار السيّد الحكيم رحمه الله. وكان اقتراح السيّد العسكري أن يكتبوا المطالب ويوقّعها السيّد مهدي رحمه الله ويقدّمها عن (علماء بغداد والكاظميّة)[(٣)].

بعد نصف ساعة من الاجتماع ـ وكان المجتمعون لا يزالون في دار الاجتماع ـ اتّصل وزير الدفاع بدار السيّد محسن الحكيم رحمه الله وطلب الحديث مع السيّد مهدي رحمه الله. فجاء أحدهم إلى الدار التي يجتمع فيه المجتمعون، وأطلع السيّد مهدي رحمه الله على ذلك، فاتّصل بوزير الدفاع فلم يجده لا في وزارة الدفاع ولا في مجلس الوزراء.

فقال السيّد مهدي رحمه الله: «**أنا لن أتّصل مرّة أخرى**»، فاتّصل السيّد هادي الحكيم رحمه الله بمنزل وزير الدفاع فلم يجده، وإذا بهم يفاجأون بسيّارات مسلّحة تأتي إلى دار السيّد الحكيم رحمه الله للقبض على السيّد مهدي رحمه الله، ولكنّهم لم يجدوه.

يقول السيّد العسكري: «**لا أدري كيف وصل الخبر إلى الحكومة**». في هذه الأثناء استقلّ السيّد مهدي رحمه الله سيّارة السيّد العسكري وترك المكان، بينما ذهب السيّد العسكري إلى منزله وإلى منزل السيّد مهدي وأتلف الأوراق التي كانت موجودة لديهما.

وبعد أن صلّى السيّد العسكري صلاة الجماعة، أتى إلى دار السيّد محسن الحكيم رحمه الله حيث كانت الدار خالية على غير عادتها في كلّ ليلة، فلم يأتِ إلاّ وفدان أحدهما وفد الطلبة الذين كانوا قد تجمّعوا في مسجد الهاشمي، ولم يحضر أحدٌ من العلماء الذين كانوا يملأون (الكنبات) في الليالي السابقة. وعند الساعة التاسعة لم يكن قد بقي في دار السيّد الحكيم رحمه الله سوى خمسة أشخاص: السيّد

---

(١) قال السيّد حسن شبّر: إنّ السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله يقول: إنّ الدعاء كان دعاء الفرج، ولكنّه كان فقرة من دعاء الافتتاح.

(٢) انظر حول هذه الفقرة: الردّ الكريم على السيّد محمّد باقر الحكيم: ٢٤ ـ ٢٥، ٥٦ ـ ٥٧ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٥٩ ـ ١٦٣ ؛ الإمام الحكيم ـ الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلاميّة: ٧٥ ؛ لقاء شخصي مع السيّد حسن شبّر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩م.

(٣) الذين أرّخوا للمرحلة ذكروا أنّ ذلك كان في نهار اليوم الذي اقتحمت فيه دار السيّد الحكيم رحمه الله، أي ١٩٦٩/٦/٩م، ولكنّنا قد وجدنا أن السيّد مهدي رحمه الله كتب البيان في ١٩٦٩/٦/٧م، فليلاحظ ذلك.

العسكري، السيّد محمّد بحر العلوم، الشيخ موسى اليعقوبي، الشيخ حسين كوراني وشخصٌ آخر[١].

وكان السيّد الصدر رحمه الله قد زاره مع السيّد محمود الخطيب قبل ساعات من اقتحام دار السيّد الحكيم رحمه الله[٢]، وقد أمر السيّد الصدر رحمه الله الشيخ حسين كوراني بالتوجّه إلى مدينة الخالص ـ بحكم معرفته بأهلها بعد أن كان أخوه الشيخ علي كوراني وكيلاً للسيّد الحكيم رحمه الله فيها ـ وكانت مهمّة الشيخ كوراني العمل على تحريك وفد من مدينة الخالص من أجل زيارة السيّد الحكيم رحمه الله في مدينة الكاظميّة[٣].

الحكومة البعثيّة تستبق السيّد الحكيم رحمه الله وتوجّه ضربةً إليه

مساء اليوم نفسه ١٩٦٩/٦/٩م (٢٣/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ)[٤]، أظهرت السلطات العراقيّة العقيد المتقاعد مدحت الحاج سري على شاشة تلفزيون بغداد وهو يدلي عن إكراه باعترافات جاء فيها أنّ السيّد مهدي الحكيم رحمه الله حضر بعض الاجتماعات مع الأكراد، والتي كانت تتمّ بأوامر من المخابرات المركزيّة الأمريكيّة.

وأعلن النظام عن كشف محاولة لقلب نظام الحكم بواسطة ضبّاط كبار ورجال أعمال شيعة مرتبطين بإيران والغرب (الولايات المتحدة وإسرائيل) واتّهام السيّد مهدي الحكيم رحمه الله بأنّه كان الرأس المدبّر للانقلاب[٥]، وأنّه كان يتعاون مع ملاّ مصطفى البرزاني[٦]، الأمر الذي اعتبره البعض واقعيّاً ولم يكن افتراءً على السيّد مهدي رحمه الله وأنّه كان هناك تنسيق فعلي بين السيّد الحكيم رحمه الله وبين الأكراد، وقد توسّط السيّد الصدر رحمه الله لإقناع حزب الدعوة بالمشاركة في الموضوع إلاّ أنّها رفضت ذلك، إلى أن كشفت السفارة الإيرانيّة في العراق عن محاولة الانقلاب هذه، فقام النظام العراقي بإمهال السيّدين مهدي وهادي الحكيم وآخرين وأصدر لهما جوازات سفر لكي يستغلّوا الفرصة ويهربوا[٧].

ولكنّ المصدر نفسه أشار إلى أنّ السيّد مهدي الحكيم رحمه الله كان قد وصله عرضٌ من الأمريكان حول استعداد أمريكا لمساعدتهم من أجل تسنّم الحكم في العراق في مقابل البعثيّين. وقد نقل السيّد مهدي الحكيم رحمه الله ذلك إلى السيّد الصدر رحمه الله بهدف إطلاعه على ما يجري، فأجابه رحمه الله قائلاً:

---

(١) مستفاد من كلمة السيّد مرتضى العسكري بمناسبة ذكرى السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢ هـ.

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٣) جريدة العهد/ العهد الثقافي، بتاريخ ١٨/رمضان/١٤١٠ هـ، ص (هـ) في حديث مع الشيخ حسين كوراني ؛ وقد أعادها الشيخ حسين كوراني عليّ بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م ؛ مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (...).

(٤) جاء في كلام السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أنّ ذلك كان بتاريخ ١٩٦٩/٦/٧م (من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٨)، ويذكر أنّ ما بثّه التلفزيون كان مسجّلاً لأنّ اعتراف مدحت الحاج سري كان قبل ذلك كما تقدّم.

(٥) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٦٣ ؛ وانظر:

Aux sources de l'islamisme chiite, Muhammad Baqer Al-Sadr ,1987, Une grande figure de l'islamisme en Irak Pierre Martin: 128.

(٦) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٣٦.

(٧) أكّد على هذا الأمر الشيخ علي كوراني (...).

«**وأيُّ حكمٍ هذا؟! إسلام أمريكي؟!**»[(١)]. وكان السيّد مهدي الحكيمؒ سبّاقاً إلى الاتّصال مع الأمريكيّين والبريطانيّين والفرنسيّين من أجل إقامة حكم معهم، وقال يقول لحزب الدعوة: «**إذا نجحت فالنجاح لكم، وإذا فشلت فالفشل عليّ**»[(٢)].

واستطراداً نشير أيضاً إلى أنّ مجموعة من (الإخوان المسلمون) قد قصدت السيّد الصدرؒ من أجل التداول معه حول إمكانيّة التنسيق بين الطرفين والعمل ضدّ السلطة الحاكمة، وكان (الإخوان) قد نشروا قبل أسبوعين من ذلك بياناً تعرّضوا فيه سلباً لإمام العصرؑ، فأجابهم السيّد الصدرؒ قائلاً: «**كيف ننسّق ونحن مختلفون حول أساس عقيدتنا وهو قضيّة المهديؑ؟!**»[(٣)].

وقد ذكر السيّد مهدي الحكيمؒ نفسه بأنّه اتّهم باختلاس أموال من وكالة الاستخبارات المركزيّة الأمريكيّة بالنظر إلى الموارد الموضوعة تحت تصرّف والده السيّد محسن الحكيمؒ. وتمحورت تهمة الاختلاس حول مبلغ قدره خمسون ألف ليرة لبنانيّة، وكانت تساوي آنذاك نحو عشريّن ألف دولار أمريكي[(٤)]. وقد خصّصت الحكومة جائزة ماليّة قدرها خمسة آلاف دينار لمن يلقي القبض عليه أو يدلي بمعلومات عن مكان اختفائه[(٥)]، وقيل عشرة آلاف[(٦)].

بعد هذا الاتّهام داهمت سلطات الأمن عند منتصف الليل من اليوم نفسه ١٩٦٩/٦/٩م الدار التي نزل فيها السيّد محسن الحكيمؒ بحجّة اعتقال نجله السيّد مهديؒ، وقد استمرّت عمليّة التفتيش حوالي ثلاث أو أربع ساعات، وكانت هذه العملية مقصودة ومنظّمة من أجل هدر كرامة المرجعيّة والتطاول عليها[(٧)].

وفي هذا الوقت كان الشيخ حسين كوراني قد شكّل وفداً من مدينة الخالص، ولكنّ الأوان قد فات، فتوجّه ـ بعد أن علم بموضوع اتّهام السيّد مهديؒ ـ برفقة أحد أصدقائه إلى مقرّ السيّد الحكيمؒ (وهو طارق ابن الحاج حكمت الزهيري، وكان قد وصل إلى منصب معيّن في قوّات الحرس الجمهوري). وفي الطريق راح السائق يتهجّم على رجال الدين، فقام طارق بإبراز بطاقة الحرس الجمهوري وصرح في وجهه: «**امشِ**» فمشى وأوصله إلى الكاظميّة.

وعندما بلغوا الكاظميّة، كان باب السيّد الحكيمؒ مغلقاً، وعندما دخل الشيخ كوراني وجد السيّد محمّد باقر الحكيمؒ، السيّد علاء الدين الحكيم، السيّد محمّد حسين الحكيم والسيّد محمّد بحر العلوم وجماعة، وكانت الكآبة قد خيّمت على الجو، وقد رأى أمامه حالة مشابهة لحالة مسلم بن عقيلؓ مع أهل الكوفة.

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م نقلاً عن الشيخ علي كوراني. ولعلّ الحادثة ترجع إلى ما قبل هذه المرحلة باعتبار أنّ ناقلها غادر العراق سنة ١٩٦٧م.

(٢) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٣) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

(٤) تجديد الفقه الإسلامي.. محمّد باقر الصدر بين النجف وشيعة العالم: ٢٦٧، الهامش (٥٨).

(٥) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ١١.

(٦) The Fifth great martyr of islam: 9

(٧) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٦٣.

وبعد فترة أتى رجلان من رجال الأمن يطلبان السيّد محمّد بحر العلوم، وقد استمهلهما الشيخ كوراني الذي أبلغ السيّد بحر العلوم بذلك، فقال الأخير: «**أروح ويّاهم**»، ولكنّ الحاضرين لم يوافقوا على ذلك وقاموا بإنزاله إلى السرداب ونفوا أمام رجلَي الأمن وجوده في البيت، فانصرفا[١].

هروب السيّدين مهدي الحكيم رحمه الله ومرتضى العسكري

إثر هذه الحملة البعثيّة التي طالت السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أوّلاً، انتقل الأخير إلى النجف [ومنها إلى كربلاء متخفيّاً في عباءة نسائيّة][٢] ومنها توجّه عبر طريق (النجف ـ عرعر) الصحراوي إلى الأراضي السعوديّة، حيث عرّف عن نفسه للسلطات السعوديّة التي رحّبت به وعرضت عليه الإقامة فيها، إلاّ أنّه اعتذر عن ذلك وطلب تسهيل انتقاله إلى الأردن لمقابلة خاله علي بزّي سفير لبنان في العاصمة الأردنيّة عمّان[٣]. وقد سهّل له خاله السفر إلى باكستان حيث استقبل استقبالاً حاشداً. وبعد ذلك بعامين، انتقل عام ١٩٧١م إلى دبي في الإمارات بطلب من أهلها.

أمّا السيّد مرتضى العسكري، فبعد أن أصبح الهدف الثّاني للسلطات العراقيّة بعد السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، فقد انتقل إلى لبنان، ولمّا حاولت عائلته الالتحاق به، تمّ إرجاعها إلى العراق بعدما وصلت إلى الأردن. وفي لبنان التقى السيّد الصدر رحمه الله كما يأتي إن شاء الله تعالى. وبعد ذلك جرت محاولةٌ لاغتياله، فانتقل إلى إيران[٤].

وفي هذا الوقت قامت السلطات بإعدام أحد التجّار الباكستانيّين ويُدعى (جيته) بتهمة اشتراكه مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله[٥].

وبعد مغادرة السيّد العسكري العراق، ترأّس السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله اللجنة العلميّة في كليّة أصول الدين[٦].

السيّد محسن الحكيم رحمه الله يعتكف في الكوفة

في صبيحة اليوم التالي ١٩٦٩/٦/١٠ (٢٤/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) قرّر السيّد محسن الحكيم رحمه الله العودة إلى النجف والاعتكاف في بيته في الكوفة مظهراً غضبه الشديد إزاء ما حدث. وقد قرّر الاستمرار في موقفه هذا حتّى تبادر الحكومة إلى التراجع عن مواقفها الشاذّة وتقدّم اعتذاراً رسميّاً علنيّاً إليه وتتعهّد بالتخلّي عن جميع ما اقترفته وتنفّذ الحدّ الأدنى من المطالب العادلة التي اشتملت

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م ؛ مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (✓).

(٢) ما بين [] من: مقابلة مع السيّد مرتضى العسكري (✓).

(٣) والدة السيّد مهدي الحكيم هي زوجة السيّد محسن الحكيم رحمه الله الثانية، كريمة الحاج عبد الحسين بزّي من بنت جبيل، وهي خالة السيّد محمّد حسين فضل الله. وقد تزوّجها السيّد محسن الحكيم رحمه الله في سفره إلى لبنان أواخر ذي الحجّة/١٣٥٠هـ.

(٤) انظر: حزب الدعوة الإسلاميّة: ٧٥ ـ ٧٨.

(٥) نجف، آشيانه علم واخلاق، مصاحبه با سيد احمد مددى (فارسي)، مجله پژوهش وحوزه، شماره‌ء ١٦: ٤١.

(٦) شهداء العلم والفضيلة في العراق: ١٣٣ ـ ١٣٤.

عليها مذكّرة السيّد مهدي الحكيم رحمه الله. وقد قامت قوّات الأمن بمحاصرة بيته ومضايقة زائريه[(١)].

إلاّ أنّ هناك اتّجاهاً كان يعارض السيّد الحكيم رحمه الله في إقدامه على هذه الخطوة، ومن هذا الاتّجاه السيّد محمّد سعيد الحكيم رحمه الله ـ والد السيّد محمّد تقي الحكيم رحمه الله ـ الذي قال للسيّد الحكيم رحمه الله: «**سيّدنا! أنت يفترض أن تعود إلى النجف ولكن إمّا بالثورة وإمّا بجنازة**»[(٢)].

السيّد الصدر رحمه الله يزور السيّد محسن الحكيم رحمه الله

بعد الإعلان عن الافتراء الظالم في حقّ الشهيد السيّد مهدي الحكيم رحمه الله ومحاصرة المرجعيّة الدينيّة، كان السيّد الصدر رحمه الله أوّل شخصيّة تأتي من النجف الأشرف لتصل إلى بيت السيّد الحكيم رحمه الله في الكاظميّة، [وكان خلفه الشيخ محمّداً رضا النعماني والشيخ عبد الرحيم]، ولم يعبأ رحمه الله بالحصار الأمني والنفسي، وحاول معالجة هذا الشرخ الكبير، في حين تغيّب عددٌ كبيرٌ من علماء بغداد والكاظميّة البارزين بسبب هذا الحادث.

قدّم السيّد الصدر رحمه الله اقتراحاً يقتضي تقديم مذكّرة فوريّة إلى النظام بالأسماء الصريحة ومنها اسمه احتجاجاً على موقف نظام البعثيّين العفالقة، وضرورة تحمّل نتائج ذلك حتّى الاستشهاد. وقد قال رحمه الله: «**لا ينبغي علينا أن نسكت في هذا الموضوع، نحن مشتركون جميعاً في المسؤوليّة، وليس لنا أن نجعل السيّد مهدي والسيّد الحكيم وحدهما في الساحة، يجب علينا أن نصدر بياناً ونوقّع عليه جميعاً ونشجب به هذا الوضع وهذا التعسّف والعدوان ونقدّمه إلى الحكومة ولو أدّى ذلك إلى أن نقتل على إثر هذا**»[(٣)]، «**وأنا أوّل من يوقّع على هذه المذكّرة من أجل أن يكون الصفُّ صفّاً واحداً وقوياً في مواجهة هؤلاء العفالقة**»[(٤)].

ولكنّ رأي العلماء الحاضرين في ذلك الوقت كان التوقّف عن ذلك، وقدّمت المذكرة باسم الشهيد السيّد مهدي الحكيم رحمه الله الذي كان قد أعدّها لذلك من قبل[(٥)].

وفي هذا اليوم أرسل أحد الأشخاص إلى السيّد محسن الحكيم رحمه الله خبراً بواسطة السيّد مرتضى العسكري بأنّه يوجد جماعة يتراوح عددهم بين ١٥ إلى ٢٠ شخصاً بكامل أسلحتهم ورشّاشاتهم وهم مستعدّون للمحاربة مع السيّد الحكيم رحمه الله إلى الموت، ولكنّ السيّد قال: «**ما الفائدة من خمسة عشر أو عشرين شخصاً**»[(٦)].

---

(١) محنة العراق اليوم: ٢٥، ٣٠ ؛ وقد جاء في (سنوات الجمر: ١٢١) أنّ السلطات أخذت السيّد محسن الحكيم رحمه الله عنوةً بسيّارة حكوميّة وأرسلته إلى مقرّه في الكوفة، ثمّ وضعته تحت الإقامة الجبريّة المشدّدة وقطعت عنه الماء والكهرباء والهاتف، وهو ما يذكره السيّد جلال فقيه إيماني صهر السيّد الخوئي رحمه الله (يادنامه آية الله العظمى ابو القاسم خوئى: ٩٩ ـ ١٠٠).

(٢) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٣) الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ١٦ ؛ صحيفة (لواء الصدر)، ٣/شعبان/١٤٠٥هـ نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله؛ ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٦٣. وانظر حول أصل زيارة السيّد الصدر رحمه الله: الشيخ محمّد رضا النعماني في ندوة أقامها التركمان حول السيّد الصدر رحمه الله (قدس سره) ؛ وما بين [] سمعته من الشيخ محمّد رضا النعماني.

(٤) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٢٩) ؛ وانظر إجمالاً: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦٨.

(٥) انظر: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٦) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٩. وقد ورد أنّ ذلك كان بعد الاتّهام بيوم. وسواء قلنا إنّ الاتّهام كان في

زيارة السيّد الخوئي

في هذه الفترة كان السيّد الخوئي مريضاً وكان قد انتقل إلى مستشفى ابن سينا في بغداد لتلقّي العلاج. ولمّا عزم على العودة إلى النجف الأشرف وعلمت السلطات بذلك، أوعزت إلى العشائر الساكنة على طول خط بغداد ـ النجف بإقامة الاحتفالات للسيّد الخوئي، وذلك بهدف إضعاف مرجعيّة السيّد الحكيم.

ولمّا التفت السيّد الخوئي إلى هذا المخطّط وكان مقرّراً سفره ليلة الجمعة ١٩٦٩/٦/١٢م (٢٦/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ)، بكّر موعد سفره وتحرّك نحو النجف فجر يوم الثلاثاء ١٩٦٩/٦/١٠م قبل أذان الصبح، ووصل إلى النجف الأشرف عند الأذان.

وبعد أداء الصلاة في الحرم الشريف وتناول الفطور، توجّه نحو الكوفة ووصل إلى منزل السيّد الحكيم عند شروق الشمس، وفتح له الباب نجل السيّد الحكيم [الذي كان نائماً، فطلب السيّد الخوئي إيقاظه، وقد فوجئ السيّد الحكيم به لأنّه ربّما لم يكن أرسل إليه من يعوده بالنيابة عنه. وقال السيّد الخوئي له: «**قد تستغرب مجيئي، لكنّني لاحظتُ عندما كنت في المستشفى أنّ رجال الدولة اهتمّوا بي اهتماماً كبيراً، وأنا إذا كنت أعتبر نفسي مرجعاً فلست مرجعاً معروفاً، أنت المرجع، لذلك أحسست بأنّ الجماعة يريدون أن يستقووا بي عليك، وأن يضربوك بي، ولذا جئت إليك لأعلن لك بأنّني لن أكون عليك**». فتعاتبا وتصارحا وخرجا كأفضل ما تكون الصداقة، وذهب السيّد الخوئي إلى بيته وكان السيّد الحكيم أوّل زائر له][(١)]، وكان السيّد الخوئي قد جلس مع السيّد الحكيم ما يقرب من ساعتين لم تفارق فيها البسمة وجه الأخير[(٢)].

ويشير السيّد محمّد باقر الحكيم إلى أنّ السيّد الخوئي كان يضغط على السيّد الحكيم بكلّ جهازه للتنازل والتصالح مع حكومة البعث[(٣)].

زيارة السيّد مصطفى الخميني السيّد الحكيم

وفي اليوم نفسه ١٩٦٩/٦/١٠م زار السيّد مصطفى الخميني السيّدَ الحكيم في مقرّه في الكوفة[(٤)].

وفي اليوم التالي قامت السلطة باعتقاله في ١٩٦٩/٦/١١م (٢٥/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) وإرساله مخفوراً إلى القصر الجمهوري في بغداد، حيث التقى بأحمد حسن البكر وجمع من مسؤولي حزب البعث، إضافة إلى الجنرال تيمور بختيار رئيس (السافاك) الإيراني السابق والمعارض لحكومة الشاه.

١٩٦٩/٦/٧ أم في ١٩٦٩/٦/٩ فهذا لا يغيّر شيئاً، لأنّ السيّد العسكري قد اختفى مع السيّد مهدي في وقتٍ واحدٍ على ما يبدو، ومن هنا فمن المحتمل أن الذي أوصل الخبر لم يكن السيّد العسكري نفسه.

(١) مواقف السيّد الخوئي من القضايا العامّة، الحياة، ٢٠٠٢/٤/٢٢م (موقع بيّنات)، السيّد محمّد حسين فضل الله نقلاً عن أحد أنسباء السيّد الخوئي. ولكن لا يبدو أنّ السيّد الحكيم قد خرج من بيته في هذا الوقت القريب.

(٢) يادنامه آية الله العظمى ابو القاسم خوئى (فارسي): ١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٨٢.

(٤) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٨.

وحاول البكر خلال حديثه المشوب بالتهديد حملَ السيّد مصطفى على إقناع والده بالتعاون مع بختيار بغية إضفاء شرعيّة على تحرّكه السياسي المضاد لرضا بهلوي. إلاّ أنّ السيّد مصطفى الخميني رفض ذلك بشدّة قائلاً: «**إنّ خلافنا مع حكومة الشاه هو خلافٌ جذري وعقائدي لا يخضع لأيّ نوعٍ من المساومة أو التلاعب، وليس خلافاً سياسيّاً كما هو الحال بالنسبة لتيمور بختيار**»، ولمّا يئسوا منه أطلقوا سراحه[١].

إلاّ أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم يذكر أنّ المعلومات المتوفّرة لديهم تشير إلى أنّ ما ذكره السيّد حميد روحاني ـ وهو مصدر ما نقلناه في المقطع السابق ـ خلاف الواقع، والواقع أنّهم طلبوا من السيّد مصطفى الخميني أن يأتي لمقابلتهم، فذهب باختياره وجلس بينهم، وأنّه عندما رجع تحدّث في المجالس حديث الشخص المرتاح في المقابلة، وأهدى له أحمد حسن البكر ساعة ذهبيّة، فكان يخرجها ويريها للناس بعنوان أنّهم كرّموه، إلى غير ذلك ممّا جرى في هذه الأوضاع.

وأشار السيّد الحكيم إلى موقف الشيخ حسين المنتظري الرافض للتنديد بإجراءات البعثيّين تجاه السيّد الحكيم باعتبار أنّ إضعاف البعثيّين ـ وهم أعداء إسرائيل ـ سيضعف قضيّة فلسطين، وقد أعلن عن موقفه هذا في اجتماعٍ ضمّ مجموعة من العلماء في إيران للتداول بشأن الموقف الذي ينبغي اتّخاذه إزاء الأوضاع الأخيرة[٢].

وحول ذلك يكتب السيّد محمّد باقر الحكيم إلى الشيخ محمّد مهدي شمس الدين سنة ١٣٨٩هـ:

«..هذا وأرجو أن تبلّغوا السيّد أبو علي[٣] بأنّ الضربة وجّهت للسيّد مهدي[٤] كأنشط عنصر.. أو كقمّة من قمم العمل (كابن لمرجع)، وتلى ذلك ضربٌ لكلّ من نشط في الاستياء (هتف في مظاهرة.. بارز في مجالات عامّة)، لذا فإنّ أبعاد الضربة وفيما أفهم هي لسماحة السيّد المرجع دام ظلّه بشخص ولده كوجود هام يحسب له العدو الحساب العسير.. هذا هو جوابي للسيّد أبو علي حول السؤال الذي كلّفني بأن أوصله.. هذا وإنّني هنا استعرضت ما جرى لديكم هناك..

سلامي وتحيّاتي للسيّد أبو علي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بالنسبة إلى السيّد الخوئي: هو رجلٌ متجاوب روحيّاً، ولكنّه ضعيف الشخصيّة وليست عنده أيّ مبادرة وغير قادر على مواجهة المشاكل بصلابة أو بصمود، والظاهر أنّ الحكمي[٥] من جماعته يحبّ الهدنة مع الحكومة وله دورٌ في علاقة الخوئي مع الحكومة.

وبالنسبة إلى الخميني: فإنّ موقف جماعته مضرٌّ بالعمل فعلاً ضرراً بليغاً، فهم يسيرون باتّجاه الجبهة الوطنيّة الإيرانيّة ومقرّراتها فعلاً، وهي ترى أنّه لا يجوز معارضة العراق أو الطعن فيه لأنّ ذلك يؤدّي إلى تأييد الشاه من ناحية وإضعاف الجبهة الشرقيّة من ناحية أخرى، إذ يعتقدون أو يتظاهرون بالاعتقاد أنّ

---

(١) نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٥٧٣ ـ ٥٧٥ ؛ سنوات الجمر: ١٧٥ ؛ هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٨. وفي المصدر الأوّل ٢: ٥٧٤ صورة للسيّد مصطفى الخميني وهو يحمل رقم الاعتقال (٣٥٩).

(٢) مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٨١.

(٣) يقصد السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٤) يقصد أخاه السيّد محمّد مهدي الحكيم.

(٥) يقصد السيّد مرتضى الحكمي صهر السيّد الخوئي.

العنصر الرئيسي بالجبهة الشرقيّة هو العراق، وهذا الموقف واضحٌ منهم ومشبوه أيضاً لعدّة قرائن، منها اجتماع نجل الخميني بالبكر أيّام شدّة المحنة، وهم مصرّون عليه ولو أدّى إلى القضاء على حوزة النجف فقط!!

وبالنسبة إلى السيّد مهدي: فمن الواضح أنّ المقصود به هو السيّد[١]، ويكفينا في ذلك فهم جميع الواعين بل وغيرهم للقضيّة على هذا الأساس في اليوم الأوّل للمشكلة من دون تنبيه أو توعية. ويبذل حزب البعث جهوداً كبيرة لفصلها عن السيّد، فلم يتمكّن حتّى الآن، وهذا العمل منه كمرحلة وهذا الفهم للناس نتيجة لكلّ المقدّمات والإرهاصات التي يعجز الإنسان عن شرحها وتشخيصها. والمهمُّ في الأمر الانعكاس للموضوع، والبعثيّون قصدوا هذا أيضاً لعدّة قرائن وتصريحات، حتّى أنّ أحدهم كان يعتقد أنّ السيّد مهدي النجل الأكبر للسيّد وينتظر أن يخلفه في المرجعيّة لعدم فهم المرجعيّة وأسبابها عند الشيعة.

من الأخبار أنّ صراعاً مسلّحاً منتظراً في القريب العاجل كما تدلّ على ذلك بوادر العصيان وضرب القطار في منطقة تمتدُّ من الحمزة الشرقي حتّى الخضر قرب الناصريّة، وكما يدلُّ على ذلك إرسال الحكومة لعدد معتدٍّ به من الدبّابات وناقلات الجنود، بالإضافة إلى حشد جميع قوى الشرطة المحليّة والسيّارة وقوىً الأمن والاستخبارات والحزب، ويدلُّ على ذلك مبادرة العشائر لتصفية بعض خلافاتها، والأسباب المعلنة للصراع فعلاً شخصيّة بسبب اعتقال بعض رؤساء العشائر، وتختلط بها أسباب دينيّة أو غيرها، والموقف حتّى الآن غير واضح، والحالة متوتّرة منذ شهرٍ تقريباً حتّى الآن، كما أرجو العذر من ناحية تأخّر الجواب وعجلة كتابته، ولكم مزيد شكري واحترامي ودعائي لكم بالتأييد والتسديد ودمتم.
المخلص محمّد باقر الحكيم»[٢].

مظاهرات طلاّبيّة

في ١٩٦٩/٦/١٣م[٣] (٢٧/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) قام طلبة الحوزة في النجف بتنظيم زيارات إلى منزل السيّد الحكيم رحمه الله في الكوفة، وقد استطاعوا في البداية أن يجمعوا حوالي خمسين طالباً من مختلف الجنسيّات وذهبوا بالسيّارات إلى دار السيّد الحكيم رحمه الله في الكوفة. وعند رجوعهم ووصولهم الى قرب مسجد الكوفة تلاقفهم رجال السلطة ضرباً بالأيدي، وألقوا القبض على الجميع واعتقلوهم في مركز الشرطة هناك حيث بقوا ليلتهم تلك، ثمّ أطلق سراحهم في اليوم الثاني.

وفي اليوم التالي أرادوا التوجّه إلى زيارة السيّد الحكيم رحمه الله مجدّداً، ولكنّ السلطة علمت هذه المرّة بأمر التجمّع، فقامت عن طريق (نقابة السوّاق) بالامتناع عن نقل هذه الجموع، وتعرّض المتجمّعون إلى الضرب بالأيدي والعصي وقضبان الحديد من قبل عملاء السلطة.

وتجمّع الطلاّب في اليوم الثالث في مسيرة على الأقدام، ولكنّ السيّد محمّد رضا نجل السيّد الحكيم رحمه الله أوصل إليهم خبراً بأنّ أباه يرفض أن يقوم الطلبة بعمل كهذا، فامتنع أولئك امتثالاً[٤].

---

(١) يقصد والده السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

(٢) محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٤٢٣ ـ ٤٢٤. وانظر حول نسبة هذه الرسالة إلى السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧٦)، ولم يبدُ لي ممّا جاء في المصدر الأخير ممانعة السيّد الحكيم رحمه الله في نشر الرسالة.

(٣) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٨ ؛ نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٥٧٨.

(٤) الردّ الكريم على السيّد محمّد باقر الحكيم: ٢٢ ـ ٢٣ ؛ لقاء مع السيّد حسن شبّر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٩م.

ردود الفعل العامّة

عندما اتّهم النظام السيّد مهدي الحكيمﷺ بالعمالة، وتمّ بعدها مضايقة مرجعيّة السيّد محسن الحكيمﷺ، تحرّكت عشائر محافظة السماوة وأعلنت الاستنفار وأشعلت النيران كدلالة على تحدّي السلطة، واستعدّت للهجوم على مراكز الدولة تضامناً مع المرجعيّة واستعداداً للمواجهة.

استمرّ هذا الاستنفار ثلاثة أيام متتالية، فأرسلت السلطة مندوباً من قبلها إلى زعماء قبيلة الظوالم وهم مجتمعون في مضيف السيّد راجوح السيّد مطلب الياسري، ودار حوارٌ بين مندوب السلطة وبين الشيوخ والوجهاء، وقد سألهم المندوب عن مطالبهم الخدميّة وقال لهم: «**نحن قادمون جدد إلى السلطة ومستعدّون لتنفيذ كلّ طلباتكم، فقولوا لنا ماذا تريدون**»، ولكنّ الشيوخ والوجهاء رفضوا ذلك الطرح وقالوا له: «**سمعنا بأنّكم اتّهمتم السيّد مهدي الحكيم بالعمالة وتقومون الآن بمضايقة آية الله السيّد محسن الحكيم**». وعندما نفى المندوب ذلك قالوا له: «**يجب أن نرسل وفداً إلى آية الله السيّد محسن الحكيم لنتأكّد من ذلك**».

وفعلاً أُرسل الوفد، والتقى السيّد الحكيم ﷺ ودار بين الطرفين حوار، وأبلغوه استعدادهم لأيّ أمر تصدره المرجعيّة، إلاّ أنّ السيّد الحكيمﷺ شكرهم على موقفهم دون أن يطلب منهم القيام بأيّ عمل[١].

السيّد الخمينيﷺ يقنع السيّد الحكيمﷺ بضرورة كسر العزلة

امتلأ الشارع العراقي بالشائعات حول ما آل إليه وضع السيّد الحكيمﷺ وقراره اعتزالَ المجتمع والناس وعدم خروجه من مقرّ إقامته. وعلى إثر ذلك اجتمع به السيّد الخمينيﷺ في ١٩٦٩/٦/١٥م (٢٩/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ) وعرض عليه رأيه بضرورة كسر هذه العزلة التي ليس فيها مصلحة للإسلام والمسلمين، وأنّ المرجع أو القائد يجب أن يكون بين الجماهير دائماً، كما طلب منه الانتقال إلى بيته في النجف الأشرف وفتح بابه للناس.

وقد نزل السيّد الحكيمﷺ عند رأي السيّد الخمينيﷺ، وأخذ يتردّد على النجف الأشرف كلّ يوم جمعة لزيارة مرقد الإمام عليعليه السلام حتّى أصبح تواجده الأسبوعي ومقابلته مع العلماء والطلبة والمؤمنين في الصحن العلوي شيئاً طبيعيّاً بعد أن كان الكثيرون يتخوّفون حتّى من الاقتراب منه[٢]. كما زاره الشيخ أحمد الطرفي[٣].

وفي ١٩٦٩/٦/٢١م (٥/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ) ضاعف السيّد الخمينيﷺ الراتب الذي كان يعطيه للطلاّب، وذلك بهدف مساعدتهم على البقاء في النجف[٤].

---

(١) الردّ الكريم على السيّد محمّد باقر الحكيم: ٦٥ ـ ٦٦.
(٢) سنوات الجمر: ١٢٣ ـ ١٢٤ ؛ هفت هزار روز ١: ٢٦٩. وقد ذكر لي السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م أنّ السيّد الحكيمﷺ كان يصلّي جماعةً ليالي الجمعة.
(٣) سنوات الجمر: ١٢٢.
(٤) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٦٩.

موقف السلطة إزاء الأزمة

بعد حادثة اتّهام السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، سعى محافظ كربلاء شبيب المالكي إلى توسيط السيّد الخوئي رحمه الله لدى السيّد الحكيم رحمه الله في محاولة لحمله على تجنّب معارضة الحكومة البعثيّة، وذلك في مقابل إغلاق ملف اتّهام نجله السيّد مهدي بالجاسوسيّة وإطلاق سراح طبيبه الخاص الدكتور كاظم شبّر وعدد من العلماء والشخصيّات الإسلاميّة. ولم يجنِ النظام من محاولاته المتكرّرة مع السيّد الحكيم رحمه الله سوى مزيدٍ من الرفض والاستنكار[١].

عزم السيّد الصدر رحمه الله على السفر إلى لبنان

بعد هذه الحملة الواسعة ضدّ السيّد محسن الحكيم رحمه الله ونجله السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، قصدت مجموعةٌ من الضبّاط السيّد الصدر رحمه الله في منزل أخيه السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله في الكاظميّة وأبلغوه ـ بحضور الشيخ حسين كوراني ـ بضرورة مغادرته العراق لأنّ (**العين محمرّة عليه**)[٢]، حيث كان هو أيضاً معرّضاً للاعتقال[٣]، فاختفى لعدّة أيّام في منزل تلميذه السيّد نور الدين الإشكوري الذي كان يومها يسكن الكاظميّة[٤].

وعلى ضوء ذلك قرّر السفر إلى موطن أجداده لبنان، ليكون من ناحية في منأىً عن أعين السلطة[٥]، ومن ناحية ثانية ليستغلّ وجوده في لبنان من أجل المساعدة في تحريك القضيّة إعلاميّاً بنحوٍ يخدم قضيّة السيّد الحكيم رحمه الله[٦].

استنابة السيّد كاظم الحائري في زيارة الزيارة الجامعة

وقبل سفره، زاره السيّد كاظم الحائري في بيته الكائن في شارع الخورنق، فذكر له السيّد الصدر رحمه الله أنّ في ذمّته زيارة الزيارة الجامعة في المشاهد المشرّفة وقراءة الزيارة أربعين مرّة/أسبوعاً، وحيث إنّ من المحتمل أنّ البعثيّين سيقضون عليه، فقد أوصاه بالقيام بذلك عنه. عندها بكى السيّد كاظم الحائري، فطلب منه السيّد الصدر رحمه الله أن يكفّ عن ذلك كي لا تسمع زوجته صوت البكاء[٧].

---

(١) سنوات الجمر: ١٢٤.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م.

(٣) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٤) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م ؛ وانظر جزءاً منه في: جريدة العهد، الجمعة ١٨/رمضان/١٤١٠ هـ، ص: هـ.

(٦) مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله (قدس سره) ؛ نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٦٧ ؛ صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٢٩) ؛ ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٦٣ ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦٩. وانظر:

Aux sources de l'islamisme chiite, Muhammad Baqer Al-Sadr , 1987, Une grande figure de l'islamisme en Iraķ Pierre Martin: 128.

(٧) انظر: صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد كاظم الحائري ؛ وقد حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م نقلاً عن السيّد كاظم الحائري، مع بعض الاختلاف والإضافات.

مصادرة السلطة أموال أولاد السيّد الحكيم رحمه الله

في ١٩٦٩/٦/٢٥م (٩/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ) قامت السلطة العراقيّة بمصادرة أموال أولاد السيّد محسن الحكيم رحمه الله[(١)].

سفر السيّد الصدر رحمه الله إلى لبنان

في ١٩٦٩/٦/٢٥م (٩/ربيع الثاني/١٣٨٩)[(٢)]، سافر السيّد الصدر رحمه الله بالطائرة إلى دمشق ومنها إلى بيروت، وقد التقى على متنها بالشيخ حسين كوراني، وكانت زوجة السيّد محسن الحكيم رحمه الله على متن الطائرة أيضاً وهي والدة السيّد مهدي الحكيم رحمه الله[(٣)]، وقد قضى السيّد الصدر رحمه الله معظم وقته في الطائرة يتلو القرآن الكريم[(٤)].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يريد المحافظة على سريّة الزيارة، فلم يبلّغ ابن عمّه وشقيق زوجته السيّد موسى الصدر بقدومه، فلم يكن في استقباله.

ومن دمشق انتقل السيّد الصدر رحمه الله والشيخ كوراني إلى بيروت ليوصلا زوجة السيّد الحكيم رحمه الله إلى منزل أخيها علي بزّي. ومن هناك استقلاّ سيّارة أجرة لتقلّهما إلى أحد الفنادق. وفي الطريق أخذ السيّد الصدر رحمه الله يحدّث السائق، فوجد أنّ لديه وعياً إسلاميّاً جيّداً، فأعجب بذلك.

قال السائق: إنّه يعرف فندقاً اسمه (فندق أمريكا)، فرفض السيّد الصدر رحمه الله النزول فيه بسبب اسمه، فسمّى له فندقاً آخر ـ وكان اسمه أجنبيّاً أيضاً[(٥)] ـ ، ولمّا لم يكن هناك خيارٌ آخر وافق السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**على الأقلّ هذا عمالته مبطّنة**».

بعد ذلك أرسل السيّد الصدر رحمه الله الشيخ حسين كوراني إلى الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله في الدكوانة، والذي كان عند وصول الشيخ كوراني يدرّس الشيخ حسن ملك كتاب (الرسائل) وأخبره بوصول السيّد الصدر[(٦)].

ومن الدكوانة اتّصل الشيخ شمس الدين رحمه الله بالسيّد موسى الصدر وأخبره أنّ ابن عمّه موجود في بيروت، ثمّ قصدوه ثلاثتهم. وعندما وصلوا إلى الفندق قال الشيخ حسن ملك للشيخ حسين كوراني: «**ألم تجد فندقاً غير هذا**»، فأجابه الشيخ كوراني: «**لقد وقع الأمر وانتهى**»[(٧)]. وكان ذلك عصراً، ثمّ

---

(١) هفت هزار روز (فارسي) ١: ١٩٦٩/٦/٢٥م.

(٢) جاء على جواز سفر الشيخ حسين كوراني: (الخروج من مطار بغداد: ٢٥/جون/١٩٦٩م) ثمّ: (قادماً من مطار دمشق: ١٩٦٩/٦/٢٥م).

(٣) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م ؛ وانظر جزءاً منه في: جريدة العهد، الجمعة ١٨/رمضان/١٤١٠ هـ، ص: هـ.

(٤) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م.

(٥) لعلّه فندق (كفاليه) (Cavalier) ـ أي الفارس ـ لأنّ الشيخ حسن ملك أخبرني بأنّه في (نزلة) الجامعة الأمريكيّة، وقد قيل لي إنّ الفندق الوحيد هناك هو هذا، بينما احتمل الشيخ كوراني أنّ اسمه (Cezar) (المؤلف).

(٦) تلفيقاً بين ما حدّثني به الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م وبين ما أضافه بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م. وقد ورد جزءٌ منه في: جريدة العهد، الجمعة ١٨/رمضان/١٤١٠ هـ، ص: هـ.

(٧) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

التحق بهم السيّد موسى عند المغرب[١].

وبعد السلام والاطمئنان انتقل السيّد موسى الصدر بابن عمّه إلى منزل المحامي أحمد القبيسي في منطقة (فردان) قرب المتحف[٢].

وقد استقرّ السيّد الصدر رحمه الله في منزل المحامي القبيسي هو والسيّد مرتضى العسكري، وكان معهم الشيخ حسن ملك الذي شدّد على المحامي القبيسي أن يطلب من زوجته ترك المنزل يوميّاً بعد فراغها من إعداد الغداء[٣]. وكان الشيخ حسين كوراني يحمل رسالةً من السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله إلى الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله[٤].

من بيروت إلى صور

بعد يوم أو يومين قضاهما في منزل المحامي القبيسي في بيروت، انتقل السيّد الصدر رحمه الله إلى صور[٥]، وبقي السيّد مرتضى العسكري في بيروت، وكان قد سبق السيّد الصدر رحمه الله في الوصول إلى لبنان نازلاً عند السيّد محمّد حسين فضل الله[٦].

وفي ١٩٦٩/٦/٢٨م (١٢/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ)[٧]، زار السيّدَ الصدر رحمه الله في صور كلٌّ من: الشيخ أحمد مغنيّة رحمه الله والدكتور إبراهيم عطوي وأخواه الدكتور إسماعيل والصيدلي خليل وغيرهم. وعندما علم الشيخ عفيف النابلسي بوجود السيّد الصدر رحمه الله قام بزيارته والتقى بهم هناك.

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م، ولكنّ الشيخ حسن ملك ذكر لي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م أنّهم التقوا بالسيّد موسى الصدر عند باب الفندق وصعدوا معاً.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م وبتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م ؛ ثمّ حدّثني به الشيخ عبد الأمير شمس الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣٠م ؛ ثمّ الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م ؛ انظر بالفارسيّة تقرير المخابرات الإيرانيّة حول وصول السيّد الصدر رحمه الله إلى لبنان وعزمه على قضاء الصيف، وكذلك السيّد مرتضى العسكري والشيخ محمّد الصادقي ؛ انظر الوثيقة رقم (٨٣) المؤرّخة بتاريخ ١٣٤٨/٤/١٦هـ ش (١٩٦٩/٧/٧م).

(٤) ذكر لي ذلك الشيخ حسين كوراني وأضاف بأنّه كان يحمل رسالة أخرى إلى السيّد محمّد حسين فضل الله. وكنّا نحتمل أنّ رسالته إلى الشيخ شمس الدين هي الرسالة المثبتة في: محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٤٢٣ ـ ٤٢٤. والمفهوم منها أنّه لم تكن هناك رسالة مستقلّة للسيّد فضل الله. ولكن يُحتمل أن تكون الرسالة المذكورة متأخّرة زماناً، وأنّها جاءت قبل أو بعد الرسالة التي أوصلها الشيخ كوراني.

(٥) ذكرت لي السيّدة أم جعفر الصدر أصل انتقاله إلى صور، وقد ذكر لي الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م أنّ ذلك كان بعد أسبوع قضاه السيّد الصدر رحمه الله في منزل القبيسي في بيروت. ولكن سيأتي الوجهُ الصحيح في ذلك.

(٦) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٧) ذكر لي الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م أنّ السيّد الصدر رحمه الله مكث في منزل القبيسي في بيروت حوالي أسبوع، وبعدها انتقل إلى جباع. ولكنّ الذي يبدو لي هو أنّه استقرّ ليوم أو يومين فحسب، لأنّ الشيخ عفيف النابلسي الذي زار السيّد الصدر رحمه الله في صور قبل ساعة أو نصف ساعة من ذهابه إلى جباع، قال: إنّ السيّد موسى الصدر كان على موعد في حينها مع كلمة في مدينة النَبطيّة. والذي عثَرتُ عليه هو أنّ جمعيّة المقاصد الخيريّة الإسلاميّة وإدارة المدرسة المهنيّة الحديثة للبنات في النبطيّة أقامتا معرضهما الثاني بمناسبة اختتام العام الدراسي، وقد دُعي السيّد موسى الصدر إلى هذا الاحتفال وألقى كلمة، وكان ذلك في ١٩٦٩/٦/٢٨م (مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٣٨)، فيكون الصحيح ما أثبتناه.

ولم تدم الجلسة ـ بعد وصول الشيخ النابلسي ـ أكثر من نصف ساعة، حيث كان السيّد موسى الصدر على موعد مع كلمة له في مدينة النبطيّة[(١)].

وأثناء الجلسة راح السيّد موسى الصدر يشرح للسيّد الصدر رحمه الله قصّة ولادة المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وممّا قاله: «**من النعم أنّ ولادة المجلس تمّت في ظلّ عهد الرئيس الصديق فؤاد شهاب المعروف بميله العربي، وقد تعاون معه جدّاً الرئيس صبري حمادة، بحيث ما استطاع اليسار المعادي أن ينبس ببنت شفة. وبالطبع لو كان العهد عهد كميل شمعون أو من هو على شاكلته لرشقنا بسهام العمالة والتبعيّة للغرب، وما استطعنا أن نصل إلى هذه النتيجة..**

إنّ الرئيس صبري حمادة رجلٌ محبٌّ متواضع، وما فعله يدلُّ على ذكاءٍ سياسيٍّ كبير.. بعد الانتخاب جاء الرئيس صبري ومعه النوّاب، بينهم الرئيس السابق للمجلس عادل عسيران. ولّما وصل إليّ ليسلّمني المرسوم أخذ يدي يريد تقبيلها، فكنتُ أرفض وكان يصرُّ على التقبيل أمام النوّاب، وشدّ على يدي ولم يتركها حتّى وافقتُ أخيراً، وقبّلها ثمّ جلس إلى جانبي... جاء النوّاب خاضعين جدّاً واحداً بعد الآخر يقبّلون يدي حتّى جاء عادل عسيران فانحنى ليقبّل يدي فسحبتُها..

عندما دخل عادل عسيران ومعه هاشم الأتاسي وشكري القوّتلي على المرجع المرحوم السيّد محسن الأمين وقبّل الأتاسي وشكري القوّتلي يد السيّد الأمين، وصل عادل عسيران وسلّم على السيّد الأمين سلاماً عاديّاً وقال: كيفك يا سيّد!!؟...

عملُ صبري وانحناؤه وإصراره على تقبيل يدي أخضع الجميع واضطرّوا إلى تقبيل يدي.

بعد أن جلس الجميع قال صبري حمادة: يا سيّدنا اسمع هذه القصّة منّي: عندما كنتُ صغيراً كان والدي (الله يرحمه) دائماً يشجّعني ويقول لي: (بدّي خلّيك زلمة عند موسى بن جعفر عليهما السلام، وكنتُ أجهل ما يقول، ومات والدي رحمه الله وبقيت في ذهني هذه الذكرى حتّى جاء السيّد موسى فصرتُ أتعاون معه تلقائيّاً، وما دريتُ إلاّ أنّي صرتُ (زلمة) لموسى بن جعفر، وهو أنت يا ابن رسول الله، فأنا أشكر والدي وأترحّم عليه لهذا السبب، فأنا الآن خادم و(زلمة لإلك)، وأنت السيّد والأمير وأنا طوع أمرك. (اهـ)

ولّما حكيتُ [أي السيّد موسى] له قصّة موسى بن جعفر عليهما السلام باختصار وبيّنتُ له أنّ سبع بنات للإمام عليه السلام كان لهنّ ثوبٌ واحد وكانت كلُّ واحدة تنتظر أختها وقت الصلاة حتّى تنتهي لتأخذ الثوب وتصلّي به[(٢)].. رأيتُ الدموع تنحدر من عينيه لّما سمع هذه المأساة عن سيّده موسى بن جعفر عليه السلام...

وفي اليوم التالي زرنا رئيس الجمهوريّة وفقاً للأعراف الرسميّة، وكان البروتوكول أن يجلس الرئيس شهاب في الوسط وأنا على يمينه ويأتي صبري على شماله، ولكنّ صبري جلس إلى جانبي فصرتُ أنا الوسط وهما بجانبي، فانزعج الرئيس ولكنّه [أي صبري] لم يبالِ باللوم أو العتاب..»[(٣)].

من صور إلى جباع

بعد أن انتهت هذه الجلسة وذهب السيّد موسى إلى النبطيّة، اصطحب الشيخ أحمد مغنيّة السيّد

---

(١) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ١١.

(٢) لم أجده.

(٣) مشاهدات وتجارب، لقطات من سيرة الإمام الصدر: ٥٤ ـ ٥٧.

الصدر رحمه الله إلى جباع[١].

في جباع استقرّ السيّد الصدر رحمه الله بعيداً عن أعين الناس والصحافة في بناية الحاج حسن الحر (أبي علي)[٢]، وفي الشقّة الغربيّة من الطابق الأوّل على وجه التحديد المطلّة على منظر خلاّب. وكانت الشقّة قد أعدّها أساساً الحاج محمّد علي فيّاض (أبو علي) من أجل السيّد موسى الصدر الذي ظلّ لمدّة سنتين يتردّد عليها مع عائلته قبل أن يرتاد كيفون[٣].

ويبدو أنّ السيّد موسى الصدر لحق بابن عمّه إلى جباع بعد انتهاء عمله، ففي الليل أيقظ السيّد حسين صفي الدين ـ وكان ساكناً في الطابق العلوي من البناية نفسها ـ وقال له: «**قم، أتى صاحبك**»، فقال: «**ومن صاحبي؟**»، فقال له: «**السيّد محمّد باقر**»، فقام وسلّم عليه، ثمّ صار يؤدّي إليه الخدمات نظراً إلى سكنه في الطابق العلوي وامتلاكه سيّارة[٤].

والحقيقة أنّ السيّدين الصدرين أرادا الحفاظ على سريّة هذه الزيارة قدر المستطاع، حتّى أنّ السيّد موسى الصدر كان يتحفّظ على الحديث عن تواجد ابن عمّه في جباع وعن نشاطاته أمام أفراد العائلة أنفسهم[٥].

بعضُ ما جرى مع السيّد الصدر رحمه الله في جباع

١ ـ في اليوم الأوّل من وصوله إلى جباع قامت امرأةٌ ـ مولجة بخدمة الدار على ما يبدو ـ بتوزيع الشاي، وكان ذلك غريباً على السيّد الصدر رحمه الله نظراً إلى أعراف بيئته النجفيّة، فأشار عليها بترك (الصينيّة) والمغادرة[٦].

٢ ـ وبعد فترة من استقراره في جباع التحق به الشيخ محمود الخليلي، ولمّا التقى به السيّد الصدر رحمه الله سأله عن صدور تقريرات الصلاة للسيّد الخوئي رحمه الله، فأعطاه الشيخ الخليلي نسخةً من الكتاب وقال له: «**لقد علمتُ أنّك ستسألني عنه، فأحضرت لك منه نسخة**»[٧].

٣ ـ لقد قضى السيّد الصدر رحمه الله معظم أوقات تواجده في لبنان في بلدة جباع، وكان يستفيد من (الروف) الذي أعدّه الحاج محمّد علي فيّاض على سطح بناية الحرّ في جباع، حيث كان يحلو الجلوس شرقاً وغرباً. وكان السيّد الصدر رحمه الله قليل التحرّك داخل البلدة نتيجة الوضع الأمني السائد، فلم يكن يخرج إلاّ نادراً. وكان سامي نجل الحاج محمّد علي فيّاض مكلّفاً بتأمين حاجيّاته المنزليّة، وكان والده الحاج أبو علي ملازماً للسيّد الصدر رحمه الله خلال الفترة التي قضاها في جباع ـ وهو صاحب

---

(١) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ١١.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ محمود فرحات رحمه الله بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٢م والسيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٣م.

(٣) حدّثني بذلك الحاج محمّد علي فيّاض (أبو علي) في داره في جباع بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٤م، وانظر صورة المنزل في الملحقات.

(٤) حدّثني بذلك السيّد حسين صفي الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م. وكان السيّد حسين صفيّ الدين قد تعرّف على السيّد الصدر رحمه الله سنة ١٩٦٢م على ما يبدو.

(٥) حدّثني بذلك السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م.

(٦) حدّثني بذلك الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م.

(٧) حدّثني بذلك الأستاذ محسن كماليان بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م، ثمّ الشيخ محمود الخليلي بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٩م.

البيت المقابل لبناية الحاج حسن الحرّ ـ فكان يحضر سهراته ويصحبه إذا خرج.

٤ ـ وذات مرّة خطّط الحاج محمّد علي فيّاض (أبو علي) لنزهةِ شاي في بستان يعود له، فدعا نحوا عشرة أشخاص كان منهم إضافة إليه وإلى السيّد الصدر رئيسُ البلديّة علّي مروّة وزكي بيضون من صور وعلي بك التامر والسيّد عبد الله نور الدين من جباع، إضافةً إلى الحاج حسن الحرّ.

وبعد انتهاء النزهة وهم يتسامرون ويتحادثون ويسألون السيّد وهو يجيبهم عادوا أدراجهم، وقد قام الحاج حسن الحرّ بإرجاع السيّد إلى المنزل بسيّارته ومعهما الحاج محمّد علي فيّاض. وعندما وصلوا بالقرب من دكّان في القرية، لمحوا السيّد جعفر شرف الدين ومعه [السيّد موسى] الإصفهاني حفيد السيّد أبو الحسن الإصفهاني، فقال السيّد الصدر للحاج الحرّ: «**أكمل أكمل لا تدعهم يروننا**». وقد استغرب الحاج فيّاض من هذا الأمر كثيراً، فاستفسر في اليوم التالي من السيّد عبد الله نور الدين فذكر له الأخير أنّ السيّد الإصفهاني أتى مع مجموعة من الضبّاط العراقيّين بهدف اغتيال السيّد موسى الصدر، ولما سأله عن مصدر هذه المعلومة ذكر لهُ أنّه حضر اجتماعاً في منزل الشيخ محمّد الصادقي ـ الذي سكن فترةً في جباع ـ ضمّ السيّد الإصفهاني والسيّد موسى الصدر لم يسلّم فيه الأخير على السيّد الإصفهاني عند دخوله، وقد حفل المجلس بنقاشات دارت بالفارسيّة بين السيّد الإصفهاني والسيّد موسى الصدر والشيخ الصادقي، وبعد أن استفسر السيّد نور الدين من الشيخ الصادقي عن سبب النقاش ذكر له ذلك[1].

٥ ـ وذات مرّة كان الحاج فيّاض في منزل السيّد الصدر المقابل لبيته، فقال له السيّد الصدر: «**إنّ السيّد حسن الأمين نجل السيّد محسن الأمين موجودٌ في منزل السيّد عبد الله نور الدين، هل تحبُّ أن تذهب إلى السهرة؟!**»، فقال له الحاج: «**يسرّني ذلك**».

وفي منزل السيّد عبد الله نور الدين كان السيّد حسن الأمين ومعه إحدى الشخصيّات العلميّة إضافةً إلى السيّد نور الدين نفسه وزكي بيضون وعبد الله صفاوي، وقد كانت الجلسة عامرة بالنقاشات العلميّة التي دارت بين السيّد الصدر وبين السيّد حسن الأمين[2].

---

(١) حدّثني بذلك الحاج محمّد علي فيّاض بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٤م. ويأتي الحديث إن شاء الله تعالى عن موضوع اغتيال السيّد موسى الصدر. ويبدو أنّ السيّد الصدر كان على علم بمهمّة السيّد الإصفهاني الذي كان قد التقى بالسيّد جعفر شرف الدين في بغداد أثناء مشاركة الأخير في احتفالات الرابع عشر من تمّوز. وربّما التقى الاثنان حول خلافهما مع السيّد موسى الصدر، وكان السيّد جعفر على خلاف معه في تلك الفترة وقبل عودة المياه إلى مجاريها. وهذا ما يفسّر من ناحية اجتماع السيّد جعفر شرف الدين بالسيّدّ الإصفهاني، ومن ناحية أخرى يفسّر حذر السيّد الصدر من رؤيتهما إيّاه. أمّا موضوع اغتيال السيّد موسى الصدر، فهو صحيح وإن لم يكن بواسطة السيّد الإصفهاني نفسه كما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) حدّثني بذلك الحاج محمّد علي فيّاض في داره في جباع بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٤م. وقد ذكر لي الحاج فيّاض أنّه سأل السيّد الصدر: إذا اشتكى عليّ شخصٌ إلى المحكمة، وكنتُ أنا صاحب الحقّ ولكنّه كان (مسنوداً) وكان القاضي مسيحيّاً، وقد قالوا لي: قصَّ على القاضي حكايتك قبل المحكمة. ولنفرض أنّني ذهبتُ إلى بيت القاضي وفتحت لي زوجته الباب، فلو لم أسلّم عليها قد ينعكس ذلك على القضيّة، فهل يجوز لي السلام عليها؟ فأجابه السيّد الصدر:

٦ ـ وذات مرّة دخل عليه الحاج فيّاض فوجد في البيت بعض شخصيّات جباع فسأل عن السيّد الصدر رحمه الله فقيل له: إنّه يتغدّى، ففتح الباب وإذا عنده اثنان أو ثلاثة من العلماء يتناول معهم الطعام مفترشاً الأرض، وكان طعامه عبارة عن حبّات مسلوقة من (البطاطا) والبيض المسلوق، إلى جانب صحن (لبنة) و(خرطات) من (البندورة) فقال له: «**تجلس على الأرض وهذه الطاولة موجودة**»، فأجابه رحمه الله: «**هكذا أثوب، الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾**[1]»[2].

٧ ـ وذات مرّة دعي السيّد الصدر رحمه الله والسيّد مرتضى العسكري عصراً إلى أحد البساتين في جباع.

وبعد تفرّق المجتمعين، قال السيّد الصدر رحمه الله للسيّد العسكري: «**أبو نوري اكتب ذكرياتك**»، وكان السيّد العسكري منزعجاً، خاصةً بعد أن تمّ إرجاع عائلته من الأردن إلى العراق ولم تتمكّن من الالتحاق به، فسكت السيّد العسكري، فقال السيّد الصدر رحمه الله: «**ألا تحب أن يذهب البعث؟!**»، فقال: «**بلى**»، فقال رحمه الله: «**اعقد نذراً أنّه إذا زال حكم البعث فسأكتب مذكّراتي**»، فلم يفعل، فأخذ السيّد الصدر رحمه الله بتلابيبه قائلاً: «**لا أفكّك حتّى تعقد النذر**»، فعقده[3]، كما أنّ السيّد الصدر رحمه الله نذر أيضاً أن يكتب مذكّراته إذا زال حزب البعث[4].

٨ ـ ومن جباع أيضاً قام السيّد حسين صفي الدين بدعوة السيّد الصدر رحمه الله وعائلته إلى تناول اللحم المشوي عند نبع الطاسة، حيث قضت العائلتان وقتاً مؤنساً[5].

٩ ـ كما قام السيّد حسين صفي الدين باصطحاب السيّد الصدر رحمه الله وعائلته في نزهة إلى المناطق القريبة منهم، فأخذه إلى عرمتا وجزين وغيرهما.

وفي جزّين قصد السيّد الصدر رحمه الله إحدى المقابر الشيعيّة وراح يبكي قائلاً: «**هنا كانت مرجعيّة الشيعة، هذه المنطقة كانت بمثابة النجف اليوم**»[6]، وصلّى في مسجدها المهدّم ووقف متأمّلاً، كما زار آثار مدرسة حوزيّة خرّجت العديد من العلماء[7]، ولعلّ المراد مسجد الشهيد الأوّل رحمه الله الذي تحوّل حديثاً إلى كنيسة[8].

«أتستحي من المخلوق ولا تستحي من الخالق؟!».

(١) الأعراف: ٣١.

(٢) مقابلة مع الحاج محمّد علي فيّاض (حفظه الله).

(٣) من كلمة السيّد مرتضى العسكري بمناسبة ذكرى السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ١٦/محرّم الحرام/١٤٢٢هـ. يقول السيّد العسكري ـ قبل زوال حكم البعث ـ إنّه كتب شيئاً من ذكرياته في «**عشر سنوات عجاف**»، ولكنّه لم يكتمل بعد.

(٤) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٢٣.

(٥) حدّثني بذلك السيّد حسين صفي الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م. وقد ذكر لي أنّه لم يكن مع العائلتين أحد. و(نبع الطاسة) هو نبع نهر الزهراني الذي ينبع من أسفل المنطقة الفاصلة بين بلدتي جرجوع واللويزة في إقليم التفّاح ثمّ يمرّ بعربصاليم فحبّوش إلى أن يصبّ في البحر الأبيض المتوسّط ؛ انظر ملحق الصور.

(٦) حدّثني بذلك السيّد حسين صفي الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.

(٧) مقابلة مع السيّد حسين صفي الدين (رحمه الله).

(٨) انظر حول المسجد: بهجة الراغبين في مؤلّفات الشيخ محمّد رضا شمس الدين: ٣٩٠، ٤١٦، ٤١٧.

١٠ ـ وأثناء سكنه في جباع كان السيّد الصدر‌رحمه الله كثيراً ما يتردّد إلى بلدة عربصاليم حيث يجلس وإخوانه تارةً في بستان الحاج أبي نجيب فرحات المقابل لجبل الريحان والمشرف على الوادي الذي يجري فيه نهر الزهراني، وأخرى عند طاحونة الحاج علي فرحات عند النهر[١].

١١ ـ ودُعي السيّد الصدر‌رحمه الله إلى بلدة عربصاليم، وكانت دعوة كبيرة حضرها عددٌ من العلماء ووجهاء البلدة، وكانت على (نبع الطاسة)، ودارت أحاديث علميّة مختلفة، وكان الارتيلح بادياً على السيّد الصدر‌رحمه الله[٢]، وقد أعدّوا له في هذه الدعوة اللحم المشوي[٣].

١٢ ـ وذات مرّة دعا الحاج محمّد يوسف سويدان (أبو عادل) السيّد الصدر‌رحمه الله إلى منزله في بلدة ياطر حيث حضر جمعٌ من أهل الفكر والثقافة كان منهم عبد العزيز سويدان (مدير مجلس البحوث العلميّة) والشيخ علي الزين إمام البلدة آنذاك. وبعد انتهاء السهرة قال الأستاذ عبد العزيز سويدان: «**الذي يحترم نفسه لا يتكلّم في محضر هذا الرجل، بل يستمع فحسب**»[٤].

١٣ ـ وأثناء تواجده في لبنان، التقى السيّد الصدر‌رحمه الله بأحد التجّار الكويتيّين الذي شكا للشهيد‌رحمه الله عدم إنجاب زوجته، وطلب منه أن يدعو الله كي يرزقه طفلاً، ونذر لله أن يدفع مائة دينار شهريّاً إلى السيّد إذا رزق بطفل. واستجاب الله الدعاء ورزق التاجر بطفل، وصار يرسل مائة دينار شهريّاً، ولكنّ السيّد الصدر‌رحمه الله لم يكن يأخذ منها شيئاً، بل كان يوزّعها على عشرة من الطلبة كان يعطي كلّ واحد منهم عشرة دنانير.

وبعد سنتين ونصف قطع التاجر هذا المبلغ، ولكنّ السيّد الصدر‌رحمه الله استمرّ في إعطاء المبلغ لهؤلاء الطلبة من ماله الخاص لمدّة ستّة أشهر إلى أن عرف هؤلاء الطلاّب بالقصّة فامتنعوا عن أخذ المال[٥].

١٤ ـ وأثناء إقامته في لبنان ـ سنة ١٩٦٢م أو ١٩٦٩م ـ أتاه أحد اللبنانيّين وصارحه بأنّه سيقدم على اقتراف ذنب لا تنفع معه المغفرة، وطلب منه أن يرشده إلى ما يمكنه فعله، فقال له السيّد: «**ليس هناك ذنبٌ لاّ تنفع معه المغفرة إلاّ أن يُشرك به، وبما أنّك لم تقدم بعدُ عليه، فلا تفعله من أساس**»، فأجابه بأنّه لا بدّ له من اقتراف هذا الذنب، فاستمهله‌رحمه الله إلى اليوم الثاني ريثما يفكّر في الموضوع.

وبعدها عمد السيّد الصدر‌رحمه الله إلى استعراض الذنوب التي يمكن أن يقوم بها هذا الشخص، ثمّ عمد إلى تضييق دائرتها على ضوء ما وصفه له من أنّه ذنبٌ لا بدّ له من أن يقترفه وأنّه بنظره لا تنفع معه المغفرة.

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ محمود فرحات‌رحمه الله بتاريخ ٢/٦/٢٠٠٤م. انظر الصورة في الملحقات.

(٢) خواطر محفوظة بدون سند (رحمه الله).

(٣) حدّثني بذلك الشيخ محمّد فرحات‌رحمه الله شتاء ١٩٩٧م قبيل وفاته‌رحمه الله بأيّام.

(٤) حدّثني بذلك الحاج محمّد يوسف سويدان بتاريخ ٢٤/٧/٢٠٠٤م.

(٥) الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٧، نقلاً عن أحد الطلبة المذكورين. ويظهر من بعض رسائل السيّد الصدر‌رحمه الله إلى الشيخ علي كوراني أنّه الحاج أحمد يوسف البهبهاني ومن بعضها الآخر أنّه الحاج حمزة مقامس. ولكنّني علمت مؤخراً أنّ الأخير لم يعقّب إلى اليوم، فإمّا أن يكون الحاج البهبهاني وإمّا أن يكون ما أوردناه في المتن غير دقيق.

وبعد مجموعة عمليّات انقدح في ذهنه ﵀ أنّ هذا الشخص يريد أن يقتل والده لمشكلة معيّنة يسبّبها وجوده. ولمّا اطمأنّ ﵀ إلى هذه النتيجة قرّر أن يفاجئه بذلك لكي يشكّل علمه بالقضيّةً وازعاً يردع الولد عن قتل أبيه.

وفي اليوم التالي، بادر السيّد ﵀ إلى الصراخ في وجه ذلك الشخص: «**ما هذا الذنب الذي تريد أن تقترفه! ما أبشع أن يقتل الولد أباه! هذه الجريمة يهتزُّ لها العرش..**»، وقد جعل كلامه ذاك الشخص متفاجئاً، الأمر الذي أكّد للسيّد ﵀ صحّة استنتاجه، ثمّ اعترف له بما كان عازماً على الإقدام عليه[١].

١٥ ـ وفي لبنان التقى به الأستاذ سجّاد الرضوي[٢].

١٦ ـ وبعد مرور شهرٍ تقريباً على تواجده في لبنان، التحقت به زوجته السيّدة أم جعفر[٣].

بعض مراسلات السيّد الصدر ﵀ من جباع

أثناء إقامة السيّد الصدر ﵀ في جباع، كتب إليه السيّد عبد الغني الأردبيلي ﵀ رسالةً يستفسرُ فيها عن وضعه، فكتب ﵀ إليه رسالةً جوابيّة جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي وقرّة عيني وعضدي الغني نفساً وقلباً وروحاً بأروع ما يمكن أن تغتني به النفوس والقلوب والأرواح لا عدمتكم ولا حرمتكم.

السلام عليكم وعلى الأحبّة لديكم مع كلّ لحظة ومع كلّ ذكرى ومع كلّ تنفّس أتنفّسه بعيداً عنكم وعن [أجوائكم] الحبيبة ودياركم العزيزة.

أكتب إليكم هذه السطور وقد تسلّمت قبل يومين رسالتكم العزيزة، أي بعد أكثر من عشرين يوماً من تاريخ كتابتها. وقد قرأتها بكلّ جوارحي ومشاعري وغاصت في أعماق قلبي. والواقع يا عزيزي أنّ هذه الرسالة وأمثالها من رسائل الأهل والأحبّة هي سلوتي في وحدتي وأنيسي في وحشتي ونوري في ظلمتي لأنّها الجسر إلى أحبّتي وإلى قلوب دخلتها بإذن الله خطوة خطوة، وأنرتها بإذن الله زاوية زاوية، وعبّأتها بإذن الله طاقة طاقة، فلم يعد لي من كنز سوى تلك القلوب العامرة بالإيمان، الزاخرة بروح التضحية، الواعية على مسؤوليّتها الكبيرة.

بنفسي أنت وأنتم جميعاً، وبعين الله ما تعيشونه من مشاعر وانفعالات، وتأكّدوا أيّها الأحبّة أنّ هذه المشاعر والانفعالات هي من أعظم ألوان العبادة لله، وأيّ عبادة أعظم من التعبّد بالألم من أجل الله وفي سبيل الله، وأسأل المولى سبحانه وتعالى أن يقرّ عيوننا باللقاء بعد هذه اللوعة وبعودة الشمل في آخر هذا الصيف، وسوف تبقى مع ذلك ذكريات هذا الصيف عالقة مدى العمر.

أسعدني جدّاً تأكيدكم يا عزيزي على الاستمرار في تنفيذ الوصايا ورعاية الحوزة الصغيرة، إنّ هذا هو ما تحتّمه وتوجبه المرحلة الحاضرة عليكم وعلى سائر الأحبّة.

ترابطوا فيما بينكم وليتفقّد بعضكم بعضاً، وحاولوا أن تحافظوا على الصلة مع أكبر عدد ممكن من الأفراد الذين كانوا يحضرون الدرس أو يحضرون ليلة الخميس، اهتمّوا بشكل خاص بمباحثة اقتصادنا، كان الله معكم وفي عونكم.

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٤م نقلاً عن السيّد الصدر ﵀؛ انظر أحداث سنة ١٣٩٣هـ.

(٢) خواطر محفوظة بدون سند (﵀).

(٣) ذكرت لي ذلك السيّدة أم جعفر الصدر.

صحّتي بخير ولا أزال في جباع، ولا أشكو شيئاً من آلام هذه الدنيا الرخيصة والحمد لله على كلّ حال.

وأستودعكم الله والى اللقاء، والسلام عليكم وعلى كلّ الأحبّة وليطّلع السيّد كاظم والسيّد محمود[١] ومن هو بحكمهما على هذه الرسالة.

محمّد باقر الصدر»[٢].

ومن جباع أيضاً كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ علي كوراني ـ باسم مستعار نظراً إلى الظروف الأمنيّة ـ رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم أبا ياسر لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليكم ورحمة الله.

أكتب إليكم هذه السطور من جباع بعد تسلّم رسائلكم الكريمة البارّة المخبرة عن سلامتكم وسلامة سائر المؤمنين لديكم.

صحّتي جيّدة وإن كانت الظروف النفسيّة متعبة، خصوصاً مع المضاعفات التي ينتجها المغرضون عن قصد والأصدقاء ومدّعو الصداقة لا عن قصد أو عن نصف قصد على السواء. وكان من نتيجة هذه المضاعفات ما لا يحمد عقباه من الإشاعات والافتراءات التي تلصق بأبي مرام، الأمر الذي يحتّم أن يكون بعيداً عنه أيّ شخص.

أعتبر أنّ مجيئك إلى لبنان غير صحيح إطلاقاً بل الرأي الراجح عند الكوراني وسائر أفراد عائلتك في ياطر أن تبقى في الكويت بالشكل الذي يريده الكويت وتمارس وعظك وإرشادك بالشكل الذي يمارسه سائر العلماء، حتّى يعرف الناس جميعاً حقيقتك وأنّك لا تشذّ عنهم في شيء. وسلامي على سائر من ينبغي السلام عليه والسلام عليكم ورحمة الله.

المخلص

زكي كاظم»[٣].

ولكنّ الشيخ علي كوراني أتى فعلاً إلى لبنان يومها وكان مهتمّاً بالحفاظ على السيّد الصدر رحمه الله[٤]، ثمّ رجع إلى الكويت على ما يأتيك إن شاء الله تعالى.

ومن جباع أيضاً كتب رسالةً إلى الشيخ كوراني ـ ربّما بعد مجيئ الشيخ ـ يخبره فيها عن عزمه على الذهاب إلى كيفون ثمّ الرجوع، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحيم الرحيم

عزيزي المفدّى والمُرجى لا عدمته ولا حرمته

السلام عليكم زنة أملي ودعائي

وبعد، فقد تسلّمتُ الرسالة الكريمة البارّة وفرحتُ جدّاً بما ~~تحدّثكم~~ تحدّثتم به من إنجازات، أسأل الله أن تتمّ بالشكل المأمول والمطلوب، وأبتهل إليه سبحانه أن يتقبّل كلّ الجهود ويجعلها خالصة لوجهه وخطّه، ويكتبنا من عباده المخلصين. كما أنّ موضوع حلّ مشكلة السيّد الرفاعي أراحني وأزال قلقي الشديد من

---

(١) يقصد السيّد كاظم الحائري والسيّد محمود الهاشمي.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٨٤) ؛ وانظر مقطعاً منها في كتاب: الروضُ الخميل.. مذكّرات في التاريخ والنوادر الأدبيّة، مخطوط.

(٣) انظر الوثيقة رقم (٨٥).

(٤) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

ناحيته.

موضوع بقاء شخص عندي لقضاء الحاجات غير وارد لأنّ الاحتمال حتّى الآن غير منجّز شرعاً في نظري، وما دام غير منجّز فأنا غير مستعدٍّ للاحتياط من ناحيته، ولهذا أفضّل تأجيل اتّخاذ خطوة من هذا القبيل فعلاً، وأنا [عزمتُ] اليوم بعد الظهر على التحرّك إلى كيفون، وسوف أظلّ هناك إلى مساء الغد ثمّ أعود إلى جباع.

والسلام عليكم أوّلاً وآخراً وإلى اللقاء.

الصدر»[١].

ويكتب رحمه الله إلى السيّد حسين صفي الدين:

«بسمه تعالى

عزيزي المعظّم أبا عماد لا عدمتك ولا حرمتك.

بعد آلاف التحيّة والأشواق، أخبرك أيّها الأخ العزيز أنّك مدعوٌّ عند السيّد أبي رفيق مساء السبت بمناسبة توديع صاحبك، فالاجتماع هناك في بحمدون.

ووداعاً إلى اللقاء هناك.

والسلام عليكم ممّن لا ينساكم

محمّد باقر الصدر»[٢].

ولادة (صبا) و(ابتهال)

كانت السيّدة فاطمة الصدر تعاني من ثقل حملها الثالث، إلى جانب مسؤوليّتها طفلتيها مرام ونبوغ اللتين اصطحبتاهما إلى لبنان، وكانت مراحل السفر متعبة بين العراق ولبنان، ولم تكن هناك فرصة للراحة والتقاط الأنفاس، وبالتالي لم يتوفّر لها جوٌّ من الاستقرار والراحة أثناء السفر. لذلك كلِّه، لم يُتح لحمل السيّدة فاطمة أن يؤتي ثمرته كما ينبغي، على الرغم من وجود الأهل والأقارب في لبنان، والذين قاموا بما قدروا عليه من العناية الفائقة بها.

ولذلك فقد عاجلها الطلق قبل أوانه[٣]، حيث كان للحمل ستّة أشهر فقط[٤]، وقد أوصلها السيّد حسين صفي الدين ـ بصحبة السيّد الصدر رحمه الله ـ إلى (مستشفى مالك بدر الدين) للولادة في بيروت، حيث وضعت توأماً من البنات. وذهب السيّد الصدر رحمه الله لتبشير السيّد صفي الدين الذي استبقه بالقول: «**إن شاء الله صبي يا مولانا**»، فقال له: «**لا بل توأم بنات**»، فحزن السيّد صفي الدين، فقال له السيّد الصدر رحمه الله: «**لا تحزن، الصبي نعمة والبنت حسنة، النعمة يُسأل عنها والحسنة يثاب عليها**»[٥]. وكان ذلك بتاريخ ١٥/جمادى الأولى/١٣٨٩هـ (١٩٦٩/٧/٣٠م)[٦].

وقد وُضعت ابنتا السيّد الصدر رحمه الله مؤقّتاً في حاضن المستشفى، وكان وضعُ إحداهما سيّئاً، ثمّ

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٨٦).

(٢) انظر الوثيقة رقم (٨٧).

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٧٠.

(٤) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.

(٥) حدّثني بذلك السيّد حسين صفي الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م، وقد ذكر السيّد صفي الدين (الرحمة) بدل (الحسنة) وما أثبتناه هو الموجود في لسان الروايات (انظر مثلاً: من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨١).

(٦) تلفيقاً بين ما حدّثني به السيّد حسين شرف الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٤م وبين ما حدّثني به هاتفيّاً بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٥م.

وضعت لفترة أسبوع تقريباً في مستشفى (فلسطين الدائم) في صور[١]، ثمّ توفّيت ولها ١٨ يوماً، وقد أسمتها أم جعفر (ابتهال)، وتولّى دفنها الشيخ عبد الأمير قبلان في ساحة برج البراجنة، وقال: «**لقد تفضّل علينا آل الصدر، وأبوا إلاّ أن يتركوا بيننا بضعة منهم وإن في مقبرة**»[٢]، وبقيت البنت الثانية تكابد آلام الحياة من علّة وسقم[٣].

السيّد الصدر ﵀ ضيفاً عند السيّد حسن الموسوي

قال السيّد الصدر﵀ للسيّد حسن الموسوي: إنّه سيقوم بزيارته في منزله في بيروت، فرحّب السيّد الموسوي بذلك وقال له: إنّه سيدعو جمعاً من رجالات العلم من رجال دين وغيرهم، وسيعدُّ وليمة عشاء.

وفي ١٩٦٩/٨/١٢م (٢٨/جمادى الأولى/١٣٨٩هـ) اجتمع ما يقرب من سبعين شخصيّةً في منزل السيّد الموسوي، كان منهم: السيّد عبّاس الموسوي (أبو علي)، السيّد عبّاس أبو الحسن وأنجاله السيّد فخر الدين والسيّد إبراهيم والسيّد نور الدين والسيّد حسين، وكان معظمُ البقيّة من الجامعيّين. وكان مقرّراً أن يحضر السيّد موسى الصدر ولكنّه اعتذر لذهابه إلى العرقوب[٤]. وفي هذا اللقاء ألقى صاحب المنزل كلمةً جاء فيها:

«الأوزاعي: ٦٩/٨/١٢

بسم الله القويِّ العزيز

بسم الله والحمدُ لله

سيّدي صاحب الحجّة

سادتي أصحابَ السماحة

إخواني أيّها السادة.. السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته

بوركتم فبوركت الأرض التي وطأتموها، وهذه أوّل الصفقة، فلعمري هذه اللحاظات التاريخيّة المجيدة وهذه الساعات المباركة الخالدة العامرة بالإيمان والحافلة بالسعادة والمحبّة.

سادتي..

قبل أن أقف وقبل أن أمتثل، كنتُ أعتقدُ لا بل كنتُ أؤمن بأنّني سأحصل على أسمى درجات الشرف والرفعة والفخر والاعتزاز في موقفي هذا وأنا أرتاح إلى ربِّ العزّة وأشهده على الغاية.

كيف لا وأنا أقف وأمتثل أمام رعيلٍ من جنود الله تعالى، من قادةِ الحقّ، من ذرى وأنصار آل بيت محمّد ﷺ.

هذا الرعيل العظيم من كواكب النور والإيمان من حملة أعلام الدين وقواعد العلم، ومن حولهم لفيفٌ من النجوم من شبابنا المؤمن الصادق الذي عُرف بولائه ووفائه للحقِّ وأهله.

هذا اللفيف الكريم الذي تحسّست فيه القلوب الطاهرة وهي [تتحفزّ] للوثوب من الصدور لتحيط بالكواكب ولتعانق قلب القمر المنير.

---

(١) حدّثني بذلك السيّد حسين شرف الدين ونجله لؤي بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٨م.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٧٠.

(٤) حدّثني بذلك السيّد حسن الموسوي بتاريخ ٢٠٠٤/٨/١٨م.

طبعاً ليس قصدي القمر الذي حطّ عليه الروّاد الأمريكيّون، بل أقصد قمر الهاشميّين للقرن العشرين مولانا الإمام ~~موسى الصدر~~ محمّد باقر الصدر.

سادتي..

إنّ هذا التعبير لا يعني التفرقة والتمييز. لقد كان لكلٍّ من مولانا أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام دورٌ شرّف الإنسانيّة جمعاء وبلغ قمّة العطاء، فعلى هذا المقياس العظيم ومن هذه النسبة يأتي ولائي لسماحتكم جميعاً.

سادتي العلماء.. أيّها السادة..

إنّ دولاً وإنّ شعوباً تمكّنت بفضل علمائها أن تجد عنصراً مفجّراً للذرّة، وهذا العنصر يسمّى بالنيون الإيجابي الحرّ. لذلك أصبحت تملك السلاح الهدّام المبيد [ذا] التدمير الجماعي. عندها ملكت زمام السيطرة وباتت تؤرجح بالأمم الأخرى ذات اليمين وذات الشمال.

وإنّني أؤمن بأنّ لنا من السلاح ما هو أقوى من الذرّة، ألا وهو الإيمان بالله والحقِّ والكرامة، ولكنّ هذا السلاح يحتاج إلى توحيد وائتلاف ليصبح ذا مفعول إيجابي..

والحمد لله، إنّ لنا من علمائنا العظام أكبر الطاقات التي تمكّنهم من توحيد الإيمان والقلوب في كلّ نفس وصدر، وهم [شارعون] في بذل الجهد والطاقات لأجل ذلك. ومع هذا، فإنّنا في هذه الأيّام الحاسمة، في هذه الظروف العصيبة، في هذه الرقعة من العالم، تمرُّ أمّتنا الإسلاميّة بمراحل دقيقة وخطرة، وتمرُّ شيعة عليٍّ عليه السلام في أدقّ وأخطر هذه الأيّام والظروف والمراحل، والأدلّة كثيرةٌ وواضحةٌ وأبرزها:

١ ـ على الصعيد الإسلامي: إنّكم تعلمون بلا ريب ما يحيط بأمّة محمّد صلى الله عليه وآله من المخاطر والمهالك من كلّ خطر وجانب.

٢ ـ على الصعيد الشيعي: وممّا لا شكّ فيه أنّكم تعلمون أيضاً ما دار ويدور مع علمائنا العاملين في العراق من شتّى الأشكال والألوان.

ولننتقل إلى القرب القريب ولنكن على بيّنة، ولنعلم كلّنا بما يُحاكُ ويُدبّرُ لنا ولمولانا، لقائدنا ورائدنا الإمام موسى الصدر من مخطّطات جهنّميّة حمراء مصدرها فئة البغي والشرّ والفساد، ومعظمُنا في سباتٍ عميقٍ في معزلٍ عن قضيّتنا المصيريّة.

ولكن هناكَ وهنا حزب الله تعالى، حزب الحقّ من رجال محمّد صلى الله عليه وآله، رجال عليٍّ والحسن والحسين عليهم السلام، فمن رجال علمائنا الأحرار من هم بالمرصاد للطغام، لأهل الشرِّ والفساد.

من هنا، ومن هذه المعلومات حذاري حذاري أيّها الشباب..

إنّنا نمرُّ اليوم في محنة كبرى، وعند الامتحان يُكرم المرء أو يهان.

إنّ هذه المحنة ليستْ هي المرّة الأولى من نوعها، لقد مرّ آباؤنا وأجدادنا عبر التاريخ وعبر العصور أمام أجسم وأقسى المخاطر على الإطلاق، واجتازوها منتصرين ظافرين بعون الله وقوّة الإيمان والعقيدة والثبات، تاركين للشرفاء الأحرار تراثاً خالداً بالعطاء ما فوق الطاقات البشريّة في جميع الميادين والحقول التي ترضي الله، وخاصّةً في ميدان الجهاد والتضحية والرجولة والبطولة والصبر والتحمّل والإقدام.

وها هي معارك بدريّة وحنينيّة، خيبريّة وكربلائيّة لا تزال تقشعرُّ لذكرها الأبدان وتشيب من حولها الأطفال. هذه المعارك التاريخيّة المشرّفة تشهد لأجدادنا، لأئمّتنا، والتاريخ يشهد، فالدنيا كلّها تشهد، والله خيرُ الشاهدين.

إنّ هذا التراث العظيم سبقى طريق الإنسان الحرّ إلى أن تقوم الساعة.

إنّه الطريق الصحيح، طريق المجد والكرامة الذي سار ويسير في إطار الحقّ، والذي صنعه أئمّتنا عليهم السلام ويسلكه علماؤنا الأبرار.

من هنا، فمن شاء فليتّخذ إلى ربّه سبيلاً، لنعتبر، لندرك، لنعي ولنعمل.

أيّها الشباب.. كلّنا مسؤولٌ بدرجة معيّنة، فليعمل بهذه الدرجة، وشكراً له، فالحصوة تسند الزاوية.

سيّدي صاحب الحجّة.. أيّها العلماء..

إنّ لزيارتكم التفقّديّة الكريمة أعمق الأثر في نفسي، إذ بتُّ أشعر وكأنّني من السعادة في قبلتها ومن الكرامة في قمّتها ومن الجنّة في فسيحها، فمن الله قريب.

سادتي.. لأنّكم في هذه الزيارة إنّما تزورون جنوداً لكم لا بل سهاماً جاهزة لتنطلق إلى قلوب أعدائكم وأعداء الله.

أوليائي..

فبأيٍّ لسانٍ أرحّبُ بسماحتكم! إنّ المثل القائل:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * * نحنُ الضيوف وأنت ربُّ المنزل[1]

قد فقد وزنه وأصبح عديم الفعالية في هذه المناسبة، إذ إنّكم منّا بمنزلة الرأس من البدن، وبمنزلة الروح من الجسد.

فمرحباً بكم جميعاً من القلب ومن الدم، من الروح ومن النفوس.. مرحباً بمولانا حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر الصدر، مرحباً بسماحة مولانا السيّد فخر الدين.. مرحباً بكم يا أبناء الصراط المستقيم، يا أبناء طه وياسين، يا أبناء النبأ العظيم..

مرحباً بكم يا أبناء مولانا عليٍّ أمير المؤمنين، وشكراً والسلام عليكم»[2].

مساهمة السيّد الصدر رحمه الله في تحريك خيوط الحملة الإعلاميّة

كان السيّد الصدر رحمه الله ـ أثناء تردّده على صور ـ يستعمل مكتب السيّد موسى الصدر لتنظيم الاحتجاجات الشعبيّة من الخارج ضدّ النظام العراقي، وقد ساعده جماعةٌ من العلماء اللبنانيّين.

وعقدت سلسلةٌ من الاجتماعات كان يحضرها السيّد الصدر رحمه الله والسيّد موسى الصدر والشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله والسيّد محمّد حسين فضل الله من أجل التفكير في كيفيّة الاستفادة من الوضع اللبناني لدعم الوضع العراقي[3].

وعلى إثر ذلك تمّ تشكيل ثلاث لجان للعمل من أجل إنقاذ الكيان الديني في العراق: (لجنة الدفاع عن النجف) وهي من العلماء، (اللجنة الشعبيّة للدفاع عن النجف)، إضافةً إلى (اللجنة المدنيّة للدفاع عن النجف) ومهمّتها الاتّصالات الرسميّة وشبه الرسميّة لمعالجة الموقف[4].

ولم يكن على اطّلاع بجهود السيّد الصدر رحمه الله في هذه الحملة الإعلاميّة إلاّ قلّةٌ من الناس[5].

تفاصيل ما جرى في لبنان في فترة زيارة السيّد الصدر رحمه الله

عندما اتّهم السيّد مهدي الحكيم رحمه الله بالعمالة وترك العراق، انتقل السيّد مرتضى العسكري إلى لبنان ونزل عند السيّد محمّد حسين فضل الله. وكان السيّد العسكري يسعى إلى الاستفادة من

---

(١) انظر: المستطرف في كلّ فنٍّ مستظرف ١: ٣٩٥.

(٢) انظر الوثيقة رقم (٨٨).

(٣) من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (رحمه الله).

(٤) محنة العراق اليوم: ٦٨.

(٥) الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ١٩، نقلاً عن مذكّرات السيّد محمّد باقر الحكيم: ٢٦.

الوضع اللبناني من أجل دعم قضيّة السيّد محسن الحكيم﵀. ولكنّ الذي يبدو أنّ السيّد العسكري كان مستاءً من تجاوب العلماء اللبنانيّين حيث لم يلمس منهم تفاعلاً مع القضيّة.

وقد اتّفق أنّ السيّد العسكري شكا ذلك إلى الشيخ حسن ملك الذي قال له: إنّه يعرف الطريقة التي يجعلهم فيها يتحرّكون، وإنّه سيلجأ إلى تهديدهم بالسلاح، ثمّ أعلمه بما سيقوم به في هذا المجال. وكان ذلك قبل قدوم السيّد الصدر﵀ من العراق.

ومن مقرّ السيّد محمّد حسين فضل الله اتّصل الشيخ حسن ملك بالسيّد موسى الصدر وقال له: إنّه عازمٌ على تفجير السفارة العراقيّة وإنّه سينسب ذلك إليه ـ أي إلى السيّد موسى ـ في حال استجوابه، فقال له السيّد الصدر: «**هل تعي ما أنت فاعل؟!**»، فأجابه: «**إذاً تعال**»، فقال له: «**أين أنت؟!**»، فأجاب: «**عند السيّد فضل الله**»، وكان السيّد العسكري حاضراً.

وعلى إثر ذلك عقد اجتماعٌ ضمّ السيّد فضل الله والسيّد موسى الصدر والشيخ محمّد مهدي شمس الدين﵀، وصدر عنه بيانٌ نشره الشيخ حسن ملك في الصفحة الأولى من صحيفة (النهار) و(الحياة) و(المحرّر)، وقد اكتفت الأخيرة بنشر جزء منه نتيجة ولائها للحزب الحاكم في العراق.

وبعد نشر هذا البيان قامت السفارة العراقيّة بالردّ عليه، ثمّ قام ناشروه بالمثل، وحصلت من الطرفين ردود متقابلة[1].

وفي الوقت نفسه كان الشيخ علي كوراني يعمل على دعم قضيّة المرجعيّة من الكويت، وقام بنشاطات في هذا الخطّ من هناك، إلاّ أنّ قيادة حزب الدعوة لم تكن موافقة على هذه التحرّكات، فأجابهم الشيخ كوراني بأنّه يقوم بذلك بوصفه وكيلاً عن السيّد محسن الحكيم﵀، وكان السيّد الصدر والسيّد مهدي الحكيم﵄ قد حاولا إقناع الحزب بالقيام ببعض التحرّكات إلاّ أنّ الحاج عبد الصاحب دخيّل (أبا عصام) لم يوافق على الأمر ونأى بالدعوة جانباً.

وقد أدت تحرّكات الشيخ كوراني في الكويت إلى اعتراض السفير العراقي في الكويت إلى أن سافر الشيخ إلى لبنان من أجل مساندة القضيّة من هناك، فتعاون مع السيّد عبد الأمير صفي الدين﵀، وكان السيّد الصدر﵀ يبارك أعمالهم ويقول: «**بارك الله وشكراً بس ديروا بالكم**»[2].

وحتّى هذه الفترة كان الشيخ حسن ملك والسيّد عبد الأمير صفي الدين﵀ يتولّيان مهام طباعة البيانات وتوزيعها، وكانت إمكانيّاتهم الماديّة محدودة حتّى وصول الشيخ علي كوراني من الكويت حاملاً معه عشرة آلاف دينار كويتي من أجل القضيّة المذكورة. وقد أدّى الدعم المالي إلى تصاعد وتيرة الصراع الدائر بين الطرفين.

---

(١) لم أعثر أثناء التصفّح السريع في أرشيف صحيفتي (النهار) و(الحياة) على شيء من هذا القبيل سوى البيان الموقّع من قبل العلماء وبعض المقتطفات السريعة. ولكن يؤيّده ما جاء على لسان السيّد الصدر﵀ في رسالة له إلى السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ حول (البيانات المتتالية للسفارة العراقيّة)، إضافة إلى استمرار حملات الصحف اللبنانيّة على الحكومة العراقيّة والتي اعتبرتها الأخيرة ذريعةً لمنع العراقيّين من القدوم إلى لبنان، ثمّ لإعطاء رعاياها في لبنان مهلة ٢٤ ساعة لمغادرته. هذا ولا يُفهَمَنَّ من كلام الشيخ ملك أنّ ما قام به كان بمثابة العلّة التامّة لتحرّك السيّد موسى الصدر والآخرين.

(٢) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (﷿).

وأثناء هذه الهجمات قامت السلطات اللبنانيّة باعتقال ثلاثة من العناصر العاملين على نصرة خطّ المرجعيّة، ولكن تمّ الإفراج عنهم بمساعي السيّد عبد الأمير صفي الدين رحمه الله.

ومن أجل ضمان سلامة عملهم قام العاملون في هذا الخطّ على توريط الشخصيّات الدينيّة البارزة في أعمالهم، وقد عمدوا من أجل ذلك إلى الاستعانة بخمسة أشخاص تقدّمهم كلّ شخصيّة. وكان الهدف من وراء ذلك كما قلنا ضمان عدم تنصّل هذه الشخصيّات[١]. وفي ما يلي سردٌ لأبرز ما وقع في هذه الفترة:

١ ـ في ١٩٦٩/٦/١٤م (٢٨/ربيع الأوّل/١٣٨٩هـ)، كانت قد وردت معلومات إلى لبنان حول اعتصام السيّد الحكيم رحمه الله في منزله وتعرّض ابنه السيّد مهدي رحمه الله للاتّهام والملاحقة[٢]، فعقد في دار الإفتاء الجعفري اجتماعٌ حضره السيّد موسى الصدر وعددٌ من علماء الشيعة، وتناول البحث إمكان اتّخاذ عدّة خطوات للتعبير عن استيائهم، ومن هذه الخطوات تشكيل وفود شعبيّة لزيارة السفير العراقي والاحتجاج لديه على تدابير حكومته ضدّ المرجع الأعلى للطائفة، والإبراق إلى الملوك والرؤساء العرب والمسلمين، والمطالبة بتدخّلهم لدى حكومة العراق من أجل وقف هذه التدابير ضدّ السيّد الحكيم رحمه الله.

وقد تقرّر أن يتولّى السيّد موسى الصدر إجراء اتّصالات مع الرئيس صبري حمادة من أجل الاتّفاق على الخطوات المناسبة في هذا المجال[٣].

٢ ـ في ١٩٦٩/٦/١٦م (١/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ)، تباحث السيّد موسى الصدر مع الشيخ حسن خالد حول المحنة التي تمرّ بها المرجعيّة في العراق.

كما وأثير الموضوع بين وزير الخارجيّة يوسف سالم وبين السفير العراقي في بيروت عبد الفتّاح أمين الياسين، وأعرب الوزير سالم للسفير عن أمل الحكومة اللبنانيّة في وقف التدابير العراقيّة[٤].

٣ ـ في ١٩٦٩/٦/٢٢م (٦/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ)، أصدر علماء الشيعة في لبنان بياناً استنكروا فيه إجراءات الحكومة العراقيّة إزاء المرجعيّة الشيعيّة، وقد وقّعه ٤٧ عالماً، ونشر في صحف (الحياة)، (النهار) و(الجريدة) البيروتيّة، وهذا نصّه:

«بيان العلماء المسلمين في لبنان حول محنة النجف والعراق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الجامعة الدينيّة الكبرى في النجف الأشرف تعيش في هذه الأيّام محنة قاسية من أقسى المحن التي تعرّضت لها في تاريخها القديم والحديث بما تعانيه الآن من أعمال تدلّ بظاهرها على أنّ وراءها نوايا تستهدف إزالة المعالم الأصيلة من شخصيّتها الروحيّة القياديّة التي كانت وما تزال مصدراً لخير

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٢) حدّثني الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م أنّ الشيخ عبد الحسين العبد الله وصل من العراق حاملاً رسالة من السيّد محمّد باقر الصدر/الحكيم (والترديد من الشيخ ملك) يطلع فيها السيّد موسى الصدر حول الوضع في العراق، وكانت الرسالة مكتوبة على الورق الداخلي لعلبة سجائر (الجمهوريّة).

(٣) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٣٦. وقد تقدّم أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان لا يزال حينها في العراق ؛ انظر الوثيقة رقم (٨٩).

(٤) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٣٦ ـ ٣٧ ؛ انظر الوثيقة رقم (٩٠).

الإنسانيّة بعامّة، وللعالمين العربي والإسلامي بالخصوص، والتي صمدت عبر العصور ضدّ جميع الضغوط التي تحاول جرّها إلى مواقف تخالف تقاليدها ورسالتها. وبهذا استطاعت أن تقول كلمة الحقّ في كلّ العهود، يشهد بذلك تاريخها المشرق في الكفاح ضدّ الاستعمار وأذنابه.

إنّ علماء المسلمين يشعرون بالقلق المتزايد إزاء هذه الأعمال التي نالت من كرامة الحوزة العلميّة ومرجعيّتها الدينيّة العليا في النجف الأشرف بشتّى أساليب العنف والاضطهاد، وإزاء المحاولات المبذولة لزجّ المقامات الروحيّة في النزاعات السياسيّة، وهي بما تمثّله من قيم روحيّة أعلى وأسمى من ذلك.

إنّ النجف الأشرف ـ كما هو شأن الجامع الأزهر ـ يمثّل مركزاً دينيّاً عالميّاً وجامعة إسلاميّة يجد كلُّ مسلم نفسه مشدوداً إليها ومرتبطاً بها بعقيدته وعاطفته وملزماً بالدفاع عنها وعن مقدّساتها بالنفس والنفيس.

لذلك نحتجّ بشدّة على كلّ مسؤول في العراق عن الأعمال التعسفيّة التي قاست منها النجف الأشرف وخلقت وضعاً خطيراً لا يستفيد منه إلاّ العدوّ في هذا الظرف العصيب.

ونعلن أنّنا سنتابع العمل الجاد في هذه القضيّة الخطيرة حتّى تنفرج الأزمة وتزول المحنة إن شاء الله.

داعين المؤمنين إلى الصمود والتذرّع بالحكمة في متابعة الموقف، ومبتهلين إلى الله تعالى أن يلهمنا جميعاً العمل بما يرضاه، إنّه الهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عبد المحسن فضل الله، علي نور الدين، محمّد تقي الفقيه، محمّد حسين قعيق، علي الفقيه، عبّاس أبو الحسن، علي مهدي إبراهيم، عبد الكريم صادق، محمّد حسن فضل الله، حسين معتوق، محمّد حسين فضل الله، عبد الرؤوف فضل الله، عبد الكريم شمس الدين، هاشم معروف، زين العابدين شمس الدين، نور الدين نور الدين، عبد الصاحب الحسيني، محمّد مهدي شمس الدين، بدر الدين الصائغ، محمّد علي شمس الدين، عبّاس حسين، محمّد علي قبلان، حسن شمس الدين، عبد الكريم نور الدين، أحمد القبيسي، محمّد علي إبراهيم الحسيني، محمّد حسين الزين، موسى عزّ الدين، محمّد علي إبراهيم، محمّد عزّ الدين، علي الموسوي، حسين محمّد محسن، علي فضل الله، محمّد جواد الحسيني، محمّد علي الأمين الحسيني، سليمان اليحفوفي، موسى شرارة، محمّد دهيني، علي شور، خليل ياسين، عبد الأمير قبلان، محمّد باقر إبراهيم، عبد المنعم مهنّا، محمود فرحات، عبد المنعم شرارة، حسين الحسيني، موسى الصدر، ~~محمّد جواد مغنية، حسن العسيلي~~»[١].

٤ ـ في ١٩٦٩/٦/٢٧م (١١/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ)، اتّخذ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى قراراً بتكليف السيّد موسى الصدر بإرسال برقيّات إلى ملوك ورؤساء الدول العربيّة والإسلاميّة يناشدهم فيها بالتدخّل لدى السلطات العراقيّة من أجل وقف الحملة التي تشنّها السلطات على المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة وعلماء النجف. وتتضمّن البرقيّات ذكر التفاصيل التي تتعرّض لها المرجعيّة[٢]، هذا في وقت كانت عمليّات الاعتقالات فيه مستمرّة[٣]. وقد تمّ إعداد قائمة شملت الأشخاص التالية أسماؤهمً: **(١)** الملك فيصل آل سعود ـ الرياض. **(٢)** الملك الحسن الثاني ـ الرباط. **(٣)** الملك حسين ـ عمّان. **(٤)** الملك إدريس السنوسي ـ طرابلس. **(٥)** الرئيس الحبيب بو رقيبة ـ تونس. **(٦)** الرئيس نور الدين الأتاسي ـ دمشق. **(٧)** الرئيس بو بكر عوض الله ـ أم درمان. **(٨)** الرئيس

---

(١) محنة العراق اليوم ٦٣ ؛ مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨ ؛ انظر الوثيقة رقم (٩١)، الوثيقة رقم (٩٢).
(٢) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٣٨.
(٣) انظر الوثيقة رقم (٩٣).

[هواري] بو مدين ـ الجزائر. **(٩)** الرئيس مختار ولد دادا ـ نواكشوط. **(١٠)** الرئيس القاضي عبد الرحمن الأرياني ـ صنعاء. **(١١)** الرئيس محمّد علي هيثم ـ عدن. **(١٢)** الأمير صباح سالم الصباح. **(١٣)** أمين عام الجامعة العربيّة الأستاذ عبد الخالق حسّونة ـ القاهرة[١].

وقد أرسل السيّد موسى برقيّةً إلى جمال عبد الناصر جاء فيها ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

لبنان

سيادة الرئيس القائد جمال عبد الناصر المعظّم

القاهرة

إنّ تصدّع الجبهات الداخليّة العربيّة يشغل بالك كالأخطار الخارجيّة حيث إنّك القائد المسؤول.

فإليك موقف السلطات الحكوميّة والحزبيّة في العراق الشقيق من المرجع الأعلى والعتبات المقدّسة والجامعة الدينيّة الكبرى في النجف.

إنّ المسلمين والعرب ينتظرون كلمتك الناصحة الحازمة ويحفظون لك مدى الدهر ما تحمّلته من أعباء المسؤوليّات الجسام، وكان الله في عونك.

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

موسى الصدر»[٢].

وقد اعتبر البعضُ تعريضَ عبد الناصر بالطائفيّة في خطابه في ١٩٦٩/٧/٢٣م (٨/جمادى الأولى/١٣٨٩هـ) تعريضاً بأعمال نظام البعث[٣].

وأرسل أخرى إلى أمير دولة الكويت صباح سالم الصباح جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

لبنان

سموّ الأمير صباح سالم الصباح المعظّم

أمير دولة الكويت ـ الكويت

إنّ واجب الأخوّة يدعوني أن أطلب مشاركتكم وأنت الأخ الكبير في التحسّس بمأساة الجامعة الدينيّة الكبرى في النجف الأشرف رصيد الإسلام وثروة العرب ومفخرة العراق.

وأنا آمل تدخّلكم الأخوي مع السلطات العراقيّة للمحافظة وتقديس مقام المرجع الأعلى وعلماء الدين الكبار وكفّ الأذى عنهم.

فالعراق سند العرب وعضد المسلمين، والسعي لوحدة صفّ أبنائه والمحافظة على ثرواته الإنسانيّة

---

(١) انظر الوثيقة رقم (٩٤)، وهي بخط السيّد موسى الصدر على ما يبدو.

(٢) محنة العراق اليوم: ٦٥ ؛ انظر الوثيقة رقم (٩٥).

(٣) محنة العراق اليوم: ٧١ ؛ انظر الوثيقة رقم (٩٦).

الكبرى خدمةٌ تاريخيّةٌ وواجبٌ رساليٌّ وتحضيرٌ لمعركتنا الكبرى في فلسطين.

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

موسى الصدر»[١].

كما أرسل ثالثةً إلى الرئيس العراقي أحمد حسن البكر، جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

رئاسة

المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

لبنان

سيادة الرئيس أحمد حسن البكر رئيس الجمهوريّة العراقيّة المعظّم

بغداد

إنّ المحن التي تحيط بالعراق الشقيق في هذه الظروف العصيبة تقضُّ مضاجع العرب وتشغل بال الإنسان في كلّ مكان.

ولكنّ التصرّفات غير المسؤولة التي صدرت مؤخّراً بالنسبة إلى مقام المرجع الأعلى والجامعة العلميّة الدينيّة الكبرى تزيد في قلق الجميع وتخلق جوّاً من التشاؤم.

إنّنا نناشدكم أن تضعوا حدّاً لهذه المآسي لأجل العراق الموحّد القادر أمل الأمّة، ولأجل صيانة القيم ولأجل المعركة الكبرى.

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

موسى الصدر»[٢].

٥ ـ في ١٩٦٩/٧/٩م (٢٣/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ)، تلقّى السيّد موسى الصدر برقيّتين جوابيّتين من الرئيس المصري جمال عبد الناصر والقاضي الأرياني رئيس المجلس الجمهوري في اليمن.

وفي هذا اليوم استقبل السيّد موسى الصدر الشيخ محمّد منصور الرميح سفير المملكة العربيّة السعوديّة الذي سلّمه رسالةً من الملك فيصل جواباً عن البرقيّة التي كان السيّد موسى الصدر قد أرسلها إليه بشأن ظرف المرجعيّة الشيعيّة.

كما وردت برقيّة تضامن من رئيس الجماعة الإسلاميّة في باكستان أبو الأعلى المودودي[٣].

وقامت استنكارات في باكستان والأردن والجاليات العربيّة والإسلاميّة[٤].

٦ ـ مذكّرة اللجنة الوطنيّة للدفاع عن النجف:

صاغت هيئة خطباء النجف الأشرف المذكّرة التالية موجّهةً إلى رئيس الجمهوريّة وأعضاء مجلس قيادة الثورة، وقد جاءت في كتيّب صدر تحت عنوان (محنة العراق اليوم) ـ وهو كتيّب كتبه الشيخ محمّد شمس الدين رحمه الله وتمّ تطويره ـ[٥]، وهذا نصّها:

---

(١) محنة العراق اليوم: ٦٦.

(٢) محنة العراق اليوم: ٦٧ ؛ انظر الوثيقة رقم (٩٧).

(٣) محنة العراق اليوم: ٦٩ ؛ مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٣٩ ـ ٤٠.

(٤) محنة العراق اليوم: ٦٩ ـ ٧٤ ؛ انظر الوثيقة رقم (٩٨).

(٥) ما بين ـ ـ من: مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

«بسم الله الرحمن الرحيم

السيّد رئيس الجمهوريّة

السادة أعضاء مجلس قياده الثورة

إنّ من أهمّ الواجبات الإسلاميّة إسداء النصح إلى المسلمين وتقويم الانحرافات التي يقع فيها الأفراد من مختلف الطبقات. وانطلاقاً من هذا الواجب الديني المقدّس، وقياماً بما تفرضه علينا مهمّة التوجيه والرعاية الدينيّتين، نودُّ أن نذكّركم بالنقاط التالية، آملين بإخلاص الأخذ بما فيها بنظر الاعتبار:

(١)

لقد أخذ يظهر منذ شهور طابع الحزبيّة بشكل واضح على أجهزة الحكم والإعلام حتّى كأنّ العراق بملايينه الثمانية بلدٌ حزبيٌّ لا يوجد فيه وجودٌ لغير البعثيّين.

وأخذت المضايقات تزداد يوماً فيوماً على كافّة الطبقات والأفراد من غير البعثيّين، في حين أطلقت الحكومة البعثيّين في كلّ شؤون البلد ومكّنتهم من كافّة المناصب، وهم في الغالب شبابٌ ومراهقون تعوزهم الكفاءة والتجربة والإخلاص في إدارة المناصب التي تناط بهم، وقد أدّى ذلك إلى ظهور ارتباطٍ عام وقلقٍ شامل عند مختلف الطبقات على حياتهم ومصيرهم بل ومصير هذا البلد ومستقبله.

ولا نذيع لكم سرّاً إذا قلنا لكم: إنّ حزب البعث لا يتمتّع بسمعة طيّبة في العراق نتيجةً لأعمال القمع والإرهاب التي قام بها الحزب في عهده الأوّل، ونتيجةً للأخطاء الكبيرة التي يشكّل القمع والإرهاب نسبةً كبيرةً منها، والتي وقع فيها الحزب في عهده الثاني ممّا نشير إليه إشارةً موجزةً في هذه المذكّرة.

ونحن في الوقت الذي ندعوكم إلى إنهاء الحزبيّة في الحكم نودُّ أن نذكّركم:

أوّلاً: أنّ إضفاء طابع الحزب على الحكم واستخدام أجهزة الإعلام للدعاية للحزب يتنافى مع ما كان يعلن عنه رئيس الجمهوريّة في بداية هذا العهد أكثر من مرّة من عدم اتّصاف الحكم بأيّ طابع حزبيٍّ مهما كان لونه وشكله.

ثانياً: أنّ حزب البعث يقوم في الجانب النظري من فلسفته على أسس إلحاديّة وماديّة ماركسيّة ممّا يتنافى مع عقيدة الأمّة وأصولها الدينيّة، واستغلال أجهزة الإعلام للدعاية للحزب يجرح شعور الأمّة الديني ويثير في نفوسها السخط والاشمئزاز. وممّا يؤسف له أنّ الحزب لم يقتصر في استغلال أجهزة الإعلام للأغراض الإلحاديّة فحسب، بل تمادى في غيّه فأخذ يعبّر عن الإسلام الرسالة السماويّة الخالدة التي يؤمن بها (٧٠٠) مليون مسلم على وجه الأرض «بالرجعيّة الدينيّة». كما تمادت جميع وسائل الإعلام (المؤمّمة) في تشويه معالم العقيدة الإسلاميّة، ومن جانب آخر في الدعاية للإلحاد والتحلّل واللادينيّة.

ثالثاً: أنّ حزب البعث لا يشكّل غير نسبة ضئيلة جدّاً من العراقيّين أغلبهم من المراهقين، وهذا لا يسمح بإضفاء الطابع الحزبي على أجهزة الحكم والإعلام واعتبار العراق بلداً حزبيّاً مغلقاً للحزب، ولا يثير هذا اللون من السلوك والدعاية الرخيصة ثروات وتحف، وملاحقة زوّار العتبات المقدّسة في العراق وإيذائهم وزجّهم بالسجون ومصادرة أموالهم، ومن مختلف الهويّات من إيرانيّين وباكستانيّين وهنود وأتراك... وغيرهم. ممّا أدّى إلى إثارة سخط الشيعة في كافّة أرجاء الوطن الإسلامي واستنكار عامّة المسلمين الغيارى في العالم الإسلامي عامّة.

ونحن في الوقت الذي ندعو الحكم إلى إنهاء هذا الوضع الطائفي الشاذ في العراق نذكّرهم أنّ سياسة التفريق سياسة استعماريّة بريطانيّة قديمة، خطّطت لها دوائر الاستخبارات في محاولة استعمار العراق البلد الإسلامي العريق، عن طريق تمزيق الوحدة الإسلاميّة فيه. وإنّا نعتبر أنّ أيّة محاولة لإثارة الشعور الطائفي في العراق إنّما تصدر بشكل مباشر أو غير مباشر عن الاستعمار الذي لا تفرحه وحدة هذا البلد.

(٢)

لم تجد المرجعيّة الدينيّة في النجف الأشرف والهيئات العلميّة فيه بدّاً من استنكار الأوضاع الشاذّة التي خلقها حزب البعث في العراق، وقد كان من مظاهر هذا الاستنكار الكلمة التوجيهيّة التي ألقاها سماحة العلاّمة المجاهد السيّد مهدي الحكيم نيابةً عن والده المعظّم سماحة آية الله العظمى السيّد محسن الحكيم دام ظلّه في الصحن العلوي الشريف في حشدٍ هائلٍ من المسلمين للحزب غير حقد الجماهير واشمئزازهم وتنفرّهم من سلوك الحزب وأعماله.

(٣)

لقد أثار الحزب النعرة الطائفيّة بقصد، وعَمَدَ بشكل واضح إلى القضاء على الطائفة الشيعيّة وإبعادهم عن كافّة مرافق الدولة والمناصب الحكوميّة، وقد كان من ذلك حلُّ جمعيّة جامعة الكوفة، وإلغاء امتيازات المجلاّت الدينيّة الصادرة في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة والكاظميّة وبغداد واتّهام رجالها بمختلف التهم الرخيصة... في الوقت الذي تكوّن هذه الطائفة نسبة ٧٠٪ من سكّان العراق على أقلّ التقدير. فمجلس قيادة الثورة لا يوجد فيه فردٌ واحدٌ من الشيعة، ومجلس الوزراء نسبة الشيعة فيه لا تتجاوز الربع، والمناصب الحكوميّة والإداريّة لا تحتلُّ منها الشيعة غير نسبة ضئيلة جدّاً، والألوية التي تسكنها الشيعة معرّضة لأخطار الفيضان والوباء والخراب في حين إنّ غيرها من الألوية موضع اهتمام وعناية كبيرة من قبل الحكومة، وليس ذلك إلاّ إمعاناً في إذلال الشيعة وامتهانهم وإبعادهم عن مجالات الحكم والإدارة، وقد كان آخر هذا المخطّط الحزبي في القضاء على الوجود الشيعي في العراق محاولة تأميم العتبات المقدّسة وربطها بالدوائر البعثيّة ومصادرة ما فيها من اجتمع[1] لهذا الغرض حيث امتلأت بهم ساحات الصحن الكبيرة والشوارع المحيطة به، كما كان من مظاهر ذلك مواقف الاستنكار والاحتجاجات الكثيرة التي كانت تقوم بها المرجعيّة في النجف الأشرف والهيئات العلميّة الدينيّة في العراق على أعمال الجهاز الحاكم، وحملات الإرهاب والتعذيب الظالمة، وتشريع القوانين الجائرة التي يقوم بها الحزب.

ولم يحسن الحزب ـ مع الأسف ـ تقييم موقف العلماء والمرجعيّة الدينيّة في النجف الأشرف في الدفاع عن مصالح الأمّة وحياتها ومصيرها وكرامتها، وإنّما شاء أن يواجه هذه المواقف الإنسانيّة النبيلة النابعة عن إيمان أصحابها برسالتهم وإخلاصهم لمسؤوليّاتهم بكلّ عنف ووحشيّة وقسوة. فعمد إلى الإساءة إلى زعيم الأمّة وقائدها الكبير سماحة آية الله العظمى السيّد الحكيم دام ظلّه في اتّهام نجله المجاهد السيّد مهدي بتهمة العمالة والجاسوسيّة في محاولة رعناء وقحة للوقيعة بالمرجعيّة والغضّ من قيمتها. كما عمد في الوقت نفسه إلى القضاء على الهيئة العلميّة في النجف الأشرف. وقامت عمليّة تسفير واسعة في نطاق العلماء والطلاّب الإيرانيّين والباكستانيّين بحجج واهية لا تبرّر إطلاقاً مثل هذا العمل اللاإنساني الذي قام به الحزب. وقد تمادى الحزب في الوقاحة والوحشيّة حتّى هاجم المدارس الدينيّة الآمنة، واختطف الطلاّب واعتقلهم وزجّهم في السجون، واستعملت معهم مختلف وسائل التعذيب النفسي والجسدي بشكل رهيب، بما لم يعرف له نظير في تاريخ العراق المعاصر غير أيّام الاحتلال البريطاني الأسود.

كما قام الحزب في هذا الوقت محاولة أخرى لتصفية الحوزة العلميّة الإسلاميّة الكبرى في النجف الأشرف التي يمتدُّ تاريخها إلى عشرة قرون، وذلك بحملة واسعة لتجنيد الطلاّب العراقيّين على خلاف كلّ الأعراف القانونيّة في إعفاء الطلاّب من التجنيد طيلة مدّة الدراسة.

ولم يقتصر الحزب على هذا القدر في محاولاته الوحشيّة في القضاء على علماء الدين من الشيعة في

---

(١) كذا.

العراق، وإنّما تمادى به الغيُّ أن أخذ جلاوزة الحزب يسحبون أئمّة الجماعة من مساجدهم في أوقات الصلاة بمرأى من المصلّين ويزجّون بهم في السجون يعذّبونهم مختلف ألوان التعذيب، ممّا أثار سخط الجماهير الشيعيّة ولا سيما البصرة والعمارة وبغداد وعشائر الفرات الأوسط والناصريّة، ودعاهم إلى استنكار هذه الأعمال اللاإنسانيّة التي تقوم بها الحكومة بالنسبة إلى علماء الدين، كما دعاهم ذلك إلى إيفاد ممثّلين عنهم إلى النجف الأشرف ليعرضوا على المرجعيّة العليا كلّ استعداد للتضحية والبذل والفداء.

ولولا أنّ المرجعيّة الدينيّة في النجف حريصة كلّ الحرص على دماء المسلمين وأرواحهم وسلامتهم، وحريصة كلّ الحرص على إنهاء الأوضاع الشاذّة بطريق سلمي، لكان لملايين الشيعة في العراق شأنٌ آخر مع البعث.

ولم يقتصر عداء الحزب مع علماء الدين من الشيعة فقط، وإنّما شمل إخوانهم من علماء السنّة أيضاً في الاعتقال والتعذيب والقتل، وكان آخر ذلك شهادة سماحة العلاّمة الأكبر المجاهد الشيخ عبد العزيز البدري تحت التعذيب البعثي البشع.

ونحن نودُّ هنا أن نذكّر قادة البعث بقيمة علماء الدين في العراق ورصيدهم الكبير بين طبقات الأمّة، ونفوذ كلمتهم في قلوب الناس، وتاريخهم الثوري في محاربة الاستعمار البريطاني في الحرب العالميّة الأولى وفي ثورة العشرين، ودفاعهم الدائم عن مصالح الأمّة ومصيرها، وحرصهم الكبير على سلامة الأمّة ورفاهها، وليس من صالح البعث التعرّض لهذا الكيان الشامخ العريق والأمّة تنتظر بفارغ وعلى أحرّ من الجمر كلمة المرجعيّة لتقول هي كلمتها...

(٤)

لقد قام الحزب بفرض تشريعاته الظالمة وقراراته الجائرة على ثمانية ملايين مسلم في العراق وفرض سلطانه على كلّ مرافق هذا البلد بحملة إرهاب واسعة لإخماد أصوات المعارضة والقضاء على كلّ قوّة في هذا البلد تقف في وجه البعث الحاكم، وتستنكر أعماله التخريبيّة وسلوكه اللاإنساني في هذه الفترة القصيرة.

وقد تمثّلت حملة الإرهاب هذه في اعتقال عشرات المئات من الأحرار من بيوتهم ومن بين عوائلهم واختطافهم في الشوارع دون إشعار عوائلهم بذلك ودون أن يعلم أحدٌ عن مصيرهم شيئاً، وقد امتلأت سجون البعث وضاقت، ولقد تفنّن الحزب في استعمال وسائل التعذيب معهم حتّى أنّه استورد نفراً من الخبراء الأجانب في التعذيب لغرض تزييف اعترافات كاذبة على ألسنة هؤلاء المساكين، وإذاعتها عن طريق الإذاعة والتلفزيون وأجهزة الإعلام الأخرى.

وقد قام الحزب بقتل جماعة كبيرة من هؤلاء المساجين في معتقلاتهم وسجونهم تحت التعذيب الوحشي وبوسائل تقشعرُّ لها الجلود، كما أنّ الحزب لا يتردّد في مصادرة أموال هؤلاء ونهب بيوتهم في كثيرٍ من الأحيان، وقد أدّت هذه الأعمال اللاإنسانيّة إلى استياء عامّة الناس في العراق واشمئزازهم وسخطهم الكبير.

ونحن إذ ننذر الحزب الظالم من سخط الأمّة، ندعوه إلى الإفراج عن السجناء الذين اعتقلهم ظلماً، وربط المحاكمات بمحكمة تمييز العراق، وإخراجها عن دور السريّة والخفاء، وإشراف هيئه موفدة من قبل المرجعيّة الدينيّة في النجف الأشرف على المحاكمات والاعترافات والسماح لإيفاد هيئه تمثّل العوائل المنكوبة بمعيليها إلى السجون للاطمئنان على وضع المسجونين والمعتقلين وحياتهم.

(٥)

قام الحزب في الآونة الأخيرة بتشريع قوانين ظالمة وقرارات حزبيّة جائرة لم يعهد لها مثيل في تاريخ

الدكتاتوريّات الحزبيّة، وقد كان من ذلك قانون الخدمة الإلزامي للمواطن الذي ينصّ على أنّه «يحقّ لمجلس قيادة الثورة بإلزام أيّ مواطن مهما كان عمره ومكانته بأيّ عمل يقرّره المجلس في أيّ مكان وفي أيّ وقت إزاء راتبٍ يومي، سواء في ذلك الموظّف وغيره». ومعنى ذلك مصادرة حريّة العمل والسكن بكلّ معنى الكلمة، ممّا لم يعهد له مثيل في أيّ قانون في أيّ بلد من بلاد العالم.

ولم يقتصر الحزب على مثل هذه القرارات الجائرة في مصادرة حريّات الأمّة، وإنّما قام بعد ذلك بإرهاقها بالضرائب الثقيلة التي شملت كافّة الحاجات الاستهلاكيّة الأوليّة وأدّت إلى ارتفاع الأسعار بصورة مضاعفة في بعض الأحيان، ممّا أدّى إلى تجميد حركة التجارة في الأسواق، وانتشار الفقر في الأمّة وبين المواطنين.

ونحن إذ ندعو الحكومة إلى الكفّ عن تشريع هذه القوانين الجائرة وإقرار هذه القرارات الظالمة، نذكّر المسؤولين أنّ العراق بلدٌ اسلاميٌّ عاش الإسلام عقيدةً وتشريعاً طوال أربعة عشر قرناً من الزمن، ولا يمكن أن يستجيب بكافّة طبقاته وفئاته لأيّ قرار أو تشريعٍ جائرٍ منحرف عن أصول التشريع الإسلامي الذي أقرّه القرآن الكريم، ولا يمكن أن يتجاوب مع أيّ انحرافٍ عن شريعة الله.

(٦)

لقد كان الشعب العراقي يتفاعل مع القضيّة الفلسطينيّة منذ الاحتلال الصهيوني لهذا الوطن السليب بلد القبلة الأولى بكلّ وجوده وكيانه، وقد كان الجيش العراقي الباسل يقف دائماً في مقدّمة الجيوش العربيّة على خطّ النار في وجه الصهيونيّة المعتدية، كما كان العراق في المقدّمة دائماً من تأييد الحركات الفدائيّة الفلسطينيّة ماديّاً ومعنويّاً. وعندما استولى حزب البعث على الحكم في العراق لم يرق لكم سلوك المنظّمات الفدائيّة بأن تلقي بنفسها في أحضان البعث وتتحوّل إلى طبول فارغة للدعاية البعثيّة، وحينما أفهمتكم المنظّمات الفدائيّة أنّ مسؤوليّتها المصيريّة لا تسمح لها بمثل هذا التردّي والانحراف، قامت أجهزة البعث بغلق فروع المنظّمات الفدائيّة والقضاء على نشاطها والمنع من جمع التبرّعات النقديّة لمصلحتها.

ومن ثمّ فقد أُسكت صوت (فتح) من إذاعة بغداد، ووجّهت الإذاعة إلى التهريج الإذاعي الفارغ في الدعاية للحزب ومسؤوليّته. ولم يقتصر الحزب على ذلك وإنّما أخذ يستدعي فرق الجيش العراقي المرابط على خطّ النار في الأردن بشجاعة وإيمان للزجّ به في حرب الأكراد وإحراق القرى الكرديّة. وكان نتيجة ذلك مقتل العشرات من الضبّاط والمئات من الجنود في حروب داخليّة لا تجني الأمّة منها أيّة فائدة، في الوقت الذي كان من الممكن ـ لو تخلّى الحزب عن عناده الأعمى ـ أن تحلّ القضيّة الكرديّة حلاًّ سليماً[1]، فتسلم العوائل المنكوبة على أبنائها ومعيليها الذي سقطوا صرعى في الشمال والذين يسقطون باستمرار ودون انقطاع كلّ يوم.

ونحن إذ ندعو المسؤولين إلى إعادة الجيش العراقي الباسل إلى خطوط النار في الأردن والسماح بعودة المنظّمات الفدائيّة في العراق بنشاطها السابق وعودة صوت (فتح) إلى إذاعة بغداد، نودّ أن نقول لكم إنّ التهريج الإذاعي الفارغ لا يمكن أن يكفي وحده لعودة الأرض السليبة إلى أصحابها الشرعيّين دون عمل جاد وتضحية صادقة، وإنّ أيّ تمييع للعمل الفدائي على أيّ مستوى من المستويات يعتبر خيانة للقضيّة الفسطينيّة لا تغتفر.

***

تلك لمحات خاطفة عن الوضع القائم في العراق والانحراف الذي وصلتم إليه ممّا تحسّونه وتعيشونه..

---

(١) كذا، ولعلّ المراد «سلميّاً».

ونحن إذ يدفعنا الإخلاص لواجبنا الديني تقديم هذه التوجيهات وإسداء النصح لكم، نودُّ أن تخرجوا ولو لحظات عن إطار الحزبيّة الضيّقة وأفقها المقيت لتقرأوا هذه المذكّرة بإمعان وتدرسوا ما قدّمناه من توجيهات بدقّة وإخلاص، وترفعوا جوابكم بعد ذلك إلى الأمّة بأمانة وإخلاص عن طريق الإذاعة والصحافة. وبهذه المذكّرة نكون قد أوقفناكم اليوم أمام مسؤوليّة الأمّة، وغداً أمام مسؤوليّة شاقّة عسيرة.

والله وراء القصد

هيئة خطباء النجف الأشرف

في ٢٥ ربيع ثاني ١٣٨٩ ١٠ تمّوز ١٩٦٩»[١].

٧ ـ في ١٩٦٩/٧/١٨م (٣/جمادى الأولى/١٣٨٩هـ)، تمّ تأجيل المؤتمر الذي كان من المقرّر أن يعقده ظهراً في دار نقابة محرّري الصحافة اللبنانيّة عددٌ من العلماء الشيعة القادمين من النجف الأشرف لشرح الأوضاع الصعبة التي يعيشها علماء النجف بصورة خاصّة وأبناء العراق بصورة عامّة.

وقد تمّ تأجيل المؤتمر بناءً على طلب من السيّد موسى الصدر من أجل دراسة الموضوع بشكل أعمق، وقد أعلن عن ذلك الشيخ محمود فرحاتﷺ.

وقد نفى السيّد موسى الصدر أن يكون للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى صلةٌ بالبيانات التي وزّعت في بيروت والمناطق والتي هاجمت السلطة العراقيّة[٢].

وكان الشيخ محمود فرحاتﷺ قد سافر إلى سوريا والتقى بالرئيس الراحل حافظ الأسد وبحث معه السبل التي يمكن من خلالها دعم مرجعيّة السيّد الحكيمﷺ[٣].

٨ ـ في ١٩٦٩/٨/٦م (٢٢/جمادى الأولى/١٣٨٩هـ) التأم المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى وتدارس موضوع العراق والمحنة التي يمرّ بها السيّد محسن الحكيمﷺ، واتّخذ القرارات التالية:

أ ـ زيارة وفد من علماء الطائفة الشيعيّة وهيئة المكتب مفتي الجمهوريّة الشيخ حسن خالد وشرح الحالة له تمهيداً لاتّخاذ موقفٍ موحّدٍ باعتبار أنّ الموضوع يهمّ المسلمين بصورة عامّة نظراً إلى أهميّته وخطورته.

ب ـ دعوة جميع نوّاب الطائفة وأعضاء المجلس إلى جلسة استثنائيّة تعقد الساعة الثانية عشرة ظهر يوم الخميس المقبل لاتّخاذ الإجراءات اللازمة على الصعيد الرسمي.

ج ـ يتوجّه المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بجميع أعضائه وبشخص السيّد موسى الصدر إلى المواطنين الذين يتألّمون لهذه الأحداث ويحاولون إظهار مشاعرهم أن يمتنعوا عن أيّ تجمّع أو تحرّك في الوقت الحاضر، وأن يتركوا المجال من جديد أمام ممثّليهم لمتابعة الموضوع بحزم وانتظار نتائج نشاطاتهم[٤].

٩ ـ في ١٩٦٩/٨/٨م (٢٤/جمادى الأولى/١٣٨٩هـ)، قرّر المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى أن يقوم وزراء ونوّاب الطائفة الشيعيّة بمقابلة رئيس الجمهوريّة ورئيس مجلس الوزراء ورئيس مجلس

---

(١) محنة العراق اليوم: ٣٤ ـ ٤٥.

(٢) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٤٢.

(٣) مقابلة مع الشيخ محمود فرحاتﷺ (ﷺ).

(٤) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٤٤ ـ ٤٥.

النوّاب وإطلاعهم على الأوضاع في العراق.

وكان عددٌ من النوّاب قد طالب بتنظيم حملة إعلاميّة مركّزة تهدف إلى توضيح مختلف الأمور التي ما زالت موضع التشكيك.

كما اقترح عددٌ آخر من المجتمعين اتّخاذ تدابير سلبيّة إعراباً عن استنكار واستياء الطائفة الشيعيّة من تصرّفات حكّام العراق، إلاّ أنّ الأكثريّة ارتأت تأجيل البحث في التدابير السلبيّة إلى ما بعد استنفاذ المساعي التي سيقوم بها المجلس مع المسؤولين[١].

إرسال الشيخ علي كاشف الغطاء إلى لبنان لتحجيم نفوذ السيّد موسى الصدر

في هذه الفترة قرّرت الحكومة أن ترسل الشيخ علي كاشف الغطاء إلى لبنان، وقد جنّدت السلطة كافّة وسائل الإعلام لتسليط الضوء عليه بوصفه مرجعاً أعلى للطائفة الشيعيّة[٢]، الأمر الذي صدم بعض الأوساط الشيعيّة اللبنانيّة وحملها على الاستياء[٣].

محاولة اغتيال السيّد موسى الصدر

كما تقرّر اغتيال السيّد موسى الصدر بفعلِ التحرّكات التي قام بها ضدّ حزب البعث، وكان ذلك تمهيداً لتعيين الشيخ علي كاشف الغطاء رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى[٤].

وحقيقة الأمر هي أنّ حزب البعث كان قد أرسل السيّد موسى الإصفهاني (موسى الموسوي) في مهمّة من أجل تقصّي أخبار القادمين من العراق والوشي بهم إلى السلطات العراقيّة[٥].

وكان مقرّراً أن يقوم عبد الأمير الغرباني أو أبو الغربان باغتيال السيّد موسى الصدر، وقد دخل الأوّل الأراضي اللبنانيّة بتاريخ ١٩٦٩/٩/٧م تحت اسم عبد الأمير الحسيني بهدف اغتيال السيّد موسى الصدر، ولكنّه زاره بمعيّة مرتضى حمّود (لبناني) وأطلعه على أنّه كان مقرّراً اغتياله في ١٩٦٩/٩/١١م عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً، وأنّه لن يقوم بهذه المهمّة مهما كلّفه الأمر. وذكر له أنّ السيّد موسى الموسوي (الإصفهاني) والشيخ علي كاشف الغطاء على علمٍ بالأمر، وأنّهما يعملان على التمهيد لتسلّم كاشف الغطاء مكان السيّد موسى[٦].

وعلى أيّة حال فقد عدل البعثيّون عن فكرة اغتيال السيّد موسى الصدر بعد أن نصحهم الكثيرون من أصدقائهم في لبنان بالتخلّي عن هذه الفكرة باعتبار أنّ الأمر في بيروت يختلف عنه في بغداد، وأنّ القضيّة في بيروت لا بدّ أن تنكشف، الأمر الذي سيثير غالبيّة اللبنانيّين ضدّ حكم البعثيّين نظراً إلى الشعبيّة التي يحظى بها السيّد موسى الصدر بينهم وإلى الصفة الرسميّة التي يحملها.

كما فشل البعثيّون في إعطاء الشيخ علي كاشف الغطاء صفة المرجع الأعلى ـ وكانت السفارة

---

(١) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٤٥.

(٣) تجديد الفقه الإسلامي، القانون في النهضة الإسلاميّة: ٢٥ ـ ٢٦. ويؤيّده بعضُ ما يأتي.

(٤) من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٤٥.

(٥) انظر بالفارسيّة تقرير المخابرات الإيرانيّة في الوثيقة رقم (٩٩) المؤرّخة في ١٣٤٨/٥/٢٥هـ ش (١٩٦٩/٨/١٦م)

(٦) انظر بالفارسيّة تقرير المخابرات الإيرانيّة: ياران امام به روايت اسناد ساواك (١٧) ١: ١١٨.

العراقيّة في بيروت قد أعلنت ذلك في بيان لها ـ خاصّةً بعد فشله في مؤتمره الصحفي الذي عقده في فندق (كارلتون) في بيروت، وبعد أن نُشِّرت ضدّه المناشير الكثيرة حول عمالته سابقاً لنظام عبد الكريم قاسم ومن بعده لنظام عبد السلام عارف فعبد الرحمن. وكان البعثيّون قد صرفوا أكثر من عشرين ألف دينار على سفره إلى لبنان وعلى الحملة الإعلاميّة التي قادها[1].

محافظ كربلاء يزور السيّد الخميني

تزامناً مع نشاطات السيّد موسى الصدر قام محافظ كربلاء الجديد شبيب المالكي بزيارة إلى النجف بتاريخ ١٩٦٩/٧/٥م (١٩/ربيع الثاني/١٣٨٩هـ) حيث التقى بالسيّد الخميني ونقل إليه تحيّات رئيس الجمهوريّة. ولكنّ السيّد الخميني لم يعبأ به، الأمر الذي أثار دهشة الحاضرين.

وفي اليوم التالي ذكرت صحيفة (الجمهوريّة) التابعة للنظام العراقي أنّ المحافظ ذكر في لقائه أنّ الحكومة العراقيّة تكنّ احتراماً خاصّاً لرجال الدين وأنّ ثورة السابع عشر من تمّوز ستسعى إلى تحقيق طلباتهم كافّة. وجاء في الصحيفة أنّ العلماء شكروا المحافظ ودعوا للمسؤولين بالتوفيق، وأنّهم أشادوا بإجراءات الحكومة الرامية إلى إعادة الإيرانيّين المبعدين إلى العراق، وأنّهم أدانوا الحكم المتجبّر في إيران ومحاولاته خلقَ المشاكل الحدوديّة بين البلدين، وعلى وجه الخصوص إيجاده مشكلة حول (شط العرب).

وفي ١٩٦٩/٧/٨م استدعى السيّد الخميني قائمقام النجف وطالبه بتكذيب ما نشر في الصحيفة، إلاّ أنّ المسؤولين تملّصوا من ذلك[2].

السيّد الصدر يعرض ما يجري في لبنان

أرسل السيّد الصدر رسالةً من لبنان إلى السيّد محمّد باقر الحكيم[3] تحدّث فيها عمّا تمّ تحقيقه في لبنان، وهذا ما نُشر منها:

«[بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم أبا صادق لا عدمته]

أكتبُ إليكم هذه السطور بعد أسبوعين كاملين من دخول لبنان، وأودُّ أن أعطيك صورة عن الموقف في حدود رؤيتي له وأشعر بأنّ وجود صورة لك عن الموقف شيءٌ مفيدٌ على خط العمل.

لا أدري كيف أصنّف الحديث: أتصوّر أنّي أبدأ بما تمّ من عمل ثم أتحدّث لك عن الموقف بشكل عام ثمّ عن المشاكل والمكاسب.

أمّا ما تمّ من عمل فهو كما يلي:

أوّلاً: خطاب استنكار وقّع عليه حوالي أربعين عالماً.

ثانياً: ملصقة جداريّة ألصقت في كثير من المواضع في بيروت تطالب بإنقاذ النجف.

ثالثاً: برقيّات طيّرها أبو صدري[4] إلى جميع رؤساء وملوك الدول العربيّة والإسلاميّة باسم المجلس

---

(١) من مذكّرات حردان عبد الغفّار التكريتي: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) كوثر (فارسي) ١: ١٩٨ ـ ٢٠٠ ؛ الكوثر: ١: ٣٦٤.

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، ٢٨/محرّم/١٤٠٥هـ.

(٤) يقصد السيّد موسى الصدر.

الشيعي الأعلى يشرح فيها لهم المأساة ويستنجد بهم، وقد جاءه الجواب حتّى الآن من جمال عبد الناصر وفيصل والأرياني الرئيس اليماني.. وقد أرسل أبو صدري برقيّة إلى الشيخ محمّد الشريعة وتلقّى منه رسالةً وبرقيّةً يقول في الرسالة إنّ الشعب الباكستاني رئيساً وعلماء شيعة وسنّة كلّهم هزّتهم المأساة التي اعتبرها الجميع ضربة للإسلام.

كما ينقل أنّ المودودي وجملةً من السياسيّين السنّة قاموا باستنكار الموضوع وأعلنوا تأييدهم المطلق للنجف...

الشارع الشيعي في بيروت مكهرب بالقضيّة، وكذلك الإنسان الشيعي في لبنان بشكل عام، بالرغم من نشاطات البعثيّين... والسفارة العراقيّة في بياناتها المتعاقبة حول الموضوع تكشف عن شعورها بعمق المشكلة وعن اضطرارها إلى شيء من المداورة واصطناع أساليب المجاملة...

[... أمّا المعارضون فهم على أقسام: منهم من هو عميلٌ للسفارة العراقيّة، ومنهم من هو حاقدٌ على السيّد أو على سيّد مهدي[١] أو علينا وعلى أفكارنا ويجد في هذه الفرصة...].

[وهناك محاولةٌ واسعةُ النطاق بدأها البعثيّون في مقال نشر في جريدة اليوم وصفّق له المشايخ، والمحاولة هي تفسير الموقف كلّه بأنّ المقصود للحكومة ضرب حزب معيّن يصطنع الدين ويتعامل مع الاستعمار[٢]، وأعضاؤه فلان وفلان وأنّ السيّد ضرب بالتبع][٣].

هناك أمور:

أوّلاً: منذ البداية كنتُ أشعر أنّ عقد مؤتمر صحفي يحضره جماعة من الطلاّب اللبنانيّين النازحين ويتحدّثون عن مرجعيّة السيّد[٤] وتسلسل الأحداث بالأرقام شيء مهمٌّ جدّاً، ولكنّ المؤلم أنّ كلّ هؤلاء الذين تقاطروا وكان من المأمول أن يقوموا بشيء امتنعوا من ذلك..

ثانياً: كنت أحسُّ بأنّ توسيع نطاق العمل الدعائي للقضيّة بتركيز مقام السيّد وإبراز خيوط المأساة، وتحريك الضمير الشيعي إلى أبعد حدٍّ أمرٌ ممكنٌ جدّاً، وقد كنت أصرُّ على الإخوان أن يواصلوا العمل الذي بدأوه بالملصقة الجداريّة، والتي كانت هي المحرّك الحقيقي للجماهير، وأن يهيّئوا لجنةً شعبيّةً تكون قوّة عاملة وتنفيذيّة لتوسيع نطاق العمل الدعائي، ولكنّ الجماعة لم يستجيبوا.. وهكذا شعرت أنّ من الضروري العمل المستقل، واتّفقت على ذلك مع السيّد (أبي نوري)[٥] وكان توسيع نطاق العمل الدعائي يتمّ في نظري على حقلين، أحدهما الشارع باللافتات والملصقات وصور السيّد ونحو ذلك.

والآخر الصحف بتركيز الاتّفاق مع عدّة معلّقين لإلزام قضيّة النجف في تعليقاتهم...»[٦].

نشاطات أخرى للسيّد الصدر رحمه الله

أثناء تواجده في لبنان، اقترح أحدهم على السيّد الصدر رحمه الله استغلال الخلاف الحاصل بين نظام الشاه في إيران وبين النظام العراقي وإرسال شخص للعمل في إذاعة الأهواز ضدّ النظام العراقي،

---

(١) يقصد السيّد محسن الحكيم ونجله السيّد مهدي رحمهما الله.

(٢) المقصود حزب الدعوة الإسلاميّة، ولم يتيسّر لنا الحصول على هذا المقال.

(٣) ما بين [] من: صحيفة (لواء الصدر)، ملحق العدد (١٤٩)، ١٤/شعبان/ ١٤٠٤هـ.

(٤) يقصد السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

(٥) في المنشور (...)، وفي القسم المنشور من النسخة الخطيّة: (أبي نوري) وهو السيّد مرتضى العسكري.

(٦) انظر الرسالة في: الجهاد السياسي: ٣٩ ـ ٤١ ؛ صحيفة (لواء الصدر)، ملحق العدد (١٤٩)، ١٤/شعبان/١٤٠٤هـ ؛ انظر الوثيقة رقم (١٠٠).

فكان جوابه رحمه الله حاسماً وقاطعاً: «**لا نستعين بالكفر على الكفر**»[١].

وقد لاحظ السيّد الصدر رحمه الله في زيارته التي قام بها إلى لبنان انخفاضَ الوعي الإسلامي وتدنّي الثقافة الإسلاميّة بين صفوف أبناء الشعب اللبناني المسلم واقتحام الثقافة الغربيّة التي سيطرت على مفاهيمهم وتصوّراتهم، فلم يترك السيّد الصدر رحمه الله هذه الحالة دون علاج وبالقدر الذي تسمح به الظروف، فراح يبحث مع علماء لبنان عن العلاج السريع والناجع للقضاء على هذه الحالة، وكان السيّد الصدر رحمه الله قد كتب إلى أحدهم ـ ولعلّه السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ـ يشرح له هذه الحالة ويصفها له فيقول:

«دأبت منذ دخلت لبنان على تكرار مفاهيمنا عن الإسلام التي تبدو هنا غريبة كلّ الغرابة، وتباحثتُ في تلك المفاهيم مع عدّة من الأشخاص كالشيخ محمّد جواد مغنيّة، وكان مقصودي من ذلك بثّ شيء من الوعي ـ إلى درجة ما ـ في بعض الأذهان»[٢].

إحراق المسجد الأقصى

في ١٩٦٩/٨/٢١م (٨/جمادى الثانية/١٣٨٩هـ)، قام شاب أسترالي يدعى دنيس مايكل وليم موهان بإحراق المسجد الأقصى، وقد استطاعت القوّات الإسرائيليّة بذلك إبعاد التهمة عنها، فقامت باعتقاله من أجل محاكمته، إلاّ أنّها ما لبثت أن أطلقت سراحه بحجّة أنّه مجنون. وكانت الحفريّات الإسرائيليّة في المسجد الأقصى قد بدأت منذ العام ١٩٦٧م[٣].

وتعليقاً على ذلك، وفي ١٩٦٩/٨/٢٢م (٩/جمادى الثانية/١٣٨٩هـ) وجّه السيّد محسن الحكيم رحمه الله نداءً إلى المسلمين جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

لقد روّع العالم الإسلامي واهتزّ إزاء الجريمة المنكرة التي قامت بها إسرائيل وخطّطت لها منذ مدّة، وهي جريمة إحراق المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين وموطن الأنبياء والمرسلين.

وبالرغم من أنّ هذه الجريمة الشنعاء كانت من أفظع الجرائم التي اقترفها الإسرائيليّون في تأريخهم الأسود الحافل بقتل الأنبياء والأولياء وهتك الحرمات وإهانة المقدّسات، فإنّ هذه الجريمة ليست شيئاً غريباً على طبيعة إسرائيل العدوانيّة ووجودها غير المشروع في قلب العالم الإسلامي. كما أنّ ذلك ليس بعيداً عن المخطّطات الإجراميّة التي رسمتها القوى الكافرة ـ من الغرب والشرق ـ التي تساند إسرائيل وتصرُّ على وجودها.

وتشير هذه المسألة إلى أنّ العدوّ الإسرائيلي يشعر بشكل واضح أنّه لا يمكن أن يتمّ له اغتصاب الأرض المقدّسة والتمكّن من إخضاع الأمّة الإسلاميّة لمخطّطاته وأهدافه ما دام لهذه الأمّة دينٌ يجمع قلوبها ويوحّد كلمتها حول شعار (لا إله إلاّ الله)، وما دام في أراضيها بيتٌ من بيوت الله يدعو المسلمين إلى الأخذ بحقوقهم ويستصرخهم لإنقاذه من أيدي الصهاينة المعتدين.

وتجاه المآسي التي تعانيها الأرض المقدّسة لا يسعنا إلاّ أن نضع المسلمين أمام مسؤوليّاتهم الدينيّة

---

(١) جريدة العهد/ العهد الثقافي، بتاريخ ١٨/رمضان/١٤١٠ هـ، ص (هـ) في حديث مع الشيخ حسين كوراني.

(٢) الجهاد السياسي: ٨٣.

(٣) الموسوعة الفلسطينيّة ٤: ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ؛ انظر الوثيقة رقم (١٠١).

وندعوهم جميعاً أن يجمعوا صفوفهم ويتركوا خلافاتهم ويجنّدوا كلّ طاقاتهم وإمكاناتهم من أجل تحرير المسجد الأقصى وإنقاذ الأماكن المقدّسة من أيدي المعتدين الإسرائيليّين.

وبهذا الصدد يجدر بالمسلمين أن يدركوا أنّ وسيلتهم الوحيدة لاستعادة كرامتهم واستنقاذ حقوقهم والدفاع عم مقدّساتهم، إنّما هي التمسّك بتعاليم دينهم الحنيف والأخذ بأحكامه الخالدة، ورفض كلّ الأفكار الضالّة والمبادئ الملحدة الوافدة من الشرق والغرب والتي ما تزال تتقاذفهم وتمزّق كيانهم ووجودهم، وأن يواصلوا العمل الجاد من أجل توفير عناصر القوّة والنصر لمعركتهم المصيريّة التي تهدّد كيانهم.

ومن دون ذلك فليس على المسلمين إلاّ أن ينتظروا المزيد من العدوان والدمار والتنكيل والإرهاب من اليهود الصهاينة والقوى الكافرة التي تحمي وجودهم وتشجّعهم على ارتكاب المظالم والآثام.

وإنّنا في الوقت الذي يغمرنا الحزن والأسى لما يجري على الأرض الإسلاميّة المقدّسة من مآسي وآلام، نسأل الله سبحانه أن يوفّق المسلمين جميعاً إلى الطريق التي اختارها لهم و[يحقّقوا] في السير عليها عزّتهم وكرامتهم، والله سبحانه وليّ التوفيق والهداية.

٩ جمادى الآخرة ١٣٨٩ هـ

محسن الطباطبائي الحكيم»[١].

وتلقّى السيّد الحكيم رحمه الله برقيّة من الشيخ عبد الله بن المسيح الطهراني في إيران جاء فيها:

«النجف ـ سماحة آية الله العظمى السيّد محسن الطباطبائي الحكيم مدّ ظلّه العالي.

العلماء ومن ورائهم [الأمّة] الإسلاميّة في إيران يستنكرون بأشدّ الاستنكار الاعتداء الصهيوني الأثيم على أولى القبلتين مسجد الأقصى، فها نحن والشعب الإيراني ننتظر من سماحتكم التوجّه إلى هذا الأمر منتظرين أوامركم المطاعة.

عبد الله بن المسيح الطهراني».

وقد أجابه السيّد الحكيم رحمه الله بما يلي:

«ل.ت ـ طهران مسجد جامع حضرت آية الله الطهراني دامت بركاته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلّمنا برقيّتكم بشأن الحادث المحزن المؤلم الذي هو طعنة في قلب كلّ مسلم، وهو احتراق المسجد الأقصى، وقد أصدرنا بياناً ندعو فيه المسلمين جميعاً أن يبذلوا كلّ جهودهم وقواهم لاستنقاذ القدس الشريف والأرض المغتصبة من الكفّار والصهيونيّة المعتدين، والدفاع عن مقدّسات الإسلام الهامّة. نسأل الله سبحانه أن يوفّق المسلمين للقيام بواجباتهم وأن ينصرهم على أعدائهم، إنّه على نصرهم لقدير.

محسن الطباطبائي الحكيم»[٢].

وأصدر السيّد الخوئي رحمه الله بياناً استنكر فيه الحادثة، وممّا جاء في بيانه:

«إنّ الخطر الصهيوني المحدق بالمسلمين لم يكن ليقتصر على محو الآثار الإسلاميّة ولا الإطاحة بالمسلمين فحسب، بل يهدف ذلك في أبعد حدوده إلى سحق كيان الإسلام والقضاء عليه من أساسه. ولم يكن تلويثهم للمسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثالث الحرمين ولا تطاولهم على حرقه وتهديمه والنيل من حرماته غي أبشع جريمة ليس لها نظير، إلاّ تحقيقاً لذلك الهدف الخطير..»[٣].

---

(١) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٩٣.

(٢) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٢٨٩ ؛ اسناد انقلاب اسلامى (فارسي) ١: ٣٣٦.

(٣) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ٩٤، والمقدار الذي نقلناه هو الوارد في المصدر.

كما وجّه السيّد موسى الصدر نداءً إلى المسلمين والمسيحيّين وإلى العرب جاء فيه:

«أيّها العرب الكرام.. أيّها المسلمون.. أيّها المسيحيّون في أقطار الأرض.. أيّها الإنسان في كلّ مكان..

وهكذا تكشف إسرائيل عن وجهها المرّة بعد المرّة بوضوح، فيظهر دورها الهدّام في الشرق. ها إنّها تبدأ بالتجنّي على التاريخ ومحو القيم في الماضي بعد أن لوّثت الأرض المعاصرة وقضت على الأخلاق والعدالة في هذا العصر.

لقد أحرقت المسجد الأقصى بعد أن لوّثت القدس بالفساد والبغي. أمّا كنيسة القيامة فتنتظر دورها مناشدةً أبناءها قائلة:

إذا ما أخ خلّ أخاه لأكل * * بدأ بأخيه الأكلُ ثمّ به ثنى[١]

أيّها الإخوة!

إنّ كارثة حرق المسجد الأقصى أوضحت مصيرنا مسلمين ومسيحيّين، وأثبتت أنّ الخطّة الصهيونيّة لا تبقي ولا تذر. إنّ هذه الكارثة لا تبقي مجالاً للعذر ولا للتواني ولا للالتهاء بالمعارك الجانبيّة حيث أصبح كلّ ما نملك في كفّ عفريت. إنّها تدعو إلى النفرة خفافاً وثقالاً فرادى وجماعات.

فبادروا رحمكم الله لنتحمّل مسؤوليّاتنا قبل أن نصبح وصمة عار في جبين الدهر»[٢].

وفي ٢٤ و١٩٦٩/٨/٢٥م باشر السيّد موسى الصدر اتّصالاته مع رؤساء الطوائف الروحيّة في لبنان من أجل عقد مؤتمر يضمّهم جميعاً بهدف توحيد الجهود الرامية إلى اتّخاذ مواقف حازمة على الصعيدين اللبناني والعالمي تجاه الجريمة المنكرة التي ارتكبتها إسرائيل بإحراق المسجد الأقصى.

وقد رحّبت الأوساط الروحيّة المسيحيّة بعقد المؤتمر معربةً عن استعدادها لحضوره من أجل توحيد الجهود لما فيه خير الوطن وسلامة الأماكن المقدّسة في الأراضي المحتلّة[٣]. وكان السيّد موسى الصدر متفائلاً جدّاً من انعقاد المؤتمر حول قضيّة إحراق المسجد الأقصى[٤].

وقد قام السيّد الصدر رحمه الله ـ من لبنان ـ بإيصال البيان إلى مختلف الجهات، ومنها مؤتمر رؤساء الدول الإسلامية. وقد كتب رحمه الله إلى أحدهم ـ لعلّه السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ـ وهو متفائلٌ بنجاح عمله:

«أكتب إليكم هذه السطور، وقد شعرت بالرغم من الآلام التي لا تطاق بشيء من الارتياح لإيصال بيان سيّدنا الأعظم عن حريق المسجد الأقصى. وقد كنتُ أفكّر في إرسال رسول لهذا الغرض»[٥].

وكتب حول أوضاع الشيعة في سوريا:

«...وسمعنا هناك.. ما يفتّت الأكباد من وضع الشيعة في الشام بسبب تصرّفات (...)، نكسة الكيان الشيعي هناك وتفتّته وتشتّت كلمة الطائفة، وبالتالي نكسة كيان سيّدنا دام ظلّه[٦] هناك بسبب ألوان من التصرّف التي أجد من الوظيفة الشرعيّة لزوم التحقيق بشأنها وإيصال خبرها إلى السيّد الحكيم لئلاّ يضيع

---

(١) لم نجده.

(٢) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٤٧ ـ ٤٨.

(٣) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٤٨.

(٤) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ١٩٤.

(٥) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٥٧.

(٦) المقصود السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

الكيان الشيعي بعد جهود مئات السنين في الحفاظ عليه ورصّ صفوفه.

وقد طلبت من (...) أن يكتب للسيّد يحدّثه بذلك، ..وظهر لي أنّه ينوي الكتابة..»[١].

موقف السيّد الخميني رحمه الله

في ١٩٦٩/٩/٧م (٢٤/جمادى الثانية/١٣٨٩هـ) قرّر البعثيّون إخراج السيّد الخميني رحمه الله من النجف الأشرف نتيجة عدم تعاونه معهم. وقد بحث الساواك أمرَ إخراجه إلى باكستان.

وفي اليوم نفسه أرسل شاه إيران مليون ريالاً من أجل إعمار المسجد الأقصى[٢].

ولمّا عقد مؤتمر المسجد الأقصى في الرباط في ٩/رجب/١٣٨٩هـ (٢١ أو ١٩٦٩/٩/٢٢م)، وقد حضره أنور السادات ممثّلاً عبد الناصر. ولكنّ السيّد الخميني رحمه الله كان مستاءً من هذا المؤتمر خاصّةً أنّ شاه إيران حضره وألقى فيه كلمة، معتبراً أنّ هذا المؤتمر «**لم يخدم المسلمين بل خدم أعداءهم**» ودعا إلى «**عدم إعادة بناء المسجد الأقصى لكي تظلّ جريمة الصهيونيّة ماثلة أمام أعين المسلمين حتّى ولو تحرّرت فلسطين المسلمة**»[٣].

وفي ١٩٧٠/١/٢٥م (١٦/ذي القعدة/١٣٨٩هـ) دعا السيّد الخميني رحمه الله إلى ترك المسجد الأقصى محروقاً، وندّد بشاه إيران الذي يجمع المال من الناس من أجل إعادة إعماره[٤].

استمرار الصراع مع حكومة البعث في العراق

ضمن نشاطاتهم الهادفة إلى تصعيد الموقف ضدّ الأعمال التي تقوم بها الحكومة العراقيّة، قام العاملون ضمن هذا الخط بالتخطيط من أجل اختطاف السفير العراقي في بيروت. وقد أعدّت هذه الجماعة العدّة من أجل ذلك وقصدت مطار بيروت الدولي لتنفيذ العمليّة بعد وصول السفير إلى الأراضي اللبنانيّة.

ولكنّ مدير أمن المطار شعر بالقضيّة، فتحدّث معهم وأبلغهم بأنّه لن يسمح بوقوع هذا الأمر، ولكنّه ـ وتعاطفاً معهم ـ سيسمح لهم بالاعتراض على سياسات الحكومة العراقيّة. وقد تمّ ذلك فعلاً حيث قام المتظاهرون برشق السفير العراقي بالحجارة وما وصلت إليه أيديهم.

وبعد حوالي أسبوعين على وقوع هذه الحادثة، وبسعي من الشيخ علي كوراني والسيّد عبد الأمير صفي الدين رحمه الله، قامت مجموعة من الشبّان بالتربّص بنجل الرئيس العراقي أحمد حسن البكر الذي كان مع إحدى الفتيات في (عاليه)، وقد قام هؤلاء الشباب بالتحرّش بنجل البكر متظاهرين بعزمهم على سلبه فتاته. وما إن اعترضهم حتّى أوسعوه ضرباً ولاذوا بالفرار[٥].

---

(١) الجهاد السياسي للشهيد الصدر: ١٩، و(...) من المصدر.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٧٣.

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٠٢).

(٤) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٨٨ ؛ خاطرات سياسى (٢)، سيد على اكبر محتشمى (فارسي): ١٠١.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م ؛ وقد حدّثني بأصل القضيّة الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م والحاج محمّد علي فيّاض بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٤م. وقد ذكر لي الشيخ حسن ملك والحاج فيّاض أنّ قرار الحكومة العراقيّة الآتي كان ناتجاً عن هذه الحادثة.

نشوب أزمة سياسيّة بين الحكومتين العراقيّة واللبنانيّة

في هذه الفترة كانت العلاقات السياسيّة بين العراق ولبنان آخذة في التأزّم، وقد كانت حجّة العراق أنّ الصحف اللبنانيّة تهاجم في كتاباتها الثورة العراقيّة. وقد تفاقم الأمر حتّى منعت الحكومة العراقيّة العراقيّين من المجيئ إلى لبنان ومنع (الترانزيت) عبر مرفأ بيروت، ثمّ منعت استيراد البضاعة اللبنانيّة[١].

فوجئ المسؤولون اللبنانيّون وخاصّة الرئيس شارل الحلو بطلب الحكومة العراقيّة في ١٩٦٩/٨/٣٠م (١٦/جمادى الثانية/١٣٨٩هـ)[٢] من جميع رعاياها الموجودين في لبنان وعددهم خمسة عشر ألفاً مغادرته خلال أربع وعشرين ساعة، في الوقت الذي تبذل الدولة اللبنانيّة مساعيها لإزالة العقبات والعراقيل التي اعترضت البلدين وأدّت إلى نشوب الأزمة.

ففي الحادية عشرة قبل ظهر يوم السبت ١٩٦٩/٨/٣٠م قام السفير العراقي في بيروت بزيارة الرئيس رشيد كرامي وأبلغه نصّ البرقيّة التي تلقّاها من حكومته بشأن التدبير الجديد، فسأله رئيس الحكومة المكلّف عن الأسباب الجديدة التي دعت حكومته إلى اتّخاذ هذا (التدبير الخطير)، فأجابه السفير أنّه على الرغم من إرسال وفد لبنانيٍّ رسميٍّ إلى بغداد لتسوية الأزمة، فإنّ لبنان لا يزال يتّبع سياسة عدائيّة تجاه العراق ممّا اضطّرّ الحكومة العراقيّة إلى أن تُقدم على هذه الخطوة. ولمّا استوضحه كرامي دلائل العداء في سياسة لبنان، طرح السفير مجدّداً قضيّة الصحافة اللبنانيّة وما وصفه بـ(الحملات الجائرة ضدّ نظام الحكم في العراق) وازدياد هذه الحملات بعد عودة الوفد اللبناني من بغداد.

وقد استغرب كرامي وقال للسفير: إنّه يواظب على مطالعة الصحف يوميّاً وإنّه لم يقرأ في المدّة الأخيرة أيّ تعليق أو خبر في هذه الصحف يتناول العراق ونظام الحكم فيه من قريب أو بعيد. وأضاف رئيس الحكومة المكلّف أنّه حتّى في حال وجود مثل هذه الحملات في بعض الصحف فإنّها لا تستوجب اللجوء إلى تدبير خطير من هذا النوع بين دولتين شقيقتين، خاصّةً أنّه يمكن معالجة القضيّة بطرق قانونيّة. وسأل كرامي السفير لماذا لم تطلب حكومته ـ كما هي الأعراف بين أيّة دولتين ـ ملاحقة الصحف التي يعتبر المسؤولون العراقيّون أنّها تعرّضت لهم وتحاملت عليهم وعلى نظام الحكم، ولم يغفل كرامي الإشارة إلى أنّ الصحف التي تؤيّد العراق وسياسته ونظام الحكم فيه هي أكثر بكثير من تلك التي تقف ضدّه.

إلاّ أنّ السفير ـ على الرغم من ذلك كلّه ـ لم يكن يملك غير تبليغ رئيس الحكومة المكلّف برقيّة حكومته التي صدر على أساسها البيان الآتي:

«بيانٌ من السفارة العراقيّة في بيروت إلى جميع المواطنين العراقيّين في لبنان:

بناء على ما تقتضيه مصلحة وطنكم الذي تحرصون على التضحية من أجله، هذا الوطن الذي يتعرّض لحملات الاستعماريّين والرجعيّين، بينما يقف جيشه صامداً على الجبهة الشرقيّة ينتظر اللحظة الفاصلة..

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٠٣).

(٢) ورد في صحيفة (النهار) الصادرة بتاريخ ١٩٦٩/٨/٣١م أنّ قرار الحكومة العراقيّة كان (أمس).

إنّ هذا الوطن يدعوكم إلى مغادرة الأراضي اللبنانيّة خلال مدّة أقصاها ٢٤ ساعة.
وبرغم ثقتنا الأكيدة بأنّكم سوف تلبّون دون تردّد نداء وطنكم، نودُّ أن نذكّر من يتخلّف عن ذلك بأنّه سوف يعرّض نفسه للعقوبات القانونيّة».

وقد تمّ توزيع البيان على الفنادق وطُلب من مدرائها إبلاغ نزلائهم العراقيّين بمضمونه وذكرِ أنّ القرار يشمل السياسيّين والمصطافين. وجرى استنفار شركة الخطوط الجويّة العراقيّة لتوفير الطائرات لنقل الركّاب إلى بغداد. وأعلن ناطقٌ باسم السفارة العراقيّة أنّ من الممكن السفر بالسيّارات، وهدّد بمصادرة أموال كل عراقي وممتلكاته إذا رفض السفر. ولدى سؤال السيّد تقي الدين الصلح ـ الذي ترأّس وفد التسوية اللبناني ـ عن رأيه في التدبير العراقي قال: إنّه فوجئ كغيره وإنّه لا يعرف شيئاً عن الأسباب والأبعاد التي تقف وراء الخطوة العراقيّة الجديدة.

وتروي أوساط البعثيّين في لبنان أنّ حقيقة أسباب الأزمة بين بيروت وبغداد هي أبعد من قضيّة الحملات الصحافيّة وأنّها تتعلّق بموقف السلطات اللبنانيّة من الجناح البعثي اللبناني المؤيّد للقيادة القوميّة لحزب البعث الحاكم في العراق، وهي القيادة التي يتولّى ميشال عفلق أمانتها العامّة، وهذا الجناح معروفٌ عنه أنّه كان ولا يزال في صراع ضدّ كرامي وزعامته المحليّة في طرابلس. ويقول هذا الجناح: إنّ السلطات كانت حتّى الآن تحارب المنتسبين إليه لمصلحة كرامي بالتفاهم مع الحكم القائم في سوريا، وإنّ اضطهاد لبنان لهم ازداد بعد تظاهرات وحوادث ٢٣/نيسان التي اتّهمتهم السلطات اللبنانيّة بلعب دورٍ أساسيٍّ فيها[١].

عودة السيّد الصدر﵀ إلى العراق

عندما صدر القرار السابق كان السيّد الصدر﵀ في بلدة جباع[٢]، وقد استشار السيّد موسى الصدر في الأمر فأشار عليه بالرجوع إلى العراق كي لا تعتبره الحكومة العراقيّة معارضاً. بينما كان رأي الشيخ علي كوراني أن يستقرَّ السيّد الصدر﵀ في لبنان ويؤسّس فيها حوزة علميّة[٣]، وقد طلب منه البقاء، ولكنّه﵀ رفض[٤].

في هذه الأثناء كان الشيخ حسين كوراني والشيخ نجيب سويدان والسيّد حسين هادي الصدر والسيّد حسين صفي الدين [والشيخ حسن دبوق] والشيخ حسن ملك[٥] في منزل الشيخ نجيب

---

(١) راجع: صحيفة (النهار) اللبنانيّة، العدد رقم (١٠٤٤٢) الصادر يوم الأحد ١٩٦٩/٨/٣١م ؛ انظر الوثيقة رقم (١٠٤). ويشار إلى أنّ الحكومة العراقيّة تراجعت عن هذا القرار في ٢٨/أيلول/١٩٦٩م: انظر صحيفة (النهار) اللبنانيّة، العدد الصادر في ١٩٦٩/٩/٢٩م.
(٢) مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (﵀) ؛ لقاء مع الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م.
(٣) مقابلة مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).
(٤) مسائل في البناء الفكري: ١٩.
(٥) ذكر لي الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م وبتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م اسم السيّد حسين صفي الدين، بينما ذكر لي الشيخ حسنٍ ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م اسم الشيخ حسن دبوق. وحيث كان السيّد حسين صفي الدين يملك سيّارة وكان حاضراً عند توديع السيّد الصدر﵀ صباحاً ـ كما يُستفاد من رسالة السيّد الصدر﵀ ـ بينما رجع الآخرون قبيل الغروب، فإن كان ذلك بسيّارته أمكن افتراض وجود الجميع ورجوعهم بسيّارة أخرى، وإن لم يكن ذلك بسيّارته فإنّ

سويدان‏رحمه الله في بلدة ياطر، فقاموا عصر يوم السبت ١٩٦٩/٨/٣٠م (١٦/جمادى الثانية/١٣٨٩هـ) بالتوجّه إلى جباع بهدف زيارة السيّد الصدر‏رحمه الله.

وأثناء عبورهم عن طريق علمان ـ الشومريّة اعترض طريقهم حاجزٌ للقوّات الأمنيّة اللبنانيّة طالباً منهم إبراز بطاقات الهويّة، إلاّ أنّهم رفضوا ذلك، حتّى أنّ السيّد حسين هادي الصدر أبرز جواز سفره وقال: «**هذا جواز سفري، عراقي، ولكنّني لن أعطيك إيّاه**».

وبعدما وصلوا إلى جباع قاموا بإبلاغ السيّد الصدر‏رحمه الله قرار الحكومة العراقيّة طالبين منه البقاء في لبنان[1]. وقد قال له الشيخ نجيب سويدان: «**سيّدي ألا تتأخّرون شهراً أو شهرين ريثما يتبيّن الوضع؟!**» فأجابه‏رحمه الله: «**يستحيل، واجبي أن أكون هناك في الحوزة، إمّا أن أحفظها وإمّا أن أستشهد في سبيلها**»[2]، فقاموا بتوديعه والعودة قبيل الغروب[3].

وفي السهرة طلب الحاج محمّد علي فيّاض من السيّد حسين الصدر أن يُرجع إليه مجموعةً من الكتب العائدة إلى والده والتي كان السيّد حسين قد استعارها منه أثناء إقامته في جباع، فقال له السيّد حسين: «**سأرجع لك الكتب باستثناء كتاب واحد**»، فسأله: «**لماذا؟**»، فأجاب: «**هذا الكتاب ينفعني ولا ينفعك**»، فقال له الحاج: «**أنت معزّتك في القلب، ولكن كرامةً للسيّد محمّد باقر الصدر، فالكتاب لك**»، فتبسّم السيّد الصدر‏رحمه الله.

وقبل شروق شمس يوم الأحد ١٩٦٩/٨/٣١م (١٧/جمادى الثانية/١٣٨٩هـ)، انطلقت سيّارة الأجرة ـ التي كان الحاج محمّد علي فيّاض قد أعدّها ـ مقلّةً السيّد الصدر‏رحمه الله والسيّد حسين هادي الصدر، وكانت السيّدة أم جعفر في المستشفى في بيروت قرب ابنتها[4] [صبا]، وكان في توديعه السيّد حسين صفي الدين[5].

ومن جباع توجّه السيّد الصدر‏رحمه الله إلى الشام لزيارة السيّدة زينب‏عليها السلام ومن هناك إلى العراق، وبقيت زوجته في لبنان لأنّها تحمل الجنسيّة الإيرانيّة ولم تكن مشمولة بالقرار، إلى أن التحقت به بعد حوالي شهرين[6].

كان السيّد محسن الحكيم‏رحمه الله يتخوّف على السيّد الصدر‏رحمه الله من ملاحقته من قبل النظام بعد رجوعه إلى العراق، لأنّ سفره إلى لبنان والحملة الإعلاميّة التي قادها ضدّ الحكم العفلقي في العراق

السيّارة لا تسع عادةً أكثر من خمسة أشخاص غير السائق.

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م، وبقريبٍ منه الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م وأخرى بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م.

(٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (رحمه الله). وقد ذكر الشيخ نجيب سويدان أنّ السيّد الصدر‏رحمه الله كان في داره في ياطر، وقد ذكرنا أنّه كان في جباع.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٤) ذكرت لي ذلك السيّدة أم جعفر الصدر، وكان قد ذكر لي ذلك إجمالاً الشيخ حسين كوراني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٨م وأخرى بتاريخ ٢٠٠٤/٦/١٥م.

(٥) يظهر ذلك من رسالة السيّد الصدر‏رحمه الله إلى السيّد صفي الدين الآتية.

(٦) ذكر لي بعض ذلك السيّد جعفر الصدر بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٠م، ثمّ أكّدته السيّدة أم جعفر الصدر.

كانت بمثابة إعلان الحرب ضدّهم، وقال: «**ليس من المصلحة أن يرجع السيّد الصدر إلى العراق لأنّه سيقتل**»، وكان هذا رأي بعض أصدقائه في لبنان[١]، ولكنّ السيّد الصدر أصرّ على العودة وكان يتوقّع اعتقاله، فاستعدّ لذلك وسلّم كلّ ما لديه في العودة لرفيقه[٢] خشية اعتقاله، ولكنّ شيئاً من ذلك لم يحدث.

ومن المؤكّد أنّ الحكم العفلقي وضع هذا السفر في القائمة التي أعدّها لمتابعة ورصد تحرّك السيّد الصدر والتخطيط لعمليّة القضاء عليه والتخلّص منه، ولكنّهم تركوا ذلك لعامل الزمن ريثما يسمح بمثل هذه العمليّة[٣].

السيّد الصدر يسترجع رحلته اللبنانيّة

بعد رجوعه إلى العراق كتب السيّد الصدر مجموعة من الرسائل إلى بعض من التقى بهم في لبنان، نعلم منها:

١ ـ رسالته إلى السيّد حسين صفيّ الدين والتي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي العزيز وعضدي الصفي والمثل الرفيع للإنسانيّة في عواطفها النقيّة وطهارتها الروحيّة ونبلها وكرامتها السيّد حسين صفي الدين لا عدمته ولا حرمته أخاً بارّاً وصاحباً وفيّاً.

السلام عليكم زنة شوقي إليكم.

وبعد فأنت ماثلٌ الآن أمامي وأنا أكتب هذه السطور تحوطك هالةٌ من الذكريات العظيمة التي تملأ جوانح قلبي وتخفق مع خفقات فؤادي وتجري في عروقي ودمائي لأنّها ذكرياتك أيّها الأخ العزيز وبقاياك في روحي، وما أعظم بقاياك في روحي، فإنّك تركت فيها قلباً يخفق بحبّك وعاطفة أخويّة تتأجّج لفراقك وعقيدة مخلصة بأنّك من ذلك النمط الرفيع الرفيع من الناس الذين لا تشغلهم الدنيا عن قلبهم ولا مشاكل الحياة عن حياة العاطفة الصحيحة الصادقة.

فبنفسي أنت يا أبا عماد.

وبنفسي عواطفك وروحك وقلبك الذي فتحته أنت لي فكان أروع في نفسي من كنوز الدنيا مجتمعةً لو فتحت أمامي، لأنّي وجدت في هذا القلب العلوي (الصفي) الذي فتح لي ذراعيه فدخلته آمناً مطمئنّاً وأقمت فيه سعيداً هانئاً، وجدتُ فيه من معاني الروح والعاطفة والحبّ والوفاء ما يرتفع ويسمو على الدنيا وكنوزها جميعاً، وإلاّ فحدّثني هل هناك كنزٌ أرفع وأروع من قلب تملك مفتاحه وتخفق لك جوارحه.

لا أدري كيف أحدّثك يا أبا عماد ـ وما أحلاها من كنية على مسامعي وفي شفتيّ ـ والذكريات تتزاحم والصور تتسابق إلى قلمي وكلّها جديرٌ بالذكر والحديث حقيقٌ بالعرض والتصوير.

فهل أتحدّث عن جلساتنا على سطح البيت في جباع، تلك الجلسات العاطرة بأجوائها الروحيّة بما كنت تشيع فيها من عاطفة وحب.

أو هل أتحدّث عن تفقّدك الأخوي لي في كلّ يوم تقريباً صباحاً ومساءً حتّى لقد برهنت على أنّ الصداقة القصيرة العمر قد تكون أضخم ألف مرّة من صداقات السنين المتطاولة.

---

(١) من نظرات جماعة العلماء: ٢٦ ؛ الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ١٩.

(٢) لا بدّ وأنّه السيّد حسين هادي الصدر.

(٣) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٧٧ ـ ٢٧٨.

أو هل أتحدّث عن يوم نبع الطاسي وما أدراك ما يوم نبع الطاسي وما أروعه من يوم لا يزال ثابتاً في قلبي، لأنّه يوم القلب الذي منحتني فيه عواطفك حتى بدا لي اللحم المشوي في إطار عواطفك الحبيبة أطيب طعام وأشهاه لأنّي كنت لا أحسّ فيه بحرارة النار التي شوت اللحم فحسب، بل كنت أحسّ أيضاً بحرارة القلب والعاطفة والإخلاص أيضاً.

ماذا أذكر من هذه الصور ومن أمثالها وهي كثر وكلّها حبيبٌ إلى قلبي، قريبٌ من نفسي بل نافذ إلى أعماقها، غير أنّ هناك صورة أو ذكرى تفوق هذه الصور والذكريات كلّها.

إنّها الصورة التي لا تبارح خيالي أبداً.

إنّها الصورة التي هزّتني وكهربتني.

إنّها الصورة التي ملأتني اعتزازاً بك وحبّاً لك.

أتعلم يا أبا عماد ما هي هذه الصورة:

إنّها صورتك في لحظة الوداع والسيارة تنتزعني من أيديكم انتزاعاً وتضع حدّاً فاصلاً للجنّة التي عشناها جميعاً على صعيد لبنان.

إنّها صورتك وأنت تودّعني في تلك اللحظة، فتعبّر في ملامحك وجوارحك عن آيات صادقة في الحبّ والعاطفة.

إنّها صورتك وأنت تودّعني بدموعك ويا بنفسي هذه الدموع التي إن لم تسمح لي السيارة بأن أمسحها بكفّي فقد قفز لها قلبي من بين ضلوعي وكاد أن يطير إليها ليلثم تلك العبرات ويرتوي بعذوبتها أو يحترق بحرارتها.

إنّي لا أنسى ولن أنسى يا أبا عماد ذلك المنظر العظيم الذي ما تذكّرته بعد ذلك في سفرتي إلاّ استعبرت وكدت أبكي، وحين كنت أحدّث إخواني وصحبي في العراق كنتُ أقول لهم وهم الذين يعزّونني أكثر من أيّ شيء آخر: إنّ أبا عماد وصل في حبّه ووفائه لي خلال عدّة أسابيع ما لم تصلوه إلاّ خلال سنوات.

وإنّي أبتهل إلى المولى سبحانه أن يجمعنا مرّات ومرّات في العراق ولبنان، إنّه على كلّ شيء قدير.

وختاماً أقبّل الأولاد الأعزّاء خصوصاً عماد ورضا وأسلّم على جميع الإخوان، كما أنّ العائلة يسلّمون كثيراً على عائلتكم وعلى السيّدة الكريمة أم عماد خصوصاً، وهم ألسنةُ ثناء وشكر ودعاء لها.

والسلام عليكم أولاً وآخراً

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[1].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٠٥). وبعد ذلك كانت للسيّد حسين صفي الدين مجموعة من الذكريات مع السيّد الصدر حدّثني بها بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م:

١ ـ زاره مرّة في النجف الأشرف فاستقبله السيّد الصدر بحفاوة بالغة أمام طلاّبه، وقد استحى السيّد حسين صفي الدين من ذلك، فقال له السيّد الصدر: «الحياء من الدين».

٢ ـ وذات مرّة كان السيّد الصدر يريد زيارة كربلاء كعادته، فقام السيّد صفي الدين بإيصاله مع عائلته بسيّارته الخاصّة.

٣ ـ وزاره قبل اختفاء السيّد موسى الصدر بفترة، فاستقبله السيّد في منزله وقال له: «سأشربّك شاي على ذوقك»، وبعد الشاي طلب من أم جعفر أن تعدّ لضيفه القهوة، وقد سلّمت عليه أم جعفر وسألته عن أحوال أخيها السيّد موسى. ثمّ دار حديثٌ حول أوضاع السيّد موسى والفلسطينيّين في صور، وقال له إنّه سيحمّله رسالة إلى السيّد موسى

٢ ـ رسالته إلى الشيخ محيي الدين المحمّد‏ بعد أن استلم منه قصيدة، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الفاضل التقيّ ثقة المؤمنين وسليل العلماء الميامين الشيخ محيي الدين حيّاه الله ومدّ في عمره الشريف ونفع بوجوده بلدَ آبائه وأجداده والمؤمنين في تلك الأرض المباركة.

السلام عليكم زنة حبّي لكم وحنيني إلى أيّامكم، وفرحتي بتسلّم رسالتكم العزيزة التي تفضّلتم عليّ بها، فجدّدتم بذلك عهداً لم أنسه، وأعدتم إلى ذهني ذكريات لا تزال كامنة في أعماق قلبي، ومنحتموني نفحةً من نفحات جباع التي سعدنا بها فترةً من الزمن وتذوّقنا من جمالها وجلالها وطيبة أهاليها ونبل الأحبّة فيها ما لا تنمحي ذكرياته ولا يضعف أثره. فأنا لا أنسى تلك الوجوه الحبيبة التي كانت تطالعنا في كلّ يوم، ولا تلك العواطف العظيمة التي كانت تحوطنا في كلّ حين، ولا تلك العناية الفائقة التي كنتُ أجدها منكم ومن سائر الأعزّاء، فبنفسي أيّامكم وبلدتكم (...)[1] وحبّ دياركم، وليست الرسالة الكريمة التي تلقّيتها منكم إلاّ فضلاً جديداً يُضاف إلى فضلكم وعاطفة مقدّرة إلى جانب عواطفكم المعهودة، فشكراً وألف شكر للنثر والشعر، وسلاماً وألف سلام على الإخوان والأعزّاء جميعاً، خصوصاً الشيخ حسن الحرّ والشيخ علي مروّة والسيّد عبد الله نور الدين والشيخ عارف الحرّ.

لا أدري أنّ الشيخ حسن الحرّ هل هو في جباع الآن أو في الكويت، ويهمّني أن أطّلع على أحواله وصحّة أهله وأولاده الأعزّاء حفظهم الله جميعاً، والسلام عليكم أوّلاً وآخراً

النجف الأشرف.

محمّد باقر الصدر

أسلّم أيضاً على الأخ المؤمن أبو علي وسامي، وأسلّم على ولده الشاب الطيّب سامي»[2].

٣ ـ رسالته إلى السيّد حسن الموسوي والتي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزنا الشريف الكامل والنبيل الفاضل السيّد حسن الموسوي حفظه الله تعالى ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمتُ بكلّ تقديرٍ رسالتكم العزيزة التي قرأتُ فيها وبين سطورها آيات إخلاصكم وعواطفكم، وأحسستُ بروحكم الكبيرة وقلبكم المؤمن الشجاع من خلال تلك العواطف التي نسأل المولى سبحانه وتعالى أن يتقبّلها بأفضل ما يتقبّل به إخلاص الصالحين من عباده. وليس غريباً أن أجد فيك وبها الفتى الهاشمي كلَّ ما يحبّبك إلى قلبي لأنّك نبتة طاهرة في أسرة طاهرة من شجرة مباركة، جعلك الله تعالى على مستوى مسؤوليّاتك الدينيّة وجعل من شبابك طاقةً في خدمة الدين الحنيف، والسلام عليكم وعلى سائر السادة الأعزّاء من حولكم ورحمة الله وبركاته.

وكتاباً إلى السيّد الغروي ليقوم بطبعه. وقد قابل السيّدَ صفي الدين السيّدُ علي بدر الدين، فرأى ما يحمل وقال له: «أرجع هذه الأمانة إلى السيّد»، فلمّا أرجعها السيّد صفي الدين معتذراً قال له السيّد الصدر‏: «السيّد بدر الدين طلب منك ذلك؟!» فقال: «نعم»، فقال: «معه حق» وأبلغه رسالةً ليوصلها إلى السيّد موسى الصدر. وعندما التقى السيّد صفي الدين بالسيّد موسى في منزل القبيسي في (فردان)، اختلى به الأخير وسأله عن حال ابن عمّه وحال أخته، فطمأنه السيّد صفي الدين وأبلغه رسالة السيّد الصدر‏.

(١) ما بين (..) ممحو من أصل الرسالة.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٠٦). ويبدو من خلال الرسالة أنّ الشيخ محيي الدين والشيخ علي مروّة والشيخ عارف الحرّ كانوا أيضاً من المتواجدين مع السيّد الصدر‏.

محمّد باقر الصدر
[الختم]»[١].

٤ ـ رسالته إلى الشيخ عبد الأمير قبلان، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة العلاّمة المعظّم ركن الإسلام الشيخ عبد الأمير قبلان دام عزّه.

السلام عليكم زنة شوقي إليكم وحنيني إلى تلك السويعات التي جمعتنا على أرض جباع الحبيبة بعد طول فراق وجعلتني أعيش من جديد حماوة تلك العواطف النبيلة والألطاف العالية، وأتلمّس بقلبي آيات الوفاء والنبل وشمائل التقى والعلم والإخلاص.

أرجو أن تصلكم هذه السطور وأنتم في أتمّ الصحّة والعافية، كما أرجو أن يكون جميع الأحبّة من حولكم في أفضل حال.

أكتب إليكم هذه السطور بمناسبة اجتماعي صدفة مع علاّمة الخطباء السيّد حسن الكمبانجي[٢] وشعوري باستعداده ورغبته لقضاء موسم خطابي في لبنان، فأحببت أن أكتب إليكم ذاكراً ذلك لكم وهو من مشاهير الخطباء في العراق، ويبلغني أنّه لم يقرأ في منطقة في العراق إلاّ استقطب احترامها وإكبارها، فأحببت أن أغتنم هذه الفرصة فأجدّد الصلة بالأخ العزيز ذاكراً له هذا المعنى، فإن أحببتم أو أحبّ أحد الإخوة العلماء الاتّصال به فبالإمكان ذلك عن طريق مراسلته باسمه في النجف.

سلامي على السيّد أبي صدري وعلى الشيخ فرحات وعلى أبي ابراهيم وأبي علي[٣]، والعائلة يسلّمون على العائلة الكريمة (العائلة الأولى طبعاً)[٤].

والسلام عليكم أوّلاً وآخراً ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٥].

ثورة الفاتح من أيلول ومواقف للسيّد الصدر رحمه الله

في أيلول/١٩٦٩م (جمادى الثانية/١٣٨٩هـ) قامت الثورة الليبيّة التي أطاحت بالنظام الحاكم وشكّلت حكومة مدنيّة مؤقّتة برئاسة محمّد المغربي. ثمّ ما لبث أن تسلّم الضبّاط الأحرار السلطة لتصبح الجماهيريّة العربيّة الليبيّة برئاسة العقيد معمّر القذّافي[٦].

وبعد أن استتبّ الوضع[٧]، أرسل الرئيس [الليبي معمّر القذّافي][٨] مبعوثه الخاصّ إلى السيّد

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٠٧). وقد تكون هذه الرسالة متأخّرة زماناً عن هذه الفترة، فقد سبقتها رسالة أخرى أرسلها السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد حسن الموسوي، وفي هذه الرسالة ختم السيّد الصدر رحمه الله، وربّما كان ذلك بعد وفاة السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

(٢) ربّما يقصد السيّد حسن القبانجي رحمه الله والد تلميذه السيّد صدر الدين القبانجي.

(٣) يقصد على الترتيب: السيّد موسى الصدر، الشيخ محمود فرحات رحمه الله، الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله والسيّد محمّد حسن فضل الله.

(٤) يقصد الحاجّة عزّة رحمها الله.

(٥) انظر الوثيقة رقم (١٠٨). وهناك مقطعٌ كتبه السيّد الصدر رحمه الله للشيخ قبلان في ذيل إحدى رسائل بنت الهدى إلى زوجته، فراجعه ضمن وثائق الشهيدة بنت الهدى رحمها الله.

(٦) موسوعة السياسة ٥: ٥٥٨.

(٧) منّا.

(٨) في شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٨٧: (أحد رؤساء الدول العربيّة). وفي كلمة السيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٤م في منتدى جبل عامل: (زعيم إحدى الدول العربيّة). وقد حدّدنا هويّته من خلال ما يأتي ممّا جاء على لسان الشيخ محمّد

الصدر ﵀ وكان المبعوث مصريّاً يحمل شهادة الدكتوراه[١]، فأبلغ السيّد الصدر ﵀ أنّ الرئيس (....)[٢] يطلب مساعدته لتقنين الأنظمة والقوانين في بلاده بما يوافق الشريعة الإسلاميّة، وقدّم للسيّد الصدر ﵀ دعوة رسميّة تتضمّن ذلك[٣]. وطلب منه الانتقال إلى ليبيا باعتباره أكبر مفكّر عربي في العالم العربي والإسلامي، وكان مستعداً لأن يوفّر له كافّة وسائل الراحة والاستقرار لمتابعة مسيرته العلميّة، ولكنّ السيّد الصدر ﵀ رفض طلبه[٤].

وجرى حديثٌ طويلٌ عن هذا الموضوع كان من جملته ما يلي:

قال المبعوث: «**سيّدي الصدر.. لا ندري كيف نستطيع أن نطبّق الشريعة الإسلاميّة في هذا العصر الذي يعتبر معظم العقوبات الشرعيّة مخالفة لحقوق الإنسان، فمثلاً الجلد والرجم والقطع وغير ذلك يعتبره العالم عملاً بشعاً ينافي حقوق الإنسان، وفي نفس الوقت لا يمكننا رفع اليد عن هذه الأحكام لأنّها أحكام ربّانيّة، فهل هناك حلولٌ لمعالجة هذه المشكلة المعقّدة؟**».

فأجابه السيّد الصدر ﵀: «**إنّ الإسلام ـ في بعض الموارد ـ يتشدّد في النظريّة ويتسامح في التطبيق، فقد ورد مثلاً (ادرأوا الحدود بالشبهات)[٥]، أي أنّ الإسلام يتشدّد في وسائل إثبات الجريمة التي يترتّب عليها الحدّ. فمثلاً يصعب إثبات الزنا على ضوء الشروط المقرّرة لكيفيّة الشهادة عليه، وهكذا القول بالنسبة لباقي الأمور التي توجب الحدّ**».

وقد قال له المبعوث: «**لقد بحثنا هذا الأمر وبذلنا جهوداً مكثّفة فحصلت للسيّد الرئيس قناعة كاملة بأنّ المفكّر الإسلامي الوحيد القادر على تحمّل أعباء هذه المسؤولية الخطيرة هو سماحتكم...**»[٦].

وبعد ذلك سأل السيّد كاظم الحائري السيّد الصدر ﵀: «**إذا كان صادقاً في ذلك، فمن الذي ترشّحه لذلك؟**»، فأجاب ﵀: «**إذا صحّت المعلومات، أنا أذهب**»، وكان ﵀ على أبواب المرجعيّة[٧].

وربّما إلى هذا اللقاء يشير السيّد الصدر ﵀ حيث يقول: «**وعلى هذا الأساس قامت فكرة (البنك اللاربوي) لكي تكون تجسيداً لأطروحة بنك إسلامي، وبدت هذه الفكرة غريبةً على تلك الذهنيّات**

رضا النعماني في مقابلة قناة (العراقيّة) معه، ومن خلال ما نقله لي الأستاذ محسن كماليان عن السيّد كاظم الحائري، ومن خلال ما ذكره لي السيّد محمود الخطيب.

(١) في بال السيّد الخطيب أنّ اسمه محمّد أبو الفتوح أو شيء من هذا القبيل، وكان مدير وكالة الأنباء الليبيّة.

(٢) كذا في المصدر، وقد اتّضح اسمه.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٨٧ ـ ٨٨ ؛ وقد نقل لي ذلك الأستاذ محسن كماليان بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦م عن السيّد كاظم الحائري وكان معه السيّد صدر الدين موسى الصدر ؛ حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٧م. وقد ذكر السيّد كاظم الحائري أنّ السيّد الصدر ﵀ كان على أعتاب المرجعيّة حين الحادثة (اهـ)، ولا يُعلم تاريخها بالتحديد، ولكنّها بين ١٣٨٩هـ (سنة ثورة الفاتح) وبين ١٣٩٤ هـ (سنة خروج السيّد الحائري من العراق). وبما أنّ الشيخ محمّد رضا النعماني كان حاضراً، فإنّها متأخّرة عن تاريخ وفوده على السيّد الصدر ﵀ الذي أخّرناه إلى نهاية هذا العام.

(٤) مقابلة قناة (العراقيّة) مع الشيخ محمّد رضا النعماني التي بثّت بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٨م.

(٥) وسائل الشيعة ٢٨: ٤٧، ١٣٠.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٨٧ ـ ٨٨.

(٧) من كلمة للسيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٤م في منتدى جبل عامل.

المتلئة بروح التبعيّة والملتصقة بالواقع الفاسد والمشبَعة بتصوّرات الإنسان الغربي عن الحياة ومؤسّساتها الاجتماعيّة، وقد عبّر إنسان مسلم ـ جعلت منه مسيرة الانحراف في عالمنا الإسلامي وزيراً في بلده ـ عن هذه الغرابة، إذ قال لي شخصيّاً بكلّ طفولة وسذاجة: إنّي اندهشت حينما سمعت باسم البنك اللاربوي، تماماً كما أدهش حينما أسمع إنساناً يتحدّث عن الدائرة المربّعة»[١].

طباعة (البنك اللاربوي في الإسلام)

بعد أن كان السيّد الصدر﵀ قد أرسل أطروحة (البنك اللاربوي) إلى الشيخ علي كوراني في الكويت عام ١٣٨٨هـ من أجل تقديمها إلى (بيت التمويل الكويتي)، ارتأى الشيخ كوراني طباعة الجواب بشكل كتاب طالما أنّه يصلح لذلك، فطبعه [في ٢٤٨ صفحة] وأرسل منه نسختين إلى السيّد الصدر﵀. وقد قام السيّد الصدر﵀ بتسليم إحداهما إلى الأستاذ أحمد عبد الأمير باعتباره أحقّ من ينبغي أن تُهدى إليه، وأردف قائلاً: «**أنا أعتذر، فلو كنتُ أعرف أنّ الجواب سيطبع على شكل كتاب، لقدّمت له مقدّمة وذكرت اسمك فيه**»[٢].

وقد جاء الكتاب مصدّراً بكلمة لمكتبة جامع النقي العامّة كتبها ـ في أغلب الظنّ ـ الشيخ كوراني إمام الجامع. وقد جاء على غلاف الكتاب بطبعته الكويتيّة ما يلي:

«للمؤلّف

- فلسفتنا: دراسة موضوعيّة بين الإسلام والمذاهب الفلسفيّة وخاصّةً الفلسفة الماديّة (الديالكتيك)، طبع في النجف وبيروت.
- اقتصادنا: الجزء الأوّل: دراسة موضوعيّة للمذاهب الاقتصاديّة المعاصرة. الجزء الثاني: محاولة استنباط المذهب الاقتصادي في الإسلام. طبع في النجف وفي بيروت.
- فدك في التاريخ: دراسة في التاريخ السياسي لمقاطعة فدك. طبع في النجف.
- غاية الفكر في علم أصول الفقه: طبع في النجف.
- البنك اللاربوي في الإسلام: طبع في الكويت.
- فلسفة الاحتمال: دراسة للمنطق الذاتي في نظريّة المعرفة تستنبط مذهباً جديداً في المعرفة، يعدّ للطبع[٣].
- بحوث الفقه: بتقرير أحد تلامذته، غير مطبوع[٤].
- بحوث الأصول: بتقرير أحد تلامذته، غير مطبوع[٥].

---

(١) الإسلام يقود الحياة / الأسس العامّة للبنك في المجتمع الإسلامي (ط.المؤتمر): ٢٠١. وقد احتملنا ذلك لمجرّد أنّنا لم نسمع بلقاء ضمّ السيّد الصدر﵀ وأحد الوزراء، ولم نستبعد كون هذا الزائر وزيراً. وإذا صحّ هذا الاحتمال فلا تنافي بين إبداء السيّد الصدر﵀ تشجّعه إزاء الموضوع سنة ١٣٨٩هـ وبين تعبيره بـ(مسيرة الانحراف) سنة ١٣٩٩هـ لأنّ تدوين النصّ المذكور أعقب اختطاف السيّد موسى الصدر ابن عمّ السيّد الصدر﵀.

(٢) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير (﵀). وجاء في: (معجم المؤلّفين العراقيّين في القرنين التاسع عشر والعشرين ٢: ١٠٩ ـ ١١٠ ؛ لمحات موجزة عن حياة الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر﵁: ١٣ ـ ١٤) أنّ طباعة البنك اللاربوي كانت سنة ١٩٦٩م.

(٣) المراد: (الأسس المنطقيّة للاستقراء).

(٤) المراد: (بحوث في شرح العروة الوثقى).

(٥) المراد: (بحوث في علم الأصول)، تقرير السيّد محمود الهاشمي.

● نظريّة الحقّ والملك في الفقه الإسلامي: مقارنة بالفقه الغربي بتقرير أحد تلامذته، لم يطبع»[١].

درس (المعاملات البنكيّة)

في ٤/رمضان/١٣٨٩هـ (١٥/١١/١٩٦٩م) شرع السيّد الصدرﷺ بتدريس بحث (المعاملات البنكيّة على ضوء التخريجات الفقهيّة) بعنوان (درس تعطيلي)، وفرغ منه ليلة السبت ٢٩/رمضان[٢].

محاولة انقلاب فاشلة في العراق

في ٢٢/١/١٩٧٠م (١٤/ذي القعدة/١٣٨٩هـ) حدث انقلابٌ فاشلٌ ضدّ الحكم العراقي اتّهم العراق على إثره إيران وأمريكا في الضلوع فيه، فطرد السفير الإيراني في بغداد وموظّفي السفارة، وقابلت إيران ذلك بالمثل[٣].

سلسلة محاضرات حول وضع الحوزة والإصلاح وحماية العقيدة

مساء الأربعاء ٧/١/١٩٧٠م (٣٠/شوّال/١٣٨٩هـ) شرع السيّد الصدرﷺ في إلقاء مجموعة من الكلمات حول أوضاع الحوزة العلميّة، والكلمة الأولى منها مفقودة لحدّ الآن.

ومساء الأربعاء ١٤/١/١٩٧٠م (٧/ذي القعدة/١٣٨٩هـ) ألقىﷺ كلمته الثانية في منزل السيّد عبد الغني الأردبيليﷺ، وقد جاء فيها:

«قلنا في []⁽⁴⁾ إنّ عمليّة الإصلاح لا يمكن أن تتمّ من خلال إرادة قلب واحد وتسلّم المسؤوليّة في لحظة ما يستطيع الإصلاح[٥].

وقلنا: إنّ الإصلاح يتمّ عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تهيّؤ القاعدة والجهاد والحوزة الصغيرة البنت الواعية.

المرحلة الثانية، مرحلة التنفيذ الجزئي: تكتسب هذه الحوزة البنت صفة جزئيّة لحوزة الأمّ، فتبدأ بتنفيذ مخطّطاتها جزئيّاً.

ثمّ في المرحلة الثالثة المرحلة التي تسيطر فيها هذه الحوزة البنت سيطرةً كاملة على الحوزة الأمّ، في هذه المرحلة يبدأ التنفيذ الكامل للمخطّطات.

وهنا نقول شيئاً آخر: وهو أنّ أيّ عمليّة إصلاح يجب أن يكون لديها تصوّرات عامّة واضحة تنمو في هذه المراحل الثلاثة عن كيفيّة إصلاح الأمّة نفسها وكيفيّة العمل على مستوى الأمّة نفسها، وذلك لأنّ الحوزة ينظر إليها بنظرتين:

تارةً ينظر إلى الحوزة بالمعنى الاسمي، وأخرى ينظر إليها بالمعنى الحرفي. وبتعبير آخر: إنّه تارةً ينظر إلى الحوزة باعتبارها الذاتي، باعتبارها مجموعة من الأشخاص والأفراد، وأخرى يُنظر إلى الحوزة باعتبارها الوظيفي، باعتبار دورها ووظيفتها التي تمارسها في الأمّة الإسلاميّة.

---

(١) غلاف الطبعة الكويتيّة من (البنك اللاربوي). والأثر الأخير لم يرَ النور، وقد درّسه السيّد الصدرﷺ في شهر رمضان ١٣٨٧هـ وهو موجود في (ﷺ) بتقرير السيّد كاظم الحائري، وسيرى النور قريباً بإذن الله تعالى في مجلّة (نصوص معاصرة).

(٢) سيطبع هذا البحث قريباً بإذن الله تعالى، ربّما في العدد (٤٣) أو (٤٤) من مجلّة (المنهاج).

(٣) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٨٦.

(٤) شريط الكاسيت غير واضح، وفي تقرير السيّد الأردبيليﷺ: «في الأسبوع الماضي»، ومن المؤكد أنّه ليس كذلك.

(٥) في العبارة سقط.

وهنا اعتباران للحوزة:

اعتبار ذاتي ينظر فيه إلى الأفراد بما هم أفراد، واعتبار وظيفي ينظر لعلاقات الحوزة مع الأمّة وكيفيّة ممارسة الحوزة لوظيفتها على مسرح العمل مع الأمّة.

[إنّ] أي عمليّة إصلاح جادّة يجب أن لا تقصر نظرها على الجانب الذاتي، يعني أن تنظر إلى الحوزة كأفراد، بل يجب أن تنظر إلى الحوزة كأفراد وفي نفس الوقت تنظر إلى الحوزة باعتبار جانبها الوظيفي، باعتبار وظيفتها الدينيّة ومسؤوليّاتها أمام الله تعالى، وذلك لعدّة اعتبارات:

أوّلاً: إنّ الوجود الوظيفي للحوزة أهمّ بمراتب من الوجود الأفرادي للحوزة، يعني: [أفراد] الحوزة إذا لاحظناهم باعتبارهم أفراداً فهم لهم قيمة بمقدار كونهم مجموعة من الأفراد، أمّا قيمتهم الحقيقيّة والأهمّيّة الكبيرة التي تكمن في عمليّة إصلاح الحوزة في الواقع إنّما تكمن في جانب الوجود الوظيفي، يعني في جانب أنّ الحوزة جهاز من أجهزة الإسلام يعمل في الأمّة الإسلاميّة. الجهاز يعمل ويرتبط مع المسلمين.

بهذا اللحاظ توجد هناك أهميّة كبيرة لإصلاح الحوزة، وإلاّ بقطع النظر عن هذا الجانب [فلو] نظرنا [إليهم] كأفراد، فهذه العمليّة الإصلاحيّة لا ينبغي أن تتميّز بدرجة من الأهمّيّة بحيث تجعلها تنفرد بهذا النحو من التفرّد عن عمليّة إصلاح أيّ أفراد آخرين في الأمّة الإسلاميّة.

إذاً فلا بدّ لنا في عمليّة الإصلاح [أن ننظر] إلى أهمّ الوجودَين وأضخم المسؤولين، وأهمّ الوجودَين في حساب الإسلام هو الجانب الوظيفي لا الوجود الذاتي للأفراد.

إذاً فعمليّة الإصلاح الذي يمكن به تحقيق أكبر مقدار ممكن من الحفظ للإسلام، هذه العمليّة لو تناست الوجود الوظيفي ونظرت إلى الحوزة باعتبار الوجود الذاتي وصارت في مقام إصلاح ذواتها فيقيّدون ويعوّدون على الإتيان بالواجبات وترك المحرّمات والإتيان بالمستحبّات والترفّع عن بعض المباحات فهذا يؤدّي إلى نوع من الكمال في هذه الأفراد [ويحقّق] بذلك مكسباً للإسلام على مستوى وجود هذا الفرد ووجود ذاك الفرد، لكن لا يحقّق ذلك المكسب الإسلامي المفروض من إصلاح للحوزة بما هو جهاز وبما هو وجود فعّال في خدمة الإسلام، لأنّ هذا يبقى جانبه الوظيفي [معطّلاً] بحسب الحقيقة.

وتخيُّل أنّ إصلاح الجانب الذاتي يكفي لإصلاح الجانب الوظيفي، يعني دعوى لزوم التضامن ومعلوليّة وعلّيّة بين هذين الجانبين، وأنّه إذا صلح ذاتاً صلح وظيفةً، هذه الدعوى غير صحيحة في الواقع.

نعم، لا شكّ في أنّ الإصلاح الذاتي هو أحد شروط الإصلاح الوظيفي، فلهذا نحن قلنا في البداية بأنّنا لا نريد أن نقول بأنّ عمليّة الإصلاح تختصّ بأحد الوجودين وإنّما تختصّ بكلا الوجودين، إصلاح الوجود الذاتي هو أحد شرائط إصلاح الوجود الوظيفي لأنّ الإنسان إذا لم يكن في نفسه طيّب النفس منفتحاً على الخير وعلى الطاعة حينئذ من العسير أن يكون أداة طاعة بالنسبة إلى الأخير.

هذا صحيح، ولكنّ هذاً لا يكفي لإصلاح الوجود الوظيفي، فإنّ الوجود الوظيفي بحاجة إلى نوع من الثقافة والتوعية الفكريّة أوّلاً، وهذا النوع من التوعية الفكريّة والاطّلاعات نحن نحتاج أن تكون اطّلاعات موحّدة، يعني هذه الحوزة نصف الأمّ ثمّ الأمّ بمراحلها الثلاثة لا بدّ أن تنمو وعياً واطّلاعاً موحّداً تجاه هذا الجانب حتّى تترابط و[يحلّ] بعض مشاكلها بعضها الآخر لا أنّها تكون في حالة تناقض وفي حالة الاختلاف في الأذواق.

إذاً فلا بدّ إلى جانب بناء الإنسان الصالح ذاتيّاً أن يبنى فيه الصلاح وظيفيّاً أيضاً، بأن يوعّى ويثقّف على دورهم الوظيفي وعلاقاتهم مع الأمّة الإسلاميّة.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنّ الصلاح الذاتي لا يكفي لخلق عصمة ومناعة لعدم الانحراف في خطّ العمل الوظيفي، فإنّ الصلاح الذاتي الذي يتمثّل في حدود معيّنة، في الطاعة والعبادة والدعاء ونحو

ذلك، هذا كلّه تعاملٌ مع المفاهيم، مع مفاهيم الصلاح بحسب الحقيقة، وهذا التعامل يؤثّر في تكوين الشخص، ولكنّ هذا التخطيط لا يعيش المنزلق إلاّ في خطّ وجوده الوظيفي، في وجوده الوظيفي يعيش المنزلق، ويعيش هذه المخاطر، فإذا فرض أنّه لم يوعَّ وظيفيّاً ولم يثقَّف وظيفيّاً ولم يحسَّن وظيفيّاً، حينئذٍ مجرّد توعيته ذاتيّاً وشخصيّاً لا يكفي بالنسبة إلى هذا.

ما أكثر الناس الأبرار الأخيار المتهجّدون في الأسحار الذين على خطّ وجودهم الوظيفي لا ينعكس تهجّدهم في الأسحار ولا تنعكس هذه الدرجة الموجودة في وجودهم الذاتي من الخير، وذلك باعتبار أنّ هذا الوجود الوظيفي بنفسه بحاجة إلى نوع من التمرين والتكميل، التوعية والتكميل بالنسبة إلى هذا الوجود الوظيفي لا تنشأ آليّاً وتلقائيّاً من التكميل والتوعية والتثقيف بالنسبة إلى الوجود الذاتي.

قد يكون الإنسان عادلاً بالنسبة إلى سلوكه الذاتي الشخصي، ولكنّه لا يكون عادلاً بالنسبة إلى سلوكه الوظيفي بتلك الدرجة، ولذلك يحتاج لدرجة من التوعية وتنمية هذا الجانب الوظيفي، ولذلك لو لم يوعَّ ويثقَّف ويمرَّن هذا الوجود الوظيفي فسوف يحصل اختلاف في مستوى التديّن، يعني الوجود الشخصي نفسه ما بين هذا القطاع وما بين ذاك القطاع، ما بين العمل الشخصي والوظيفي، كما لو فرضنا أنّ شخصاً يعمل بوجه ذاتي شخصي ويهّذب ويتهجّد، وكان هو عالماً في ولاية وكان هناك عالم آخر في تلك الولاية ولا يوجد فيه أيّة نقطة ضعف، لا في إسلامه ولا في دينه.. هل يستطيع أن يُمسك نفسه تجاهه وأن يشعر بأنّ كمال ذلك الشخص هو كماله وأنّ نجاح ذلك الشخص هو نجاحه ثمّ لا يجد منه سوى التأييد والتعظيم والإسناد.

هذا أيضاً يحتاج إلى نوع من التمرين والترويض لكي يصل إلى هذه المستويات.

إذاً يوجد هناك على مستوى الوجود الوظيفي نوع من التربية الثقافيّة ونوع من التربية السلوكيّة ، وكلاهما نحن بحاجة إليه زائداً على التربية الثقافيّة والسلوكيّة الموجودة في الجانب الذاتي.

إذاً فإصلاح الجانب الذاتي تلقائيّاً لا يمكن أن ينشأ منه إصلاح الجانب الوظيفي لأنّ الجانب الوظيفي يوجب توعية نظريّة خاصّة وتوعية سلوكيّة خاصّة وكلاهما يحتاج إلى بناء خاصّ، وأيّة عمليّة إصلاح تهمل جانب الوجود الوظيفي وتعتبر أنّه تابع وذيل ونتيجة طبيعيّة لتربية الوجود الذاتي فهذه عمليّة إصلاح خطيرة جداً ولا يمكن أن تؤدّي إلى المكسب المفروض من الناحية الثانية، إنّما هذا المكسب يتوقّف على أن ننظر إلى كلا هذين الوجودين ونخصّص لتنمية كلا الوجودين فكريّاً وسلوكيّاً وبنحو مترابط ؛ لأنّ هذين الوجودين من كيان واحد، فنحن كلّما نمّينا أحد هذين الجزأين أكثر من الجزء الآخر بمقدار ما فيكون التفاعل أيضاً كذلك، يعني نسير في خطّين متساويين متفاعلين في تربية هذا الشخص من حيث الوجود الذاتي والوجود الوظيفي.

إذاً فنحن لا بدّ لنا من عمليّة الإصلاح وذلك لأهمّيّة الوجود الوظيفي ولكونه أهمّ من الوجود الذاتي، ولا بدّ لنا من أن نبنيه ونوجّه عناية خاصّة ببنائه.

ومقصودي من هذا البيان مناقشة الأمر الواقع. وهو أنّ هنا اتّجاهاً قائلاً بأنّ تربية الأفراد بالوجود الذاتي يكفي، ولذلك يقول إنّي أربّي ذاك [..][(١)] وهكذا وبغضّ النظر عن الوجود الوظيفي .

أقول: هذا لا يكفي وإن كان أمراً مهمّاً لأنّ هذا الكمال لا يؤدّي إلى إصلاح أمر المسلمين.

إذاً فعمليّة الإصلاح لا يمكن [أن تتمّ] إلاّ إذا نظر إلى الوجود الوظيفي للحوزة.

إذاً فلا بدّ لعمليّة الإصلاح من أن تعرف ما هو الدور الذي يجب أن تمارسه الحوزة في الأمّة حتّى

---

(١) غير واضح.

[تصيغ] الوجود الوظيفي للحوزة على أساسه.

إذاً لا بدّ لكلّ عمليّة إصلاح أن تتبنّى مفاهيم عامّة وتصوّرات عامّة وتتحدّد بالتدريج عن كيفيّة وضع الحوزة في الأمّة وماذا يُراد من الحوزة للأمّة، فما هو الدور الذي يجب أن تؤدّيه للأمّة. وأمّا إذا أهمل الجانب الوظيفي فهذا لا يمكنه أن يؤدّي وظيفة.

ومن هنا لا بدّ لعمليّة الإصلاح أن تواجه الأمّة وأن تدرك ما هي الأمّة وما هو وضع الأمّة وما هي أهدافها وما هي التصوّرات المحتملة في الأمّة، حتّى يمكن أن [نضع] على أساس [ذلك] إصلاحها وسياستها ومفهومنا عن الدور الوظيفي. وهذا ما يجعل تشابكاً وثيقاً بين تصوّرات الإصلاح في حقل الحوزة وتصوّرات الإصلاح في حقل الأمّة. وأيّة عمليّة إصلاح تريد أن تفصل ما بين هاتين الوظيفتين فهذه العمليّة لا يمكن أن تصل إلى نتيجة.

إذاً فلا بدّ أن تكون عمليّة الإصلاح في حدود نفس الحوزة وحدود تفاعلات بعضها مع بعض لأنّ المنطلق لعمليّة الإصلاح هو تكوين مفهوم عن رسالة الحوزة ووجودها الوظيفي وعلى أساس هذا المفهوم نبني هذه الحوزة، لا أنّه نبني الحوزة وبعد هذا نفكّر في جانبها الوظيفي.

يعني: يجب أن نبدأ من مفهوم يشخّص رسالة الحوزة في الأمّة ثمّ على ضوء هذا المفهوم نضع نطاقها الإداري وسياستها الماليّة ونضع مناهجها الدراسيّة. كلّ هذا يتحدّد على ضوء المفهوم الوظيفي.

فعلى هذا الأساس لا بدّ أن نعرف ما هو دور الحوزة في الأمّة حتّى نبني على أساسه الوجود الوظيفي والوجود الذاتي للحوزة بشكل متصاعد ومتفاعل يحقّق هذا الهدف.

الحوزة تواجه في الأمّة أمرين: تواجه الأمّة فرداً وأفراداً، وتواجه الأمّة بالوجود الاجتماعي الذي هو أكبر من الوجود الأفرادي.

وبعبارة أخرى الحوزة تواجه مجتمعاً وأفراداً...

الحوزة تواجه أفراداً وتواجه مجتمعات، تواجه الأمّة، تواجه القوى التي يتكوّن منها المجتمع، مجموع هذه القوى هي التي تكوّن هذا المجتمع، يعني أفراد وطبيعة ومجموعة من القوى، هذه المجموعة من القوى التي منها الحكومة ومنها الأفراد، والحكومة إحدى هذه القوى، وأحياناً تكون أكبر.. هذا هو مفهومنا عن المجتمع..

بالإضافة إلى هذه القوى، هذه القوى توجِد قوى نسمّيها القوى السياسيّة، يعني هناك نفوذ يستطيع أن يعمل، يستطيع أن يبلّغ فكره، هذا النفوذ يستمدُّ واقعه من السياسة، يعني من الوجود السياسي، هذا الوجود السياسي يتمتّع به أشخاص معيّنون، هؤلاء يعملون لا باعتبار أنّهم أشخاص، باعتبار نوعٍ من النفوذ، لكلّ نفوذ أسباب معيّنة، هذا النفوذ ما هي طبيعته؟ طبيعته أنّه نفوذ سياسي، وهذا النفوذ يدخل في كيان هذه الأمّة، يوجد نفوذ مالي... يعني توجد قوّة للمال، يعني قوّة وجبروت من الناحية الماليّة في هذا البلد أو في ذاك البلد، وتوجد قوّة للطبقة العاملة، الطبقة العاملة لها قوّة، هذه القوّة تتكوّن من تجمّعات سياسيّة أو عسكريّة، بشكل اقتصادي أو مالي، بأيّ شكلٍ من هذه الأشكال..»[1].

ومساء الأربعاء ١٩٧٠/١/٢١م (١٤/ذي القعدة/١٣٨٩هـ) ألقى كلمته الثالثة في منزل الشيخ حسين البشيري رحمه الله، وقد جاء فيها:

---

(١) يُشار إلى أنّ المحاضرة الصوتيّة غير واضحة ومبتورة ومتقطّعة وفي بعض فقراتها مضطربة بفعل مداخلات الطلّاب والأسئلة والأجوبة، كما أنّ هناك اختلافاً طفيفاً بينها وبين ما جاء في تقرير السيّد الأردبيلي رحمه الله ؛ انظر هذه المحاضرة في كتاب (ومضات، تراث الشهيد الصدر ١٧: ٣٨٩ ـ ٣٩٦)، والذي سينشر قريباً بإذن الله تعالى.

«قلنا: إنّ أيّة عمليّة إصلاحيّة يجب أن تنظر إلى الوجود الذاتي والوجود الوظيفي ، ويجب أن تبني مفهوماً خاصّاً عن الوجود الوظيفي.

ومن هنا قلنا: إنّه ما هو الدور الذي يعطي للحوزة لكي تمارسه في الأمّة؟

الحوزة مسؤولة بحكم طبيعة تكوينها ووراثتها لأعباء الأنبياء والأئمّة عن التبليغ والتبشير والحماية.

أي: إنّ عليها أوّلاً تبليغ مفاهيم الإسلام وأحكامه ومعطياته في كلّ جوانب الحياة.

وثانياً: التبشير والدفاع وصيانة الأفكار فكريّاً.

وثالثاً: حماية الإسلام عمليّاً وواقعيّاً وخارجيّاً بالتبليغ.

وهذه الخطوط الثلاثة بمجموعها هي المهمّة الرئيسيّة للحوزة في حقل الأمّة.

ويقصد من تبليغ مفاهيم الإسلام بيان كلّ معطيات الإسلام والجوانب التشريعيّة، ويجب أن تبيّن على أساس شمول الإسلام لكلّ جوانب الحياة فلا يقتصر على جانب دون جانب بل يطرح الإسلام كنظام كامل شامل للحياة.

فمثلاً: في تصوّراتنا الممتدّة عن المستقبل لا بدّ أن [نتطوّر]، حتّى [شكل] الرسالة العمليّة يجب أن يتغيّر، فالرسالة العمليّة اليوم توحي بأنّ الإسلام كنظام لفرد بينما يجب أن توحي بأنّ الإسلام كنظام للفرد وللسوق وللأسرة وللمجتمع وللدولة.

وأمّا الخطّ الثاني وهو خطّ الدفاع عن هذه الأطروحة فمعناه أن لا نقتصر على مجرّد بيانها بل يجب أن ندافع عنها فكريّاً ونظريّاً، عن هذه الأحكام والمفاهيم والمعطيات وندفع عنها الشبهات ونقارن بينها وبين سائر الأفكار والأطروحات ونبيّن للمسلمين أنّ الإسلام هو الطريق الوحيد الذي يوفّر للإنسان الحياة في المجتمع الإسلامي.

والخطّ الثالث هو حماية الإسلام واقعيّاً، وذلك لأنّ الخطّين السابقين وحدهما لا يكفيان، فإنّ الحوزة لو افترضنا أنّها استطاعت إعطاء الفكرة وحمايتها فكريّاً ونظريّاً فهذا وحده لا يكفي، فإنّ معنى حماية الإسلام هو حمايته كوجود في الخارج وكسلوك وفكر في الخارج. فالإسلام له معنيان:

أحدهما: عبارة عن مجرّد أفكار موجودة في القرآن الكريم وفي الروايات. وهذا حمايته تكون بالخطّ الأوّل والثاني.

وثانيهما: عبارة عن صلاة من المصلّي وصوم من الصائم ومعاملة نظيفة من المتعاملين وحكومة تلتزم بجوانب العدل ونحو ذلك. وهذه لا تكون [حمايتها] فقط بتبليغ الأحكام والدفاع عنها بل يجب حمايتها خارجاً.

وهنا يأتي سؤال وهو أنّه هل يوجد وجود واقعي عملي خارجي للإسلام حتّى [يحميها] وحتّى يفكّر ما هي الوظيفة فعلاً؟ الشيء الموجود في الخارج عن الإسلام هو عبارة عن مجموعة من السلوك الفردي ومجموعة من الأفكار الفرديّة، وبقيّة من القوانين التي لا تزال حتّى الآن مرتبطة بالتشريع الإسلامي. وهذا هو كلّ الوجود الإسلامي اليوم. وهذه القوانين المرتبطة بالتشريع الإسلامي هي في طريقها إلى التقلّص من قبيل قوانين الأحوال الشخصيّة، فيوجد هناك بقيّة من جوانب الحياة المرتبط قانونيّاً على أساس الإسلام، ولكنّها في حدود ضيّقة جدّاً.

هذا هو الشيء الموجود من الإسلام وهو في طريقه إلى الفناء وفي طريقه إلى التطوّر وذلك لأنّ المجتمعات الإسلاميّة تتشكّل من أفراد، وهذه الأفراد الكثرة الكاثرة منهم يمكن أن نعتبرهم مسلمين اسميّاً لأنّ هؤلاء يخضعون واقعيّاً وفكريّاً لاتّجاهات كافرة ومستوردة من الغرب أو الشرق، الأمّة الإسلاميّة تعيش التناقض بين أطروحة الشرق وأطروحة الغرب وهي لا تجد مجالاً أمامها إلاّ اختيار أحد هذين

الطريقين إمّا صريحاً، وإمّا تحت عنوان الاستقلال. فالعالم الإسلامي اليوم تتقاذفه قوّتان رئيسيّتان وكيانان، وهذه الكيانات التي تمثّل الارتباط مع هذا الجانب أو ذاك الجانب سوف تقضي على البقيّة الباقية من الإسلام كما قضت نهائيّاً في بعض المناطق وقضت بشكل كبير جدّاً بحيث لم يبقَ إلاّ اسم الإسلام في بعض المناطق الأخرى كتركيا.

ونحن بإزاء هذا يختلف موقفنا بشكل أساسي عن موقف الحوزة وموقف المبلّغين قبل دخول الأمّة الإسلاميّة عصر الاستعمار . قبل دخول الأمّة الإسلاميّة عصر الاستعمار كانت القواعد الأساسيّة في الأمّة الإسلاميّة [عبارة عن] الإسلام ولو على حدّ نظري تقريباً من بعض الجوانب وعلى حدّ واقعي من بعض الجوانب، كانت قاعدة أساسيّة [للكون] وتنظيم الحياة. نعم كان يوجد انحرافات فرديّة تمثّل في فرد شارب للخمر أو تارك للصلاة أو حاكم ظالم يحكم بغير الكتاب والسنّة في حين إنّ الدستور كان هو العمل والحكم بالإسلام. فالانحراف كان انحرافاً فرديّاً والوعظ كان وعظاً فرديّاً والمشكلة كانت مشكلة فرديّة والحلّ كان حلاًّ فرديّاً.

أمّا اليوم فالانحراف أصبح هو القاعدة للحياة. فالقاعدة المنحرفة الكافرة إمّا مستوردة من الاتّجاه الغربي وهو عبارة عن ترك ما لله لله وبناء الحياة على أساس سيادة الإنسان مع قطع النظر عن المسألة الإلهيّة.

وإمّا مستوردة من الشرق وهي عبارة عن عمليّة البناء على أساس افتراض عدم وجود أمور غيبيّة وراء عالم المادّة.

وكلتا القاعدتين هي الكفر وقطع الصلة بين العبد وخالقه سبحانه وتعالى.

إذاً فجميع الفوقيّات التي تقوم على أساس هاتين النظريّتين تؤثّر فيها هذه القاعدة حتماً، وهذا معناه أنّ كيان المجتمع كلّه سوف يتلوّن بلون هذه القاعدة في زمن طويل أو في زمن قصير. في مثل هذه المرحلة تعتبر الاستقامة انحرافاً وتعتبر الطاعة انحرافاً ويعتبر الفكر الإسلامي انحرافاً وسخيفاً. وهذا ما جاء في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه يأتي زمان لا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر[١]، وهذا عبارة عن الانحراف ما قبل دخول عصر الاستعمار. ويأتي يوم أشدّ من هذا يصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً[٢]. وهذا عبارة عن تغيّر القاعدة أساساً .

وفي مثل هذه الحالة ـ حالة تغيّر القاعدة الأساسيّة ـ لا يلزم أن تشتغل الحوزة بالوعظ بالأساليب الفرديّة التي كانت تشتغل بها في عصر ما قبل دخول الاستعمار، لأنّ الحوزة حينما تواجه تاجراً مرابياً وتعظه قد يبكي لكنّه حينما يرجع إلى مجتمعه يرى نفسه مشدوداً إلى الربا لا يستطيع دفعه لأنّه أصبح قانوناً وأصبح هو الوضع السائد إلاّ بأن يطلّق الحياة ويعتزل عن الحياة.

وكذلك المرأة، حينما تريد أن تدخل إلى المجتمع وأن تعيش معه ترى نفسها مضطرّة إلى ترك الحجاب والدين لأنّ المجتمع يفرض السفور ولأنّ السفور أصبح قانوناً، ليس قانوناً مكتوباً على الورق وإنّما هو طبيعة الاتّجاه السائد، و[السياسة] الفكريّة والعمليّة والاجتماعيّة للحضارة السائدة.

فالمجتمع يفرض على هذه المرأة أحد طريقين: إمّا أن تكون محجّبة فتعتزل عن الحياة وتطلّق جميع ميادين العمل، وإمّا ـ إذا كانت تفكّر أن يكون لها وجود ولها حياة ـ إذاً فيجب أن تترك قناعها وكرامتها

---

(١) انظر: مستدرك الوسائل ١١: ٣٧٥ حيث جاء: «يأتي على الناس زمان.. وشيخهم لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر..».

(٢) الكافي ٥: ٥٩ ؛ تهذيب الأحكام ٦: ١٧٧ ؛ وسائل الشيعة ١٥: ٣٤٨.

ودينها ثمّ تدخل إلى هذه الميادين بلا قناع ولا كرامة ولا دين وهكذا..

نحن لا يجب أن نفكّر حينئذ في الوعظ الفردي والتحصين الفردي في مثل هذه الحالة. لماذا؟ لأنّ التحصين الفردي في هذه الحالة لا يمكن أن ينجح إلاّ في حالات إعطاء تعبئة على مستوى الاستماتة.

يعني: هذا التاجر لا يمكن أن نقنعه بأن لا يرابي إلاّ بأن نبعث فيه نوعاً من الطاعة [...] والتقوى والخوف من النار إلى حدّ الاستماتة بحيث يترك عمله وتجارته وهكذا..

وتلك المرأة أيضاً لا نستطيع أن نخلق فيها روح الالتزام بالحجاب والتعاليم الإسلاميّة إلاّ بأن نعطي لها درجةً من الوعي والورع والتقوى بحيث تشعر بالاستماتة، تشعر بأنّها محرومة أغلقت على نفسها كلّ أبواب الحياة في سبيل إطاعة هذا الحكم الشرعي.

ولا ندري أيّ واحد منّا يوجّه إليه حكم شرعي يستوجب أن يطلّق كلّ أبواب الحياة هل يمتثل أو لا؟ هذا الحكم الشرعي نريد من المرأة أن تمتثله وتطيعه في هذا المستوى من الوعي. في أيّ وقت يمكن أن نطلب امتثال هذه الأحكام من هذا التاجر، أو من هذه المرأة أو من أيّ فرد من أفراد المسلمين؟ في وقت لا ينظر المسلمون فيه إلى الإسلام إلاّ بفطرة باهتة، إلاّ مجرّد دين موروث من الآباء والأجداد، إلاّ مجرّداً تقاليد فيها نوع من الاحترام والقدسيّة.. كيف نستطيع أن نخلق أناساً ورعين على مستوى الجهاد والاستماتة في جوٍّ موبوء بالمغيّرات وبالتميّعات وبالاضمحلال، كيف نستطيع أن نخلقه؟!

نظريّاً لا يمكن أبداً أن نحصّن هؤلاء الأفراد وأن نجعل منهم أناساً يتمسّكون بالدين على أساس الوعظ، لأنّ التمسّك بالدين في كثير من الحالات اليوم سوف يكثر هذا وذاك ويصير على مستوى الجهاد. وهذا معنى قولهم عليهم السلام: سوف يأتي زمان يكون القابض على دينه كالقابض على الجمرة[1].

إنّنا لا نستطيع من ناحية واقعيّة وعمليّة أن نكلّف الناس أن يكونوا على مستوى القابض على الجمرة، لأيّ شيءٍ يقبض على الجمرة هذا الإنسان الحسّي المترف الفاقد لأيّ وعي محدّد عن الإسلام؟! لماذا يقدّم تضحياتٍ في سبيل الإسلام؟! من أجل أيّ شيء يقدّم هذه التضحيات؟! من أجل الجنّة والنار! فإنّ فكرة الجنّة والنار أصبحت غير مهمّة في ذهن أكثر الناس، يعني تيّارات الفكر المادّي سيطرت الحسَّ على عقل الإنسان وغلّبت النظرة القصيرة عند الإنسان، أصبحت لا تجعل فكرة الجنّة والنار عند الإنسان لها ذاك المفعول الكبير الذي كان موجوداً، لأنّ الإنسان أصبح يربّى تربية مادّيّة، ينشأ نشأة مادّيّة، ينشأ على أساس أرقام محسوسة، على أساس أنّ عصفوراً في اليد خيرٌ من ألف عصفور في الغد.. فطريقة التربية، طريقة الأساليب بالنسبة إليه توجب أن تتضاءل عنده فكرة الجنّة والنار لكي تستثيره، قد يؤمن عقليّاً بها وكثيراً ما يؤمن بها، ولكنّها حسّيّاً لا تحرّك عواطفه.

إذاً فالإسلام كيف يستطيع أن يرفع هذا إلى التضحية الكبيرة؟

هذه المرأة كيف تستطيع أن تضحّي في سبيل الإسلام؟ ماذا أعطاها الإسلام حتّى تضحّي في سبيل الإسلام؟ وكثيراً ما يكون هؤلاء الناس الذين نريد أن نجعلهم على مستوى التضحية كثيراً ما قاسوا من ألوان الظلم والاضطهاد والتعسّف الذي قيل لهم باسم الإسلام.. كثيراً ما قاسى هؤلاء أشكالاً متعدّدة من الظلم أو من الحرمان، وقيل لهم هذا هو الإسلام.

هذا الفقير الذي نريد أن نحصّنه على مستوى التضحية في الإسلام، هذا الفقير ماذا حصّل [من]

---

(١) لم نجده سوى في ما أرسله الشيخ الطبرسي رحمه الله عن عبد الله بن مسعود في وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله إيّاه: «...يا ابن مسعود! يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيه على دينه مثل القابض على الجمر بكفّه، فإن كان في ذلك الزمان ذئباً وإلاّ أكلته الذئاب» (مكارم الأخلاق: ٤٥٠ ؛ مستدرك الوسائل ١٢: ٣٢٧ ؛ بحار الأنوار ٧٤: ٩٩).

الإسلام؟ كان منذ ولد يسمع اسم الإسلام ولكنّه لا يرى وضعه إلاّ يزداد بؤساً يوماً بعد يوم وهو يخيّل إليه أنّ الإسلام بخير وأنّه هو بشرّ، وهو لا يعلم أنّ بؤسه يزداد يوماً بعد يوم، فبؤس الإسلام يزداد أكثر منه يوماً بعد يوم وأنّ بؤسه نابع من بؤس الإسلام.

إذاً فكيف يمكن أن نكلّفه بأن يقدم على مستوى التضحية؟ لماذا يضحّي في سبيل الإسلام؟ لم يحصّل من الإسلام شيئاً.

إنّ المسلمين الأوائل كانوا يبذلون أنفسهم ويضحّون في سبيل الإسلام ويتسابقون إلى ذلك لا للجنّة والنار، بل كانوا يحبّون الإسلام ويرون أنّ الإسلام هو الذي جاءهم جهّالاً فصنع منهم علماء، جاءهم متفرّقين فجمع كلمتهم، جاءهم تائهين فهداهم، جاءهم فقراء فأشبعهم، الإسلام أنقذهم من الظلمات إلى النور، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿[اللَّهُ وَلِيُّ] الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1]، وعلى هذا كانوا يخلصون له ويضحّون في سبيله.

أمّا أين الإسلام اليوم؟! كيف يضحّون في سبيله؟ أين الإسلام اليوم المكبّد المقيّد الغارق في الذلّ والهوان؟ كيف يمكن أن يشعر بأنّ الإسلام أعطاه شيئاً فماذا أعطاه؟

نعم؛ صحيحٌ أنّ الإسلام غير مقصّر، الإسلام ما أعطاه شيئاً لأنّ الظلمة منعوه من أن يعطيه شيئاً، لأنّهم وضعوا حجاباً بينه وبين الإسلام، لكنّ النتيجة [هي أنّ] الإسلام لم يغيّر من واقعه شيئاً، ولكنّ الإسلام يريد منه القبض [على] الجمرة، النار، يقال له اقبض على الجمرة، لا أعطيك شيئاً. هذا أمر غير معقول..

إذاً فهذا الوعظ والطلب من الناس أن يكونوا واعين للإسلام على مستوى التضحية ثمّ يعطيهم الإسلام شيئاً، هذا أمر غير عملي وغير ممكن. إذاً فلا بدّ من عمليّتين:

الأولى: أنّه حينما نقول لشخص اقبض [على] الجمرة ولو تحترق يدك وتشعر بحرارة النار ولو تشمّ رائحة حريق لحمك، حينما تقول هذا لهذا التاجر أو المرأة والفقير في مقابل هذا نقول له: إنّ الإسلام يعطيك، إنّ الإسلام الذي تقبض يدك على جمرته سوف يحوّل هذا الجمر بيدك إلى نور، سوف يحوّل هذه الجمرة في يدك إلى رفاه، سوف يحوّل هذه الجمرة بيدك إلى سعادة، لا بعد الموت، لأنّ هذا الإنسان عاش في عالم الحسّ وفي عالم المادّة، بل هذا لا يكفي في أيّ وقت من الأوقات، حتّى في عصر النبيّ ﷺ، بل نقول له: اقبض على الجمرة اليوم وغداً الإسلام يشقّ لك طريق السعادة، إنّ الإسلام منهجٌ قادرٌ على أن يسعدك، وإنّ شقاءك اليوم وذلّ اليوم لم ينشأ من الإسلام، وإنّما نشأ من أعداء الإسلام، نشأ من الفاصل الموجود بينك وبين الإسلام.

وهنا أيضاً نقول: إنّ هذا لا يكفي أن نقول له: هذا الإسلام نظريّاً، ونقول: إنّ الإسلام يحلّ مشاكل الفقراء أكثر من المادّيّة الديالكتيكيّة، فإنّ هذا لا يكفي لأنّ الفقير المسكين لا يشبع بهذا. بل نقول له بأنّ الإسلام صيغة قادرة على أن تطبّق. [إنّك إن كنت] تفتّش عن طريق لكي تشبع هذا الطريق ـ يعني الإسلام ـ يشبعك، لأنّ هذا القرآن الكريم مجرّد كونه فطريّاً لا يكفي لحلّ مشكلة الأمّة بل لا بدّ وأن نقول للمجتمع: إنّ هذا القرآن جاهز لأن يطبّق وأن يحلّ مشاكلكم في كلّ لحظة وفي أيّ وقت ويأخذ طريقه إلى الحياة، فلا نعطيه هذا. فبهذا العمل نستطيع أن نترقّب عدد كبير من الناس أن يكونوا على مستوى التضحية ـ كما يوجد لأيّ شعار آخر ـ كما حصل القائد ﷺ على عدد كبير من الناس [كانوا] على مستوى التضحية، على مستوى العطاء للإسلام، [شعروا] أنّ الإسلام هو الطريق وهو المنقذ.

هذه العمليّة الأولى: فبهذه العمليّة استطعنا أن نملك عدداً كبيراً من المسلمين صعّدناهم من الناحية

---

(١) البقرة: ٢٥٧.

الروحيّة وثقّفناهم من الناحية الإسلاميّة وعبّأنا ذهنهم فكريّاً وذهنيّاً وروحيّاً للإسلام. طبعاً هؤلاء لا بدّ لهم من غذاء، حينئذ هنا أوّل ما قلت سابقاً: إنّ كلّ الناس لا يكونون على مستوى التضحية. وهذا هو الواقع الذي كان في أيّام النبيّ صلى الله عليه وآله فضلاً عن غيرهم.

نعم؛ كان صلى الله عليه وآله جماعة على مستوى التضحية، وهذه الجماعة كانت هي المحور، هي القوّة الدافعة المحرّكة النامية والمنمّية لعمليّات الإسلام.

إذاً فليس من المعقول أن ننتظر أنّ جميع أفراد المجتمع يكونون على مستوى التضحية. هذه العمليّة الأولى.

العمليّة الثانية: هي أنّه بالنسبة إلى غير هؤلاء من قطاعات لا بدّ من العمل مع أولئك المجاهدين في سبيل تقريب كلّ جوانب المجتمع إلى تطبيق الإسلام، يعني نحتاج بعد هذا لفرض الإسلام على الأفراد الآخرين الذين لم يصعدوا إلى مستوى الجهاد. فحينئذ سوف نحصّن الجميع. فهنا بهاتين العمليّتين يمكن أن نؤدّي دورنا كوعّاظ ومغيّرين وحافظين وحامين للإسلام في الخارج»[١].

ومساء الأربعاء ١٩٧٠/١/٢٨م (٢١/ذي القعدة/١٣٨٩هـ) ألقى كلمته الرابعة في منزل الشيخ علي أكبر برهان، وقد جاء فيها:

«خلاصة الفكرة كانت أنّ الإسلام يمكننا أن نجزّئه إلى وجود نظري ووجود واقعي مادّي موضوعي.

الوجود النظري للإسلام هو عبارة عن عقيدة ومجموعة مفاهيم والأفكار والأحكام والتشريعات المعطاة من قبل خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله. هذا المجموع بوجوده الفكري والمفهومي والذهني هذا هو الوجود النظري.

الوجود المادّي في الإسلام يعني الوجود الموضوعي والواقعي، وهو أن تعيش وتتجسّد وتتمثّل هذه الأحكام وهذه المفاهيم والمعطيات في الخارج.

وجود وجوب الزكاة هذا وجود نظري في الإسلام. أمّا وجود شخص بأن يزكّي أمواله هذا وجود مادّي للإسلام.

بالنسبة للوجود النظري: الحوزة بحكم كونها هي [وظيفتها] هذه النظريّة والمتخصّصة لفهم هذه النظريّة ودراسة أبعادها وكلّ محتواها وجوانبها فلا بدّ أن تكون هذه الحوزة هي مصدراً لإعطاء هذا الوجود النظري إلى الأمّة، يعني مصدر إيصال هذا الوجود النظري وتبليغه والإعلان عنه وإيصاله إلى الأمّة إيصالا نظريّاً وتصوّريّاً.

وأيضاً لا بدّ لها أن تحمي هذا الوجود النظري على المستوى النظري، وحماية هذا الوجود النظري على المستوى النظري عبارة عن توضيح محتوى هذا الوجود النظري بصيغ محدّدة قادرة على أن تنفذ إلى عقول الآخرين وقلوب الآخرين مع مقارنات واسعة بين هذا الوجود النظري للإسلام والوجودات النظريّة الأخرى للاتّجاهات الفكريّة والدينيّة والاجتماعيّة التي تعيش في بلاد المسلمين.

فالحماية ـ حماية الوجود النظري ـ عبارة عن استعمال أساليب البحث والمنطق والمناظرة بمختلف أشكالها في سبيل تركيز أنّ الوجود النظري للإسلام هو أفضل وأكمل وأقوى وأوسع من أيّ وجود نظري آخر. هذا هو إعطاء الوجود النظري وحماية الوجود النظري. هذه العمليّة في حدود ما بالإمكان أن تمارس منفصلةً عن الوجود المادّي الواقعي الموضوعي للإسلام. ولكن حينما نسير في الخطّ شوطاً معتدّاً به سوف نرى أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين تحقيق الوجود النظري للإسلام وتبليغه وحمايته وبين ما سوف نتكلّم عنه وهو الوجود المادّي للإسلام.

---

(١) انظر هذه المحاضرة في كتاب (ومضات، تراث الشهيد الصدر ١٧: ٣٩٧ ـ ٤٠٦)، والذي سينشر قريباً بإذن الله تعالى.

هذا الوجود النظري للإسلام الذي اتّفقنا على أنّه لا بدّ من تبليغه ولا بدّ من حمايته وفقاً للوجوب الكفائي التي [تضطلع] هذه الحوزة بامتثاله، هذا الوجوب الكفائي المتّفق عليه يفرض عليها أن تبلّغ هذا الوجود النظري وأن تحمي هذا الوجود النظري نظريّاً في مقابل النظريّات الأخرى، لكنّ هذا التبليغ وهذه الحماية النظريّة في شوط قصير نرى أنّهما مرتبطان كلّ الارتباط بالوجود المادّي الواقعي الموضوعي لأنّه في حالة أنّ الوجود الواقعي المادّي الموضوعي في المجتمع يمثّل غير الإسلام في مثل هذه الحالة سوف توضع عواقب وصعاب وموانع عن الممارسة المهمّة على مستوى وجود ما.

لا ينبغي أن نتصوّر أنّنا نستطيع أن نفصل بين هذين الوجودين وأن نمارس وظيفة على المستوى الوجود النظري بقطع النظر عن مسألة الوجود المادّي للإسلام. فليكن الوجود المادّي وجوداً جاهليّاً، وجوداً لا يقوم على أساس الإسلام، نحن نشتغل لأن نكوّن تلك الأمّة التي أمر الله تعالى بتكوينها، أمّة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لكن هل يمكن أن تتكوّن هذه الأمّة في وضع مادّي موضوعي يجسّد صيغة أنّ المعروف منكر والمنكر معروف؟! في مثل هذا الوضع سوف لن نستطيع التفريق، وذلك:

أمّا أوّلاً: فلأنّ الموج الهائل من التبليغ المعاكس الذي ينبع ويرتبط بالوجود المادّي للمجتمع الذي يكون مشدوداً ومؤيّداً وسنداً من الوجود المادّي للمجتمع، هذا سوف يكتسح تبليغنا مهما كان تبليغنا.

نعم؛ حماية الوجود النظري كان كافياً فيما إذا كانت الأمّة لا [تتّبع] وجوداً نظريّاً واقعيّاً مادّياً آخر غير الإسلام، في تلك الحالة نستطيع أن نقول: إنّه لا يوجد تبليغ آخر أكبر من تبليغنا. أمّا في حالة وجود واقع مادّي يسند وجوداً نظريّاً آخر في مقابل هذا الوجود النظري التي نحن نبلّغه، في مثل هذه الحالة لا يوجد أيّ تكافؤ بين إمكانيّاتنا التبليغيّة والإمكانيّات التبليغيّة الأخرى.

وثانياً: هو أنّه مضافاً إلى أنّ إمكانيّاتهم على المستوى التبليغي الحرّ هي أكبر بكثير من إمكانيّاتنا، مضافاً إلى هذا فسوف تستعمل القوّة والضغط في مقابلنا ومقابل تبليغنا أيضاً.

إذاً فنحن بحسب الحقيقة على مستوى وجود النظري للإسلام عندنا مسؤوليّة وهي مسؤوليّة تكوين الأمّة الإسلاميّة التي تأمر بالمعروف، هذه المسؤوليّة مرتبطة كلّ الارتباط بحسب ظروف العالم الإسلامي اليوم بالوجود الثاني، ما لم يُفكّر في الوجود الثاني لا نستطيع أن نحقّق هذه المسؤوليّة بشكل صحيح. هذا هو بالنسبة إلى الوجود النظري وارتباطه [بالوجود] المادّي.

وأمّا الوجود المادّي الواقعي الموضوعي، هذا يتمثّل في ثلاثة ميادين:

١ ـ **الميدان الأوّل**: ميدان الأحكام الإسلاميّة المرتبطة بالفرد.

٢ ـ **الميدان الثاني**: الأحكام الإسلاميّة المرتبطة بالمجتمع، أي بالمسلمين.

٣ ـ **الميدان الثالث**: ميدان العقيدة الإسلاميّة.

أمّا ميدان الأحكام الإسلاميّة المرتبطة بالفرد، فـ[حماية الإسلام في هذا الميدان] تكون عبارة عن جعل الفرد يطبّق أحكام الإسلام المتوجّهة إليه.

وأمّا في الميدان الثاني فتكون حماية الإسلام عبارة عن جعل المجتمع يطبّق أحكام الإسلام وقوانينه المرتبطة بنظام الحكم والاقتصاد وسائر جوانب النظام الاجتماعي.

وأمّا حماية الإسلام في ميدان العقيدة فمعناه إيجاد هذه العقيدة وتثبيتها وإبقائها إذا كانت موجودة كواقع مادّي يعيش في الإنسان الخارجي [كالوجود النظري في] القرآن الكريم وفي الكتب.

وهنا عندنا وظيفة على مستوى الميدان الأوّل وهي حماية هذا الإسلام المادّي، يعني جعل الفرد يطبّق أحكام الإسلام، وهذا أيضاً متّفق عليه بحسب الذهنيّة العامّة للحوزة. وإصلاح هذا الجانب لا ينبغي أن يفصل بحال من الأحوال عن الميدانين الآخرين أيضاً.

هنا قد يتراءى في بادئ الأمر أنّه أيّة علاقة بين الميدان الأوّل والثاني؟! ولكنّه سوف يتّضح أنّ العلاقة بينهما مترابطة جدّاً ولا يمكن تفكيكها، كما ذكرنا أنّ الارتباط بين الوجود النظري والمادّي وثيق جدّاً.

وخلاصة الفكرة أنّه قلنا: إنّ الإسلام أصبح جمرة في يد الإنسان، بحكم أنّ بناء المجتمع والقوانين التي تنظّم هذه العلاقات والأجهزة الاجتماعيّة التي أنشأتها الحضارة الحاضرة في هذا المجتمع والقوى الاجتماعيّة المختلفة من سياسيّة واقتصاديّة وعسكريّة وثقافيّة، هذه القوى بالمجموع، هذه الكيان هو يشكّل ضغوطاً كثيرةً جدّاً في سبيل مواكبة هذا الكيان. هناك ضغوط كثيرة جدّاً تجعل كلّ فرد يشعر بأنّه يواجهها في سبيل أن لا يقف أمام التيّار ويصطدم بالتيّار وأن يوافق هذا التيّار. وهذا هو معنى الجمرة، معنى الجمرة أنّه كيف يستطيع أن يقف أمام التيّار الذي يغري التاجر بأن يرابي، ويغري المرأة بأن لا تستتر عمّا يجب التستّر عنه، يغري أيّ فرد في الأمّة الإسلاميّة حسب ظروفه وملابساته، يغري الحاكم بالتعامل مع الاستعمار، يغري الكاسب بالتميّع والرخاوة، وأن يعيش حياة الراديو والتلفزيون، كيف يمكن أن يصمد أمام هذا التيّار؟! هذا الصمود أمام هذا التيّار هو الجمرة، هذه الجمرة ليس من المعقول ومن المنطقي أن نفكّر أنّنا نستطيع أن نقنع كلّ الناس بأن يتحمّلوا الجمرة، وليس من المعقول ومن المنطقي أن نقنع عدداً مهمّاً من الناس بأن يتحمّل الجمرة دون توعيتهم على واقع هذه الجمرة وعلى هدف هذه الجمرة وعلى رسالة هذه الجمرة في حياتهم وعلى أنّ هذه الجمرة هناك أمل في أن تتحوّل إلى نور، إذا لم نستطع أن نخلق في نفوس هؤلاء الناس أنّ هناك أملاً في أن تتحوّل هذه الجمرة إلى نور لا نستطيع أن نجعل الناس يمسكون هذه الجمرة. لا تغترّوا إلى أناس بقوا بقوّة الاستمرار مصلّين ومتديّنين ولا تلتفتوا إليهم.

أنا أخبركم عن جيلين: عن الجيل الذي أنتجه العلماء السابقون، جيل المقدّسين وجيل المتديّنين المخضرمين، الجيل الذي عاش جوّ القدس والصلاح ثمّ انفتح على هذا العالم الجديد. هذا الجيل كثير منهم كانوا لا يتحاشون عن استماع الغناء الذي هو من أدنى الشهوات. واليوم الجيل الذي نشأ بعد هذا الجيل، الجيل الذي نشأ وعنده أمل بأن تتحوّل هذه الجمرة إلى نور في يوم من أيّام أبناء ذلك الجيل الذين نشأوا في أحضان الشيخ علي القمّي يستمعون الغناء فكثيرٌ من أبناء أولئك الذين نشأوا في كلّيّة الطب هم مستشكلون ويترفّعون عن استماع الغناء.

كيف حصل هذا النور وتحمّل الجمرةَ هؤلاء و[الواحد منهم] لم يرَ الشيخ علي القمّي ولا قداسة الشيخ علي القمّي ولا أيّام روحانيّة المسجد الهندي، كيف استطاع أن يتحمّل وهو في صميم الانحراف والفساد؟ لأنّه استطاع أن يحوّل هذه الجمرة إلى نور بالرغم أنّ أباه ما استطاع.

إذاً فهذا النوع من الجهاد في تحمّل هذه الجمرة يجب أن نفكّر أنّه يحتاج إلى دوافع، يحتاج إلى توعية، وهذه التوعية هي عبارة عن جعل هذا الشخص يؤمن بأنّ هذه الجمرة بإمكانها أن تحلّ مشاكله، تعطيه حياة سعيدة، تنظّم علاقاته مع الآخرين بأفضل وجه ممكن وتجعله سعيداً وتجعل أمّته أمّة سعيدة مستقرّة، فكيف يمكن أن نخلق عند هذه الأمّة هذا الأمل؟ نخلق هذا الأمل بأن نربط ميدان الأوّل بالميدان الثاني، نجعله يعيش التفكير بأنّ الإسلام يطبّق ككلّ، لأنّه إذا لم يعش بأنّ الإسلام يطبّق ككلّ حينئذٍ تبقى هذه الجمرة عنده إلى الأبد.

ومقصودنا من تحوّل الجمرة إلى النور هو أنّ هذه الجمرة حينما تتحوّل إلى قوّة تكسر قوّة الجبروت وقوّة الأصنام والأوثان التي خلقتها جاهليّة الأرض على الأرض في ذاك الوقت، هذا الإسلام الذي كان جمرة يصبح دين الفطرة، دين الطبيعة فيصير هو النور، لأنّ الإسلام [يناسب] طبيعة الإنسان ولكنّ الصياغة المنحرفة لطبيعة الإنسان هي التي جعلت طبيعته تراه جمرة بينما في تلك الحالة يراه بأنّ هذا هو

النور وهو الهادي وهو السعد ويكون هو حلاّل المشاكل.

إذاً فحينما نريد أن نعمل في الميدان الأوّل، في الناس الذين هم أكثر من ثمانين بالمئة منهم لا يصلّي ويرتكب الكبائر، هذا الجيل لا بدّ أن نجعله يتحمّل الجمرة بأن نخلق عنده هذا الأمل. ولكن مع هذا لا يجب أن نفكّر أنّنا نستطيع أن نجعل كلّ الناس مجاهدين ويتحمّلون الجمرة على أساس هذا النوع من التوعية. هذه التوعية تجعل الإنسان الموضوعي الإنسان المستعدّ للتضحية للأهداف الكبيرة نعم هذه التوعية تجعله يصمد، ولكن ليس كلّ الناس خلقوا للأهداف الكبيرة. إذاً بالنسبة إلى هؤلاء سوف تبقى الجمرة جمرة وسوف لن تتحوّل إلى نور، سوف لن يمكن إيجاد هذا الأمل فيهم لأنّهم خلقوا لحدود معيّنة، من قبيل شخص قاصر النظر لا يستطيع أن ينظر إلى أكثر من حدود عينه، هؤلاء همجٌ رعاع[1].

إذاً بالنسبة إلى هؤلاء: كيف نستطيع أن نحوّل هذه الجمرة إلى نور؟! لا نستطيع أن نحوّل هذه الجمرة إلى نور إلاّ بعد أن نحوّل هذه الجمرة إلى نور بيد هؤلاء المجاهدين الواعين الذين خلقوا للتضحيات الكبيرة كعمّار وأبي ذرّ وسلمان، فحينئذ بعد أن تحوّلت هذه الجمرة إلى نور فيكون الإسلام بمقتضى طبيعة هؤلاء على مقتضى فطرتهم، فحينئذ بذلك تسود أحكام الإسلام وترجع إلى إخائها الطبيعي، لأنّ أحكام الإسلام بينها وبين الإسلام علاقة وسيعة كلاهما وليدُ منظّم واحد، خالق واحد صمّم هذه الشريعة وفق طبيعة هذا الإنسان، وبينهما نوع من الإخاء والترابط.

[هناك] ظروف مصطنعة تحول دون شعور الإنسان [بالإسلام]، فلمّا تهدم هذه الظروف المصطنعة حينئذٍ يصبح هناك نوعٌ من الترابط ونوعٌ من التفاعل، وينسجم كلّ إنسان [في] تطبيق أحكامه.

إذاً فالميدان الأوّل بحسب الحقيقة هو مرتبط كلّ الارتباط بالميادين الأخرى. هذا في الميدان الأوّل.

الميدان الثاني: ـ ميدان تطبيق أحكام الإسلام على المجتمع ـ فلا يكفي فيه تجسيد الأحكام الفرديّة، بل يجب إضافةً إلى ذلك تجسيد القوانين الاجتماعيّة والنظم الدوليّة والعلاقات بين الحاكم والرعيّة والعلاقات بين الدول الأخرى، وهذه الأحكام والقوانين لا يمكن تجسيدها في الأفراد بل لا بدّ من تجسيدها في كيان أكبر من الفرد، أي في كيان المجتمع.

وهذه الأحكام بحكم كونها جزءاً من الإسلام أيضاً، فلا بدّ من حمايتها والسعي في تطبيقها. وهذا الجانب هو الجانب المؤثّر كلّ التأثير في كلّ الجوانب السابقة، يعني: حماية الإسلام نظريّاً وحماية الإسلام عمليّاً في الميدان الأوّل مرتبطٌ كلّ الارتباط بالميدان الثاني. إذاً فهذا بنفسه واجبٌ باعتباره جزءاً من الإسلام ولا بدّ من تحقيقه، وأيضاً واجبٌ مقدّمةً لتحقيق المسؤوليّة الواجبة في الحقول السابقة التي يمكن أن [تنفصل] عن هذا الميدان.

الميدان الثالث: وهو العقيدة. هناك خطر كبير يهدّد الوجود المادّي للعقيدة الإسلاميّة. هذا الخطر سوف نشرحه في المحاضرات المقبلة بصورة مستقلّة. لكن الآن نتعرّض له بصورة مختصرة، وذلك أنّ الوجود المادّي الموضوعي الذي يتمثّل في كيان المجتمع القائم في العالم الإسلامي اليوم، هذا الوجود هو مرتبط بقاعدة فكريّة، وهذه القاعدة الفكريّة كافرة. يعني: قاعدة فكريّة لا تشدّ الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى بل تفصله عن الله سبحانه وتعالى: إمّا تفصله واقعيّاً وتصوّريّاً معاً كالمادّيّة الديالكتيكيّة، وإمّا تفصله واقعيّاً لا تصوّريّاً كالقواعد الفكريّة في الحضارات الرأسماليّة، وهذا يؤدّي بطبيعة الحال إلى الفصل التصوّري.

وحينما يكون الحكم قائماً على أساس قاعدة فكريّة من هذا القبيل يصبح هذا الحكم أشدّ حكم

---

(١) نهج البلاغة: ٤٩٥ ؛ بحار الأنوار ١: ١٨٧.

يُتصوّر في العالم الإسلامي، لأنّ الحكم يمكن تقسيمه إلى أقسام:

حكمٌ يكون قائماً على قاعدة إسلاميّة، يعني على أساس أنّ الإسلام هو الدستور ولكن هناك انحراف في الحاكم فلا يطبّق هذه القاعدة الإسلاميّة بين حين وحين طبقاً لشهواته، هنا نستطيع أن نقول بأنّ الحكم إسلامي لكنّ الحاكم منحرف، ومن هنا نحن نطلق اسم الحكم الإسلامي على عهود الخلافة الجائرة التي تشكّلت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولكن حيث إنّ القاعدة التي كان الحكم يرتكب على أساسها كانت الإسلام وكان هذا الشخص الذي يتربّع على [سدّة] الحكم يتربّع على أساس أنّه يرتفع على أساس دستور معيّن، هذا الدستور المعيّن هو الإسلام، هذا الأساس [هو] الحكم الإسلامي، لكنّ هذا الشخص ينحرف عن الإسلام.

من قبيل أن نقول حكم الشاه اليوم ديمقراطي، لأنّ القاعدة هي الديمقراطيّة ولكنّه هو ينحرف عن هذه القاعدة، فهذا الحكم لا يخرج عن كون نظام الحكم عن كونه ديمقراطيّاً.

هذا النوع من الانحراف لا يشكّل خطراً مباشراً على الإسلام. نعم، يشكّل خطر غير مباشر لأنّ القاعدة محفوظة[1].

النوع الآخر من الانحراف هو أن يصير حكم لا على أساس قاعدة إسلاميّة ولا [على] غير الإسلام[2]، وإنّما الحاكم يمارس الحكم على أساسه الشخصي وعلى أساس تصوّراته الشخصيّة في حدود حكمه ولا يكون حكمه بقاعدة فكريّة لها مفهوم محدّد عن علاقات الإنسان بالإنسان وبالكون وبالحياة وبخالق الكون والحياة، في هذا المستوى يكون هذا الحاكم أشدّ خطراً على الإسلام وعلى العقيدة من الانحراف الأوّل.

ولكنّه أيضاً سوف لن يشكّل الخطر المحض. فهذا الافتراض كالافتراض الأوّل، كلاهما غير موجود في واقعنا العملي، لأنّ القاعدة الفكريّة اليوم أكبر من الحكّام، يعني القاعدة الفكريّة الجارية بطبيعتها سواء الحاكم تبنّاها أو لا.. لأنّ القاعدة الفكريّة نتيجة ضغط الحضارة الغربيّة، يعني نتيجة قوّة الحضارة الغربيّة بكلا جناحيها الشرقي والغربي.

فالحكم غير مرتبط بقاعدة هذا الحاكم نقضي عليه تكوينيّاً في ظروف العالم اليوم بأن يطأطئ رأسه أمام الحكّام [الغربيّين]، لا كقاعدة هو يتبنّاها، وإنّما كتيّار واقعي يجب أن يواكبه.

إذاً فنتيجة هذا بحسب الحقيقة يكون نتيجة القسم السابق وهي أن يكون هناك حكم يرتبط بقاعدة فكريّة كافرة، يعني تفصل الإنسان عن الله سبحانه وتعالى واقعيّاً وتصوّريّاً أو واقعيّاً فقط، وهذه الأقسام الثلاثة من أشدّ أشدّ [...][3] من حيث الحكم»[4].

السيّد الخميني رحمه الله يشرع في إلقاء محاضراته حول الحكومة الإسلاميّة

في ٢١/١/١٩٧٠م (١٤/ذي القعدة/١٣٨٩هـ) شرع السيّد الخميني رحمه الله في إلقاء محاضراته حول (الحكومة الإسلاميّة) أو (ولاية الفقيه)، وقد استمرّ في إلقائها لغاية ٢/ذي الحجّة/١٣٨٩هـ[5]، حيث

---

(١) مراده رحمه الله غير واضح لأنّ المستفاد من محاضراته حول أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة قد يكون خلاف الظاهر بدواً من هذه العبارة.

(٢) مراده رحمه الله من غير الإسلام النظم الفكريّة الأخرى، وإلاّ فكون شخصه أساساً هو في حدّ نفسه مخالفٌ للإسلام.

(٣) غير واضح.

(٤) انظر هذه المحاضرة في كتاب (ومضات، تراث الشهيد الصدر ١٧: ٤٠٧ ـ ٤١٦)، والذي سينشر قريباً بإذن الله تعالى.

(٥) الحكومة الإسلاميّة (ولاية الفقيه)، ط.ج: ١١.

بلغت ١٢ محاضرة، طبعت في ستّة كرّاسات[١]. وقد أكّد في محاضراته على ضرورة تأسيس الحكومة الإسلاميّة وبناء أجهزتها ووجوب رعاية علماء الدين الأمّةَ رعايةً حقيقيّة. ودعا إلى مقارعة الحكومات الفاسدة والظالمة.

وفي ١٩٧٠/١/٢٣م شرع طلاّب السيّد الخمينيّ باستنساخ دروسه وترجمتها إلى العربيّة[٢].

ردود الفعل العامّة

لقد كانت ردود الفعل على محاضرات السيّد الخمينيّ متفاوتة:

فبعض الأوساط في الحوزة العلميّة كانت كثيرة الامتعاض من هذا اللون الجديد من الأبحاث[٣]، بل لم يمضِ أسبوعٌ على هذه المحاضرات حتّى احتجّ جماعةٌ من علماء النجف على هذا الدرس، فأجاب السيّد الخمينيّ: «**يعلم الله أنّ هذه الكلمات ـ** الحكومة الإسلاميّة **ـ أوجب من باقي المسائل، فإنّها تحييكم وتغيّر وضعكم المنكوب**».

وقد سعى بعضهم إلى تعطيل الدرس[٤]، وقيل: إنّ السيّد محمّد الروحاني لعب دوراً في التأثير سلباً على درس السيّد الخمينيّ، وقد نجح بنسبة معيّنة[٥].

وقد أغاظت هذه المحاضرات الحكومتين العراقيّة والإيرانيّة.

أمّا الحركة الإسلاميّة، فإنّها عبّرت عن تفاعلها مع آراء السيّد الخمينيّ، حتّى تبنّى الشيخ محمّد مهدي الآصفي مراجعة الترجمة العربيّة لتلك المحاضرات وتصحيحها بعد أن دأب على حضور دروس الخارج للسيّد الخمينيّ لمدّة سنتين[٦].

فرحة السيّد الصدر بخطوة السيّد الخمينيّ

بعد شروع السيّد الخمينيّ بلقاء محاضراته حول (ولاية الفقيه) التقى الشيخ [علي] آل إسحاق بالسيّد الصدر خارجاً من حرم الإمام علي سالكاً باب القبلة إلى شارع الرسول فوجده باكياً والدموع تسيل من عينيه، فسأله عن سبب بكائه فاعتذر بأنّه لا يستطيع الكلام.

وبعد أن هدأ سأله مجدّداً عن السبب فقال له: «**السيّد الخميني أعلن الحكومة الإسلاميّة**»، فأجابه الشيخ آل إسحاق: «**أيّة حكومة إسلاميّة؟! أنا اليوم كنت في الدرس ولم يشر إلاّ إلى ولاية الفقيه**»، فقال: «**خلص، انتهت مظلوميّة الإسلام، أنا أرى أنّ الإسلام سيسيطر على الوضع**»، فقال الشيخ: «**أنا لم أسمع من السيّد شيئاً، لقد تحدّث عن ولاية الفقيه الموجودة في [كتاب] المكاسب**»، فقال السيّد: «**لا، إعلان**

---

(١) صحيفه دل (٢) (فارسي) ١١٣.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٨٧.

(٣) يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «وأتذكّر أنّ أحدهم قال لي في تلك الفترة: لا يجوز لك أن تستلم مرتّبك الشهري من الإمام لأنّه شيوعي!! وهذا القائل يمثّل ـ بلا شكّ ـ نموذجاً من التيّار المعادي للسيّد الإمام» (شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ١٣٠).

(٤) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٨٩.

(٥) خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ٨١ ـ ٨٢. ولعلّ الحديث هو عن محاولة السيّد الروحاني تعطيل درس السيّد الخمينيّ حين وروده إلى النجف الأشرف.

(٦) سنوات الجمر: ١٢٤ ـ ١٢٥.

السيّد الخميني شيءٌ آخر»، وأضاف: «**أنّا عندما سمعت بالخبر ذهبتُ إلى مقام الإمام علي**عليه السلام **وبكيت من شوقي، ثمّ ذهبتُ إلى منزل السيّد الخوئي وقلتُ له: إنّ السيّد الخميني أكثر المراجع وعياً، فلم يعجبه كلامي**»[(١)].

وفي الوقت الذي استطاع فيه رجال أمن الشاه (السافاك) إشاعة المزيد من التهم ضدّ السيّد الخميني رحمه الله بهدف إضعاف دوره واتّهامه في نواياه وخططه السياسيّة واشتداد الأزمة ضدّه في مجتمع النجف، وبالخصوص من الطلبة الإيرانيّين الذين اختلفوا بالأصل معه، كان للسيّد الصدر رحمه الله موقفٌ مشرّفٌ. وقد علّق السيّد الصدر رحمه الله على طرق السيّد الخميني رحمه الله هذا الباب قائلاً: «**هو أوّل فقيهٍ يتحدّث بصورة مفصّلة حول الحكومة الإسلاميّة**»[(٢)].

وقد تلقّى السيّد الصدر رحمه الله وطلاّبه هذا الحدث بارتياح وتفاؤل. وفي أحد أيّام الخميس، كانوا في منزل الشيخ علي أكبر برهان وراحوا يتداولون البحث حول الطرق التي يمكن القيام بها كي لا يقطع السيّد الخميني رحمه الله هذا البحث، وقد اقترح السيّد محمّد الصدر رحمه الله أن يقدّموا إلى السيّد الخميني رحمه الله مجموعة من الكتب التي يُمكن أن تفيده وتشجّعه على الاستمرار في البحث[(٣)].

وفي ظلّ هذه الأجواء أوعز السيّد الصدر رحمه الله إلى اثنين من أفاضل طلبته الذين يحضرون بحثه الخارج بالالتحاق بدرس السيّد الخميني رحمه الله لغرض أن يثبت تأييده وتنزيهه لمرجعيّة السيّد الخميني رحمه الله، وهما الشهيد السيّد محمّد الصدر رحمه الله والسيّد محمود الهاشمي.

وفعلاً نفّذ كلٌّ من السيّدين أمر أستاذهما وقضيا فترةً من الزمن وهما يحضران دروس وبحوث السيّد الخميني رحمه الله لهذا الغرض[(٤)]، وكان السيّد محمّد الصدر رحمه الله يقوم بتقرير الدرس باللغة العربيّة[(٥)]. وقد ذكر الشيخ النعماني أنّ بعضهم كان لا يحسن الفارسيّة[(٦)]. كما وطلب السيّد الصدر رحمه الله ـ لاحقاً

---

(١) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (حفظه الله) ؛ صحيفة (بدر)، العدد (٥٣)، في حديث مع أبي جهاد الأنصاري، نقلاً عن الشيخ آل إسحاق. وكان الشيخ آل إسحاق قد دخل قبل ذلك على السيّد الصدر رحمه الله ورآه يبكي فقال له: «سيّدي ما لي أراك تبكي؟!»، فقال رحمه الله: «نظرتُ إلى قبر حبيبي فبكيت»، فقال الشيخ: «سيّدنا هذه غرفتك ومكتبتك وليس فيها قبر»، فقال: «نعم؛ هذا قبر حبيبي» وأشار إلى الكتب وقال: «إنّ الإسلام مدفونٌ في هذه الكتب ولا أدري [كيف] نستخرجه من هذا القبر إلى الناس وإلى الواقع» (صحيفة (بدر)، العدد (٥٣)، في حديثٍ مع أبي جهاد الأنصاري، نقلاً عن الشيخ آل إسحاق).

وكان قد جرى حديثٌ بين الشيخ آل إسحاق وبين السيّد الصدر رحمه الله في زمن عبد الكريم قاسم حول حاكميّة الإسلام، وذلك خلال زيارة قام بها السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ آل إسحاق في غرفته رقم (٤٤) في مدرسة البروجردي، وأثناء الحديث نظر السيّد الصدر رحمه الله إلى دفترٍ يحمل صورة الملك فيصل [الثاني] وقال: «تفاءلوا بالخير تجدوه» (مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق، حفظه الله).

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٣) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

(٤) مجلة الحوار الفكري والسياسي، العدد ٤٠، علاقة الشهيد الصدر بالإمام الراحل، بلا اسم المؤلّف: ١١٥ ؛ وقد ذكر لي ذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٥) آيت الله سيد محمد صدر واداره حوزه نجف (فارسي)، مصاحبه با فرزند آيت الله صدر [سيد مقتدى] (فارسي)، مجله پژوهش وحوزه، شماره ١٦: ١٢٠.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ١٢٣. أقول: من المقطوع به أنّه ليس السيّد الهاشمي.

ـ من السيّد حسين الصدر حضور درس السيّد الخميني﵀ تأييداً له[١].

وكان درس السيّد الخميني﵀ عند الساعة التاسعة في مسجد الشيخ الأنصاري﵀، بينما كان درس السيّد الصدر﵀ بعده بساعة. وعندما وصل السيّد محمود الهاشمي من درس السيّد الخميني﵀ إلى درس السيّد الصدر﵀ كان الأخير مسروراً، وقبل أن يبدأ البحث قال: «**إنّي فَرِحٌ اليوم إذ أواجه مرجعاً رسميّاً له مرجعيّة بالفعل ومن كبار مراجع الإسلام يتصدّى لطرح فكرة الحكومة الإسلاميّة وولاية الفقيه في هذا الطرح الصريح المعمّق الواعي**»، وأكّد في تلك الجلسة على طلاّبه ضرورة حضور درس الإمام أو على الأقلّ الاستفادة من الكرّاسات التي كانت تطبع[٢].

وكان السيّد محمود الهاشمي ينقل رسائل شفهيّة بين السيّد الخميني والسيّد الصدر﵄، بل كان السيّد الصدر﵀ يتابع عبر السيّد الهاشمي المطالب التي كان يطرحها السيّد الخميني﵀ في مجلس الدرس، وكان يستفسر منه عن أدلّة السيّد الخميني﵀، فيقوم السيّد الهاشمي بنقلها وعرضها، ويقوم السيّد الصدر﵀ بمناقشتها، ثمّ يقوم السيّد الهاشمي بمناقشة السيّد الخميني﵀ في الدرس [بمناقشاته ومناقشات أستاذه]، وكان السيّد الخميني﵀ يرتاح لذلك[٣].

ولكن قيل: إنّ أصحاب السيّد الخميني﵀ اعتبروا ذلك محاولةً من السيّد الصدر﵀ لتخريب درس السيّد الخميني﵀[٤]، أو أنّ ذلك كان بمثابة التنافس بين العَلَمين المذكورين، خاصّةً أنّ الإشكال على السيّد الخميني﵀ في مجلس الدرس بذلك المستوى لم يكن أمراً متعارفاً عند طلاّبه[٥].

هذا وقد أوصى السيّد الصدر﵀ بتوزيع ونشر كراسات هذه الدروس[٦].

وذات يوم أحضر الشيخ علي الإسلامي مجموعة من كرّاسات دروس السيّد الخميني﵀ حول الحكومة الإسلاميّة ـ بالفارسيّة ـ إلى درس السيّد الصدر﵀ ووزّعها على الطلاّب، وكان ذلك في مقبرة آل ياسين، وقد أبقى السيّد الصدر﵀ نسخته في مكان الدرس.

وفي صباح اليوم التالي، وفي موعد درس الفقه، حضر السيّد عبد الهادي الشاهرودي مبكّراً قبل موعد الدرس، وكان السيّد الصدر﵀ حاضراً وإلى جانبه أحد المشايخ الآذربايجانيّين واسمه الشيخ محيي الدين.

وقد طلب الشيخ المذكور من السيّد الصدر﵀ أن يعطيه الكرّاس الذي إلى جانبه، فأجابه﵀: «**ما يخالف، ولكن أشترط عليك أن تطالعه**»، فوافق[٧].

---

(١) دور فكر الشهيد الصدر في الثورة الإسلامية في إيران: ٢٦٧. ويُمكن أن يكون ذلك في وقتٍ لاحق، خاصّةً أنّ السيّد حسين الصدر التحق بالحوزة سنة ١٩٦٧م (تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٨٢).

(٢) صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديثٍ مع السيّد محمود الهاشمي.

(٣) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.

(٤) حدّثني بذلك من لا يرضى بذكر اسمه، وقد فهمتُ ذلك من ابتسامات آخرين.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٩م.

(٦) الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٦٤، نقلاً عمّن نقله عن السيّد محمود الهاشمي؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٩٦.

(٧) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

إلاّ أنّ بعض المصادر أشارت إلى أنّ السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ لم يستسغ حضور السيّد محمّد الصدر﵀ في بحث السيّد الخميني﵀، فحاول ثنيه عن ذلك والضغط عليه[1].

السيّد الصدر﵀ يتخطّى القول بالشورى إلى القول بولاية الفقيه

لقد درس موضوع ولاية الفقيه الذي طرحه السيّد الخميني﵀ دراسة كافية من قبل السيّد الصدر﵀، ثمّ تبنّى ولاية الفقيه بعد أن كان يقول بعدمها[2]، وإن كان ملفتاً للنظر نصّه الذي يقول فيه سنة ١٣٨٠هـ في أوائل تأسيس حزب الدعوة: «**إنّ الصفة الشرعيّة الإلزاميّة للانضباط في الدعوة تنبع: أوّلاً:.. ثانياً:... ثالثاً: من إعمال الفقيه لولايته الشرعيّة في وجوب إطاعة التنظيم..**»[3]، ولعلّ هذا منشأ إصرار بعض طلاّبه على أنّه كان يقول بالولاية منذ تأسيس الحزب[4]، إلى جانب ما يذكره السيّد عبد العزيز الحكيم من أنّ السيّد الصدر﵀ إنّما أسّس حزب الدعوة بناءً على ولاية الفقيه التي كان يراها، وكان خروجه من الحزب إثر شكٍّ عرض له حول ولاية الفقيه هذه[5].

وعلى أيّة حال ففي أواخر الثمانينات الهجريّة وفي أواخر مرجعيّة السيّد الحكيم﵀، عدل السيّد الصدر﵀ عن القول بالشورى إلى القول بالولاية المطلقة للفقيه، حيث توصّل إلى توثيق التوقيع المعروف عن الإمام الحجة﵇، وهو: «**أمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم**[6]**/عليكم**»[7] الذي فهم منه السيّد الصدر﵀ الرجوع إلى الفقهاء في قضايا الولاية أيضاً بقرينة «**الحوادث الواقعة**»[8].

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٩٤، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري.

(٢) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٢٠٦.

(٣) انظر أحداث سنة ١٣٨٠هـ عنوان (تسمية الحزب).

(٤) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٥) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (قدّس سرّه).

(٦) كمال الدين وتمام النعمة ٢: ٤٨٤.

(٧) الغيبة للطوسي: ٢٩١.

(٨) انظر مثلاً: مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٣ ؛ نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٣٥، ٢٥٤ حيث ورد أنّ ذلك كان في أوخر مرجعيّة السيّد الحكيم﵀. وقد صرّح بعض تلامذته بأنّ ذلك كان تحديداً عام ١٩٧٠م. وذكر البعض أنّ ذلك كان آخر السبعينات (دور الأمّة في الدولة الإسلاميّة في فكر الإمام الشهيد الصدر، جعفر عبد الرزّاق)، وهو محلُّ نظر.

والمصدر الذي نقلنا عنه كلام الشيخ عبد الهادي الفضلي ليس شديد الوضوح في أنّ عدول السيّد الصدر﵀ عن رأيه السابق وتبنّيه رأيه الجديد كان تأثّراً بالسيّد الخميني﵀ سنة ١٣٨٩هـ (منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٢٠٦)، خاصّةً وأنّه يذكر أنّ رأي السيّد الخميني﵀ كان قد وصل إليهم قبل هجرته إلى النجف الأشرف. ومن هنا فإنّ تاريخ عدوله﵀ إلى ولاية الفقيه ليس محدّداً بشكل واضح. وليس بعيداً أن يكون ذلك قبل هذه السنة وأنّ السيّد الصدر﵀ بدأ يتّجه إلى توثيق التوقيع المبارك والقول بولاية الفقيه استناداً على ذلك في أواسط الثمانينات الهجريّة، وتقريب ذلك:

أنّ السيّد الصدر﵀ تعرّض للتوقيع المبارك في دورته الأصوليّة الأولى ضمن مبحث الاستدلال على حجّيّة خبر الواحد بالسنّة (مباحث الأصول ٢: ٥١٢)، وقد وصل﵀ إلى هذا البحث في ٥/ربيع الأوّل/١٣٨٥هـ (انظر الملحق رقم٥)، وهذا يقوّي ما احتملناه، ولا حزازة في أن يطلق على هذه الفترة (أواخر مرجعيّة السيّد الحكيم﵀). ويظهر من

وكأنّ المشكلة كانت عند السيّد الصدر رحمه الله مشكلة سنديّة حيث لم يرد توثيق بحق إسحاق بن يعقوب الواقع في سند التوقيع، حتّى توصّل رحمه الله إلى توثيقه لاحقاً[١]، لكن لا عن طريق نظريّة التعويض الرجاليّة كما ذكر السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله[٢]، وإنّما عن طريق حساب الاحتمالات وفقاً لما ذكره رحمه الله في مجلس درسه الأصولي في مقام الاستدلال على حجيّة خبر الواحد بالسنّة سنة ١٣٨٥هـ:

«ومنها: ما رواه الشيخ في كتاب الغيبة عن جماعة، عن جعفر بن محمّد بن قولويه و أبي طالب الزّراري و غيرهما كلّهم عن محمّد بن يعقوب، عن إسحاق بن يعقوب، قال: «سألت محمّد بن عثمان أن يوصل لي كتاباً سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ، فورد التوقيع بخطّه: «أمّا ما سألت عنه أرشدك اللّه وثبّتك» إلى أن قال: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة [حديثنا] فإنّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة اللّه».

و الإرجاع إلى الرّواة في تلك الحوادث إمّا هو إرجاع إليهم باعتبار كونهم مخبرين عن الرواية المتعلّقة بالحادثة، وإمّا إرجاع إليهم باعتبار كونهم مستنبطين لحكم الحادثة من الرواية، وإمّا إرجاع إليهم باعتبار كونهم حكّاماً وولاة في مقام حلّ المشكلات التي نجمت عن تلك الحادثة، وتماميّة دلالة الرواية متوقّفة على أحد أمور ثلاثة:

١ ـ استظهار الإرجاع بالمعنى الأوّل منها.

٢ ـ تتميم إطلاقها للإرجاع بتمام أقسامه.

٣ ـ دعوى الملازمة بين الأوّل و بين ما فرضت دلالة الرواية عليه من المعنى الثاني أو الثالث.

و هذا بحث مفصّل مرتبط بمسألة ولاية الحاكم الشرعي.

فإن أتممنا دلالة هذه الرواية بأحد هذه الوجوه الثلاثة تكون مؤيّدة للرواية الأولى.

و لولا نقص واحد فيها لكانت أيضاً قطعيّة تقريباً أو تحقيقاً، فإنّه يرويها الشيخ في كتاب الغيبة عن جماعة عن جماعة عن الكليني، ومن المستبعد جدّاً بحساب الاحتمالات تواطؤ كلّ من الجماعتين على الكذب، خصوصاً أنّ هناك طريقاً آخر إلى الكليني وهو طريق الصدوق عن محمّد بن محمّد بن عصام ـ الذي لم يثبت توثيقه ـ عن الكليني، فهذا يدعم الطريق الأوّل، فيكون صدور هذه الرواية من الكليني مورداً للاطمئنان الشخصي. والكليني يروي هذه الرواية عن الإمام عليه السلام بواسطة واحدة، وهذا يوجب قوّة هذه الرواية. إلاّ أنّ نقطة الضعف فيها هي أنّ تلك الواسطة ـ و هو إسحاق بن يعقوب ـ لم يشهد بوثاقته. نعم هو شخص حدّث الكليني بورود توقيع إليه من صاحب الزمان عجّل اللّه تعالى فرجه الشريف، ولا

كلام السيّد كاظم الحائري الآتي: «أفاد رضوان اللّه عليه في وقت آخر بعد ذلك عندما أراد إثبات ولاية الفقيه» أنّ تبنّي السيّد الصدر رحمه الله الواضح للمسألة كان متأخراً عن التاريخ الذي حدّدناه، ولكنّه قد لا يكون بعيداً جدّاً.

(١) البعض قد لا يتوقّف كثيراً عند تصحيح مجموعة من الروايات أو عدمه من أجل تبنّي ولاية الفقيه، وهناك إشكالٌ مثارٌ ومفاده أنّه لا يعقل أن يكون القول بولاية الفقيه ـ وهي نظريّة واسعة تفترض وجود دولة إسلاميّة أو تسعى إلى تحقيقها ـ متوقّفاً على توثيق شخص ورد في رواية. ومن هنا يلتزم بعض القائلين بالولاية بأنّ دليلهم ليس الروايات بالدرجة الأولى وإنّما هي بمثابة المؤيِّد، ويقولون إنّ عدم وفرة الروايات راجعٌ إلى وضوح الأمر، بينما يتمسّك الفريق الآخر بالدليل نفسه ـ عدم وفرة الروايات ـ لنفي الولاية، إذ لو كانت ثابتة لتظافرت حولها الروايات.

(٢) النظريّة السياسيّة عند الشهيد الصدر: ٢٥٣. ويبدو أنّ السيّد الحكيم رحمه الله قد عدل عن هذه الفكرة لاحقاً، حيث لم يذكرها لدى إعادة نشر البحث نفسه في مكان آخر (نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٣٥)، وقد نبّه إلى ذلك السيّد محمّد الحسيني (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٣٣٥).

أقل من أنّ الكليني احتمل صدقه. ومن المعلوم أنّنا لو ضممنا هذا إلى ما نقلناه عن الشيخ الطوسي‌ﭬ من أنّ التوقيعات من قبل صاحب الزمان‌ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ كانت لا ترد إلاّ إلى المتّقين الورعين لربّما حصل الظنُّ بأنّ إسحاق بن يعقوب صادق، إذ كان بنحو احتمل الكليني ـ على الأقلّ ـ صدقه مع عدم ورود التوقيع إلاّ إلى الممتازين، فلا يحتمل صدق ذلك في حقّ كلّ أحد. وهذه على أيّ حال أمارة ظنيّة، وهي تفيد في حساب الاحتمالات وتأييد الرواية الأولى. فإذا ضممنا إلى هذه المؤيّدات المؤيّد الآخر ـ وهو سائر الروايات الدالّة على حجيّة خبر الثقة التي ليست فيها نكتة خاصّة ـ كانت دعوى الاطمئنان الشخصي في المقام دعوى واضحة، وتحصل لنا السنّة القطعيّة لا من الناحية العدديّة، بل من الناحية الكيفيّة»[1].

وعلّق السيّد كاظم الحائري على كلام أستاذه:

«أفاد رضوان اللّٰه عليه في وقت آخر بعد ذلك عندما أراد إثبات ولاية الفقيه أنّ إسحاق بن يعقوب نقطع بوثاقته، لأنّ افتراء توقيع على الإمام في ظرف غيبة الإمام وفي ظرف تكون للتوقيع قيمته الخاصّة بحيث لا يرد إلاّ للثقات الخواصّ، وقدسيّته في النفوس افتراء توقيع على الإمام في ظرف من هذا القبيل لا يحتمل صدوره عادة إلاّ من خبيث رذل. إذن فهذا الشخص أمره دائر بين أن يكون في منتهى درجات الوثاقة أو أن يكون من الخبثاء والسفلة، ولا يحتمل عادةً كونه متوسّطاً بين الأمرين. ولو كان الثاني هو الواقع لما أمكن عادة خفاء ذلك على الكليني ـ مع ما هو عليه من ضبط و دقّة ـ بحيث يحتمل صدقه في نقل ورود التوقيع.

أقول: إنّ هذا الكلام تامّ حتّى مع عدم شهادة الشيخ في (الغيبة) باختصاص ورود التوقيع على ثقات كبار، فإنّ طبع الغيبة وتكتّم الإمام‌ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ يقتضي هذا الاختصاص سواء ذكره الشيخ الطوسي في كتاب (الغيبة) أو لا.

وبهذا يتّضح أنّ احتمال الكذب في إسحاق بن يعقوب غير موجود، أو يطمأنّ بعدمه، واحتمال الخطأ منه ـ خصوصاً في التوقيع الخطّي ـ بعيدٌ أيضاً. فهذا الحديث يشبه الحديث الأوّل في القطعيّة أو الاطمئنانيّة»[2].

---

(١) مباحث الأصول ٢: ٥١٢ ـ ٥١٤.

(٢) مباحث الأصول ٢: ٥١٣ ـ ٥١٤ ؛ وانظر: أساس الحكومة الإسلاميّة: ١٤٧ ـ ١٥٠، ٢١٠ ـ ٢١٥.

وهناك عدّة أحاديث يستند إليها القائلون بالولاية المطلقة، ربّما كان أهمّها:

١ ـ مقبولة / صحيحة عمر بن حنظلة:

محمّد بن يحيى عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن عيسى عن صفوان بن يحيى عن داود بن الحصين عن عمر بن حنظلة قال: «سألت أبا عبد اللّٰه‌ﻋﻠﻴﻪﺍﻟﺴﻼﻡ عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعةٌ في دين أو ميراث فتحاكما إلى السّلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟! قال: من تحاكم إليهم في حقٍّ أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطّاغوت، ومّا يحكم له فإنّما يأخذ سحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً، لأنّه أخذه بحكم الطّاغوت وقد أمر اللّٰه أن يكفر به. قال اللّٰه تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (النساء: ٦٠)، قلت فكيف يصنعان؟! قال: ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنّما استخفّ بحكم اللّٰه وعلينا ردّ، والرّادّ علينا الرّادّ على اللّٰه وهو على حدّ الشّرك باللّٰه» (الكافي ١: ٦٧ ـ ٦٨).

وقد عُرفت هذه الرواية بمقبولة عمر بن حنظلة لأنّه لم يرد في حقّ ابن حنظلة توثيقٌ في كتب الرجال. ولكنّ السيّد الخميني‌ﺭﺣﻤﻪﺍﻟﻠﻪ يعتبر أنّ القرائن المذكورة في محلّها إذا لم تدلّ على وثاقته، فلا أقلّ من دلالتها على حسنه (كتاب البيع ٢: ٦٣٨ ـ ٦٣٩).

أمّا السيّد الصدر‌ﺭﺣﻤﻪﺍﻟﻠﻪ فيقول: «وأمّا من ناحية السند فعمر بن حنظلة لم يوثّق في كتب الرجال، ولكنّنا نثبت وثاقته بناءً

وعلى أيّة حال، فقد راح﵀ يطرح هذه النظريّة ضمن نطاق ضيّق على أنّها الصيغة الشرعيّة التي تستوعب فئات الأمّة بمن فيها التنظيمات والأحزاب(١).

وفي هذه الفترة ـ أوائل حكم البعثيّين ـ سأله السيّد عبد الهادي الشاهرودي عن [شكل] الحكومة الإسلاميّة، فأجابه﵀ بأنّ للفقيه أن يختار إحدى الأطروحات الإسلاميّة المشكّلة من فتاوى ونصوص وآراء العلماء ويحكم من خلالها وإن لم تكن موافقة لفتواه. ثمّ سأله لاحقاً بالواسطة ـ بعد هجرته من العراق ـ حول ولاية الفقيه وقوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾(٢)، فجاءه الجواب بعد أيّام بأنّ صلاحية الفقيه تصل إلى هذا الحدّ ولكنّه لا يعمل هذه الولاية فعلاً(٣).

محنة الأكراد

كانت محنة الأكراد في شمال العراق محلّ عناية السيّد الصدر﵀. فعندما شنّت السلطة البعثيّة

على ما حقّق في محلّه من كفاية نقل أحد الثلاثة عن أحد لإثبات وثاقته، وهم ابن أبي عمير والبزنطي وصفوان بن يحيى، فإنّه وإن لم يروِ أحدٌ منهم عن عمر بن حنظلة، ولكن قد روى يزيد بن خليفة أنّه قال للإمام﵇: «إنّ عمر بن حنظلة أتانا عنك بوقت»، فقال: «إذاً لا يكذب علينا». فهذا توثيق من قبل الإمام الصادق﵇ لعمر بن حنظلة، والراوي لهذا الحديث ـ وهو يزيد بن خليفة ـ لم يوثّق، لكن قد روى عنه صفوان بن يحيى على ما جاء بسند معتبر في الكافي في باب كفارة الصوم وفديته» (مباحث الأصول ٥: ٧٠١).

أقول: إنّ سند الرواية المتقدّمة هو على النحو التالي: علي بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن يونس عن يزيد بن خليفة قال: قلتُ لأبي عبد الله﵇: «إنّ عمر بن حنظلة أتانا عنك بوقت»، فقال أبو عبد الله﵇: «إذاً لا يكذب علينا» (الكافي ٣: ٢٧٥).

وإذا لم يرد توثيقٌ في حقّ يزيد بن خليفة نفسه، فإنّه يُمكن توثيقه بإحدى وسيلتين:

الأولى: رواية يونس عنه عند من يعتبر كفاية رواية أحد أصحاب الإجماع عن شخص لإفادة وثاقته.

الثانية: وهي التي اعتمدها السيّد الصدر﵀، وهي رواية صفوان بن يحيى عنه (الكافي ٤: ١٤٤) عند من يرى كفاية رواية أحد الأجلاّء الثلاثة: محمّد بن أبي عمير وصفوان ين يحيى وأحمد بن محمّد بن أبي نصر البزنطي.

وحيث إنّ السيّد الصدر﵀ يرى صحّة المبنى الثاني، فقد التزم بوثاقة يزيد بن خليفة، وبالتالي وثّق عمر بن حنظلة (بحوث في علم الأصول ٧: ٣٧٠ ؛ مباحث الأصول ٥: ٧٠١)، فتكون صحيحة عمر بن حنظلة لا مقبولته.

ولكن يبدو أنّ النوبة لا تصل إلى الوسيلة الثانية التي سلكها السيّد الصدر﵀ طالما أنّه يلتزم بالمبنى الثاني الذي ذكرناه، فإنّ صفوان بن يحيى روى مباشرةً عن ابن حنظلة (من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٦١)، فلا نحتاج إلى اللجوء إلى توثيق يزيد بن خليفة لكي نوثّق روايةً تمدح ابن حنظلة.

هذا ما يتعلّق بالسند، أمّا الدلالة فيبدو أنّ السيّد الصدر﵀ لم يستفد من الحديث الولاية العامّة للفقيه، وإلاّ لنقلت ضمن ما استند إليه، وذلك خلافاً للسيّد الخميني﵀ (كتاب البيع ٢: ٦٤١).

التوقيع المبارك

وهو ما رواه الشيخ الصدوق﵀ عن محمّد بن عصام الكليني عن الشيخ الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألتُ فيه عن مسائل أشكلت عليّ فوردت في التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان﵇: أمّا ما سألتَ عنه أرشدك الله وثبّتك... وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإّهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم» (كمال الدين وتمام النعمة ٢: ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

والكلام حوله قد تقدّم في المتن من ناحية السند، ولم يردنا مزيد تفصيلٍ حول كيفيّة دلالة المتن عنده﵀.

(١) طريقة حزب الله في العمل الإسلامي: ٨٩.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).

حربها ضدّ المسلمين الأكراد في عام ١٩٦٩ـ١٩٧٠م(١)، جمع السيّد الصدر ﵀ خيرة تلامذته متحدّثاً عن مشاكل وأوضاع الأمّة، وتطرّق إلى هذه الحرب الظالمة وطلب منهم أن يتحسّسوا الآلام والمحن التي يعيشها الشعب الكردي المسلم. ومن المعروف أنّ السيّد الصدر ﵀ امتنع عن إعطاء فتوى في مقاتلة الأكراد حيث طلب منه البعثيّون ذلك وقال: «**لا حول ولا قوّة إلاّ بالله، كيف تستحلّ دماء المسلمين؟!**»(٢)، كما أنّه حرّم على كلّ ضابط أو جندي المشاركةَ الفعليّةَ بشكل أو بآخر في هذه الحرب، وأكّد على ضرورة التخلّص من هذا المأزق الشرعي(٣).

إشكالٌ على المنهج الكلامي السائد

في حدود هذه السنة، كتب السيّد عمّار أبو رغيف ـ وهو في السابعة عشرة من عمره ـ بحثاً حول العصمة، وقدّمه إلى السيّد الصدر ﵀ ليسجّل ملاحظاته عليه، فاستمهله السيّد الصدر ﵀ قليلاً. ولمّا رآه في المرّة الثانية، اعتذر السيّد الصدر ﵀ ببعض المشاغل التي شغلته عن قراءة البحث، إلاّ أنّه وعده بقراءته في أقرب فرصة. ولمّا التقى به ثانيةً، سرد له السيّد الصدر ﵀ جملةً من الملاحظات هنا وهناك، وثمّ عقّب على ذلك قائلاً: «**بغضّ النظر عن هذه الإشكالات الجزئيّة هنا وهناك، فإنّ لديّ إشكالاً أساسيّاً على المنهج الكلامي السائد بأسره**»(٤).

كما سأله يوماً ـ ولم يتجاوز العقد الثاني ـ قائلاً: «**سيّدنا! هل لديكم بحثٌ حول الوجوديّة؟**»، فأجابه بلهجة توحي بعدم الاهتمام بأنّ هناك مقالات متناثرة نشرت في بعض الإصدارات دون أن يذكر اسمهاً، فسأله عن بواعث عدم الاهتمام هذا فأجاب ﵀: «**إنّ الوجوديّة لا تمتلك صورة برهان**»، أي ـ والكلام للسيّد أبو رغيف ـ لم تطرح فكرها عبر نظام نظري محدّد المعالم(٥).

الشيخ محمّد رضا النعماني يفد على السيّد الصدر ﵀

في هذا العام قام الحاج نعيم النعماني بإحضار الشيخ محمّد رضا النعماني وثلاثة أشخاص آخرين إلى السيّد الصدر ﵀ ليتعرّفوا عليه. وعندما تمّت النيّة على الانخراط في سلك الحوزة، نصحهم السيّد الصدر ﵀ بعدم الرجوع إلى أهلهم قبل سنة يقضونها في النجف(٦).

لقاء مع صباح زنگنه

عام ١٣٣٨هـ ش (١٣٨٩هـ) قصد الأستاذ صباح زنگنه ـ نائب شيراز ـ النجف الأشرف لزيارة

---

(١) لا بدّ أن يرجع تاريخ هذه الأحداث إلى ما قبل ١١/آذار/١٩٧٠م (٣/محرّم/١٣٩٠هـ)، وهو تاريخ وقف الاقتتال مع الأكراد (قصّة وتاريخ الحضارات العربيّة بين اليوم والأمس ٥: ١٠٩ ؛ الإمام محمّد باقر الصدر معايشة من قريب: ٨٢). وقد تجدّدت الحرب عام ١٩٧٤م.

(٢) قبسات من حياة آية الله السيّد محمّد باقر الصدر، حزب الله: ١١ ؛ الإمام الصدر في أعماله السياسيّة: ١٤.

(٣) انظر مثلاً: الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ٣٣.

(٤) حدّثني بذلك السيّد عمّار أبو رغيف ؛ وانظر: ماذا جاء حول كتاب (فلسفتنا)، إطلالة على مدرسة الشهيد الصدر الفلسفيّة: ٤٨.

(٥) الأسس المنطقيّة للاستقراء وإشكاليّات الحداثة (مخطوط) ؛ الأسس المنطقيّة للاستقراء وإشكاليّات الحداثة، صحيفة (الصباح)، العدد (٥٤٨)، ٢٠٠٥/٥/١٢م: ٤.

(٦) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

السيّد الصدر﵀ من أجل طرح بعض المسائل الفكريّة والاجتماعيّة.

وعندما دقّ جرس الباب فتح له السيّد الصدر﵀ بنفسه واستقبله ببشاشة، وقد ترك هذا اللقاء في نفس الأستاذ صباح الأثر الكبير(١).

لقاء مع الشيخ عبد الزهراء البندر

في أوائل العام ١٩٧٠م (شوال ـ ذي الحجّة/١٣٨٩هـ)(٢)، كان الشيخ عبد الزهراء البندر في مرحلة الماجستير في جامعة بغداد، وكان قد اتّفق مع أستاذه الدكتور جعفر آل ياسين نجل الشيخ مرتضى آل ياسين﵀ على أطروحته حول معالجة نظريّة (البداء) عند الملاّ صدرا الشيرازي﵀. هنا أشار الدكتور آل ياسين على الشيخ البندر بالالتقاء بابن عمّته السيّد محمّد باقر الصدر لكي يسترشد بآرائه وأفكاره حول نظريّة البداء، وكتب له رسالة تعريف إلى السيّد الصدر﵀.

عندما وصل الشيخ البندر إلى دار السيّد الصدر﵀ التقى به وسلّمه الرسالة، فاستبشر السيّد الصدر﵀ بذلك وأعطاه موعداً في اليوم التالي حيث التقى به لمدّة ساعة عالج فيها السيّد الصدر﵀ بشكل مفصّل ومستوعب وممنهج نظريّة البداء عند الملاّ صدرا﵀، وقد درسها من جوانبها المختلفة، فهي على المستوى الفلسفي كذا وعلى المستوى الكلامي كذا... وكان الشيخ البندر يسجّل ملاحظاته. ومن ثمّ سأله بعض الأسئلة وانصرف مودّعاً(٣).

لقاء مع الدكتور طه الديواني

كان الدكتور طه الديواني يعدُّ أطروحة في الفقه الإسلامي حول (الإثراء بلا سبب). وقد التقى في هذا المجال بالسيّد الصدر﵀ الذي تحدّث معه قليلاً قبل الدخول في أيّ موضوع. ثمّ قال الدكتور: «**سيّدي الجليل، لقد اخترتُ موضوعاً لكتابة دراسة فقهيّة قانونيّة مقارنة [حول] الإثراء بلا سبب**»، فالتفت إليه السيّد وسأله عن تحصيله العلمي وعن دراسته واطّلاعه الفقهي والقانوني، ثمّ قال: «**ما هي درجة معرفتك باللغة الفرنسيّة؟!**»، فقال: «**لكن يا سيّدي ما علاقة كلّ ذلك بموضوع الأطروحة المقترح؟!**»، فالتفت السيّد وقال: «**نعم، إنّ هذا الموضوع الذي تريد أن تكتب فيه قد تناوله فقهاء القانون الفرنسي وأشبعوه بحثاً، وإنّ هناك عشرات الدراسات التي كتبت فيه**»، ثمّ راح يتحدّث عن أبعاد الموضوع وتفريعاته وصعوباته بالنسبة إلى الدكتور(٤).

مع الدكتور عبد الحسين شعبان

بعد أن قرأ الدكتور عبد الحسين شعبان كتاب (فلسفتنا) رغب في زيارة السيّد الصدر﵀، فاصطحبه إليه أحد أصدقائه الذي عرّفه إلى السيّد الصدر﵀ قائلاً: «**فلان من عائلة فلان، عاد لتوّه من أوروبا (براغ)، وقرأ كتابكم (فلسفتنا)، وهو معجبٌ به رغم أنّه علماني، ولكنّه يودُّ التبرّك بمعرفتكم**

---

(١) زندگی نامه شهيد آيت الله صدر (فارسي): ٦٣ ـ ٦٤، نقلاً عن الأستاذ صباح زنگنه.

(٢) ذكر الشيخ البندر من ناحية أنّ هذا اللقاء كان في أوّل العام ١٩٧٠م، ومن ناحية ثانية ذكر أنّ اللقاء كان في «صيفٍ قائضٍ حار»، ولم أجد وجهاً للجمع بين القولين، فأخذت بأحدهما.

(٣) مجلّة شؤون إسلاميّة، العددان (٨ ـ ٩)، ١٤٢١ ـ ١٤٢٢ هـ: ١٩١ ـ ١٩٢.

(٤) صحيفة (بدر)، العدد (٩٣)، في حديثٍ مع الدكتور طه الديواني. وقد أدرجنا الحادثة هنا من باب المناسبة.

وبفكركم النيّر والسماع إليكم، ومهما يكن من أمر فكلُّ امرئٍ تحكمه أصوله».

وقبل أن يتحدّث عن الحتميّات التاريخيّة وتعاقب المراحل الذي أخذ نصف اللقاء، أشار موجّهاً كلامه إلى الصديق بأنّ الإيمان في القلوب، والأساس هو خلوص النيّة وعمل الخير والبحث عن الحقيقة، فالنخبة والمعنيّون من رجال الفكر والرأي مسؤوليّاتهم أكبر، وعليهم يقع في نهاية المطاف تحديد الطريق الصحيحة واكتشاف الحقيقة كما هي وكما يريدها راعي العباد[(١)].

مع الأستاذ كريم الوائلي

ويُشار استطراداً إلى أنّ الأستاذ كريم الوائلي عندما كان مشغولاً في القاهرة بفلسفة الجمال ونظريّة الأدب الإسلامي، كان يعاني من إشكالات على صعيدي فلسفة الجمال الإسلامي ونظريّة الأدب القائمة عليها، ولذلك كلّف صديقه (بنوان سكّر اللامي) أثناء رحلته إلى العراق أن يتّصل بالسيّد الصدر رحمه الله ويعرض عليه فكرة هذا الموضوع ليؤسّس بعض أصوله، فكان ردّ ص رحمه الله ـ على ما نقل بنوان ـ: «**إنّ هذه مسؤوليّتكم وأنتم تضطلعون بها**»[(٢)].

طالب سوري يعتزل الماركسيّة

كان أحد الطلاّب السوريّين المتبنّين للماركسيّة قد سافر إلى فرنسا لأجل دراسة العلوم السياسيّة، وهناك حضر على يد أكابر الشيوعيّين. وبعد فترة من رجوعه إلى مدينة حلب راح يمارس العبادة ويؤدّي صلواته اليوميّة، فسأله أحد المشايخ من أرحامه عن سبب ذلك فأجابه: «**وقع بيدي كتاب (فلسفتنا) وهو للسيّد محمّد باقر الصدر، فعرفت أنّ هذه الكتاب استوعب الماركسيّة أكثر من أهلها، ونقدها بما لم يستطع نقدها أكبر مناوئي الماركسيّة، وهو ما لم أسمعه من كلّ أساتذتي في جامعة السوربون وغيرهم من المحاضرين الغربيّين، فقرأته باستيعاب وغيّرتُ مجرى حياتي بالدليل والبرهان**»[(٣)].

إثبات وجود الله تعالى من خلال الفيزياء

وزاره رجلان من بغداد وقالا للسيّد الصدر رحمه الله: «**أثبت لنا وجود الله**»، فقال لهما: «**ما هو اختصاصكم وماذا تدرسون؟**»، فقال أحدهما: «**أنا في فرع الفيزياء**»، فأثبت له وجود الخالق من خلال الحرارة المكتسبة والحرارة المفقودة[(٤)].

---

(١) صحيفة (المنبر)، العدد (٥٢)، في حديثٍ مع الدكتور عبد الحسين شعبان، والمعنى المنقول مضطرب ومشوّش شيئاً ما.

(٢) الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور جودت القزويني ٧: ٦١، نقلاً عن الأستاذ كريم الوائلي نقلاً عن بنوان سكر اللامي.

(٣) كتاب الروض الخميل، الدكتور جودت القزويني، مخطوط، نقلاً عن السيّد حسين الصدر بتاريخ ١٩٨٤/٢/١٠م نقلاً عن الشيخ المذكور في القصّة ؛ وقد جاء في مقابلة مع السيّد عبّاس الموسوي رحمه الله (ﷺ) أنّه نقل عن أحد الشيوعيّين أنّه لم يفهم الشيوعيّة فهماً عميقاً إلاّ من خلال رودو السيّد الصدر رحمه الله عليها في (فلسفتنا) و(اقتصادنا). كما نقل السيّد محمّد محمّد الحيدري أنّ أحد الشيوعيّين قال لأحد الإسلاميّين ـ وكانا سجينين في أوائل السبعينات ـ إنّ السيّد محمّد باقر الصدر قد استوعب النظريّة الشيوعيّة أكثر من معظم الشيوعيّين أنفسهم (الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٧).

(٤) خواطر محفوظة بدون سند (ﷺ).

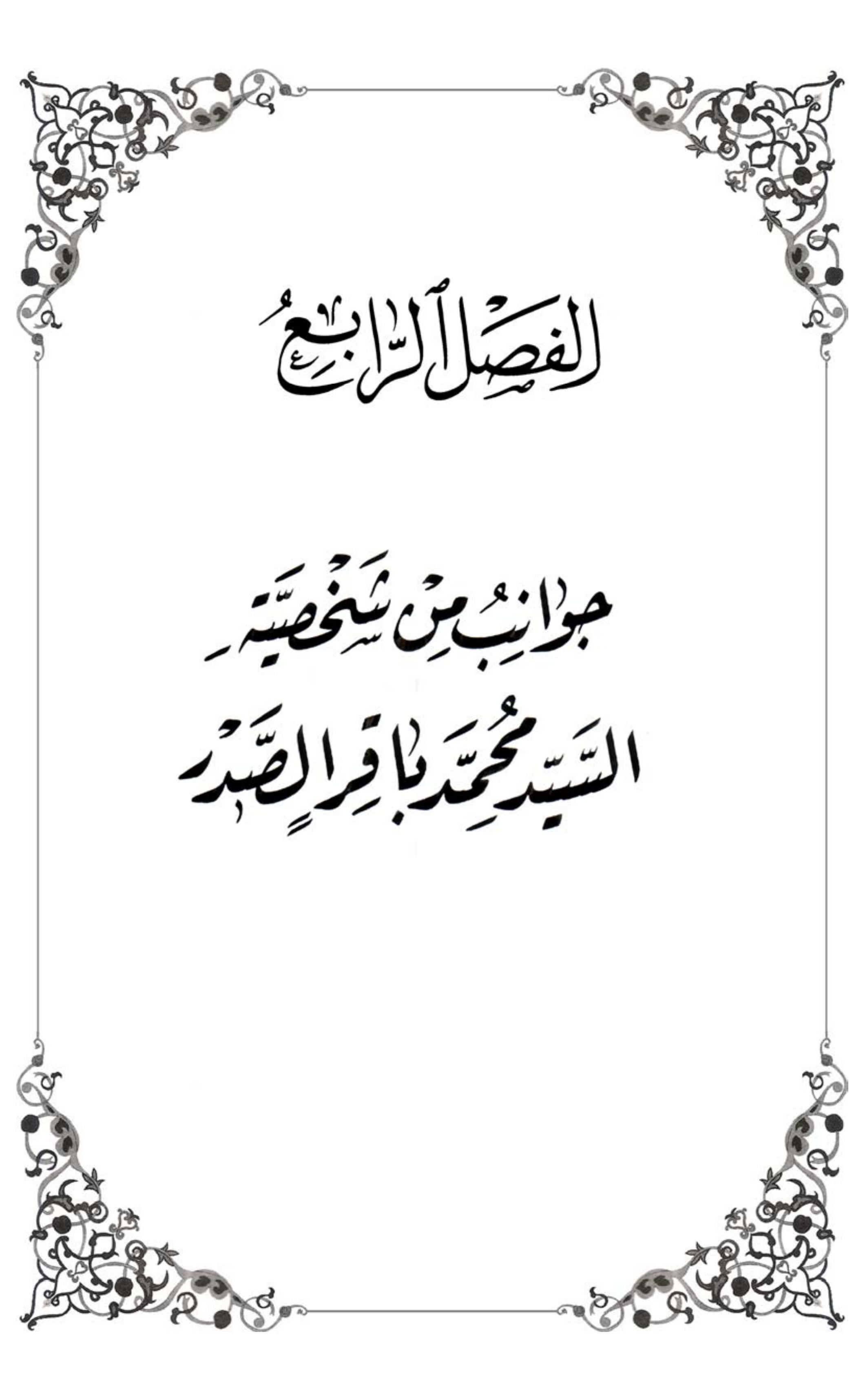
مع قاضي القضاة وأستاذ في فرنسا

نشير استطراداً إلى ما نقل من أنّ قاضي القضاة في السعوديّة كتب كتاباً في الاقتصاد وأرسله إلى السيّد الصدرؒ مع رسالة خطيّة يذكر له فيها أنّه قرأ كتاب (البنك اللاربوي في الإسلام)، وطلب منه إبداء ملاحظاته حول الكتاب الذي أرسله. وينقل المصدر نفسه أنّ أستاذاً في جامعة فرنسا صاحب كتاب في الاقتصاد أرسل إلى السيّد الصدرؒ رسالةً أعرب فيها عن إعجابه بكتاب (اقتصادنا) وذكر له فيهًا أنّه أرشد طلاّبه إلى هذا الكتاب[1].

* * *

---

(١) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (ﷺ)، ولعلّ الأستاذ المذكور هو روجي غارودي كما يأتيك ضمن أحداث سنة ١٣٩٧هـ إن كان له كتابٌ في الاقتصاد أو لم يكن لديه وكان الاشتباه في النقل.



الفصل الرابع

جوانب من شخصية السيد محمد باقر الصدر

قبل أن نصل إلى الحديث عن أحداث سنة ١٣٩٠هـ ـ والتي شكّلت أحداثها مرحلةً جديدةً من حياة السيّد الصدر ـ سوف نخرج قليلاً عن المنهج الترتيبي الذي التزمنا به لنسلّط الضوء على بعض الأمور المرتبطة بشخصيّة السيّد الصدر والتي يُفترض أن تكون قد تكوّنت وتبلورت جيّداً في هذه المرحلة. وأترك الحديث عن كثيرٍ من الخصال التي تتضّح معالمها إن شاء الله تعالى ضمن مباحث الكتاب:

عبادته[1]

يقول السيّد محمود الخطيب: «**كان دائم الذكر والتسبيح، يكثر من قول (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر)... وكان مواظباً على صلاة الليل باكياً، كنتُ أفيق من نومي على بكائه ومناجاته عندما كنتُ أذهب معه للمبيت في الكوفة**»[2].

ويقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**وحدث أن جاء قبل تلك الفترة ضيفٌ ذو شأن كبير من لبنان، وكان وصوله بعد أذان الظهر بقليل، وكان السيّد الشهيد جالساً على مصلاّه، فأخبرته بوصول ـ فلان ـ فأمرني باصطحابه إلى الغرفة، وقام فجلس في الزاوية التي اعتاد الجلوس فيها من الغرفة متهيّئاً لاستقبال ضيفه. وبعد دقائق صعدت إلى الغرفة مع الضيف وإذا بي أرى السيّد الشهيد قد وقف يصلّي وهو في حالة من الانقطاع والخشوع العجيبين وكأنّه لم يكن على موعد مع أحد.**

وكنتُ فيما سبق من الأيّام أتربّص الفرص لأصلّي خلفه جماعةً في البيت، فكان في أحيان كثيرة يجلس في مصلاّه فكنت أجلسُ خلفه وقد دخل وقت الصلاة، بل قد يمضي على دخول وقتها أكثر من نصف ساعة والسيّد الشهيد جالسٌ مطرقٌ برأسه يفكّر، ثمّ فجأة ينهض فيؤدّي الصلاة.

هذه الأمور وغيرها دفعتني في يوم من الأيّام للاستفسار منه عن سبب هذه الظاهرة، فقال: (إنّي آليت على نفسي منذ الصغر أن لا أصلّي إلاّ بحضور قلب وانقطاع، فأضطرُّ في بعض الأحيان إلى الانتظار حتّى أتمكن من طرد الأفكار التي في ذهني حتّى تحصل لي حالة الصفاء والانقطاع، وعندها أقوم للصلاة)»[3].

وينقل أهله أنّه كان يطيل صلاته والخضوع والتأثّر في أثناء الصلاة واضحان عليه، وكان يعقّب بعد الصلاة ويؤدّي أكثر المستحبّات كلّما سنحت له فرصة أو كان لديه وقت[4].

وكان إذا أذّن لصلاة الظهر جدّد وضوءه مع أنّه كان يحافظ عليه.

وعندما كان يقرأ القرآن مرتّلاً يتفاعل مع الآيات التي فيها نارٌ أو وعيد، أو جنّة أو لطفٌ إلهي. وكان الشيخ محمّد رضا النعماني إذا سمعه يقرأ سورة الواقعة تأخذه حالة من الخشوع وكأنّه يسمعها للمرّة الأولى، وكانت أكثر ما تتجلّى الحالات العباديّة في شهر رمضان المبارك[5].

---

(١) انظر أيضاً أحداث سنة ١٣٨٧هـ عند سفره إلى حج بيت الله الحرام.

(٢) تلفيقاً بين مجموعة مذكّرات للسيّد محمود الخطيب.

(٣) سنوات المحنة وأيّام الحصار: ١٢٠ ـ ١٢١ ؛ شهيد الأمة وشاهدها ١: ٢١٨ ـ ٢١٩ ؛ وانظر: صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٥٩٦)، ١٨/شوّال/١٤١٣هـ نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

(٥) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديثٍ مع الشيخ محمّد رضا النعماني. وفي المصدر أنّه كان دائماً على وضوء

لقد كان ـ كما ذكرنا ـ يحافظ على وضوئه، فيجدّده في كلّ حين[١]، وكان إذا دخل مسجداً صلّى ركعتي تحيّة المسجد، وكان ملتزماً بصلاة الليل[٢].

وتنقل إحدى بناته أنّها كانت صغيرة وكان الجوّ في النجف الأشرف حارّاً جدّاً، وكانت الأسرة عادة تنام على السطح ليلاً، فكانت تستيقظ في بعض الليالي وتراه واقفاً على سجّادته يصلّي بخشوع وخضوع صلاة الليل. ومع أنّه لم تكن هناك ساعة ولكنّ الوقت كان بالتأكيد قبل أذان الفجر لأنّ البيت كان قريباً جدّاً من الحرم الحيدري الشريف، وكانت القبة الذهبيّة المشرّفة تُرى ويُسمع الأذان في أوقات الصلاة بوضوح[٣].

وفي شهر رمضان المبارك رأى السيّد علي أكبر الحائري السيّد الصدر في إحدى ليالي القدر ـ ولعلّها كانت الثالثة ـ في ساعة متأخّرة من الليل في حرم أمير المؤمنين، وكان يراقبه متأثّراً بحالته المعنويّة دون أن يراه السيّد.

وبعد أن انتهى من الزيارة وخرج، تعقّبه السيّد الحائري حتّى إذا وصل إلى قرب داره، بادره بالتحيّة والسلام إلى أن دخل الدار مع أنّ الوقت غير مناسب، وقد قبّل يده معتذراً وقال بعد أن كان شاكّاً في صحّة ما ينقل عن بعض العلماء من أنّ أفضل الأعمال هو مذاكرة العلم ـ : «**ما هو أفضل الأعمال في ليلة القدر؟!**»، فأجاب ما مضمونه: «**إنّ ما يبدو لي الآن أنّ أفضل الأعمال في ليلة القدر أشدّها تأثيراً في الارتباط الروحي والمعنوي بالله تبارك وتعالى**»[٤].

التزامه الزيارة

زيارة أمير المؤمنين

كان السيّد الصدر مواظباً على الحضور عند الإمام علي كلّ يوم[٥]، وكان يحفظ الزيارة عن

بدل «مع أنّه كان يحافظ عليه»، والمراد ما أثبتناه.

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٤٨)، ٧/شعبان/١٤٠٤هـ.

(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

(٤) صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٥)، ١٩/رمضان/١٤١٠هـ في حديث مع السيّد علي أكبر الحائري.

وينقل الشيخ [علي] آل إسحاق أنّ السيّد الصدر كان يأتي أحياناً إلى مدرسة البروجردي للمطالعة. وذات مرّة حان وقت الصلاة فأبلغه الشيخ آل إسحاق بذلك فأجابه: «نعم، ولكنّي أرى هذا أوجب من الصلاة في أوّل الوقت» مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (). وإذا ضممنا إليها سائر ما نقلناه، فمن المحتمل أن يكون في تلك الحادثة بالذات مشغولاً بأمر كان بنظره أهمّ من الصلاة في أوّل الوقت، ولذلك قال: «هذا»، أي ما بين يديه بالفعل، ويكون ما بين يديه بمنزلة إنقاذ الغريق التي يتقدّم على الصلاة في أوّل الوقت حال التزاحم. وإلاّ فلا وجه للقول بتقدّم المطالعة على الصلاة في أوّل الوقت؛ لأنّ المطالعة إن كانت أهم من الصلاة في أوّل الوقت ـ التي لها الفضيلة القصوى ـ فهي لا شكّ أهم منها في غير أوّل الوقت، فيلزم أن يُؤتى بالصلاة في آخر الوقت فقط لصيرورتها واجباً مضيّقاً، لأنّه إلى ما قبل المغرب مثلاً بمقدار الصلاة ستبقى المطالعة أهم، بل تزداد أهميّتها باعتبار تناقص فضيلة الصلاة كلّما اقتربنا من آخر الوقت. إضافة إلى أنّ افتراض أهميّة للمطالعة تفوق أهميّة الصلاة متوقّفٌ على كون المطلوب من وراء المطالعة متعيّناً تحصيلُه في أوّل وقت الصلاة.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٤٧)، ٣٠/رجب/١٤٠٤هـ ؛ وقد ذكر لي ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري ؛ من مذكّرات

ظهر قلب[١]. وقد تقدّم سابقاً أنّه كان ملتزماً منذ أيّام الصبا بالحضور عند أمير المؤمنين عليه السلام للاستلهام منه عليه السلام[٢]، وبقي على هذه الحال إلى آخر أيّامه[٣].

زيارة الإمام الحسين عليه السلام

أمّا بالنسبة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه لم يكن يتمكّن في الفترة الأولى من الذهاب إلى كربلاء في كلّ أسبوع، ولكن عندما تيسّرت له السيّارة لاحقاً، واظب عليها[٤] كلّ يوم خميس[٥]، فكان يذهب عصراً فيزور العبّاس والحسين عليه السلام، ثمّ يصلّي المغرب ويعود لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام[٦]. وكان يزور أبا الفضل العبّاس عليه السلام قبل زيارة أخيه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: «**إنّ الحسين عليه السلام يرضى أن نزور العبّاس قبله**»[٧].

يقول السيّد محمود الخطيب: «**كان ملتزماً بزيارة الحسين عليه السلام في ليالي الجمعة. التزمتُ معه زيارة الحسين عليه السلام منذ عام ٦٨ حتّى عام ٧٩م بلا انقطاع إلاّ إذا كان هناك مانع مرضي. وكان يبدأ بزيارة أبي الفضل العبّاس عليه السلام ثمّ يتوجّه للحسين عليه السلام. وكان يبدأ بزيارة عاشوراء ثمّ زيارة وارث، ويقف عند رأس الحسين. وعند شروع الزيارة ينهار بالبكاء والدموع تتساقط على لحيته الشريفة بحيث يلفت انتباه الزوّار.**

وفي أحد الأيّام رافق السيّد الشهيد إلى كربلاء الحجّة الشيخ محمّد جواد مغنيّة. وعند دخولنا إلى حرم الإمام الحسين عليه السلام جلس الشيخ مغنيّة أمام الساعة وهو ينظر إلى السيّد الشهيد وهو في حالة بكاء بصوت يسمعه الجميع، وكان الزوّار يقفون خلفه ويبكون معه، فقلتُ للشيخ مغنيّة: شيخنا! ما يصنع السيّد؟! قال الشيخ مغنيّة: إنّه يعرف من يخاطب ويعرف معنى الزيارة ومضامينها، كيف لا يبكي!

وقد رأيته مواظباً على زيارة عاشوراء كلّ يوم»[٨].

وقد اصطحبه الشيخ أديب حيدر ذات مرّة إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام فرأى منه العجب، فقد كان وهو يزور الإمام عليه السلام وكأنّه يتحدّث مع شخص حاضر أمامه[٩].

وكان مواظباً على زيارته عليه السلام في الزيارات المخصوصة، مثل الشعبانيّة والرجبيّة، كما كان مواظباً على صوم العاشر من محرّم الحرام وليلة القدر ويوم عرفة[١٠].

وكان بعض الأشخاص يتربّصون الفرصة للقائه، فينتظرونه يوم الخميس في المكان الذي اعتاد

أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط)، وقد جاء فيها: «..بحيث ينقل الطيّبون من سدنة الحرم أنّهم حتّى بعد شهادته كانوا يرونه في الساعة المعهودة يأتي ويزور».

(٢) وقد ذكر لي السيّد عمّار أبو رغيف أنّه كان حتّى آخر حياته ـ قبل الحجز ـ يحضّر درسه عنده عليه السلام.

(٣) سمعتُ ذلك من السيّد عمّار أبو رغيف.

(٤) ذكر لي ذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

(٥) ذكر لي ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٤م ؛ ثمّ الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م.

(٦) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٥٠)، ٢١/شعبان/١٤٠٤هـ.

(٧) ذكر لي ذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٧م.

(٨) من مذكّرات للسيّد محمود الخطيب ؛ وانظر: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦٤.

(٩) ذكر لي ذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(١٠) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

الجلوس فيه ليلتقوا به ويتحدّثوا معه، وكان رجلٌ من أهل الحلّة يقول: إنّ الشكّ قد ساوره فيما إذا كان يذهب لزيارة الإمام عليه السلام أم للقاء السيّد الصدر رحمه الله[١].

مع المشاة من زوّار الإمام الحسين عليه السلام

يُشار إلى أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يقدّم المال لزوّار الحسين عليه السلام من المشاة، وكان منهم ـ أي المشاة ـ السيّد محمود الهاشمي[٢]، وكان طلاّبه يذهبون إلى الزيارة مشياً، وكان ذلك تحت مرآه[٣].

وكان رحمه الله يشجّع على زيارة الأربعين والذهاب إلى الحرم الحسيني المطهّر مشياً على الأقدام، وكان هو يتمنّى ذلك ولكنّ الظروف المحيطة به لم تسمح له أبداً بذلك.

وقد وضع رحمه الله برنامجاً للـ(پياده) ـ المشاة ـ للذهاب إلى كربلاء مشياً على الأقدام بعد أن كانوا في السابق يخرجون من النجف الأشرف وتستمرّ رحلتهم حوالي ثلاثة أيّام، فأراد رحمه الله أن لا يؤثّر ذلك على وضعهم الأمني أو الصحّي، فسمح لهم بأن يذهبوا مشياً إلى قريب الغروب ويرجعوا إلى بيوتهم ليلاً، وفي اليوم التالي يذهبون بالسيارة إلى المكان الذي وصلوا إليه في اليوم السابق، وهكذا بهدف التسهيل عليهم ولكي يتمكّنوا من إنجاز المسير[٤].

يُشار إلى أنّه رحمه الله كان يجلس إلى الجهة اليمنى من السيّارة التي كانت تقلّه إلى كربلاء، وبعد ازدياد الخطر عليه من قبل السلطة اقترح عليه طلاّبه أن يجلس في الوسط ويجلس شخصان إلى يمينه ويساره ليخفّف ذلك من احتمال تعرّضه للخطر، ولكنّه لم يهتمّ لذلك[٥].

وكان الحاج عبد [صلوات] الركابي هو الذي يتكفّل غالباً باصطحاب السيّد الصدر رحمه الله إلى كربلاء، وكان إلى جانبه أشخاص آخرون يتناوبون على المسألة[٦].

---

(١) مقابلة مع الشيخ عبد الحليم الزهيري (حفظه الله).

(٢) ذكر لي ذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٥م.

(٣) ذكر لي ذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

وقد جاء في بعض ما كتبه الشيخ علي كوراني: «..إلى أن جاء تأثير فكر الإخوان المسلمين والإخوان الوهابيّين، فقام بعض المتأثّرين به بوضع شروط لثواب الزيارة ثمّ لمحتواها! فقالوا: إنّ ثواب الزيارة بمقدار ما فيها من عمل سياسي لمعارضة النظام وتوعية الأمّة على إقامة الحكم الإسلامي! وادّعوا أنّ الروايات التي تصف ذلك الثواب العظيم ناظرةٌ إلى ذلك الهدف مختصّة بظرفه، أمّا في مثل ظرفنا فثواب ذهابك إلى كربلاء بقدر الأجرة التي تعطيها للسيّارة، وقدر السلام العادي على الإمام الحسين عليه السلام والركعات التي تصلّيها هناك!

كنّا شبّاناً متحمّسين لزيارة كربلاء مشياً على الأقدام في المواسم أو بالسيّارة في ليالي الجمع، فكان بعض أساتذتنا يناقشنا بهذا الكلام ـ [أي ما يتعلّق بمحدوديّة ثواب الزيارة] ـ، وكان بعضنا يناقشه أو يسكت احتراماً له دون أن يقتنع» (مقدّمة كتاب الحق المبين، ط٢: ٦٧). وإذا كان يقصد السيّد الصدر رحمه الله ـ وأنا أطمئنٌّ من الخارج إلى أنّه يقصده ـ، فشهادته معارضة بالشهادات كافّة.

(٥) ذكر لي ذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٣١م.

(٦) ذكر لي ذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.

في رحاب الدعاء والزيارات الخاصّة

ممّا تنقله زوجته من حالاته أثناء الدعاء والزيارة أنّه كان يقرأ في اليوم العاشر من المحرّم مقتل الإمام الحسين عليه السلام لنفسه وبصوته الشجي. والغريب أنّه كان يقرؤه بلسان دعاء، أي بالطريقه التي يقرأ فيها الدعاء تماماً. وما أن يبدأ قراءة المقتل حتّى تتغيّر أحواله ويبكي كما تبكي المرأة الثكلى حتّى يصل إلى حال يخشون فيها عليه. والأمر نفسه يحصل عندما يقرأ دعاء عرفة، حتّى أنّ زوجته في بعض حالاته خشيت أن يصاب بنوبة قلبيّة وهو يقرأ دعاء عرفة فاقتربت منه ولمسته وحرّكته خشيةً عليه وقد رأته في حال انقطاع كامل، هكذا كان حاله تماماً وهو يقرأ المقتل والدعاء بلحن واحد ونبرة واحدة.

وكانت زوجته تسمعه مراراً وتكراراً يقرأ دعاء الندبة، والذي كان يلفت نظرها أنّه لا يقرؤه في أيّام الجمعة فقط، بل كان يقرؤه كلّما كانت هناك مشكلة وشدّة، وكان يقرؤه متضرّعاً متوسّلاً، بحيث أصبح مرتكزاً في ذهنها عندما تسمعه يقرؤه أنّ له حاجةً ملحّةً أو أمراً مهمّاً من أمور المسلمين. وآخر مرّة رأته فيها يقرؤه كانت في غرفته في الطابق العلوي في بيتهم في النجف الأشرف في محلّة العمارة، والواقع قرب الصحن الحيدري الشريف والذي هدّمه البعثيّون ضمن المحلّة كلّها بعد استشهاده[١].

تقول زوجته السيّدة فاطمة الصدر: «**كان لـه برنامج يومي لا يتخلّف عنه، لقراءة بعض الزيارات المخصوصة لعامة أئمّة أهل البيت عليهم السلام أو لخصوص الإمام الحسين عليه السلام، والله إنّ زيارة الجامعة الكبيرة كانت لـه برنامجاً ثابتاً ومعتقداً راسخاً.. إي وربّي، ما كان لسانه ليفتر عن اللهج بدعاء الندبة وزيارة عاشوراء. كم أكّد مراراً وتكراراً ـ وسمعتها منه ـ أنّه يعتمد كلّ ما في كتاب (مفاتيح الجنان)، ولقد كان يعتبر أنّ كلّ هذه المأثورات إنّما هي علائق ووشائج بين السماء والأرض ينبغي أن يُتعبَّد بها حرفيّاً، لأنّها باب عريضة إلى الملأ الأعلى، ووسيلة لا محيص عنها لاستنزال الفيض والرحمة**»[٢].

وذات يوم كان السيّد الصدر رحمه الله عند قبر الإمام الحسين عليه السلام في ليلة الجمعة يقرأ دعاء كميل، فتقدّم أحدهم بسؤال، فاعترض عليه أحد الجالسين بأنّه رحمه الله مشغول بقراءة دعاء كميل، فقال رحمه الله: «**إنّ السؤال يقرّبني إلى الله أكثر من الدعاء**»[٣].

زيارة عاشوراء والزيارة الجامعة

يذكر نجله السيّد محمّد جعفر جيّداً ـ وكان فتى في تلك المرحلة ـ أنّ والده كان مواظباً على زيارة الجامعة وزيارة عاشوراء ودعاء السمات ودعاء أبي حمزة الثمالي، وكان له بدعاء كميل أنسٌ خاص. كما كان رحمه الله يحمل أولاده في أيّام محرّم الحرام على قراءة زيارة عاشوراء كلّ يوم، ابتداءً من أوّل محرّم إلى يوم الأربعين، وكانوا يقرؤونها أحياناً معه، وأحياناً مع والدتهم[٤].

---

(١) من مذكّرات السيّد جعفر الصدر على موقع (والفجر) على شبكة الإنترنت نقلاً عن والدته.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٦٣.

(٣) خواطر محفوظة بدون سند (رحمه الله)، والمراد أنّ إجابته السائل هي التي تقرّب أكثر من الدعاء.

(٤) حدّثني بذلك السيّد محمّد جعفر الصدر.

وكان يقول عن زيارة عاشوراء: «**لا بأس أن يقرأها الواحد كلّ يومٍ صباحاً؛ فإنّ فيها بركة، وهي تدرّ الرزق**»[١]. وقد ورد في هذه الزيارة اللعنُ مائة مرّة، حيث جاء: «.. **اللهمّ العنهم جميعاً، تقول ذلك مائة مرّة..**»[٢]، وكذلك السلام حيث جاء: «.. **السلام على الحسين.. تقول ذلك مائة مرّة...**»[٣]. وقد أجاز رحمه الله اختصار ذلك، وعليه فالذي يُقرأ مائة مرّة هو (**اللهمّ العنهم جميعاً**) لا تمام الزيارة، وكذا في السلام فيقرأ مائة مرّة (**السلام على الحسين وعلى علي بن الحسن وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين**)[٤].

أمّا الزيارة الجامعة فقد تقدّم أنّه استناب السيّد كاظم الحائري بقراءتها نيابةً عنه قبيل سفره إلى لبنان عام ١٣٨٩هـ[٥]، ويبدو أنّه كان يحفظها كلاًّ أو بعضاً[٦]، وقد تقدّم بعضُ الكلام عنها أيضاً نقلاً عن زوجته.

مع أهل البيت عليهم السلام

الشهادة لعلي عليه السلام في نفسها من أفضل الطاعات

لقد تقدّم في هذا الكتاب أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب.

(٢) بحار الأنوار ١٠١: ٢٩٣.

(٣) بحار الأنوار ١٠١: ٢٩٦.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط). وقد أشار إلى هذين الرأيين السيّد محمّد رضا النوري النجفي مترجم (مفاتيح الجنان) (مفاتيح الجنان: ١٢)، ولكنّ الأكثر يذهب إلى التفسير الأوّل حيث ينبغي تكرار المقطع كلّه عند اللعن والسلام (انظر مثلاً: البلد الأمين: ٢٧٠ ـ ٢٧١ ؛ المصباح للكفعمي: ٤٨٤ ؛ مصباح المتهجّد: ٧٧٦ ؛ كامل الزيارات: ٣٣١ ؛ بحار الأنوار ١٠١: ٢٩٣ ؛ مفتاح الجنّات ٢: ٢٨٨ ؛ مفاتيح الجنان: ٥٣٣) ؛ وانظر كلاماً للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء رحمه الله حول الموضوع في: الفردوس الأعلى: ٦٢ ـ ٦٤.

ويُحتمل أن يكون استناد السيّد الصدر رحمه الله إلى ما جاء في (بحار الأنوار) حيث جاء: «... تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله... فلعن الله أمّةً... اللهمّ العنهم جميعاً، تقول ذلك مائة مرّة، ثمّ تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليك منّي سلام الله ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتك، السلام على الحسين وعلى علي بن الحسن وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين، تقول ذلك مائة مرّة..» (بحار الأنوار ١٠١: ٢٩٥ ـ ٢٩٦)، ويبدو أنّ السيّد الصدر رحمه الله قد فهم من قوله عليه السلام: «تقول ذلك» رجوع الأمر إلى آخر عبارة مذكورة لا إلى ما تقدّم كلّه.

إلاّ أنّ الشيخ المجلسي رحمه الله نقل الزيارة عن (مصباح المتهجّد) للشيخ الطوسي رحمه الله، بينما جاءت عبارة الشيخ رحمه الله هكذا: «ثمّ يقول مائة مرّة: اللهمّ العن أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك، اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله، اللهم العنهم جميعاً يقول ذلك مائة مرّة، ثمّ يقول السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك، عليك منّي سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ولا جعله الله آخر العهد منّي لزيارتك، السلام على الحسين وعلي بن الحسين وعلى أصحاب الحسين يقول ذلك مائة مرّة» (مصباح المتهجّد: ٧٧٦)، فتكون (مائة مرّة) الثانية تأكيداً للأولى ليس أكثر، ويكون ذلك قرينةً على أنّ الثالثة على المنوال نفسه.

(٥) انظر أحداث سنة ١٣٨٩هـ.

(٦) لقد استمعتُ إلى محاضرة بصوت السيّد الصدر رحمه الله حول (الوحي) يتعرّض فيها إلى مقطعٍ من الزيارة الجامعة، وعندما يبدأ بالاستشهاد بمقطعٍ منها يقرؤه مع تغيير طفيف في الكلمات، من قبيل «فتحت بطنَ عمّارها» بدل «فتقت بطن عمّارها..» وغيرها، وهذا يدلّ على أنه كان يحفظ ما يقول، ولم يبدُ من طريقة إلقائه ما يشير إلى أنّه كان يقرؤها عن الورق.

مواظباً منذ صغره على الدرس في حرم الإمام علي عليه السلام[(١)]، وظلّ إلى آخر حياته قبل الحجز يحضّر دروسه هناك[(٢)]، وكان يأتي إلى (الحضرة) ضحى من أجل صلاة الصبح[(٣)]، كما كان ملتزماً بإقامة التعزية بمناسبة وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام زين العابدين عليه السلام والإمام موسى الكاظم عليه السلام، وكان قد نذر مجلساً للإمام زين العابدين عليه السلام إن رزقه الله تعالى بولد بعد بناته الثلاث[(٤)].

وعندما شرع السيّد الصدر رحمه الله في تدريس الخارج راح يستغلّ العطل الدراسيّة بمناسبة وفيّات المعصومين عليهم السلام من أجل إلقاء محاضرات ذات طابع تحليلي خاص، وقد نشر بعضها لاحقاً تحت عنوان (أهل البيت.. تنوّع أدوار ووحدة هدف) ثمّ نشرت مؤخّراً مضافاً إليها محاضرات جديدة تحت عنوان (أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة)[(٥)].

كان السيّد الصدر رحمه الله يتحدّث عن أهل البيت عليهم السلام، فسأله السيّد محمّد الحيدري: «**توجد بعض الروايات التي تعطي لأهل البيت عليهم السلام مقامات لا يفهمها ويهضمها عموم الناس**»، فأجابه رحمه الله: «**إنّ لأهل البيت عليهم السلام مقامات عالية لا ينالها غيرهم، وعلى الفقيه الذي لم تثبت لديه هذه المقامات أو بعضها أن لا ينفيها**»[(٦)].

وتنقل عائلة السيّد الصدر رحمه الله عن ثقة عندها ـ وهو الحاج خضير ـ أنّه رأى السيّد الصدر رحمه الله وهو يقف في الصحن الشريف العلوي وينظر إلى القبة الشريفة وهو في راحة وانقطاع عن العالم الخارجي والابتسامة تعلو شفتيه، واستمرّ هذا الوضع لمدّة من الزمن، فقلق الرجل على السيّد

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٦٣ ـ ٦٤، نقلاً عن مجلّة الأضواء، العدد ٣، ١٤٠٤هـ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ ؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١١م ؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (حفظه الله).

(٢) حدّثني بذلك السيّد عمّار أبو رغيف بعد صدور مقدّمة (الحقّ المبين).

(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد باقر الناصري (حفظه الله).

(٤) تقدّم بعض هذه الأمور في هذا الفصل، وبعضها يأتي ضمن أحداث سنة ١٣٩٠هـ.

(٥) نسب الشيخ علي كوراني إلى السيّد الصدر رحمه الله أنّه بشّر في هذه المحاضرات «بدراسة حياة الأئمّة عليهم السلام المجموعيّة التكامليّة بدل التجزيئيّة الإفراديّة..» (مسائل في البناء الفكري: ٤٨ ـ ٤٩).

وهذه النسبة في حدّ نفسها تؤكّد ضرورة الدراسات المجموعيّة للنصوص أو التصرّفات، ونصوص السيّد الصدر رحمه الله أحد هذه المصاديق، ونصّ كلامه رحمه الله: «..ولا أُريد بهذا أن لا ندرس حياة الأئمّة على أساس النظرة التجزيئيّة، أي دراسة كلّ إمام بصورة مستقلّة، بل إنّ هذه الدراسة التجزيئيّة نفسها ضروريّة لإنجاز دراسة شاملة للأئمة ككلّ، إذ لا بدّ لنا أوّلاً أن ندرس الأئمّة بصورة مجزّأة ومستوعبة إلى أوسع مدى ممكن، حياة كلّ إمام، بكلّ ما تزخر به من ملامح وأهداف ونشاط، حتّى نتمكّن بعد هذا أن ندرسه ككلٍّ ونستخلص الدور المشترك للأئمة عليهم السلام جميعاً وما يعبّر عنه من ملامح وأهداف وترابط» (أهل البيت تنوّع أدوار ووحدة هدف: ١٤١ ؛ أئمّة أهل البيت عليهم السلام ودورهم في تحصين الرسالة الإسلاميّة: ٥٤)، وفي الأخير: «أن ندرس» بدل «أن لا ندرس» والصحيح كما في شريط الكاسيت: «ولا أريد بهذا أن نرفض دراسة الأئمّة التجزيئيّة، أي دراسة ...».

وهذا النصّ الصريح لا يحتمل تفسيراً آخر؛ فلو قال لك المولى: «حتّى تصحّ صلاتك، عليك أوّلاً أن تتوضّأ، وأحبّ لك أن تسبغ وضوءك لكي تأتي صلاتك أكمل»، فهل للعبد حينئذ أن ينسب إلى المولى أنّه أمره بالصلاة ـ بناءً على الوضع للأعم ـ بدل الوضوء؟! ولا أحسبُ أنّ المقام يستدعي التعليق بأكثر من هذا المقدار.

(٦) شبهات وردود حول فكر الشهيد محمّد باقر الصدر: ٣٩.

وذهب إلى قربه وسلّم عليه فردّ السيّد عليه السلام ثمّ قال له: «**لماذا يا حجّي خضير قطعت عليّ ما كنت فيه ولو رأيت ما كنت أرى ما فعلت ذلك**».

وتروي العائلة أيضاً أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان في حرم أمير المؤمنين عليه السلام ودخل رجل وتوجّه إلى (شبّاك الضريح) بكلّ لهفة وعيناه مليئتان بالدموع ووقف بقرب الضريح المطهّر وبدأ يدعو بإخلاص وحرارة، فرآه السيّد الصدر رحمه الله فدعا الله ـ وهو في مكانه ـ أن يستجيب دعاءه.

فرأى هذا الرجل في الليل رؤيا أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام جاءت إليه وقالت له: «**إنّ حاجتك سوف تتحقّق لأنّ ابني محمّد باقر الصدر دعا لك**»، وفي الصباح توجّه هذا الرجل إلى السيّد ونقل له الرؤيا فتبسّم وقال: «**نعم لقد دعوت لك عندما رأيتك في تلك الحالة**»[(١)].

وحول السيّدة الزهراء عليها السلام: ألقى عنده السيّد عامر الحلو ذات مرّة قصيدةً في رثاء السيّدة الزهراء عليها السلام نالت إعجاب السيّد الصدر رحمه الله، فسأله: «**لمن هذه القصيدة؟**»، فأجابه: «**إنّها للشيخ مهدي مطر**». وبعد أيّام، أعطى رحمه الله السيّد محمود الخطيب ظرفاً فيها مبلغٌ من المال وقال له: «**تعطي هذا للشيخ مهدي مطر. هؤلاء الفحول مغمورون، ولا أحد يسأل عنهم**». وعندما استلمه الشيخ مطر فرح لأنّ السيّد الصدر رحمه الله أنس بقصيدته ونالت إعجابه[(٢)].

وينقل الشيخ محمّد رضا النعماني أنّ السيّد الصدر رحمه الله دخل إلى حرم الإمام علي عليه السلام لزيارته، وكان أمامه أحد خدّام الحرم الشريف ولم يكن يعلم بوجود السيّد رحمه الله، ولمّا بدأ رحمه الله بالزيارة وقال: «**السلام عليك يا أمير المؤمنين**»، التفت الخادم إليه مذهولاً وقال له: «**ادخل يا سيّدي فوالله لقد سمعت الإمام يقول: (ادخل يا ولدي)، ولم أكن أعلم بوجودك هنا**»[(٣)].

ويروي السيّد حسن الكشميري أنّ المرّة الأخيرة التي رأى فيها السيّد الصدر رحمه الله كانت في منزل الحاج عبد الركابي وكان المقرئ هو الشيخ علي آغائي، وكان الخطيب يتحدّث حول الإمام المهدي عليه السلام، فلمّا فرغ نهض السيّد الصدر رحمه الله وقبّله وقال له: «**أنا لم أسمع خطيباً يتحدّث عن الإمام المهدي في خمسين دقيقة بهذا الإجمال وبهذا العمق**»، وبعدها بفترة اعتقل رحمه الله[(٤)].

وكانت مجموعة من (الإخوان المسلمون) قد قصدت السيّد الصدر رحمه الله من أجل التداول معه حول إمكانيّة التنسيق بين الطرفين والعمل ضدّ السلطة الحاكمة، وكان (الإخوان) قد نشروا قبل أسبوعين من ذلك بياناً تعرّضوا فيه سلباً لإمام العصر عليه السلام، فأجابهم السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**كيف ننسّق ونحن مختلفون حول أساس عقيدتنا وهو قضيّة المهدي عليه السلام؟!**»[(٥)].

يُشار إلى أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يقرأ ذات مرّة في كتاب (سيرة الأئمّة الاثني عشر) للسيّد هاشم معروف الحسني رحمه الله، فأطبق دفّتيه وفي وجهه علامات عدم الارتياح، فسأله أحد الجالسين عن سبب

---

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب.

(٣) الشهيد الصدر.. سنوات المحنة و أيام الحصار: ١٣ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٢٠.

(٤) ذكر لي ذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

انزعاجه، فأجاب (بأنّ السيّد الحسني ينقل رواية حول حضور الإمام الصادق % عند أحد أعلام الأحبار، ولمّا سأله أحد أصحابه عن ذلك أجابه بأنّ «**الحكمة ضالّة المؤمن**»[(١)]. وقد علّق السيّد الصدر (على ذلك ـ بما مضمونه ـ: صحيحٌ أنّ الحكمة ضالّة المؤمن، ولكن لا يليق أن يذكر السيّد هذه الرواية بحقّ الإمام % الذي يستمدُّ علومه من الله تعالى[(٢)].

كما أنّ الشيخ محمّد رضا النعماني سأل السيّد الصدر (عدّة مرّات: «**ما هي الأخلاق؟!**»، فكان في كلّ مرّة يجيبه: «**ابني! لا تهن أحداً حتّى في قلبك فضلاً عن حركتك وتصرّفك، لا تستخفَّ بأحد**»، فسأله الشيخ عن السبب فأجابه: «**ما يدريك أن يكون هذا صاحب الزمان، وفجأةً لو كنت أمامه ماذا ستفعل؟!**»[(٣)].

وكان السيّد الصدر (قد حدّث السيّد كاظم الحائري عن الشيخ علي القمي (ـ المتعبّد الزاهد المعروف في النجف الأشرف ـ أنّه قال له شخصٌ ذات يوم: «**لو ظهر الإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه وأمرك بأن تحلق لحيتك وتمشي في الطرقات والأسواق بمشهد من الناس بهذه الحالة علناً، ونهاك أن توضّح للناس كونك مأموراً بهذا الحلق من قبل الإمام %، فهل أنت مستعدّ نفسيّاً لتنفيذ ذلك؟**» ـ علماً بأنّ هذا إراقة لماء وجهه أمام الناس تماماً ـ، فكان يبكي خشية ألاّ يكون مستعدّاً لذلك[(٤)].

يُشار أخيراً إلى ما نسب إلى السيّد الصدر (حول امتناعه عن مخاطبة الإمام علي % خوفاً على نفسه من أن يدخل الشرك إلى قلبه[(٥)]، بينما يكتب (في رسالة إلى السيّد مهدي الحكيم (: «**وقد تعلّقت بضريح مولانا الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وطلبت منه أن يتقبّلك في خيرة أبنائه الصالحين وينتزع من نفسك هذه المشاعر القلقة ويشعرك بالطمأنينة والاستقرار ونوع من الارتضاء**»[(٦)].

إقامته التعزية

كان السيّد الصدر (ملتزماً بإقامة مجلس العزاء كلّ مساء أربعاء[(٧)]، إضافةً إلى بعض المناسبات، كوفاة رسول الله - والإمام علي بن الحسين % والإمام موسى الكاظم %[(٨)]. وقيل: إنّ مجلسه

---

(١) انظر هذا الحديث بالخصوص في: الكافي ٨: ١٦٧.
(٢) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٤م. ولكنّني لم أعثر بحدود التتبّع على نصٍّ للسيّد الحسني (في كتابه المذكور حول هذا الموضوع.
(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد رضا النعماني (B).
(٤) تزكية النفس: ٦٠٧.
(٥) نقل لي ذلك بعض الإخوة عن الشيخ علي كوراني ؛ وتجده في مقدّمة الطبعة الثالثة ـ المعروفة بالثانية ـ لكتاب (الحقّ المبين: ٦٨) دون التصريح باسم السيّد الصدر (.
(٦) انظرها في: ٣/ذي القعدة/١٣٩٦هـ.
(٧) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر (للمصنّف، (مخطوط) ؛ ترجمة السيّد الصدر (، السيّد محمّد الغروي (C)؛ وقد ذكر لي ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٤م وآخرون ؛ صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٤٨)، ٧/شعبان/١٤٠٤هـ.
(٨) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٢.

الأسبوعي عقد منذ ١٩٧٠م، وإنّ أوّل خطيب كان الشيخ عبد الحميد الحرّ[١]، وقيل إنّ خطيب مجلس بيته هو الشيخ مهدي البديري[٢]، وكان يقرأ العزاء عنده الشيخ عبد الحميد الهلالي رحمه الله، وابنه الشيخ جعفر الهلالي[٣]، والشيخ شاكر القرشي، ثمّ ناب مكانه الشيخ حسن جدي، وكان إذا طرأ عليه أمر استناب أحد أقرانه، كالسيّد حسن الكشميري والسيّد عامر الحلو[٤]. كما كان السيّد عبد الرزّاق القاموسي رحمه الله يقرأ أحياناً[٥]، وكذلك السيّد جواد شبّر رحمه الله[٦] الذي كان يقرأ له المجلس الذي يقيمه بوفاة الإمام الكاظم عليه السلام سنويّاً، ثمّ ناب عنه الشيخ شاكر القرشي[٧]، وكان السيّد جواد رحمه الله إذا دخل على السيّد الصدر رحمه الله قطع الأخير مجلسه[٨].

وفي المقابل كان السيّد الصدر رحمه الله يحضر مجالس العلماء الآخرين، من قبيل: مجلس السيّد محمّد تقي بحر العلوم في عشرة محرّم الحرام، مجلس الشيخ هادي القرشي في وفاة السيّدة الزهراء عليها السلام، مجلس الشيخ محمّد الطفيلي كذلك، مجلس السيّد محمّد الحلّي كذلك، مجلس الشيخ نصر الله الخلخالي رحمه الله كذلك، مجلس السيّد حسين بحر العلوم رحمه الله عصر الجمعة في مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم في مسجد الطوسي، مجلس الحاج عبّود الصائغ في ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام.

وذات مرّة سأله السيّد حبيب الأعرجي في مجلس عقده الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله عن عبارة السيّد محسن الحكيم رحمه الله في كتاب الصوم «**فعباديّة الصوم فاعليّة لا فعليّة**»[٩]، فأسهب رحمه الله في الجواب وفصّل[١٠].

الاستخارة

كان السيّد الصدر رحمه الله كثيراً ما يأخذ الخيرة لغيره، ولكنّه كان نادراً ما يستخير لنفسه، وقد ذكر رحمه الله أنّه لم يستخر لنفسه في حياته إلاّ مرّات معدودة. وكان يرى أنّ الخيرة موردها (حيث يقف العقل) على حدّ تعبيره، وأنّ العقل نادراً ما يقف محتاراً لا يُدرك المرجّحات الشرعيّة[١١]. ولذلك، ومع أنه كان يستخير من حيث المبدأ، فإنّه كان قليل الاستخارة ـ بالمعنى المتعارف ـ ولا يستخير في الأمور

---

(١) خواطر محفوظة بدون سند (المؤلف).
(٢) ذكريات السيّد عامر الحلو (المؤلف).
(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٢.
(٤) حدّثني بذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.
(٥) شهداء المنبر الحسيني في العراق: ٢٠٥.
(٦) حدّثني بذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م ؛ شهداء العلم والفضيلة في العراق: ٢٣١.
(٧) ذكريات السيّد عامر الحلو (المؤلف).
(٨) شهداء العلم والفضيلة في العراق: ٢٣١.
(٩) منهاج الصالحين، السيّد الحكيم رحمه الله ١: ٣٦٩، وقد ذكر السيّد الصدر رحمه الله تعليقاً على ذلك: «بل فعليّة ولكن بنحو يناسب الترك» (التعليقة ١).
(١٠) ذكريات السيّد عامر الحلو (المؤلف).
(١١) نقل لي ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨م.

الاعتياديّة[(١)].

ومن باب المثال فإنّ الشيخ محمّد طحيني درس كتابي (الرسائل) و(الكفاية) معاً وفي عرض واحد، وبعد أن علم السيّد الصدر؟ سأله: «**لماذا فعلت هذا؟**»، فأجابه: «**استخرت الله**»، فقال له؟: «**استشر**»[(٢)].

وأتاه السيّد قصي ابن السيّد جابر أبو الريحة أحد خطباء النجف، وكان خرّيج الصف السادس وطلب منه أن يأخذ له خيرة، فقال له؟: «**على ماذا؟**»، فقال: «**على شيءٍ في ذهني**»، فقال؟ «**وما هو؟!**»، فقال: «**لقد انتهيت من الدراسة وأريد أن أستخير على السفر إلى الخارج**»، فقال؟: «**ولماذا الخيرة؟! فكّر في السفر إلى الخارج وهل أنّه أفضل أم البقاء هنا، فلعلّك تسافر إلى بلد تفقد فيه دينك فيكون بقاؤك أفضل، أو من الممكن أن تذهب إلى بلدان إسلاميّة في الخارج**»، ومثّل له بالهند وباكستان، ثمّ قال؟: «**أنا لم آخذ خيرة في حياتي إلاّ في مرّات محدودة**»[(٣)].

وحول استخارات السيّد الصدر؟ ينقل الشيخ علي كوراني أنّ السيّد إسماعيل؟ أقعده مرضٌ ألمّ بالنجف، فخرج السيّد الصدر؟ يبحث عن طبيب، فذُكر له اسم أحد الأطبّاء، فراح يستخير من أين يمكنه أن يذهب، حتّى وصل إلى رأس زقاق، ثمّ أخذ يستخير على الأبواب حتّى طرق باباً، فإذا هو باب الطبيب الذي يبحث عنه[(٤)].

وكان؟ يستخير بالقرآن الكريم، وكم مرّة أخبر الشخص عن موضوعه[(٥)]، ولكن يبدو أنّه كان يستخير بالسبحة أكثر[(٦)].

وكان؟ عند أخذ الخيرة يقرأ ثلاثاً: «**اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد، اللهم إنّي أستخيرك [برحمتك] خيرةً في عافية**»[(٧)]، فإذا بقيت حبّة كانت جيّدة وإذا بقيت اثنتان كانت غير جيّدة، ولم يكن عنده خيرة مخيّرة[(٨)].

تفسير الرؤيا

١ ـ تقدّم أنّ السيّد الصدر؟ كان في بداية حياته العلميّة مواظباً على الذهاب في كلّ يوم إلى حرم الإمام أمير المؤمنين علي؟، فكان يؤدّي الزيارة والصلاة ثمّ يجلس ليفكّر بالمسائل العلميّة المعقّدة، مستلهماً من باب مدينة العلم؟ حلّها، وكان يقول: «**ما استعصى عليّ حلٌّ لمسألة في حرم**

---

(١) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (؟). وما بين ـ ـ منّا، لأنّ الاستخارة في اللغة هي طلب الخير، وطلب الخير لا يتوقّف على الصيغة المتداولة للاستخارة، وإن كانت بغير معناها اللغوي قد وردت في بعض الروايات.

(٢) مقابلة مع الشيخ محمّد طحيني (؟).

(٣) حدثّني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨م.

(٤) مقابلة (٣) مع الشيخ علي كوراني (؟).

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، ٧/شعبان/١٤٠٤هـ. وقد نقل السيّد محمّد الصدر؟ في (ما وراء الفقه ٣: ٢٠١) نقلاً عن (بعض أساتذتنا) قوله: إنّنا لا نحتمل حصول سبب ممّا وراء الطبيعة يتدخّل في نتيجة الخيرة.

(٦) ذكر لي ذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨م.

(٧) انظر: وسائل الشيعة ٨: ٨١.

(٨) حدثّني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨م.

أمير المؤمنين %».

وقد انقطع (عن الذهاب إلى الحرم الشريف فترةً من الزمن، ولم يكن أحدٌ يعلم بذلك كلّه إلى أن كشف هذا الأمر الحاج عبد الحسن، فقد رأى في عالم الرؤيا أمير المؤمنين **%** فقال له: «**قل لولدي السيّد محمّد باقر الصدر لماذا انقطعت عن حضور درسنا؟**».

فقصّ هذا الرجل رؤياه على السيّد إسماعيل (فقال له: «**لا أعلم بذلك، فليأت السيّد محمّد باقر ونسأله عن ذلك**». فلمّا جاء السيّد محمّد باقر حكوا له الرؤيا فتبسّم وقال: «**سبحان الله، إنّي كنت أغتنم خلوّ الحرم الطاهر من الزائرين بعد صلاتي الظهر والعصر فأذهب إلى الحرم الشريف لمطالعة دروسي لأستلهم من روحانيّة الإمام أمير المؤمنين % وأستفيد من فيض علومه، ومنذ يومين لم أذهب إلى الحرم**».

وعاد السيّد الصدر (إلى ما كان عليه واستمرّ عليه حتّى آخر يوم قبل احتجازه[(١)].

٢ ـ ذات ليلة رأى السيّد كاظم الحائري في عالم الرؤيا أنّ نبيّاً من الأنبياء قد حضر بحث السيّد الصدر (، وبعد ذلك التقى بأستاذه في بيته الذي كان واقعاً وقتئذ في شارع الخورنق وحكى له الرؤيا، فقال له: «**إنّ تعبير هذه الرؤيا هو أنّني سوف لن أوّفق لتطبيقً رسالتي التي نذرت نفسي لأجلها، وسيأتي تلميذٌ من تلاميذي يكمل الشوط من بعدي**»[(٢)].

٣ ـ ورأى أحد طلاّبه ذات يوم في عالم الرؤيا أنّه يمشي هو وزميلٌ آخر له من طلاّب السيّد الصدر بخدمته (في طريقهم إلى مقصد ما، و إذا بحيوانات مفترسة هجموا على السيّد الصدر كي يقطّعوه، ففرّ الزميلان من بين يديه وجاء ناس آخرون التفّوا حوله كي يحموه من تلك السباع، فحدّث هذا الطالب بعد ذلك السيّد الصدر (برؤياه فقال له: «**إنّ تعبير رؤياك أنّكما ستنفصلان وتبتعدان عنّي، ويأتي ناسٌ آخرون يلتفّون حولي ويكونون رفاقي في الطريق**». وكان هذا الكلام غريباً على مسامع ذاك الطالب لأنّه وزميله كانا آنذاك من أشدّ الملتصقين بوضع السيّد الصدر (. ولكن ما مضت الأيّام والليالي إلاّ وابتعدا عنه: أحدهما بالسفر والآخر بترك الدرس رغم وجوده في النجف[(٣)].

٤ ـ وأتاه رجلٌ من الصالحين وقصّ عليه حلماً، وقال: «**إنّي كنتُ ولهاً في رؤيتي لصاحب الزمان .، وكنتُ كثير الدعاء والابتهال أن يدلّني الله عليه لرؤيته.**

وفي ليلتي الماضية رأيتُ فيما يرى النائم الإمام الحجّة[.] يتوضّأُ في باحة بيتكم، فقلت له: (يا سيّدي! إنّ لي زماناً أبحث عنكم فأين أجدكم؟ فقال . : (إنّي كثيراً ما أكون في هذا البيت)، ثمّ نهضتُ من نومي فرحاً بهذا، وها أنا الآن في هذا البيت الذي يحبّه مولاي القائم .».

عندها غيّر السيّد (مجرى الحديث وقال: «**إنّ هذا بيت صلحاء**» مشيراً إلى أنّه بيت آل المامقاني +[(٤)]، حيث قبورهم في البيت.

---

(١) انظر أحداث سنة ١٣٦٥هـ.

(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٧ ؛ كلمة للسيّد كاظم الحائري في (منتدى جبل عامل) بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٤م. ويبدو أنّ تفسير السيّد الصدر (لم يتحقّق لغاية يومنا هذا إلاّ جزئيّاً على أفضل تقدير.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٥٢.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٥٠)، ٢١/شعبان/١٤٠٤هـ، وقد نقلها السيّد ياسين الموسوي عن والدة السيّد الصدر (.

ذاكرته

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم: «يذكر بعض الأشخاص الذين لا أعرفهم أنّ الشهيد الصدر كان لديه قدرة عالية في حفظ النصوص منذ صغره[١]، ولكنّي لم ألاحظ ذلك فيه طيلة مدّة معاشرتي. ولا أذكر أنّي سمعتُ منه ذلك، ولكنّه كان على درجة عالية من استذكار الموضوعات العلميّة والدقّة فيها وفي نسبتها إلى أصحابها، وكذلك استذكار مضامين الأحاديث الشريفة والآيات القرآنيّة التي كان يراجعها بسرعة، ويشهد له بذلك دروسه الفقهيّة والأصوليّة والتاريخيّة والتفسيريّة التي كان يلقيها عن ظهر قلب وبصورة منسّقة وأحياناً لمدّة طويلة، إلاّ أنّه كان يستعين أحياناً لقراءة النصّ بالورقة، وكذلك ما كان يتحدّث به من قصص وعبر ونوادر تاريخيّة وحوادث شخصيّة مشهودة أو مسموعة حول مختلف القضايا»[٢].

جدّه

في زيارة قام بها الشيخ خليل شقير إلى السيّد الصدر قال له: «إنّ الملل يصيبني فأترك المطالعة والقراءة والكّتابة، بل لعلّي أترك كلّ شيء، ماذا أصنع؟!»، فأجابه: «إنّ من يرى الإسلام وما يتعرّض له من دسٍّ وكيدٍ وتآمر وتشهير وتشويه مبادئه كيف تطيب نفسه بالقعود وترك المطالعة والعمل الجاد المتواصل؟!»[٣].

لقد تقدّم الكثير من الكلام حول جدّه في طلبِ العلم تحت عنوان (هجرة السيّد الصدر إلى النجف الأشرف)، وهنا نضيف ما ذكره الشيخ النعماني قائلاً:

١ ـ «في يوم من أيّام الصيف القائظ، وفيما كنتُ نائماً بعد الغداء، أيقظني سماحته وقال لي: عندما كنتُ في عمرك كنتُ أدرس عشرين ساعة يوميّاً، وحتّى الأربع ساعات الباقية كنتُ أرى فيها أحلاماً علميّة فلم يكن نوماً كالنوم، فلقد كنتُ أرى في منامي أنّي أقرأ أو أحلُّ بعض المسائل العلميّة والفقهيّة، فإذا كنتَ تنام في الليل والنهار فسوف تقضي حياتك بالنوم»[٤].

٢ ـ «لم أعهد السيّد الشهيد يخلد إلى النوم حتّى في أشدّ أيّام الصيف حرارةً، فكان حتّى في هذا الوقت لا يفارق كتبه وقد قارب الخمسين من عمره، وفي وقتٍ كان فيه الشاب القويّ النشط لا يستطيع مقاومة إغراء النوم في تلك الفترة.

نعم، في العام الأخير من عمره الشريف وبعد أن ضعفت قواه كان يستلقي على فراشه أقلّ من ساعة وكان يقول لي إذا رآني نائماً: لم أعوّد نفسي على النوم لأنّ العمر قصير، فلِمَ تعوّد نفسك على ذلك وأنت لا زلت شاباً.

ومن الغريب ما سمعته منه من أنّ حرارة جسمه الطبيعيّة كانت أكثر من الطبيعي بنصف درجة أيام شبابه، وكان المتصوّر أنّ سبب ذلك حالة مرضيّة مجهولة، إلاّ أنّ الفحوصات أثبتت سلامته من أيّ مرض،

---

(١) نقل أحد حضّار مجلس السيّد الخوئي أنّ السيّد الصدر كان ـ عندما يباحث في الفقه ـ يستحضر مطالب كتاب (وسائل الشيعة) بمجلّداته كافّة دون الرجوع إلى الفهارس.

(٢) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٦٥.

(٣) مقابلة مع الشيخ خليل شقير (حفظه الله).

(٤) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، ١٩٨٦/٤/٧م: ٥.

وفسّر الطبيب ذلك بأنّ الزيادة عبارة عن طاقة إضافيّة في جسمه. وبمرور الزمن وكلّما تقدّم العمر كانت الزيادة في درجة الحرارة تنخفض حتّى أصبحت في السنوات الأخيرة من عمره الشريف بالمستوى الطبيعي»[(١)].

وقد نقل عنه السيّد كمال الحيدري أنّ السيّد الصدر كان يحرّم على طالب العلم نوم النهار. وأضاف: «**إنّي لمدّة خمس سنوات لم أخرج من النجف، حتّى عندما ذهبتُ إلى الكاظميّة كانت معالمها متغيّرة عليّ**»[(٢)]، وكانت أكثر مطالعاته وكتاباته بعد صلاة الظهرين وتناول الغداء حين ينام أكثر أهل البلد والطلاّب[(٣)]. كما ذكر للشيخ حسن الجواهري في مقام تشجيعه على الدرس أنّه لم يخرج إلى الكوفة لمدّة سنتين. وكان قد قال للشيخ محمّد تقي الجواهري ـ والد الشيخ حسن ـ : «**لم يتّفق أن نمت الظهر**»[(٤)].

وتروي زوجته أنّ أصابعه كانت تتورّم من كثرة الكتابة وخاصّةً أصابع يده اليسرى ـ لأنّه كان يكتب بها ـ فتصنع زوجته عجينة وتلفّها على أصابعه، ولكن هذا لا يؤثّر عليه ولا على استمرار كتابته[(٥)]، أو كان يلفّ أصابعه بقميصه ويتابع الكتابة[(٦)].

تبقى الإشارة إلى نموذج يحكي عن سرعته في إنجاز الأعمال، حيث يقول السيّد الحكيم: «**لا زلتُ أذكر ما نقله لي العلاّمة الفقيد السيّد عزّ الدين بحر العلوم الذي كان محبّاً له وإن لم يكن من طلاّبه، حيث ذكر لي: إنّي كنتُ أعرض بعض كتاباتي على بعض الفضلاء الجيّدين من أصدقائي وأساتذتي فتبقى لديهم مدّة من الزمن، وجرّبتُ الشهيد الصدر مرّة في عرض الكتابة عليه فأرجعها فوراً مع الملاحظات، فأُصبت بالدهشة وعرفت الفارق بينه وبينهم**»[(٧)].

نفوره من الإطراء

١ ـ كان السيّد الصدر لا يقبل أن يمدحه أو يطري عليه أحد، وكان لا يقبل أن تضاف قبل اسمه ألقاب أو صفات وكان يقول لطلبته وحتّى أولاده إذا أرادوا أن يكتبوا اسمهم: «**فقط اكتبوا السيّد محمّد باقر الصدر بدون إضافات**»[(٨)].

٢ ـ وكان الحاج عبّاس (أبو قحطان) ـ وهو من المحبّين والملتزمين بخدمة السيّد الصدر ـ يتحدّث مع جماعات أتوا إلى رؤية السيّد ويقول لهم: «**إنّ هذا السيّد هو علي بن أبي طالب بصفاته وبصبره وإيمانه وشجاعته، أنا عاشرته وعرفته جيّداً**»، فاذا سمع السيّد الكلام يقول له: «**لا تقل هذا يا**

---

(١) الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار: ٨١ ؛ شهيد الأمة و شاهدها ١: ١٠٨.
(٢) الشريط رقم (٣٣) من شرح السيّد الحيدري الصوتي على كتاب (الحلقة الثانية).
(٣) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (حفظه الله).
(٤) مقابلة مع الشيخ حسن الجواهري (حفظه الله).
(٥) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٤.
(٦) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق، الذي رأى ذلك بنفسه (حفظه الله).
(٧) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٨.
(٨) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

حجّي أنا لا أقبل، كم مرّة قلت لك إنّني لا أرضى أن تقول هذا القول»[(١)].

٣ ـ وذات مرّة كان السيّد حسن الكشميري يقرأ عنده، وبعد الفراغ من المجلس قال: «**اللهمّ احفظ علماءنا العاملين لا سيما سيّدنا**». ولمّا أراد الانصراف أخّره السيّد الصدرﷺ وقال له بعد أن خلا المكان: «**يا ابني هذا القراءة هي التي يحبّها الله ورسوله، وأنا طالب من الطلبة، فأنا أترجّاك أن لا تذكر هذا مرّة ثانية**»، فقال له: «**إن شاء الله**»[(٢)].

٤ ـ وفي إحدى المناسبات وبطلب من زوجته دعا السيّد الصدرﷺ الشيخ الأيراوانيﷺ إلى قراءة مجلس عزاء في البيت فجاء الرجل وقرأ المجلس. وفي اليوم الثاني قدم الشيخ وقد نظم أبيات شعر في مدح السيّدﷺ، ولكنّه كلّما أراد قراءتها في المجلس منعهﷺ، وهكذا لعدّة مرّات إلى أن سكت الشيخ ولم يقرأها[(٣)].

٥ ـ وذات مرّة دخل مجلساً كان يقرأ فيه السيّد جواد شبّرﷺ. ولمّا دخل ارتفعت الصلوات، وغيّر السيّد جواد حديثه إلى الحديث عن السيّد، فصاح السيّد الصدرﷺ: «**سيّدنا أرجوك أن لا تتحدّث بهذا الكلام، فأنا أقلُّ من ذلك**».

ولكنّ السيّد جواد استمرّ، فكرّر السيّدﷺ كلامه فقال السيّد جواد: «**سيّدنا لا أتمكّن من السكوت عن هذا، فهو أقلُّ من ذلك بكثير في حقّكم، ولم أقل إلاّ الصدق والله شاهدٌ على ما أقول**»، فانتفض السيّدﷺ من مكانه وقال: «**سيّدنا إمّا أن تقطع الحديث عنّي أو أخرج من المجلس**»[(٤)].

٦ ـ كما أنّه دخل مجلساً فلم يلتفتوا إليه، ولمّا التفت أحدهم قال: «**صلّوا على محمّد وآل محمّد**» وقام على رجليه، فضجَّ الناس فقال له السيّد: «**لا! لا! اسكت..**»[(٥)].

٧ ـ ويأتي إنّ شاء الله تعالى أنّ السيّد الصدرﷺ أقام في بيته مأتماً كعادته في كلّ سنة، وكان المجلس يغصّ بالناس، وكان الخطيب هو السيّد جواد شبّرﷺ.

وفي هذا المجلس تبرّع الشاعر الشيخ باقر الإيرواني بإنشاد بعض الأبيات، وبدأ قصيدته بقوله:

أضـئ ظلمـة الـدنيا بعلمـك مثلمـا ... أضـاء لنـا الـدجى بطلعتـه البـدرُ
رأيتك لم يعقـد علـى الأرض مجلسٌ ... لأهـل النهـى إلاّ وكـان لـك الـصدرُ

فوقف السيّد الصدرﷺ وقال بحدّة: «**يا شيخ بطّل..لا تمدح واقطع الإطراء**».. «**امدح سيّد الشهداء واتركوا اسمي**»[(٦)].

---

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدرﷺ للمصنّف، (مخطوط) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٢.
(٢) حدّثني بذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م. ويضيف السيّد الكشميري أنّ الشيخ جواد قسّام كان يقرأ ذات مرّة عند الشيخ مرتضى آل ياسينﷺ خال السيّد الصدرﷺ، وقال بعد المجلس: «اللهم احفظ علماءنا لا سيما الشيخ..» فصرخ الشيخ آل ياسين قائلاً: «يا شيخ اتّقِ الله، اتّقِ الله»، وكان السيّد الصدرﷺ والسيّد إسماعيل الصدرﷺ والسيّد موسى الصدر حاضرين.
(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدرﷺ للمصنّف، (مخطوط).
(٤) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٦٢)، ٢٤/ذي القعدة/١٤٠٤هـ.
(٥) صحيفة (لواء الصدر)، العدد ١/ذي القعدة/١٤٠٤هـ.
(٦) انظر أحداث سنة ١٣٩٢هـ.

٨ ـ وهنا نشير إلى حادثة أخرى مماثلة، وهي أنّ الشيخ محمود مهدي العاملي عندما زار النجف بعد الحرب الأهليّة اللبنانيّة التي تهجّر فيها وفقد ولده، قام بزيارة المراجع ومنهم السيّد الخميني والسيّد الخوئي والسيّد الصدر رحمهم الله الذين قدّموا له المساعدة الماليّة، وكانت مساعدة السيّد الصدر رحمه الله معتداً بها. ولدى زيارة الشيخ محمود مهدي النجف الأشرف مرّة أخرى أراد أن ينشد قصيدة بمحضر السيّد الصدر رحمه الله، ولكنّ الأخير اعتذر عن استماع قصائد المدح، ولكنّه شكره وأخذها، ثمّ أرسل له في اليوم التالي هديّة لأنّه شعر بانكسار خاطره[١].

٩ ـ وينقل أهله أنّ أحد أصحابه عثر على حديث عن النبي صلى الله عليه وآله يصف آخر الزمان وصعوبته وأحوال الناس فيه ومنه أنّه يخرج من ولد النبي صلى الله عليه وآله رجلٌ يبقر العلم بقراً وأنّ أصحابه سوف يرون من الظلم والاضطهاد الشيء الكثير ويصفهم مثل الغيوم المتفرّقة في فصل الخريف، فوقف السيّد الصدر رحمه الله أمام هذه الشائعة ومنع من انتشارها، وكان يعاتب من يعرف أنّه يقف وراءها[٢].

مفكّر لا مثقّف فحسب

سأل السيّد كمال الحيدري السيّد الصدر رحمه الله: «**لو سألكم أحدٌ كيف صار محمّد باقر الصدر محمّد باقر الصدر؟**»، فأجاب رحمه الله: «**إنّ محمّد باقر الصدر يساوي (١٠٪) مطالعة و(٩٠٪) فكراً**». فسأله السيّد الحيدري: «**في اليوم والليلة كم ساعة تطالعون؟**»، فأجاب رحمه الله: «**لا تسلني هكذا ولكن سلني بشكل آخر: قل لي: في اليوم والليلة كم ساعة كنتم مع الكتاب؟**»، فقال له السيّد الحيدري: «**ما الفرق بين السؤالين؟**» فأجاب رحمه الله: «**إذا سألتني كم ساعةً تطالع؟ أقول لك: أطالع عشر ساعات أو ثماني ساعات. ولكن إذا سألتني كم ساعةً كنت مع الكتاب؟ أقول لك: ما دمتُ مستيقظاً وغيرَ نائم فأنا مع الكتاب. عندما أسير في الشارع أتأمّل مسألةً أريد حلّها، وعندما أقف عند القصّاب ففي ذهني مسألةٌ أحاول حلّها، وعندما أجلس على الطعام للأكل ففي ذهني مسألةٌ أريد حلّها، وعندما أستلقي على الفراش للنوم ففي ذهني مسألةٌ أريد حلّها.**

---

(١) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٤٧.

(٢) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٣. وأغلبُ الظنّ أنّ المراد هو الحديث التالي: محمّد بن همام عن حميد بن زياد عن محمّد بن علي بن غالب عن يحيى بن عليم عن أبي جميلة عن جابر قال: حدّثني من رأى المسيّب بن نجبة قال: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ومعه رجل يقال له ابن السوداء فقال له: «يا أمير المؤمنين! إنّ هذا يكذب على الله وعلى رسوله ويستشهدك»، فقال أمير المؤمنين: «لقد أعرض وأطول، يقول ماذا؟!»، قال: «يذكر جيش الغضب»، فقال: «خلّ سبيل الرجل، أولئك قومٌ يأتون في آخر الزمان، قزع كقزع الخريف الرجل والرجلان والثلاثة في كلّ قبيلة حتّى يبلغ تسعة، أما والله إنّي لأعرف أميرهم واسمه ومناخ ركابهم»، ثمّ نهض وهو يقول: «باقراً باقراً باقراً»، ثمّ قال: «ذلك رجلٌ من ذرّيتي يبقر الحديث بقراً» (غيبة النعماني: ٣٢٥ ؛ بحار الأنوار ٥٢: ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، والمراد من (ابن السوداء) عبد الله بن سبأ (انظر: عبد الله بن سبأ ٢: ١٨٣)، أو غال آخر كابن سبأ وهو ابن حرب (انظر: قاموس الرجال ١١: ٦١٥).

أقول: بضميمة الروايات الواردة في الباب نفسه من غيبة النعماني حول (جيش الغضب وهم أصحاب القائم عليه السلام) يظهر أنّ المراد من الباقر هو شخص الإمام المنتظر عليه السلام، وربّما فسّر ذلك موقف السيّد الصدر رحمه الله. كما أنّ من المحتمل أن يكون حديثاً آخر غير هذا ولم نعثر عليه، خاصّةً وأنّ ما بين أيدينا مرويٌّ عن أمير المؤمنين عليه السلام.

إذاً كنتُ دائماً مع الكتاب، فالكتاب كان يعيش معي وأعيش مع الكتاب»(١)؛ فقد كان دائم التأمّل، غزير الفكرة، كثير التسجيل والتدوين والكتابة(٢).

يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**السيّد الشهيد لم يكن يقرأ عشرين ساعة، أكثرُ ساعاته كانت للتفكير والتأمّل**، وكان يقول: **إنّ الإنسان إذا تعوّد على القراءة فقط فإنّ ثقافته ستكون محدودة في إطار الكتب التي قرأها، وبالنتيجة فسوف لن يكون مبدعاً**»(٣).

يُشار استطراداً إلى أنّه كانت للسيّد الصدر﵀ طريقة في حلّ جدول الضرب قريبة بشكل أو بآخر إلى الطريقة الصينيّة، لكن تحلّ على الأصابع لا في العدّاد(٤).

تركيزه في التفكير

يذكر الشيخ محمّد رضا النعماني أنّ السيّد الصدر﵀ حينما يقرأ أو يكتب أو يفكّر ينقطع عن المحيط الذي يعيش فيه، وينسجم مع الحالة التي هو فيها انسجاماً بنحو لا يشعر معها بما حوله، وكان الشيخ في أحيان كثيرة يردع أطفاله الصغار عن اللعب أو الصياح ظنّاً منه أنّ ذلك يوفّر له جوّاً مناسباً للتفكير والمطالعة، إلاّ أنّه لاحظ أنّ السيّد الصدر﵀ لا يعبأ بما يحدث حوله ولا يتضجّر من الضجيج والصياح، فسأله عن سبب ذلك فقال له: «**حينما أنسجم مع المطالب العلميّة لا أشعر بما حولي [حتّى ضجيج الأطفال]**». وينقل عن السيّدة أم جعفر قولها: «**حينما يستغرق السيّد في المطالعة أو التفكير ينسى كلّ شيء حتّى طعامه، فأراني مضطرّةً في آخر الأمر إلى قطع تأمّله أو مطالعته، فأقول له: لقد قرب الظهر ولا شيء عندنا، عندها يقوم ليشتري بنفسه ما نحتاج إليه**».

ومن الطرائف في هذا الباب ـ والكلام للشيخ النعماني ـ ما كان يذكره من أنّه كان يستغرق أحياناً في التفكير بشكلٍ مستمرٍّ طوال اليوم والليل ولا ينقطع إلاّ عند النوم، ثمّ إنّه عندما كان يستيقظ يبدأ من النقطة نفسها التي انتهى إليها عند النوم(٥).

وينقل الشيخ علي كوراني أنّه شهد ذات مرّة تحضير السيّد الصدر﵀ لدرس الأصول، وما شاهده هو أنّ السيّد الصدر﵀ فتح كتاباً في الأصول ثمّ أغلقه وراح يمعن التفكير لفترة طويلة، وكان تحضيره عبارة عن تفكير عميق في المطلب(٦).

وقريبٌ منه ما ينقله الشيخ نجيب سويدان الذي شهد كذلك السيّد الصدر﵀ وهو يفكّر في مطلب معيّن قبل شروع الدرس، وقد انقطع السيّد الصدر﵀ عن تلامذته انقطاعاً كاملاً لم يشعر معه

---

(١) انظر: صحيفة المبلّغ الرسالي، العدد (٨٥): ٥؛ قصص وخواطر: ٧٥ ـ ٧٦؛ انديشه ماندگار، ويژه كنگره بين المللى آية الله العظمى شهيد صدر﵁، شماره پنجم، ٣٠ دى ١٣٧٩، گفت وگو با سيد كمال حيدرى: ١٣؛ وقد سمعتها من السيّد الحيدري بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣م.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٤.

(٣) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، ١٩٨٦/٤/٧م: ٥.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر﵀ للمصنّف، (مخطوط).

(٥) الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار: ٥٠ ـ ٥١؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٧١؛ وما بين [] من: صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، ١٩٨٦/٤/٧م: ٥.

(٦) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (﵀).

بهم[١].

وكان هناك نظريّة لكاتبٍ غربي يقول فيها: إنّ العقل الشرقي ليس أقلّ ذكاءً من العقل الغربي، ولكنّ الغربيّين يصرفون وقتاً أكثر في التفكير، ولو أنّ الشرقيّين صرفوا في التفكير مزيداً من وقتهم لتوصّلوا إلى نتائج أفضل. وكان السيّد الصدر﵀ يستحسن هذه النظريّة[٢].

مطالعاته

ذكر السيّد الصدر﵀ أنّ لديه المقدرة على مطالعة الكتاب من أوّله إلى آخره واختزان أهمّ ما فيه، حتّى أنّه لمّا أراد تصنيف (اقتصادنا) طالع أغلب ما كتبه الغربيّون حول الموضوع خلال شهرين، ولمّا شرع بالتأليف كان يستحضر ما قرأه[٣]. وكان يطالع كلّ ما يقع تحت يديه على ما ورد في بعض المذكّرات. وكان ـ إضافةً إلى قراءته كتب الفقه والأصول والفلسفة والكلام والكتب التخصّصيّة ـ يطالع القصص الأدبيّة، وكان يحبّ القصص البوليسيّة[٤].

لقد كان﵀ يفضّل الأدب المصري والأدب اللبناني على الأدب العراقي وكان متأثّراً بهما[٥]، وكان يحبّ قراءة (البؤساء) لفيكتور هوجو، وكان يرشد طلاّبه وينصحهم بقراءة تفسير (الميزان) للسيّد محمّد حسين الطباطبائي﵀[٦] الذي كان يعتبره من حسنات الدهر وجلائل الزمان[٧]، كما كان يعتبر أنّ التفسير الشيعي توقّف منذ الطبري ليستأنف مجدّداً مع صاحب تفسير (الميزان)[٨]، إضافةً إلى تشجيعه على قراءة سيرة رسول اللهﷺ، وكان يقول: «**لا يتمّ إسلام الرجل حتّى يطالع سيرة النبي**»[٩].

وكان يتابع الكتب التي تصدر في إيران، خاصّةً كتب السيّد محمّد حسين الطباطبائي والشيخ مرتضى المطهّري رحمهما الله وكتب غيرهما، ومجلّة (مكتب اسلام)[١٠]، وكان معجباً بكتابات حسن البنّا وسيّد قطب، ويكبر أرسطو وابن سينا و[جون ماينار] كينز وليبتنيز[١١].

ويذكر الشيخ نجيب سويدان أنّه استعار من السيّد الصدر﵀ قصّة (الحي اللاتيني)[١٢].

ومن اللطيف ما يذكره السيّد كمال الحيدري من أنّ السيّد الصدر﵀ جلس بعد درس الأصول ليقصّ عليهم قصصاً بوليسيّة، فسألوه: «**سيّدنا هل لديكم وقت لتقرأوا القصص البوليسيّة؟**»، فقال:

---

(١) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

(٢) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٣) مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (حفظه الله)، نقلاً عن السيّد الصدر﵀. وفي المصدر (المستشرقون) بدل (الغربيّون)، ولعلّ المراد ما أثبتناه.

(٤) منّا.

(٥) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٦) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).

(٧) مقابلة مع الشيخ جعفر السبحاني (حفظه الله).

(٨) ما بين [] من: مدخل إلى مناهج المعرفة عند الإسلاميّين: ٣٤٤.

(٩) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (حفظه الله) ؛ مقابلة (٢) مع الشيخ علي آل إسحاق.

(١٠) خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجانى (فارسي): ١٤٢ ـ ١٤٤.

(١١) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(١٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

«**نعم، أنا تعجبني القصص البوليسيّة كثيراً**»[١].

وقد ذكر الشيخ محمّد فرحاترحمه الله أنّ السيّد الصدررحمه الله سأله عن وضع أخيه الشيخ زيد ـ وكان صغيراً ـ فأجابه بأنّه يشغل نفسه بقراءة قصص (أرسين لوبين) فأنكر عليهرحمه الله شكواه قائلاً: «**أنا أيضاً أقرأها..كيف يمكننا أن نعرف ماذا يبثّون لأطفالنا فيها دون أن نقرأها؟!**»[٢].

وقد قرأ السيّد الصدررحمه الله كتاب (الظاهرة القرآنيّة) لمالك بن نبي مرّتين، وقال للشيخ عبد الهادي الفضلي: إنّه لم يعرف المراد من العنوان حتّى قرأ المُعَنْوَن، وذكر أنّ من الأفضل أن يكون عنوان الكتاب (ظاهرة الكتاب المقدّس)[٣].

وذات مرّة أخذ له أحد طلاّبه كتاب (المنطق الإسلامي.. أصوله ومناهجه) للسيّد محمّد تقي المدرّسي، فحمله السيّدرحمه الله بيده وتصفّح الفهرست ثمّ أرجعه إليه، ولمّا سأله عن رأيه فيه لم يجب، وبعد تكرار السؤال قالرحمه الله: «**إنّ المنطق للإنسانيّة**»[٤].

وكان السيّد حسين موسى ـ من منطقة الديوانيّة ـ يتابع باستمرار الكتب الحديثة الصادرة، وحصل على كتابين ظنّ أنّ أحداً لم يطّلع عليهما، فحملهما إلى السيّد الصدررحمه الله الذي اعتذر عن أخذهما باعتبار أنّه قرأهما[٥].

تأليفه

كان السيّد الصدررحمه الله عندما يكتب في موضوعٍ ما يعيشه بالكامل[٦]، وكان يؤلّف على مرحلتين:

الأولى: مراجعة المصادر المهمّة حول الموضوع ووضع الهيكل العام للكتاب على شكل نقاط.

الثانية: التفرّغ لأيّام للكتابة. وليس من عادته أن يكتب مسودّة ومبيضّة، فما يكتبه بقلمه يذهب مباشرةً للطبع.

ويقول الشيخ النعماني: «**كلّ مؤلّفاته كتبها مرّة واحدة وبلا إعادة نظر فيها، فهو لا يعرف ما نسمّيه بـ(المسودّة والمبيضّة)، وحتّى أخطر كتبه وأدقّها وأصعبها، وهو كتاب (الأسس المنطقيّة) كتبه مرّة واحدة**»[٧].

---

(١) ذكرها السيّد كمال الحيدري في الشريط (٣٣) من شرحه على (الحلقة الثانية).

(٢) ذكر لي ذلك الشيخ محمّد فرحاترحمه الله شتاء ١٩٩٧م قبيل وفاتهرحمه الله بفترة.

(٣) حدّثني بذلك السيّد صادق الموسوي بتاريخ ٢٠٠٥/١/٣١م نقلاً عن السيّد حسن خليفة (نقلاً عن خاله الشيخ عبد الهادي الفضلي على ما يبدو).

(٤) نقل لي ذلك أحد طلاّب السيّد الصدررحمه الله الذي لم يحبّذ ذكر اسمه.

(٥) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٦) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٧) صحيفة (الشهادة)، العدد (٣٠٠)، ٢٧/رمضان/١٤٠٩هـ نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني ؛ الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار: ٥١ ؛ شهيد الأمة و شاهدها ١: ٧٢ ؛ وقد ذكر لي ذلك الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م.

وأعتقد أنّ مراد الشيخ النعماني يحتاجٍ إلى مزيد من التوضيح: فإنّ كتاب (فلسفتنا) مثلاً قد مرّ بمراحل عديدة حتّى صار الذي بين أيدينا بعد أن كان كرّاساً، و(البنك اللاربوي في الإسلام) خضع إلى مراجعات وتعديلات وتصحيحات كما مرّ معك، و(الأسس المنطقيّة للاستقراء) يفترض به أيضاً أن يكون قد خضع إلى عمليّة تمحيص بفعل المباحثات والمناقشات التي كانت تدور بينه وبين طلاّبه خاصّةً السيّد كاظم الحائري، و(تحليل الذهن البشري) الذي صادرته

الذوق الأدبي ونظم الشعر

يصف الدكتور شبلي الملاّط أسلوب السيّد الصدر﵀ ذا «**السلاسة الجاحظيّة والمنطق الصارم**» بأنّه «**السهل الممتنع.. الذي خلب به محمّد باقر الصدر عقول قرّائه**»[(١)].

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم﵀: «**لقد كان شهيدنا يستذوق الأدب سواء منه الشعر المنظوم الذي كان يتفاعل معه، أو النصّ المنثور ولا سيما القصّة الأدبيّة، حيث كان يقرؤها ويؤكّد على قراءة بعضها باعتبارها روائع ذات مضمون أدبي وأخلاقي كما في قصّة (البؤساء) لفيكتور هيجو.**

ولم أعرف عنه أنّه قد نظم الشعر أو تداوله بالرغم من أنّ أخته الفاضلة كانت تنظم الشعر وتكتب القصّة، والظاهر كما أعتقد أنّ ذلك كان بتشجيعه لها وإشرافه على عملها مضافاً الى مواهبها الجزيلة.

وقد كان لهذه الصفة المتميزة دورٌ كبير في قدرته على الحديث الشيّق والتصوير الدقيق للمطالب والاستشهاد بالأمثلة والحوادث والتوضيح والعرض الجيّد للموضوعات وتطوير أسلوبه ليقترب من أساليب العصر وليتفاعل مع الأوساط الثقافيّة والمؤسّسات العلميّة الحديثة، ممّا أتاح فرصةً جيّدةً لتعميم ثقافة الحوزة العلميّة على هذه الأوساط»[(٢)].

وقد سمع السيّد الصدر﵀ أنّ لدى الشيخ علي كوراني شعراً فطلب منه أن يسمعه إيّاه، وفي الأثناء تألّم﵀ لأنّه لم يقدر على نظم بيت شعر واحد مع محاولته ذلك، فخفّف عنه الشيخ ذلك قائلاً: «**سيّدنا رسول الله ﷺ لم يكن شاعراً**»، فأجابه﵀: «**هذا منه كمال ومنّا نقص**»[(٣)].

يُذكر أنّ الشهيدة بنت الهدى﵏ في إحدى الجلسات مع أخيها السيّد الصدر﵀ وبين يديه كتاب (فلسفتنا) محاولاً شرحه وتبسيطه وبيان بعض غوامضه:

بنت الهدى: «**سيّدنا أين أنا منكم؟! أنا لا أصل إلى درجة من درجات علمكم وفلسفتكم.. إنّ الفلسفة معقّدة ولها أهلها، وأنتم أهلٌ لها**»..

السيّد الصدر: «**لا يهمّ، أنت أقدر منّي**».

بنت الهدى: «**وكيف؟**».

السيّد الصدر: «**أنت تكتبين الشعر، وأنا مع حبّي للشعر وتذوّقي له وقدرتي على صياغة الأسلوب البلاغي.. وقد حاولت، إلاّ أنّني ما استطعت أن أكتب بيتاً واحداً.. إنّها موهبة.. وأنت في هذا المجال أقدر منّي.. إذاً تعادلنا**»[(٤)].

السلطة كان يخضع أيضاً إلى عمليّة تنقيح وإعادة نظر إثر جلسات المناقشة التي كان يخوضها مع خاصّة طلاّبه على ما أخبرني به السيّد علي أكبر الحائري.

نعم؛ بالنسبة إلى كتبه الصغيرة من قبيل (المدرسة الإسلاميّة)، (بحث حول الولاية)، (بحث حول المهدي﵇)، (موجز في أصول الدين)، فهذا الشيء معقولٌ جدّاً، وقد يكون ممكناً بدرجة ما في كتاب (دروس في علم الأصول).

(١) تجديد الفقه الإسلامي: ١٦.

(٢) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٦٥.

(٣) مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، ١٣/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ؛ بطلة النجف: ٤٧. وينقل الدكتور جودت القزويني عن أخته الدكتورة أميرة القزويني عن الشهيدة بنت الهدى عن السيّد الصدر﵀ قوله: إنّ فلسفتنا لا يمثّل إلاّ مرحلة أوليّة من

حبّه العلمَ واحترامه العلماء

كان السيّد الصدر﵀ معجباً بالمحقّق العراقي﵀ وبدقّته العلميّة الفائقة[١]. يقول السيّد محمّد باقر الحكيم﵀: «**كان يبدي الاحترام والتقدير للعلماء من أساتذته الذين كان يعبّر عنهم ويتحادث معهم أو يتحدّث حولهم بمنتهى الاحترام والتقدير، فلا يعبّر عن أستاذه الإمام الخوئي إلاّ بسيّدنا الأستاذ، وكذلك الحال بالنسبة إلى العلماء الماضين بالرغم من اعتزازه العلمي برأيه وسعة دائرة علمه. ومن الطرائف في هذا المجال ما كان يذكره لي من تقديرٍ للمحقّق الشيخ ضياء الدين العراقي ويقول بأنّي أتمنّى أن أكون موجوداً في أيّامه لأحاوره، حيث كان يراه في جولان الفكر والرأي وقوّة العارضة متقدّماً على قرينَيه المحقّق النائيني والمحقّق الإصفهاني**»[٢].

يُشار إلى أنّ السيّد الصدر﵀ لم يكن ينتقد أو ويعيب أحداً على الإطلاق[٣].

لغاته

لم يكن السيّد الصدر﵀ يتقن أيّة لغة من اللغات الغربيّة كالإنجليزيّة والفرنسيّة، وكان يستعين بالشيخ يوسف الفقيه﵀ لقضاء أعماله المرتبطة باللغة الفرنسيّة.

أمّا بالنسبة إلى اللغة الفارسيّة، فإنّه كان يفهمها بشكل ممتاز، بل كان يتذوّقها فنيّاً، ومع أنّه كان يتحدّث بها بصعوبة بالغة[٤]، إلاّ أنّه كان يكتب بها[٥]، وكان﵀ قد تعلّمها من بعض أصحابه من قبيل الشيخ محمّد إبراهيم الجنّاتي، إذ كان السيّد الصدر﵀ قد طلب منه أن يتحدّث بالفارسيّة أثناء المباحثات العلميّة التي كانت تدور بينهما، ومن طرفه كان الشيخ الجنّاتي يطلب من السيّد الصدر﵀ التحدّث باللغة العربيّة لأنّه يريد أن يتعلّمها[٦].

ويُحكى أنّه﵀ كان يغبط ابن عمّه السيّد موسى الصدر على معرفته باللغة الفرنسيّة، وقد ذكر ذات مرّة أنّ أحد المطالب ـ وهو منسوبٌ إلى (كانت) ـ لا يُمكن أن يكون صحيحاً، لأنّ (كانت)

مراحل تفكيره، وكان عندما يذكر كتاب فلسفتنا يعتبره باكورة نتاجاته لأنّه قد تجاوزه فكريّاً بخطوات شاسعة (الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور جودت القزويني ٧: ١٠٨).

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٦٣، نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني.

(٢) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٦٦.

(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر﵀ للمصنّف، (مخطوط).

(٤) حدّثني الشيخ عبّاس الأخلاقي بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م أنّه حين وروده إلى درس السيّد الصدر﵀ في (الكفاية) (سنة ١٣٧٦هـ على الظاهر) كان هو يتحدّث بالفارسيّة وكان﵀ يجيبه بالعربيّة، ولكنّه لم يكن يحسن الحديث بالفارسيّة بسهولة. كما أنّ المعروف أنّ السيّد الصدر﵀ اطّلع على الجزأين الأوّلين من كتاب (اصول فلسفه وروش رئاليسم) للسيّد محمّد حسين الطباطبائي﵀ حين تأليفه كتابَ (فلسفتنا) (نظريّة المعرفة بين الشهيدين المطهّري والصدر: ١٢٧). وقد ذكرت لي زوجته السيّدة فاطمة الصدر أنّه كان يحسن الفارسيّة قبل زواجهما، وقد تعلّم الفارسيّة من خلال الأصدقاء وجوّ الحوزة. أمّا تذوّقه الفارسيّةَ، فيظهر من رسالة له إلى الشيخ حجّتي كرماني.

(٥) من تعليقة السيّد محمّد الغروي على المسودّة الأولى للكتاب، وهناك أجوبة لبعض الاستفتاءات بخط السيّد الصدر﵀ موجودة باللغة الفارسيّة.

(٦) حدّثني بذلك الشيخ محمّد إبراهيم الجنّاتي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١م.

ليس ممّن يقع في تناقض مع نفسه، وقد وجد لاحقاً أنّ الخطأ من المترجم[(١)].

وكانت تترجم كتب اللغة الإنجليزيّة إلى اللغة العربيّة بطلب منه وهي من الكتب المعمّقة وموضوعاتها صعبة مثل الفلسفة والمنطق وغير ذلك، فكان السيّد يميّز بين الترجمة الصحيحة وبين الخاطئة ويقول مثلاً يجب أن تكون الكلمة هكذا أو بهذا الشكل وكثيراً من هذا... وعندما كانوا يرجعون إلى الكتاب الأصلي ويترجمونه بشكل أدقّ كانوا يجدون أنّ كلام السيّد صحيح وأنّ تعبيره كان أدقّ[(٢)].

وكان رحمه الله يكتب بيده اليسرى[(٣)].

كما كانت أخته السيّدة آمنة رحمها الله قد تعلّمت الفارسيّة، وذات مرّة ارسلت إلى عمّها السيّد صدر الدين الصدر رحمه الله رسالةً بالفارسيّة أفرحته كثيراً لمّا رآها، منبهراً بنباهة ابنة أخيه وقدراتها، فقد استطاعت أن تكتسب الفارسيّة ممّن كنّ يتقنّها في النجف من النساء المحيطات[(٤)].

طعامه

لم يكن السيّد الصدر رحمه الله يهتمّ بالطعام[(٥)]، وكان طعامه المفضّل هو الباذنجان، والبذنجان هو الطعام المفضّل لدى أسرة والده السيّد حيدر الصدر رحمه الله على العموم، فقد كان والده يقول لزوجته إنّه إذا كان الباذنجان متوفّراً في السوق فلا تسأله ماذا يودُّ أن تهيّئ له من طعام[(٦)].

وقيل: إنّه كان يبدي التذاذه ورغبته في الطعام عندما يكون جيّداً، وإعجابه به عندما يتهيّأ له بصورة مناسبة لدى الأحبّة والأصدقاء، فهو صاحب ذوق حسن ويتفاعل مع العواطف والإكرام، ولكنّه يراه شيئاً مؤقّتاً لا يستحقّ الوقوف عنده أو الاهتمام البالغ به[(٧)].

وكان أكله في أكثر الأحيان بسيطاً وعاديّاً. وفي آخر عمره كان يتبع حمية غذائيّة بسبب ارتفاع ضغط دمه، وقد ضعف كثيراً قبل استشهاده[(٨)]. وكان فطوره عبارة عن كوب أو كوبين من الشاي، ولم يكن يأكل شيئاً[(٩)]، وكان يشرب الشاي (ثقيلاً)[(١٠)]، ومعتاداً على الاقتصار على طعام الغداء دون طعام الفطور والعشاء[(١١)]، وملتزماً بشرب الماء على ثلاث جرعات[(١)].

---

(١) يوسف لبنان، امام موسى صدر: ٦٥، نقلاً عن السيّد صادق الطباطبائي في فصلنامه مفيد، شماره٤، سال ١٣٧٧هـ ش.

(٢) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط). وأعتقد أنّ المراد ما وقع له خلال ترجمة كتاب (المعرفة الإنسانيّة) لبرتراند رسل ؛ انظر أحداث سنة ١٣٨٥هـ.

(٣) يبدو ذلك من بعض صوره، وقد ذكر لي ذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(٤) انظر: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٨٦.

(٥) ذكرت لي ذلك السيّدة أم جعفر الصدر، وكان قد ذكره لي الشيخ محمّد جعفر شمس الدين.

(٦) حدّثني بذلك السيّد محمّد جعفر الصدر.

(٧) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٨) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٩) من مقابلة الإذاعة العراقيّة مع الشيخ محمّد رضا النعماني.

(١٠) من ذكريات السيّد محمود الخطيب.

(١١) من ذكريات السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢١م.

وينقل مستخدمه [الحاج محمّد علي المحقّق] عن ملبسه ومأكله: «**دخلت عليه صباح أحد الأيّام لآتيه بفطوره، فرأيته يأكل صمّونة يابسة كنت قد جلبتها منذ أسبوع، فلمّا رآني استحى ودار وجهه الشريف... وأمّا من ناحية أثاث البيت وفراشه، فلا يوجد شيء جديد إلاّ ما كان موجوداً في أيّام زواجه، وتلاحظ عباءته فهي الأخرى قديمة مضت عليها السنون**»(٢).

وكان لا يقدّم له طعام إلاّ وأعطى أطيب ما فيه إلى مستخدمه، فإذا كان في الطعام قطعة لحم أو قطعة دجاج أو قطعة سمك قدّمها إليه وآثره على نفسه ولم يأكلها، حتّى قال بعض طلبة السيّد الصدر للحاج محقّق: «**إنّك تجني على السيّد ولا تدعه يأكل شيئاً ممّا يقدّم له؛ لأنّك تحظى دائماً بصفوة الطعام**»(٣).

ونشير استطراداً إلى أنّ السيّد حسن الكشميري كان يقرأ العزاء عند الشيخ مرتضى آل ياسين خال السيّد الصدر. وذات مرّة رأى معه السيّد الصدر علبة تبدو فيها آثار حلوى (الدهين)(٤) فقال له: «**ما هذا؟!**»، فأجاب بأنّه حلوى (الدهين)، فتبسّم السيّد الصدر مستنكراً. ثمّ بعد ذلك تحدّث معه على انفراد وقال له: «**إنّ الدهين أكلٌ طيّب، ولكنّني أحبّ لأمثالك ممّن هو مقبلٌ على مستقبل زاهر أن يبتعدوا عن الترف**»(٥).

مع التدخين

لم يكن السيّد الصدر مدخّناً ولم يكن يضيّف (السجائر) في مجلسه(٦)، بل كان لا يحبّه للقريبين منه، حتّى أقلع عنه بعضهم(٧)، ولكن قيل: إنّه ذات مرّة تذوّق بضعة (أنفاس) من (النرجيلة) وكان ذلك في جوٍّ خاصٍ جدّاً أثناء زيارة السيّد مرتضى المستجابي(٨).

ومن الطرائف أنّ الشيخ [مهدي] البديري قارئ العزاء المعروف زار السيّد الصدر ذات يوم في غير وقت الزيارات العامّة ـ وكان مكثراً للتدخين ـ فأوعز السيّد إلى السيّد محمود الخطيب بإحضار (سيجارة) للشيخ، فخرج السيّد الخطيب خارج (البرّاني) احتراماً للسيّد وأخرج (سيجارة) ثمّ دخل وناولها إلى الشيخ الذي اعتذر قائلاً: «**لقد أقلعتُ عن التدخين، فذات يوم كنتُ في السوق ووقعتُ أرضاً بسببه، إلاّ أنّ أحداً لم يساعدني سوى امرأة رفعتني وقادتني إلى البيت. ولمّا أردتُ الدخول إلى**

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٤٨)، ٧/شعبان/١٤٠٤هـ.

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٧٢، نقلاً عن صحيفة الشهادة، العدد (٢٠٢)؛ وانظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٠.

(٣) الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٣.

(٤) وهي نوع من الحلوى النجفيّة التي قد لا يأكلها سوى ميسور الحال.

(٥) حدّثني بذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.

(٦) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م. ولكن يبدو أنّه كان يسمح لغير خاصّته بالتدخين في مجلسه، أو أنّه سمح ولو لمرّات، ويظهر ذلك من خلال الصورة التي يبدو فيها مع السيّد محمود الخطيب والشيخ محيي الدين المازندراني والحاج مصطفى الأنصاري (انظر الصور في المجلّد الرابع)، وقد ذكر لي السيّد محمود الخطيب أنّ الخاصّة لم يكونوا يدخّنون في حضوره.

(٧) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي في جباع بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٣م.

(٨) من مذكّرات السيّد محمود الخطيب.

الحمّام هممتُ بتناول (سيجارة) ولكنّني تذكّرتُ ماذا حلّ بي في السوق فقلت لنفسي: (إذا لم يساعدك أحدٌ في السوق سوى تلك المرأة، فمن يساعدك هنا؟! خوش عاقبة للشيخ!!)، وعندها خاطبتُ السيجارة قائلاً: **(يا بنت المحروق.. صدري حرّقتيها، جيبي فلّستيها وثوبي ذرّفتيها)، وذاك يوم وهذا يوم سيّدنا**». فضحك السيّد الصدر رحمه الله ثمّ قال له: «**شيخنا.. من بعد شنو!**»[١].

ملبسه

تنقل والدة السيّد الصدر رحمه الله أنّه كان في زمن مضى يتقاسم ثوباً واحداً مع أخيه السيّد إسماعيل رحمه الله، الذي كان أطول منه، وذلك عندما كانت حالتهم المادية في ضيق وضنك، ولم يكن الثوب على مقاسه، صالحاً تماماً لأيٍّ منهما. بل كان أقصر من قامة السيّد إسماعيل، لأنّه الكبير منهما، في الوقت الذي كان السيّد الصدر رحمه الله إذا لبسه، سحبه سحباً على الأرض فكان يرفعه بيديه وهو يمشي؛ فكان كلٌّ منهما يرتديه إذا أراد الخروج من المنزل، ممّا يضطر الآخر إلى البقاء في الدار.

وقد كلّمته زوجته يوماً حول هذا الموضوع، وقالت له: «**حسناً، تلك حالة استثنائيّة، وقد مضت ببؤسها وحقرها وفقرها، فما الداعي الآن والأموال تنكب بين يديك أن تقتصر على اقتناء ثوب واحد وقباء واحد؟!**»، فأجاب: «**إنّي أريد أن أواسي أفقر إخواني وأبنائي الطلبة، وأعزّيهم عمّا هم فيه، من ضيق الحال، (ليحبّرني الله حُلّة خضراء في يوم القيامة)**»[٢].

وتنقل زوجته أنّها بعد زواجها منه وجدت أنّه لا يمتلك إلاّ دشداشة واحدة، فسألته: «**أين ملابسك؟**»، فأجاب بتلقائيّة: «**لقد ارتديتها**»، وكانت أمّه حاضرة، فقالت: «**ألم أقل لك إنّ زوجتك سوف تتعجّب من قلّة ما تملكه من ملابس؟!**».

وتنقل زوجته أنّه كان نادراً ما يخيط الملابس أو يشتري، وكان يكتفي بأقلّ شيء ويقول: «**عجباً! كم جسداً لي حتّى أخيط وأشتري ملابس متعدّدة**»[٣].

وقيل: إنّه كان [يأنس] بصورة خاصّة في أمور المعيشة بالقميص الذي يلبسه وبالقلم الجيّد، وأمّا ما دون ذلك فلم يكن يشعر بأمر خاص تجاهه[٤]. ولم تكن تهمّه نوعيّة معيّنة من الملابس، ولكنّه كان يهتمّ في أن تكون ملابسه مرتّبة ونظيفة، وقيل: كان يكره بشدّة الإنسان غير المرتّب في ملبسه[٥].

يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**كان رحمه الله زاهداً في ملبسه بالمقدار الذي تسمح به الظروف الاجتماعيّة، في الوقت الذي كان بإمكانه لبس أرقى الأقمشة. ويعلم الله أنّي ما رأيته لبس عباءة يزيد**

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٥ ـ ١٤٦. وهو رحمه الله ناظرٌ في قوله إلى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عزّى أخاه المؤمن من مصيبة كساه الله عزّ وجلّ حلّة خضراء يُحبّر بها يوم القيامة»، قيل: «يا رسول الله! ما يحبّر بها؟»، قال: «يغبط بها» (انظر: مستدرك الوسائل ٢: ٣٤٩).

(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط)؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٥.

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)، نقلاً عن السيّد الصدر رحمه الله.

(٥) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله). ولكنّ أحد طلاّب السيّد الصدر رحمه الله اللبنانيّين نفى أن يكون قد لمس من أستاذه هذه الكراهية طيلة السنوات التي عاشها معه.

سعرها عن خمسة دنانير في الوقت الذي كانت تصله أرقى أنواع الملابس والأقمشة ممن يحبّونه ويودّونه»[(١)].

نعم؛ عندما كان يهديه البعض ملابس أو أشياء خاصّة له كان يقبلها ويشكرهم ثمّ يعطيها إلى طلبته المحتاجين[(٢)].

ومن باب الحديث عن ملبسه: يُنقل عن السيّد الصدرﷺ قوله: «**مضت عليّ شتويّة كاملة ولا أملك إلاّ عباءة خاجيّة (صيفيّة)، ولكنّي لم أفكّر ساعة ما بأنّي لماذا لا أملك بينما غيري يلبسون ويملكون وينعمون بالراحة**»[(٣)].

علاقته بطلاّب درسه ومعارفه خاصّة

كان السيّد كاظم الحائري قد طلب من السيّد الصدرﷺ بعد أن حضر درسه أن لا تقتصر علاقته مع طلاّبه على العلاقة الدرسيّة، فكم من أستاذ قام بتربية طلاّبه من الناحية العلميّة ولكنّه لم يساهم في تربيتهم إسلاميّاً، وحثّه على أن تتعدّى علاقته بهم ذلك. ومن حينها صار السيّد الصدرﷺ إذا أراد أن يوصل إليهم أمراً اختلى بنفسه وسجّل لهم ما لديه ثمّ استمعوا إليه، إلى أن راح يلقي عليهم مطالبه مباشرةً مستغنياً عن المسجّل[(٤)]، وكان يعطف ويحنُّ على تلاميذه إلى حدّ العشق[(٥)].

يقول السيّد محمّد باقر الحكيمﷺ: «**وأمّا في دائرة الأصدقاء، فإنّ الشهيد الصدر** (رضوان الله عليه) **كان يعطي للصداقة معاني أخلاقيّة ووجدانيّة لم أرَ نظيراً لها في حياتي على سعة دائرة الممارسة والمراقبة، فهو يرى الصداقة عبارة عن علاقة ورابطة متينة لا تقلّ إن لم تفضّل على علاقات الأخوّة النَسَبيّة، كما أنّه يراها مجموعةً من الحقوق المتبادلة التي عبـّر عنها الشارع المقدّس في علاقة الأخوّة الإيمانيّة. ولكنّ هذه الحقوق المتبادلة هي حقوق تطوعيّة قد تكون من جانب واحد في مدياتها الماديّة، وهو ما يعبّر عنه الشارع المقدّس بالمواساة له، ولكنّه يطالب بإلحاح أن تكون من الجانبين في مدياتها المعنويّة والعاطفيّة.**

وأمّا في الحالة الوجدانيّة، فقد كان يتحوّل الشهيد الصدر في الصداقة إلى ما نسمعه من العشّاق الهائمين، فهو يسمح لنفسه أن يبكي لفراق الصديق أو لقائه حتّى النحيب، كما يصنع ذلك عند إعراضه عنه أو حتّى احتمال هذا الإعراض ويصاب بالصدمة والإحباط الشديدين بسبب ذلك، بل قد يصاب بالمرض»[(٦)].

وكانﷺ يقول: «**أحبُّ أن يكون أولادي وأبنائي راضين عن أبيهم وعمّا قدّم هذا الأب من أجلهم**»، وكانت الكلمة المحبّبة إليه هي «**أبوكم**»[(٧)].

وتنقل زوجته أنّه عندما كان يسمع عن أحد أصحابه أو طلبته خبراً سيّئاً أو أنّه استشهد أو مات

---

(١) شهيد الأمة و شاهدها ١: ٢٠٩.

(٢) من مذكّرات أسرة السيّد الصدرﷺ للمصنّف، (مخطوط).

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٥)، ١٦/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ ؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٩ ـ ٢٠.

(٤) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

(٥) مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

(٦) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٧) من مذكّرات السيّد محمود الخطيب.

كان يتأثّر تأثّراً شديداً ويبقى في هذه الحالة أيّاماً معدودة بحيث يقلّ أكله ونومه خلالها. وفي بعض الأحيان يكون تأثّره مؤثّراً على صحّته فيصاب بارتفاع ضغط الدم أو الصداع المستمرّ وحتّى وصل الأمر إلى شبه شلل نصفي. وكان دائماً يدعو لهم ويتفقّد أحوالهم ويحثّهم على ترك الدنيا والزهد فيها والسعي والمثابرة على كسب العلوم وتحصيلها(١).

وفي ما يلي عرضٌ لبعض النماذج:

١ ـ كانت العلاقة بين السيّد الصدر رحمه الله وبين الشيخ عبد العالي المظفّر إلى الحدّ الذي أزعج عائلة الشيخ المظفّر، وقد سعى الشيخ محمّد حسين حرز الدين خال الشيخ المظفّر إلى إبعاد ابن أخته عن أستاذه، الأمر الذي أدّى بالسيّد الصدر رحمه الله إلى الانهيار أو كاد(٢)، إضافةً إلى مساعي أوساط السيّد محمّد الروحاني رحمه الله(٣).

٢ ـ وكانت للسيّد الصدر رحمه الله علاقة صداقة قويّة مع بعض الأصدقاء، ولكنّها تصدّعت فأصيب بالإحباط بسبب ذلك وولّد لديه إحساساً ـ كما ذكر ذلك ـ بالخوف من تكرار هذه التجربة مع صديقٍ آخر، ولذا كان يحرص أشدّ الحرص في متابعة الأمور الصغيرة التي تطرأ أحياناً على العلاقة من غَيبة أو انقطاع أو عدم انشراح أو احتمال وجود انفعال سلبي ولو بسيط وما أشبه ذلك. وفي هذا الحرص الشديد والمتابعة يحسّ الإنسان أنّ ذلك كان لدى السيّد الصدر رحمه الله أمراً كبيراً وذلك بسبب الإحساس الوجداني العالي بحبّ الصديق وأهميّة المحافظة على الصداقة(٤).

٣ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله يولم الولائم البسيطة في بيته، أو يطلب من الأصدقاء ذلك، أو يقوم بالأسفار القصيرة الترفيهيّة إلى الكوفة وغيرها من أجل التعبير عن هذه العواطف الجيّاشة وبناء أواصر الودّ والمحبّة بين الأولياء والأصدقاء والزملاء.

وكان يحرص على دروس المبتدئين من الطلبة أو رعاية المستضعفين ماديّاً وروحيّاً. كان يفعل ذلك كلّه بعقله ممزوجاً بعاطفته. وعندما كان يستقبل الشباب والأوساط العامّة من الكسبة والفلاّحين كان يفعل ذلك بعقله الممزوج بعاطفته(٥).

٤ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله يخرج مع بعض طلاّبه من قبيل السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله والسيّد عبد الهادي الشاهرودي والسيّد كاظم الحائري والسيّد محمود الهاشمي والسيّد محمّد باقر الحكيم إلى الكوفة، حيث يعدّون الشاي ويستأجرون سيّارة تقلّهم إلى الجهة المقابلة لقصر الملك في الناحية الثانية من شطّ الكوفة، وكان هناك (حوشٌ) أعطاه أهله للسيّد رحمه الله(٦).

---

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٢) من مقابلة مع السيّد محمّد حسين فضل الله (دام ظله)؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٣)، في حديثٍ مع السيّد محمّد حسين فضل الله؛ حدّثني بذلك السيّد فضل الله بتاريخ ٢٠٠٤/٦/٣م.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٢٠٢، نقلاً عن السيّد محمّد حسين فضل الله.

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٥) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٥٤.

(٦) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (دام ظله). وربّما يقصد المنزل الذي استأجره السيّد الصدر رحمه الله من أحد السادة من آل (المْحَنَّة) على ما ذكره لي السيّد محمود الخطيب.

٥ ـ وكان السيّد الصدر﵀ يحتاج أحياناً إلى التريّض، فيتمشّى صباحاً مع بعض تلامذته نحو الكوفة، وكان منهم السيّد نور الدين الإشكوري الذي كان يهيّئ بعض الطعام ويعدّ الشاي ليتناولوه في فترة الاستراحة. وكان السيّد الصدر﵀ يكتفي بشرب الشاي لأنّه كان معتاداً على الاقتصار على طعام الغداء دون طعام الفطور والعشاء. وبعد انتهائهم، كانوا يرجعون إلى النجف بالسيّارة(١).

٦ ـ وذات مرّة كان السيّد الصدر﵀ مدعوّاً عند الشيخ حسن ملك على طعام الغداء ومعه ثلاثون شخصاً من طلاّبه. وأثناء تناول الطعام آذته حسكة سمك علقت في جوف فمه، فأشار عليه السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ بتناول (لقمة ناشفة) من أجل التخلّص منها، ولكنّ ذلك لم ينجح، فخرج السيّد الصدر﵀ خارج الغرفة لمعالجة الموضوع ولحق به الشيخ حسن ملك الذي رفع يديه وقال: «**ربّ خذ الثلاثين ودع هذا السيّد**». وبعد أن تمّ الأمر بخير دخل الشيخ حسن وحكى لزملائه ماذا جرى وبماذا دعا، فقالوا له: «**ألهذه الدرجة نهون عليك**»، فقال لهم: «**بل لهذه الدرجة السيّد عندي غالٍ**»، فضحكوا جميعاً(٢).

٧ ـ وذات مرّة قصد أحد الأطبّاء البيطريّين السيّد الصدر﵀ ليستفسر منه عن أجوبة بعض المسائل الشرعيّة قبل سفره إلى لندن، وكان السيّد الصدر﵀ في الكوفة يأخذ قسطاً من الراحة بفعل تعبه الشديد. وقد تحدّث الطبيب مع الشيخ محيي الدين المازندراني الذي اتّصل عصراً بالسيّد الصدر﵀ وأطلعه على الموضوع، وقد أجابه السيّد الصدر﵀ بأنّه متعبٌ وأنّه سيرسل إليه الأجوبة بالبريد إلى لندن. ولكنّ الطبيب ألحّ بالسؤال على الشيخ المازندراني وطلب منه تدبير لقاء مع السيّد الصدر ولو لخمس دقائق لأنّه لا يملك عنواناً بريديّاً في لندن، فما كان من الشيخ المازندراني إلاّ أن اصطحب الطبيب عند الغروب إلى الكوفة دون التنسيق مع السيّد﵀ مشترطاً عليه عدم الإطالة أكثر من عشر دقائق.

وفي الكوفة طلب الشيخ المازندراني الالتقاء بالسيّد، ولكنّ الأخ الموجود معه أبلغ الشيخ بأنّ السيّد تعبان وقد خلد لتوّه إلى الراحة، فدخل الشيخ المازندراني البيت ونادى السيّد قائلاً: «**إنّ طبيباً من مقلّديكم يريد الاستفسار عن أسئلة شرعيّة**»، فخرج السيّد﵀ بزيّه العربي بلا عمامة وكان منزعجاً شيئاً ما وقال: «**إذا لم ترحموني أنتم، فمن يرحمني؟! أنا تعبان أمارس أعمالي منذ الصباح وأريد أن أستريح، لماذا قمتَ بذلك؟!**» ثمّ سكن وقال: «**ما يخالف، سأخرج**».

وخرج السيّد الصدر﵀ إلى الطبيب واجتمع به بكلّ رحابة صدر وأجاب عن أسئلته.

وفي اليوم التالي، وبعد رجوع السيّد الصدر﵀ من درسه التقى بالشيخ المازندراني في (البرّاني) فقال له: «**اعمل كما كنتَ تعمل**» فقال له الشيخ: «**أنا قمتُ بذلك لباعث ديني، فقد وجدتُ أنّ هذا الرجل بحاجة إلى أن يسأل أحداً، ولا يعقل أن أتركه على حاله**»، فراح السيّد الصدر﵀ يعتذر من الشيخ وقال له: «**أنا أخطأت، أنت ابقَ على حالتك الأوّليّة**»(٣).

---

(١) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢١م.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م.

(٣) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (﵀) ؛ مقابلة (٢) مع الشيخ محيي الدين المازندراني (﵀). والمقصود

٨ ـ وذات يوم ناداه تلميذه الشهيد السيّد محمّد محمّد صادق الصدر رحمه الله من آخر مجلس الدرس ـ وكان يجلس في آخر المجلس ويضع مسجّلاً لتسجيل الدرس ـ وقال له: «**سيّدنا ارفعوا صوتكم، فنحن لا نسمعكم**»، فأجابه السيّد الصدر رحمه الله ممازحاً: «**عدم سماعكم سببه أحد أمرين، إمّا قصورٌ في صوتي وإمّا قصورٌ في أذنيكم**»(١).

٩ ـ وكان السيّد الصدر رحمه الله متشدّداً في مسألة حضور الطلاّب عند الوقت، ففي يوم من الأيّام دخل بعض الطلاّب إلى الدرس وكان السيّد الصدر رحمه الله يشرح، فغضب رحمه الله وقال: «**من يتأخّر في الحضور لا يبالي بالدرس، وعدم الاهتمام بالدرس من إتلاف الوقت الذي لا يجوز**»(٢).

١٠ ـ وكان رحمه الله يطرح الأسئلة على طلاّبه عند اجتماعه بهم ويناقش الأجوبة مناقشة موضوعيّة من أجل تنميتهم، وكانت الأسئلة متنوّعة: فقهيّة وتأريخيّة وعقائديّة واجتماعيّة وسياسيّة.

فمثلاً في أحد الأيّام طرح على مجموعة من طلاّبه: هل الرجم هو وسيلة وطريقة للقتل أم أنّه حكمٌ يراد بهذه الطريقة؟! وحدثت مناقشة وأخذ وردٌّ لهذه الأفكار. وذات يوم طرح على مجموعة من طلاّبه: لماذا لم يقتل الإمام علي عليه السلام عمرو بن العاص عندما طرحه أرضاً وانكشفت عورته؟! وقال رحمه الله: «**نحن نعلم أنّ الإمام معصومٌ وعمله صحيح، لكن نريد إيضاحاً لعموم الناس**». وطرح سؤالاً حول أنّه: كيف يستطيع العلماء وأئمّة المساجد التأثير على الناس؟

كما كان يعطي لبعض طلاّبه بعض الكتب لقراءتها ثمّ مناقشتهم حولها(٣).

١١ ـ وفي إحدى المجالس تحدّث بعض تلامذته اللبنانيّين بحضور بعض الناس، ولم يكن ما تحدّث به موزوناً، فتدخّل السيّد الصدر رحمه الله ليوجّه له كلامه. وبعد اختلائه بطلاّبه قال غاضباً: «**أنا لا أرضى لأحد من طلاّبي أن يرسل الكلام على عواهنه، فكّروا أوّلاً ثمّ تحدّثوا**»(٤).

١٢ ـ وذات مرّة كان السيّد الصدر رحمه الله مع جملة من الأصدقاء ودخل أحد العلماء القادمين من إيران، فقام من حضر إجلالاً للقادم، إلاّ أنّ أحد تلامذته تثاقل بالقيام فنظر السيّد رحمه الله إليه وقال: «**إنّ الطالب الذي يريد أن يخدم الإسلام في المجتمع عليه يلتفت إلى عادات الناس وتقاليدهم ويحترم الآخرين ليستطيع أن يؤثّر في الأمّة**»(٥).

١٣ ـ وكان أحد تلامذته يستأجر سيّارة على حسابه الخاص لقضاء ما يكلّفه به، فلمّا علم بذلك تكلّم معه بأنّ هذا العمل ليس صحيحاً، فقال: إنّ المال من ماله الخاص، فقال السيّد رحمه الله: «**إنّ المسألة ليست مسألة من أين يصرف المال، وإنّما المسألة تعود إلى حالة الترف الذي لا مبرّر له**»(٦).

من العبارات الواردة أنّ تصرّف الشيخ كان صحيحاً.

(١) سمعتُه من السيّد كمال الحيدري في بعض شروحاته الصوتيّة.

(٢) تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٣٢٣، نقلاً عن السيّد محمّد حسين الحائري.

(٣) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٦٩، وقد رواها السيّد محمّد الحيدري.

(٤) حدّثني بذلك الشيخ يوسف دعموش بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٢٩م.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، ١/رمضان/١٤٠٥هـ.

(٦) صحيفة (لواء الصدر)، ١/رمضان/١٤٠٥هـ.

١٤ ـ وقد كتب أحد تلامذته كتاباً وقدّمه له، ولكنّ السيّد﵀ لم يكن في البيت فأرسله مع أحد الأشخاص. وعندما كان السيّد الصدر﵀ متوجّهاً في الليل إلى مسجد الجواهري لمحه التلميذ، ولكنّ السيّد﵀ لمّا لمحه غيّر مسيره نحوه، ولمّا وصل إليه استبقه إلى السلام وبارك له الكتاب ودعاه إلى الاستمرار في إنتاجات أكثر[1].

١٥ ـ وكان السيّد الصدر﵀ يجتمع ببعض معارفه مرّةً أو مرّتين في الأسبوع، وقد اتّفق أن غاب الأستاذ أحمد عبد الأمير لحمّى ألمّت به، فزاره السيّد الصدر﵀ في الكاظميّة ومعه السيّد حسن شبّر[2].

١٦ ـ وذات مرّة تغيّب الشيخ عفيف النابلسي عن الدرس، فسأل السيّد الصدر﵀ الشيخ حسن طراد عنه فأخبره بأنّه مريض، فقصده بعد صلاة المغرب والعشاء وسلّم واطمأنّ عليه، ولم يطل الجلوس وغادر، وأعطاه السيّد محمود الخطيب هديّة خمسة عشر ديناراً بعنوان مساعدة طبيّة[3].

١٧ ـ وعندما أراد الشيخ أبو علي الزواج، اهتمَّ السيّد﵀ بذلك وبحث له عن عروس، وعندما أطلعه على الأمر تفاجأ الشيخ[4].

١٨ ـ وقد أهديت إليه مكتبة تقدّر بثلاثمائة دينار، فأهداها إلى أحد تلامذته الذي كان يراه بحاجة إلى هذه الكتب[5].

١٩ ـ وكان السيّد الصدر﵀ يعبّر أمام طلاّبه أنّه يريد أن يخوض بهم البحار، في إشارةٍ إلى اعتماده عليهم في مشروعه العالمي، وهذه بعض الحوادث التي ربّما اتّحدت وقوعاً:

إذ يُنقل أنّ السيّد الصدر﵀ كان ماراً من جانب غرفة بعض الطلبة في إحدى المدارس العلميّة، فسمع ضحكاً من داخل الغرفة، فطرق عليهم الباب ففتحوا له، فإذا به السيّد الصدر واقفٌ بالباب، فقال لهم: «**أهذا وقتُ مزاح وضحك؟! إنّي أريد أن أفتح بكم العالم، وأنتم تستغرقون في هذا الوقت بالضحك والنكات؟! أيّ طلبة أنتم؟! أريد منكم أن تكونوا قادةً لهذا البلد.. أنا أريد أن أفتح بكم العالم..**» وأخذ يؤنّبهم ويلومهم[6].

وينقل الشيخ محمّد سعيد النعماني أنّ السيّد الصدر﵀ استدعى مجموعةً من الطلبة بعد أن تناهى إلى سمعه أنّهم مقصّرون في دراستهم، فرفضوا الذهاب خوفاً من التأنيب، ولكنّ الشيخ النعماني صمّم على الذهاب ليكسب الدرس الذي سيتعلّمه من السيّد الصدر﵀، فذهب إليه وأوضح له﵀ أنّه يريد أن يغزو بهم البحار وأنّه لا بدّ وأن يكونوا في مستوى المسؤوليّة، فلا بدّ من التركيز

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، ١/ذي القعدة/١٤٠٤هـ.

(٢) مقابلة مع الأستاذ أحمد عبد الأمير بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٦م (﵁).

(٣) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، ٨/رمضان/١٤٠٥هـ. ولعلّ المقصود الشيخ محمّد رضا النعماني.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٥)، ١٦/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ.

(٦) مجلّة شؤون إسلاميّة، العددان (٨ ـ ٩)، ١٤٢١ ـ ١٤٢٢ هـ: ١٩٥ حيث ينقلها السيّد حسين الصدر نقلاً عن أحد طلاّب السيّد الصدر﵀.

على الدرس[١].

وربّما كانت حقيقة الأمر أنّ السيّد الصدر﵀ كان قد عيّن الشيخ محمّد الإصفهاني مدرّساً لمجموعة من طلاّبه يدرّسهمكتاب المعارف، منهم الشيخ محمّد سعيد النعماني والشّيخ حسين كوراني، وقد حدثت مشكلة بين الطلاّب وبين الأستاذ فذهب الشيخ النعماني إلى السيّد الصدر﵀ الذي قال له ضمن ما قاله: «**أنا أريد أن أخوض بكم البحار**».

وبعد ذلك تبيّن للسيّد الصدر﵀ خلاف ما نقل له وأنّ الطلاّب يقومون بتحضير دروسهم، فعيّن لهم السيّد محمود الهاشمي أستاذاً[٢].

ونظير ذلك ما ذكره أحد تلامذته حيث قال: «**دعانا السيّد وقد كنّا لا نتجاوز العشرة طلاّب قد التحقنا بدروسه جديداً، وعند حضورنا قال: إنّي أريد أن أخوض بكم البحر في المستقبل القريب، اجهدوا فإنّي كنتُ أجهد وأتعب في اليوم ١٨ ساعة وأعمل في طلب العلم ما يعادل عمل ثلاثة أشخاص مجدّين**»[٣]، وقيل: خمسة أشخاص[٤].

٢٠ ـ وذات مرّة أساء أحد طلاّبه ـ وقد استشهد﵀ ـ الأدب في محضره، وفي الدرس وعظه السيّد الصدر﵀ دون أن يسمّيه، وكان المسجّل مشغّلاً فسجّل كلامه﵀ على الشريط، الأمر الذي أغضب هذا الطالب وجعله يحمل على السيّد الصدر﵀. ولمّا علم السيّد الصدر﵀ بانزعاجه ذكر لطلاّبه أنّ عليه أن يزوره، فقام بزيارته وكان السيّد كاظم الحائري حاضراً وشهد ذلك[٥].

٢١ ـ انفصل أحد طلاّبه ـ [وهو من السادة، وكان ربّما اتّهمه﵀ بالعمالة] ـ عن درسه وعن خطّه الفكري الإسلامي، ثمّ بدأ يشتمه وينال منه في غيابه أمام الناس، وكان الكثير من كلماته يصل إلى مسامع السيّد الصدر﵀. وكان السيّد كاظم الحائري ذات يوم جالساً عنده فجرى الكلام عن هذا الطالب، فقال﵀: «**أنا لا زلت أعتقد بعدالة هذا الشخص وأنّ ما يصدر منه ناتجٌ من خطأ في اعتقاده وليس ناتجاً من عدم مبالاته بالدين**»[٦].

٢٢ ـ وكان يزور طلاّبه في بيوتهم، وذات مرّة قصد بيت الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري، ولكنّه لم يكن موجوداً، فألحّت عليه زوجته بالدخول وانتظاره ريثما يرجع، إلاّ أنّه كتب له ورقة وسلّمها إلى زوجته وانصرف. وبعدها زارتهم زوجته أم جعفر وأخته بنت الهدى في بيتهم الكائن في حي كندة في النجف[٧].

---

(١) سمعت ذلك من الشيخ محمّد سعيد النعماني في كلمة ألقاها في ذكرى استشهاد السيّد الصدر﵀ في شهر نيسان/٢٠٠١م.

(٢) مقابلة مع الشيخ حسين كوراني (حفظه الله).

(٣) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (٢٧)، في حديثٍ مع السيّد صدر الدين القبانجي ؛ سيماء المتّقين: ٣١٢ نقلاً عن المصدر.

(٤) مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله)، نقلاً عن السيّد الصدر﵀.

(٥) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).

(٦) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٦ ؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله). وما بين [] من المصدر الأخير.

(٧) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديثٍ مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري.

٢٣ ـ وكان السيّد الصدر ﵀ لا يتردّد في تقديم الخدمة إلى الصديق، ومن هذا القبيل ما يذكره السيّد محمّد باقر الحكيم ﵀: «**لقد طلبتُ منه يوماً أن أدرس لديه بعض الكتب الفقهيّة على مستوى السطح**[(١)]**، وكان في ذلك الوقت يدرّس الخارج ونحن نحضر لديه درس الخارج أصولاً ولم يكن يدرّس في ذلك الوقت السطح ولا مستواه العلمي والاجتماعي ذلك، فبادر للقبول وباشر دون الباقين مع ما كان يكلّفه ذلك من وقت ثمين، مع أنّه كان يمكن أن أحصل على هذا الدرس لدى أساتذه آخرين، ولكنّ شدّة الودّ والحب والرغبة في اللقاء المستمرّ أوجد هذه الرغبة لديّ والقبول لديه.**

وقد صنع ذلك أيضاً لنفس السبب من جانبه ورعايةً لحال الأخ الشهيد السيّد مهدي ﵀ عندما طلب منه ذلك أيضاً[(٢)].

لقد درس لديّ بعضُ الطلبة الجزء الأوّل من كفاية الأصول من أوّله إلى آخره وكان الطلبة[(٣)] **من المشتغلين المحصّلين، وكان يلحّ على الدرس حتّى في أوقات التعطيل، وكنتُ أستجيب له باستمرار إلى أن أنهى الكتاب. وبعد مدّة سمعت بأنّه كان يذكر في بعض المجالس عدم استفادته الكاملة من هذا الدرس، فأحسست بالمسؤوليّة تجاه هذا الموضوع، فطلبتُ من الشهيد الصدر أن يعطيه فرصة لإعادة البحث لديه وكان الشهيد الصدر يدرّس الخارج وانقطع عن تدريس السطح ولم تكن علاقته بهذا الشخص جيّدة، ولكنّه وافق حبّاً واستجابة للصداقة وهو أمرٌ غريب، ثمّ وقعت بعض الملابسات جعلت الشهيد الصدر يفكّر بقطع البحث مع هذا الشخص لأنّه كان يتعامل معه بطريقة مؤذية لم يوضحها الشهيد الصدر حفظاً لكرامة هذا الإنسان وتورّعاً، فلم يقطع حتّى استأذنني في ذلك، وهذا يمثّل منتهى الأدب والوفاء والحب**»[(٤)].

٢٤ ـ وكان السيّد الصدر ﵀ يعاني من الضيق المالي وكان يدرّس في حرّ الصيف، ولم تكن في تلك المقبرة وسيلة تبريد، ولم يكن يمتلك وسيلة تبريد في بيته. وكان المتعارف وقتئذ في النجف الأشرف عدم وجود عطلة صيفيّة لطلاّب الحوزة العلميّة، فكان الطلاّب يدرسون حتّى في الحرّ الشديد.

وذات يوم كان السيّد عبد الغني الأردبيلي ﵀ في بيت السيّد الصدر ﵀ في محلّة (العمارة) بعد الزقاق المسمّى بـ(عقد السلام) وقال له: «**إنّ الحرّ شديد وطلاّبك يعانون من الحرّ في ساعة الدرس في مقبرة آل ياسين. فأذن لنا بشراء مبرّدة نضعها في المقبرة لتبريد الجوّ، ولي صديقٌ من التركمان في شمال العراق من بيّاعي المبرّدات، وهو مستعدٌّ لتزويدكم بمبرّدة بسعر الكلفة، هو سعرٌ يسيرٌ ويقسّط السعر عليكم أشهراً عديدة لا يأخذ منكم في كلّ شهر عدا دينارين**»، فسكت السيّد الصدر ﵀ خجلاً وحياءً من أن يقول إنّ وضعه الاقتصادي لا يسمح بهذا.

ولكنّ السيّد عبد الغني ﵀ اعتقد أنّ السكوت من الرضا، فاستورد مبرّدة ووضعها في المقبرة ثمّ

---

(١) هو كتاب (المكاسب) كما ذكره السيّد الحكيم ﵀ في: صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٢٩).

(٢) ذكر السيّد محمّد مهدي الحكيم ﵀ أنّ السيّد الصدر ﵀ قد خصّه في أواسط الخمسينات بدرس على متن (الكفاية) ولكنّه كان على مستوى بحث الخارج، وقد استمرّ هذا الدرس لمدّة سنتين (مقابلة مع السيّد مهديّ الحكيم ﵀، ﴿...﴾).

(٣) تستخدم هذه الكلمة في استعمالات الحوزيّين للدلالة على المفرد أيضاً.

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

أخبر السيّد الصدر رحمه الله بما فعل، فتغيّر وجه السيّد الصدر رحمه الله حيرةً في كيفيّة دفع هذا المبلغ اليسير، إلاّ أنّ السيدّ عبد الغني رحمه الله لم ينتبه إلى ذلك.

وعلى أيّة حال، فقد التزم السيّد الصدر رحمه الله بدفع المبلغ، فكان يدفع كلّ شهر دينارين إلى السيّد عبد الغني رحمه الله كي يدفعه إلى صاحبه أداءً للدين(١).

٢٥ ـ وذات يوم كان السيّد ذيشان حيدر جوادي رحمه الله في منزل السيّد الصدر رحمه الله مع الأصدقاء، فانجرّ الحديث إلى رواتب السيّد الخوئي رحمه الله، فذكر السيّد ذيشان أنّه لم يحصل من السيّد الخوئي رحمه الله إلى يومه ذاك على فلس واحد مع أنّه يحضر درسه منذ ثلاث سنوات أو أكثر. استغرب السيّد الصدر رحمه الله من ذلك، وفي اليوم نفسه قصد السيّد الخوئي رحمه الله في منزله وعرض عليه الموضوع قائلاً: «**مع الأسف الشديد، يُحرم من رواتبكم الشهريّة طالبٌ مجدٌّ في العلم، وهذه تقريراته تشهد بذلك الجد والجهد، ولكنّه إنسانٌ قانعٌ غيور، ولذلك لم يطلب منكم الرواتب الشهريّة**». عندها اقتنع السيّد الخوئي رحمه الله بذلك وأمر بتسجيل اسمه في سجلّ الطلاّب، فأمر السيّد الصدر رحمه الله بعض طلاّبه باستلام الراتب وإيصاله إلى السيّد ذيشان حتّى لا يراجع هو بنفسه(٢).

٢٦ ـ وذات يوم كان السيّد الصدر رحمه الله يتحدّث عن ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾(٣)، فنقل لطلاّبه قصّةً أيّام أحد المراجع الذي كان أحد الطلاّب يحضر دائماً في مجلسه. وفي يومٍ من الأيّام طلب الطالب مبلغاً من المال، فلم يستطع المرجع أن يعطيه إيّاه [أو يؤمّنه له] فقرّر الانتقامَ منه، إلاّ أنّ المرجع لم يلتفت إلى هذه النيّة.

وذات يوم أخبر المرجع الطالبَ بأنّ أحد مقلّديه سيصل في اليوم الفلاني من طهران إلى الكاظميّة بهدف زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فسرّ الطالب لذلك. وفي اليوم المقرّر سافر إلى بغداد والتقى التاجر الذي سأله عن أحوال المرجع وعافيته، وذكر له أنّه يودّ أن ينتسب ابنه إلى الحوزة العلميّة، وكان عمره بين الأربع عشرة والخمس عشرة سنة، فرحّب الطالب بهذه الفكرة إلاّ أنّه أشار على التاجر بأن يسكن ابنه في المدرسة ولا يسكنه في دار المرجع وإن أصرّ على ذلك، فإنّه ـ أي المرجع ـ يحبّ الأولاد بشكل غير مشروع، وذكر له أنّه من غير الممكن أن يخبر أحداً بذلك، ولكن حيث إنّه ـ أي التاجر ـ من الطيّبين والمخلصين للدين فقد بات لزاماً عليه إخباره، وأكّد له أنّ المرجع يستحقّ المرجعيّة من جميع الجهات إلاّ من هذه الجهة، وذكر له أنّ كلّ إنسان لديه نقص من جهة من الجهات، فدخل الشكُّ في قلب التاجر. وفي المقابل سبق الطالب التاجر إلى النجف وأخبر المرجع بأنه التقى التاجر في الحرم الكاظمي وأنّه يبلغه سلامه، وذكر له أنّ لديه والداً صالحاً يريد أن يدخله إلى الحوزة، واقترح عليه أن يسكن الشاب في داره لأنسه بالأجواء العائليّة، وذلك مخافة أن ينفر من الدراسة إذا سكن في المدرسة، وطلب منه أن يطلب ذلك من الوالد.

وعندما التقى التاجر المرجع، قرّب الأخير ولد الأوّل إليه ووضع يده على رأسه وقبّل جبهته إلى

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٧ ـ ٤٨.

(٢) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (رحمه الله).

(٣) البقرة: ١٩١.

غير ذلك من أساليب الاستئناس، واقترح على الوالد أن يسكن ابنه في داره لا في المدرسة.

عندها اطمأنّ التاجر إلى كلام الطالب، وعندما خرج ذكر له أنّه لن يدفع لهذا المرجع فلساً واحداً، وطلب تحويل تقليده إلى مرجع آخر، فأشار عليه الطالب بأحد الأشخاص، فدفع التاجر إليه أمواله ونال الطالب نصيبه منها.

هنا علّق السيّد الصدر‏ بأنّ القتل يودي بحياة شخص، وأمّا الفتنة فإنّها تؤدّي إلى الاستهانة بالحوزة والمرجعيّة والجهة، ولها آثار سلبيّة في المجتمع الإسلامي أكبر من إعدام أيّ إنسان وإزهاق نفسه..[١].

٢٧ ـ وفي مجلس درسه، ذكر السيّد الصدر‏ ذات مرّة أنّ الآخوند الخراساني‏ منح أحد طلاّبه إجازة اجتهاد، وقد اتّفق سفر الطالب في أيّام شهر رمضان المبارك. وعندما دخل عليه زملاؤه لتوديعه أكل أمامهم، فاستغربوا ذلك ودار بينهم نقاشٌ حوله. ولمّا علم الآخوند بذلك، منعه من السفر وبقي عشر سنوات حتّى أذن له بالسفر بعد أن اطمأنّ إلى قدرته العلميّة[٢].

بعضُ حكاياه في درسه

١ ـ لقد تطرّق مرّةً في درس الأصول إلى الترفّع عمّا في أيدي الناس وحكى حكاية الإمام علي‏ مع واليه على البصرة عثمان بن حنيف[٣].

٢ ـ وعندما وصل إلى الاحتياط والبراءة وذكر الحديث: «**أخوك دينك فاحتط لدينك [بما شئت]**»[٤]، ذكرها ثلاثاً، وراح يعظهم[٥].

٣ ـ وعندما وصل إلى بحث الحيض راح يتحدّث بيولوجيّاً عن تكوّن البويضة لدى المرأة وكيف تنشأ العادة الشهرة من وجهة نظر بيولوجيّة[٦].

حثّه الطلاّب على التبليغ

كان السيّد الصدر‏ يقول للعلماء: «**أنتم علماء لأنّكم مبلّغون وبقدر ما تخدمون الإسلام على مستوى التبليغ والهداية، والتبليغ خير محقّق للعلمائيّة فليست العلمائيّة بالعلم الذي يملأ القلوب ويدفئ الصدور فقط، بل هو بالتبليغ الذي يؤدّي إلى تغيير واقع فاسد في حياة المسلمين. والعلم الذي يحفظ في الصدور هو العلم المشلول، وهو الذي يُسأل عنه صاحبه يوم القيامة ويعاقب عليه**»، وكان يكرّر هذه المعادلة: «**التبليغ هو العلم والعلم هو التبليغ**»[٧].

وكان‏ يرى أنّ اهتمام الطلاّب لا ينبغي أن يقتصر على دروسهم داخل الحوزة، بل عليهم أن

---

(١) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (‏).

(٢) انظر: فقه أهل البيت (الشيخ النابلسي) ١: ٣١١.

(٣) انظر: نهج البلاغة: ٤١٦ ؛ وسائل الشيعة ٢٧: ١٥٩.

(٤) وسائل الشيعة ٢٧: ١٦٧.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٤٨)، ٧/شعبان/١٤٠٤هـ.

(٦) حدثّني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨م.

(٧) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (‏).

يعملوا خارجها أيضاً، ولذلك كان يأمرهم في أيّام العطل بالذهاب إلى المناطق من أجل ممارسة عمليّة التبليغ[١].

وقال لهم ذات مرّة: «**إنّ الناس تريد من العالم الديني روحانيّة وعلم، فعليكم أن تقتدوا بإمامكم أمير المؤمنين علي عليه السلام في محرابه وسيرته وخضوعه لله، لأنّ الناس لا تريد علماً بغير روحانيّة، وقد أقبل عليكم شهر رمضان المبارك وهو شهر التزوّد من الروحانيّة، وعاملوا الناس بمودّة ومحبّة وأمانة حتّى يتوجّهوا إلى الإسلام الذي هو غاية الجميع**»[٢].

وبعد أن طرح اسم الشيخ محمّد علي الجابري ليكون وكيلاً في منطقة الكوت في آذار ـ نيسان/١٩٧٩م خاطبه السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**ثق بالله، لولا مسؤوليّة المرجعيّة ومسؤوليّة التدريس لذهبت بنفسي للتبليغ في أهوار الكوت**»[٣].

علاقته بالطلاّب عموماً ومساواته نفسه بهم

كان السيّد الصدر رحمه الله يكرّر: «**إنّ مرجع التقليد الذي تقاد إليه رقاب الأموال الشرعيّة، باعتباره خير أمين مستأمَن عليها، يجب أن يكون آخر من ينعم بمأكل ومشرب أو بملبس ومفرش، وأشباه ذلك. ألم يقل نبي الهدى صلى الله عليه وآله: (ليشرب ساقي القوم آخرهم)[٤]؟ فهكذا يجب أن يعيش المرجع، كسائر طلبة الحوزة ولا يتميّز عنهم بشيء**»[٥].

وحول علاقته بالطلاّب عموماً، يقول الشيخ محمّد رضا النعماني:

١ ـ «في يوم من الأيّام حاولت أن أشتري جهاز تكييف لأنّ والدته ـ حليفة الورع والتقوى ـ مصابة بمرض في جهازها التنفسي، وكان الدكتور المشرف على علاجها (وهو الدكتور ضياء العبيدي) قد أخبرني بأنّ حالتها ستستمرُّ بالتدهور إلاّ إذا استبدل جهاز تبريد الغرفة المائي بجهاز تكييف غازي.

وفي اليوم التالي ذهبتُ إلى السوق لأسأل عن سعر الجهاز كي أستأذن السيّد الشهيد في شرائه، ولم أكن أخبرته برأي الطبيب أنّ علاج والدته منحصرٌ بهذا، ولكنّي أخبرته بأمر ذهابي إلى السوق لغرض معرفة سعر جهاز التكييف، وهنا كانت المفاجأة، لقد غضب غضباً شديداً، وتغيّرت ملامح وجهه، وأعتقد أنّي لو كنت ابنه الصلبي لضربني في تلك الساعة، ثمّ خاطبني منفعلاً بقوله: (هل مات إحساسك؟ هل تريد أن أنعم بالهواء البارد وفي الناس من لا يملك حتّى المروحة البسيطة؟ ألم تعلم بأنّي أريد لهذه المرجعيّة حياة البساطة والاكتفاء بأبسط مظاهر العيش بل الضروري منه؟).

فوالله العظيم لقد أذهلتني الصدمة وأنا أرى السيّد الشهيد قد بلغ به الانفعال والغضب أشدّه وأنّه لم يعرف للعاطفة والمحبّة محلاً في قلبه. فقلت له: لقد ذهبت بمفردي إلى السوق ولم يعلم بذلك أحد. فقال: الناس يعلمون أنّك معي وتصرّفك يُحسب عليَّ. قلت: الطبيب نصح بذلك ويمكنكم الاستفسار منه، ثمّ أخبرته

---

(١) السيّد محمود الهاشمي في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد كاظم الحائري والسيّد حسين هادي الصدر (حفظهم الله).

(٢) مقابلة مع الشيخ حسين سرور (حفظه الله).

(٣) مقابلة مع الشيخ محمّد باقر الناصري (حفظه الله).

(٤) وسائل الشيعة ٢٥: ٢٦٤.

(٥) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٤ ـ ١٤٥.

بتفاصيل ما قاله الطبيب. هنا عاد (رضوان الله عليه) إلى وضعه الطبيعي وبدأ يخفّف ممّا أحسّه في نفسي من تأثّر، وقال: (أنا يا ولدي أريد أن أغيّر هذا الواقع بقولي وفعلي، وعليك أن لا تنسى هذه الحقيقة في كلّ تصرّفاتك وأعمالك في المستقبل)»[١].

٢ ـ «رغم تحسّن الوضع المالي للسيّد الشهيد في السنوات الأخيرة، فقد بقي حال منزله من ناحية التأثيث وما فيه من لوازم منزليّة على حاله، وكنتُ في فترة الاحتجاز أحدّث نفسي فأقول: لو أنّ السلطة البعثيّة أرادت مصادرة محتويات هذا المنزل فهل ستجد شيئاً ماديّاً يستحقُّ المصادرة؟ ومع ذلك فبعد استشهاده سلبت السلطة جميع ما فيه من أشياء بسيطة لتؤكّد خبثها ودناءتها. وقد سمعتُ السيّد الشهيد يقول: (يجب عليَّ وأنا في هذا الموقع ـ يعني المرجعيّة ـ أن أكون في مستوى العيش بمستوى الطلبة الاعتيادي)»[٢].

٣ ـ «استشهد وهو لا يملك وسيلة للنقل (السيّارة)، وكان أحد الأخيار قد أوصى بسيّارته (التويوتا) للسيّد الشهيد، ولمّا استلمها أمر ببيعها ليضيف قيمتها إلى أموال الرواتب والمساعدات، في وقتٍ كان بأمسّ الحاجة إلى وسيلة للتنقّل، فمن ناحية كان يواجه‌رحمه‌الله حرجاً من أخلاق بعض السوّاق وتصرّفاتهم، ومن ناحية أخرى كانت الأوضاع الأمنية تتطلّب ذلك. ورغم إلحاحنا عليه بعدم بيعها، إلاّ أنّه أصرّ على ذلك، وظلّ إلى آخر يوم من حياته مكتفيا في تنقّله بسيّارات الأجرة أو سيّارات الأصدقاء»[٣].

٤ ـ «وكان (رضوان الله عليه) قد أمرني بالاحتفاظ بجميع الهدايا من الأقمشة وغيرها لتوزيعها على الطلبة فيما بعد، وكان إذا حضر في مجلسه العامّ المنعقد قبل ظهر كلّ يوم لاحظ أوضاع الطلبة الحاضرين، فإن رأى أنّ ملابس أحدهم غير لائقة ومناسبة لشأن طالب العلم يأمرني بإيصال قطعة قماش له مع أجرة خياطتها»[٤]، وكان يعطي لذلك عشرين ديناراً[٥].

٥ ـ وقد أتاه أحدهم بخمس وإلى جانبه اثنا عشر ألف ديناراً، وأعطاها إيّاه وقال: «أمّا هذا الخمس فأنت أعرف به، وبقيت الاثنا عشر ألف دينار فهي هديّة منّي لكم لتشتروا داراً خاصّةً بكم»، فأجاب‌رحمه‌الله: «أمّا شراء الدار لنفسي فهذا غير ممكن، يبقى أن يُشترى بيتٌ للطلبة، فلا بأس به»[٦].

وكان‌رحمه‌الله يقول: «أحبُّ أن أواسي بنوع من المواساة إخواني وأبنائي الطلبة، أن أشاركهم مقداراً من المشاركة، أن لا يكون لي دارٌ كحالهم، ولو بقي هناك فرقٌ بيني وبينهم هو أنّني أستطيع دفع الإيجار»[٧].

٦ ـ تقدّم تاجرٌ من أهل البصرة من مريدي السيّد الصدر‌رحمه‌الله بعرض إليه من أجل شراء دار، وذلك بعد أن علم أنّ داراً تقع إلى جانب منزل السيّد الصدر‌رحمه‌الله معروضة للبيع، فحاول شراءها وأخبره بأنّ مال الشراء مالٌ شخصيٌّ وليس من الحقوق الشرعيّة. ولكنّ السيّد الصدر‌رحمه‌الله رفض قبول هذا العرض وقال له: «إذا اشتريت هذه الدار فإنّي سوف أوقفها لسكن الطلاّب ولن أسكنها أبداً».

---

(١) شهيد الأمة و شاهدها ١: ١٣٤ ـ ١٣٥.
(٢) شهيد الأمة و شاهدها ١: ٢١٠.
(٣) شهيد الأمة و شاهدها ١: ٢١٢ ؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٥.
(٤) شهيد الأمة و شاهدها ١: ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٥) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديث مع الشيخ محمّد رضا النعماني.
(٦) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٤)، ٩/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ نقلاً عن السيّد محمود الهاشمي.
(٧) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٤)، ٩/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ نقلاً عن السيّد عبد العزيز الحكيم.

فقال المتبرّع: «**أريدها داراً خاصّةً لكم**»، فقال السيّد الصدر‏رحمه الله: «**أنا لن أمتلك داراً حتّى يتمكّن كلّ طلبة [=طالب] من شراء دور لهم، وحينئذٍ سأكون آخر من يشتري**»[(١)].

٧ ـ وربّما اتّحدت هذه الحادثة مع ما ينقله الشيخ سلمان السوداني حيث يقول: «**عرض أحد تجّار البصرة اسمه الحاج هوّاز على الشهيد الصدر أن يشتري له بيت فرفض، فقلت له نشتري بيتاً في كربلاء فوافق، ولكن في اليوم الثاني بعث إليّ وقال قل للحاج هوّاز لنستعمل المال لبناء منازل للطلبة**»[(٢)].

٨ ـ بل ربّما مع هذه الحادثة أيضاً حيث تنقل زوجة السيّد الصدر‏رحمه الله أنّه عُرض بيتٌ قريب لبيت السيّد‏رحمه الله للبيع فسمع بذلك أحد محبّيه، فقدم إليه وقال له: «**إنّي أريد أن أشتري هذا البيت لكم لأنّ بيتكم بيت إيجار وهو قديم**»، فلم يقبل السيّد وقال له: «**إنّي لست بحاجة إلى بيت ملك ولكنّ الطلبة بحاجة إلى ذلك**»، فصحبه السيّد إلى شارع الإمام زين العابدين‏عليه السلام ـ أي بجوار الحرم الشريف ـ واشتروا هناك قطعة أرض خصّصها السيّد إلى الطلبة وكان يريد أن يبنيها شققاً لطلاّب الحوزة ولكنّ الوقت لم يساعده واستشهد‏رحمه الله قبل أن يحقّق فكرته[(٣)]، وإن كان الرجل قد اشترى الأرض فعلاً[(٤)].

٩ ـ كما أنّ الحاج كاظم عبد الحسين عرض على السيّد الصدر‏رحمه الله شراء دار له فرفض، وعرض عليه الخروج من العراق وشراء دار له في أيّة دولة يختار العيش فيها، فرفض الخروج والدار[(٥)].

١٠ ـ وربّما اتّحدت مع ما نقله السيّد عبد الكريم القزويني من أنّ أحد تجّار الكويت شراء دار له، فرفض‏رحمه الله واقترح شراءه للمرجعيّة بحيث يتناوب عليه المراجع [(٦)].

١١ ـ وأهداه تاجرٌ عراقيٌّ عباءة غالية جدّاً من الوبر، وعندما خرج التاجر من المجلس أهداها السيّد الصدر‏رحمه الله إلى أحد الطلبة الجالسين[(٧)].

١٢ ـ وكانت تأتيه هدايا ثمينة ومنها من الخليج، فكان يسأل عن أوضاع الطلبة ويقدّم لهم القماش مع أجرة الخياطة[(٨)].

١٣ ـ و سنة ١٩٧٧م أعطاه أحد التجّار هديّة سيّارة (تويوتا) للتنقّل بها خاصّةً بين النجف وبين

---

(١) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٣ ؛ وقد ذكرها لي الحاج محمّد علي محقّق‏رحمه الله مستخدم السيّد الصدر‏رحمه الله بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٨م، وهذه الحادثة ترجع إلى سنة (١٣٩٥هـ) وما قبل. كما نقل قريباً جدّاً منها الشيخ عفيف النابلسي نقلاً عمّن نقلها عن السيّد محمّد باقر الحكيم‏رحمه الله، غير أنّه قال: إنّهم من تجّار بغداد لا البصرة (خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ١٦١) ؛

(٢) الشيخ سلمان السوداني، ندوة مؤسّسة الأبرار في الذكرى الخامسة والعشرين على استشهاد الشهيد الصدر (على شبكة الإنترنت).

(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر‏رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) ؛ كلمة للسيّد حسين هادي الصدر (دام ظله) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٦.

(٤) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٦.

(٥) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٣.

(٦) مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (دام ظله).

(٧) الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٤ ؛ صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٥)، ١٦/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ.

(٨) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٥٩٦)، ١٨/شوّال/١٤١٣هـ، نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني.

كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام كلّ ليلة جمعة، فاستلمها السيّد الصدر رحمه الله وشكر صاحبها ثمّ أمر ببيعها وتوزيع المال على الطلبة المحتاجين[١].

١٤ ـ كما أنّ (الحاج عدّاي العطيّة الحميداوي) عم الشيخ خالد العطيّة أوصى بسيّارته للسيّد رحمه الله، فلمّا استلمها قال: «**لا استخدمها**»، وبعد [ما يقرب من شهر] طلب من أحد الإخوة أن يذهب إلى المعرض ويبيعها، [فبيعت بثلاثة آلاف وخمسمائة دينار]، ثمّ قام بتوزيع المبلغ على الطلبة[٢]، ولم يأخذ من مالها لنفسه أو لعائلته إلاّ جزءاً بسيطاً فقط[٣].

إلاّ أنّ السيّد الصدر رحمه الله لم يكن سلبيّاً تجاه الحياة الطبيعيّة، فقد فرح للشيخ محمّد باقر الناصري عندما أخبره ـ بعد تشييع شاركا فيه ـ بأنّه اشترى سيّارةً وأنّه يقودها بنفسه، وركب معه وأوصله إلى داره في النجف[٤].

١٥ ـ ونُقِل أنّ [ابن أخيه السيّد حسين] جاءه وأخبره بأنّ في المدرسة الشبريّة أحد الطلبة لم يذق طعاماً منذ يومين، فاعتلت على وجهه كآبة وارتعدت فرائصه وقال: «**صحيحٌ هنا في النجف من الطلبة من هو جائع لم يذق طعاماً منذ يومين وأنا شبعان؟!. [كيف بي أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!]، ماذا أقول للإمام الحجّة؟! ماذا أجيب ربّي يوم القيامة؟!، [لماذا لم يقولوا لي؟!]**». وعندها ناول هذا الشخص خمسة دنانير وأمره أن يحثّ الخطى وأن يعتذر إليه وطلب منه أن يستغفر له لأنّه لم يكن على علم بحاله[٥].

١٦ ـ ويبعث السيّد عبد الرحيم الشوكي أحد الأشخاص إلى السيّد الصدر رحمه الله عندما كان وكيله وأعطاه بعضاً من الأموال ليدفعها إليه ففعل، غير أنّ السيّد الصدر رحمه الله أرجعها إليه ثانيةً بعد أن رفع منها ديناراً واحداً، فتعجّب هذا الشخص وسأله عن عدم قبوله المال فأجابه رحمه الله: «**فرّقوه على من تعرفون من الطلاّب المعوزين**»، فقال له: «**فلم رفعت منه ديناراً فقط**»، قال: «**هذا هو ما يكفيني ليومي وإنّ الذي رزقني ليومي هذا سيرزقني لغد**»[٦].

١٧ ـ يقول الشيخ سلمان السوداني: «**ذهبت إليه يوماً قبل وفاة السيّد الحكيم وكان أحد الإخوة من العلماء لديه عائلة كبيرة ويحتاج للمعونة، وكان السيّد باقر الحكيم رحمه الله يعطيني مبلغاً للعائلة ولكنّ المبلغ لا يكفي، فأشار عليّ بأن أذهب إلى السيّد الصدر لأطلب له بعض المساعدة. ذهبتُ إلى السيّد الصدر**

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٥٩٦)، ١٨/شوّال/١٤١٣هـ نقلاً عن السيّد محمّد الحيدري ؛ صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٥)، ١٦/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ ؛ وفي مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر (دام عزه) أنّ أحد تجّار الشاميّة أهداه سيّارة، فلعلّ الحادثتين متّحدتان.

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٥٩٦)، ١٨/شوّال/١٤١٣هـ نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني، وما بين () استفدناه من مواضع أخرى ؛ وما بين [] استفدناه من السيّد محمود الخطيب ؛ كلمة للسيّد حسين هادي الصدر (دام عزه).

(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٦.

(٤) مقابلة مع الشيخ محمّد باقر الناصري (دام عزه).

(٥) الإمام الشهيد السيّد محمد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه: ٧٩ ـ ٨٠. وما بين [] من: صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٩)، ١٤/محرّم/١٤٠٥هـ.

(٦) الإمام الشهيد السيّد محمد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه: ٧٣.

وأخبرته بحاجة العائلة، فأخرج السيّد ديناراً من جيبه وقال: (**هذا كلّ ما عندي لعائلتي واعطه له وليعذرني)**»[(١)].

١٨ ـ وكان السيّد محمّد محمّد الحيدري يستضيف في بيته كثيراً من الناس، ولمّا علم السيّد الصدرﷺ بعدم وجود مجمّدة في بيته أرسل وراءه وقدّم إليه مبلغاً من المال يعادل سعر واحدة، ولكنّه رفض المبلغ بعد أن شكره عل ذلك، فقالﷺ: «**إنّ هذه الأموال ليست حقوق شرعيّة، وإنّما هي من مالي الخاص**»، وألحّ على استلامها وشراء مجمّدة لحاجته الماسّة إليها كما قالﷺ، فاستلمها السيّد الحيدري وقبّل يده، وكان ملتزماً بهذه العادة تجاهه[(٢)].

١٩ ـ وذات مرّة صمّم الشيخ محمّد فرحاتﷺ على مغادرة النجف الأشرف والعودة إلى لبنان، ولمّا علم السيّد الصدرﷺ بذلك قال له: «**نحن لا فضل لنا، فقد خلقنا والعمائم على رؤوسنا، ولكنّ الفضل يعود إليكم أنتم الطلبة الذين تهاجرون من بلادكم البعيدة طلباً للعلم**»، فما كان من الشيخ فرحاتﷺ إلاّ أن عدل عن قراره[(٣)].

٢٠ ـ وعندما سافر الشيخ علي شحرور إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينيّة قال له السيّد الصدرﷺ: «**إنّ الناس يهيّئون أنفسهم لطلب المال وغير ذلك، وأنت قد هيّأت نفسك للإسلام، فاثبت على هذا الطريق**»[(٤)].

٢١ ـ وينقل عنه الشيخ مهدي الحيدري أنّه عندما كان صغيراً كان معه مجموعة من الأولاد مجتمعين بالقرب من حرم أمير المؤمنينعليه السلام للمذاكرة لقرب موعد الامتحانات.

وعندما قدم السيّد الصدرﷺ إلى الحرم العلوي الطاهر لأجل صلاة الفجر طلب منه أن يجيبه عن مسألة معيّنة فاعتذر السيّد بلطف وقال: «**إنّ وقت الصلاة في آخره ولا أستطيع البقاء معكم والإجابة عن سؤالكم**»، ولكنّه في اليوم التالي أتى مبكّراً وقال لهم: «**أتيتُ مبكّراً لأجيب عن أسئلتكم**»، ففرشوا له وجلس معهم[(٥)].

٢٢ ـ وينقل أحد العلماء أنّه عندما كان عمره أحد عشر عاماً كتب كتاباً مختصراً في تعليم الصلاة يتكوّن من خمس عشرة صفحة فقط، وفكّر في نفسه أنّ أفضل من يصحّح له الكتاب هو السيّد الصدر. وفعلاً ذهب إلى السيّد في المسجد الذي يلقي فيه درس الخارج فاستقبله السيّد بكلّ حفاوة وأخذ منه الكتاب بكلّ رحابة صدر. وبعد عدّة أيّام أرجع له الكتاب وقد صحّحه وعلّق عليه وقال له: «**إذا لم يطبع له أبوه الكتاب فهو يطبعه على نفقته**»[(٦)]، ويُحتمل أنّه السيّد عبد العزيز الحكيم

---

(١) الشيخ سلمان السوداني، ندوة مؤسّسة الأبرار في الذكرى الخامسة والعشرين على استشهاد الشهيد الصدر (على شبكة الإنترنت).
(٢) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٨١، والرواية للسيّد الحيدري. والمجمّدة عندهم هي البرّاد عندنا على ما يبدو.
(٣) حدّثني بذلك الشيخ محمّد فرحاتﷺ قبيل وفاته شتاء ١٩٩٧م.
(٤) مقابلة مع الشيخ علي شحرور (حفظه الله).
(٥) من مذكّرات أسرة السيّد الصدرﷺ للمصنّف، (مخطوط).
(٦) من مذكّرات أسرة السيّد الصدرﷺ للمصنّف، (مخطوط).

الذي تشجّع إثر ذلك على تقديم المشروع إلى والده السيّد محسن الحكيم رحمه الله[١].

٢٣ ـ وعندما أفرج عن الشيخ مهدي على أكبر العطّار رحمه الله ـ المنتمي إلى حزب الدعوة ـ قدّم السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد محمّد الغروي ـ زميل الشيخ ـ مبلغاً من المال من أجل إيصاله إليه وطلب منه أن ينقل إليه تحيّاته. ولمّا وصل السيّد الغروي إلى بيته في الكاظميّة وجده عاجزاً عن السير من شدّة التعذيب، فقدّم له مبلغ المال[٢]، وعندما وصف السيّد الغروي حال الشيخ للسيّد الصدر رحمه الله تألمّ لذلك، وكان رحمه الله يهتمّ بعائلة الشيخ أثناء اعتقاله[٣].

٢٤ ـ وألّف أحد الطلاّب كتاباً حول (خلق الأعمال) وقدّمه إلى السيّد الصدر رحمه الله، وفي اليوم التالي حضره المؤلّف فقال له رحمه الله: «**بارك الله لك في هذا المجهود**»، وحثّه على الكتابة أكثر وقال: «**إنّني قد سهرت البارحة مع الكتاب وقرأته من أوّله إلى آخره**» ثمّ أعطاه عشرين ديناراً وقال له: «**اشترِ بهذا كتاب (الأسفار الأربعة)**»[٤].

٢٥ ـ وعندما ترك أحد الموظّفين وظيفته وأتى إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الدينيّة وزار السيّد الصدر رحمه الله، عرّفه أحد المشايخ فأوعز رحمه الله بأن يُعطى ثلاثين ديناراً تشجيعاً له بوصفه طالباً جديداً[٥].

٢٦ ـ وكان رحمه الله يشرف بنفسه على تقسيم الحقوق الشرعيّة وصرفها ووضعها في مواضعها؛ وكان على رأس كل شهر يأمر زوجته بالجلوس إلى جانبه بالقرب من خزانة مفاتيحها بيده، وكانت في الغرفة العلوية من البيت. فكان يحسب مقداراً معيّناً لكلّ طالب علم، ثمّ تضعه زوجته بدورها في ظرفه الخاص وتكتب اسماً معيّناً بحسب السجل الذي كان عنده، ليقوم هو بأخذها إلى مسؤول توزيع الشهريات على طلاّب العلوم الدينيّة. ولم يكن رحمه الله ليزيد لنفسه أو لأهله شيئاً منها ـ ولو ديناراً واحداً ـ أكثر ممّا كان يقسّمه بين طلابّه أو المحتاجين. وقد يتّفق أحياناً أن يصله ريع بعض ما يقدّم للطبع والنشر من نتاجه الفكري، ومتى ما وصله شيءٌ من ذلك، كان يمتنع عن أخذ سهمه المعتاد الخاص به من الحقوق الشرعيّة تلك، وذلك لكي يوفّره لغيره[٦].

علاقته بالناس

كان السيّد الصدر رحمه الله يستقبل عموم الناس يومي الخميس والجمعة[٧]، وكان يقول: «**أنا ملكٌ للأمّة ولستُ ملكاً لنفسي**»[٨]، وكان لا يميّز أحداً على آخر أو قوميّة على أخرى[١]، وعندما زاره السيّد

---

(١) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (حفظه الله) ؛ زندگی نامه شهید آیت الله صدر (فارسي): ٦١، نقلاً عن السيّد عبد العزيز الحكيم.

(٢) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله) ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٣) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٤) خواطر محفوظة بدون سند (حفظه الله).

(٥) خواطر محفوظة بدون سند (حفظه الله).

(٦) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٧.

(٧) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٨) صحيفة (الشهادة)، العدد (٣٠٠)، ٢٧/رمضان/١٤٠٩هـ نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني.

كاظم البغدادي قال له السيّد الصدر: «**تفضّلوا نكون بخدمتكم**»، فقال له: «**سيّدي أنت تكون بخدمتي؟!**»، فأجابه: «**أنا بخدمتكم وخدمة جميع المسلمين**»[٢].

ولا بأس هنا بالتعرّض إلى علاقته بالناس عموماً:

١ ـ يقول السيّد محمّد باقر الحكيم: «**..عندما تصدّى للعمل المرجعي والاجتماعي العام، فأسّس له مجلساً أسبوعيّاً على الطريقة التقليديّة تحضره وجوه اجتماعيّة وتقليديّة، ولقاء أسبوعيّاً في يوم الجمعة مع الزائرين للنجف أو المرتادين على ديوانه، ووقتاً يوميّاً يفتحه للزائرين وأيّاماً خاصّة يعقد فيها المجالس العامّة مثل مناسبة وفاة الإمام موسى الكاظم ويقوم بحضور المجالس العامّة كالتعازي ومجالس الفاتحة وزيارة القادمين إلى النجف**»[٣].

٢ ـ وكان يوميّاً يجلس ساعة قبل صلاة الظهر[٤]، ويوم الجمعة[٥]، يستقبل الناس ويتعرّف على مشاكلهم. وكان يخاطب الشاب والصغير بـ(عمّي)، (ابني)[٦]، [والآخرين] بـ(شيخنا)، (سيّدنا)، وكان يسبق غيره إلى السلام[٧]، ويسلّم على الصغير والكبير[٨]، ويقوم لكلّ طالب صغيراً كان أم كبيراً، ويرحبّ به ويقول: «**يرعاك الله، الله يحفظك**» وإن كان القيام بشكل متواصل عسيراً عليه[٩].

وعن هذا الأمر يقول السيّد محمود الخطيب: «**ما رأيت شخصاً التقاه أو تقرّب منه للسلام عليه أو السؤال منه حتّى كان يستمع إليه ويتحاور معه بكلّ رحابة صدر وارتياح بل وأكثر من هذا حتّى لو كان هذا السائل صغيراً أو كبيراً أو كاسباً، وهذا ما نجده فقط عند الأنبياء والأئمّة والقائد الحقيقي**»[١٠].

وينقل جاره أنّه لم يكن يميّز بين أهل العلم وغيرهم، وكان إذا مرّ في السوق حتّى الحمّال كان يقف له[١١].

٣ ـ وفي يوم من الأيّام دخل عليه الحاج جواد الزبيدي ومعه ابنه ميثم وعمره بين ستّ وسبع سنوات، فقال الحاج الزبيدي للسيّد: «**سيّدنا! ابني ميثم عنده سؤال**»، فقال السيّد: «**إليّ يا ميثم**»، وأجلسه إلى جانبه وقال له: «**ما هو سؤالك؟!**»، فأجاب ميثم بهدوء: «**سؤالي ليش الله وافق على قتل الحسين**»، فقال السيّد: «**عافية عافية، أحسنت، سؤالك جميلٌ جداً وكبير**»، وضرب له مثلاً ربَّ أسرة عنده مجموعة من الأولاد، وفيهم ولدٌ مميّزٌ وعزيزٌ عليه جدّاً، ويعرف أنّ إخوته يمكن أن يؤذوه،

---

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

(٢) مقابلة مع السيّد محمّد باقر الحكيم بتاريخ ١٩٨١/١/١٤م (قدس سره).

(٣) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار).

(٤) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٧٠، والرواية للسيّد محمّد الحيدري.

(٥) ترجمة السيّد الصدر، السيّد محمّد الغروي (قدس سره).

(٦) صحيفة (لواء الصدر)، ٢٧/صفر/١٤٠٥هـ.

(٧) صحيفة (لواء الصدر)، ١/ذي القعدة/١٤٠٤هـ.

(٨) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٦٢)، ٢٤/ذي القعدة/١٤٠٤هـ.

(٩) لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (قدس سره).

(١٠) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر للمصنّف، (مخطوط).

(١١) مقابلة مع جار السيّد الصدر (حفظه الله).

ولكنّه لا يمنعهم، بل يمتحنهم من خلاله[١].

٤ ـ يقول الشيخ نجيب سويدان﵀: «**لكم كنتُ أسمع منه أنّه يتطلّع إلى اليوم الذي يجول فيه كلّ العالم الإسلامي ليعرف مشاكل المسلمين عن كثب ويعرف همومهم بشكل مباشر**»[٢].

٥ ـ وقد بلغه أنّ أحد المؤمنين في كربلاء ممّن لا علاقة له به قد اعتقلته سلطة البعث، فشوهد مهموماً لذلك، ولمّا سأله أحد تلامذته عمّا إذا كان قد حدث له شيءٌ شخصيٌّ يؤذيه أجاب: «**إنّني قلّما أتأثّر لوضعي الشخصي، إنّما أتأثّر للمسلمين**»[٣].

٦ ـ وقد سأله أحدهم بمجلسه: «**ما تقول في إنسانٍ لا يتمُّ قراءة الجزء القرآني الذي يقدّم في الفاتحة؟**»، فقال﵀: «**أمّا أنا فأقرأ الجزء كلّه**».

٧ ـ وذات مرّة أراد شاب أن يسأله سؤالاً، فأخرج ورقةً كبيرةً وراح يقرأ حول المجتمع العراقي وكيف يدعو المؤمن إلى الله تعالى، وكان ذلك بلسان تعليميٍّ للحاضرين حتّى تململ الجالسون، ولكنّ أحداً لا يجرؤ على منعه أمام السيّد﵀. ولمّا انتهى قال السيّد﵀ بابتسامة: «**لم يكن هذا سؤالاً**»، وكان إلى جانبه الشيخ هادي القرشي فقفّى قول السيّد: «**بل خطبة جمعة**». فاستطرف الشاب ذلك واعتذر عمّا صدر منه[٤].

٨ ـ ومرّة راح أحد الشبّان يتحدّث عن قوله تعالى ﴿**وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[٥]، وراح يشرح ما يفهمه من الآية بأسلوب تعليمي، ثمّ التفت إليه السيّد﵀ وشرح له كيف أنّ عموم الآية لا يخصّصه السياق، ثمّ شرح له معنى التهلكة وعدم الوقوع فيها بأسلوب مبسّط لطيف.

٩ ـ وذات مرّة أخرى جاءه بعض الشبّان المصريّين من أهل السنّة وراحوا يناقشونه حول الإمامة. وضمن الحديث استشهد السيّد﵀ بحديث من صحيح البخاري فقال له أحدهم: «**لا يوجد هذا الحديث في صحيح البخاري قطعاً وأنت مشتبه**»، فأجابه السيّد بهدوء: «**[بلى]، يوجد هذا الحديث في صحيح البخاري**»، وكان الوقت ظهراً قريب موعد الصلاة، فكلّف السيّد محمّد الصدر﵀ بإخراج الحديث فأتى عصراً بصحيح البخاري وفيه الحديث[٦].

١٠ ـ كما أنّ أحد السادة من سدنة الحضرة ومن مريدي السيّد الصدر﵀ ترافع عنده ضدّ أحد الأشخاص الذين لا يرتبطون به. وعندما استمع السيّد إلى كلا الطرفين حكم للطرف الآخر وألزم السادن أن يدفع للطرف الآخر (٥٠٠) دينار، ثمّ بعد ذلك بعث إلى السيّد حسين الصدر يقول له: «**إنّ فلاناً صار مديوناً بـ٥٠٠ دينار فخذ ٥٠٠ دينار من حاج (فلان) واعطها لذاك السيّد**»[٧].

١١ ـ وذات مرّة زار السيّد حسين هادي الصدر مع السيّد الصدر﵀ أحد المؤمنين، وقد استقلاّ

---

(١) حدثّني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٣م.

(٢) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (﵀).

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٩)، ١٤/محرّم/١٤٠٥هـ ؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٠.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، ٤/ربيع الأوّل/١٤٠٥هـ.

(٥) البقرة: ١٩٥.

(٦) صحيفة (لواء الصدر)، ١١/ربيع الأوّل/١٤٠٥هـ.

(٧) صحيفة (لواء الصدر)، ١٨/ربيع الأوّل/١٤٠٥هـ نقلاً عن السيّد حسين هادي الصدر.

سيّارة السيّد حسين الصدر. وعندما وصلا إلى الدار وأراد السيّد إعطاء صاحب الدار مساعدة ماليّة، طلب من السيّد حسين الصدر الابتعاد بحيث لا يراه ذلك الشخص، ثمّ أعطاه المساعدة[١].

١٢ ـ وقد جاءه شخصٌ وقال له: «**سمعت أحدهم يقول بأنّك مجتهد فلم أوافقه على ذلك، وقلت له: إنّ السيّد محمّد باقر الصدر كان بالأمس طلبة فكيف تقول إنّه مجتهد؟!**»، فأجابه السيّد‏: «**نحن [كنّا] طلبة ونبقى طلبة**»[٢].

١٣ ـ يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**طلب أحد (الطلبة) اجتماعاً خاصّاً بالسيّد الشهيد‏، وفي هذا اللقاء طلب مساعدةً ماليّة ليتمكّن من إجراء عملية جراحيّة لزوجته، وكان وضعها حرجاً من هذه الناحية.**

كان الوضع المالي للسيّد الشهيد في تلك الفترة يعاني ضيقاً وشدّة، ومع ذلك أخرج مائة دينار وسلّمها إيّاه، واعتذر من قلّته. أخذها الرجل حامداً شاكراً، وكان هذا المبلغ في ذلك الحين مبلغاً لا بأس به.

تحدّث هذا الرجل في مجلس من مجالس النجف عن كرم السيّد الشهيد وأريحيّته، وذكر قصّته معه، فتحفّز أحد الحاضرين ـ طمعاً في المال لا لحاجته إليه ـ ليكرّر ما يشبه تلك القصّة، فجاء يطلب المال لحاجة ذكرها، واعتذر السيّد الشهيد بعدم توفّر المال لديه، وأوعده أنّه متى ما توفّر يحقّق له ما يريد.

ظنّ هذا الرجل أنّ هذا الاعتذار تبريرٌ لحرمانه ومنعه من العطاء وليس عذراً واقعيّاً، فانهال على السيّد الشهيد يكيل التهم والشتائم، فقال له: إنّكم تصرفون الحقوق الشرعيّة لشراء الذهب لنسائكم وبناتكم، تبنون القصور، وتشترون السيّارات، قبل يومين جاء فلان فأعطيته مائة دينار، وأنا اليوم أطلب منكم فلا تعطيني.

أمّا السيّد الشهيد فظلّ صامتاً يستمع إليه وحاول تهدئته بما يمكن، لكن لم تجد معه تلك المحاولات.

كنتُ قد قرّرت وأنا أسمع إلى وقاحته أن ألقّنه درساً فقد تملّكني الغضب والانفعال. وكان السيّد الشهيد قد لمح ذلك في وجهي.

فلّما أراد الخروج خرجت معه إلى باب المكتبة، فأمرني (رضوان الله عليه) بالجلوس، وظلّ ساكتاً حتّى سمع صوت غلق باب المنزل حيث تأكّد من خروجه، هنا قال لي: (ماذا كنت ستفعل؟)، فأخبرته بما كنت عزمت عليه، فقال: (لا بأس عليك، إنّني أسمع أكثر وأقسى ممّا سمعت، ويجب عليك أن ترتفع بأخلاقك وصبرك إلى مستوى المسؤولية، فإنّي بالرغم ممّا سمعت من هذا الرجل من تهم وشتائم، فإنّي لا أحمل عليه حقداً ولا كرهاً لأنّه لو اطّلع على أوضاعي لما صدر منه ما صدر، وسوف يأتي اليوم الذي يندم فيه، ويصلح خطأه).

وشاء الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يأتي هذا اليوم، وجاء الرجل يعتذر يقبّل يد السيّد الشهيد ورجله، وعندها ذكّرني بما نصحني به وقال: هكذا يجب أن نتعامل مع الناس»[٣].

١٤ ـ ويقول الشيخ النعماني أيضاً: «**ومن المواقف الرائعة التي لا زال لها وقع في نفسي قصّة ذلك**

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، ٢٥/ربيع الأوّل/١٤٠٥هـ.

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، ١/جمادى الأولى/١٤٠٥هـ.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٧٧ ـ ١٧٩.

الشاب الذي فجع في لحظة واحدة بجميع أهله بحادث سيارة.

كان هذا الشاب في غاية التأثّر، يكاد قلبه يتقطّع من هول المصيبة التي حلّت به، يبكي بلا انقطاع بزفرات تبكي الصخر الأصمّ، ولا يستطيع أحدٌ وهو يرى هذه الحالة إلاّ أن يواسيه بدمعة حارّة. سألني صديقه عن إمكانيّة اللقاء بالسيّد الشهيد في هذه الساعة من الليل، فوجدتُ أنّ من المناسب أن يواسى هذا الشاب المصاب، وكنتُ أظنّ أنّ أحداً لا يستطيع أن يخفّف من هول الصدمة التي يعاني منها، وكنت أحسبُ أنّه سوف يخرج بنفس الحالة التي جاء بها.

جاء السيّد الشهيد (رضوان الله عليه) فأجلس الشاب المفجوع إلى جانبه، وبدأ بعاطفته الحارّة وبكلماته الرقيقة يخفّف عليه من معاناته ويهوّن عليه من مصيبته، ولمّا أن تمكّن من قلبه بدأ يشرح له حقيقة الموت، وأنّه بداية الطريق إلى حياة أسعد وأجمل من حياتنا هذه، وقرأ له بعض الآيات والروايات، ثمّ قال له: إذا كنت قد فقدت أباك فأنا أبوك، وإن كنت فقدت إخوتك فهذا ولدي جعفر أخوك ـ كان جعفر واقفاً عند الباب ـ بل جميع هؤلاء إخوتك.

كان هذا الشاب يصغي للسيّد الشهيد وقد أخذت هذه الكلمات الموشّحة بأرقّ العواطف والمشاعر مأخذاً من قلبه، وبدأت ابتسامة ترتسم على وجهه، فأحسّ بالراحة والاطمئنان.

ثمّ أمر (رضوان الله عليه) بإحضار العشاء، وأظنّ أنّه اشترك معنا، وبعد ذلك خرج الشاب وقد اطمأنّت روحه وسكنت نفسه، وكأنّه لم ينكب بمصيبة كبيرة»[(١)].

يُشار أخيراً إلى أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان يحضر تشييع بعض الشخصيّات، من قبيل تشييع الحاج حسن الدجيلي أحد تجّار النجف وهو من أهل الخير والصلاح، وحضر في حينها السيّد حسين الصافي وزير العدل في ذلك الوقت، والذي تظاهر بعدم معرفته بالسيّد الصدر رحمه الله مستفسراً عنه عندما رأى الناس تحاول تقبيل يده[(٢)].

إهداءاته ومعايداته

كما السيّد الصدر رحمه الله يهدي كتبه إلى الآخرين[(٣)]، ويقوم بمعايدتهم في مناسبات الأعياد من خلال إرسال بطاقات معايدة، ومنها المعايدات التالية

«بسم الله الرحمن الرحيم

جناب ثقة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ يوسف نفسي دامت بركاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تلقّينا تهنئتكم الكريمة بمناسبة حلول العيد السعيد فنشكر لكم عواطفكم الدينيّة ومشاعركم الخيّرة، ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يعيده عليكم باليمن والصحّة والعافية وعلى المسلمين عموماً بالكرامة والعزّة، كما نسأله عزّ وجلّ أن يوفّق الجميع لتحقيق معنى العيد بالتزام إطاعته واجتناب معاصيه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيّام الحصار: ١٠٩ ـ ١١٠ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) ذكريات السيّد عامر الحلو (حفظه الله).

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٠٩).

الصدر».

«بسم الله الرحمن الرحيم

تلقّينا تهنئتكم الكريمة بمناسبة حلول العيد السعيد، فنشكر لكم عواطفكم الدينيّة ومشاعركم الخيّرة، ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يعيده عليكم باليمن والصحّة والعافية، وعلى المسلمين عموماً بالكرامة والعزّة.

كما نسأله عزّ وجلّ أن يوفّق الجميع لتحقيق معنى العيد بالتزام إطاعته واجتناب معاصيه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

هذا ونسأل الله تعالى أن يسدّدكم ويوفّقكم للاستمرار في خدمة مدرسة العلوم الجعفريّة ورعايتها، وينفع المؤمنين بوجودكم الشريف.

وأمّا الكتب التي رغبتم في إرسالها، فسنرسل إليكم في البريد بعض ما تيسّر منها إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم وعلى من حولكم من المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

الصدر».

«بسم الله الرحمن الرحيم

تلقّينا تهنئتكم الكريمة بمناسبة حلول العيد السعيد فنشكر لكم عواطفكم الدينيّة ومشاعركم الخيّرة، ونسأل المولى سبحانه وتعالى أن يعيده عليكم باليمن والصحّة والعافية وعلى المسلمين عموماً بالكرامة والعزّة، كما نسأله عزّ وجلّ أن يوفّق الجميع لتحقيق معنى العيد بالتزام إطاعته واجتناب معاصيه، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

هذا وإنّي أسأل المولى سبحانه أن يتقبّل منكم بأفضل ما يتقبّل من عباده الصالحين ويرعاك أملاً وذخراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الصدر»[1].

«بسم الله الرحمن الرحيم

١٥ محرّم الحرام

يوم الثلاثاء

عزيزنا الصفي الوفي ثقة الإسلام الشيخ عبد الرسول الزاهد حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت تهنئتكم الكريمة بمناسبة عيدي الأضحى والغدير قبل ثلاثة أيّام، وإنّي إذ أشكر لكم تهنئتكم الكريمة أؤكد لكم أنّي لا أزال أجد صورتكم وذاكرتكم في أعماق قلبي وأبتهل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يرعاكم بعينه التي لا تنام ويدخل على قلبي الفرحة بلقياكم على أتمّ الصحّة والعافية والكرامة.

سلامي للشيخ المعظّم الوالد دامت بركاته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[2].

كما كان يراسل بعض الشخصيّات من غير محيط طلاّبه، ومنها رسالة إلى السيّد عبد الأمير آل زهرة الحلبي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١١٠).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١١١).

جناب الصفي الزكي والشريف الألمعي سليل الشجرة المباركة العلاّمة الجليل السيّد عبد الأمير محيي الدين آل زهرة الحلبي حفظه الله تعالى ورعاه بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت بكلّ تقدير رسالتكم الكريمة التي جدّدت لي عهداً بأحد أولادنا البررة، وقرأت في الرسالة مشاعركم الرفيعة وعواطف البنوّة البارّة الواعية وإحساسكم العميق بالمسؤوليّة والأمانة، وإنّي أبتهل إلى المولى القدير سبحانه وتعالى أن يرعاكم بعظيم لطفه ويتقبّل منكم هذه المشاعر والعواطف والأحاسيس بأفضل ما يتقبّل من عباده المخلصين ويسبغ عليكم من بركات هذا الشهر الشريف أفضل ما نحبُّ وتحبّون، ونحن يهمّنا أيّها السيّد العزيز تأييدكم وتعزيزكم وتقرّ عيوننا بما نسمعه عنكم من ترويج للدين ورعاية للمؤمنين، والسلام عليكم وعلى سائر السادة الأطياب وعموم المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر

١٢ شهر رمضان المبارك

إنّ حامل هذه الرسالة من أعزّائنا والمؤمنين السادة الأطياب وهو السيّد الفاضل المكرّم السيّد هادي الخرسان»[١].

وكذلك إلى السيّد رضي جعفر النقوي:

«باسمه عزّ شأنه

ولدي الأعزّ العلاّمة السيّد رضى جعفر النقوي دام عزّكم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أهدي إليكم تحيّات وأدعو لكم بالهداية والتوفيق، فقد وصلت رسالتكم الكريمة التي أنبأتني عن صحّتكم.

وها أنتم في بلد لا مرشد لكم إلاّ بصيرتكم ومنطلقكم الآن بين يديكم، فإن شئتم بنيتم لأنفسكم صرح مستقبل عظيم وهيّأتم لنفسكم حياة سعيدة.

وأنا دائماً أدعو لكم ولجميع تلامذتي الأعزّاء.

والله وليُّ التوفيق وخير رفيق.

كما أرجو أن لا تنسوني في مظانّ استجابة دعائكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الصدر»[٢].

أولاده

لقد رزق السيّد الصدر ﵀ من السيّدة فاطمة بستّة أولاد[٣]: ولد وخمس بنات، وهم مرتّبون على النحو التالي:

١ ـ (مرام): وهي الكبرى، (و: ٣/جمادى الثانية/١٣٨٣هـ = ١٩٦٣/١٠/٢١م)، وهي حرم ابن

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١١٢).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١١٣).

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٥١ ـ ٥٢ ؛ مقدّمة مباحث الأصول: ٨٥ ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩. وانظر حول كلّ مولود أحداث السنة الخاصّة به..

عمّها السيّد حسين السيّد إسماعيل الصدر (و: ٢٧/ربيع الثاني/١٣٧١هـ = ١٩٥٢/١/٢٥م)[١]، تزوّجها سنة ١٩٧٤م[٢]. وعند ولادتها أنشأت فيها عمّتها السيّدة بنت الهدى كلمات مقفّاة:

مـــرام يـــا آســـرة الأرواح   يـــا نجمـــة تلمـــع فـــي الـــصباح
مـــرام يـــا آســـرة القلـــوب   يـــا نجمـــة تلمـــع فـــي الغـــروب

فأعجب السيّد الصدر رحمه الله بهذه الكلمات، وصار يناديها في أكثر الأحيان بـ(آسرة القلوب)[٣].

٢ ـ (نبوغ): (و: ١٩٦٥/٨/١٧م = ١٩/ربيع الثاني/١٣٨٥هـ)، وهي حرم الشهيد السيّد مصطفى السيّد محمّد الصدر رحمهما الله (و:٢٣/شعبان/١٣٨٤هـ = ١٩٦٤/١٢/٢٨م). أولادها: أحمد، حسنات، صادق وزهراء[٤]، وكان رحمه الله يكثر من تسميتها بـ(أم أبيها)[٥].

٣ ـ (صبا): (و: ١٥/جمادى الأولى/١٣٨٩هـ = ١٩٦٩/٧/٣٠م)، وقد ولدت في لبنان، وتوفّيت أختها التوأم صغيرة، وهي حرم الشهيد الشيخ محمّد النعماني رحمه الله[٦]، وقد سمّاها والدها (الزهرة) نسبةً للكوكب الوضّاء[٧].

٤ ـ (محمّد جعفر): المعروف بـ(جعفر): (و: ٥/رجب/١٣٩٠هـ = ١٩٧٠/٩/٧م). أولاده: آمنة، فاطمة ومحمّد باقر[٨].

٥ ـ (حوراء): (و: ١٨/شعبان/١٣٩٢هـ = ١٩٧٢/٩/٢٨م)، وهي حرم الشهيد السيّد مؤمّل السيّد محمّد الصدر رحمهما الله (و: ٢٩/ذي الحجّة/١٣٩٠هـ = ١٩٧١/٢/٢٦م)، وكان والدها يلقّبها بـ(لقمان الحكيم). أولادها: علي وإشراق[٩].

٦ ـ (أسماء): (و: ١٢/ذي الحجّة/١٣٩٣هـ = ١٩٧٤/١/٦م)، وهي حرم السيّد مقتدى السيّد محمّد الصدر رحمه الله (و: ١٣/رجب/١٣٩٤هـ (١٩٧٤/٨/٢م)[١٠]، وكان والدها يناديها (منتزه)، تدليلاً لها، لأنّها كانت تجلو عنه الهم[١١].

كما قرن بين بناته وبين مؤلّفاته؛ فواحدة (فلسفتنا)، والثانية (اقتصادنا)، والثالثة (أسس)، والرابعة

---

(١) تفضّلت بذلك كريمات السيّد الصدر رحمه الله في جباع في أيلول/٢٠٠٤م. يشار إلى أنّ السيّد محمود الخطيب هو الذي قام بتسجيل زواج السيّدة (مرام) في المحكمة على ما حدّثني به غير مرّة، وذلك بفعل وكالة عامّة كان قد منحه إيّاها السيّد الصدر رحمه الله لمتابعة أموره في المحاكم.
(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ٢٢١.
(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.
(٤) تفضّلت بذلك كريمات السيّد الصدر رحمه الله في جباع في أيلول/٢٠٠٤م.
(٥) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.
(٦) تفضّلت بذلك كريمات السيّد الصدر رحمه الله في جباع في أيلول/٢٠٠٤م.
(٧) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.
(٨) تفضّلت بذلك كريمات السيّد الصدر رحمه الله في جباع في أيلول/٢٠٠٤م.
(٩) تفضّلت بذلك كريمات السيّد الصدر رحمه الله في جباع في أيلول/٢٠٠٤م ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.
(١٠) تفضّلت بذلك كريمات السيّد الصدر رحمه الله في جباع في أيلول/٢٠٠٤م.
(١١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.

(فدك)، والخامسة (الفتاوى الواضحة)، بينما بقي السيّد جعفر (سيّد جعفر)[١].

٧ ـ **ابتهال:** وللسيّد الصدر رحمه الله بنت اسمها (ابتهال)، كانت توأماً لابنته (صبا)، توفّيت ولها من العمر ١٨ يوماً، ودفنها الشيخ عبد الأمير قبلان في ساحة برج البراجنة، وقال: «**لقد تفضّل علينا آل الصدر، وأبوا إلاّ أن يتركوا بيننا بضعة منهم وإن في مقبرة**»[٢].

علاقته بأسرته[٣]

يذكر أهل السيّد الصدر رحمه الله أنّه كان في البيت في غاية الرحمة ومنتهى العطف، فقد كان مع أمّه الولدَ البار ومع أخته الأخ الصديق ومع زوجته الزوج المحبّ ومع أولاده الأب الرحوم.

وقد كان مع أمّه مصداقاً للولد البار المطيع لها إلى آخر يوم من حياته الشريفة، وكان يسألها إذا عزم على أمر معيّن هل تقبل أن ينجزه أو لا تقبل؟! ومهما كان جوابها كان يطيعه. وكان يجالس أخته ويراجع معها ما تكتبه ويجيبها ويعينها على كلّ ما تحتاج إليه ويعطي من وقته ساعات لها، فكان بحق الأخ الرفيق والشفيق والمعين في الوقت نفسه[٤].

وكان السيّد الصدر رحمه الله (حتّى ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥م) يقضي حاجات البيت بنفسه، فيذهب إلى السوق صباحاً حاملاً السلّ (الزنبيل)، وكان في البداية يذهب إلى سوق (الحويش) عندما كان منزله هناك ويشتري حاجيّات المنزل بنفسه[٥]، وكان يجلس مع البائعين والكسبة ويتحدّث إليهم[٦]. كما أنّه كان يركب السيّارة العموميّة مع عائلته إلى وقت مرجعيّته[٧].

وكان رحمه الله كلّما دخل البيت سلّم على والدته وأخته وزوجته والأطفال كأنّه قد فارقهم من زمن طويل[٨].

مع والدته

نتيجة فقد السيّد الصدر رحمه الله والده وتحمّل أخيه السيّد إسماعيل الصدر ووالدته الحاجّة بتول مسؤوليّة رعايته، فقد كان طبيعيّاً أن تشتدّ علاقته بهما، ولذا فقد كان يخصّص لوالدته جزءاً من وقته في كلّ يوم يجلس إلى جانبها ويلاطفها[٩]، وكانت تحدّثه عن والده وتحاول أن تغرس في نفسه أن يكون مثله، وكانت في ذلك الوقت تقرأ كتب التاريخ وتعدّ من المثقّفات[١٠]، وكانت رحمها الله ـ حتّى

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩ ؛ انظر أحداث سنة ١٣٨٩هـ.

(٣) تقدّمت الإشارة إلى علاقة السيّد الصدر رحمه الله بوالدته ضمن أحداث سنة ١٣٥٦هـ ؛ وانظر بعض الحكايا مع زوجته ضمن أحداث سنة ١٣٨١هـ وأحداث سنة ١٣٨٢هـ.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٥) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).

(٦) الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٢ ـ ٢٣ ؛

(٧) وانظر حول الأمور الثلاثة: صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٦٢)، ٢٤/ذي القعدة/١٤٠٤هـ.

(٨) صحيفة (لواء الصدر)، ٢٠/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ.

(٩) ما بعد الفارزة الأخيرة مستفادٌ من: مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(١٠) مقابلة (٣) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله).

بعدما كبر ـ تنتظر رجوعه إلى الدار، فإذا تأخّر انتظرته عند الباب وفتحت له فور وصوله[١].

وكانت رحمها الله مريضة، وعندما كانت تصاب بنوبة من نوبات ضيق الصدر كان يتغيّر وينهار شفقةً وحبّاً لها[٢].

ويذكر الشيخ زهير الحسّون أنّ والدة السيّد الصدر رحمه الله أحسّت ذات مرّة أنّ ابنها في خطر ما، فبعثت مستفسرةً إلى مكان تواجده، فتبيّن أنّ مدير أمن النجف كان عنده. ولمّا سئلت السيّدة بنت الهدى رحمها الله عن الأمر قالت: «**إنّ جسم أمّي داخل البيت لكنّ شعورها وقلبها مع السيّد أينما ذهب**»[٣].

يقول السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله: «**كان يكنّ لأمّه الحُبَّ والاحترام بدرجة عالية جدّاً، حيث كان يلتزم تجاهها بنظام قاسٍ من الإخبار لها عن جميع حركاته وسكناته، ممّا كان يلفت نظر القريبين له، وكنتُ في البداية أثير لديه التساؤل عن ذلك، حيث كانت وسائل الاتّصال مثل التلفون مفقودة في ذلك الوقت، فيلتزم شخصيّاً بنظامٍ حديديٍّ في الأوقات والمواعيد والذهاب والإياب بسبب ذلك، ولكنّه كان في ذلك يستجيب لطلبها وإلحاحها بسبب عاطفتها القويّة وشفقتها الفائقة وما لاقته من فقد للأولاد والزوج.**

كما كان يأخذه الاضطراب الشديد شفقةً وخوفاً عليها عندما كانت تصابُ بنوبات من ضيق التنفّس المتكرّرة التي تصبح في الحالات العادية أمراً عاديّاً بسبب تكرارها، ولكنّه بقي (رضوان الله عليه) يحسّ بذلك إلى آخر عمره حبّاً بها وشعوراً بالمسؤوليّة تجاهها وشفقةً عليها، وذلك تعبيراً عن العواطف المتأجّجة في نفسه تجاه الأشخاص الذين يحبّهم...

كما كان يكنّ الاحترام الكبير لأخيه الكبير بالرغم من تفوّق الشهيد الصدر العلمي عليه واعتراف أخيه له بذلك، مع أنّ أخاه الكبير كان من فضلاء الحوزة العلميّة المعروفين بالفضل والاجتهاد وانشغال الشهيد الصدر بصورة دائمة بالعمل العلمي. ولم يكتفِ بذلك الاحترام، حتّى أنّه كان يشعر ويقوم بمسؤوليّة الرعاية لأخيه الكبير ويقوم تجاهه بذلك من رعاية ماديّة واجتماعيّة ومعنويّة له ولعائلته، حيث كانت تشمله رعاية البيت كلّه الماديّة والتفكير بشأنه وموقعه الاجتماعي.

وكان للشهيد الصدر (رضوان الله عليه) الدور الرئيس في تهيئة ظروف انتقاله إلى مدينة الكاظميّين ورعاية وضعه الاجتماعي فيها هناك وتسديده بالقول والعمل والزيارة والإسناد، وكان أخوه يبادله الحُبَّ والاحترام الفائقين بحيث يشعر الإنسان بوحدتهما مع وجود الفوارق العديدة في شخصيّتهما الذاتيّة وطريقة العمل والتفكير وأسلوب الحياة الاجتماعيّة والشخصيّة»[٤].

تقول السيّدة أم جعفر الصدر: «**كانت حليفة المصحف الشريف وسجّادة الصلاة؛ لم تستغن عنهما يوماً، ولم تنقطع عن الذكر ما أمكنها... كانت أم الشهيد تخيط ملابسها السوداء بيدها، وبوسائلها اليدويّة البسيطة: الخيط والإبرة لا غير. وكان الشهيد كثيراً ما يلاطفها، ويحاول أن يخفّف عنها أحزانها**

---

(١) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (حفظه الله).

(٢) من نظرات جماعة العلماء: ٢٤.

(٣) مقابلة مع الشيخ زهير الحسّون (حفظه الله).

(٤) ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٨٣ ـ ٨٤. وقد قيل: إنّه أغمي عليه أكثر من مرّة في وفاة أخيه السيّد إسماعيل رحمه الله (مسائل في البناء الفكري: ٣٩)، الأمر الذي نفته لي أسرة السيّد الصدر رحمه الله في مذكّراتها.

الدائمة. كان يقول لها: تعزّي بنا، فنحن اليوم بجوارك، ونحن الذين بقينا لك. لقد اجتهد كثيراً للتغيير من وضعها النفسي. وإدخال السرور على قلبها، وخاصّة بعد افتقادها ابنها السيّد إسماعيل، وأودع التراب وهي حيّة ترزق. على أنّها لم تجزع ولم تعترض على قدر الله، لكنّ هذا شاق على قلب الأم. وفي الأخير تعلّقت أكثر، وصبّت كلّ آمالها على السيّد الشهيد وأخته بنت الهدى اللذين ما فتئا يحاولان التعويض عليها، إلى أن أجرى الله مقاديره بحسب ما شاء، وله الحمد»[1].

يقول السيّد محمود الخطيب: «كانت قمّةً في التقوى والورع، وكيف لا تكون كذلك وهي بنت ذلك البيت العريق الذي أنجب العلماء والمفاخر من الرجال العظام من آل ياسين. كانرحمه الله كثير الاحترام والتقدير لوالدته، فلقد شاهدته مرّات عديدة إذا أراد السفر لزيارة الإمام الحسينعليه السلام يستأذن منها ويقول لها: أنا ذاهبٌ لزيارة سيّد الشهداءعليه السلام، تقول له: كان الله معك يا ولدي، ثمّ يجلس على ركبتيه ويقبّل يديها فتضع المصحف الشريف على رأسه وتقول له: كتب الله لك السلامة، أسألك الدعاء»[2].

ويقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «لقد اطّلعتُ على بعض خصوصيّات المرحومة والدة السيّد الشهيد من خلال معايشتي لها، فوجدتها والله مثال التقوى، امتلأت روحها حبّاً لله تعالى ورسوله وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم، وحتّى في الأيام الأخيرة من حياتها كان عشقها لأهل البيت ولأمير المؤمنينعليه السلام يطغى على ما كانت تعاني من آلام وأمراض، فتخرج مستعينةً بابنتها البارّة الشهيدة بنت الهدىرحمهما الله لزيارة قدوتها وإمامها رغم ما كانت تعاني من صعوبة كبيرة في مشيتها. وكانت لا تفارق القرآن، فهي رفيقته في كلّ وقت تتلوه آناء الليل وأطراف النهار، وكلّما انتهت منه عادت إليه.

وكانت دائمة الذكر لله تعالى تلهج بتسبيحه وتحميده، وما انقطعت عن ذلك حتّى فارقت نفسها المطمئنّة برحمة ربّها بدنها الطاهر، ولقيت ربّها راضيةً مرضيّة، وكانت في فترة الحجز نموذجاً رائعاً في الصبر والثبات والاتّكال على الله عزّ وجلّ، فلم تتململ يوماً ممّا كان يصيبها بسبب الحجز من فقد الدواء الذي كان به قوام حياتها، بل كانت تتظاهر بالصحّة والسلامة لتُشعر السيّد الشهيد بعدم أهميّة المعاناة الكبيرة التي تعيشها، رحمها الله وأسكنها الفسيح من جنّاته»[3].

«كان في كلّ يوم يجلس إلى والدتهرحمها الله يؤنسها بحديثه ويخفّف عنها من آلام ما تعاني من أمراض ومشاكل صحيّة، ويخفّف من قلقها عنه، فقد كانترحمها الله تشعر بقلق كبير على سلامته، ولها إحساسٌ بأنّ السلطة سوف لن تتركه على أيّ حال، فكان (رضوان الله عليه) يدخل إلى قلبها بكلّ الوسائل ليبدّد هذه المشاعر أو يقلّل من سطوتها، فكان في كلّ يوم يجلس معها في غرفتها ومعه كتبه ودفاتره ويبقى معها ـ في أكثر الأحيان ـ حتّى العصر يكتب ويعدّ أبحاثه وغير ذلك، واستمرّ على ذلك حتّى اليوم الأخير قبل اعتقاله ومن ثمّ استشهاده»[4].

تبقى الإشارة إلى أنّ السيّد الصدررحمه الله ـ وفي ما يتعلّق بتقبيل اليدين ـ كان يستثني ـ إضافةً إلى

---

(١) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٢٧ ـ ١٢٨.
(٢) من مذكّرات السيّد محمود الخطيب الخطيّة للمصنّف.
(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٥١.
(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٠٥.

من أريد به وجه رسول الله ﷺ ـ تقبيل يدي الوالدين مستشهداً بقوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنْ الرَّحْمَةِ﴾(١)(٢).

مع زوجته

١ ـ أمّا حول علاقته رحمه الله بالسيّدة أمّ جعفر، فيكفي ما في رسالةٍ له إلى أخيها وابن عمّه السيّد رضا الصدر رحمه الله حيث يقول له:

«تسلّمتُ برقيّتكم العزيزة تبشّر عن وصول الأهل والأطفال، ولئن كنتُ أغبط كلَّ شيءٍ هناك لأنّه أقرب منّي إلى فاطمة والأطفال، فإنّي أغبطهم لأنّهم سعدوا دوني بالاستظلال بظلالكم الوارفةِ وعاشوا في هذه الظلال الكريمة لقاءات سعيدة مع الأحبة والأهلين..»(٣).

٢ ـ وكان رحمه الله يقدّر زوجته ويحترمها ويراعي مشاعرها وكان يقول لها: «**أرجو منك أن تقدّري ظروفي وكثرة مشاغلي وأن تسامحيني إذا قصّرت بأمر معيّن**».

وتقول زوجته: إنّها ومن أوّل زواجها أحسّت بأنّ السيّد زوجٌ غير عادي، فقد كانت تقدّسه وتكنّ له كلّ مشاعر الإجلال والتقدير(٤).

٣ ـ كما ينقل أنّ السيّدة أم جعفر كانت إذا سافرت إلى الكاظميّة لزيارة ابنتها مرام وأراد السيّد الصدر رحمه الله منها أن تعود، فإنّه كان يتّصل بها هاتفيّاً ويسأل عن صحّتها وأحوالها، فتفهم أنّه يريد منها العودة، فتعود(٥).

٤ ـ وكان ـ على الرغم من مشاغله ـ إذا صامت زوجته في غير شهر رمضان المبارك، يحاول أن يمرَّ عليها بعد المغرب ليطمئنَّ عليها بعد الإفطار(٦).

٥ ـ يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «**وبالنسبة لزوجته المكرّمة العلويّة الفاضلة أم جعفر (حفظها الله) فقد كانت تحتلُّ من قلبه موقعاً كبيراً، إذ كانت شريكته في السرّاء والضرّاء، وتحمّلت من أجله الكثير من العناء والمشقّة، بدأت من حين تغرّبها بعد هجرتها إلى العراق وانتهت بالحجز وما صاحبه وما أعقبه من صعاب ومشاكل، فكانت تستحقُّ وبكلّ جدارة اهتمامه الكبير وعنايته الخاصّة، فكان (رضوان الله عليه) يدرك أهميّة هذه التضحيات، ولذلك أولاها الكثير من الحنان والاحترام، وإنّي منذ عرفتها لم أرَ ولا مرّة واحدة ما عكّر صفو علاقتهما أبداً فلا مشاكل ولا منغّصات، وهو أمر عجيب حقّاً**»(٧).

٦ ـ ويقول: «**كانت زوجته الطاهرة تكتب في كلِّ يوم ورقة صغيرة باحتياجات البيت وتسلّمها لآغاي (محقّق) ليوفّرها لهم، وهي الاحتياجات البسيطة المتعارفة، فأمرني (رضوان الله عليه) بالإشراف على تلك الورقة خشية أن يكون فيها من الطلبات أكثر من المألوف، بل كان في بعض الأحيان يشرف عليها بنفسه،**

---

(١) الإسراء: ٢٤.

(٢) المرجعيّة والقيادة: ٣٩.

(٣) انظرها كاملة ضمن أحداث ١٣٩١هـ.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنف، (مخطوط).

(٥) الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢١.

(٦) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٧) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٠٦.

وسمعته يقول: لا أرضى بشراء الفواكه [الغالية][١] مهما كان المبرّ، حتّى لو كان ذلك من أجل الضيوف، ويجب أن ننتظر إلى الوقت الذي يتمكن جميع الناس من شرائها»[٢].

٧ ـ وينقل أنّ امرأة شكت زوجها عند السيّد الصدر، فلمّا حضر قال له: «اعلم يا فلان أنّني في طوال حياتي لم أقل لزوجتي بصيغة الأمر آتني بماء، وإنّما كنت إذا عطشت أو احتجت شيئاً أكنّي لها فإن فهمت ذلك واستجابت وإلاّ قمت برجليَّ وقضيت حاجتي»[٣].

مع أولاده

١ ـ يقول السيّد الصدر: «إنّ تربية الطفل بحاجة إلى شيءٍ من الحزم والخشونة من ناحية، وإلى اللين والنعومة وإبراز العواطف من ناحية أخرى. وقد تعارف عندنا في العوائل أنّ الأب يقوم بالدور الأوّل والأم تقوم بالدور الثاني».

قال: «ولكنّني اتّفقت مع (أم مرام) على عكس ذلك فطلبتُ منها أن تقوم بدور الجزم والخشونة مع الأطفال لدى الحاجة كي أتمحّض أنا معهم في أسلوب العواطف واللّين وإبراز الحبّ والحنان».

وكان السبب في ذلك أنّه كان يرى نفسه أقدر على تربية أطفاله على العادات والمفاهيم الإسلاميّة، فكان يريد للأطفال أن لا يروا فيه عدا ظاهرة الحبّ والحنان كي يقوى تأثير ما يزقّه في نفوسهم من القيم والأفكار، فلا بدّ أن تملأ حاجتهم إلى الصلابة والخشونة عن طريق الأمّ[٤].

٢ ـ يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «أمّا مع ابنه وبناته، فكان في غاية الرقّة والمحبّة والحنان يلاعب الصغار ويؤنسهم، ولم يحاول في يوم من الأيّام أن يضربهم أو يهينهم، بل كان ينهج أفضل السُبل في تربيتهم، يتعامل معهم بروح الصداقة فيما تقتضيه الظروف، وبروح الأبوّة في أحيان أخرى.

وأتذكّر أنّه (رضوان الله عليه) حينما تنتهي جلسته اليوميّة في كلّ يوم عند أذان الظهر يدخل إلى بيت العائلة يستقبله أطفاله وكأنّه قادمٌ من سفرٍ بعيد، تمتلئ قلوبهم بالفرح والسرور.

وكان إذا تحدّث إليه أحدهم ـ وهم ما بين العقد الأوّل والثاني من أعمارهم ـ يصغي إليه إصغاءه للكبار يناقشه ويحاوره، وهو يحاول بذلك أن يزرع في نفوسهم الثقة والاعتماد على النفس وقوّة الشخصيّة.

وأتذكر أنّ إحدى بناته الصغار ـ وكان عمرها في حدود العاشرة أو أقلّ ـ كانت قد أعدّت دفتراً، وفي كلّ يوم كانت تطلب منه كتابة حديث أو رواية فلم يكن يتردّد في التجاوب معها فيملي عليها حديثاً أو رواية، وكانت تحفظ ما يكتب لها، وكان يسمّيها لقمان الحكيم، وهي عقيلة الشهيد السيّد مؤمّل الصدر.

وكان (رضوان الله عليه) يربّي أطفاله على أنّهم ملك للإسلام، وأنّ ما في أيديهم من أموال أمانة لا

---

(١) ما بين [] قيدٌ أضافته لي السيّدة أم جعفر الصدر على كلام الشيخ النعماني، وهو الصحيح المناسب لما يأتي بعد قليل ضمن ما ينقله السيّد فاضل النوري، وهو ما ذكره لي السيّد محمود الخطيب.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١١ ـ ٢١٢.

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، ٢٠/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ نقلاً عن الشيخ أبي علي المولى ؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٠ ـ ٢١ ؛ ويقول الشيخ محمّد طحيني إنّ السيّد الصدر قال له: «لم يصدر منّي أمرٌ واحدٌ لأهل بيتي من قبيل ناولوني الإبريق أو آتني بالماء أو ما شابه ذلك» (مقابلة مع الشيخ محمّد طحيني،).

(٤) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٨ ـ ٤٩.

ملك، وأتذكّر حينما أساعد في فرز المال وتقسيمه في آخر كلّ شهر، كان بعض أطفاله ـ وهو صغار ـ يحضرون معنا في بعض الأحيان تلك الجلسات، فيرون أكوام المال فيتعجّبون، فكان يترك العمل ويتحدّث معهم فيقول: (أولادي هذا المال ليس لي، هذه أموال صاحب الزمان عليه السلام، هذه أموال المسلمين أمانة بيدي. أولادي المال ليس مهمّاً، وهذ الدنيا لا قيمة لها، إنّنا نريد الآخرة، والآخرة خيرٌ وأبقى...)، ويتحدّث معهم بأمثال هذه العبارات والمفاهيم.

وكان (رضوان الله عليه) قد اتّفق مع زوجته المكرّمة السيّدة أمّ جعفر (حفظها الله) في حال صدور ما يستوجب العقوبة من أحدهم أن تقوم هي بضربه وتأديبه، وكذلك خوّلني نفسَ الشيء فيما يناسب، وكان يعلّل ذلك بأنّ الأولاد أكثر انشداداً إلى الأُم بحكم الفطرة والتربية والمخالطة، وسرعان ما تستطيع إزالة ذلك من قلوبهم، أمّا الأب فإنّه بحاجة إلى وقت أطول ليُحدث نفس الشيء، هذا إضافة إلى أنّه أكثر قدرة من غيره على تغذيتهم بالمفاهيم والأفكار الإسلاميّة، وهذا الأمر يحتاج إلى أرضيّة سليمة وقلوب محبّة.

ورغم تواضعه (رضوان الله عليه) مع أطفاله فإنّ هيبته كانت تفرض احترامهم له، والتزامهم بحدود العلاقة المؤدّبة»[(١)].

٣ ـ كان يقول رحمه الله: «إنّي نفثت في نفس ابنتي مرام ـ وكانت وقتئذ طفلةً صغيرة ـ الحقد على الصهاينة. قال: قد صادف أن حدّثتها ذات يوم عن ظلمهم للمسلمين من قتل أو قصف، فبان عليها انكسار الخاطر وتكدّر العيش، فأردفت ذلك بذكر قصّة أخرى من حكايات قصف المسلمين لإسرائيل فاهتزّت فرحاً وضحكت واستبشرت لتلك القصة»[(٢)].

٤ ـ و كثيراً ما كان يصله رحمه الله من الحقوق الشرعيّة ما يصل عادة بيد المراجع ولكنّه رحمه الله قال: «إنّي فهّمت ابنتي مرام أنّ هذه الأموال الموجودة لدينا ليست ملكاً لنا، فكانت هذه الطفلة البريئة تقول أحياناً: إنّ لدى والدي الأموال الكثيرة ولكنّها ليست له، ذلك لكي لا تتربّى على توقّع الصرف الكثير في البيت بل تتربّى على القناعة وعدم النظر إلى هذه الأموال كأملاك شخصيّة»[(٣)].

٥ ـ يقول الشيخ محمّد رضا النعماني: «وأتذكّر أنّي كنت في السوق وكان معي ولده السيّد جعفر وكان طفلاً، فرأى الموز بلونه الأصفر الجميل يباع في السوق فأحبّ أن يأكل منه، فاشتريتُ له كيلو غرام واحد من مالي الخاص، فأكل منه وأعطى لأخته الصغيرة أيضاً وانتهى كلّ شيء. وحسبتُ أنّ الأمر قد انتهى، ولكن بعد ساعة من ذلك جاء السيّد الشهيد يلومني على ما فعلت عندما لاحظ قشور الموز في سطل النفايات فعرف الأمر، ثمّ دعا ولده ينصحه بكلمات جميلة ورقيقة أحفظ منها هذه العبارة: (ولدي إنّ موز الجنّة أطيب وألذّ من هذا الموز)»[(٤)].

٦ ـ فعندما يمرض أحدهم كان السيّد الصدر رحمه الله عند دخوله المنزل وقبل أن يغيّر ملابسه يذهب

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٠٦ ـ ٢٠٨ ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد محمّد باقر المهري (رحمه الله).

(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٩ ؛ وانظر أيضاً: مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (رحمه الله).

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٩ ؛ وانظر أيضاً:الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٧٣ ؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (رحمه الله).

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٢.

إلى قربه ويسأل عن حاله ويطمئن عن صحّته ويضع يده الشريفة على رأس المريض ويقرأ سورة الفاتحة بنيّة الشفاء[١].

٧ ـ وذات مرّة أصيبت ابنته الكبرى في صغرها بالحمّى، ولمّا دخل السيّد الصدر رحمه الله إلى البيت توجّه مباشرةً في لهفة وحنوٍّ إليها، فاندفع جميع أفراد البيت بقلوبهم وحواسهم معه بشكل لافت إلى صوب الفتاة المريضة. هناك التفتت أختها التي تصغرها إلى ذلك الاهتمام وتلك العناية، فلمّا رأت ذلك القدر من حنوٍّ وعطف أبيها ثمّ أهل البيت معه، تحرّكت مشاعرها وأشواقها، وتمنّت أن تكون هي المريضة بدل أختها. فما كان منها إلاّ أن انتظرت فترة حتّى خرج أبوها من البيت، فبقيت تترصّده عند دخولـه. وما إن أحسّت بقدومه حتّى ألقت بنفسها على الفراش تتمارض وتتأوّه وتئن، في حركة تمثيليّة بريئة حلوة، تستدرّ بذلك عطفه، ففهم رحمه الله رأساً، وتوجّه إليها في الحال، فاحتضنها وأخذ يلاطفها ويقبّلها وهو يقول: «**حبّوبتي.. ابنتي.. أين يؤلمك يا نور عيني؟**»، فردّت في براءة: «**آه.. إن شعري يؤلمني يا أبت!!!**»، وكان الكلّ يرقب ذلك المنظر، فانفجر الجميع في موجة من الضحك والتعليقات، ممّا حدا بالطفلة نفسها لأن تجعل وجهها بين يديها، في دلٍ وخجل[٢].

٨ ـ وكان يعاملهم مثل الكبار ويتفاهم معهم ولا يجبرهم على أمر ويتكلّم معهم كلّما سنح أو سمح له الوقت. وكان يقول لزوجته: «**إنّي أرى أولادي أقلّ ممّا ترينهم، إنّي ولأجل ذلك لا أريد أن تذكري لي إذا ارتكبوا خطأً معيّناً حتّى أؤنّبهم، لا أحبّ أن يذكر أولادي أنّي أنّبتهم أو عاقبتهم، أريد أن أتحدّث معهم وألاطفهم ولا يعكّر ذلك شيءٌ حتّى لا يذكروا منّي إلاّ كلّ ما يحبّونه ويعتزّوا به، ومسؤولية تربية الأطفال على عاتقي**»[٣].

٩ ـ وكان رحمه الله إذا اشتكى أولاده أمامه من أمر يوكلهم إلى الدعاء والتوسّل بأهل البيت عليهم السلام[٤].

١٠ ـ وكان رحمه الله يعطي بناته في أوقات المدرّسة يوميّاً ٥٠ فلساً (درهماً واحداً) حتّى يشترين ما يردنه هناك. وفي موسم الموز أخذت المدرسة تبيعه بسعر ٦٠ فلساً للموزة الواحدة، فطلبت بناته منه أن يزيد لهنّ اليوميّة ١٠ فلوس ليتسنّى لهنّ شراء موزة واحدة، فأجابهنّ: «**ليس عندي مانع أن أعطيكم، ولكن أسألكم: هل كلّ البنات في المدرسة يشترين الموز؟!**»، فأجبن: «**لا، ليس كلّ البنات يستطعن ذلك، وأمّا من يشتري الموز فهنّ الأقلّ**»، فقال السيّد: «**إذاً كنّ مثل أكثر البنات العاديّات لا مثل أقليّة البنات**»[٥].

١١ ـ إحدى بناته كانت ضعيفة في مادّة الرياضيات فأخذ السيدّ مع كلّ مشاغله ومسؤوليّاته يدرّسها ويراجع معها ذلك حتّى تيقّن أنّها استوعبت المادّة جيّداً[٦].

١٢ ـ وكان أبناؤه يفرحون ويشعرون براحة كبيرة كلّما رجع أبوهم إلى المنزل وكأنّهم كانوا

---

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) ؛ وانظر مثلاً: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥١.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٢.

(٣) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٥) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥١.

(٦) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط) ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٣.

يشعرون بصعوبة الظروف وأنّ كلّ يوم يرجع فيه بسلامة فهو غنيمة ونعمة عظيمة.

١٣ ـ وعندما كان يكتب في غرفة (الجلوس) التي تجتمع فيها الأسرة حتّى يكون بين أهله وأبنائه، فلو أرادت زوجته أن تسكت الأطفال أو تطلب منهم ترك الغرفة يقول لها: «**دعيهم، إنّ أصواتهم لا تزعجني ولا تؤثّر على كتابتي**».

١٤ ـ ولم يكن﴿رحمه الله﴾ مستبداً في الرأي أو متعجرفاً، بل بخلاف ذلك تماماً فقد كان يأخذ آراء الجميع في أمور المنزل ويستمع إلى وجهات نظر الجميع، وعندما يقع حادثٌ أو يأتي مسؤول من الدولة أو تمرّ على العائلة مشكلة كان السيّد﴿رحمه الله﴾ يجمع الأسرة كلّها من الكبار إلى الصغار وينقل لهم ولو بشكل مبسّط ما جرى ويوضح لهم الحال لكي يكونوا على علم بما يجري.

١٥ ـ وكذلك كان﴿رحمه الله﴾ مع أولاد أخيه؛ فكان يحنو عليهم ويهتم بأمورهم ويسعى إلى مساعدتهم ومشاركته معهم في شؤون حياتهم[١].

١٦ ـ وممّا يذكره ابنه السيّد محمّد جعفر: «**إنّي كنت ألمس اهتمام السيّد قدّس الله نفسه بعمّتنا الغالية وحبّه إيّاها، وممّا أذكره في هذا الصدد توقيره لها، فكان يؤثرها بأحسن مجلس إذا التأم مجلس العائلة ويصغي إلى حديثها بكلّ اهتمام وعناية، وكان يقضي معها وقتاً طويلاً في مراجعة كتاباتها ومقالاتها مستمعًا ومطرياً، ناقداً ومعلّقاً. كلّ ذلك بخُلُق رفيع ووجه مبتسم واهتمام بالغ حتّى [=إلى أن] تنصرف عنه وهي راضية فرحة.**

أمّا السيد الشهيد كزوج: فيكفي أن نأخذ شهادة زوجته في حقّه بقولها: إنّه كلّما تمرّ علينا السنين تزداد احتراماً وثقةً به، إيماناً واستقامةً وعدالةً، وكأنّه لا حدّ لتلك الصفات.

والحقُّ أقول: إنّي ما رأيته يوماً آذاها بكلمة أو أسمعها ما لا يرضيها، وكنت أراه في الأيّام التي تكون الوالدة فيها صائمة يلزم نفسه الشريفة أن يعود إلى البيت عند الإفطار ويتفقّد وضعها ويستخبر حالها وما كان يناديها إلاّ (يا ابنة العم)، وهذا السلوك جعل هذه المرأة الصالحة ما تذكره حتّى تفيض عيناها بالدموع حسرةً وألماً .. ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله..

فبالله عليكم هذا القلب الكبير الذي وسع الأمّة بأسرها وحمل تلك الهموم الجسام وكان الشفيق والراعي لطلبته ومحبّيه، أقول هذا القلب الكبير كيف يا ترى يكون أباً؟!

لقد كان في أبوّته كما هو في كلّ حالاته، القمّة الشامخة والمثل الأعلى والقدوة والأسوة، كان الغاية في الشفقة والحنان ولا أخطئ إذا قلت في حقّه كان أباً يحمل قلب الأم الرؤوم الحنون.

فعندما يجد الفسحة والزمن يقضي معنا وقته طورًا ملاعبًا وأخرى مؤدّباً ومربياً، إذا رأى منّا عملاً صالحاً فرح له وأثنى عليه، وإذا رأى منّا عملاً دون ذلك أدّبنا بنظراته قبل كلماته.

وإذا علم بمرض أحدنا تراه مضطرباً دؤوبَ السؤال والتفقّد عن صحّتنا، وإنّي لا أجانب الصواب إذا وصفت حاله معنا بقول ضرار عنه[عليه السلام]: (كان والله معنا كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع دنوّه لنا وقربه منّا لا نكلّمه هيبةً له)[٢].

---

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر﴿رحمه الله﴾ للمصنّف، (مخطوط).

(٢) المراد حديث ضرار بن ضمرة الكناني بين يدي معاوية بن أبي سفيان عندما دخل عليه وسأله معاوية: «يا ضرار صف

كنّا معه والله كذلك، فطَورًا ينبسط معنا حتّى نتجرّأ للّعب بالكرة بين يديه وهو مشغول بكتابته ومطالعته، وقد تسقط الكرة بين يديه فنأتي لأخذها ويستقبلنا بوجهه البشوش الطلق المرح ونحن لا نخشى منه سطوةً أو غضباً.

وكان إذا رمق أحدنا بنظرة عتاب وتأنيب كان ذلك كافياً لردعنا بلا حاجة منه للكلام وغيره.

وكانت عاطفته وشفقته موزّعة بالسويّة بيننا فلم يَمِل لذكرٍ على حساب أنثى ولا لصغير على حساب كبير.. وليس هذا وحده، فمن أرشد الأمّة وهي أسرته الكبيرة وأزال عنها ظلام الجهل بدينها ودفع عنها شبهات المستعمرين والمرجفين، فهو أقدر وأجدر على أن يراعي أسرته الصغيرة ويتعاهدها بالتربية والإرشاد ولم يكن مقصّراً في هذه الناحية أيضاً وحاشاه من التقصير.. فكان حريصاً على التزامنا بشعائر ديننا وأدائنا لفروضه.

كان يؤكّد كثيراً على محافظتنا على الصلوات الخمس وأن نؤدّيها في أوّل وقتها، وكان في بعض الأحيان وهو يرانا مشغولين باللعب ينادي علينا: يا جعفر يا فلانة هل أدّيتم الصلاة أم لا؟؟

وكان يضع لنا برنامجاً خاصّاً ـ إن صحّ التعبير ـ في شهر رمضان ابتداءً بالصوم ـ تدريجيّاً ـ وحتّى قراءة دعاء السحر في لياليه المباركة، وكنّا إذا اشتكينا إليه شيئاً أهمّنا أو مرضاً أصابنا كان يحيلنا إلى الدعاء والتضرّع إلى الله سبحانه وتعالى.

وأتذكّر مرّة كثرت الانقطاعات للتيّار الكهربائي في أيّام الحجز، فكنّا نضجر من ذلك فكان يوصينا بل قد يقرأ معنا دعاء الفرج حتّى يعود التيّار.

ففي جانب الثقافة الدينيّة: كان يعقد جلسات يجمعنا فيها ويقوم بإرشادنا ووعظنا وكان بعضها يدور حول قصص الأنبياء السابقين ويتعمّد رضوان الله عليه أن يستخلص منها العبر لنا في الصبر والتحمّل في سبيل الله وأنّ هذا يورث رضا الله والفوز في الدارين.

و في الجانب العلمي: كان حريصًا على إكمال إخوتي للتعليم الابتدائي كحد أدنى وعندما وجد في إحداهن القابليّة وجّهها نحو تحصيل العلوم الحوزويّة.

وأذكر أن إحداهنّ كان لها مع السيّد جلسات علميّة في تفسير آية قرآنيّة أو شرح حديث شريف وكانت تملي ما يذكره السيّد حتّى تجمّع لديها الشيء الكثير وهي لم تبلغ العاشرة وكان يشجّعها وكان يثني عليها ويعدها بمستقبل زاهر في مجال العلم»[1].

١٧ ـ وأخيراً ننقل بعض ما تصفه السيّدة فاطمة الصدر (أم جعفر)، حيث تقول: «بيت السيّد الشهيد من حيث الحجم والإمكانيّات كان متواضعاً صغيراً، لكنّه كان محطّاً لرحال الكثيرين من الإخوان والزوّار والأتباع والمحبّين، رجالاً ونساءً، على مدار السنة. كانت مسؤوليّات الشهيد تتعاظم وتكبر يوماً بعد يوم؛ فلقد كان مهوىً لقلوب المؤمنين من داخل العراق وخارجه.كان مأوىً يلجأ إليه كلّ من كان يعرف السيّد الشهيد قائداً وعالماً ومرجعاً. قد تعلّقت بشخصه طموح الآمال، في صحراء مجدبة باليأس والقنوط من أيّ تغيير.

لي عليّاً». انظر: كنز الفوائد ٢: ١٦٠ ؛ بحار الأنوار ٢٣: ٢٧٤ ؛ شرح نهج البلاغة ١٨: ٢٢٥.

(١) من مذكّرات السيّد جعفر الصدر على موقع (والفجر) على شبكة الإنترنت.

لقد وجدت المسؤوليّة عظيمة في مثل هذا البيت، فلست مجرّد زوج وشريكة حياة لرجل يدرِس مجموعة من طلاّب العلم وكفى، إنّه آية الله العظمى محمّد باقر الصدر. وبهذا فقد حملت على عاتقي مهمّة تأمين الجبهة الداخليّة للسيّد الشهيد. إنّ مثل هذا البيت كان بحاجة إلى واجهة نسائيّة تعكس شخصيّة الشهيد، وتقوم بخدمة من يحلّ ضيفاً على هذه الدار. ولم أجد بدّاً من القيام بكلّ ما يتطلّبه ذلك، من تدبير شؤون المنزل بكلّ تفاصيلها، رغم قلّة الإمكانيّات وضعفها، كلّ ذلك صدر منّي بفضل الله، برضا نفس وطيب خاطر.

لَشدّ ما كان الشهيد رقيقاً في مشاعره، محبّاً لخاصّته ولمن حوله، حريصاً على ألاّ يكلّف أحداً بأمر يشقّ عليه، ولا حتّى لي أنا زوجه وأخصّ خاصّته. لقد كان بي شفوقاً محبّاً، لم يشأ يوماً أن يراني مجهدة في ملاحقة تبعات ما تسبّب هو في صنعه، إذ للشهرة والقيادة تبعاتها وأتعابها. ورضيت بذلك كلّه، وتحمّلت قسطي الوافر منه بحبٍّ ورجاء فيما عند الله. وهذا ما ينبغي أن تلتزم به المرأة المؤمنة.

إنّنا نرى قسماً من النساء يتبرَّمن إذا ما طلب منهنّ الزوج القيام ببعض الشؤون المتعارفة، ويعتبرنه حكماً ثقيلاً مفروضاً عليهنّ. وقد يقمن به إسقاطاً للواجب والتكليف ليس إلاّ، في مظاهر خالية من مشاعر الدفء والتفاني التي بها تعمر البيوت وتبنى الأسر الناجحة. ولعل الإنصاف يدعونا لأن نقول: لا تثريب على بعض النساء إذا شعرت بذلك التبرّم تجاه شريك لا يستحقّ، رغم أنّها ستؤجر وتثاب، إذا ما صبرت وتفضّلت وأعطت. ولكن في حالتي أنا الأمر مختلف تماماً.

لقد كنت أرى السيّد الشهيد رجلاً معطاءً، كريم النفس، جواد السجايا، في داخل بيته ومع خواص أهله، رغم ضيق ذات اليد وعسر المعاش. وبذلك عوّضنا الشهيد عن السعة واليسر المادي الذي يراه الكثيرون سبباً وحيداً للسعادة والهناء، عوّضنا عنه بغنى نفسه وكبر روحه وكرم سجاياه الثرّة.. ثمّ من جهتي كنت مقتنعة مؤمنة بأنّ مجرّد اقتراني بشخصٍ مثل الشهيد هو الثروة الحقيقيّة.. كانت القناعة بما رزقنا الله زاداً عظيماً عَمَر وجودنا وصان علاقتنا عن أيٍّ شائبة، رغم ضغوطات الحياة ومتطلّبات المعاش التي لا تنتهي. حتّى أنّ الشهيد مرّة كان يتذاكر معي بعض الشؤون المنزليّة وتطرّق للنعمة العظيمة التي نعيشها، وشكر الله على ما ألهمنا من الرضا والدعة.. ولم يترك الفرصة تمرّ دون أن يوجّه لي عبارات الثناء.. ثمّ صار يبدي تعجّبه من حدوث بعض المشاكل الزوجيّة والأزمات العائلية لدى الأسر كافّة، باعتبار أنّ هناك الحب وهناك انصهار كلٍّ من الطرفين في الآخر.. ممّا يمكن معهما أن تذوب أيّ مشكلة وتختفي أيّ أزمة. وفي تصوّره ينبغي أن تكون جميع الأزمات العائليّة والأسريّة التي نسمع عنها مجرّد افتراضات! [١] لقد كان رجلاً مثاليّاً بحق. إنّي أتمكّن أن أقول غير مبالغة بأنّه لم يغاضبني ولو مرّة بحسب ما أتذكّر طوال تلك السنين التسعة عشرة في رفقته... وكذلك حرصت ألاّ أغضبه أو أختلف معه في كلّ تلك الفترة، غير أنّي ـ كي لا أجافي الحقيقة ـ أذكر حادثةً لم يتكرّر مثلها بحمد الله في حياتنا تلك، [...][٢].

---

(١) نقل لي السيّد حسن عطوي عن السيّد عادل العلوي قوله: إنّ أباه السيّد علي العلوي أجرى ما يشبه الإحصاء فيما يتعلّق بالمشكلات بين الزوجين، ولمّا وصل إلى السيّد الصدر﵀ وسأله عن الموضوع قال﵀: وهل يختلف الزوج مع زوجته؟

(٢) القصّة موجودة في المصدر، ولكنّ أسرة السيّد الصدر﵀ كتبت لنا بحذفها، مع إبقائها على أصل وقوع الحادثة.

كان كثيراً ما يناديني بـ (ابنة عمّي)[١]. ولكن ما أكثر ما كان يناديني بـ(حوريّتي)، (نعيمي)، (جنّتي) و(فردوسي). وكنت أعلم أنّه إنّما نادى بها صادقاً مخلصاً، لا مجاملةً ولا تصنّعاً.. لأنّي بفضل الله كنت لـه نعيماً وفردوساً في خضمّ جور الحياة. كان أحياناً يبدي رغبته وخالص أمنيته لو استطاع أن يكتب فيَّ بيتاً من الشعر أو في من يحبّ، ولكنّ ذلك الفيلسوف العظيم والمفكّر المبدع عجز بالفعل عن تحقيق تلك الأمنية. فما تسخّرت لـه القوافي يوماً ولا لانت لـه البحور[٢].

كذلك كان محمّد باقر الصدر في داخل بيته.. لذلك كنت أرى أيّ جهد يبذل في سبيل هذا (الإنسان) هو بعض الحق الذي يمكن أن يردّ لـه شيئاً من جميله، فما كنت أتوانى ولم أسمح للضجر ولا للملل أن يتطرّق إليّ، أو يحجزني عن تقديم أيّ عون لـه على أداء رسالته.

والشهيد في خارج بيته هو هو في داخله، فلم يكن الشهيد من ذوي الأقنعة، ولم يكن يظهر عليه أمام الناس غير ما كان يبطنه.. فهو المعروف بالتفاني فيمن حوله.. فكان غاية في السخاء والجود في سبيل مبدئه وناسه وأهدافه المقدّسة. منسلخاً من حضوص نفسه، متنكّراً لذاته، مؤثراً لمصالح الآخرين، حتّى لو أثّرت على مصالح بيته، يحتسب كلّ ذلك عند ربّه جلّ وعلا، يرجو تجارة لن تبور.

كان قدّس الله روحه بعيد الشأو، متّقد الذهن، ملبوباً، ملحوب الطريق، أكرومة الأيّام.. العادُّ لفضائله كمن يدخل الغابة عابثاً يعدُّ أشجارها. قد أتعب من بعده خيراً وفضيلةً وعلوّاً وتسامياً وارتفاعاً، قد ألحم ما أسدى من معروف، كان إلهيّاً في سجاياه، ربانيّاً في معارفه.. هكذا كان آية الله محمّد باقر الصدر»[٣].

وصف منزله

تقدّم أنّ السيّد الصدر﵀ سكن بعد زواجه في حي العمارة في بيت تابع لآل (أبو گلل)، استأجره بسبعين ديناراً سنويّاً، وكانت تعادل ما يقرب من ٢٨٠$[٤].

لقد بقي السيّد الصدر﵀ متمسّكاً بمسكنه في عقد السلام في محلّة العمارة بعد زواجه، وذلك على الرغم من ضيق المكان به وأهله ومع تطوّر وضعه الاجتماعي. ومع أنّه كان قادراً على تبديله، إلاّ أنّه لم يقم بذلك حتّى تطوّر الوضع الاجتماعي إلى حدٍّ فرض عليه الانتقال إلى سكن آخر في محلّة البراق، وكان المنزل للشيخ نصر الله الخلخالي في آخر شارع الخورنق المؤدّي إلى باب الولاية، خلف مدرسة الخورنق[٥].

وكان هذا البيت قديماً، ولكنّ غرفه كانت كبيرةً شيئاً ما، وكان مكوّناً من طبقتين، خصّصت

---

(١) انظر كذلك: المصدر: ٩٩.

(٢) نقلنا في هذا الفصل عن الشيخ علي كوراني حواراً مع السيّد الصدر﵀ حول عجزه عن نظم الشعر.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٠٩ ـ ١١٣.

(٤) انظر بعض التفاصيل ضمن أحداث سنة ١٣٨٢هـ.

(٥) انظر: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ وقد ذكر لي موقع البيت السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﴿﴾). وذكر السيّد الغروي أنّ البيت كان ملكاً للشيخ أحمد الأنصاري القمّي (ترجمة السيّد الصدر﵀، السيّد محمّد الغروي، ﴿﴾)، بينما ذكر لي السيّد محمود الخطيب أنّه كان لآل أبو گلل، وهو الصحيح بحسب ما تروي السيّدة أم جعفر الصدر نفسها.

السفلى لعائلة السيّد الصدر، بينما كان يتواجد في العليا حيث هناك عدّة غرف.

وكان عند باب البيت درجٌ (مزعج) إلى درجة أنّ السيّد الخوئي عندما أتى إلى زيارة الشيخ محمّد جواد مغنية الذي كان قد نزل ضيفاً عند السيّد الصدر، تأذّى كثيراً من صعوبة الصعود على الدرج[1].

وأوائل السبعينات انتقل السيّد الصدر إلى بيت الشيخ عبد الله المامقاني في محلّة العمارة وكان سكنه حتّى شهادته. وكانت محتويات منزله عبارة عن غرفة الاستقبال وفيها سجّادة قديمة، وعلى يسار الغرفة غرفةٌ أخرى مفروشة هي مقبرة الشيخ المامقاني، ولم يكن للسيّد الصدر فيها قليلٌ أو كثير. وإذا صعدت إلى المكتبة وجدتها مفروشة بقطعتين من (البسط)، وهي جزء من صداق والدته. وفي داخل مسكن العائلة توجد غرفة للنوم وللضيوف ولجلسة العائلة الاعتياديّة لا تحتوي إلاّ على أبسط المفروشات. و توجد غرفة فوقها خاصّة بالسيّد الصدر مفروشة بما يسمّى بـ(الكنبار) مع (منادر) النوم، وهذه الغرفة أقرب إلى المخزن منها إلى غرفة الاستراحة والنوم[2].

شظف العيش

١ ـ كانت أسرة السيّد الصدر تكيّف حياتها وحاجاتها المعاشيّة مع مقدار المدخول الشهري الذي يمكن أن تتوفّر عليه، سواء من مصدر إنتاج السيّد الصدر الفكري، أو من سهمه المعتاد من الحقوق الشرعيّة. ولم يكن ما يدخل على الأسرة كافياً لتأمين كلّ ما تحتاج إليه، إلاّ أنّ زوجته كانت تتمتّع بمهارات جعلت الآخرين لا يرون من السيّد الصدر وبيته إلاّ جميلاً:

فقد كانت زوجته تمتلك آلة خياطة كانت قد أرسلتها لها أمّها من قم، فكانت تخيط لها ولأطفالها كلّ الثياب التي يحتاجون إليها للمناسبات والأعياد، والمواسم المختلفة. وقد اعتادت على شراء الصوف الخام من لبنان أو الذي كانت ترسله إليها من هناك شقيقتها رباب، أو الذي كانت تحصل عليه منفوشاً ثمّ تقوم بتنظيفه وغزله، ثمّ صبغه باللون الذي تريد، ثمّ تقوم بحياكته قطعاً من الملابس والرياش. وكانت أم جعفر تبذل جهداً كبيراً، وتعمل فكرتها، وتسأل مَن حولها، كي تستفيد أفضل استفادة من الإمكانات المتواضعة المبذولة لها[3].

٢ ـ كان السيّد الصدر لا يملك سوى (حصر) بسيطة، وإذا طلبت منه زوجته أن يشتري ولو فرشاً متواضعاً يحميهم من البرد على الأقلّ يقول لها: «**أنا لستُ مسؤولاً عن ذلك، إذا شئتِ فاشتري من أموالك وأنت المسؤولة عن ذلك**»، وكانت هي الأخرى تمتنع[4].

وبعد زواجه حصلت زوجته على مبلغ من المال من الهدايا التي قدّمت لها بمناسبة زواجها،

---

(١) الظاهر أنّ الشيخ مغنية كان كثير السفر إلى النجف الأشرف، فإنّ مستخدم السيّد الصدر الحاج محقّق يذكر هذه الحادثة عندما كان السيّد الصدر لا يزال ساكناً في البيت المذكور، والظاهر أنّ الحاج محقّق وفد على السيّد الصدر عام ١٣٨٩ هـ.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١١.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٨.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٥)، ١٦/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ٢٢؛

فاشترت ثلاّجة ومبرّدة هواء و(بوفيه) لأنّ هذه الأشياء لم تكن موجودة في بيت السيّد.

وعندما انتقل السيّد الصدرﷺ من بيته [الكائن في شارع الخورنق] إلى بيت آخر [وهو الكائن في منطقة العمارة] أعانه بعض طلبته على نقل الأثاث، وقد تعجّبوا من بساطته.

ونقلاً عن زوجته أيضاً وباقي أهله أنّهﷺ كان يعيش في زهد تام ويقول: «**لا بدّ أن تكون حياة وعيشة المرجع مثل عيشة أحد طلاّب الحوزة**»، فهو ـ بحسب نقل زوجته ـ لم يضف أو يشترِ شيئاً جديداً بعد ظهور مرجعيّته وتقليد أكثر الناس له وبقي البيت على ما هو عليه من قبل[١].

٣ ـ وكانت السيّدة أم جعفر تستدين أحياناً من الحاج محمّد علي محقّقﷺ ـ مستخدم السيّد ـ لأنّها تخجل أن تسأل السيّدﷺ عن نقود[٢].

٤ ـ وقد أتته واحدة من صغيراته في إحدى ليالي شهر رمضان لتقول له ببراءة طافحة: «**لقد اشترينا يا أبتِ صينيّة بقلاوة**»، فيدعو غضبان إليه زوجه يسألها عن ذلك الأمر، فتنبئه أنّه شيءٌ أهدي إليهم[٣].

٥ ـ وتدخل زوجه البيت وفي يدها شيء من التفاح اشترته بعد مرورها بالسوق، ويرمقها الشهيد بنظرة عتاب قاسٍ ليقول لها بعدها: «**ما هذا؟ ألم تعلمي أنّه لا يدخل بيتنا في اليوم زوجان من الفاكهة وعندنا الساعة مِن (البطيخ) ما يكفي أو يزيد؟**»، فتعتذر بأنّها تعلم ذلك ولكنّ صغارها المرضى أوحوا إلى نفسها أن تشتري لهم من التفّاح ما عسى أن يعينهم على الأوبة إلى العافية[٤].

٦ ـ وكانت لدى السيّدة أم جعفر ماكنة خياطة قديمة تحرّك باليد، فأحبّت أن تستبدل بها غيرها من أيسر الجديد المستحدث، ولكنّ السيّد الصدرﷺ يأبى ذلك مبيّناً لها أنّ مهمّ الأمر الذي تقوم به هذه تقوم به تلك، فليس ثمّة داعٍ معتدٌّ به يدعو إلى بذل المال فيها.

٧ ـ وكانت تشتكي من بعضِ العناء في تحضير اللبن الممزوج، فرغبت إليه أن تشتري من هذه الآلة الجديدة التي تمزجه بيسر بقيمة لا ترتفع إلى الدينار الواحد، فأبى بذل هذا الثمن في شيء قد يكون ممّا تحتويه بيوت الأغنياء، وأصرّ على زوجه أن تبقى مع طريقتها القديمة في إعداد اللبن[٥].

٨ ـ وعندما اتّسعت علاقات السيّد الصدرﷺ وكثر زوّاره، لم يعد يخلو يومٌ من ضيوف يمكثون على الغداء، وكانت السيّدة أم جعفر تتفاجأ في كلّ مرّة عند وقت الطعام بورقة تحتوي على عدد الضيوف الذين ينبغي تحضير الطعام لهم، وكان هذا الأمر يربكها، في حين يُمكن التغلّب عليه فيما لو كانت تملك ثلاّجة (فريزر).

عندها بادر السيّد محمود الخطيب ـ ودون علم السيّد الصدرﷺ ـ إلى شراء ثلاّجة (كونكورد) من السيّد عبد الله تاجر الأدوات المنزليّة.

---

(١) من مذكّرات أسرة السيّد الصدرﷺ للمصنّف، (مخطوط).

(٢) صحيفة (الشهادة)، العدد (٢٠٢)، ٨/شعبان/١٤٠٧هـ نقلاً عن الشيخ حسن علي محقّق أخي الحاج محمّد علي.

(٣) سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٤١.

(٤) سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٤١.

(٥) سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٤٢.

ولمّا علم السيّد الصدر بالموضوع عاتب السيّد الخطيب عتاباً شديداً، وقال له: «**كان ينبغي أن تستشيرني، فلو قبلت أحضرتها ولو رفضتُ لم تحضرها.. ولن أعطيك ثمنها**»، فقال السيّد الخطيب: «**ما يخالف**».

وبعد فترة، وصل السيّد الصدر أموال من لبنان لقاء طباعة بعض كتبه، فاستدعى السيّد الخطيب وسأله عن ثمن الثلاّجة، فقال له: «**خمسة وأربعون ديناراً**»، فأراد أن يعطيه المبلغ ليعيطه إلى البائع، فقال السيّد الخطيب: «**لقد أعطيته ثمنها**»، فقال له: «**إذاً هذه خمسون، خمسة وأربعون ثمن الثلاّجة وخمسة لك**».

وبعد فترة بادر السيّد الخطيب إلى شراء غسّالة كنديّة لإراحة السيّدة أم جعفر، ولمّا رآها السيّد قال: «**هاي شنو؟!**»، فقال السيّد الخطيب: «**سيّدنا هذه لراحة أم جعفر، جيّدة وتخدم**»، فقال: «**ما يصير.. السيّد محمود كل مرّة نتزاعل ويّاه، ما يخالف، ولكنّني لن أعطيك ثمنها الآن**»، وبعد فترة سدّد ثمنها من ماله الخاص ستّين ديناراً[(١)].

٩ ـ أمّا رواية الأسرة، فهي أنّهم وقبل إتمام ابنة السيّد الصدر الثانية سنتها الثانية، بدأوا يسقونها حليب البقر الطازج، ابتعاداً عن حليب الأطفال المجفّف. وتطلّب هذا الأمر وجود الحليب طازجاً وسليماً بشكل دائم في البيت، ولكن واجهتهم مشكلة، وهي أنّهم لا يملكون في البيت ثلاّجة [أي برّاد]، فاضطرّوا إلى رهن قطعة من السجّاد العجمي صغيرة أُهديت إلى السيّدة فاطمة أبان زواجها، فرهنوها في المصرف وأخذوا في مقابل رهنها قرضاً استطاعوا من خلاله شراء ثلاّجة لأوّل مرّة[(٢)].

١٠ ـ ومن باب أنّ الشيء بالشيء يذكر، ففي إحدى المرّات كانت السيّدة أم جعفر في سفر إلى الكاظميّة، وربّما كانت عند ابنتها مرام. وكان السيّد كاظم الحائري والسيّد محمود الهاشمي والسيّد عبد الهادي الشاهرودي حاضرين عند السيّد الصدر. عندها لاحظ السيّد الصدر أنّ وضع البيت غير مناسب، وذكر ذلك لطلاّبه، فاعترض عليه السيّد الحائري قائلاً: «**لماذا لم تخبرني من قبل؟**» فأجابه: «**أنا في معرض أن تأتيني أموال كثيرة، فيجب أن لا يشعر أهل البيت بأنّ لهم حقّاً خاصّاً في هذه الأموال، وهم عندما يطلبون منّي بعض الأمور فأنا لا أعاتبهم ولا أجيبهم بعنف، بل أجيبهم بلطف ولا أضغط عليهم، ولكن في الوقت نفسه أرى أنّه من غير الصالح أن يكون لهم وضعٌ خاصٌّ حتّى ينظروا إلى هذه الأموال على أنّها ليست لهم**»[(٣)]. وكانت السيّدة أم جعفر كانت تعين السيّد الصدر في توزيع المبالغ وتقسيمها على الطلبة[(٤)].

١٠ ـ وحول الموضوع نفسه يقول السيّد الإشكوري: إنّه كان وبعض زملائه من طلاّب السيّد الصدر يتناولون عنده طعام الغداء نهار الخميس، وكان السيّد الإشكوري يأتي حينها من الحلّة إلى

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٣م.
(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٥.
(٣) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).
(٤) من تعليقة أسرة السيّد الصدر على مسودّة الكتاب الثانية.

النجف نهار الخميس.

وفي أحد الأيام، وصل السيّد الإشكوري إلى بيت السيّد، فوجد فيه زملاءه لوحدهم، فقالوا له: إنّ السيّد مسافر إلى الكاظميّة. وقد باتوا تلك الليلة في بيته وناموا في فراشه ودخلوا إلى مطبخه وأعدّوا الطعام في أوانيه وشاهدوا وضع البيت من قريب.

وفي أوّل لقاء له مع السيّد الصدر، لم يستطع السيّد الإشكوري منع نفسه من الكلام فتحدّث مع السيّد بطريقة قاسية حول وضع البيت وتشدّده مع العائلة حتّى عرق جبين السيّد من الخجل.. وبعد أن هدأ السيّد الإشكوري قال له السيّد الصدر: «**أنا مسؤولٌ وعليّ أن أربّي أسرتي على الوضع الذي يتناسب مع المسؤوليّة**».

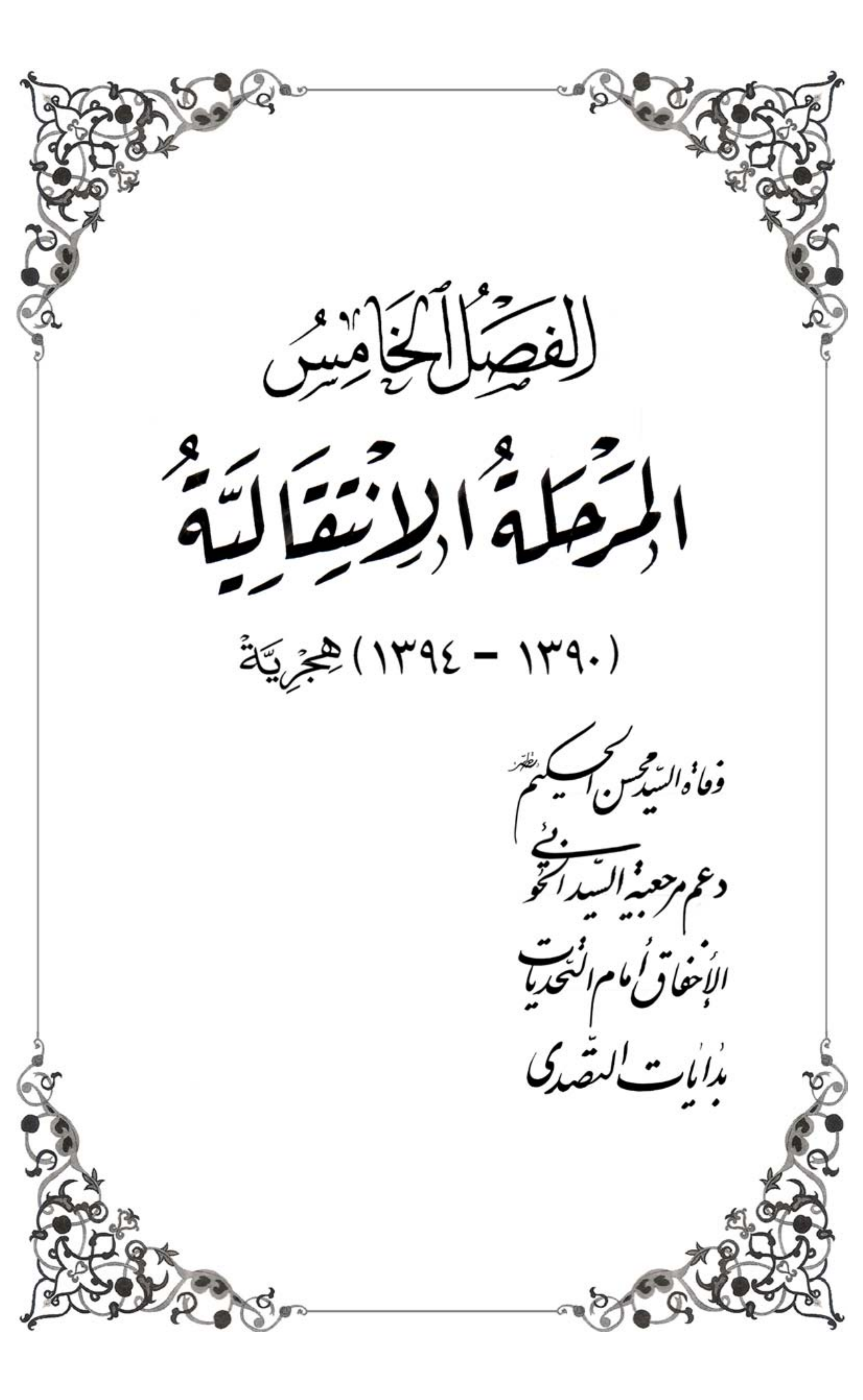
يقول السيّد الإشكوري: «**لا زلتُ خجلاً من روحه على تلك الشدّة التي استخدمتها أمام الإخوان**»[1].

١١ ـ كما أنّ السيّد الصدر أراد ذات مرّة أن يرسل عائلته إلى لبنان، وكان محتاراً في كيفيّة إرسالها برّاً ومع من يمكن أن يرسلها، فاقترح عليه الشيخ محمّد جعفر شمس الدين أن يرسلها بالطائرة، فثمن التذكرة لا يتجاوز العشرة أو الخمسة عشر ديناراً، فأجابه السيّد الصدر: «**شيخ محمّد جعفر، هل كلّ العلماء والمراجع يرسلون أولادهم ونساءهم بالطائرات؟! أنا مثلي مثل الناس، وزوجتي مثل زوجة الناس، وأولادي مثل أولاد الناس**»[2].

١٢ ـ يقول الشيخ سلمان السوداني: «**وفي يوم من الأيّام كنتُ ذاهباً إلى الكويت فجاءني السيّد محمود الخطيب في بيتي حيث عرفت زوجة الشهيد بأنّي ذاهبٌ إلى الكويت فأرسلت السيّد محمود إليّ لتطلب أن آتي لهم بحصيرين من الكويت، فجئتُ بهما من الكويت وكانت قيمتهما ٥ دنانير، فعَرَفت السيّدة بالثمن وأخبرتْ السيّد، فقام السيّد بإعطائي الدنانير الخمسة، فقلت له: ما قيمة هذا المبلغ؟! فقال: كم إنساناً لا يملك عوداً من هذين الحصيرين، ثمّ قال: أريد أثاثي في آخرتي وليس في دنياي، الرسول كان يعيش على حصير**»[3].

***

(١) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله).
(٢) حدّثني بذلك الشيخ محمّد جعفر شمس الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢٢م، وأظنّ أنّ المراد إيران بدل لبنان.
(٣) الشيخ سلمان السوداني، ندوة مؤسّسة الأبرار في الذكرى الخامسة والعشرين على استشهاد الشهيد الصدر (على شبكة الإنترنت).



الفصل الخامس

المرحلة الانتقالية

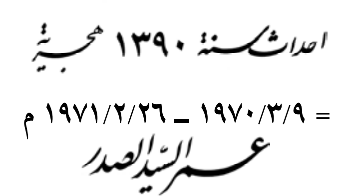
(١٣٩٠ - ١٣٩٤) هجرية

وفاة السيد محسن الحكيم

دعم مرجعية السيد الخوئي

الإخفاق أمام التحديات

بدايات التصدي



٣٦ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣٥ سنة و٨ أيّام م

*** * ***

تجّار من البحرين يرغبون بطباعة (فدك في التاريخ)

في هذه السنة[(١)]، وبعد أن نفذ كتاب (فدك في التاريخ) ولم يُعِد الحاج محمّد كاظم الكتبي طباعته، مرّ عليه مجموعةٌ من أهالي البحرين وقالوا له: «**إنّنا أردنا أن نعيد طبع كتاب فدك في التاريخ تأليف السيّد الصدر، وجئنا إليه لنأخذ منه إجازة إعادة الطبع، لكنّه فاجأنا بقوله: (الكتاب للحاج محمّد كاظم الكتبي، ويمكنكم أن تراجعوه وتأخذوا الموافقة منه وليست لي علاقة بهذا الكتاب)**».

وعندما أعاد الحاج طباعة الكتاب أخذ نسخاً ورزّمها، ولمّا مرَّ مستخدم السيّد رحمه الله أعطاه إيّاها، ولكنّه بعد ذلك أعادها مع اعتذار السيّد رحمه الله الذي قال له: «**إنّي قدّمت تلك الأوراق لك وليس لي حقٌّ بها، راجياً عدم إحراجي في هذا الموضوع**»[(٢)]، فقال له الحاج الكتبي رحمه الله: «**أعطه لتلاميذك وأقاربك**»، فأجاب: «**فليشتروا الكتاب إن احتاجوا**»[(٣)].

السيّد موسى الصدر يشرح لعبد الناصر محنة السيّد محسن الحكيم رحمه الله

في ١٩٧٠/٣/١٣م (٦/محرّم/١٣٩٠م)، استقبل الرئيس المصري جمال عبد الناصر السيّد موسى الصدر لدى مشاركته في مؤتمر البحوث العلميّة الإسلاميّة، وقد أطلعه السيّد الصدر على الوضع الصعب الذي تمرّ به المرجعيّة الشيعيّة في العراق[(٤)].

وقصّة هذا اللقاء أنّ الصحافي زهير عسيران طلب من محمّد حسنين هيكل أن يدبّر لقاءً مع السيّد موسى الصدر، ولكنّ هيكل لم يرحّب بذلك بادئ الأمر لما كان يعتقده من أنّ السيّد موسى الصدر عميلٌ للمخابرات الأمريكيّة، ثمّ وبإلحاح من عسيران أعطاهما موعداً عند الحادية عشرة من يوم غد. وأثناء اللقاء حاول هيكل استدراج السيّد موسى الصدر إلى الحديث عن عمالته للمخابرات الإيرانيّة، وقد تعجّب السيّد الصدر من عدم تدقيق هيكل في الأخبار التي تصل إليه وعدم تثبّته من صحّتها مع كونه صحافيّاً مرموقاً، ثمّ شرح له أوضاعه وما يقوم به من أجل نصرة الثورة الإسلاميّة، حتّى غيّر نظرة هيكل إليه. وممّا قاله هيكل: «**سمعت أنّك عاوز تقابل الريّس**»، فأجابه السيّد: «**يسعدني**

---

(١) فدك في التاريخ، ط المكتبة الحيدريّة، ١٩٧٠/٣/١٥م.

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، (١٦٧)، ٣٠/ذي الحجّة/١٤٠٤هـ حيث ينقلها السيّد ياسين الموسوي عن الحاج الكتبي نفسه.

(٣) السيّد حامد علي الحسيني نقلاً عن الحاج محمّد كاظم الكتبي رحمه الله (﴿﴾).

(٤) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٢٦٧.

ذلك ولك شكري سلفاً إن تمكّنت من تحديد موعد»، فاستأذن هيكل ودخل غرفةً ثانية ثمّ عاد ليقول: «**المقابلة بعد نصف ساعة**»، وقدّم له سيّارته الخاصّة لكي لا يعترضه أحد(١).

وبعد أن انتهى وقت اللقاء مع عبد الناصر ـ وكان لنصف ساعة ـ وأراد السيّد موسى المغادرة، أجلسه عبد الناصر ـ خلافاً للأعراف الرئاسيّة ـ وبيّن له أسباب عدم الاهتمام به في اليوم الأوّل من وصوله وفي المؤتمر وقال له: «**إذا أردت أن أريك التقارير التي تصلنا عنك لطال الأمر، ولكنّنا الآن رأينا موسى الصدر غير ذاك الموجود عندنا في التقارير**»، وطلب منه لقاءً آخر. وبعد انتهاء لقائهما الثاني قام عبد الناصر بتشييع السيّد موسى إلى باب الفندق وفتح له باب السيّارة بنفسه.

وإثر هذه الحادثة طلب عبد الناصر إدخال الفقه الشيعي في الموسوعة الفقهيّة المزمع تأليفها(٢).

تصدير كتاب الدكتور عبد الله فيّاض

في نهاية العام الماضي(٣)، كتب السيّد الصدر‌ تصديراً لكتاب الدكتور عبد الله فيّاض (تاريخ الإماميّة وأسلافهم من الشيعة)، وقد جاء التصدير في حدود ٢٣ صفحة(٤).

---

(١) زهير عسيران يتذكّر: ١٤١ ـ ١٤٢.

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م نقلاً عن سلمان أمّون مدير مكتب السيّد موسى الصدر في صور.

(٣) طبع كتاب الدكتور الفيّاض للمرّة الأولى سنة ١٩٧٠م (انظر: تاريخ الإماميّة وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيّع حتّى مطلع القرن الرابع الهجري، ط١ ؛ تاريخ التربية عند الإماميّة وأسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي: ٩ حيث الإشارة إلى الطبعة الأولى للكتاب الأوّل). وفي ١٩٧٠/٢/٨م (١/ذي الحجّة/١٣٨٩هـ) كتب الدكتور عبد الله فيّاض مقدّمة كتابه المذكور، وقد أشار فيها إلى تصدير السيّد الصدر كتابَه، وهذا يعني أنّ السيّد الصدر‌ كتب البحث قبل ذلك (أي في عام ١٣٨٩هـ).

(٤) انظر: تاريخ الإماميّة وأسلافهم من الشيعة منذ نشأة التشيّع حتّى مطلع القرن الرابع الهجري، الدكتور عبد الله فيّاض، بغداد ١٩٧٠م.

الداعي إلى كتابة البحث

(أ) الظاهر الذي لا لبس فيه هو أنّ الداعي إلى ذلك هو تصدير كتاب الدكتور عبد الله فيّاض.

(ب) ذكر السيّد عبد الكريم القزويني أنّ سبب كتابة السيّد الصدر‌ هذا البحث هو أنّ الدكتور علي شريعتي أرسل رسالة إليه بعد نشر كتابه حول (التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي)، فكتب السيّد الصدر‌ هذا البحث ردّاً على بعض الأفكار التي كان يطرحها الدكتور علي شريعتي في إيران (كلمة بتاريخ ١٩/ذي القعدة/١٤١٦هـ)، وأعاد عليّ ذلك بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١١م.

(ج) وقد سمعت من السيّد عمّار أبو رغيف بتاريخ ٤/شعبان/١٤٢٣هـ أنّ سبب تأليف الكتاب هو أنّ أحد الطلاّب الجامعيّين من أهل السنّة كان يتردّد مع أحد زملائه الشيعة إلى مجلس السيّد الصدر‌ من فترة إلى أخرى، وكان هذا الطالب يحفظ الكثير من أحاديث (الصحاح) وغيرها ويناقش السيّد الصدر‌ بها، وقد أعجب‌ به، إلاّ أنّه وجد أنّ لا فائدة من وراء المحاججة بالأحاديث لأنّ ذلك سيطول كثيراً، فدعاه إلى المحاججة بالأدلّة العقليّة [بمعنى من المعاني]، فوافق ذلك الطالب. وبعد عدّة جلسات، كان قد اجتمع عند السيّد الصدر‌ مجموعةٌ من الأفكار، فدوّنها على شكل بحث.

أقول:

إنّ من الواضح جدّاً أنّ البحث عبارة عن تصدير لكتاب الدكتور فيّاض، وهذا ما لا يقبل المناقشة.

أمّا كونه ردّاً على أفكار الدكتور شريعتي في (تشيع علوى وتشيع صفوى) فغيرُ ممكن، لأنّ (تشيع علوى وتشيع

يقول الدكتور علي محمّد تقي: «**ويحسبُ المطالع للكتاب أنّ بحراً قد صبّ في جرّة، أو أنّ طائراً سريع الطيران قد أشرف على مدينة كبيرة وشاهدها وغادرها سريعاً**»[(١)].

صفوى) عبارة عن محاضرة لمدّة ثلاث ساعات كان الدكتور شريعتي قد ألقاها في حسينيّة الإرشاد في شهر رمضان المبارك/١٣٩١ هـ وبالتحديد في ٩/آبان/١٣٥٠هـ. ش (١٩٧١/١٠/٣١م)، ثمّ حرّرها وأصدرها في كتابٍ ضمن (١٤٣) صفحة في ربيع ١٣٥١هـ.ش (آذار ـ أيّار/١٩٧٢م)، أي بعد تاريخ بحثنا.

ولكن من الممكن أن تكون محاججات السيّد الصدر‏ مع الطالب السنّي متقدّمة زماناً على تاريخ كتابته البحث المذكور، ولمّا طلب منه الدكتور التقديم لكتابه أودع في ما كتبه مجمل ما كان يدور بينه وبين ذلك الطالب.

حول اسم البحث ومراحله

(أ) تقدّم أنّ البحث كان عبارة عن تصدير لكتاب الدكتور فيّاض.

(ب) وفي سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣م) طبع البحث مستقلاً تحت عنوان (التشيّع والإسلام) صادراً عن دار الغدير في لبنان وعنها كذلك في إيران سنة ١٣٥٣ هـ ش (١٣٩٥هـ). ولا يختلف البحث بين هاتين الطبعتين (أ) و (ب) بشيء يُذكر سوى بعض الكلمات البسيطة التي لا ربط لها بأصل البحث، من قبيل تبديل الواو فاءً أو العكس، وتغيير مطلع بعض المقاطع. إضافةً إلى حذف مقطع من تصدير كتاب الدكتور فيّاض يرتبط بالكتاب حيث يقول السيّد الصدر‏: «وسوف أترك كثيراً من التفاصيل للأخ العزيز الفاضل الدكتور عبد الله الفيّاض في كتابه الجليل الذي أقدّم له... في دراستهم لتأريخنا وحضارتنا الإسلاميّة» (تاريخ الإماميّة وأسلافهم من الشيعة: ٢٢ ـ ٢٣). ومن الواضح أنّ حذف هذا المقطع راجعٌ إلى عدم مناسبة ذكره ضمن البحث حال صدوره مستقلاً عن كتاب الدكتور.

ولا تتوفّر لديّ معلومات حول ما إذا كان اختيار اسم (التشيّع والإسلام) للبحث المذكور في هذه الفترة برغبةٍ من السيّد الصدر‏.

(ج) وبعد ذلك صدر عام ١٣٩٦هـ تحت عنوان (بحث حول الولاية) مطابقاً لـ(التشيّع والإسلام) وبدون إضافات. وقد حدّثني الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٣/شعبان/١٤٢٢هـ أنّ السيّد الصدر‏ كان يسمّيه (بحث حول الولاية) ويصرّ على تسميته كذلك ولا يرضى بغير هذا الاسم.

(د) ثمّ صدر البحث عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) تحت عنوان (بحث حول الولاية) كذلك، إلاّ أنّه اشتمل على إضافات لم تكن موجودة في الطبعات السابقة، وقد شكّلت هذه الإضافات بالضبط نصف المادّة المنشورة سابقاً، أي ثلثَ البحث الفعلي. وقد جاءت هذه الإضافات ردّاً على الردّ الذي سطّره الدكتور علي شريعتي على أفكار (التشيّع والإسلام) (لمزيد من التفصيل راجع أحداث سنة ١٣٩٧هـ).

(د) وبعد صدور البحث في لبنان عن دار التعارف مع إضافاته الأخيرة، صدر في مصر مع إضافاته تلك محقّقاً من قبل السيّد طالب الرفاعي تحت عنوان (التشيّع ظاهرة طبيعيّة في إطار الدعوة الإسلاميّة). وقد استفاد السيّد الرفاعي عنوانه هذا من عبارة وردت في (بحث حول الولاية: ٨١ ـ ٨٢)، وكان العنوان الجديد بمبادرة من السيّد الرفاعي ودون الاستئذان من السيّد الصدر‏ كما يأتي ضمن أحداث سنة ١٣٩٧ هـ.

(هـ) ثمّ صدر البحث بعد ذلك تحت عناوين مختلفة وعن مؤسّسات متنوّعة (لمزيد من التفصيل انظر طبعات الكتاب في الملحقات).

تبقى الإشارة إلى مسألة، وهي أنّ الهيئة العلميّة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر‏ أصدرت البحث المذكور تحت عنوان (التشيّع والإسلام) بحجّة أنّ السيّد الصدر‏ ذكره في بعض رسائله إلى الشيخ حجّتي كرماني‏ بهذا الاسم (تراث الشهيد الصدر ١٨: ١٣)، وكان الأولى إبقاء تسمية (بحث حول الولاية)، فإنّ رسالته إلى المترجم الشيخ حجّتي كرماني ترجع إلى (١٢/شعبان/١٣٩٥هـ)، وإنّما ذكره بالاسم المذكور لأنّ الشيخ كرماني قد اعتمد في الترجمة على البحث العربي الصادر تحت عنوان (التشيّع والإسلام) عام ١٣٩٣هـ.

وفي مقابل هذه الرسالة، هناك رسالةٌ إلى السيّد كاظم الحائري ترجع إلى (٧/شوّال/١٣٩٧هـ) يقول له فيها: «كما صدر لنا بحث حول المهدي‏ على وزان بحث حول الولاية، وصدر بحث حول الولاية بصورة شبه مضاعفة..». فإن لم يكن هناك ترجيح باعتبار ورود كلا الاسمين على لسان السيّد الصدر‏، فليكن الترجيح بلحاظ التأخّر الزمني.

(١) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ١٩٢.

ويقول الدكتور الشرقاوي: «**إنّني لم أقرأ نقداً موضوعيّاً هادئاً لنظريّة الشورى كما قرأته في المقال الموجز للشهيد السيّد محمد باقر الصدر**»(1).

الإجازة بالصرف على بعض المؤسّسات في الهند

في ٢٥/ربيع الأوّل/١٣٩٠هـ (١٩٧٠/٥/٣١م) حرّر السيّد غلام عسكري رسالةً إلى السيّد الصدر رحمه الله يطلب منه فيها السماح بالصرف من سهم الإمام عليه السلام على مؤسّسة (تنظيم مكاتب اماميه) التي كانت قد أنشئت في الهند منذ عام ونصف العام. وهذا نصّ السؤال:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين آية الله السيّد محمّد باقر الصدر دام ظلّه العالي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سيّدي! لعلّكم سمعتم أنّ هنا في الهند مؤسّسة كبيرة باسم (تنظيم مكاتب اماميه) أنشئت قبل سنة ونصف تقريباً تقوم بإنشاء المكاتب البدائيّة الدينيّة لتعليم أطفال الشيعة وإدراة شؤونها، وقد بلغ عدد المكاتب إلى حدّ الخمس والسبعين وعدد الطلاّب إلى ثلاثمائة طالب (والحمد لله).

والمؤسّسة تصرف على هذه المكاتب زهاء ألفين روبيّة هنديّة تقريباً كلّ شهر، ومن المعلوم أنّ جميع هذا [المقدار](2) من المبلغ من غير الوجوه الشرعيّة في كل شهر عسير جدّاً، فهل تسمحون بصرف السهم المبارك من الخمس على إدارة هذه المكاتب بإشراف أحد العلماء المؤسّسين التنظيم(3) وهم حجّة الإسلام السيّد ظفر الحسن دام ظلّه وحجّة الإسلام السيّد وصي محمّد دام ظلّه وحجّة الإسلام السيّد علي عابد دام ظلّه وحجّة الإسلام الشيخ سعادت حسين دام ظلّه والعلاّمة الجليل السيّد ذيشان حيدر جوادي دام ظلّه لكي يكون هذا ضماناً لبقاء هذه المكاتب وإضافة المكاتب الأُخَر إلى هذه.

أدام الله ظلّكم على رؤوس المؤمنين.

السيّد غلام عسكري

السكرتير العام للمؤسسة

٢٥ ربيع الأوّل سنة ١٣٩٠».

وقد أجاب رحمه الله بما يلي:

«بسمه تعالى

إنّ إنشاء مؤسّسات إسلاميّة من هذا القبيل من أفضل الأعمال والقربات إلى الله سبحانه، والصرف على ذلك من السهم المبارك جائزٌ تحت إشراف العلماء المذكورين دام تأييدهم، والله سبحانه وليُّ التوفيق.

محمّد باقر الصدر»(4).

السيّد محسن الحكيم رحمه الله في لندن

قبل تدهور صحّة السيّد الحكيم رحمه الله وسفره إلى لندن، رآه السيّد الصدر رحمه الله في حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فأُلهم بأنّ هذه آخر رؤية له وسوف لن يتوفّق إلى رؤيته مرّة أخرى إلى أن يتوفّى.

---

(١) مأخوذ من شبكة الإنترنت.

(٢) الأصل غير واضح، وهكذا يبدو، ولكنّ المعنى لا يستقيم.

(٣) كذا، وربّما المراد «بالتنظيم» بمعنى «بالترتيب».

(٤) انظر الوثيقة رقم (١١٤).

وبعد ذلك بأيّام قليلة، مرض السيّد الحكيم رحمه الله[(١)]، وارتفعت نسبة اليوريا في دمه حيث وصلت إلى (٢٢٠) درجة، وتوقّفت إحدى كليتيه عن العمل، ما أوجب أن يُنقل بطائرة خاصّة إلى لندن ـ التي دخلها بتاريخ ١٩٧٠/٣/٣م (٢٤/ذي الحجّة/١٣٨٩هـ)[(٢)].

وكان السيّد الحكيم رحمه الله قد طلب من السيّد الصدر رحمه الله السفر معه للنظر في شؤون المسلمين في إنجلترا، إلاّ أنّ الأخير أرجأ ذلك إلى حين تحسّن صحّة السيّد الحكيم رحمه الله هناك، وحينها سيلحق به[(٣)].

مكث السيّد الحكيم رحمه الله في مستشفى (سنت بل) ليقضي فترة علاجه بعد أن أجريت له عمليّة[(٤)] بتاريخ ١٩٧٠/٣/٩م (١/محرّم/١٣٩٠هـ)[(٥)]. وكان نجله السيّد مهدي رحمه الله في باكستان، فسافر إلى لندن للقاء والده، ولم يكن قد رآه بعد حادثة الاتّهام سنة ١٩٦٩م. وفي إحدى الليالي أصيب السيّد مهدي بأرق، فجاء إلى والده ولم يكن عنده أحد فقال له: «**أنت الآن رأيت ما جرى، فهل تشعر أنّك أخطأت في تحرّكك هذا أم لا؟**». فأجاب السيّد الحكيم رحمه الله قائلاً: «**أنا لا زلت أعتقد أنّ عملي صحيح**»، فسأله السيّد مهدي: «**لماذا؟**»، فأجابه والده: «**صحيحٌ أنّني لم أنتصر عليهم سياسيّاً، بمعنى أنّه أنا أتسلّم الحكم، ولكنّي أعلم أنّ الشعب العراقي سوف يبقى على الأقلّ لمدّة عشر سنوات دون أن ينسى موقف البعثيّين منّي وعشر سنوات من الشعور بالمظلوميّة. سوف يخلق حاجزاً بين الشعب وبين القبول بحزب البعث كفكرة.. أنا لا أستطيع أن أعمّر عشر سنوات، فلا أقلّ أستطيع الوقوف عشر سنوات كحاجز**».

ثمّ ضرب مثلاً بالإمام الحسين عليه السلام، وكيف أنّه لم يحقّق نصراً عسكريّاً بل استطاع عليه السلام أن يضع حاجزاً نفسيّاً بين الأمّة وبين السلطة، لهذا كلّما ذكر الناس قضيّة الحسين عليه السلام ينظرون إلى السلطة على أنّها ظالمة ويجب التخلّص منها. فقال له السيّد مهدي: «**الحمد لله، نرى الآن**»[(٦)].

وفي ١٩٧٠/٣/٢٧م (١٩/محرّم/١٣٩٠هـ) غادر السيّد موسى الصدر بيروت إلى لندن من أجل عيادة السيّد محسن الحكيم رحمه الله، وكان رحمه الله يقضي فترة نقاهة بعد العمليّة الجراحيّة التي أجريت له[(٧)].

وبعد تحسّن صحّته وانخفاض نسبة اليوريا إلى (٨٥) درجة، رغب في العودة إلى العراق، فكان له ذلك[(٨)].

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٥٣. وقد جاء على لسان السيّد حامد الحسيني أثناء محاورته السيّد مهدي الحكيم رحمه الله أنّ السيّد محسن الحكيم رحمه الله طلب من السيّد الصدر رحمه الله الذهاب معه إلى لندن، ولكنّ الأخير رفض (مقابلة مع السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، (حفظه الله)). وهذا لا يكاد يتّفق مع ما نقلناه لتوّنا عن السيّد كاظم الحائري.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٩٣.

(٣) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (حفظه الله). وحتّى يستقيم الخبر في مطلع المقطع فلا بدّ أن يكون ذلك بواسطة أحد الأشخاص أو أن يكون قد سبق رؤية السيّد الصدر رحمه الله السيّد الحكيم رحمه الله في حرم أمير المؤمنين عليه السلام.

(٤) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٦.

(٥) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٣٩٣.

(٦) من مذكّرات السيّد مهدي الحكيم: ٨٩ ـ ٩٠ ؛ وانظر المصدر نفسه: ١٠٠ مع تغيير طفيف من السيّد مهدي رحمه الله.

(٧) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٢٧٠.

(٨) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٧.

وفي ١٩٧٠/٣/٢٨م، وفي طريق عودته إلى العراق، مرّ السيّد محسن الحكيم رحمه الله في مطار بيروت حيث كان في استقباله الرئيس صبري حمادة وممثّل رئيس الجمهوريّة الوزير رفيق شاهين وعددٌ من نوّاب الشيعة وأعضاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وقد أعلن السيّد الحكيم رحمه الله أنّه سيوجّه رسالةً إلى اللبنانيّين وسيكلّف السيّد موسى الصدر بنقلها[1].

وحينما وصل السيّد الحكيم رحمه الله إلى مطار بغداد وكان ينزل من درج الطائرة، حاول السيّد الصدر رحمه الله أن يلقي نظرة عليه كي يراه ويثبت بذلك أنّ ما أُلهم به كان وهماً لا قيمة له، فيأمل أن يشفى رحمه الله من مرضه ويعيش صحيحاً سالماً، إلاّ أنه لم يوفّق لرؤيته إلى أن توفّي رحمه الله[2].

وبعد عودة السيّد الحكيم رحمه الله إلى العراق أقيمت له مجالس الدعاء في العراق ولبنان وباكستان وإيران والهند وأفغانستان. وما لبث أن رقد في مستشفى ابن سينا في بغداد حين تدهورت حالته الصحيّة[3].

وفاة السيّد محسن الحكيم رحمه الله

عند الساعة العاشرة وخمسة وعشرين دقيقة من مساء يوم الثلاثاء ٢٧/ربيع الأوّل/١٣٩٠هـ (١٩٧٠/٦/٢م)[4]، توفّي السيّد محسن الحكيم رحمه الله في بغداد. وعلت مكبّرات الصوت في المساجد والحسينيّات عند الساعة الحادية عشرة مساءً، ثمّ أذاعت الخبر إذاعة بغداد عند الساعة الثانية عشرة ليلاً.

بعد أن أخذ النعش إلى مقام الإمام الكاظم عليه السلام، تمّ حمله على الأيدي واستمرّ الموكب عبر الأعظميّة ثمّ باب المعظّم ثمّ شارع الرشيد ثمّ جسر الأحرار.

وكان موكب التشييع موكباً مهيباً حضره مئات الآلاف، وقد قدّرت إذاعة لندن عدد المشاركين بنصف مليون، كما أنّ طول الموكب قد بلغ ما يقارب من (٥ كلم)، وربّما كان تشييع السيّد الحكيم رحمه الله أكبر تشييع شهده العراق، وقد شاركت فيه النساء للمرّة الأولى. ومن الشعارات التي رُدّدت:

يا لـرزء هـدّ أركـان الهـدى	ومـصـاب جلـل أدمـى الفـؤاد
فـالمعزّى صاحب العـصر ومـن	حمـل الإسـلام كـي يهـدي العباد
قـوّض الـصبر بفقـد رزئـه	عـمّ أهـل الأرض طـرّاً والـسماء
فنعـزّي الغائـب المهـديّ بـه	والـهـداة الأكـرمـين الأمنـاء
يـا فقيـداً رزؤه عـمّ الـبلاد	وحكيمـاً صمـته أدمـى الفـؤاد
كـلّ قلـب ثلمـة فيـه كمـا	ثلـم الإسـلام وانهـار الرشـاد

---

(١) مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٢٧٠.

(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ٥٣.

(٣) الإمام محسن الحكيم، عدنان السراج: ٣٧.

(٤) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٠٧ ؛ وفي البعض: ٢٦/ربيع الأوّل (الإمام الحكيم.. لمحة موجزة عن مرجعيّته وجهاده: ٣٨).

وعندما وصلت المسيرة إلى منتصف جسر الأحرار بدا عدد من سيّارات النجدة تنتظر الموكب، ومن بينها سيّارة أحمد حسن البكر.

وما إن اقتربت المسيرة وكانت تحمل لافتة «**عشت رائداً وزعيماً خالداً**» من إذاعة الصالحيّة حتّى حاول البكر الالتحاق بالموكب وإلقاء كلمة، ولكنّ الحشود فوّتت عليه الفرصة وراحت تصرخ بالشعارات المندّدة لاتّهام السيّد مهدي بالعمالة «**سيّد مهدي مو جاسوس اسمع يالريّس**»، كما هتفت: «**بايعناك سيّد يوسف**». وقد صاحب ذلك دبكٌ على الأرض، فاضطرَّ البكر ومرافقوه إلى الانسحاب.

استمرّت المسيرة حتّى معرض بغداد الدولي، حين وصلت عند الساعة الثالثة ظهراً، وكانت الجنازة تنقل ـ أثناء مرورها في مدن المحموديّة والحصوة والمسيّب ـ من السيّارة إلى الأيادي لتوديعها. وعند قصر الرحاب السابق، حملت الجنازة على إحدى السيّارات وقصدت بها كربلاء وسارت خلفها آلاف السيّارات.

وعندما وصلت الجنازة إلى كربلاء كان ازدحام الناس شديداً، وقد غلب العطش على كثيرين منهم، فأسرع السيّد هادي الحكيم بسيّارته إلى النجف الأشرف وجاء بسيّارة تحمل الماء وسقى العطاشى. وقد طُلب من الناس ـ ومن الطالبين السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ـ ركوب السيّارات بدل السير على الأقدام خوفاً من الهلاك، فركب البعض وأكمل آخرون إلى النجف سيراً على الأقدام، ومنهم السيّد الصدر رحمه الله الذي استمرّ في السير في الموكب على قدميه حتّى عجز عن الاستمرار.

بعد ذلك وضعت جنازة السيّد الحكيم رحمه الله في صحن العبّاس عليه السلام استعداداً لنقلها إلى النجف الأشرف في اليوم التالي. وفي صباح اليوم التالي ازدحم الناس على الجنازة، ثمّ نقل النعش إلى خان النخيلة حيث استقبلته عشائر الهنديّة، ثمّ وصل إلى مدرسة عبد العزيز البغدادي، على أن يستأنف التشييع عصراً من ساحة الإمام علي عليه السلام إلى الحرم الشريف.

وعندما وصل الجثمان إلى الصحن الحيدري خطب السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله خطبةً عزّى فيها المسلمين، وكان السيّد محمّد باقر رحمه الله هو الذي تولّى تغسيل والده وتجهيزه وتكفينه وتلقينه. ثمّ صلّى عليه نجله السيّد يوسف الحكيم رحمه الله في غرفة الـ(كليدار) نتيجة الازدحام الشديد[١].

وقد دفن السيّد الحكيم رحمه الله في مقبرة خاصّة إلى جوار مكتبته العامّة الملاصقة لمسجد الهندي في النجف[٢].

وممّن أرّخ لوفاته السيّد حسين الصدر إذ قال:

سيف المنايا مرهف الحدّ ... يُردي ولا نقوى على الردّ

بعث الأسى فينا وسعّرها ... ناراً تضجّ بلاهب الوجدِ

فمصيبة الإسلام قد عظمت ... بزعيمه و(حكيمه) الفردِ

---

(١) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٠٢): ٥ ؛ سنوات الجمر: ١٢٧ ـ ١٢٨ ؛ الرافد، السيّد علي العلوي: ١٣٩ ـ ١٤١ ؛ أساطين المرجعيّة العليا: ١٦٣ ؛ نجفيّات: ١٠٥ ؛ حديث مع السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م ؛ الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ١١٤ ـ ١١٧.

(٢) أساطين المرجعيّة العليا: ١٦٢ ـ ١٦٤.

وغـــدت تؤبّنـــه مؤرّخـــةً (مثـــوى الحكـــيم بجنّـــة الخلـــد)
١٣٩٠ هجـ

ومنهم السيّد موسى بحر العلوم:

بوركت فـي الـوادي المقـدّس بقعـةٌ ** مـا كـان لـولا مـن تـضمّن أيمنـا
والـدين أذّن فـي الرحيـل مقوّضـاً ليـرى لـه فـي أرض لحـدك موطنـا
بثـراك بـات موسّـداً أمـل الـورى يـا جنّـة المـأوى ومقبـرة المنـى
تبعـاً لقائـده الحكـيم كأنّمـا متعاقـدان معـاً علـى أن يطعنـا
حلّـى معاً قـد لحّـدك العقـد الـذي مـا أزادن جيـد الـدهر منـه بأثمنـا
أعـزز علـيّ بـأن أقـول مؤرّخـا (في مضجع دفنـوا الهـدى والمحـسنا)
١٣٩٠ هـ[١]

تعزية شاه إيران بوفاة السيّد الحكيم رحمه الله وامتناع السيّد يوسف رحمه الله عن الجواب

يوم توفّي السيّد الحكيم رحمه الله أبرق شاه إيران ببرقيّة تعزية إلى السيّد أحمد الخونساري وأخرى إلى السيّد كاظم شريعتمداري وثالثة إلى السيّد يوسف الحكيم رحمهم الله[٢]. وقيل: إنّه أبرق إلى السيّد الخوئي رحمه الله[٣]. وأعلن الشاه بهذه المناسبة العزاء ونكّس العلم حتّى إقامة مجلس الفاتحة نهار الخميس ١٩٦٩/٦/٤م[٤].

وقد جاء في برقيّته إلى السيّد كاظم شريعتمداري رحمه الله:

«حضرت آيت الله العظمى حاج سيد كاظم شريعتمدارى ـ دامت بركاته ـ قم

خبر درگذشت حضرت آيت الله العظمى حاج سيد محسن طباطبايي حكيم موجب كمال تأسف وتأثر خاطر ما گرديد. بدين وسيله اين ضايعه را به جناب مستطاب عالى وجامعه روحانيت اسلام تسليت گفته وعظمت روزافزون دين مقدس اسلام را كه تعاليم نجات بخش آن باعث سعادت دنيوى واخروى است از درگاه خداوند متعال مسألت داريم.

به تاريخ ١٢ خردادماه ١٣٤٩
كاخ نياوران
شاه»[٥].

وترجمتها ما يلي:

«سماحة آية الله العظمى الحاج السيّد كاظم شريعتمداري دامت بركاته ـ قم

ببالغ الأسف تبلّغنا خبر رحيل آية الله العظمى الحاج السيّد محسن الطباطبائي الحكيم. وبهذه المناسبة نعزّيكم وعلماء الإسلام بهذه الخسارة، ونسأل الله تعالى العزّة للإسلام ديننا المقدّس الذي تبعث تعاليمه على السعادة الدنيويّة والأخرويّة.

---

(١) الإمام المجاهد السيّد محسن الحكيم: ١٢٨.
(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٠٧.
(٣) حدّثني بذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م.
(٤) محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٤٧٥.
(٥) نهضت امام خمينيى (فارسى) ٢: ٧٩٤.

في الثاني من حزيران ١٩٧٠
قصر نياوران
الملك».

وجاء في برقيّته إلى السيّد أحمد الخونساري رحمه الله:

«حضرت آيت الله العظمى حاج سيد احمد موسوى خوانسارى ـ دامت بركاته ـ تهران

خبر درگذشت حضرت آيت الله العظمى حاج سيد محسن طباطبايي حكيم موجب كمال تأسف وتأثر خاطر ما گرديد. بدين وسيله اين ضايعه را به جناب مستطاب عالى وجامعه روحانيت اسلام تسليت گفته وعظمت روزافزون دين مقدس اسلام را كه تعاليم نجات بخش آن باعث سعادت دنيوى واخروى است از درگاه خداوند متعال مسألت داريم.

به تاريخ ١٢ خردادماه ١٣٤٩
كاخ نياوران
شاه»[1].

وترجمتها ما يلي:

«سماحة آية الله العظمى الحاج السيّد أحمد الموسوي الخونساري دامت بركاته ـ طهران

ببالغ الأسف تبلّغنا خبر رحيل آية الله العظمى الحاج السيّد محسن الطباطبائي الحكيم. وبهذه المناسبة نعزّيكم وعلماء الإسلام بهذه الخسارة، ونسأل الله تعالى العزّة للإسلام ديننا المقدّس الذي تبعث تعاليمه على السعادة الدنيويّة والأخرويّة.

في الثاني من حزيران ١٩٧٠
قصر نياوران
الملك».

وجاء في برقيّة الشاه إلى السيّد يوسف الحكيم رحمه الله التي أرسلت باسم أسد الله علم:

«جناب حجت الإسلام حاج سيد يوسف طباطبايي حكيم ـ نجف

به فرمان مطاع اعليحضرت همايون شاهنشاه آريامهر كمال تأسف وتأثر خاطر مهر مظاهر همايونى را به مناسبت ضايع رحلت حضرت آيت الله العظمى حاج سيد محسن طباطبايي حكيم ـ قدس سره ـ به جنابعالى وساير بازمندگان آن عالم ربانى ابلاغ مى نمايم.

يقين است كه به پاس خدمات ارزنده مرحوم آيت الله به معارف ومقدسات اسلامى خاندان آن بزرگوار وپيوسته از مراحم وعنايات ملوكانه برخوردار خواهد بود.

١٢ خرداد ٤٩
وزير دربار شاهنشاهى
اسد الله علم»[2].

وترجمتها ما يلي:

«سماحة حجّة الإسلام الحاج السيّد يوسف الطباطبائي الحكيم ـ النجف

بأمرٍ مطاعٍ من جلالة الملك المعظّم وبمناسبة رحيل العالم الربّاني سماحة آية الله العظمى الحاج السيّد

---

(١) نهضت امام خمينى (فارسى) ٢: ٧٩٤ ـ ٧٩٥.
(٢) نهضت امام خمينى (فارسى) ٢: ٧٩٥.

محسن الطباطبائي الحكيم نتقدّم إليكم وسائر أهل الفقيد بآيات التعزية.

من المؤكّد أنّ عائلة الفقيد وببركة الخدمات الجليلة التي أسداها إلى المعارف والمقدّسات الإسلاميّة، سوف تحظى بالعنايات الملكيّة.

الثاني من حزيران ١٩٧٠
وزير البلاط الملكي
أسد الله علم».

إلاّ أنّ السيّد يوسف امتنع عن الإجابة عنها[١].

وفي ١٩٧٠/٦/٥م أجاب السيّد كاظم شريعتمداري عن برقيّة الشاه رغم المساعي التي بذلها السيّد محمود الطالقاني من أجل الحؤول دون وقوع ذلك. وقد قامت ضدّه اعتراضات[٢]، وقد جاء في متن البرقيّة:

«بسمه تعالى

تهران ـ پيشگاه اعليحضرت همايون شاهنشاه ايران

با تقديم سلام وتحيات

تلگرام تسليت ابراز تأسف از ضايعه بزرگ عالم اسلام، رحلت آيت الله العظمى زعيم شيعه الحاج سيد محسن الحكيم اعلى الله مقامه موجب تشكر وتخفيف آلام وتأثرات ناشي از اين مصيبت گرديد. از درگاه خداوند متعال مسألت مى نمايد كه اعليحضرت همايونى را در راه تحكيم مبانى اسلام وتقويت تعليمات عالى دين مبين كه ضامن سعادت معنوى ومادى وموجب بقاى ملك وملت است، تأييد فرمايد.

سيد كاظم شريعتمدارى»[٣].

وترجمتها ما يلي:

«باسمه تعالى

طهران ـ جلالة ملك إيران المعظّم

إنّ برقيّتكم التي أبرقتموها بمناسبة الخسارة التي حلّت بالإسلام إثر رحيل زعيم الشيعة آية الله العظمى الحاج السيّد محسن الحكيم أعلى الله مقامه قد أوجبت منّا الشكر وبعثت على تخفيف الآلام والتأثّرات الناشئة من هذا الحدث الجلل.

نسأل الله تعالى أن يؤيّد جلالة الملك من أجل تحكيم أسس الإسلام وتقوية تعاليم الدين المبين التي تضمن السعادتين المعنويّة والماديّة وتحفظ الملك والشعب.

السيّد كاظم شريعتمداري».

وأجاب السيّد أحمد الخونساري بما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضور مبارك اعليحضرت همايون شاهنشاهى

تلگرام تسليت همايونى به مناسبت فاجعه ارتحال مرحوم حضرت آيت الله العظمى آقاى حاج سيد

---

(١) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٠٧ ؛ نهضت امام خمينيى (فارسي) ٢: ٧٩٥.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤١٠ ؛ نهضت امام خمينيى (فارسي) ٢: ٧٩٥.

(٣) نهضت امام خمينيى (فارسى) ٢: ٧٩٦.

محسن طباطبايي حكيم ـ قدّس سرّه ـ عزّ وصول بخشيد وموجب تسلى خاطر گرديد، بذل توجه اعليحضرت در تجليل مقام روحانيت موجب افتخار جامعه مسلمين مى باشد، موفقيت مقام سلطنت را در تقويت دين مقدس اسلام وترويج مذهب تشيع در ظل توجهات حضرت ولى عصر ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف وجهل أروحانا فداه ـ از درگاه خداوند مسألت مى درام.

٢٨ شهر ربيع الأوّل ١٣٩٠

أحمد الموسوي الخوانساري»[1].

وترجمتها ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

جلالة الملك المعظّم

لقد وصلتنا برقيّة التعزية التي أرسلتموها بمناسبة فاجعة رحيل المرحوم سماحة آية الله العظمى الحاج السيّد محسن الطباطبائي الحكيم قدس سره وقد بعثت السلوى في نفوسنا. إنّ ما يبذله جلالة الملك في تجليل مقام العلماء لمدعاة افتخارٍ للمسلمين. نسأل الله تعالى أن يوفّقكم لتقوية الدين الحنيف ونشر مذهب التشيّع في ظلّ عنايات صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف وجعل أرواحنا فداه.

٢٨ ربيع الأوّل ١٣٩٠

أحمد الموسوي الخوساري».

السيّد الصدر رحمه الله يعزّي السيّد مهدي الحكيم رحمه الله

وعلى إثر هذه الفاجعة كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد مهدي الحكيم رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي وعزيزي وشريك آلامي وآمالي.

أكتبُ إليك وقلبي يتفطّر وكياني يتفجّر ألماً والدنيا أمام عينيّ مظلمةٌ بعد أن انطفأت الشمسُ وهوى العماد وتهدّم البنيان الذي تعلّقت به آمال كلّ الواعين من المسلمين، وسقطت الراية التي عشنا في ظلّها ونعمنا في فيئها بآلام الجهاد، أي والله يا أخي نعمنا في فيئها بآلام الجهاد، وما ألذّه من نعيم وما أروعها من راية تسقط وهي في قمّة الصمود والثبات، في قمّة النظافة والطهر، في قمّة الاستقامة والنزاهة، في قمّة الشموخ، مهما احتشدت المصائب ومهما تفرّقت بالناس المذاهب. أكتب هذه الكلمات وأمامي شريطٌ من الذكريات ما أعظمها من ذكريات عن الزعامة الرشيدة التي كان فقيدنا يمثّلها. إنّي لم ولن أنسَ لحظةً كلّ تلك الحياة المشتركة في ظلّ تلك الزعامة الرشيدة التي كان بودّي وبودّ المئات من المخلصين أن يشتروا بقاءها بدمائهم وأن يدفعوا عنها الموت بكلّ ثمن. ولئن كان الموت أمر الله الذي لا يردّ وقضاءه في أنبيائه وكافّة أوليائه الذي لا يمكن أن يدفع، فإنّ على كلّ المسلمين أن يدفعوا عن زعيمهم ومرجعهم الموت لا بوصفه إنساناً من لحم ودم، فإنّ هذا الإنسان قد مات ولكن بوصفه خطّاً للعمل في سبيل الله، ومدرسةً لتخريج العلماء المجاهدين، ومنعطفاً في تاريخ المرجعيّة، ومفهوماً يشكّل الأساس لبناء الأمّة من جديد.

بنفسي أنت، بنفسي آلامك، وبنفسي دموعك، وما أشدّ النار التي تتوهّج في نفسي وأنا أشعر بأنّي لا أستطيع أن أكفكف شيئاً من هذه الدموع بيدي. والمؤمن في قمّة المحنة يجب أن يكون في قمّة الثقة بالله سبحانه وتعالى، إنّ الله لا يخذل دينه ولا يخذل المجاهدين في سبيل دينه. لا يدخل اليأس إلى قلبك لأنّ الله لا يزال حيّاً، وهو أكبر من الزعيم الراحل وهو معنا ما دمنا معه، فلنثق بأنفسنا ولنزدد إيماناً بربّنا من

---

(١) نهضت امام خمينيى (فارسى) ٢: ٧٩٦.

خلال المصاب، ولنحاول الخروج من الامتحان ونحن أطهر وأنقى ونتّخذ من الحسن والحسين قدوةً لنا، إنّهما أصيبا بسقوط الراية في أحرج لحظة من تاريخ الإسلام ومنيا بموت القائد الذي انتهى معه آخر أملٍ حقيقيٍّ في إعادة السفينة إلى طريقها النبويّ.

ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم»[١].

ومن رسائله‏ إلى السيّد مهدي الحكيم‏ الرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو أن تصلكم هذه السطور وأنتم في كامل الصحّة والعافية والسلامة، وقد عشتم شهر رمضان المبارك روحاً ومضموناً وعشتم عبادته قلباً وفكراً وجسداً، وشملتموني بصالح أدعيتكم، كما أنّكم كنتم معي في كلّ دعاء وابتهال إلى المولى سبحانه وتعالى.

فيما يلي الجواب على أسئلتكم:

جـ١: أمّا المسجد الذي تحدّثتم عن جواز تجديد عمارته فيجوز فيه ذلك إذا كان فيه مصلحة للمسجد وأذن الحاكم الشرعي. وقد حصل الإذن في ذلك على أن يستفاد من أنقاض البناء القديم مهما أمكن بأن تباع ويصرف ثمنها في مصالح المسجد أيضاً إذا كانت قابلة لذلك.

جـ٢: لا بأس بالانتفاع بسطح الحسينيّة ببناء شقق عليه لإيجارها واستثمار بدلات الإيجار في شؤون الحسينيّة ما دام المفروض عدم تعارض ذلك مع الاستفادة الفعليّة من الحسينيّة.

جـ٣: أنت وكيلٌ عن الحاكم الشرعي في نصب المتولّي على الوقف الذي ليس له متولٍّ منصوب من قبل الحاكم الواقف، وكذلك في جعل المتولّين للأيتام والقاصرين بالنحو الذي يحفظ مصلحة المُولّى عليه في تلك المنطقة.

أسأل المولى القدير سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويقرّ بكم عيون مولانا الإمام صلوات الله عليه أرواحنا فداه، والسلام عليكم من أفراد العائلة عموماً ومن السيّدة الوالدة خصوصاً وعلى العائلة الكريمة ورحمة الله وبركاته.

عبد الله»[٢].

وكذلك الرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

العزيز المعظّم حفظه الله تعالى ورعاه بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم ورحمة الله وصلواته.

وبعد، فقد تسلّمت رسالتكم العزيزة وحمدت المولى سبحانه وتعالى على عافيتكم وصحّتكم، وسألته عزّ وجلّ أن لا يحرمني من أدعيتكم وألطافكم ويقرّ عيني دائماً بكم، إنّه سميع مجيب.

أمّا الأسئلة الشرعيّة ففيما يلي جوابها:

سألتموني عن الإذن بتقليدي في مسألة طهارة ما عدا الخمر من المسكرات المائعة بالأصالة، وقد قلت لكم: إنّ هذا الإذن كان من باب تشخيص الموضوع، وهذا معناه أنّي أرى عدم جواز العدول إلى المفضول

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١١٥).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١١٦).

مطلقاً ولو كان المعدول عنه ميتاً، فَمَن شَخَّص مفضوليّة الحي لا يجوز له العدول إليه من الميت، ومن شخّص خلاف ذلك جاز له العدول.

وأمّا النظر إلى الأجنبيّة السافرة الكافرة أو التي لا تنتهي إذا نهيت: فميزان جوازه هو عدم الخوف في الوقوع في الحرام. وأمّا مجرّد التلذّذ الذي يعلم بعدم تعدّيه إلى الحرام لا فعلاً لو بنحو إعداداً لذلك فيما بعد فلا يوجب حرمة النظر، وإن كان الأحوط استحباباً ذلك.

وأمّا بالنسبة إلى أنقاض المسجد المهدوم: فهي في رأيي ملك للمسجد المهدوم لأنّي أرى أنّ المسجديّة قائمة بالمكان، وأمّا البنيان فهو ملك المسجد ولهذا لا يجوز هدمه لمجرد الأصلحيّة. وعليه فينبغي أوّلاً أن يصرف في مصالح المسجد، فإن تعذّر صُرف في بقيّة المساجد.

وأمّا إذا كان المسجد وُقفَ وكان نماء هذا الوقف أكثر من حاجة المسجد الماديّة، فالمتعيّن في المرتبة الأولى صرف الزيادة على نَفس المسجد أيضاً ولو بلحاظ حاجاته المعنويّة، من قبيل الإنفاق على إنشاء مكتبة فيه أو الدراسة فيه أو القيام بشؤون إمامٍ راتبٍ له، وهكذا.. وتصل النوبة إلى الإنفاق على المساجد الأخرى عند تغطية هذه الحاجات.

والسلام عليكم وبنفسي أنتم ورحمة الله وبركاته.

عبد الله»[1].

وهنا ثلاث رسائل بقلم السيّد عبد العزيز الحكيم ـ على ما يبدو ـ مرسلة إلى أخيه السيّد مهدي الحكيم رحمه الله كتبها إليه يوم كان الأخير في باكستان، وقد جاء في الرسالة الأولى:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدي الأخ الجليل العزيز السيّد صالح الحسيني المحترم.

بعد لثم أياديكم الكريمة أسأله تعالى أن تكونوا على أفضل ما يرام.

سيّدي، عشت أيّاماً سعيدة في خدمتكم وتحت ظلّ عطفكم ولطفكم. ولا زلت أعيش بقلبي بل وجميع مشاعري وإحساساتي معكم في يقظتي ومنامي، عجّل الله لقائي بكم واجتماعي بخدمتكم.

سيّدي، أذكر لكم الإجابة عن بعض ما سألتموني من المسائل الدينيّة بحسب رأي سيّدنا الصدر:

١ ـ أمّا مسألة تغريم البنك عند رجوع الصكّ عند عدم وجود رصيد لصاحب الصكّ ~~فالظاهر~~ فهي على صاحب الصكّ ما دام هناك بناء عرفي على أنّ من يعطي الصكّ له رصيد في البنك، ولذلك فيعتبر مغرّر والمغرور يرجع على من غرّه. كما أنّ تكاليف إقامة دعوى على الغاصب يرجع بها على الغاصب نفسه.

٢ ـ وأمّا ~~مسألة~~ مصافحة المرأة الأجنبيّة فهو غير جائز على كلّ حال لأنّها ضرورة عرفيّة.

٣ ـ وأمّا ~~ـ~~ الاضطرار إلى ~~النظر~~ إبقاء التلفزيون فهذه الضرورة محلّ ابتلاء كثيرٍ من المؤمنين، والسيّد الصدر مع ذلك لم يتنازل عن فتواه وإنّما ~~سمح~~ سمح لهم بتقليد مجتهد آخر في هذه المسألة، والمنقول عن ~~الـ~~ السيّد الخوئي أنّه يجوّز ذلك.

٤ ـ وأمّا أنظمة المرور المتّبعة ~~بالنسبة~~ فلا يضمن الداعم ما دام المدعوم هو المخالف، وأمّا إيذاء صاحب السيّارة أو السيّارة المخالفة لأنظمة المرور من [جهة] وقوفه في أماكن تسبّب مضايقة لسيّارات أخرى فذلك غير جائز.

٥ ـ وأمّا دفع سهم الإمام للسيّد [زوّار][2] كراتب فقد أجازه حتّى لو كان غنيّاً.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١١٧).

(٢) الأصل غير واضح جدّاً، ولعلّها (زوّار)، والمقصود السيّد زوّار الحسين الباكستاني بقرينة رسائل أخرى.

٦ ـ وقد أجازكم ~~كم~~ في قبض سهم السادة والتصرّف فيه بما تظنّون أنّه مؤنة لكم ولم يوافق على إعطاء إجازة غير مقيّدة.

٧ ـ وأمّا فحص الطبيب النساء فهو جائز إذا فرض كانت المراجعة عن عذر ولو من باب المشقّة للرجوع إلى الغير أو كان الطبيب يحتمل أنّ مراجعته كانت لأجل كونه أفود[1] أو أفضل من غيره، أو لعدم وجود البديل ولو كان ذلك لأجل قرار المستشفى كما لو عيّنته مرجعاً لأمراض معيّنة.

٨ ـ إنّ ~~القبض~~ قبض مجهول المالك عن المجتهد باعتباره حاكماً شرعيّاً لا باعتباره فقيراً.

٩ ـ المال المأخوذ من البنوك بلا وكالة من الحاكم الشرعي يعتبر ديناً في ذمّة الآخذ ~~من~~ من ـ ردّ المظالم ـ ويمكن إفراغ ذمّته بالمصالحة معه ولو بمال قليل.

١٠ ـ الأراضي الموات التي تؤجّرها الدولة لعدّة سنوات إذا استثمرت فتعتبر أراضي مستثمرة يتعلّق بها الخمس كبقيّة الأموال المستثمرة، طبعاً ما عدا قيمة الأرض إذ هو غير مالك لها.

١١ ـ الأراضي التي تعطى من قبل لشيوخ لبناء مأتم عليها يجوز بناء مسجد عليها، وأمّا إذا بني عليها المأتم فلا يجوز تحويله إلى مسجد. ~~وعلى كلّ حال فلا يجب~~

١٢ ـ أجازكم السيّد في إجازة دافعي الحقوق [الشرعيّة] أن يصرفوا سهم الإمام (ع) لكن مع تنبيههم إلى العناوين الكليّة لمصارف سهم الإمام (ع). وأمّا سهم السادة فأنتم مفوّضون في إجازة ما يقتضيه الحال بلا تقيّد بنسبة معيّنة.

١٣ ـ بالنسبة للتخفيف من سهم السادة بالأخذ والعطاء لم يوافق على أن يكون القبض والعطاء وكالة عنه، باعتباره هو شخصيّاً لم يمارس مثل هذه التصرّفات ولذلك فبإمكانكم القيام به استناداً إلى وكالة غيره.

١٤ ـ إنّ الترخيص في قبض مجهول المالك نيابةً عنه والتصدّق به على القابض عامٌّ يشمل ~~مقلّدي~~ مقلّديه وغيره، لكن بشرط أن يكون القابض منتبهاً إلى أنّ القبض عنه مع نيّة ذلك.

١٥ ـ من نذر أن يصرف مقداراً معيّناً من ماله في صلاة أو صوم عن إنسانٍ آخر ~~يعتبر~~ يعتبر هذا المال من مؤنته لو صرفه في أثناء السنة، ولذلك فلا يتعلّق به الخمس. وأمّا لو لم يصرفه إلى نهاية السنة فلا يعتبر من الديون المستثناة لأنّ النذر حكم تكليفي ولا يوجب انشغال الذمّة.

١٦ ـ إنّ اظهار الوجه المزيّن بالكحل الاصطناعي غير جائز وإنّما الجائز إظهاره لو كان تزيّناً بالكحل الحقيقي لدلالة النصّ عليه.

١٧ ـ وأمّا مسألة قبض المؤجّر إجارة دراه مقدّماً فهي مذكورة في منهاج الصالحين للسيّد الصدر ج١ مسألة ٤٥ ص ٤٦٨.

وفي الختام أكرّر دعائي والتماسي من الباري جلّ اسمه أن يحفظكم ويسدّد خطاكم.

سلامي وتحيّاتي إلى السيّدة الجليلة أم صالح حفظها الله ~~ورعاها~~ ورعاها، وإنّ لساني [قاصرٌ] عن أن أشكرها على عواطفها التي غمرتني وأم عمّار[2] بها، أسأل الله أن يسعدها في الدنيا والآخرة. تحيّاتي إلى السيّدة العلوية فاطمة وأرجو ان لا تكون سارة مزعجة لها في الليل، وسلامي إلى السيّد علي وزينب، والسيّدة الجليلة أم حسن.

سلامي وأشواقي الحارّة إلى أخي السيّد زوّار وإلى الإخوة المؤمنين سيما ~~السيّد~~ الدكتور محمّد حسن وزوجته الجليلة.

---

(١) المراد: أكثر فائدةً.

(٢) هي زوجة السيّد عبد العزيز الحكيم.

أرسلت لكم مجموعة كتب أرجو أن تصل قريباً وأكثرها ما أوصانيها الأخ كاظم[١] وأخيراً دمتم لمخلصكم.

~~العزيز الحكيم~~

ملاحظة: الجميع هنا بخير ويهدونكم وافر تحيّاتهم»[٢].

وجاء في الثانية:

«بسمه تعالى

حضرة سيّدي الأخ السيّد صالح الحسني المحترم

بعد السلام عليكم ورحمته وبركاته.

أقبّل أياديكم الشريفة وأدعوه تعالى دوماً لأن يكون في عونكم وأن يفرّج عنكم.

سيّدي، [أيّاماً] قليلة عشتها معكم ولكن لا زلت فرحاً ومسروراً لأنّني التقيت بخدمتكم، وأعيش معكم في اليقظة والمنام، لساني قاصرٌ عن التعبير عن عواطفي تجاه شخصكم الكريم، لا أنساكم من الدعاء. زرت الأئمّة (ع) والمرحوم سيّدي الوالد (قدّس) نيابةً عنكم. وعلى أيّ حال أرجو من الله سبحانه أن يرعاكم برعايته ويسدّدكم.

سيّدي، بالنسبة للمسائل التي ~~سألتموني~~ قد سألت عنها سيّدنا المفدّى[٣] فأجاب:

١ ـ بالنسبة للعبادات المعطاة عن الميت فيتعلّق بها الخمس، نعم يمكن أن يتخلّص من خمسها بأن ينوي التصدّق بها بهذا النحو: لإفراغ ذمّة الميت الفلاني.

٢ ـ بالنسبة للضرب على الطبل في الأعراس يستشكل منه.

٣ ـ بالنسبة لأخذ الفوائد من البنوك الإيرانية لا مانع منه لأنّ الإعطاء بالوقت الحاضر يعتبر هدية من قبل البنك.

٤ ـ إذا كانت نسبة الكحول في الأدوية مستهلكة فيجوز شربها وهي نسبة ١ ٪ فقط.

٥ ـ الحب المعبّر عنه ـ بدهن السمك ـ إذا كان من الحوت الحقيقي فلا يجوز ومع الشك يجوز استعماله.

٦ ـ بالنسبة لما عمل في زمن المقلّد السابق إذا كانت مخالفة لما يفتي عليه مقلّده الفعلي فلا يجب عليه قضاؤها.

٧ ـ لو أخطأ كلمة واحدة في الصلاة فيجوز إعادة الجملة إن كان لها هيئة تركيبيّة واحدة ـ كما في: أشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ـ ، نعم لو كانت كلمة مستقلّة ولم يكن ما قبلها ذكر فيجب إعادتها لوحدها.

٨ ـ بالنسبة للرجوع إلى المجتهد الميت في الاحتياط إن كان من مقلّديه ولم يعدل عنه بالمرّة فيجوز الرجوع إليه وإلاّ فلا.

٩ ـ وبالنسبة للمقلّد الذي كان مطمئنّاً بأعلميّته ثمّ شكّ في أعلميّته: إن كان قد قلّده نتيجةً لقيام بيّنة شرعيّة على أعلميّته فلا يجوز له العدول عنه ما لم يصل إلى نتيجة، وأمّا إن لم يكن لذلك فيكون الشك سارياً ويجب عليه تقليد من يعتقد بأعلميّته.

١٠ ـ بالنسبة للتجاهر بالإفطار في البلاد الكافرة، فلا يبعد جوازه.

---

(١) يقصد أخاه السيّد كاظم الحكيم رحمه الله.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١١٨).

(٣) يقصد السيّد الصدر رحمه الله.

١١ ـ بالنسبة للصلاة في المناطق التي ينفقد فيها الليل والنهار العرفي ـ بلاد الإسكيمو ـ إن كانت هناك تقسيمات لليوم عرفيّة فيلتزم بها ويصلّي في الأوقات التي يعتبرها العرف ظهراً أو مساء.

١٢ ـ بالنسبة لمن يلبس مدالية عليها اسم الله تعالى يجوز له الدخول للمرافق[1] ولا يدلّ استفسار الناس عن جوازه على وجود الإهانة في هذا العمل.

١٣ ـ يجوز عزل الصدقات ~~من~~ مع إنشاء عنوان أنّها لله تعالى مع عدم وجود المستحقّ.

١٤ ـ بالنسبة للسيّد خليل يجوز إقراضه من سهم الإمام (ع).

١٥ ـ وبالنسبة للأخ لم يرَ هناك مبرّراً [لإعطائه] من سم الإمام بالعنوان الأوّلي لكثرة الحاجات.

هذا ومن جهة الإخوة والوالدة فلله الحمد الجميع على أفضل ما يرام ويدعون لكم.

الوالدة والإخوان وزوجاتهم وأمّ عمّار يهدونكم وافر تحيّاتهم.

الأولاد [منال][2] وعمّار ومحسن يقبّلون أيديكم ويذكرونكم دوماً ويصرّ عليّ محسن ~~لأن~~ دوماً للسفر إليكم وهو في حالة تهيّء واستعداد.

سلامي وتحيّاتي الحارّة للسيّدة الجليلة أم صالح التي لم أنسها من الدعاء ولم أنسَ فضلها الكبير وما عانته من زحمات، وإن كان ذاك ليس هو بالأوّل وإنّما هي هي صاحبة العطف واللطف، وقد عوّدتنا الجميل والإحسان منذ أن كانت هنا، وأسأل الله أن يحفظها ويرعاها ويسعدها في الدنيا قبل الآخرة، تحيّاتي وسلامي للسيّدة زينب التي نحن بانتظارها جميعاً.

سلامي للشاب المهذّب علي، لا زالت صورته العزيزة منطبعة في ذهني وابتسامته غير مفارقة لفمه، وفّقه الله لكلّ خير وهداه لما يحبّ ويرضى، وقرّب [لقاءنا].

ما أجملكم يا سيّدي وألطف العيش بجواركم.

دمتم لأخيكم الغير ناسي.

~~العزيز كيم~~

أرجو المعذرة، كتبت الرسالة بسرعة لضيق الوقت وكثرة العواطف»[3].

أمّا الثالثة فقد ورد فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدنا المفدّى الحجّة السيّد أبو صالح دامت بركاته.

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

أرجو لكم دوام التوفيق والصحّة التامّة، أمّا أحوالنا فبخير والحمد لله والسيّد دام ظلّه[4] يخصّكم أبلغ التحيّة والسلام، وقد بشّرته بسلامتكم التي لاحظتها في هذه المرّة والقلوب كلّها لهفى باشتياق زيارتكم.

فيما يلي الإجابة منه دام ظلّه على الاستفتاءات الفقهيّة التي أرفق صورتها الأصليّة مع الرسالة.

١ ـ فيما يرجع إلى مسألة السيّد زوّار حسين ومشكلته بالنسبة إلى الفراش التي اشتراها للمأتم والأوقاف يمكن جبر ثمنها من أموال الأوقاف في إحدى الصور التالية:

أ ـ أن يكون من جملة أموال الوقف ما هو مخصّص للصرف في مطلق وجوه البرّ والإحسان فيمكن دفع غائلته من ذلك.

---

(١) المقصود المرافق الصحيّة أي (التواليت) أو الحمّام عندنا.

(٢) غير واضح.

(٣) انظر الوثيقة رقم (١١٩).

(٤) يقصد السيّد الصدر رحمه الله.

ب ـ أن يكون السيّد زوّار قد اشترى الفراش من ماله الخاص ثمّ ملّكها للوقف أو المأتم على وجه الضمان ـ ولو بنفس وضعها فيها بنحو المعاطاة ـ بانتظار أن يتدارك بعد ذلك هذا الضمان من قبل الشخص الذي أوعده به ولم يفِ، فحينئذ يمكن الوفاء بنفس مال الوقف.

ج ـ أن يكون قد اشتراها من ماله الخاص ثمّ وضعها في المأتم أو غيره بانظار أن يحصل على ما أوعده به الشخص الآخر، فيوقفها أو يملّكها للوقف، ولعلّ هذا هو ظاهر العمليّة حيث لم يصدر من السيّد زوّار إنشاء وقفيّة أو تمليك كما أنّه لا يعلم أنّه قد اشتراها للشخص الآخر، ولا أقلّ من الشكّ الموجب للأخذ بظاهر حال الشراء من أنّه لنفسه. ففي حالةٍ من هذا القبيل يبقى الأثاث والفراش ملكاً للسيّد زوّار حيث لم يدفع الشخص الآخر المال، فيمكنه أن يبيعها الآن على الوقف بسعر مقارب للسعر الذي اشتراها به.

٢ ـ بالنسبة إلى التعامل مع البنوك (جهولة المالك) الحوالة عليها يمكن تخريجها على أساس أنّها إيفاء من قبل المحيل لدين المحال بمال الغير ـ وهو المالك المجهول ـ وللحاكم الشرعي إجازة ذلك على وجه الضمان على المحيل فتبرأ ذمّته من دين المحال بعد قبضه من البنك، ويكون المحيل ضامناً للمال المجهول فيطبّق عليه ما يطبّق على سائر الأموال المجهولة المالك بالإجازة العامّة. كما أنّ الإيداع في البنوك المذكورة لا يخرج المال المودع عن كونه من رأس المال لأنّه على أسوأ تقدير كالمؤونة المعروفة في سبيل ما سوف يسحبه من البنك بعد ذلك نتيجة ذلك الإيداع من الأموال بقدر ما أودع، ولو فرض فقهيّاً أنّ هذا المال غير ذلك المال وعليه فيجب احتسابه من رأس المال.

٣ ـ الظاهر التفصيل فيما يدفع في وجوه الخير بين ما إذا كان ما يدفع بإزائه عملاً خيريّاً عامّاً كالدفع لبناء حسينيّة أو جامع، أو شخصيّاً كما اذا تبرّع بمالٍ للزيارة عن نفسه أو عن أبيه أو لأداء صلوات عنه، فإنّ هذا الأخير نظير الدفع لشراء فراش لمقبرة أبيه مثلاً لا يعتبر الدفع إلاّ كأمانة توضع عند الوكيل فلا تنقطع صلة الدافع بالمال. وأمّا في الأوّل فالظاهر أنّه تنقطع صلة الدافع بنفس دفعه ويعتبر صدقة مشروطة. وعليه ففي القسم الأوّل لا بدّ من احتسابه من رأس المال.

٤ ـ يحسب يوم رأس السنة بحسب المتفاهم العرفي من السنة القادمة لا السابقة.

٥ ـ في البنت الباكر لو فرض الخشية والخوف من وضع القطنة للاستظهار ـ مع أنّه عادةً لا خشية لعدم اشتراط إيلاج القطنة عميقاً للاستظهار ـ وجب عليها الاحتياط والجمع بين تروك الحائض وأعمال المستحاضة لأنّ الاستظهار وجوبه شرطي لا تكليفي فلا يسقط بالتعذّر أو الخوف.

٦ ـ يجوز بيع الميتة من الكافر دون لحم الخنزير وآلات القمار والخمر.

٧ ـ ربطة العنق إذا كانت من الحرير الطبيعي الخالص فلا يجوز لبسها.

٨ ـ لا يجوز استئجار الملحن في القراءة للحج مع وجود أجير لا يلحن.

وختاماً أرجو إبلاغ سلامي إلى الأحبّاء جميعاً.

والسلام عليكم ورحمته وبركاته

[الإمضاء]»[1].

السيّد الخميني رحمه الله يشدّد على نجله السيّد أحمد رحمه الله عدم التدخّل في المرجعيّة

إثر وفاة السيّد محسن الحكيم رحمه الله قال السيّد الخميني رحمه الله للسيّد عبّاس المهري: «**لقد فقدنا شخصيّة**

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢٠).

مثل السيّد الحكيم، فهل يكون لنا فرحٌ وسرورٌ بعده؟! أنا في حداد لمدّة سنة كاملة على فقدان هذه الشخصيّة الفذّة، ويجب على الجميع احترام وتكريم هذا الإنسان العظيم»(١).

وفي ٤/ربيع الثاني/١٣٩٠هـ (١٩٧٠/٦/٩م) حرّر السيّد الخمينيّ رحمه الله إلى نجله السيّد أحمد الخمينيّ رحمه الله رسالةً جاء فيها:

«بسمه تعالى

أحمد عزيز

إن شاء الله تعالى سلامت باشيد. حال من بحمد الله خوب است وكسالت مزاجى ندارم، البته كسالت روحى زياد است.

لازم است تذكر دهم كه ممكن است در اين اوقات در آنجا مسائلى مربوط به مرجع طرح شود يا خداى نخواسته كشمكش بين جوانها شروع شود. شما وتمام دوستان اينجانب بايد از اين مسائل بركنار باشيد ويك كلمه دخالت نكنيد. چنانچه در اينجا نيز همين امر را سفارش داده ام. البته اثبات ونفى اى نبايد داشته باشيد.

تأييد وتوفيق شما را خواستارم واز اينكه بحمد الله اشتغال داريد مسرورم واز مدرس شدن شما هم مشغوفم؛ خوب كارى است. از اول همان طور كه درس مى خوانى ومباحثه مى كنى هم بكن ولو براى يك نفر. ان شاء الله تعالى موفق باشي، والسلام

پدرت»(٢).

وترجمتها ما يلي:

«باسمه تعالى

العزيز أحمد

أرجو الله أن تكونوا بخير، أحوالي جيّدة والحمد لله، لستُ أعاني من أمراض وإن كانت الأمراض الروحيّة كثيرة.

أرى أنّ عليّ التنبيه إلى مسألة وهي أنّ من الممكن عندكم في هذه الفترة تداول بعض المسائل المرتبطة بالمرجعيّة أو لا سمح الله من الممكن أن تحدث بعض التجاذبات بين الشباب حول هذا الموضوع. إنّ عليكم وعلى سائر الأصدقاء أن تبقوا بعيدين عن هذا الأمر ولا تتدخّلوا بكلمة، وقد أوصيت هنا بالأمر ذاته، طبعاً عليكم أن لا تصدروا نفياً أو إثباتاً.

أدعو لكم بالتأييد والتوفيق وقد فرحتُ لانشغالكم بالدرس وأنتظر سماع نبأ شروعكم بالتدريس، حسناً ما فعلتم. أوصيكم من أوّل الأمر بالتدريس ولو لشخصٍ واحد تماماً كما تدرسون وتباحثون.

وفّقكم الله تعالى، والسلام.

أبوك».

السيّد القاضي الطباطبائي يعزّي السيّد الصدر رحمه الله

إثر وفاة السيّد الحكيم رحمه الله أبرق السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي رحمه الله إلى السيّد الصدر رحمه الله

---

(١) الإمام الحكيم.. لمحة موجزة عن مرجعيّته وجهاده: ٤١؛ وانظر الأصل في: سرگذشتهاى ويژه از زندگى امام خمينى (فارسي)، شماره ٦: ١٥٩ ـ ١٦٠، وتاريخ الحادثة ليلة يوم الغدير، أي ١٧/ذي الحجّة/١٣٩٠هـ.

(٢) نهضت امام خمينيى (فارسى) ٢: ٧٩٣ ـ ٧٩٤.

معزّياً. وبعد فترة وفي ١/رجب/١٣٩٠هـ (١٩٧٠/٩/٣م) أرسل السيّد الصدر إليه رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الإمام المجاهد الحاج السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي دامت بركاته.

السلام عليكم زنة شوقي إليكم وتقديري لكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمتُ بكلّ تلهّف واحترام رسالتكم الكريمة التي قرأت في سطورها ما كنتُ أقرأه من قبل في قسمات وجهكم الكريم وما كنت ألمسه في شخصكم من المثل العالية، وفي أحاديثكم الطافحة بالمسؤولية من عمق وشمول، فقد كنتُ أقرأ وألمس في كلّ ذلك شعوركم العميق بواجبات القيادة، وثباتكم الراسخ رغم آلام الغربة ومحنة التشريد وأنواع الأذى التي أصابتكم في سبيل الله سبحانه وتعالى.

وإنّي إذ أبتهل إلى المولى سبحانه أن يحفظكم للإسلام ذخراً وسنداً، أرجو أن أكون جديراً بما أوليتموني من ثقة، وأن يجعل من ذلك طريقاً فيما بعد للتعاون والتعاضد في خدمة الدين الحنيف والحوزات العلميّة.

تأسّفتُ لعدم وصول الجواب على البرقيّة التي تسلّمتها من سماحتكم بمناسبة المصيبة الفادحة بوفاة سيّدنا الإمام المجاهد السيّد الحكيم رضوان الله عليه، فقد كان لتعزيتكم الكريمة أثرها البليغ في نفسي وأجبت عليها فور وصولها، ولكن يبدو أنّ الجواب لم يصل. وختاماً أرجو أن لا تنسوني من أدعيتكم الصالحة، كما أنّي لا أنساكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر

١ رجب ١٣٩٠هـ»[١].

علماء إيران يعلنون عن مرجعيّة السيّد الخميني

في ١٩٧٠/٦/٤م (٢٩/ربيع الأوّل/١٣٩٠هـ) أعلنت اثنتا عشرة شخصيّة علميّة إيرانيّة عن مرجعيّة السيّد الخميني، وكان ذلك بمسعى من الشيخ حسين المنتظري الذي كان أحدهم. وقد منع السيّد الخميني نجله السيّد أحمد من التدخّل في هذا الموضوع[٢].

السيّد الصدر يدعم مرجعيّة السيّد الخوئي

لقد كانت خلافة السيّد الحكيم في المرجعيّة ممكنة ـ ثبوتاً ـ في مجموعة من الأشخاص منهم: السيّد الخوئي، السيّد محمود الشاهرودي والسيّد الخميني.

عقد السيّد الصدر مجلساً استشاريّاً ظهر يوم الخميس (١٩٧٠/٦/٤م) ضمّ مجموعةً من مقرّبي طلاّبه، وقد تمّ طرح وتداول موضوع دعم مرجعيّة السيّد الخوئي، وكان طلاّبه ـ ولو في الجملة ـ معارضين للفكرة، لأنّ دعم مرجعيّة السيّد الخوئي لا ينسجم مع الخط الذي يسيرون فيه ويعملون له، إلاّ أنّ السيّد الصدر كان مصرّاً على ذلك[٣]، وكان يرى في الوقت نفسه أنّ دعمه مرجعيّة السيّد الخوئي كانت من باب (قحط الرجال) بحسب تعبيره[٤]، فقد كان يرى أنّ بدايات

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢١).

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٠٨ ـ ٤١١.

(٣) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٦م.

(٤) نقل لي هذا التعبير حرفيّاً عن السيّد الصدر السيّدُ محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م وأكّد صدوره منه، وهو يرتبط ببحث المرجعيّة الصالحة التي يعتقد بها السيّد الصدر، حيث يفرّق بين صلاح المرجع الشخصي وبين صلاحه

المواجهة مع السلطة قد لاحت في الأفق، وكان يريد للأمّة أن تظلّ ملتفّةً حول المرجعيّة تماماً كما كانت في حياة السيّد الحكيم، وهذا ما كان ممكناً تحقيقه في ظلّ مرجعيّة السيّد الخوئي التي رجع إليها عامّة مقلّدي السيّد الحكيم، خلافاً لمرجعيّة السيّد الخميني التي لم تكن تحظى باستقطاب جماهيري في الوسط العراقي، وكان قد وقع في حرج أخلاقيٍّ حول تقديم أحدهما[1]، هذا خلافاً لما كانت عليه مرجعيّة السيّد الخميني في الوسط الإيراني[2].

وقد تقرّر الإعلان عن موقف السيّد الصدر عبر الإيعاز إلى طرف بعيد عن حوزة النجف يستفسر من السيّد الصدر عن رأيه في موضوع الأعلميّة، فوقع الاختيار على الشيخ عبد الأمير قبلان[3].

ولكنّ بعض الطلّاب اعترض على هذا الرأي باعتبار أنّه مع الاعتقاد بأعلميّة السيّد الصدر نفسه، فكيف يُمكن أن يشهد بأعلميّة السيّد الخوئي؟! فأجاب بأنّه سيحرّر الجواب بحيث يكون بنفسه خارجاً عن محلّ الكلام[4]. وقيل: إنّ حاشية السيّد الخوئي هي التي كانت وراء هذا السؤال[5]، وهذا نصّ السؤال والجواب:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السلامُ على سيّدنا ومولانا أمير المؤمنين وعلى أبنائه الميامين ورحمة الله وبركاته.

سليل الأئمّة وأمل الشيعة المحقّق الكبير آية الله السيّد محمّد باقر الصدر دام ظلّه.

سلامٌ عليكم ودعائي لكم وطلبه منكم نسأل الله أن يديمكم للأمّة الإسلاميّة قائداً ورائداً.

بعد وقوع الكارثة التي حلّت بعالمنا الإسلامي بفقد عميدنا الكبير المرجع الأعلى للطائفة الكريمة السيّد الحكيم راجعنا بعض الإخوان في أمر تقليدهم، وبما أنّ فضيلتكم الخبير في هذه الأمور والمرجع في كلّ معضلة، فالرجاء من سيادتكم إرشادنا إلى من نسلّمه أمر ديننا لنرشد إخواننا إليه ولكم جزيل الأجر والثواب.

ومن عندنا العائلة تبلّغ سلامها إلى عيالكم الكريمة ووالدتكم الجليلة ولشقيقتكم المصونة.

أخوكم المخلص

عبد الأمير قبلان

١٩٧٠/٦/٤م»

بوصفه مرجعاً، وهو ما نبّه إليه الشيخ مطهّري في : مشكل اساسى در سازمان روحانيت (فارسي): ٢٨٦؛ محاضرات في الدين والاجتماع: ٥٤٣ ـ ٥٤٥.

(١) حدّثني بذلك الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م ؛ وانظر هذا المعنى في: مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (١٢٧).

(٢) هذا منّا.

(٣) لا يذكر السيّد الإشكوري إذا كانوا قد تواصلوا مع الشيخ قبلان أو شخص آخر، ولكنّه احتمل ذلك، فبنينا عليه آخذين بعين الاعتبار الرسالة الآتية. ولكن: حيث إنّ سؤال الشيخ قبلان محرّرٌ بتاريخ ١٩٧٠/٦/٤م، وهو اليوم الذي ذكره السيّد الإشكوري تاريخاً للاجتماع المذكور، فإنّ هذا يضعّف ما ذكرناه، إلاّ أن يكونوا قد اتّصلوا بالشيخ قبلان هاتفيّاً بعد الاجتماع، فحرّر السؤال في اليوم نفسه ليرسله على وجه السرعة.

(٤) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٦م.

(٥) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٦٦.

وجاء في جواب السيّد الصدر رحمه الله:

«بسمه تعالى

عزيزي المعظّم سماحة العلاّمة الجليل الشيخ عبد الأمير قبلان دام ظلّه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقّيتُ بكلّ احترام رسالتكم الأخويّة بمناسبة الفاجعة الكبرى التي حلّت بالمسلمين، فأسال الله سبحانه أن يحسن عزاءكم ويعظّم أجورنا وأجوركم.

ورأيي بشأن التقليد على أساس خبرتي بحال المراجع الأعلام متّعنا الله بدوام ظلّهم جميعاً أنّ الأعلم هو سماحة الإمام الخوئي أدام الله ظلّه الوارف.

وتقبّلوا في الختام أخلص تحيّاتي واحترامي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمّد باقر الصدر»[١].

وقيل: إنّ حاشية السيّد الخوئي رحمه الله وزّعت عدداً كبيراً من هذا الجواب، وقد علّق بعض الطلاّب بأنّ عرض هذا المنشور الموقّع من قبل السيّد الصدر هو لمصلحة السيّد ودعاية له، إذ لو لم يكن السيّد بحجم المراجع، لم يكن لهذا السؤال ولا لجوابه أيُّ معنى[٢].

وقيل: إنّ السيّد موسى الصدر قد أعلن في مقرّ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بعد وفاة السيّد الحكيم رحمه الله أنّ المرجع الأعلى للشيعة هو السيّد الخوئي رحمه الله، وأنّ السيّد شريعتمداري، السيّد محمّد باقر الصدر والسيّد الخميني رحمه الله هم بالترتيب مراجع الطبقة الثانية[٣].

ويبدو أنّه كان إلى جانب هذه الرسالة بيانٌ آخر حول أعلميّة السيّد الخوئي رحمه الله تمّ توزيعه في النجف ممضيّاً من سبعة أو ثمانية علماء، منهم: السيّد الصدر، الشيخ صدرا البادكوبي، السيّد محمّد الروحاني، الشيخ مجتبى اللنكراني[٤]، والشيخ موسى الزنجاني رحمهم الله... كما دعا إلى مرجعيّته الشيخ يوسف الكربلائي والسيّد جعفر المرعشي[٥].

وينقل السيّد علي أكبر محتشمي أنّ الشيخ الشيخ مجتبى اللنكراني ذكر له أنّ السيّد الخميني إن لم يكن الأعلم، فإنّه لا يقلّ عن السيّد الخوئي رحمه الله، ولكنّه يمتاز عنه بالشعبيّة التي يحظى بها وبقدرته على تحريك الجماهير وطاعتها إيّاه، وهذه ميزة مهمّة يجب توفّرها في المرجع، ولذلك فإنّ المتعيّن تقليده. ولكنّه طلب منه التكتّم على رأيه هذا ومنعه من نقله عنه في النجف الأشرف، معلّلاً ذلك بأنّه يريد أن يعيش، وبأنّ الأمر لو انتشر لما بقي باستطاعته المكوث في

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢٢).

(٢) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٦٦ ـ ٦٧.

(٣) نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٨١٠. ولكنّني لم أعثر في ما بين يديّ من مصادر على ما يفيد المعنى المنقول عن المصدر المذكور، وغاية ما وجدته هو أنّ السيّد موسى الصدر أعلن بتاريخ ١٩٧٠/٧/١٨م (١٤/جمادى الأولى/١٣٩٠هـ) عن مرجعيّة السيّد الخوئي رحمه الله، ولم يتعرّض للأعلم من بعده (مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر ٢: ٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٤) خاطرات سياسى (٢)، سيّد على اكبر محتشمى (فارسي): ٨١ ـ ٨٢؛ وانظر: ياد.. فصلنامه بنياد تاريخ انقلاب اسلامى ايران (فارسي)، شماره هاى ٣٥، ٣٦، سال نهم: ٤٣.

(٥) خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ٩٩.

النجف[1].

---

(١) ياد.. فصلنامه بنياد تاريخ انقلاب اسلامى ايران (فارسي)، شماره هاى ٣٥، ٣٦، سال نهم: ٣٥ ـ ٣٦. وهنا أمور لا بأس بتوضيحها:

١ ـ إنّ السيّد محمود الشاهرودي‏ وإن كان ربّما أشهر من السيّد الخوئي‏ ضمن دائرة معيّنة وأقدم منه، إلاّ أنّ مرجعيّته كانت ـ بحسب ما نقل لي ـ ضعيفة من الناحية الاجتماعيّة وفي علاقتها مع القاعدة الشعبيّة.

ويبدو أنّ السيّد الصدر لم يكن يرى أنّ طرح مرجعيّة السيّد الخميني‏ يُمكن أن يحلّ المشكلة القائمة في النجف، لأنّه كان بنظر النجفيّين وبنظر الحكومة العراقيّة ضيفاً مؤقّتاً في النجف، ولم تكن له نشاطاته داخل العراق، ولم يكن أصحابه مندمجين في المجتمع العراقي، وكانوا قد صبّوا اهتماماتهم على الساحة الإيرانيّة، سواء في إيران نفسها أو خارجها. وهذا لا يعني أنّه لم يكن يتدخّل في ما يجري في العراق بقدر ما يعني أنّ مقوّمات طرحه مرجعاً كانت ضعيفة وغير مضمونة الحياة.

وأمّا السيّد الخوئي‏، فمن المؤكّد أنّ السيّد الصدر لم يكن يراه وافياً للمرجعيّة وفق نظرته الخاصّة لها، ولكنّه كان يرى ضرورة أن يكون للشيعة في العراق مرجعٌ أعلى يصونهم من الخطر، وكان يأمل في أن تحقّق مرجعيّة السيّد الخوئي‏ ذلك عن طريق مساندته والعمل ضمن جهازه المرجعي (انظر هذه المعاني إجمالاً في: مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري، ✓). ولهذا كان‏ يقول: إنّ الدعوة إلى مرجعيّة السيّد الخوئي‏ كانت من باب (قحط الرجال) كما نقلنا عنه قبل قليل. إلى أن تعثّرت الأمور ويئس السيّد الصدر‏ من الرقيّ بمرجعيّة السيّد الخوئي‏ إلى المستوى المطلوب، فبدأ التفكير بتركيز مرجعيّته ابتداءً من سنة ١٣٩٢ ـ ١٣٩٣هـ بعد أن ازداد إقبال الناس عليها، وسيأتيك مزيد تفصيلٍ للموضوع ضمن أحداث سنة ١٣٩٢هـ وسنة ١٣٩٥هـ.

٢ ـ بحسب التتبّع التاريخي، سيظهر لك من خلال هذا الكتاب أنّ السيّد الصدر‏ دعم مرجعيّة السيّد الخوئي‏، ثمّ بعد فترة اقترح دعم مرجعيّة السيّد الخميني‏، ثمّ بعد فترة طرح مرجعيّته هو، ثمّ بعد انتصار الثورة الإسلاميّة دعا إلى تقليد السيّد الخميني‏، ولكنّه في الوقت نفسه دعا إلى الإعلان عن تقليده، وقد فهمنا هناك ـ ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ ـ أنّ الأمر الأخير كان مختصّاً بالعراق، وعندما دار حديثٌ حول خليفة السيّد الخميني‏ أيّد السيّد الصدر‏ فكرة طرح الشيخ حسين المنتظري ورفض طرح اسمه، باعتبار أنّ المرجع لا ينبغي أن يكون خارج الحكومة الإسلاميّة، وهو ما سيأتي موثّقاً بخط السيّد الصدر‏ في محلّه إن شاء الله تعالى.

وهذه الأحداث تدعو إلى الكثير من التأمّل والوقوف عندها من أجل تكوين صورة واضحة حول نظرة السيّد الصدر‏ إلى موضوع المرجع والأعلميّة...

والذي أطمئنُّ إليه كلّ الاطمئنان هو أنّ ما سطّره السيّد الصدر‏ في رسالتيه العمليّتين (منهاج الصالحين) و(الفتاوى الواضحة) حول هذا الموضوع لا يفي لبيان حقيقة موقفه، بل لا بدّ من ضمّ سيرته للوقوف على حقيقة الموقف.

وحول شرط الأعلميّة دار نقاشٌ بينه وبين الشيخ محمّد إبراهيم الجنّاتي سجّله الأخير في (مجمع المسائل: ٧٤ ـ ٧٥)، وقد ذكر الشيخ الجنّاتي ـ بحسب ما نقله لي عنه السيّد جعفر الصدر ـ أنّ محتوى هذا الحوار قد دار بينهما، وكان السيّد الصدر‏ يميل إلى القبول بعدم إمكان تصوير الأعلميّة..

أمّا أنّه لا معنى لهذا الكلام طالما أنّه يصرّح في رسالتيه العمليّتين باشتراط الأعلميّة، فقد تجاوزت على الصعيد الشخصي هذا الإشكال نتيجة ما أرى وأسمع وأعاين بنفسي، وبضع كلمات تسطّر في الرسائل العمليّة لا تقوى على تكذيب ما تراه العين وتسمعه الأذن. والذي أجده من عالم الخارج هو أنّ أهل الخبرة أنفسهم قد يراعون المصلحة أكثر من مراعاتهم الشروط العلميّة التي تزدان بها الرسائل العمليّة، وإلاّ فما معنى إعلانهم عن أعلميّة فلان وكثيرٌ منهم لم يطّلع على ما لديه من علم، وكثيرٌ ممّن اطّلع على علمه لم يطّلع على علم غيره ليكون بحق قد شهد بأعلميّته، بعد أن كانت الأعلميّة منتسبة إلى باب أفعل التفضيل كما هو واضح!! وأتذكّر أنّ مجلساً جمعني بأحد العلماء من ذوي الفضيلة العلميّة والذي لا أشكّ بتقواه وورعه، وقد دار حديثٌ حول أحد الكتب الدراسيّة الذي بدأ بتداوله بعض الطلاّب في الحوزة. وممّا قاله ذلك العالم أنّ كتاب (الروضة البهيّة) أفضل منه بلا شك، وأنّه لا يمكن أن يكون بديلاً عنه، وكم تفاجأت عندما ذكر بعدها بقليل أنّه لم يرَ الكتاب البديل ولم يطّلع عليه!! ولا يبعد أن يكون القالب الذي صنعت فيه هذه القناعة هو بعينه القالب الذي ندلي وفقه بشهادات الأعلميّة، وما يجوّز تفضيل كتاب (الروضة) على

السيّد الصدر ﵀ يقنع السيّد الخوئي ﵀ بضرورة تقوية المرجعيّة

إنّ دعوة السيّد الصدر ﵀ إلى مرجعيّة السيّد الخوئي ﵀ كانت مبنيّةً على لزوم الارتفاع بجهازها إلى مستوى تصبح فيه قادرة على تحمّل مسؤوليّاتها الحقيقيّة.

ومن هذا المنطلق فاتح السيّد الصدر ﵀ السيّد الخوئي ﵀ حول موضوع ضرورة احتفاظ المرجعيّة بقوّتها في مقابل النظام كما كان الوضع أيّام السيّد محسن الحكيم ﵀، وعرض عليه مشروع المرجعيّة الرشيدة وعرض عليه إمكانيّاته والتزم بدعمه. وقد شاركه في هذا اللقاء وفي هذه الأفكار خاله الشيخ مرتضى آل ياسين والسيّد محمّد باقر الحكيم [(١)].

وقد تحدّث السيّد الصدر ﵀ عن ضرورة الاستمرار من النقطة التي وصل إليها السيّد الحكيم ﵀ في مشروعه الاجتماعي ووكلاء المناطق، وعرض إمكانيّاته واستعداداته ليكون بنفسه ضمن جهازه المرجعي لكن بهذا الشرط. وفي الوقت نفسه تحدّث آخرون مع السيّد الخوئي ﵀ في الاتّجاه المعاكس، وأنّ على مرجعيّة السيّد الخوئي ﵀ أن تنتهج منهجاً آخر مختلفاً عن منهج مرجعيّة السيّد الحكيم ﵀[(٢)].

بديله المطروح دون الاطّلاع عليه، يجوّز بنفسه الحكم بأعلميّة زيد على بكر دون الاطّلاع على شيءٍ من علم بكر.

إضافةً إلى شهادتهم مثلاً بإجزاء تقليد فلان دون الحكم بأعلميّته، مع أنّهم من القائلين بوجوب تقليد الأعلم. والحال أنّه لا اثنينيّة بين المفهومين؛ إذ لا يوجد لدينا مقولة (التقليد المجزئ) مقابل مقولة (تقليد الأعلم): فإمّا أن نقول بوجوب تقليد الأعلم فيكون تقليد الأعلم وحده هو المجزئ، وتقليد غيره ليس كذلك، وإمّا أن نقول بإجزاء تقليد غير الأعلم، فيجتمع حينها الإجزاء مع عدم الأعلميّة. أمّا الجمع بين وجوب تقليد الأعلم وبين إجزاء تقليد غيره فلا معنى له. وإدلاؤهم بشهاداتهم على هذا النحو يكشف عن أنّهم يرون المصلحة ـ الدينيّة طبعاً ـ في الدعوة إلى تقليد غير الأعلم، فيصيغون الشهادة على نحو: أنّه وإن لم يكن الأعلم، إلاّ أنّ تقليده مجزئ.

وأحسبُ أنّ الذي يعيش داخل الجسم لا يحتاج إلى الاستدلال على أنّ شهادات أهل الخبرة ليست بالنحو الذي يتصوّره قارئ الرسالة العمليّة.

وإذا أردنا الاقتصار على قناعات السيّد الصدر ﵀ ـ ولدينا مثلها الكثير ـ فما معنى أن يُرجع ﵀ الناس إلى السيّد الخوئي ﵀، ثمّ بعد أن يظهر له أنّ مرجعيّته لا تفي بمتطلّبات الشعب العراقي يدعو إلى مرجعيّة السيّد الخميني ﵀، مع أنّه لم ينصّ في مكان ما على أنّ قدرة المرجعيّة على تلبية متطلّبات الشعب شرطٌ من شروط المرجعيّة؟! وكيف يرجع بعد انتصار الثورة الإسلاميّة من هم خارج العراق إلى السيّد الخميني ﵀ ومن هم داخله إليه، وهو لم ينصّ في مكان ما على أنّ للمكان دوراً في تعيين المرجع؟!

وقَبل أن نختم الحديث ننبّه إلى أنّنا لا نريد بهذا الكلام أنّ مجرّد الاجتهاد العادي يكفي عنده ﵀، وإنّما نقصد كفاية أن يكون المجتهد ضمن الطبقة الأولى المعترف لها، والتتبّع التاريخي لا يفيدنا أكثر من ذلك.

والنتيجة النهائيّة التي أطمئنُّ إليها هي أنّ السيّد الصدر ﵀ كان يرى المرجعيّة لمن يحقّق أكبر مصلحة للأمّة إلى جانب كونه من فقهاء الطبقة الأولى، بمعنى أن يصدق عليه بمجموع عواملِ الكسر والانكسار أنّه نائب الإمام صاحب الزمان ﵇، ولا يشترط أن يكون الأعلمَ بالمعنى الذي يطرحه الفقهاء، خاصّةً إذا بنينا على أن لا سبيل ـ إثباتاً على أقلّ تقدير ـ لتعيين الأعلم وتشخيصه بالمعنى الذي يطرحونه، إذا لم نتعدَّ إلى الامتناع الثبوتي.

والوضع لا يسمح لي بالتفصيل أكثر ممّا ذكرت، «قلم اينجا رسيد سر بشكست»..

(١) صحيفة (لواء الصدر)، ١٣/صفر/١٤٠٥هـ؛ وانظر: صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (٢٧)، (١٠٨)، في حديثٍ مع السيّد صدر الدين القبانجي.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٤م، نقلاً عن الشهيد الشيخ عبد الزهراء الطائي ﵀ نقلاً عن

ومن جملة ما اقترحه السيّد الصدر‌رحمه‌الله على السيّد الخوئي‌رحمه‌الله أن يشكّل جهازاً للتبليغ يضمّ الباقرين (الصدر والحكيم) وجهازاً لشؤون الحوزة تحت إشراف الشيخ آل ياسين‌رحمه‌الله. وقد وافق السيّد الخوئي‌رحمه‌الله على ذلك واهتم السيّد الصدر‌رحمه‌الله بتطبيقه. ولكن بعد فترة تحرّك بعد الأشخاص ليغيّروا سياسة المرجعيّة[١]، وقيل: إنّ الذي ترأّس هذه اللجنة هو السيّد عبد الكريم القزويني[٢].

وروي أنّ السيّد الصدر‌رحمه‌الله عندما سعى إلى الاتّصال المباشر بالسيّد الخوئي‌رحمه‌الله، قصده في بيته واقترح عليه تشكيل مجلس للإرشاد والتبليغ، وقد اقترح السيّد الخوئي‌رحمه‌الله مشروعاً يقضي انعقاد مجلس من العلماء الأفاضل بإشراف السيّد الصدر‌رحمه‌الله، ويتحمّل هذا المجلس مسؤوليّة التبليغ والإرشاد في الأمّة، ويتكفّل اختيار الوكلاء والمبلّغين الأكفّاء وتلبية نداءات جماهير الشعب المسلم في مختلف مناطق العراق، على أن تناط المسؤوليّة الحقيقيّة بالسيّد الصدر‌رحمه‌الله، بينما يلتزم السيّد الخوئي‌رحمه‌الله برعاية هذا المجلس ويتبنّاه[٣]، فصار ترشيح الوكيل يتمّ عبر السيّد الصدر‌رحمه‌الله أو أهل المنطقة وأحياناً من قبل شخصيّات حزب الدعوة الإسلاميّة ـ من قبيل الشيخ مهدي العطّار‌رحمه‌الله مثلاً ـ ثمّ طرحه على السيّد الخوئي‌رحمه‌الله الذي كان غالباً ما يمضي هذا الترشيح ويوافق عليه[٤]. إلاّ أنّ أموراً مريرة حالت دون المضيّ في هذا المشروع[٥].

انعكاس الموقف الجديد على العلاقة مع بعض أصحاب السيّد الخميني‌رحمه‌الله

إثر إعلان السيّد الصدر‌رحمه‌الله عن أعلميّة السيّد الخوئي‌رحمه‌الله، اتّخذ بعض عناصر جهاز السيّد الخميني‌رحمه‌الله موقفاً سلبيّاً منه، بينما بقي آخرون على وضعهم، خاصّةً السيّد أحمد الخميني‌رحمه‌الله الذي كان يوافق السيّد الصدر‌رحمه‌الله على موقفه نظراً إلى الظروف[٦]، بينما يبدو الانطباع سلبيّاً عند السيّد علي أكبر محتشمي حين تناول موضوع دعم علماء النجف مرجعيّة السيّد الخوئي‌رحمه‌الله وتعرّض إلى موقف السيّد الصدر‌رحمه‌الله[٧]، والسيّد عبّاس خاتم يزدي‌رحمه‌الله الذي اعتبر السيّد الصدر‌رحمه‌الله (استبصر) في الفترة الأخيرة[٨]، والسيّد حميد روحاني[٩]. وكذلك اتّسمت العلاقة تجاه السيّد موسى الصدر:

فبعد أن كانت العلاقة بين السيّدين مصطفى الخميني وموسى الصدر علاقة طيّبة وحسنة، مالت

السيّد الصدر‌رحمه‌الله ؛ وقد ذكر ذلك في الجملة الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م.

(١) صحيفة (لواء الصدر)، ١٣/صفر/١٤٠٥هـ ؛ وانظر: صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (٢٧)، (١٠٨)، في حديثٍ مع السيّد صدر الدين القبانجي ؛ وانظر عموماً: مقابلة مع الشيخ محمّد باقر الناصري(حفظه الله).

(٢) مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (حفظه الله).

(٣) الإمام الصدر في أعماله السياسيّة: ٨ ـ ٩.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧٧، نقلاً عن الشيخ مهدي العطّار‌رحمه‌الله.

(٥) الإمام الصدر في أعماله السياسيّة: ٩.

(٦) مستفادٌ ممّا ذكره لي الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م ؛ وانظر أوّله في: مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٧) ياد.. فصلنامه بنياد تاريخ انقلاب اسلامى ايران، شماره هاى ٣٥، ٣٦، سال نهم: ٣٨ ـ ٤٤.

(٨) خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٩) يأتيك موقفه بإذن الله تعالى، فانتظر. وانظر بعض ما يعكس موقفه في: نهضت امام خمينى (فارسي) ٢: ٨١٠.

نحو الفتور إثر إعلان السيّد موسى الصدر عن أعلميّة السيّد الخوئي(رحمه الله)[١]. وقد كلّف السيّد موسى الصدر في إحدى المرّات الدكتور إبراهيم اليزدي بالسفر إلى النجف من أجل محاولة التقريب بين طرفي السيّد الصدر(رحمه الله) والسيّد الخميني(رحمه الله)[٢]، وكان السيّد الصدر(رحمه الله) قد شدّد على طلاّبه بعدم الردّ بالمثل[٣]، كما أنّ السيّد الخميني(رحمه الله) كان كثير التشدّد إزاء الموضوع كما سيأتي.

ومن أمثلة هذا الانعكاس على العلاقة مع السيّد الصدر(رحمه الله) أنّ الدكتور صادق طباطبائي ـ ابن أخت السيّد موسى الصدر ـ كان في زيارة إلى النجف الأشرف قادماً من أوروبا، وقد جمعه بالسيّد حميد زيارتي (روحاني) مجلسٌ في منزلٍ الشيخ الكرّوبي ـ أخي رئيس البرلمان السابق ـ ضمّ السيّد علي أكبر محتشمي وآخرين، وقد جرى في المجلس حديثٌ عن السيّد الصدر(رحمه الله)، فحمل عليه السيّد حميد روحاني وعلى ابن عمّه السيّد موسى الصدر، واتّهمهما بالعمالة للإمبرياليّة والصهيونيّة، وقد استدلّ على ذلك بأمور:

١ ـ أنّهما لم يطرحا مرجعيّة السيّد الخميني ولم يدعموها، والسيّد الصدر يريد طرح مرجعيّته.

٢ ـ أنّهما ضغطا سابقاً على السيّد محسن الحكيم(رحمه الله) للإفتاء بطهارة أهل الكتاب، وهذا ما يفعلانه حاليّاً مع السيّد الخوئي، وهذه الفتوى عبارة عن مطلب إمبريالي.

٣ ـ أنّ السيّد الخميني عندما شرع في بحث الحكومة الإسلاميّة لم يبادر السيّد الصدر إلى بحث الموضوع، وإنّما استمرّ في درسه الاعتيادي.

وبعد أن انفضّ المجلس، ذهب الدكتور الطباطبائي إلى منزل السيّد الصدر(رحمه الله)، ولمّا اجتمع به قال له: «**لقد علمتُ للتوّ أنّك إمبريالي**»، فقال(رحمه الله): «**وماذا هناك؟!**»، فسرد له ماذا جرى معه، فتبسّم السيّد الصدر(رحمه الله) وقال له: «**أمّا أنّنا ضغطنا على السيّد الحكيم والسيّد الخوئي ليفتيا بطهارة أهل الكتاب، فلا أدري هل هذا ذمٌّ لنا أم للمراجع الذين يُمكن أن يفتوا تحت ضغوطات تمارس عليهم؟! وأمّا درس الحكومة الإسلاميّة فإنّهم عندما طبعوا الكرّاسات ووزّعوها على الدروس التي تقام في النجف الأشرف كلّ الدروس رفضتها وطردتهم إلاّ درسي، فقد استقبلتهم وشجّعتهم ووزّعتُ الكرّاسات، وقلتُ لطلاّبي إنّه عندما ينتهي بحثنا فإنّنا سنبحث الحكومة الإسلاميّة. وأمّا أنّني لم أطرح مرجعيّة السيّد الخميني، فذلك لا يعني أنّني لا أؤيّد مرجعيّته، بل لأنّ السيّد الخوئي أكثر شهرة في العالم الإسلامي والعربي، وأنا أرى الآن أنّ من واجبي الدعوة إلى مرجعيّته، وإلاّ فلا شكّ بأنّ السيّد الخميني مرجع**».

وبعد أن خرج الدكتور الطباطبائي من منزل السيّد الصدر(رحمه الله) ذهب إلى منزل السيّد الخميني(رحمه الله) ـ حيث كان مقرّراً أن يسجّل له السيّد الخميني(رحمه الله) بياناً أو شيئاً مشابهاً ـ والتقى به ثمّ قال له: «**إذا كنتَ لا تسمح بأن يتحدّث أحدٌ في مجلسك عن العلماء، فكيف تسمح للمحسوبين عليك بالنيل من العلماء**

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م.

(٢) حدّثني بذلك الأخ أيمن زغيب بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٦م نقلاً عن الدكتور إبراهيم يزدي ؛ ثمّ أكّده لي الدكتور يزدي نفسه بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٥م. وقد صرّح لي أحد المقرّبين من السيّد الصدر(رحمه الله) بأنّ قول السيّد الصدر(رحمه الله) بأعلميّة السيّد الخوئي(رحمه الله) أزعج جهاز السيّد الخميني(رحمه الله) (لم نذكر اسمه لعدم رضاه) (انظر حول العلاقة بينهما أحداث سنة ١٣٨٥هـ).

(٣) حدّثني بذلك السيّد علي أكبر الحائري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٧م.

واتّهامهم بالعمالة للإمبرياليّة والصهيونيّة؟»، فسأله السيّد الخمينيّ عمّا حدث، فقصّ عليه ما كان من أمر السيّد حميد روحاني وموقفه من السيّدين محمّد باقر وموسى الصدر، فظهرت علامات الغضب الشديد على وجه السيّد الخمينيّ واعتذر عمّا كان مقرّراً بينهما لأنّ مزاجه لم يعد يسمح له، فخرج الدكتور.

وبعد صلاة المغرب والعشاء كان الدكتور في منزل أحد أصدقائه، ولمّا دخل الشيخ كرّوبي ورآه قال له: «**هل حدّثت الإمام بشيء؟**»، فقال له: «**ولماذا تسأل؟!**»، فأجابه: «**لقد كان مضطرباً إلى درجة أنّه ولأوّل مرّة صلّى صلاة المغرب أربع ركعات**»، فقال له: «**لقد ذكرتُ له ما كان من أمر السيّد حميد روحاني**».

وبعد أيّام قليلة تعرّض السيّد الخمينيّ إلى هذه الحادثة في درسه[1]، وممّا جاء في كلامه ما ترجم إلى ما يلي:

«أحد الشبّان الذي كان قد قدم من أوروبا[2] جاء وبقي هنا حوالي الأسبوع، بقي هنا مدّة قصيرة جدّاً، جاء للقائي مرّة أو مرّتين، قال لأحدهم ـ لم يقل لي أنا، بل قال لأحد الروحانيّين ـ: حسناً كان أنّ الذي جاء للنجف هو أنا، فأنا ابن أحد العلماء وأستطيع أن أقدّر الموقف، ولو أنّ شخصاً غيري جاء وأبصر هذا الوضع فماذا سيكون ردّ فعله؟

يا للأسف؟! إنّي لا أعلم ما الذي عاينه هذا الطالب الجامعي ـ الدارس في الخارج ـ في هذه الحوزة المباركة، وهو ليس روحانيّاً مثلنا، وإن كان أبوه عالماً.. ما الذي رآه خلال هذه الأيّام القلائل؟ وبأي أشخاص اتّصل؟ وما الذي نقله إليه هؤلاء، حتّى جعله ـ وهو الطالب الغريب عن أجوائنا ـ أن يبدي أسفه على وضع النجف، ويتساءل عن علّة هذا الوضع؟

... إذا قمتم بتسقيط بعضكم البعض هكذا، وإذا اشتبكت الجامعات العلميّة فيما بينها، وحاولت إحداها تسقيط الأخرى، وقام البعض بقذف البعض الآخر بشائن الألفاظ وفسّقه وكفّره، وثار الهرج، وعمّت الفوضى، إذا حطّمنا أنفسنا بأنفسنا، وقضينا على أنفسنا، فلا يبقى لكلامنا الفاعليّة في ترسيخ الإسلام في المجتمع، ولن نتمكّن من نشر الإسلام.

... أنتم أهل دين ولله الحمد، غير أنّ الدين لا نزاع فيه. إنّ السبب الأساس في كلّ هذا النزاع يعود إلى الدنيا، ويخدع نفسه من يقول: (إنّي صرت في الجبهة الفلانيّة لما اقتضاه منّي التكليف الشرعي)، وإلاّ كيف يقتضي التكليف الشرعي من الإنسان أن يوجّه الإهانة للمسلمين؟! أن يوجّه الإهانة للعلماء ولزملائه؟ أهذا تكليف شرعي؟ إنّها الدنيا يا إخوة، وأهواء النفس. لو أنّ الطالب المشغول بتحصيل العلم تقدّم خطوة باتّجاه تهذيب النفس تقارناً مع العلم، لبقيت الحوزات في منأى عن أمثال هذه الأحداث.

... إنّ هذه التحزّبات خطأ وفسق، هذه الممارسات تدمّر الحوزات، كفّوا عن أمثال هذه الأمور الشائنة...

... كان تكليفي اليوم أن أستعرض هذه الأمور أمامكم، وأن أقوم بإبلاغ السادة المحترمين بما عندي لكي ينتبه الإخوة إلى أنّ تلك الممارسات التي وقعت، أو التي ستقع، لينتبهوا أنّها ستؤدّي إلى ضياع حيثيّة

---

(١) حدّثني بذلك الدكتور صادق طباطبائي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/٨م.

(٢) يقصد الدكتور صادق الطباطبائي الذي كان يدرس حينها في ألمانيا كما جاء في: [كوثر (فارسي) ١: ٢٠٤؛ الكوثر ١: ٣٠٤]، وهو ما أكّده لي الدكتور الطباطبائي.

واعتبار مجتمع بأسره، وشعب بأسره، بل إنّها ستؤدّي إلى ضياع حيثيّة وهيبة الإسلام كلّه، وسوف تتعرّضون إلى مسألة شديدة إذا لم تهبّوا لمنع وقوع هذه المفاسد.. كفّوا عن هذه الاختلافات الجانبيّة والجزئيّة وأمثالها ممّا هو تافه جدّاً، تافه إلى أقصى حدّ، نحن لا ندرك كم نحن تافهون، نحن تافهون..»[1].

السيّد الصدر رحمه الله يرفض التصدّي للمرجعيّة في هذه المرحلة

بعيد وفاة السيّد الحكيم رحمه الله كان الشيخ علي أصغر المسلمي راجعاً من الكاظميّة، وقد اجتمع في السيّارة بموظّف في الدولة سأله عن إمكانيّة الرجوع في فتوى طهارة أهل الكتاب إلى السيّد الصدر لأنّه مبتلى في عمله بالتعامل معهم والاحتكاك بهم، وسأله: «**هل السيّد الصدر مجتهد مطلق؟!**»، فأكّد له الشيخ المسلمي على براعته في الفقه والأصول وأضاف: «**أمّا بالنسبة إلى استنباطه الفعلي في جميع أبواب الفقه، فهذا ما عليّ سؤال السيّد الصدر عنه**».

وفي مجلس السيّد الصدر رحمه الله ليالي الخميس قصّ الشيخ المسلمي على السيّد الصدر رحمه الله ما جرى وسأله عن كونه مجتهداً مطلقاً، فأجابه السيّد الصدر رحمه الله: «**لقد مارست الاستنباط الفعلي في كافّة أبواب الفقه من الطهارة إلى الديّات**»، فقال الشيخ المسلمي: «**إنّ هذا الأمر يستغرق نحواً من عشرين عاماً**»، فقال السيّد الصدر رحمه الله: «**لقد كتبتُ حاشيتي على بلغة الراغبين قبل ما يقرب من عشرين عاماً**»، فقال الشيخ: «**ولكنّك في ذلك الوقت كنت تحضر درس السيّد الخوئي**»، فأجابه: «**عندما حضرت بحث السيّد الخوئي حضرت حضور استشكال لا حضور تفهّم**»[2].

وبعد وفاة السيّد الحكيم رحمه الله بدأ الرجوع بالتقليد إلى السيّد الصدر رحمه الله، وكان قسمٌ من المثقّفين قد رجع إليه في حياة السيّد الحكيم رحمه الله[3]، وكان الشيخ علي كوراني أحد المتحمّسين لمرجعيّة السيّد الصدر رحمه الله الذي خشي أن يطرح الشيخ كوراني اسمه في منطقة عمله [وكان يومها في الكويت]،

---

(١) انظر: كوثر (فارسي) ١: ٢٠٣ ـ ٢١٦ ؛ الكوثر ١: ٣٠٣ ـ ٣١٦ ؛ مختارات من أحاديث وخطابات الإمام الخميني ١: ٣١ ـ ٣٥ (بترجمة أخرى). أقول: هنا أمران:

الأوّل: جاء في (الكوثر) التي ضمّت مجموعة من خطابات السيّد الخميني رحمه الله أنّ الداعي إلى خطبة السيّد الخميني رحمه الله هذه هو أنّ أحدهم استنكر «بحدّة سكوت اثنين من المراجع المقيمين في النجف وعدم تقديم العون للجهد الثوري»، ولمّا علم السيّد الخميني رحمه الله بذلك حذّر طلّابه وأنصاره [كوثر (فارسي) ١: ٢٠١ ؛ الكوثر ١: ٣٠١]، وفي الوقت نفسه أوردت الكوثر في هامش الخطاب أنّ المقصود من «أحد الشبّان الذي كان قد قدم من أوروبا» هو السيّد صادق الطباطبائي [كوثر (فارسي) ١: ٢٠٤ ؛ الكوثر ١: ٣٠٤]. إلاّ أنّ الدكتور الطباطبائي أكّد لي أنّ ما ذكرته (الكوثر) حول مناسبة الخطاب ليس صحيحاً، وأنّ المنتَقَدين هما السيّد محمّد باقر والسيّد موسى الصدر وليس اثنين من مراجع النجف.

الثاني: أمّا حول تاريخ هذا الخطاب: فقد جاء في (الكوثر) دون تاريخ، إلاّ أنّه وضع بين ت١٩٦٥/٢م وبين أيلول/١٩٦٧م، بينما وضع من قبل المؤسّسة نفسها بين ١٩٦٦م و١٩٧١م (مختارات من أحاديث وخطابات الإمام الخميني ١: ٣١). وقد استقرب الدكتور الطباطبائي أوّل الأمر كونه في أيلول/١٩٦٧م، ولكن بعد أن ذكرت له أنّ درس السيّد الخميني رحمه الله حول ولاية الفقيه ـ الوارد في كلام السيّد حميد روحاني وفي كلام السيّد الصدر رحمه الله ـ كان سنة ١٣٨٩هـ إضافةً إلى أنّ المفهوم كونه بعد رحيل السيّد الحكيم رحمه الله، توقّف في التاريخ، ولكنّه أكّد صحّة المضمون على أيّة حال.

(٢) مقابلة مع الشيخ علي أصغر المسلمي (حفظه الله).

(٣) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله).

فأرسل إليه رسالة يشدّد فيها على أنّ الظروف الموضوعيّة لا تسمح بذلك، وأنّه لا مصلحة فيه، فاقتصر الشيخ كوراني على طرحها ضمن قيادة التنظيم في المنطقة وبعض الناس[(١)].

كما أنّ قيادة حزب الدعوة ارتأت ترشيحه للمرجعيّة لما يملك من شخصيّة قياديّة، وكان هناك اعتراضٌ من قبل البعض خوفاً من حاشية السيّد الخوئي رحمه الله التي كانت علاقتها ـ وفق المصدر ـ وثيقةً بالسلطة، ولكنّه أصبح مرجعاً بتصويت الأكثريّة[(٢)].

كما وفد الكثير من الناس من المناطق يطالبونه بالمرجعيّة، فكان يرفض ويقول: «**إنّ المرجعيّة هي للسيّد الخوئي**». ودار حديثٌ بينه وبين الشيخ سلمان السوداني حول المرجعيّة وطرحها على الناس، وقد تحدّث الشيخ السوداني معه طويلاً. وذات مرّة جاءه السيّد كاظم الحائري وقال: «**إنّ السيّد.. يريد أن يأتيك إلى المنزل**»، فدار الحديث في بيته مجدّداً حول المرجعيّة وكان يرفض. ففاجأه الشيخ بسؤال: «**هل يجوز تقليد غير الأعلم؟**»، فقال: «**لا**»، فقال الشيخ: «**إذن هذا الأمر لنا**»[(٣)].

وكان بعض العلماء قد طلب من السيّد الصدر رحمه الله أن يتصدّى للمرجعيّة، ومنهم السيّد مير محمّد القزويني رحمه الله عالم البصرة [الذي كان يرجع إلى السيّد الصدر رحمه الله حتّى في أيّام السيّد محسن الحكيم رحمه الله][(٤)]، إلاّ أنّ السيّد الصدر رحمه الله رفض ذلك، وأجابه بالرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة الكبير المجاهد حجّة الإسلام والمسلمين السيّد القزويني متّع الله المسلمين بدوام نفعه وطول عمره الشريف.

السلام عليكم زنة إخلاصي وتقديري ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فما كان أشدّ شعوري بالحرمان حين اطّلعت متأخّراً على وجودكم في النجف الأشرف، وقيل لي إنّكم مزمعون على السفر بسرعة بحيث لم تتح لي فرصة الاجتماع بكم، غير أنّي على ثقة بأنّه إن فاتني الاجتماع المكاني بسماحتكم فلا يفوتني الاجتماع الحقيقي الذي يعبّر عنه الالتقاء في الأفكار والتوحّد في الآمال والآلام والعيش المشترك لهموم الإسلام وقضايا المسلمين.

قبل بضعة أيّام جاء ابن أختكم العزيز ومعه بعض الإخوان الأعزّاء إليّ وذكروا أنّ سماحتكم تودّون التفضّل بالاطّلاع على بعض بحوثي الفقهيّة، فأرسلتُ تلبيةً للرغبة الأخويّة المقدّسة التي بلغتني عنكم

---

(١) طريقة حزب الله في العمل الإسلامي: ٩٠ ؛ وهذا النصّ من الشيخ علي كوراني يرجع إلى سنة ١٤٠٦هـ. والغريب أنّه ذكر مؤخّراً أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان قد طلب ـ بعد أشهر من وفاة السيّد الحكيم رحمه الله ـ من قيادة حزب الدعوة تبنّي مرجعيّته ولكنّهم لم يفعلوا، وأصدروا بياناً فصلوا فيه بين منصب الإفتاء وبين منصب القيادة، فاستاء السيّد الصدر رحمه الله من ذلك وكتب رسالةً إلى الشيخ كوراني بخط السيّد كاظم الحائري يقول له فيها: إنّه ليس من المصلحة الإعلام عن مرجعيّته (مسائل في البناء الفكري: ٩ ـ ١١ ؛ مقابلة مع الشيخ علي كوراني، ﴿﴾)، وهذا لا يكاد ينسجم مع ما ذكره في (طريقة حزب الله) ومع رسالته إلى السيّد مير القزويني، وما اعتمدنا عليه في المتن هو الأكثر وثوقاً لتقدّمه الزمني على القضايا التي تزامنت مع صدور (مسائل في البناء الفكري) ثمّ (مقدّمة الحقّ المبين).

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١٢، نقلاً عن الشيخ عبد الهادي الفضلي.

(٣) الشيخ سلمان السوداني، ندوة مؤسّسة الأبرار في الذكرى الخامسة والعشرين على استشهاد الشهيد الصدر (على شبكة الإنترنت).

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧٥، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري، نقلاً عن السيّد محمود الهاشمي.

بعضَ ما كتبه الطلاّب من بحوثي في كتاب الطهارة من العروة الوثقى[١]. وأنا أودّ يا مولاي العزيز بهذه المناسبة أن أشكر لكم عنايتكم الأخويّة بي التي اعتبرها بحقّ من كنوزي في الحياة ومن آمالي الكبيرة في خدمة الإسلام العظيم، وفي نفس الوقت أؤكّد لسماحتكم أنّي أرسلت تلك البحوث لمجرّد أن يطّلع أخٌ على بحوث أخيه غير راضٍ بأيّ وجه من الوجوه بأن يرتّب عليها بعض الآثار التي أشار إليها أولئك الإخوان الأعزّاء الذين بلّغوني رغبتكم الشريفة، فإنّهم ذكروا أنّ سماحتكم ترغبون في الاطّلاع على بحوثي الفقهيّة وتقييمها من الناحية العلميّة لكي تتّخذوا موقفاً معيّناً تجاه المؤمنين الراغبين في الرجوع إليّ في مسائلهم الدينيّة، وهذه هي النقطة التي أريد أن أتحدّث عنها إلى سماحتكم فعلاً لأشرح بين يديكم واقع تقديري للموقف، لأنّي لا أفكّر فعلاً بأيّ شكل من الأشكال في القيام اجتماعيّاً بمهام الإفتاء ونحوها من الشؤون التي يمارسها اليوم المراجع الكبار أطال الله في أعمارهم، لأنّنا ننظر إلى القيام بهذه الشؤون بوصفه معنىً حرفيّاً وأداة لخدمة الإسلام لا بوصفه معنى اسميّاً وفقاً لنفع نفسي. وما دامت نظرتي إلى القيام بتلك الشؤون نظرة حرفيّة باعتباره سبيلاً لخدمة الإسلام فأنا أحسّ في الوقت الحاضر الذي يملأ فيه الفراغ بالمراجع الكبار أنّ الدخول إلى تلك المجالات ليس فيه مكسبٌ للإسلام، وأنّ وجودهم أدام الله ظلّهم يجعل المسؤوليّة منوطة بهم ولا مسؤوليّة إفتائيّة ومرجعيّة على غيرهم، وقد يؤدّي في مثل هذه الحالة التنافس والتسابق على تحمّل هذه المسؤوليّة إلى خلق جوٍّ من القلق والتشتّت الذي قد يحول عن نجاح أولئك المراجع الكبار في القيام بمسؤوليّاتهم وتحقيق ما هم مطالبون به أمام الله تعالى وأمام المسلمين.

وعلى هذا الأساس أريد أن تكون فكرتي هذه واضحة لدى مولاي العزيز لكي نعيشها معاً كما نعيش معاً سائر همومنا وآلامنا وآمالنا وأفكارنا.

وختاماً أبتهل إلى المولى سبحانه أن يمتّعنا والمسلمين عموماً ببركات وجودكم الشريف وجهادكم وينفع المؤمنين بتوجيهاتكم وعلومكم.

والسلام عليكم اولاً وآخراً ورحمة الله وبركاته

النجف الأشرف

محمّد باقر الصدر»[٢].

وقد طُلب من السيّد الصدر ﵀ في هذه الفترة أن يطبع رسالةً عمليّة، فأجاب: «**الرسالة إنّما تطبع لجمع شمل الأمّة، أمّا إذا كانت تفرّق فلا خير فيها**»[٣].

وقد استمرّ السيّد الصدر ﵀ على هذا الموقف إلى أن اقتنع فيما بعد بأنّ تصدّيه للمرجعيّة سيؤمّن غطاءً يحمي الحالة الإسلاميّة، وتصبح علاقة الأمّة به علاقة المقلِّد بمرجعه[٤].

السيّد الصدر ﵀ يشكّل لجنة استشاريّة ومجلساً أسبوعيّاً

بعد وفاة السيّد محسن الحكيم ﵀ مباشرةً[٥]، أي في أوائل السبعينات قام السيّد الصدر ﵀ بتشكيل مجلس أسبوعي يضمّ خيرة طلاّبه، وكان يتداول معهم البحث في مختلف الأمور الاجتماعيّة

---

(١) يبدو أنّ ذلك كان قبل طباعة هذه التقريرات.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٢٣).

(٣) جريدة العهد/ العهد الثقافي، بتاريخ ١٨/رمضان/١٤١٠ هـ، ص (هـ) في حديث مع الشيخ حسين كوراني.

(٤) من تعليقة أسرة السيّد الصدر ﵀ على مسودّة الكتاب الثانية.

(٥) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (﵀).

والقضايا الأساسيّة، وكان تطرح في هذه الجلسات الكثير من مشاكل المسلمين في شتّى أرجاء العالم، وكان يبرز لمن يحضر هذه الجلسات مدى تبنّي السيّد الصدر رحمه الله تلبيةَ حاجات المسلمين في كلّ مكان من البلاد الإسلاميّة وغيرها، وتفكيره الدائب في كلّ ما ينفع الإسلام والمسلمين، وتخطيطهُ الحكيم للحوزات العلميّة، ولملأ الشواغر العلمائيّة في كلّ بلد يوجد فيه تجمّعٌ إسلامي، ولإرشاد العاملين ضدّ الكفر والطّاغوت في جميع البلدان، وتنشيط الحيويّة في المسلمين جميعاً، وما إلى ذلك[1]، إضافةً إلى البحث في أمور المرجعيّة وما يتعلّق بالمرجع في داخل العراق وخارجه[2].

وكان السيّد الصدر رحمه الله إذا تطرّق إلى أوضاع بلد ما، يأخذ بعين الاعتبار وجهة نظر من ينتمي إلى ذلك البلد من المشاركين في الجلسة الاستشاريّة.

وعلى سبيل المثال فإنّ أحد زوّار السيّد الصدر رحمه الله حضر هذه الجلسة ذات مرّة، ودار حديثٌ عن لبنان، وكان رحمه الله يستمع إلى وجهة نظر الشيخ محمّد جعفر شمس الدين، وراح هذا الزائر يُكثر من مناقشة الشيخ في أوضاع لبنان، وعندما زاد ذلك بمّده عن حدّه قاطعه السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «**حجّي، الشيخ لبناني وأنت تناقشه في أوضاع بلده!**». كما كان يُجاب في هذه الجلسة عن الاستفتاءات.

وكانت الجلسة تعقد بعد ظهر يوم الثلاثاء وتمتدُّ إلى العصر ويتخلّلُها غداء[3]، وقيل الأربعاء وتستمرُّ لثلاث أو أربع ساعات ويتخلّلها غداء في السرداب[4].

وقد اتّفق أنّ طعام الغداء لم يتغيّر خلال أسابيع متتالية ـ وكان عبارة عن (مسمّى) أو (قيمة)، والترديد من الراوي ـ، وذات مرّة مازح الشيخ شمس الدين أحد زملائه الجالسين إلى جانبه ـ وهو السيّد محمود الهاشمي أو السيّد عبد الهادي الشاهرودي ـ قائلاً: «**يبدو أنّ السيّد الصدر يتبنّى نظريّة الثبات حتّى في الطعام**»، فسمعه السيّد الصدر رحمه الله فضحك وقال له: «**لا عليك.. الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى نغيّر صنف الطعام**»، وقام بذلك فعلاً[5].

وكان من أعضاء اللجنة الاستشاريّة خلال عدّة فترات: السيّد نور الدين الإشكوري[6]، السيّد محمّد الصدر رحمه الله[7]، السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله، السيّد كاظم الحائري، السيّد محمود الهاشمي، السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله، السيّد عبد الهادي الشاهرودي، السيّد محمّد الغروي، الشيخ محيي الدين المازندراني الشيخ عبّاس الأخلاقي، السيّد محمّد علي الباقري[8]، الشيخ محمّد جعفر شمس

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٨٩ ؛ وقد ذكر لي ذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م ؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله).

(٢) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (رحمه الله).

(٣) حدّثني بذلك الشيخ محمّد جعفر شمس الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢٢م.

(٤) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (رحمه الله) ؛ كما ذكر تخلّل الغداء السيّد كاظم الحائري [مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (رحمه الله)].

(٥) حدّثني بذلك الشيخ محمّد جعفر شمس الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢٢م.

(٦) مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري (حفظه الله).

(٧) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (رحمه الله).

(٨) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م.

الدين، السيّد علي رضا الحائري[١]، وحضر مؤخّراً السيّد محمّد علي الحائري‏، السيّد عبد العزيز الحكيم[٢]، وكان يحضرها السيّد حسين هادي الصدر عندما يكون في النجف[٣]، وكان يحضر أحياناً السيّد محمود الخطيب والسيّد طالب الرفاعي عندما يكون متواجداً في النجف[٤]:

١ ـ وذات مرّة طرح موضوع باكستان إثر تعرّض البلاد إلى موجة من النعرات الطائفيّة قتل على إثرها مجموعة من الشيعة، فطرح السيّد الصدر‏ الموضوع للتداول من أجل الوصول إلى طريقة مقلى للتعاطي في أزمات من هذا القبيل[٥].

٢ ـ كما كان يتعرّض إلى أوضاع الطلبة ويسأل عن الطلبة المجدّين الذين يبشّرون بمستقبلهم ويوعز إلى طلاّبه بمساعدتهم بعد أن يقدّم لهم المساعدات اللازمة[٦].

٣ ـ وقد سأله السيّد صدر الدين القبانجي عن كتابة بعض الأبحاث الفلسفيّة، فأجاب‏: «**إنّ الإسلام اليوم لا يحتاج إلى أفكار إنّما يحتاج إلى قائد**»، وكان ذلك قبل انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران[٧].

الأطبّاء يوصون السيّد الصدر‏ بمراعاة وضعه الصحّي

في هذه الفترة أصيب السيّد الصدر‏ بعارض صحّي احتمل بعض الأطبّاء أن يكون مؤشّراً لذبحة قلبيّة، فأمروه بالاستراحة لمدّة ثلاثة أسابيع[٨]. وحول ذلك كتب‏ في إحدى رسائله إلى الشيخ علي كوراني:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أكتب اليكم أيّها العزيز هذه السطور بعد انقطاعٍ طويلٍ نشأ الجزء الأكبر منه من عدم تهيّء الرسول في الظروف المناسبة، ونشأ الجزء الآخر منه من عارضٍ صحّيٍّ عرض لي ألزمني الفراش ثلاثة أسابيع، إذ ابتليت بأعراض اشتبه بعض الأطبّاء في أن تكون إرهاصات ذبحة قلبيّة أو كشيء من هذا القبيل. وعلى هذا الأساس ألزموني بالراحة المطلقة مدّة ثلاثة أسابيع خوفاً من تكرّر تلك الأعراض، وهكذا قضيتُ هذه الأسابيع الثلاث التي انتهت قبل يومين كالأسير، وكثيراً ما كنتُ أفكّر فيك وكثيراً ما كنتُ أحسّ بأنّ من العزيز عليَّ أن أستقبل الموت وبعضُ أحبّتي بعيد عنّي. وعلى أيّ حال، فقد انتهت هذه الأسابيع الثلاث قبل يومين وخلّف هذا العارض تبعة ثقيلة على نفسي وهي وصايا بعض الأطبّاء بأن أبرمج

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ محمّد جعفر شمس الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢٢م.

(٢) الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ٥٩.

(٣) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٤) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٥) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله) ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٦) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٧) المذهب السياسي في الإسلام، ط٦: ٩ ـ ١٠. وليس هناك ما يشير إلى أنّ هذا السؤال كان في هذه الجلسات، خاصّةً أنّنا لم نذكر السيّد القبانجي من الحاضرين، وإن كان لا يبعد حضوره مؤخّراً.

(٨) احتملنا أن يكون محلّ هذه الأحداث هنا لجهة الحديث عن وفاة السيّد الحكيم والموقف من التقليد بعد رحيله.

وضعي الحياتي بشكل متكلّف.

ويخيّل لي أنّ من الشاقّ أو الغريب أن يتكلّف الإنسان من أجل أن يزيد في حياته التي قدّر له أن يعيشها في خضمّ المحن والآلام، وقد كان الموت يبدو لي دائماً أيّها العزيز خلال هذه الفترة شيئاً مريحاً ومحبّباً إلى حدٍّ ما، لأنّه مريحٌ كما يرتاح التلميذ حين ينتهي الامتحان ويذهب لأخذ درجاته، ولكنّه في نفس الوقت يعبّر عن درجة من المرارة والخيبة كما يشعر التلميذ بالمرارة والخيبة حين يتعذّر له أن يقتصر على مرحلة محدودة من الدراسة.

لا أدري لماذا انفتحت على هذا الحديث وإنّي أنفتح عليه لأوّل مرّة، وأظنّ أنّ الجوّ العاطفي الذي أحسّ به وأنا أكتب لك بعد أن افتقدتك طيلة مرضي له تأثيرٌ رغم أنّي لم أنفتح على حديثٍ من هذا القبيل مع أيّ أحد.

اطمئنوا الآن أيّها العزيز، فإنّ صحّتي فعلاً جيّدة وقد أخذوا لي تخطيطاً للقلب فدلّ على أنّ القلب فعلاً سليم. وهناك من يعتقد من الأطبّاء بأنّه لم يكن هناك منذ البدء حالةٌ مرضيّة بالمعنى الأخصّ في القلب وإنّما هي حالة ناشئة من تراكم الأتعاب والتأثيرات.

هناك أحاديث كثيرة بودّي أن أتحدّث بها عن مختلف الأوضاع المعاشة على صعيد الفراغات المرجعيّة التي خلّفها فقدُ السيّد الحكيم رضوان الله عليه وما رافقها من اتّجاهات للناس في التقليد حسب اتّجاهاتهم العاطفيّة ودرجات تبصّرهم الديني، ولكنّي لا أجد الآن مجالاً لذلك. تجدون في الجوف يا عزيزي جملة من الوصولات التي ترجع إلى الحاج حمزة مقامس ~~///////////////// الأنسب أن لا يكون...~~»[1].

وكتب إلى السيّد ذيشان حيدر جوادي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم العلاّمة الجليل السيّد ذيشان حيدر جوادي متّع الله المؤمنين بدوام وجوده.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أكتب إليكم هذه السطور بعد أن شفيت تماماً من مرض ألمّ بي وأقعدني في الفراش ثلاثة أسابيع، وكان المرض عبارة عن بعض التشنّجات في الصدر، الأمر الذي جعل الأطبّاء يأخذون الاحتياطات من أجل

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢٤). والمقطع الأخير من الرسالة (مشطوب). والملفت للنظر أنّ السيّد محمّد الحسيني نشر رسالتين للشيخ علي كوراني في الملحقين (٤٤) و(٤٥) من كتابه (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق)، والرسالة التي بين أيدينا هي الثانية منهما. أمّا الرسالة الأولى فقد تمّ (شطب) مقطع منها أيضاً في كتاب السيّد الحسيني، ويبدو أنّه حصل عليها من الشيخ كوراني على هذا النحو، ولكنّنا نملك نسخة كاملة عنها كان الشيخ كوراني نفسه قد زوّد به الأرشيف، والمقطع (المشطوب) منها جاء فيه ما يلي: «إنّ المبلغ الذي يساعد به الحاج مقامس الطلاّب العشرة قد توقّف منذ شهر رمضان لأنّ مبلغ الخمسمائة الذي وصلنا في ذلك الحين كان تسديداً لما دفعناه طيلة خمسة أشهر على سبيل الإقراض. وعلى هذا الأساس امتنعنا في شهر رمضان عن الإعطاء وسوف يحدّثكم السيّد الباقري بالتفاصيل». وقد ورد في رسالة أخرى: « أمّا أسماء الأشخاص الذين يحقّقون مشروع الحاج أحمد يوسف البهبهاني، فهناك عامل جديد يتحكّم في اختيارهم بعد وفاة السيّد الحكيم وهو أنّ جملة من الطلاّب كانوا يمارسون العلميّة في الخميس والجمعة..». ولذا فأنا أحتمل بشدّة أنّ المقطع (المشطوب) من هذه الرسالة يرجع إلى الموضوع نفسه، وقد نشرنا هذا المقطع لأنّ الشيخ كوراني نفسه كان قد تفضّل به للأرشيف. أمّا كيف يقدّم الرسالة كاملةً مرّة وناقصةً أخرى، فلعلّ مردّه إلى (الاستخارة)، فإنّه عندما قدّم للشيخ عبد الجبّار الرفاعي مجموعة من الرسائل لينشرها في مجلّة (قضايا إسلاميّة) لجأ إلى الاستخارة، وكذلك مع قناة (المنار) في بعض الرسائل التي قدّمها لها، فلعلّه عندما قدّمه للأرشيف كان الاستخارة جيّدة، وعندما قدّمه للسيّد الحسيني لم تكن كذلك.

القلب ويلزمون بالراحة الكاملة مدّة ثلاث أسابيع لكي لا يرتبك أمر القلب. وهكذا كان، وقد زالت الأعراض والحمد لله.

والآن أشعر براحة ونشاط كامل، وأسأل الله سبحانه أن تصلكم هذه السطور مع السيّد العزيز السيّد زهير وأنتم في أتمّ الصحّة والعافية والنشاط، وقد وصلتني رسالتكم الأخيرة وأنا في فترة المرض ويبدو من رسالتكم أنّ كتاب اقتصادنا لا يزال تحت الطبع، أرجو أن يكون قد كمل الآن.

وتطلبون في الرسالة الإجازة لسهم الإمام، ولم أعرف حدود ومحتوى هذا الطلب وهل هو لكم أو للجمعيّة، وعلى كلّ حال فأظنُّ أنّه لا ملزم له بعد أن تصدّى السيّد الخوئي نفسه لإعطاء الإجازة.

وعلى أيّ حال فأسأل الله سبحانه أن يحفظكم ويحقّق آمالي فيكم ويبقيكم ذخراً للإسلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[1].

وكان قد كتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم العلاّمة الجليل المجاهد السيّد حيدر ذيشان الرضوي دام عزّه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمت رسالتكم الكريمة من الكويت وأنتم في الطريق إلى الهند وأرجو أن تكونوا قد وصلتم الآن وأنتم في كامل الصحّة والعافية والنشاط الروحي.

ما اتّخذتم من قرار حول موضوع التقليد والمرجعيّة هو الصالح إن شاء الله تعالى، وقد ذهب عزيزنا السيّد محمود إلى السيّد الخوئي وحصل منه على ورقتين إحداهما تشتمل على إجازة الترجمة والأخرى على وكالة بدرجة لا بأس بها نسبيّاً.

أرجو أن تكون أخباركم عندنا مستمرّة، كما أرجو أن تكونوا في الرسائل التي ترسلونها بالبريد أكثر تحفّظاً ممّا كنتم في الرسالة التي أرسلتموها من الكويت، ويجب أن تخلو عن أيّ شيء ومن أجل التحفّظ سوف أرسل وكالة السيّد الخوئي وإجازته إلى الكويت مع مسافر لكي يرسلها إليكم.

أخذ الله بيدك أيّها العزيز وسدّد خطاك وأقرّ بك عين أستاذك»[2].

ومن رسائله إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم العلاّمة الجليل ركن الإسلام السيّد ذيشان حيدر الرضوي حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تلقّيت بكلّ تلهّف وشوق رسالتكم العزيزة بعد فراق طويل وانتظار مستمر، وقد اطمأننت على صحّتكم.

وأمّا خبر وفاة السيّد السعيد الوالد رضوان الله عليه فقد وصلني أمره في حينه وشاركتكم المصاب وحضرت مجلس الفاتحة وكتبت إليكم رسالة للتعزية بهذه المناسبة. والذي أتذكّره الآن أنّي تسلّمت أيضاً جواباً منكم على تلك الرسالة، وكان ذلك ذهب عن ذهنكم. ولئن ذهب ذلك فأسأل الله تعالى أن يحفظكم ويرعاكم ويقرّ بكم عيوننا، إنّه سميع الدعاء.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢٥).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٢٦).

اطّلعت على الترجمة المطبوعة لكتاب اقتصادنا وكان في النفس أشياء قد يتيسّر التحدّث عنها عند المواجهة، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

والسلام عليكم ولا حرمنا الله منكم ذخراً وعضداً.

محمّد باقر الصدر»[١].

ولادة السيّد محمّد جعفر الصدر

في ٥/رجب/١٣٩٠هـ (١٩٧٠/٩/٧م)[٢] رزق السيّد الصدر رحمه الله بولده الذكر الوحيد، وهو السيّد (محمّد جعفر) المعروف بالسيّد (جعفر)، وهو رابع أولاده، حيث ولد قبله ثلاث بنات وبعده اثنتان[٣].

وبعد ولادة السيّد جعفر قال السيّد الصدر رحمه الله لزوجته: «**إنّ البعثيّين لن يتركوني حتماً، والحمد لله فقد أصبح لي ولدٌ حتّى لا ينقطع نسلي، فهو سيحمل اسمي من بعدي**»[٤]، وقد قالت له زوجته ذات مرّة: «**خذ، فها قد وفّيت لك بما طلبت منّي في أوّل يومٍ لزواجنا في كيفون في لبنان، وجاء دور الابن الذكر.. هنالك نذرتَ لله إن رزقني بعدهنّ ولداً، لأُقيمنّ مجلس عزاء تأبيناً للإمام زين العابدين عليه السلام في كلّ ذكرى سنويّة لاستشهاده، فاستجاب الله وقضى حاجتنا؛ فما مرّت سنة إلاّ وقد أهلّ السيّد جعفر**».. وقد وفّت العائلة بالنذر ما استطاعت، عدا تلك السنوات العجاف التي أعقبت استشهاد السيّد الصدر رحمه الله، حين كانوا يعيشون الحصار، وقد فرح السيّد الصدر رحمه الله بمجيء السيّد جعفر إلى الدنيا[٥].

كما قال لبعض خاصّته المقرّبين منه: «**لا يوجد بيني وبين جدّي الإمام موسى بن جعفر الكاظم من سلسلة آبائي وأجدادي إلاّ من كان مرجعاً أو مجتهداً، وقد سألتُ الله عزّ وجلّ أن يرزقني ولداً تتّصل به حلقات هذه السلسلة ويحمل من بعدي تراثها المتراكم، وأرجو أن يكون الله قد استجاب لي**»[٦].

وقد أولم السيّد الصدر رحمه الله بهذه المناسبة ودعا مجموعةً من العلماء إلى الوليمة[٧].

وبهذه المناسبة أرسل السيّد محمّد هادي بن علي ابن السيّد حسن الصدر (ت: ٥/ج١٣٩٧/١هـ) رسالة تهنئة إلى السيّد الصدر رحمه الله جاء فيها:

«بسمه تعالى

مولاي أمل الأمّة وباقر علوم الأئمّة حفظك الله لآلك، ومتّعهم بأفضالك، ولا زلتَ ملاذاً للمسلمين ومفزعاً في أمور الدنيا والدين، والصلاة والسلام عليك وعلى سائر من لديك ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فيطيب لي أن أكرّر ـ بعد أن أبرقتُ بالأمس ـ تهانيَّ القلبيّة مباركاً لسماحتكم ـ وأنا في غمرة من غبطتي وسروري وبهجتي وحبوري ـ بمولد قرّة العين شبلكم الكريم (جعفر بن محمّد) ضارعاً إلى الله

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢٧).

(٢) استفدته من أسرة السيّد الصدر رحمه الله.

(٣) انظر مثلاً: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٥١ ـ ٥٢ ؛ وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩.

(٤) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

(٥) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٦) مدخل إلى رحاب الصدر: ٧. وقد نقل السيّد محمّد صادق الصدر أنّ السيّد حسن الصدر قال: «ليس بيني وبين أجدادي إلى الإمام موسى بن جعفر إلاّ مجتهدٌ عادل» (الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور جودت القزويني ٣: ٨٠).

(٧) ذكر لي ذلك السيّد محمود الخطيب ؛ وانظر: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٠.

المنعم المتفضّل أن يرعاه تحت ظلّكم الوارف بمزيدٍ من الصحّة والسلامة والعزّة والكرامة، إنّه سميعٌ مجيب.

وقد أرّخته ـ على العجالة ـ بالتاريخ التالي:

يــا وليــداً هَفَــتْ لطلعــتك الأرواح * شــوقاً إليــك مــن عالــم الــذرْ

لُــح بعليــاك في سمــا المجـد بـدراً * شـعَّ في نـوره الغـريُّ وأزهــرْ

وجــوىً هــامَ فيـك أرّخ (وحُبّــاً * بهـدى الصدر بـاقر عـاش جعـفرْ)

١٧ * ٢١ /٣٢٥ /٣٠٣ /٣٧١ /٣٥٣

١٣٩٠ هـ

١٣٩٠/٧/٦

١٩٧٠/٩/٨

محمّد هادي الصدر»[١].

يشار إلى أنّه لم تكن تدخل بيت السيّد الصدر الأنواعُ الجديدة من المهد، وكان يأمر أن يُشترى لمولوده الجديد مهدٌ من النوع القديم، حتّى لوليده جعفر الذي أحسّ له أهل بيته وهو يدخل دنياهم بالسرور الوافر، باعتباره الغلام الوحيد[٢].

دار الفكر تطبع (فلسفتنا) و(اقتصادنا)

بعد أن تمّ الاتّفاق في ١٩٦٨/١/٧م بين دار الفكر وبين السيّد الصدر ـ بالوكالة ـ على طباعة ما لا يزيد على ثلاثة آلاف نسخة من (اقتصادنا)، تمّ الاتّفاق مجدّداً في ١٩٧٠/١٠/٣م (٣/شعبان/١٣٩٠هـ) على إعادة طبع ثلاثة آلاف نسخة من كلٍّ من كتابي (فلسفتنا) و(اقتصادنا). وقد كتبت دار الفكر عقداً وأرسلته إلى السيّد الصدر، وكانت حقوق المؤلّف عبارة عن ثلاثمائة دينار مقابل (اقتصادنا) ومئتي دينار مقابل (فلسفتنا)، وقد جاء في العقد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عقد اتّفاق

الطرف الأوّل: سماحة السيّد محمّد باقر الصدر.

الطرف الثاني: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١ ـ يعهد الطرف الأوّل مؤلّف كتابي اقتصادنا وفلسفتنا للطرف الثاني بإعادة طبع هذين الكتابين وترويجهما في الأسواق.

٢ ـ يحدّد عدد كلّ طبعة بثلاثة آلاف نسخة، وللطرف الثاني الحقّ إذا كان الطبع بطريقة التصوير (الأوفست) بالطبع على دفعات، على ألاّ يتجاوز عدد كلّ طبعة ثلاثة آلاف نسخة، ويسجّل رقم الطبعة عليها.

٣ ـ تحدّد حقوق التأليف التي يتقاضاها المؤلّف بمبلغ ثلاثمائة دينار لكتاب اقتصادنا عن كلّ ثلاثة آلاف نسخة ومائتي دينار لكتاب فلسفتنا عن كلّ ثلاثة آلاف نسخة.

٤ ـ يخطر الطرف الثاني الطرف الأوّل فور نفاد نسخ كلّ طبعة وعن عزمه على إعادة الطبع.

٥ ـ تحدّد مدّة هذا الاتّفاق بخمس سنوات من تاريخ توقيعه، ويعتبر مجدّداً تلقائيّاً لمدّة خمس سنوات

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢٨).

(٢) الشهيد الصدر فضائله وشمائله: ٦٤ ـ ٦٥ ؛ سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٤٣.

أخرى إذا لم يخطر أحد الطرفين الطرف الآخر برغبته بإنهاء الاتّفاق قبل ستّة أشهر من نهايته.

على هذا تمّ الاتّفاق بين الطرفين في اليوم الثالث من تشرين الأوّل/١٩٧٠م الموافق الثالث من شعبان عام ١٣٩٠ هـ ، والله خيرُ شاهدٍ، وعلى ما نقول وكيل.

الطرف الأوّل الطرف الثاني»[١].

وفي ١/رمضان من هذا العام على الأرجح (١٩٧٠/١١/٢م) كتب السيّد الصدر‏ إلى الأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر المحترم

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد، فقد كنتُ بانتظار أن يجيب مصطفى على المجاملة بمثلها ويُشعرني بالتنازل، ولكنّ سيف الله حدّثني بموقفه، وقد سلّمتُ سيف الله على هذا الأساس رسالةً إليكم لكي يرسلها لكم في البريد أو بأيٍّ شكل آخر. وحيث يوجد الآن شخصٌ مسافرٌ إلى لبنان غداً، فقد رأيتُ أن أبعث معه هذه السطور إليكم لكي يصل إليكم إذني في أقرب وقت.

ومن أجل هذا فأنا أذكر في هذه السطور ما ذكرته في رسالتي السابقة من الموافقة على الاتّفاق الذي أطلعتموني عليه، على أن يطبّق مفعوله على الطبعة السابقة لكتابي فلسفتنا واقتصادنا التي صدرت بدون اتّفاق سابق، وعلى أن ترسلوا إلينا بصورة من الاتّفاق الموقّع.

وتقبّلوا ختاماً تمنّياتي للدار بأن تواصل عملها وخدماتها للعقيدة والإسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١/ شهر رمضان المبارك

محمّد باقرالصدر

ملاحظة: المبلغ أو المبالغ المستحقّة لنا سوف أعيّن لكم فيما بعد شخصاً في لبنان تدفعونها إليه تفادياً من مشاكل التحويل»[٢].

ثمّ وفي ٩/ذي القعدة/١٣٩٠هـ (١٩٧١/١/٧م)، كتب إليه رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي الأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد أرسلتُ إليكم قبل شهر تقريباً بالبريد الجوّي المسجّل وثيقة الاتّفاق موقّعةً من قبلي، وبقيت عندي النسخة الأخرى الموقّعة من قبل دار الفكر.

وأرسل إليكم هذه الرسالة لإخباركم بذلك، وأرجو بهذه المناسبة الاهتمام بسرعة تحويل مبلغ خمسمائة دينار إلينا ولو عن طريق المصرف إذا لم يتيسّر لكم إيصال المبلغ مع شخص، لأنّي سوف أحتاج إلى المبلغ في موسم الحجّ المبارك، والمهمّ أن يصلني المبلغ قبل أن يفوت موسم الحجّ[٣].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٢٩).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٣٠). ويشار إلى أنّ الأستاذ محمود سالم احتفظ برسالتين موجّهتين إليه من السيّد الصدر‏، فلعلّ الرسالة التي سلّمها‏ إلى سيف الله هي إحدى هاتين الرسالتين.

(٣) تقدّم ضمن أحداث سنة ١٣٨٧هـ الحديث عن ذهاب السيّد الصدر‏ إلى الحج، وقد استظهرنا هناك أنّه لم يوفّق

والكتاب الجديد[١] أشرف على التمام، وبودّي أن أسمع منكم تأكيداً على ما قلتموه لي من إمكان إرسال الملازم للتصحيح إلى هنا لكي أرسل النسخة إليكم بعد موسم الحجّ إن شاء الله تعالى.

وختاماً أسأل المولى القدير سبحانه وتعالى أن يرعى الدار بعينه التي لا تنام ويسدّدها في طريقها وعملها لخدمة الإسلام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٩ ذي القعدة ١٣٩٠

محمّد باقر الصدر»[٢].

ويوم صدرت الطبعة البيروتيّة من (فلسفتنا) غلّفت (دار الفكر) الكتاب بغلاف يحمل صورة السيّد الصدر ونبذة عن حياته [كان قد سرّبها أحد محبّي السيّد الصدر]، فأمر السيّد حسين السيّد محمّد هادي الصدر أن يتّفق مع الموزّع قاسم رجب صاحب مكتبة (المثنّى) على نزع هذا الغلاف قبل بيع الكتاب[٣]، ولمّا أبدى قاسم رجب عدم ارتياحه، اتّفق السيّد مع أحد مقرّبيه على مباشرة البيع[٤].

بحث (التعادل والتراجيح)

في ٨/شعبان/١٣٩٠هـ (٨/١٠/١٩٧٠م)، شرع السيّد الصدر ببحث (التعادل والتراجيح) من الدورة الأصوليّة الأولى[٥].

زيارة الدكتور محمّد التيجاني السماوي الأولى

في أوائل شعبان/١٣٩٠هـ (تشرين الأوّل/١٩٧٠م)[٦]، زار الدكتور التونسي محمّد التيجاني

للحج مرّة ثانية سنة ١٣٩٠هـ.

(١) يقصد كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٣١).

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، ٢٥/ربيع الأوّل/١٤٠٥هـ نقلاً عن السيّد حسين هادي الصدر ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٧٥ ؛ السيّد حسين هادي الصدر في: مقابلة مشتركة جمعته مع السيّد محمود الهاشمي والسيّد كاظم الحائري ؛ مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر. وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: (اقتصادنا) بدل (فلسفتنا)، و(إحدى دور النشر اللبنانيّة) بدل (دار الفكر). وما بين [] من المصدر الأخير. وقد عدلنا إلى ما في المتن لأنّه ليست هناك طبعة من (اقتصادنا) تحمل هذه المواصفات، وما يحمل المواصفات المذكورة هو (فلسفتنا) ـ طبعة دار الفكر.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (١٥٩).

(٥) بحوث في علم الأصول ٧: ٨.

(٦) ذكر الدكتور التيجاني أنّ زيارته كانت سنة ١٩٦٩م (مذكّراته المحفوظة في أرشيف المؤامر العالمي للإمام السيّد الصدر)، ولكنّنا رأينا أن تكون زيارته في هذا التاريخ لأمرين:

١ـ الأوّل: لما ورد في طيّ الكلام من أنّها جاءت بعد أيّام (أسبوع أو أكثر بقليل) من وفاة جمال عبد الناصر. وقد توفّي الأخير بتاريخ ٢٨/٩/١٩٧٠م (٢٦/رجب/١٣٩٠هـ) (موسوعة السياسة ٢: ٢٠٩)، فتكون الزيارة في أوائل شعبان.

٢ ـ الثاني: أنّ استبصار الدكتور كان سنة ١٩٧٠م (فسيروا في الأرض فانظروا: ١٠٧)، ولا يمكن أن تكون الزيارة قبل سنة ١٩٧٠م لأنّ الدكتور لا يذكر السيّد محسن الحكيم عند زيارته كبارَ العلماء، فلا بدّ إذاً أن تكون بعد وفاته، فيتعيّن كونها سنة ١٩٧٠م، وبالتحديد في صيف ١٩٧٠م لأنّ الدكتور قضى فترة الصيف مسافراً حيث كان

السماوي النجف الأشرف، وقد اتّجه بصحبة السيّد أبي شبر[١] إلى بيت السيّد الصدر رحمه الله. وفي الطريق كان أبو شبّر يلاطفه ويعطيه فكرة عن العلماء المشهورين وعن التقليد وغير ذلك..

ودخلوا على السيّد محمّد باقر الصدر في بيته، وكان مليئاً بطلبة العلوم وأغلبهم من الشبّان المعمّمين.. وقام السيّد يسلّم عليهم، وقدّموا الدكتور إليه فرحّب به كثيراً وأجلسه إلى جانبه وأخذ يسأله عن تونس والجزائر وعن بعض العلماء المشهورين أمثال الخضر حسين والطاهر بن عاشور وغيرهم.. وقد أنس الدكتور بحديثه..

ورغم الهيبة التي تعلوه والاحترام الذي يحوطه به جلساؤه، وجد الدكتور نفسه غير محرج وكأنّه يعرفه من قبل. وقد استفاد من تلك الجلسة إذ كان يسمع أسئلة الطلبة وأجوبة السيّد عنها، وعرف وقتها قيمة تقليد العلماء الأحياء الذين يجيبون عن كلّ الإشكالات مباشرة وبكلّ وضوح.. وكان كلّما ذكر اسم (محمّد) صلى الله عليه وآله صاح الجميع في صوت واحد: «**اللهم صلِّ على محمّد وآل محمد**».

وجاء وقت الصلاة وخرجوا إلى المسجد[٢] وكان بجوار البيت، وصلّى بهم السيّد الصدر صلاة الظهر والعصر، وقد تخلّل الصلاتين دعاءٌ من أحد المصلّين، وكان له صوتٌ شجيّ. وبعدما أنهى الدعاء صاح الجميع «**اللهمّ صلِّ على محمّد وآل محمّد**».

[وكانت هذه الصلاة هي أوّل صلاة يجمع فيها الدكتور بين الظهر والعصر، إذ كان في النجف يفرّق بين الظهر والعصر حتّى ذلك اليوم الذي خرج فيه مع السيّد الصدر رحمه الله من بيته إلى المسجد الذي يؤمّ فيه مقلّديه الذين احترموا الدكتور وتركوا له مكاناً خلف السيّد الصدر رحمه الله بالضبط.

ولمّا انتهت صلاة الظهر وأقيمت صلاة العصر، حدّثته نفسه بالانسحاب، ولكنّه بقي لسببين:

أوّلهما: هيبة السيّد الصدر رحمه الله وخشوعه في الصلاة، حتّى تمنّى أن تطول.

وثانيهما: وجوده في ذلك المكان وهو أقرب المصلّين إليه، وقد أحسّ بقوّة قاهرة تشدّه إليه].

بعد الصلاة جلس السيّد الصدر رحمه الله في المحراب، وأخذ بعضهم يسلّمون عليه ويسألونه سرّاً وعلانية، وكان يجيب سرّاً عن بعض الأسئلة التي تتطلّب الكتمان لأنّها تتعلّق بشؤون خاصّة، وكان السائل إذا حصل على الجواب يقبّل يده وينصرف، [وقد بقي الدكتور خلفه يسمع الأسئلة والإجابة عنها إلاّ ما كان خفيّاً].

وبعد ذلك رجعوا بصحبة السيّد الصدر رحمه الله الذي أولى الدكتور التيجاني من الرعاية والعناية وحسن الضيافة ما أنساه أهله وعشيرته، وأحسّ بأنّه لو بقي معه شهراً واحداً لتشيّع لحسن أخلاقه وتواضعه وكرم معاملته، فلم ينظر إليه إلاّ وابتسم في وجهه وابتدره بالكلام وسأله هل ينقصه شيء، فكان الدكتور لا يغادره طيلة الأيّام الأربعة التي قضاها معه إلاّ للنوم، رغم كثرة زوّاره والعلماء

يمضى إجازة العطلة الجامعيّة، وهذا يعني أنّ هذه الزيارة جاءت في آخر العطلة (تشرين الأوّل).

(١) لم أستطع تحديد هويّته.

(٢) كنّا قد احتملنا أنّه يقصد الحسينيّة الشوشتريّة، باعتبار أنّ السيّد رحمه الله لم يقم الصلاة في أيّ مسجد. وتقع الحسينيّة الشوشتريّة في عقد السلام من محلّة العمارة، وهي قريبة من منزله في العمارة. ولكنّ المشكلة هي أنّه أقام الصلاة في الحسينية الشوشتريّة سنة ١٣٩٢هـ أو ١٣٩٣هـ فلم يتبيّن لنا واقع الأمر.

الوافدين عليه من كلّ الأقطار:

فقد رأى الدكتور السعوديّين هناك ولم يكن يتصوّر بأنّ في الحجاز شيعة، وكذلك علماء من البحرين وقطر والإمارات ولبنان وسوريا وإيران وأفغانستان وتركيا وأفريقيا السوداء.. وكان السيّد يتكلّم معهم ويقضي حوائجهم ولا يخرجون من عنده إلاّ وهم فرحون مسرورون.

[وفي بيت السيّد الصدر رحمه الله وجد الدكتور نفسه ضيف الشرف، واغتنم فرصة ذلك المجلس وسأله عن الجمع بين الصلاتين:

السيّد الصدر: «**عندنا روايات كثيرة عن أئمّة الهدى سلام الله عليهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى هذه الصلاة، يعني جمع بين الظهر والعصر، كما جمع بين المغرب والعشاء في غير خوفٍ ولا سفر، إنّما لرفع الحرج عن أمّته**».

الدكتور: «**لم أفهم الحرج، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾**[1]».

السيّد الصدر: «**ولمّا كان الله سبحانه عالمٌ بكلّ شيء، فقد علم أنّه سيكون في العصور المتأخّرة ما يسمّى عندنا بالوظائف العموميّة والأشغال الحكوميّة كالحرس والشرطة والجيش والعاملين في المؤسّسات العموميّة، وحتّى الطلبة والأساتذة، فكلّ هؤلاء يحرجهم الدين لو كلّفهم بإقامة الصلوات الخمس في أوقاتها المتفرّقة، ومن أجل ذلك أوحى لرسوله صلى الله عليه وآله أن يصلّي بهم الفريضتين في وقتٍ واحدٍ لتكون أوقات الصلاة ثلاثة بدلاً من خمسة، وهو أسهل على المسلمين وليس فيه حرج**».

الدكتور: «**ولكنّ السنّة النبويّة لا تنسخ القرآن**».

السيّد الصدر: «**أنا ما قلت بأنّ السنّة نسخت القرآن، بل إنّها تفسّر القرآن وتوضح ما أشكل فيه علينا**».

الدكتور: «**فالله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾**[2]، **والمشهور في السنّة أنّ جبرئيل عليه السلام جاء للنبي صلى الله عليه وآله وصلّى به خمس مرّات في اليوم والليلة، وسمّيت تلك الصلوات بالظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح**».

السيّد الصدر: «**﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾**[3] **فسّرها رسول الله صلى الله عليه وآله بالتفريق وبالجمع بين فريضتين، فدلّت الآية على أنّ تفريق الصلاة إلى خمسة أوقات أو جمعها في ثلاثة أوقات هو الوقت الصحيح الذي يرتضيه الله سبحانه**».

الدكتور: «**سيّدي، لم أفهم! لماذا يقول الله ﴿كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ إذاً؟!**».

السيّد الصدر مبتسماً: «**هل تعتقد أنّ المسلمين في الحجّ لا يقيمون الصلاة في أوقاتها وهم يخالفون الله عندما يجمعون في عرفة صلاة الظهر والعصر، وفي المزدلفة صلاة المغرب والعشاء! وذلك اقتداءً بما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله!**».

الدكتور بعد أن فكّر قليلاً: «**ربّما ذلك لعذر، وهو تعب الحجيج فأراد الله أن يخفّف عنهم**».

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣) النساء: ١٠٣.

السيّد الصدر: «**وهنا أيضاً أراد الله أن يرفع الحرج عن المتأخّرين من أمّة محمّد**ﷺ **ليكون الدين سهلاً عليهم**».

الدكتور: «**سيّدي! أعود لقولك بأن الله أوحى لنبيّه**ﷺ **أن يصلّي بهم الفريضتين في وقتٍ واحد لتكون الصلاة ثلاثة أوقات بدلاً من خمسة، ففي أيّ آية قال ذلك؟**».

السيّد الصدر على الفور: «**وفي أيّ آية أمر رسوله**ﷺ **أن يجمع الفريضتين في عرفة وفي المزدلفة؟! وفي أيّ آية ذكر خمسة أوقات؟!**».

سكت الدكتور ولم يبدِ اعتراضاً مقتنعاً بجوابه في هذه المرّة.

السيّد الصدر مضيفاً: «**ليس كلّ ما يوحي الله به لنبيّه يكون بالضرورة قرآناً يُتلى** ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾[1]، **وإنّما كلّ ما نسمّيه نحن بالسنّة النبويّة هو من وحي الله سبحانه لنبيّه**ﷺ، **ولذلك يقول الله سبحانه:** ﴿**وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾[2]. **وبعبارة أخرى: ما كان للصحابة أن يعترضوا على النبيّ**ﷺ **عندما يأمرهم أو ينهاهم بأن يطالبوه بالآية من كلام الله، وإنّما يمتثلون أوامره ونواهيه باعتبار أنّ كلّ ما يصدر عنه هو وحيٌ من الله**».

وقد أدهش السيّد الصدر رحمه الله الدكتور بما أورده، وكان جاهلاً هذه الحقيقةَ، فقال مستفسراً عن موضوع جمع الصلاتين:

الدكتور: «**سيّدي ! أيمكن للمسلم أن يجمع بين الفريضتين في حالة الضرورة؟**».

السيّد الصدر: «**يمكن له أن يجمع بين الفريضتين في جميع الحالات وبدون ضرورة**».

الدكتور: «**وما هي حجّتكم؟**».

السيّد الصدر: «**لأنّ رسول الله** ﷺ **جمع بين الفريضتين في المدينة في غير سفر ولا خوف ولا مطر ولا ضرورة، وإنّها فقط لدفع الحرج عنّا، وهذا بحمد الله ثابت عندنا من طريق الأئمّة الأطهار وثابت أيضاً عندكم**».

استغرب الدكتور كيف يكون ثابتاً عندهم ولم يسمع به قبل ذلك اليوم ولا رأى أحداً من أهل السنّة والجماعة يعمل به، بل بالعكس يقولون ببطلان الصلاة إذا وقعت حتّى قبل الأذان دقيقة، فكيف بمن يصلّيهما قبل ساعات مع الظهر، أو يصلّي صلاة العشاء مع المغرب؟! فهذا يبدو عندهم منكراً وباطلاً.

وقد فهم السيّد الصدر رحمه الله حيرته واستغرابه فهمس إلى بعض الحاضرين فقام مسرعاً وجاءه بكتابين عرف الدكتور أنّهما (صحيح البخاري) و(صحيح مسلم)، وكلّف السيّد ذلك الطالب بأن يطلعه على الأحاديث التي تتعلّق بالجمع بين الفريضتين. وقرأ بنفسه في (صحيح البخاري) كيف جمع النبي ﷺ فريضة الظهر والعصر، وكذلك فريضة المغرب والعشاء. كما قرأ في (صحيح مسلم) باباً كاملاً في الجمع بين الصلاتين في الحضر في غير خوف ولا مطر ولا سفر.

---

(١) الكهف: ١٠٩.

(٢) الحشر: ٧.

ولم يُخف الدكتور تعجّبه ودهشته وإن كان الشكُّ قد داخَلَه بأنّ (البخاري) و(مسلم) اللذين عندهم قد يكونان محرّفين، وأخفى في نفسه أن يراجع هذين الكتابين في تونس.

وسأله السيّد الصدر رحمه الله عن رأيه بعد هذا الدليل:

الدكتور: «**أنتم على حق، وأنتم صادقون في ما تقولون، وبودّي أن أسألكم سؤالاً آخر**».

السيّد الصدر: «**تفضّل**».

الدكتور: «**هل يجوز الجمع بين الصلوات الأربع كما يفعل كثيرٌ من الناس عندنا، لّما يرجعون في الليل يصلّون الظهر والعصر والمغرب والعشاء قضاءً**».

السيّد الصدر: «**هذا لا يجوز**».

الدكتور: «**إنّك قلت لي فيما سبق بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فرّق وجمع، وبذلك فهمنا مواقيت الصلاة التي ارتضاها الله سبحانه**».

السيّد الصدر: «**لفريضتي الظهر والعصر وقت مشترك، ويبتدئ من زوال الشمس إلى الغروب، ولفريضتي المغرب والعشاء أيضاً وقتٌ مشترك ويبتدئ من غروب الشمس إلى منتصف الليل، ولفريضة الصبح وقت واحد يبتدئ من طلوع الفجر إلى شروق الشمس. فمن خالف هذه المواقيت يكون خالف الآية الكريمة ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمنينَ كتَاباً مَوْقُوتاً﴾**[1]**، فلا يمكن لنا مثلاً أن نصلّي الصبح قبل الفجر ولا بعد شروق الشمس، كما لا يمكن لنا أن نصلّي فريضتي الظهر والعصر قبل الزوال أو بعد الغروب، كما لا يجوز لنا أن نصلّي فريضتي الظهر والعصر قبل الزوال أو بعد الغروب، كما لا يجوز لنا أن نصلّي فريضتي المغرب والعشاء قبل الغروب ولا بعد منتصف الليل**».

وشكر الدكتور السيّد الصدر رحمه الله، وهو وإن كان قد اقتنع بكلّ أقواله غير أنّه لم يجمع بين الفريضتين بعد مغادرته إلاّ عندما رجع الى تونس وانهمك بالبحث واستبصر][2].

وفي إحدى هذه الزيارات جاء إلى السيّد الصدر رحمه الله أربعة رجال ربّما كانوا عراقيّين، كان أحدهم ورث مسكناً من جدّه الذي توفّي منذ سنوات وباع ذلك المسكن إلى شخص ثان كان هو الآخر حاضراً. وبعد سنة من تاريخ البيع جاء أَخَوان وأثبتا أنّهما وارثان شرعيّان للميت، وجلس أربعتهم أمام السيّد وأخرج كلٌّ واحد منهم أوراقه وما عنده من حجج.

وبعدما قرأ السيّد أوراقهم كلّها وتحدّث معهم لدقائق حكم بينهم بالعدل، فأعطى الشاري حقّه في التصرّف بالمسكن وطلب من البائع أن يدفع للأخوين نصيبهما من الثمن المقبوض، وقام الجميع يقبّلون يده ويتعانقون.

وقد دهش الدكتور لهذا ولم يصدّق، وسأل أبا شبر: «**هل انتهت القضيّة؟**» قال: «**خلص، كلٌّ أخذ حقّه**».. فدهش الدكتور لأنّ القضيّة حلّت في بضع دقائق، بينما تستغرق في بلاده عشر سنوات على أقلّ تقدير ويموت بعضهم ويواصل أولاده بعده تتبّع القضيّة، ويصرفون في رسوم المحكمة والمحامين ما يكلّفهم في أغلب الأحيان ثمنَ المسكن نفسه، ومن المحكمة الابتدائيّة إلى محكمة

---

(١) النساء: ١٠٣.

(٢) ما بين [] من: لأكون مع الصادقين: ١٧٧ ـ ١٨ ؛ مناظرات في العقائد والأحكام ٢: ١٩٥ ـ ٢٠٢.

الاستئناف ثمّ إلى التعقيب وفي النهاية يكون الجميع غير راضين بعدما يكونون قد أنهكوا بالتعب والمصاريف والرشوة والعداوة والبغضاء بين عشائرهم وذويهم.

فأجابه أبوشبر: «**وعندنا أيضاً نفس الشيء أو أكثر**»، فقال الدكتور: «**كيف؟**» قال: «**إذا رفع الناس شكواهم إلى المحاكم الحكوميّة فيكون مثل ما حكيت، أمّا إذا كانوا يقلّدون المرجع الديني ويلتزمون بالأحكام الإسلاميّة، فلا يرفعون قضاياهم إلاّ إليه، فيفصلها في بضع دقائق كما رأيت ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]، والسيّد الصدر لم يأخذ منهم فلساً واحداً، ولو ذهبوا إلى المحاكم الرسميّة لتعرّت رؤوسهم**».

ضحك الدكتور لهذا التعبير وقال: «**سبحان الله! أنا لا زلت مكذّباً ما رأيت، ولولا ما شاهدته بعيني ما كنت لأصدّق أبداً**»، فقال أبو شبّر: «**لا تكذّب يا أخي فهذه بسيطة بالنسبة إلى غيرها من القضايا التي هي أشدّ تعقيداً وفيها دماء، ومع ذلك يحكم فيها المراجع ويفصلونها في سويعات**»، فقال الدكتور متعجّباً: «**إذاً عندكم في العراق حكومتان حكومة الدولة وحكومة رجال الدين**»، فقال: «**كلاّ عندنا حكومة الدولة فقط، ولكنّ المسلمين من الشيعة الذين يقلّدون مراجع الدين لا علاقة لهم بالحكومة لأنّها ليست حكومة إسلاميّة، فهم خاضعون لها بحكم المواطنيّة والضرائب والحقوق المدنيّة والأحوال الشخصيّة، فلو تخاصم مسلمٌ ملتزمٌ مع أحد المسلمين غير الملتزمين فسوف يضطرّ حتماً لرفع قضيّته إلى محاكم الدولة، لأنّ هذا الأخير لا يرضى بتحكيم رجال الدين؛ أمّا إذا كان المتخاصمان متلزمين فلا إشكال هناك، وما يحكم به المرجع الديني نافذٌ على الجميع، وعلى هذا الأساس تحلّ القضايا التي يحكم فيها المرجع في يومها بينما تظلّ القضايا الأخرى شهوراً بل أعواماً**».

وقد دارت في تلك الأيّام حواراتٌ عديدةٌ بين الدكتور وبين السيّد الصدر رحمه الله، كان الدكتور يسأله فيها عن كلّ صغيرة وكبيرة من خلال ما عرفه من الأصدقاء الذّين حدّثوه عن كثيرٍ من عقائد الشيعة التي يخالفهم فيها السنّة.

سأل الدكتور السيّد الصدر عن الإمام علي عليه السلام، ولماذا يشهد الشيعة له في الأذان بأنّه ولي الله؟ فأجاب رحمه الله قائلاً: «**إنّ أمير المؤمنين عليّاً سلام الله عليه هو عبدٌ من عبيد الله الذين اصطفاهم الله وشرّفهم ليواصلوا حمل أعباء الرسالة بعد أنبيائه، وهؤلاء هم أوصياء الأنبياء، فلكلّ نبيٍّ وصيٌّ، وعليٌّ بن أبي طالب هو وصيُّ محمّد، ونحن نفضّله على سائر الصحابة بما فضّله الله ورسوله، ولنا في ذلك أدلّة عقليّة ونقليّة من القرآن والسنّة، وهذه الأدلّة لا يمكن أن يتطرّق إليها الشكُّ لأنّها متواترة وصحيحة من طرقنا وحتّى من طرق أهل السنّة والجماعة، وقد ألّف في ذلك علماؤنا العديد من الكتب. ولمّا كان الحكم الأموي يقوم على طمس هذه الحقيقة ومحاربة أمير المؤمنين علي وأبنائه وقتلهم ووصل بهم الأمر إلى سبّه ولعنه على منابر المسلمين وحمل الناس على ذلك بالقهر والقوّة، فكان شيعته وأتباعه رضي الله عنهم يشهدون أنّه وليّ الله، ولا يمكن للمسلم أن يسبّ ولي الله، وذلك تحدّياً منهم للسلطة الغاشمة حتّى تكون العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وحتّى تكون حافزاً تاريخيّاً لكلّ المسلمين عبر الأجيال فيعرفون حقيقة علي وباطل أعدائه.**

---

(١) المائدة: ٥٠.

ودأب فقهاؤنا على الشهادة لعلي بالولاية في الأذان والإقامة استحباباً، لا بنيّة أنّها جزء من الآذان أو الإقامة، فإذا نوى المؤذّن أو المقيم أنّها جزءٌ بطل أذانه وإقامته.

والمستحبّات في العبادات والمعاملات لا تحصى لكثرتها، والمسلم يثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها، وقد ورد على سبيل المثال أنّه يذكر استحباباً بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله بأن يقول المسلم: (وأشهد أنّ الجنّة حقّ والنار حقّ وأنّ الله يبعث من في القبور)».

قال الدكتور: «إنّ علماءنا علّمونا أنّ أفضل الخلفاء على التحقيق سيّدنا أبو بكر الصدّيق، ثمّ سيّدنا عمر الفاروق ثمّ سيّدنا عثمان ثمّ سيّدنا علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين؟».

سكت السيّد قليلاً ثمّ أجاب: «لهم أن يقولوا ما يشاؤون، ولكن هيهات أن يثبتوا ذلك بالأدلّة الشرعيّة. ثم إنّ هذا القول يخالف صريح ما ورد في كتبهم الصحيحة المعتبرة، فقد جاء فيها أنّ أفضل الناس أبو بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ولا وجود لعلي، بل جعلوه من سوقة الناس وإنّما ذكره المتأخرون استحباباً لذكر الخلفاء الراشدين».

وقد سأله الدكتور بعد ذلك عن التربة التي يسجد عليها الشيعة (التربة الحسينيّة)، فأجاب السيّد الصدر رحمه الله قائلاً: «يجب أن يعرف قبل كلّ شيء أنّنا نسجد على التراب ولا نسجد للتراب كما يتوهّم البعض الذين يشهّرون بالشيعة[1]، فالسجود هو لله سبحانه وتعالى وحده، والثابت عندنا وعند أهل السنّة أيضاً أنّ أفضل السجود على الأرض أو ما أنبتت الأرض من غير المأكول، ولا يصحُّ السجود على غير ذلك، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يفترش التراب، وقد اتّخذ له خمرة من التراب والقشّ يسجد عليها، وعلّم أصحابه رضوان الله عليهم فكانوا يسجدون على الأرض وعلى الحصى ونهاهم أن يسجد أحدهم على طرف ثوبه، وهذا من المعلومات بالضرورة عندنا.

وقد اتّخذ الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام تربةً من قبر أبيه أبي عبد الله باعتبارها تربة زكيّة طاهرة سالت عليها دماء سيّد الشهداء، واستمرّ على ذلك شيعته إلى يوم الناس هذا. فنحن لا نقول إنّ السجود لا يصحّ إلاّ عليها، بل نقول إنّ السجود يصحّ على أيّ تربة أو حجرة طاهرة كما يصحّ على الحصير والسجاد المصنوع من سعف النخيل وما شابه ذلك».

قال الدكتور: «على ذكر سيّدنا الحسين رضي الله عنه، لماذا يبكي الشيعة ويلطمون ويضربون أنفسهم حتّى تسيل الدماء وهذا محرّم في الإسلام؟ فقد قال صلى الله عليه وآله: (ليس منّا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهليّة)». فأجاب السيّد قائلاً: «الحديثُ صحيحٌ لا شكّ فيه، ولكنّه لا ينطبق على مأتم أبي عبد الله، فالذي ينادي بثأر الحسين ويمشي على درب الحسين دعوتُه ليست دعوى جاهليّة. ثمّ إنّ الشيعة بشرٌ فيهم العالِم وفيهم الجاهل ولديهم عواطف، فإذا كانت عواطفهم تطغى عليهم في ذكرى استشهاد أبي عبد الله وما جرى عليه وعلى أهله وأصحابه من قتلٍ وهتكٍ وسبيٍ، فهم مأجورون لأنّ نواياهم كلّها في سبيل الله، والله سبحانه وتعالى يعطي العباد على قدر نواياهم، وقد قرأت منذ أسبوع التقارير الرسميّة للحكومة المصريّة بمناسبة موت جمال عبد الناصر. تقول هذه التقارير الرسميّة بأنّه سجّل أكثر من ثماني حالات انتحاريّة قتل

---

(١) هذا أيضاً ما أجاب به رحمه الله أحد أساتذة جامعة بغداد الأتراك الذي كان في زيارته (مقابلة مع السيّد عبّاس الموسوي رحمه الله، ﴿﴾).

أصحابها أنفسهم عند سماع النبأ، فمنهم من رمى نفسه من أعلى العمارة ومنهم من ألقى بنفسه تحت القطار وغير ذلك، وأمّا المجروحون والمصابون فكثيرون. وهذه أمثلة أذكرها للعواطف التي تطغى على أصحابها. وإذا كان الناس ـ وهم مسلمون بلا شكّ ـ يقتلون أنفسهم من أجل موت جمال عبد الناصر وقد مات موتاً طبيعيّاً، فليس من حقّنا ـ بناءً على مثل هذا ـ أن نحكم على أهل السنّة بأنّهم مخطئون.

وليس لإخواننا من أهل السنّة أن يحكموا على إخوانهم من الشيعة بأنّهم مخطئون في بكائهم على سيّد الشهداء، وقد عاشوا محنة الحسين وما زالوا يعيشونها حتّى اليوم، وقد بكى رسول الله نفسه على ابنه الحسين وبكى جبريل لبكائه».

قال الدكتور: «ولماذا يزخرف الشيعة قبور أوليائهم بالذهب والفضة وهو محرّم في الإسلام؟». أجاب السيّد الصدر: «ليس ذلك منحصراً بالشيعة ولا هو حرام. فها هي مساجد إخواننا من أهل السنّة سواء في العراق أو في مصر أو في تركيا أو غيرها من البلاد الإسلاميّة مزخرفة بالذهب والفضّة، وكذلك مسجد رسول الله في المدينة المنوّرة وبيت الله الحرام في مكّة المكرّمة الذي يُكسى في كلّ عام بحلّة ذهبيّة جديدة يصرف فيها الملايين، فليس ذلك منحصراً بالشيعة».

قال الدكتور: «إنّ علماء السعوديّة يقولون: إنّ التمسّح بالقبور ودعوة الصالحين والتبرّك بهم شركٌ بالله، فما هو رأيكم؟»، فأجاب السيّد الصدر﵀: «إذا كان التمسّح بالقبور ودعوة أصحابها بنيّة أنّهم يضرّون وينفعون، فهذا شركٌ لا شكّ فيه. وإنّما المسلمون موحّدون ويعلمون أنّ الله وحده هو الضارّ والنافع، وإنّما يدعون الأولياء والأئمّة﵈ ليكونوا وسيلتهم إليه سبحانه وهذا ليس بشرك، والمسلمون سنّة وشيعة متّفقون على ذلك من زمن الرسول إلى هذا اليوم، عدا الوهابيّة وهم علماء السعودية الذين ذكرت والذين خالفوا إجماع المسلمين بمذهبهم الجديد الذي ظهر في هذا القرن، وقد فتنوا المسلمين بهذا الاعتقاد وكفّروهم وأباحوا دماءهم، فهم يضربون الشيوخ من حجّاج بيت الله الحرام لمجرّد قول أحدهم: (السلام عليك يا رسول الله)، ولا يتركون أحداً يتمسّح على ضريحه الطاهر، وقد كان لهم مع علمائنا مناظرات، ولكنّهم أصرّوا على العناد واستكبروا استكباراً.

فإنّ السيّد شرف الدين من علماء الشيعة لمّا حجّ بيت الله الحرام في زمن عبد العزيز آل سعود[1]، كان من جملة العلماء المدعوّين إلى قصر الملك لتهنئته بعيد الأضحى كما جرت العادة هناك، ولمّا وصل الدور إليه وصافح الملك قدّم إليه هديّة وكانت مصحفاً ملفوفاً في جلد، فأخذه الملك وقبّله ووضعه على جبهته تعظيماً له وتشريفاً، فقال له السيّد شرف الدين عندئذ: أيّها الملك، لماذا تقبّل الجلد وتعظّمه وهو جلد ماعز؟ أجاب الملك: أنا قصدت القرآن الكريم الذي بداخله ولم أقصد تعظيم الجلد! فقال السيّد شرف الدين عند ذلك: أحسنت أيّها الملك، فكذلك نفعل نحن عندما نقبّل شبّاك الحجرة النبويّة أو بابها، فنحن نعلم أنّه حديدٌ لا يضرّ ولا ينفع، ولكنّنا نقصد ما وراء الحديد وما وراء الأخشاب، نحن نقصد بذلك تعظيم رسول الله ﷺ كما قصدت أنت القرآن بتقبيلك جلد الماعز الذي يغلّفه. فكبّر الحاضرون إعجاباً له وقالوا: صدقت.

---

(١) القصّة التي يوردها السيّد الصدر﵀ مشهورة، ولكنّ نسبتها إلى السيّد شرف الدين﵀ باطلة بلا إشكال، فإنّ السيّد عبد الحسين شرف الدين﵀ حجّ سنة ١٣٤٠هـ في زمن الملك حسين ولم يحجّ مرّة أخرى في زمن آل سعود، فلعلّها وقعت مع شخص آخر.

واضطرّ الملك وقتها إلى السماح للحجّاج أن يتبرّكوا بآثار الرسول حتّى جاء الذي بعده فعاد إلى القرار الأوّل.

فالقضيّة ليست خوفهم أن يشرك الناس بالله، بقدر ما هي قضيّة سياسيّة قامت على مخالفة المسلمين وقتلهم لتدعيم ملكهم وسلطتهم على المسلمين، والتاريخ أكبر شاهد على ما فعلوه في أمّة محمّد».

وسأله الدكتور عن الطرق الصوفيّة فأجابه السيّد الصدر رحمه الله بإيجاز: «**إنّ فيها ما هو إيجابي وفيها ما هو سلبي، فالإيجابي منها تربية النفس وحملها على شظف العيش والزهد في ملذّات الدنيا الفانية، والسموّ بها إلى عالم الأرواح الزكيّة. أمّا السلبي منها، فهو الانزواء والهروب من واقع الحياة وحصر ذكر الله في الأعداد اللفظيّة وغير ذلك، والإسلام ـ كما هو معلوم ـ يقرّ الإيجابيّات ويطرح السلبيّات، ويحقّ لنا أن نقول إنّ مبادئ الإسلام وتعاليمه كلّها إيجابيّة**»[1].

وبعد ثلاث سنوات من الدراسة رجع الدكتور التيجاني إلى النجف ليعلن تشيّعه على يدي السيّد الصدر رحمه الله الذي وصفه بـ(بذرة التشيّع في تونس). وصار الدكتور التيجاني يزور السيّد الصدر رحمه الله كلّ سنة، وراح الأخير يرسل الكتب إلى تونس حتّى تكوّنت مكتبة أسميت (مكتبة أهل البيت عليهم السلام).

وذات مرّة حكى السيّد الصدر رحمه الله لجلسائه وبحضور الدكتور التيجاني كيف بكى للرسالة التي أرسلها الدكتور إليه وذكر له فيها أنّهم احتفلوا بعيد الغدير، وقال رحمه الله: «**الحمد لله الذي جعل لنا إخوةً في تونس يحملون مشاعرنا ويعتقدون عقيدتنا**».

ودخل عليه الدكتور ذات مرّة فقام يستقبله، فأسرع الدكتور ليقبّل يده فامتنع فقال: «**سيّدي ما ينبغي لعالم جليل مثلكم أن يقوم لحقير مثلي**»، فقال: «**أستغفر الله ... يجب أن يكون العلماء كالأشجار المثمرة، كلّما ازدادت ثماراً ثقلت أغصانها وتدلّت إلى الأرض، فكلّما ازداد العالم علماً ازداد تواضعاً وقرباً من الناس**»[2].

وقد سأله الدكتور عن الدرجة العلميّة التي أحرزها فأجاب بتواضع: «**أنا مثلكم طالب علم.. أنسيتم حديث الرسول صلى الله عليه وآله: (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)**»[3].

وشكا الدكتور إليه مرّة في إحدى رسائله ما يلقاه من عناد المتعصّبين وإيذائهم إيّاه، فأجابه في رسالة منه وأمره بالصبر والثبات ولين الجانب وتوخّي سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله عندما قال للمشركين ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ**﴾[4]، **مع أنّه صلى الله عليه وآله يعلم أنّه على هدى وهم على ضلالة،** ولكنّ أسلوب الدعوة اقتضى ذلك[5].

بحث (الحوالة)

في ١/رمضان/١٣٩٠هـ (١٩٧٠/١١/٢م) شرع السيّد الصدر رحمه الله في تدريس بحث (الحوالة) بعنوان

---

(١) ثمّ اهتديت: ٦١ ـ ٦٩ ؛ مناظرات في العقائد والأحكام ٢: ١٥٦ ـ ١٦١.

(٢) نظير قول الشاعر: «ملأى السنابل تنحني بتواضعٍ * * * والفارغات رؤوسهنّ شوامخُ».

(٣) لم نعثر عليه إلاّ في: كشف الظنون ١: ٧٨.

(٤) سبأ: ٢٤.

(٥) مذكرّات الدكتور محمّد التيجاني (حفظه الله).

(درس تعطيلي)[١].

مع السيّد عبد الله شرف الدين حول (بغية الراغبين)

في هذا العام[٢] كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد عبد الله نجل السيّد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله الرسالة التالية:

«بسمه تعالى

ابن العم المعظّم العلاّمة الجليل السيّد عبد الله شرف الدين متّعنا الله بوجوده الشريف.

السلام عليكم زنة شوقي إليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت رسالتكم الكريمة قبل برهة من الزمن، وعقيب تسلّمها كتبت رسالة إليكم شاكراً لكم اهتمامكم البليغ بتراث سيّدنا الإمام المقدّس والدكم رضوان الله عليه وواعداً بإنجاز ما يتيسّر ممّا طلبتم، والآن تجدون مع هذه السطور:

أوّلاً: ترجمة للسيّد الوالد بقلم المرحوم الحجّة الشيخ محمّد تقي الصادق وقد نشرت في مجلة الغري بتوقيع (م)، وهي الترجمة التي طلبتم إرسالها إليكم.

ثانياً: ترجمة للمرحوم السيّد الأخ أبي حيدر رضوان الله عليه[٣] تشتمل على تاريخ الولادة والوفاة وصورة إجماليّة عن حياته مع قائمة بمؤلّفاته وأسماء أساتذته وأولاده.

ثالثاً: بحثاً للأستاذ الكاتب الأردني المعروف أكرم زعيتر حول كتاب فلسفتنا نشره في جريدة الحياة في حينه.

رابعاً: بحثاً للأستاذ الدكتور عبد الستار الجواري وزير التربية والتعليم في العراق فعلاً وهو أيضاً حول كتاب فلسفتنا.

وحتّى الآن لم نحصل على تاريخ وفاة السيّد حسين الفشاركي، وقد كلّفت من يسأل من بعض علماء كرمنشاه، وحينما أحصل على شيء بهذا الشأن أكتب إليكم.

والسلام عليكم وعلى من حولكم من الأعزّاء والأرحام ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٤].

أمّا ترجمة السيّد إسماعيل الصدر التي يتحدّث عنها فهي ما يلي:

«ترجمة السيّد إسماعيل الصدر

رضوان الله عليه

كان رحمه الله آيةً في الذكاء والفطنة وحضور الذهن وسرعة الانتقال، ومن الأفذاذ في خلقه وتواضعه وطيب نفسه وطهارة روحه ونقاء ضميره وامتلاء قلبه بالخير والحبّ لجميع الناس. رافقته أكثر من ثلاثين سنة كما يرافق الابن أباه والتلميذ أستاذه والصديق صديقه والأخ أخاه في النسب وأخاه في الآمال والآلام وفي العلم والسلوك فلم أزدد إلاّ إيماناً بنفسه الكبيرة وقلبه العظيم الذي وسع الناس جميعاً بحبّه، ولكنّه لم يستطع أن يسع الهموم الكبيرة التي كان الفقيد يعيشها من أجل دينه وعقيدته ورسالته فسكت هذا القلب

---

(١) مجلّة فقه أهل البيت عليهم السلام، العدد (١٤، ١٥، ١٦) وتكراراً في العدد (٢٠).

(٢) كتبت الرسالة بعد عامين من وفاة السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله كما يأتي في ترجمته.

(٣) يقصد السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله.

(٤) انظر الوثيقة رقم (١٣٢).

الكبير في وقت مبكر.

كنت أراه وهو في قمّة شبابه منكبّاً على التحصيل والعلم، لا يعرف طعم النوم في الليل إلاّ سويعات، ولا شيئاً من الراحة في النهار، مكدوداً باستمرار متنامياً باتّصال، يزداد علماً يوماً بعد يوم، وهو إلى جانب ذلك [مكدودٌ] في العبادة والالتزامات الدينيّة التي تنمّيه روحيّاً ونفسيّاً، والتي وصل بسببها في السنوات الأخيرة من إقامته في النجف الأشرف إلى درجة عالية من الصفاء والروحانيّة. ولا أزال أذكر مرّة كنت أمشي فيها معه فبادرني مخبراً بأنّ حادثة معيّنة سوف تقع عندما نصل إلى النقطة الفلانيّة من الطريق وقد وقعت بالفعل كما أخبر دون أيّ ترقّب مسبق، وأنا أقدّر أنّ المرحوم كانت له في تلك الفترة من هذه الانفتاحات الروحيّة الشيء الكثير.

ولد‌رحمه الله في الكاظميّة سنة ١٣٤٠ في شهر رمضان وترعرع في كنف والده وقرأ بعض المقدّمات عليه وقرأ السطوح على جماعة كعمّه الإمام السيّد محمّد جواد الصدر والحجّة الميرزا علي الزنجاني، وبعد أن أكمل السطوح تأهّب للهجرة إلى النجف وقد بلغ درجة عالية من الفضل أكبر نسبيّاً بكثير من مستوى دراسة السطوح لما يتمتّع به من ذكاء ونبوغ وجدّ.

ولا أنسى أنّه ألّف قبل هجرته إلى النجف رسالة في طهارة أهل الكتاب ورسالة في حكم القبلة للمتحيّر وهما رسالتان لا تزالان بخطّه حتّى الآن، وهما تدلاّن على نضج علميٍّ ودقّة واستيعاب لا يصل إليه عادة إلاّ من طوى مرحلة من بحث الخارج بجدّ وكفاءة، وقد اطّلع وقتئذ على الرسالتين أو على الأولى منهما فقيه آل يس آية الله الشيخ محمّد رضا آل يس فأعجب بما اطّلع عليه، وذكر أنّ هذا بوادر الاجتهاد.

وحينما هاجر إلى النجف الأشرف حضر بحث فقيه آل يس‌قدس‌سره وأبحاث آيات الله الشيخ محمّد كاظم الشيرازي والسيّد محسن الحكيم والسيّد عبد الهادي الشيرازي والسيّد أبو القاسم الخوئي والشيخ مرتضى آل يس، وقد أجيز بإجازة الاجتهاد من آية الله السيّد عبد الهادي الشيرازي وآية الله الشيخ مرتضى آل يس، وكتب آية الله الحكيم بشأنه في جواب جماعة يسألونه عن حاكم شرعي يرجعون إليه في مرافعاتهم يشهد بأنّه حاكمٌ شرعيٌّ نافذ الحكم.

وقد تمخّض عن نتاج فقهيٍّ جليل في تلك الفترة وهو كتابة شرح استدلالي موسّع لكتاب بلغة الراغبين في فقه آل يس، وهو الرسالة العمليّة لآية الله الإمام الشيخ محمّد رضا آل يس، وقد شرح المرحوم هذا المتن الفقهي في عدّة مجلّدات تربو على آلاف الصفحات وهو شرحٌ يدلّ على مرتبة عالية من الاجتهاد والفقاهة وسعة الاطّلاع وحدّة الذكاء.

وقد شرع‌قدس‌سره في تدريس الخارج وحضر عليه جماعة من الطلبة نصف دورة كاملة من الأصول الخارج، وقد انقطع تدريسه هذا بهجرته إلى الكاظميّة حوالي سنة ١٣٨٠ حيث أصبح هناك محوراً للعلم والدين ومركزاً لزعامتها الدينيّة، وقد بدأ في الكاظميّة ببحث في التفسير كان يحضره أكثر من مائة من الجامعيّين والمثقّفين، إضافةً إلى تدريساته الأخرى في الفقه والأصول لعدد من علماء المنطقة في الكاظميّة وبغداد. وقد ازدهرت الحياة العلميّة وأساليب العمل الديني والتبليغ على يده ازدهاراً كبيراً. وكان‌رحمه الله يعطي باستمرار لخطّ عمله من روحه وقلبه وجهده ويكلّف نفسه فوق ما تكلّف عادة، فهو المتهجّد والمتعبّد الذي يقبل على عبادته إقبالاً عظيماً، وهو المدرّس الذي يبذل من الجهد في تدريسه الشيء الكثير، وهو المسؤول الديني الذي يمارس مسؤوليّاته ويتفاعل معها بكلّ وجدانه وهمّته. كان ـ علم الله ـ في عناء مستمرّ، ورغم كلّ الأتعاب والجهود كان من أحسن خلق الله استقبالاً للناس ومن أوسعهم صدراً في المعاملة معهم، حتّى اختار الله له جواره قبل سنتين في ستّة ذي الحجّة.

خلّف عدداً كبيراً من المؤلّفات التي تمثّل بمجموعها تركة علميّة من أنفس التركات، وهي كما يلي:

١ ـ شرحٌ فقهيٌّ استدلاليٌّ موسّع لكتاب بلغة الراغبين يحتوي على عدّة مجلّدات وهو أهمّ إنتاج علميٍّ للمرحوم.
٢ ـ تعليقة على الكفاية في الأصول ضمّنها آراءه ومناقشاته بصورة موسّعة.
٣ ـ تعليقة عمليّة على العروة الوثقى مع إشارات إجماليّة إلى الدليل أحياناً.
٤ ـ تعليقة على كتاب التشريع الجنائي الإسلامي لعبد القادر عودة قام فيها بإبراز رأي الفقه الجعفري في المسائل التي تعرّض لها الكتاب، طبع منها الجزء الأول.
٥ ـ محاضرات في تفسير القرآن طبع منها الجزء الأول.
٦ ـ شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين.
٧ ـ تقريرات السيّد الخوئي في الأصول.
٨ ـ تقريرات السيّد الخوئي في الطهارة.
٩ ـ تقريرات السيّد الخوئي في المكاسب.
١٠ ـ رسالة في قاعدة الفراغ والتجاوز.
١١ ـ شرح لكتاب النكاح من العروة الوثقى.
١٢ ـ تعليقة على الجزء الثاني من شرح اللمعة.
١٣ ـ رسالة في حكم التزاحم بين الحج والنذر.
١٤ ـ رسالة في تشخيص المدّعي والمنكر.
١٥ ـ رسالة في بيع الصبي وأحكامه.
١٦ ـ رسالة في أسباب اختلاف المجتهدين.
١٧ ـ مستدرك الأعيان، يحتوي على ملاحظات على كتاب أعيان الشيعة.
١٨ ـ تعليقة عمليّة على رسالة بلغة الراغبين.
١٩ ـ تقرير البحث الفقهي للإمام الفقيد الشيخ محمّد رضا آل يس.
٢٠ ـ فوائد في الفقه والأصول.
٢١ ـ فصل الخطاب في حكم أهل الكتاب.
٢٢ ـ رسالة في معنى العدالة وأخرى في حدّ الترخّص للمسافر.
٢٣ ـ رسالة في قبلة المتحيّر.
٢٤ ـ رسالة في صلاة الجمعة.
٢٥ ـ رسالة في اللباس المشكوك.
٢٦ ـ رسالة علميّة في فروع العلم الإجمالي.

وللمرحوم ولدان وبنت، والولدان هما السيّد حيدر الصدر والسيد حسين الصدر الذي أقام صلاة الجماعة في صحن الإمامين الكاظمين بعد والده، والبنت هي زوجة السيّد حسين [ابن] السيّد محمّد هادي الصدر[1]»[2].

---

(١) تزوّج السيّد إسماعيل الصدر رحمه الله من حوراء ابنة عمّه السيّد محمّد جواد رحمه الله (وهي ابنة خالته أيضاً كما تقدّم)، وولد له منها السيّد حيدر (ولد ٢١/محرّم/١٣٦٨هـ) والسيّد حسين (ولد ٢٧/ربيع الثاني/١٣٧١هـ) وحنان. وقد تزوّج السيّد حسين من (مرام) ابنة السيّد الصدر رحمه الله، وتزوّج من (حنان) السيّدُ حسين هادي الصدر.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٣٣). ويضاف إلى مؤلّفاته ما ورد في مصدر آخر: ١ ـ الأخلاق ودورها في الحياة. ٢ ـ رسالة في تشخيص المدّعي والمنكر. ٣ ـ الطهارة (موسوعة مؤلّفي الإماميّة ٦: ٤٦٥، ٤٦٧).

السيّد الصدر﵀ يباشر الإعداد العسكري

كان السيّد الصدر﵀ يرى ضرورة وأهميّة العمل العسكري والجهادي بعد أن تستنفذ الوسائل السلميّة قدرتها على الإقناع في ظلّ الأنظمة المستبدّة الظالمة. وقد باشر ذلك على الصعيد العملي ولو بشكل محدود في السنوات الأخيرة من عمره الشريف، وكان يقول ما معناه: «**إنّ هذا النظام قضى على كلّ مظاهر الحرّية في العراق بالحديد والنار، فلا بدّ من مقارعته بالقوّة**».

وقد طلب من أحد الأوفياء المقرّبين منه أن يباشر عمليّة الإعداد لهذا العمل بإقامة معسكرات بسيطة وسريّة للتدريب على السلاح، وكان ذلك على ما يتذكّر الشيخ محمّد رضا النعماني في حدود عام ١٩٧٠م[1].

وكان السيّد الصدر﵀ يقول: «**علينا أن نشكّل خلايا ومجاميع مسلّحة، ولكن هذه المجاميع يجب أن لا يعرف أحدها بالآخر**». وكان يوصي باغتيال المسؤولين البعثيّين واغتيال الشخصيّات البعثيّة حتّى يُمكن من خلال هذه العمليّات تحطيم حاجز الخوف من أجل أن يتحرّك الشعب العراقي[2].

كما أفتى بالوجوب الكفائي للكفاح المسلّح، وأصدر فتاوى متعدّدة في الموافقة على صرف الحقوق الشرعيّة في مجال الكفاح المسلّح[3].

كما أوصى المؤمنين بشراء السلاح والاحتفاظ به للحاجة[4].

وقد ذكر السيّد الصدر﵀ للسيّد محمّد باقر المهري أنّه اتّفق مع أحد مهندسي الطيران المؤمنين المرتبطين بمرجعيّته ممّن كان يرافق صدّام حسين أن يحدث خللاً في الطائرة بحيث تسقط بصدّام ومن معه وبالمهندس نفسه.

ولكنّ هذه المحاولة كُشفت وتمّ إعدام المهندس فوراً ولم يسافر صدّام بالطائرة، فتخوّف السيّد المهري من الاعتراف على السيّد فقال له: «**لا تخف فإنّ الشخص أمين ولا يعترف**»[5].

وكالة إلى الشيخ علي كوراني

في هذه الفترة تقريباً، كتب السيّد الصدر﵀ إلى الشيخ علي كوراني يقول:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم لا عدمتك

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تسلّمتُ أيّها العزيز رسالتك الكريمة وحمدت الله سبحانه على السلامة والعافية ما أكّدتم من ارتياح بالنسبة إلى وضعكم ونشاطكم، وإن آلمني بعض الضيق المالي الذي جعلك مديناً بـ ٤٠٠ دينار، ولكنّه ألم يشعر به أهلك في نفس الوقت بالفخر، وقد كان وضعك المالي واحداً من همومي العديدة بعد وفاة المرحوم

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ٥٢.

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٢٤٥)، ٢٩/رجب/١٤٠٦هـ نقلاً عن السيّد محمّد باقر المهري.

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٢٤٥)، ٢٩/رجب/١٤٠٦هـ نقلاً عن السيّد عبد العزيز الحكيم.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، ١٩/رجب/١٤٠٥هـ نقلاً عن الشيخ المولى.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، ١٩/رجب/١٤٠٥هـ نقلاً عن السيّد محمّد باقر المهري.

السيّد قدّس سرّه[١] لأنّي أعرف وضعك والتزامك وترفّعك. وأنا معك في عدم الالتزام بقبول مرتّب شهري من أولئك الذين عرضوا عليك شيئاً من هذا القبيل.

بالنسبة إلى ما طلبته منّي، فأنتم مجازون من قبلي في صرف مائة دينار كويتي شهريّاً لحاجتكم الشخصيّة ولا حاجة إلى عقد الإجازة، كما أنّكم مجازون من قبلي أيضاً في الاستقرار بمساعدة الأخوين العزيزين الشيخ حسين والشيخ عبّاس[٢] بالنحو الذي كنتم عليه، وما زاد على ذلك من النصف تراجعوني فيه أو في كيفيّة صرفه.

وبالنسبة إلى تعليقة على المنهاج سوف أحاول إرسالها إليكم في أقرب وقت لأنّ المشكلة هي مشكلة الاستنساخ الذي أخذ وقتاً كثيراً.

وأنتم مجازون من قبلي في إجراء المصالحات على الخمس وفي النقل إلى الذمّة وفي التأجيل على ذلك حسب الكبريات المقرّرة في نظرنا، وكذلك أنتم مجازون في رعاية أموال القاصرين بالتي هي أحسن ورعاية ما يرجع أمر رعايته إلى الحاكم الشرعي من الأوقاف التي تدخل في نطاق عملكم هناك.

أمّا أسماء الأشخاص الذين يحقّقون مشروع الحاج أحمد يوسف البهبهاني، فهناك عاملٌ جديدٌ يتحكّم في اختيارهم بعد وفاة السيّد الحكيم، وهو أنّ جملة من الطلاّب كانوا يمارسون العلميّة في الخميس والجمعة وكان هذا يكلّفهم نفقات يقع بعض هؤلاء في ضيق من ناحية تغطية هذه النفقات، الأمر الذي يجعل مساعدتهم أمراً مهمّاً. وعلى أيّ حال فالأشخاص هم كما يلي:

١ ـ الشيخ حسين بشري.

٢ ـ السيّد عبد الغني الأردبيلي.

٣ ـ الشيخ مهدي على أكبر.

٤ ـ السيّد محمد علي الحائري.

٥ ـ السيّد كاظم الشيرازي الذي يتعرّض إلى بعض الضغوط الماليّة الاستثنائيّة نتيجة لاتّجاه بعض الجهات إلى فرض بعض المواقف واستخدام التهديد بقطع الرزق في فرض تلك المواقف.

وبالنسبة إلى العشرين ديناراً: عندي الآن في ذهني أسماء عديدة ولا بدّ أن أفكّر أكثر لكي أستقرَّ على اسمين، وقد استقر على أربعة بأن يقسم المبلغ عليهم تباعاً. وعلى أيّ حال، فلا بأس أن تبعثوا هذه العشرين أيضاً وأنا خلال ذلك أحدّد مصارفها وأكتب إليكم بالتفصيل.

والسلام عليكم ورحمة الله أوّلاً وآخراً وأستودعكم الله، إنّه أرحم الراحمين.

محمّد باقر الصدر

هذه الرسالة سوف تصلكم إن شاء الله تعالى مع العزيز الماجد الشيخ حسين موزان، وهو ممّن يهمّني أمره لوعيه وإخلاصه ودينه، فأرجو الاهتمام بشأنه ومساعدته ماليّاً من أجل إنقاذه من مشكلة يواجهها الآن نتيجةً لبعض التعقيدات في أوضاعه العائليّة.

التحويل للمبلغ إذا كان على يد الشيخ نصر الله فليكن المحوّل هو الحاج حمزة والحاج أحمد»[٣].

مشروع تنظيم الأسئلة الواردة على السيّد الصدر رحمه الله

في هذه الفترة تقريباً[١] ذكر السيّد الصدر رحمه الله لطلاّبه أنّه يرغب في تدوين ما يصل إليه من أسئلة

---

(١) يقصد السيّد محسن الحكيم رحمه الله.

(٢) يقصد الشيخين حسين وعبّاس كوراني.

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٣٤).

واستفتاءات والاحتفاظ بنسخة عنها، فإذا أجاب عن سؤال واحتفظ به ثمّ ورد نظيره لما احتاج إلى الجواب عنه شخصياً. وطلب التفكير في آليّة تحقّق ذلك.

وقد اقترح السيّد نور الدين الإشكوري آليّةً أضحكت رفاقه، إلاّ أنّ السيّد الصدر طلب منه تنفيذها ليرى مدى جدواها.

وعلى إثر ذلك اشترى السيّد الإشكوري عشرة دفاتر أو اثني عشر دفتراً من الحجم الكبير وخصّ كلّ باب من أبواب الفقه بمقدار من الصفحات، فإذا ورد الاستفتاء يتمّ فرزه مباشرةً إلى الباب الذي ينتمي إليه، ووضع لذلك فهرساً يسهّل المراجعة.

وكان أوّل المتكفّلين بتدوين الاستفتاءات هو السيّد محمّد علي الباقري، ثمّ تبعه السيّد محمّد الغروي[٢].

وفي مرحلة لاحقة بدأ الشيخ محمّد رضا النعماني بمشروع كتابة وتنظيم أجوبة السيّد الصدر عن الأسئلة التي ترد عليه، سواء في مجلسه اليومي في بيته من قبل المراجعين، أو عن طريق الرسائل التي ترسل إليه. وكان يسعى إلى كتابة أغرب وأهمّ تلك الأسئلة على أمل طباعتها في المستقبل[٣]. وقد قام بعمل مشابه السيّد محمود الخطيب، حيث جمع باقةً من أفضل الاستفتاءات واحتفظ بها بهدف نشرها، وهي حتّى الآن مفقودة[٤].

يقول الشيخ النعماني: «**ورغم غرابة بعض الأسئلة أو اختلافها في العمق أو البساطة، فإنّ السيّد الشهيد كان يجيب عليها بالدقّة العلميّة المعروفة عنه، وبالوضوح المعهود منه، ولم أعهد السيّد الشهيد تلكّأ في جواب، أو حار في ردٍّ طيلة مرافقتي له.**

وكنتُ أعجب، بل تأخذني الدهشة وأنا أسمعه يجيب بإسهاب وتفصيل على أسئلة لا تخطر ببال بشر دون استعداد أو تحضير.

وكنتُ أنظر إلى مكتبته الخاصّة فتتعمّق حيرتي وتزداد دهشتي: لأنّها مكتبة متواضعة صغيرة ومحدودة لا تتناسب مع مستوى صاحبها، حتّى كان يستعين في بعض الأحيان بمكتبة قريبة من بيته هي مكتبة الحسينيّة الشوشتريّة لمراجعة بعض المصادر فيها لأنّ مكتبته فقيرة لمعظم المصادر الكبيرة والمهمّة.

فإذن كيف استطاع أن يمتلك كلّ هذا الرصيد العلمي الهائل والمعرفة الشاملة وهو لا يمتلك ما يمكن أن نعتبره ـ الرصيد المادّي للمعرفة ـ المتمثّل بالكتاب.

وفي يومٍ من الأيّام حرّضني الانبهار لاكتشاف هذا الأمر فسألته عنه، فقلت له: سيّدي، إن هذه الكتب

---

(١) ذكر الشيخ النعماني أنّ ذلك كان في السنوات الأخيرة من عمره، وكان ذلك خلال تواجد السيّد الإشكوري والسيّد محمّد الغروي في العراق. إضافةً إلى أنّ السيّد الغروي ذكر لي أنّهم قد (بيّضوا) الجواب الذي أرسله السيّد الصدر إلى الشيخ محمّد مهدي شمس الدين ضمن الدفاتر المعدّة لتدوين الاستفتاءات، وهو يرجع إلى سنة ١٩٧١م.

(٢) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٧م ؛ مقابلة مع السيّد نور الدين الإشكوري ؛ وذكره لي إجمالاً السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٥م، ثمّ بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٣١م ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٤) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٧م.

التي أراها لا تقوى على إثراء أحد من العلماء للإجابة على كلّ هذه الأسئلة المعقّدة والمتنوّعة، فكيف يتسنّى لكم الإجابة على كلّ هذه الأسئلة المختلفة في موضوعاتها ومستوياتها، والتي بعضها لا يخطر على بال؟

فقال: وأنا أعجب من ذلك في بعض الأحيان، فحينما يبدأ السائل بسؤاله قد لا يحضرني الجواب حتّى اللحظات الأخيرة من سؤاله، ولكن ما إن ينتهي حتّى يحضر الجواب أمامي وكأنّي قد أعددته قبل ذلك»[١]، «إنّ الله سبحانه وتعالى يلهمني الجواب المناسب في الساعات الحرجة، وهذا من توفيق الله»[٢].

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٠٥ ـ ١٠٦.

(٢) صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢)، في حديثٍ مع الشيخ محمّد رضا النعماني. وتحسن هنا الإشارة إلى مجموعة من الاستفتاءات المتوفّرة:

استفتاءات مدوّنة في بعض المطبوعات

س: «موجّه لسماحة السيّد الصدر. بعد السلام والتحيّة، أفتونا دام فضلكم في هذا الجبن المعلّب المستورد من البلدان غير الإسلاميّة، وهل صحيحٌ ما يشاع من أنّ ممثّلاً لسماحتكم بحث علميّاً الأجزاء الداخلة في تركيب جبنة (كرافت)؟».

ج: «بسم الله الرحمن الرحيم. بعد السلام عليكم والدعاء لكم..

نعم، قد ثبت لدينا أنّ جبنة كرافت مشتملة على الحرام، وأمّا غيرها من أقسام الجبن المعلّب فالأصل فيها الحليّة إن لم يثبت اشتمالها على الحرام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمّد باقر الصدر» (منية السائل: ١٧٩).

س: سأل الشيخ يوسف عمرو السيّد الصدر رحمه الله عن عقيدة (الرجعة).

ج: فأجابه رحمه الله بأنّ هناك خمسين رواية صحيحة السند واردة عن أهل البيت عليهم السلام تؤكّد هذه العقيدة (التذكرة أو مذكّرات قاض: ٣٢٥).

م: إعدام القاتل يتمّ بضرب عنقه بالسيف، والسيف هو الآلة الوحيدة التي تستخدم في تنفيذ حكم الإعدام (القصاص)، ولا يجوز استعمال غيره من الآلات الأخرى كالمشنقة أو الرمي بالرصاص أو الكرسي الكهربائي وغيرها (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ٨٦).

س: هل يجوز استيفاء القصاص في جريمة الاعتداء على ما دون النفس عمداً بواسطة جرّاح أخصّائي، وباستخدام التخدير والأدوات الجراحيّة الحديثة؟

ج: لا يبعد جوازه (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٦١).

س: هل يجوز إجهاش الجنين إذا شكّل خطراً حقيقيّاً على حياة أمّه أو صحّتها العامّة؟

ج: يجوز ذلك قبل ولوج الروح، وأمّا بعد ولوج الروح فيجوز إذا توقّف إنقاذ حياة الأمّ على ذلك (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٧٤ ـ ١٧٥).

س: هل يجوز إجهاض الجنين خشية انتقال الأمراض الوراثيّة إليه؟

ج: لا يجوز (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٧٥).

س: هل يجوز إجهاض الجنين إذا ثبت تشوّهه خلقيّاً أو قصوره عقليّاً؟

ج: فيه إشكال ولا يترك الاحتياط (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٧٥).

س: إذا قامت الأم بإسقاط جنينها ـ قبل ولوج الروح ـ عمداً، فهل تجب عليها الديّة؟ وإذا تمّ الإجهاض بالاتّفاق مع الأب، فهل تجب الديّة عليهما معاً؟

ج: الديّة على من يباشر الإجهاض باختياره (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٧٥).

س: ما هي عقوبة الطبيب الذي يباشر إسقاط الجنين ـ قبل ولوج الروح ـ بطلبٍ من أمّه؟

ج: عليه الديّة (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٧٦).
س: ما هي عقوبة نفس الطبيب إذا باشر الإسقاط بعد ولوج الروح؟
ج: عليه في هذه الحالة الديّة كاملة، وهي ألف دينار شرعي (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٧٦).
س: هل يجوز للزوجين استخدام موانع الحمل المختلفة لغرض تحديد نسلهما أو تنظيمه؟ وإذا جاز، فهل يشترط اتّفاقهما على ذلك أم يكفي قبول أحدهما دون الآخر؟
ج: يجوز ذلك ولا يجب على من يستعمل المانع الاستئذان من الآخر (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٨٤ ـ ١٨٥).
س: هل يشترط توفّر مبرّرات خاصّة تسوّغ لهما منع الحمل لتحديد نسلهما أو تنظيمه؟ وهل يعتبر خوف العجز عن الإنفاق على الأولاد وتزاحم حاجات الحياة وضيق موارد الرزق مبرّراً لتحديده؟ أم أنّه من باب سوء الظنّ بالخالق تعالى كما يذهب إليه البعض؟
ج: بل يجوز مطلقاً، ولا موضوع هنا لسوء الظن بالخالق (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ١٨٥).
م: إذا سرق أدوات اللهو الحرام لغرض بيعها ـ لا إتلافها ـ واستثمار ثمنها، فيجب ترتيب حكم السرقة عليه «إذا كانت قيمة المادّة ـ بقطع النظر عن الصورة ـ تساوي القدر المحدّد شرعاً للحدّ الأدنى للمال المسروق ما لم يفرض جواز السرقة في مورد لملاك ثانوي» (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ٢١٤ ـ ٢١٥).
س: هل هناك مانعٌ شرعيٌّ من استخدام وسائل الطب والجراحة الحديثة كالتخدير مثلاً في إقامة الحدّ، وبتعبير آخر: هل يجوز إجراء عمليّة جراحيّة لقطع يد السارق وعلى يد طبيب جرّاحٍ في المستشفى؟
ج: لا يبعد جوازه (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ٢٢٤).
م: الحشيشة وما كان من قبيلها يعتبر من المسكر، وهي تتّصف بنفس صفة الكحول من حيث خرق جدار المعدة والذهاب رأساً إلى المخ، فتطبق عليها عقوبة المسكر. وأمّا المخدّرات غير المسكرات فيحرم ما كان مضرّاً منها، وعقوبتها التعزير (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ٣٧٧).
س: هل يجوز تناول المسكرات لغرض التداوي إذا قرّر الطبيب ذلك؟
ج: يجوز ذلك بقدر الضرورة إذا توفّر شرطان: **الأوّل:** انحصار الدواء به بحسب خبرة الأطبّاء الذين يتيسّر للمريض مراجعتهم. **الثاني:** أن يخشى من تلف النفس على تقدير عدم التداوي (دفاع عن موقف الإسلام من الجريمة والعقاب: ٣٩٦).
م: وكان السيّد الصدر﵀ يقول بجواز الموسيقى التصويريّة، ولكنّه يفسّرها بما مضمونه: أنّها ما يكون صوتها مشابهاً لصوت شيء من الطبيعة، كصوت العاصفة أو نزول المطر أو تغريد البلبل أو غير ذلك، وكان يقول: إنّك حين تسمعها فكأنّك تسمعُ عاصفةً أو صوت منزول المطر، وهذا جائزٌ شرعاً (ما وراء الفقه ٣: ٩٤). ويعبّر الشهيد محمّد الصدر﵀ عن السيّد الصدر﵀ بـ(بعض أساتذتنا) كما يظهر.
م: وكان السيّد الصدر﵀ يرى أنّ النرد لعبة قديمة ومجهولة الهويّة في زماننا الحاضر، وهي منهيٌّ عنها في السنّة الشريفة، ومردّدة بين أن تكون هي (الطاولي) وبين (الدومنة)، ومن هنا كان يفتي بحرمة كلتا اللعبتين بصفتهما مصداقاً محتملاً للنرد (ما وراء الفقه ٣: ١٧١) حيث ورد التعبير بـ(بعض أساتذتنا).
م: لم يكن السيّد الصدر﵀ يرى حرمة لعب (الورق) بالعنوان الأوّلي والأصلي، ومن هنا كان ينهى عن لعبه بالولاية لا بالفتوى (ما وراء الفقه ٣: ١٧٢) حيث ورد التعبير بـ(بعض أساتذتنا).
م: وكان﵀ لا يلتزم بعدم حجيّة قول الفقيه الميت، ولكنّه كان يفتي بذلك بالعنوان الثانوي حيث كان يرى لزوم تقويض الكيان المرجعي في حال تقليد الميت ابتداءً (انظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٢٢٦ نقلاً عمّن نقله عن السيّد كاظم الحائري).
م: نُقل عنه ـ مرسلاً ـ أنّه قال عن ضرب الهامات بالسيوف: «هذا أمرٌ لا يجوز» (تراجيديا كربلاء: ٤٥٩)، ولكن في الاستفتاءات ـ العربيّة ضمن المجموعة الثالثة وضمن المجموعة الفارسيّة ـ خلاف ذلك.
م: وذات يوم سأله شخصٌ بحضور الشيخ عفيف النابلسي عن جواز كشف المرأة أمام الطبيب الأجنبي من أجل إنجاب الأولاد، فأجاب بالجواز، فاعترض السيّد محمّد صادق الصدر﵀ [المقصود هو الشهيد﵀ على ما يبدو لا والده] بأنّ العقم

ليس مرضاً حتّى يجوز الكشف أمام الأجنبي، فأبدى السيّد تعجّبه من هذا الفهم وقال: «كيف تقولون ذلك؟! كيف تقولون ذلك؟! [كيف تقولون ذلك؟!]، أليس العقم مرضاً خطيراً والأم محتاجةٌ إلى الأولاد وهذه الحاجة طبيعيّة؟!»، ولم يعترض السيّد محمّد صادق رحمه الله على هذه الإجابة (خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٢١).

م: وقبل احتجاز السيّد الصدر رحمه الله بأسابيع التقى به السيّد حسن شبّر في حرم الإمام الحسين عليه السلام، فجاءه شابٌّ في مقتبل العمر وسأله: «هل يجوز الغشُّ في الامتحان؟»، فأجابه: «إذا كان الدرس أساسيّاً كالطب والهندسة فلا يجوز». (الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور جودت القزويني ٧: ١٦٨، نقلاً عن السيّد حسن شبّر بتاريخ ١٩٨٤/٣/٢٧م).

م: وسأله أحد تلامذته عن رجل يشتغل في دائرة حكوميّة بصفة مستخدم. وفي كلّ سنة يؤتى بصندوق خمر ويؤمر هذا المستخدم بحمله من الباب الخارجي إلى فوق، وهو مجبر على ذلك ويطرد إذا خالف، وقد لا يجد ما يعمله مع الفقر الذي يعيشه، فقال السيّد: «هل يوجد بين الناس مثل ذلك! لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم» (صحيفة لواء الصدر، العدد (١٦٩)، ١٤/محرّم/١٤٠٥هـ).

م: كان السيّد الصدر رحمه الله يرى أنّ لباس (البوشيّة) وفد من الفرس ولم يكن موجوداً في صدر الإسلام (الإمام محمّد باقر الصدر معايشة من قريب: ٩٠).

استفتاءات شفهيّة غير مدوّنة

م: سيأتي ضمن أحداث سنة ١٣٩٩هـ أنّه جوّز استعمال التلفاز بعد انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران بعد أن كان يحرّمه، وهو ما ذكره الشيخ عبد الحليم الزهيري.

م: ثمّ أشار الشيخ الزهيري إلى قصّة أحد وجهاء البصرة حين أتى السيّد الصدر رحمه الله وسأله عن تكليفه الشرعي وهو يسكن في منزل ابنه الذي عزم على شراء جهاز تلفاز، ولا يستمع إلى كلامه حول حرمة اقتنائه، فأجابه السيّد الصدر رحمه الله بتفاعله المعهود: «على المرء أن يُدرك نعمة الوالد، عندما يفقد الإنسان والده يندم على ما فعله، لماذا هكذا يفعلون؟! ...»، ثمّ قال له: «أليس باستطاعتك أن تسكن في منزل أحد آخر كنسيبك أو غيره؟! فأجابه ذلك الوجيه: «إنّ الشيخ خزعل أمير المنطقة الشرقيّة وشيخ العشيرة كان ماراً مع قومه بالقرب من راعي أغنام، فقال لأصحابه: (إنّني أحبّ أن أكون مثل هذا الراعي مرتاح البال) فقالوا له: (المسألة سهلة، ما عليك إلاّ أن تصبح مثله، تأتي بالأغنام وترعاها) فأجابهم: (هذا سهلٌ لو كنتُ خزيعلاً، ولكنّني خزعل، صعبٌ عليّ بعد أن كنتُ خزعلاً أن أصبح راعي أغنام)»، وقد أراد بذلك أن يقول إنّ من الصعب عليه أن يحلّ عند نسيبه وهو وجيهٌ من الوجهاء (تتمّة الحديث غير معلومة، أو أنّه توقّف هنا).

م: حدّثني الشيخ الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨م أنّه سأله عن حكم أخذ الطالب غير المحتاج سهمَ الإمام عليه السلام، فأجابه رحمه الله بالجواز، فقال له الشيخ: «طالما أنّه مستغنٍ فربّما اشترى من راتبه برتقالة»، (يريد أن يقول إنّ شراء البرتقالة أمر كمالي)، فأجابه رحمه الله: «وما الإشكال في ذلك؟!»، فقال الشيخ: «بل ربّما أمكنه شراء البرتقالة من ماله الخاص، واشترى من راتبه برتقالة ثانية»، فأجابه رحمه الله: «ألف عافية».

م: ذكر الشيخ الزهيري أيضاً بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٢٨م أنّه سأله عن وجوب تنبيه الصائم إلى كونه صائماً فأجابه بالنفي، فقال له الشيخ الزهيري: «إنّ زوجتي أوشكت أن تشرب الماء ظنّاً أنّها في متّسعٍ من الوقت أو نسياناً، فصرختُ منبّهاً إيّاها على أنّها صائمة»، فأجابه رحمه الله: «لا! ليش! خطيّة.. خلّيها تشرب».

م: حدّثني الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١١م أنّه سأل السيّد الصدر رحمه الله عن جواز شراء درّاجة هوائيّة للطفل من سهم الإمام عليه السلام، فأجاب بالجواز قائلاً: «وما المشكلة في ذلك؟!»، فقال له الشيخ: «باعتبار أنّ المال من مال الإمام عليه السلام»، فقال له: «لا إشكال».

وهناك استفتاءان لا يُعلم كونهما بالأصل بخط السيّد الصدر رحمه الله أم لا جاءا على لسان الشيخ محمّد طحيني (حفظه الله):

س: الأرض لا تخلو من حجّة، فمن سيكون الحجّة بعد موت الإمام المهدي صاحب العصر عليه السلام؟

ج: هناك طريقان مدعّمان بالأدلّة، كلٌّ منهما صالحٌ لأن يكون الجواب الشافي المريح:

الأوّل: الالتزام بالرجعة وعودة الأئمّة الماضين للحياة فيحكمون متسلسلين القهقرى بدءاً بالإمام العسكري عليه السلام وانتهاءً بالإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام وبعده تقوم القيامة.

الثاني: الالتزام بقيامة القيامة بوفاة الإمام صاحب العصر عليه السلام بلا فاصل زمني يذكر.

س: ما هو الغناء المحرّم عندكم؟ (١٣٩٣هـ)

ج: الغناء المنهي عنه أداءً واستماعاً في الإسلام والذي تكفّلت ببيانه النصوص الشرعيّة هو ذلك الصوت الحاوي على عنصرين اثنين أحدهما: شكل وأداء مرجّع مردّد على ما هي طريقة أهله، والآخر: المضمون المؤدّى المبتذل بحيث تخرجه عن وقاره إلى الخفّة المعبّر عنها بالطرب. وإذا كان يؤدّي تلك الخفّة بشكله المخرج به فحسب ـ وهذا نادرٌ جداً ـ بحيث تنسب الخفّة الناتجة إلى تأثير الشكل وحده فهو أيضاً محرّم. وكذلك هو محرّم لو كان مَنسَبُ الخفّة إلى المضمون الواهي المبتذل. أمّا إذا كان مصدرَ الخفّة مضمون سام نبيل أو هو مع ... فمبني على درجة من الظن صغرت أو كبرت فهذا يباح للمسلم [استماعه] (في الأصل استباحه)، ولعلّك تراه راجحاً مندوباً إليه في ألوان خاصّة كالتعزية الحسينيّة وتجويد القرآن.

* وهناك ثلاث مسائل نقلها السيّد ذيشان حيدر جواديﷺ [لمحات وذكريات عن حياة الشهيد الصدر، السيّد ذيشان حيدر جوادي (﴿﴾)]:

١ ـ أنّ تخصيص نصف الخمس بالسادة يحتاج إلى تحليل علمي ومنطقي، وإلاّ فإنّه لا ينسجم مع الفكرة الأخلاقيّة الإسلاميّة.

٢ ـ وسئل عن نجاسة الكفّار والمشركين فأجاب بأنّه ممّا لم يثبت شرعاً، ولكنّه لا يستطيع الإفتاء بخلاف ما أفتى به جلّ الفقهاء أو كلّهم [أقول: ثمّ أفتىﷺ بذلك في مرحلة لاحقة].

٣ ـ وسأله أحد علماء الهند في زيارة له عن استرقاق الكفّار في غير الحرب، فلو فرضنا أنّهم في هذه الأيّام كفّار حربيّون وليست أيّام هدنة رسميّة، فأجابﷺ بأنّه ممّا لا يمنع منه مانع من ناحية الأدلّة، وأنّ الفقهاء أفتوا بعدم الجواز فلا يتجاسر عليهم.

* إضافةً إلى استفتاءن وردا في (﴿﴾) بدون سند:

١ ـ فقد ورد أنّ أحد المراجع سئل عن حكم حلق اللحية فأجاب بأنها إذا كانت توجب السخرية جاز حلقها، وسئل السيّد الصدرﷺ عن ذلك فأجاب: إذا كانت اللحية تعيق عن العمل الإسلامي فيجوز حلقها.

٢ ـ كما سئل عن حكم إعطاء معلومات للحكومة، فأجاب بأنّه من جهة أخلاقيّة لا ينبغي للمسلم أن يفعل ذلك ولم يجوّز ذلك وقال: «ينبغي للمسلم أن تكون له شخصيّة محدّدة».

نماذج من استفتاءات مدوّنة في الأرشيف (﴿﴾)

المجموعة الأولى [انظر الوثيقة رقم (١٣٥)]:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمّد وعلى أهل بيته الطيبين المعصومين.

سماحة آية الله حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمد باقر الصدر دام الله ظلّه العالي.

نرجو من سماحتكم أن تجيبونا على هذه الأسئلة والله ينصركم ويحفظكم من كلّ مكروه:

س: إذا ائتممت بإمام لم يقلّد من قلّدته، وحدث عنده أثناء الصلاة شكٌّ أو شيء آخر فيعمل بحكم مجتهده الذي يقلّده بحيث ظهر لي أنّ الحكم الذي عمل به ليس كما يفتيه مجتهدي الذي أقلّده، فهل أتابعه في هذه الحالة في موضع الاختلاف أم أنفرد بصلاتي وأعمل بفتوى من قلّدته.

ج: بسم الله الرحمن الرحيم: إذا كان ما صدر منه يوجب البطلان ولو من الجاهل تعيّن الانفراد على المأموم.

س: هل تعتبر مدينة بغداد وطن واحد أم عدّة أوطان بالنسبة للمسافر من منطقة سكناه؟! أفتونا جزاكم الله خيراً.

ج: بسمه تعالى: تعتبر مدينة بغداد مدينة واحدة.

س: إذا كانت النيّة أثناء الصلاة ـ بل كلّها ـ خالصة لله، وشكّ في كونها قد اقترنت برياء أم لا، فما حكمها؟ وما هو معنى الخطور القلبي الذي عناه السيّد الحكيم (قدّس روحه) وهل هو مبطل للصلاة؟ أفتونا حفظكم الله ورعاكم.

ج: بسمه تعالى: إذا كان قصد القربة محرزاً فلا يبطلُ الصلاةَ احتمالُ الرياء.

س: هناك حيوانات لا يحلّ أكلها تخلع منها جلودها وتباع للزينة، فهل أنّ هذه الجلود طاهرة أم نجسة؟ مع العلم بأنّ لبعضها [أظلافاً] ظاهرة ومتّصلة بعظام الأرجل الباقية مع الجلد، فما حكمها؟ أفتونا مأجورين.

ج: بسمه تعالى: إذا كان الحيوان مذكّى فالجلد المأخوذ منه طاهر.

س: هل التردّد في النيّة أثناء الصلاة مبطل للعمل؟
ج: بسمه تعالى: التردّد في النية أثناء العمل لا ضرر فيه إلاّ إذا كان قد صدر منه عمل في تلك الحالة.
س: ما هو مقدار القيام المتّصل بالركوع؟ وما هو حكم من كبّر تكبيرة الإحرام ـ التحاقاً بالجماعة ـ وركع بعد التكبيرة مباشرة؟
ج: بسمه تعالى: القيام المتّصل بالركوع معناه أن يكون الركوع عن قيام، فمن كبّر مأموماً ثمّ ركع مباشرة صحّت صلاته.
س: ما هو حكم من أخّر صلاته متعمداً؟
ج: بسمه تعالى: إذا أخّر حتّى انتهى الوقت كان عاصياً وعليه القضاء والتوبة.
س: كم هي كفارة اليمين الكاذبة أو الحلف، وما هو حكم من أوفى بنذره بعد مدّة خالفت الوقت الذي حدّده لذلك النذر؟
ج: بسمه تعالى: اليمين الكاذبة لا كفّارة لها سوى التوبة. وأمّا الحنث باليمين فيكفي في كفارته إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، ووفاء النذر بعد المدّة المحدّدة لا يرفع الكفارة.
س: إذا اغتسل المرء من [من هنا لا معنى لها] غسل الجنابة قبل غروب الشمس بربع ساعة ـ ظانّاً باتّساع الوقت ـ ولكن تمكّن أن يغتسل. وعند الانتهاء من الغسل سقط القرص فرأى حاجباً، فما هو حكم غسله وماذا ينوي؟
ج: بسمه تعالى: إذا كان الحاجب غير الرأس والرقبة كفاه إزالته وغسل موضعه وصحّ غسله.
س: هل أنّ الذكر في سجدتي السهو واجب؟
ج: بسمه تعالى: الذكر في سجدتي السهو غير واجب.
س: ما هو حكم الكتابيّين في النجاسة والطهارة؟
ج: بسمه تعالى: الكتابي طاهر
س: هل أنّ السبرتو طاهر؟
ج: بسمه تعالى: السبرتو طاهر.
س: إذا ائتم محمّد (وهو في صلاة العشاء) بحسن (في صلاة المغرب) فأنهى حسن صلاته، وانفرد محمّد في الركعة الأخيرة من صلاة العشاء، فقام حسن بعد انتهائه من صلاته وصلّى مؤتمّاً بمحمّد، فهل تصحّ الصلاة عند حسن. وما هو حكم الجماعة لهذه الصلاة؟ أفتونا مأجورين.
ج: بسمه تعالى: يجوز لحسن أن يأتمّ بمحمّد في مفروض المسألة.
س: ما حكم القراءة في حال الصلاة بالنسبة لمن توقّف في آياتها أو واحدة من آياتها بمقدار يتسنّى له ـ عند وقوفه ـ التفكّر والتدبّر أو حصول الخشوع؟ وما هو حكمها فيما لو أعاد السورة أو أيّ شيء منها لنفس الأسباب السابقة؟ أفتونا رعاكم الله.
ج: بسمه تعالى: يجوز ذلك إذا لم يكن الفصل طويلاً بنحو يخلّ بالموالاة.
س: شخصٌ صلّى فريضة العشاء وقرأ سورة (الفاتحة) مع (الإخلاص) في الركعة الثالثة ظنّاً منه على أنّها الركعة الثانية فجلس وتشهّد. وفي أثناء التشهّد تذكّر بأنّه في الثالثة بل تيقّن بذلك. فهل صلاته صحيحة بعد أن أتمّها؟ وهل أصبحت القراءة مجزية عن التسبيحات في الركعة الثالثة وما العلاج؟ أفتونا مأجورين.
ج: بسمه تعالى: صلاته صحيحة إذا كان قد بنى على الثالثة بعد تذكّره لذلك.
س: ما هو حكم من احتلم في نهار شهر رمضان؟ وهل تجب المبادرة إلى الغسل.
ج: بسمه تعالى: لا تجب المبادرة عليه وإن كان الأحوط استحباباً أن لا ينام مرّة أخرى قبل أن يغتسل.
س: إذا تعذر عليّ إعطاء الكفّارة فهل يحقّ لي بإعطائها إلى شخص واحد أو شخصين دفعة واحدة أو بأيّام ومرّات متقطّعة؟ أفتونا جزاكم الله خيراً.
ج: بسمه تعالى: كفّارة الإفطار لا يجوز إعطائها إلى شخص واحد مرّات متعدّدة، بل لا بدّ أن يستوعب ستّين مسكيناً عن كلّ يوم.
س: إذا علم المرء أنّه أفطر متعمّداً ولا يدري بمقدار الأيّام التي أفطرها متعمّداً. فما حكم الكفارة حينئذٍ؟
ج: بسمه تعالى: يبني على الأقلّ ولا تجب عليه الكفّارة في المشكوك.

س: شخصٌ عليه قضاء بعض السنين من الصيام. هل يقضي هذه السنين قبل حلول شهر رمضان من السنة التي هو فيها [أم] يقضي ما عليه حسب ما يريد؟ وهل تجوز التجزئة لهذه المدّة مثلاً في كلّ شهر من أشهر السنة تصوم أيّام معدودة؟ أفتونا وفّقكم لكلّ خير.

ج: بسمه تعالى: لا يجب إتمام قضاء ما فات من سنوات سابقة قبل حلول رمضان من هذه السنة.

محمّد باقر الصدر

توقيعه حفظه الله

[هذه الاستفتاءات مطابقة للأصل والكاتب ليس السيّد الصدر ﵀].

ولدكم الأقلّ

الراجي عفو الله ببركة دعائكم

محمّد ناجي مهدي

نسخة مطابقة للأصليّة.

س: المسلم الذي يبيع الخمر: هل يجوز شراء اللحم منه إذا ادّعى حلّيته؟

ج: بسمه تعالى: نعم يجوز.

س: هل يجوز أكل غير اللحم في مطاعم تبيع اللحم الحرام والخمر مع احتمال اختلاط الأواني؟

ج: بسمه تعالى: نعم يجوز

س: وهل يفرّق بين أن يكون صاحبها مسلماً أو كتابيّاً أو كافراً؟

ج: لا فرق بين هذه الحالات.

س: هل يجوز التواجد في محلٍّ فيه موسيقى كمطعم أو غيره فيه فرق راقصة أو مسجّلات؟

ج: نعم يجوز مع عدم الاستماع واجتناب الحرام.

س: هل يجوز المشاركة في مجالس الخمر في الأوجه التالية:

أ ـ حانات الخمر (البارات) حيث تعتبر هذه المجالس كالدواوين في الشرق ويجتمع فيها أصدقاء من منطقة واحدة للتحدّث وشرب الخمر والأشربة الأخرى الغير المحرّمة؟

ج: بسمه تعالى: مجرّد الدخول إلى حانة الخمر والتواجد فيها للاجتماع مع الآخرين ليس حراماً في بلاد الكفّار إذا لم يكن في الدخول تشجيع على الحرام ولم يكن في الامتناع منعٌ لوقوع الحرام.

ب ـ الجلوس في الطائرة أو القطار بجانب شخص يشرب الخمر؟

ج: يجوز ذلك.

ج ـ الجلوس على مائدة طعام في مطعم مزدحم وهناك من يشرب الخمر على نفس الطاولة بالرغم من أنّه لا يوجد أيّ علاقة بين المؤمن الجالس على المائدة وشارب الخمر، غير أنّ المكان لا يسمح بجلوس المؤمن على مائدة بمفرده؟

ج: لا بأس بذلك ما لم تكن المائدة واحدة. ووحدة الطاولة الممتدّة في مفروض السؤال لا تكفي لتحقيق مائدة واحدة وإنّما تصدق المائدة الواحدة حين يقال هؤلاء يأكلون معاً، وعلى طعام واحد مجتمعون. ففي هذه الحالة إذا شرب أحدهم الخمر حرمت المائدة على الآخرين.

د ـ هل يجوز الجلوس على مائدة طعام كبيرة حيث هناك من يشرب الخمر مع الطعام في طرف من تلك الطاولة؟

ج: تقدّم أنّ المقياس وحدة المائدة لا وحدة الطاولة فإذا كانت الطاولة طويلة وممتدّة ووضع عليها ثلاث موائد مستقلّة بعضها عن بعض فلا يحرم بعضها إذا شرب الخمر من بعضها الآخر.

هـ ـ هل يجوز تناول الطعام من وقوف على مائدة طعام يشرب فيها الخمر؟

ج: إذا كان الطعام مأخوذاً من المائدة قبل شرب الخمر بأن يكون الشخص قد ملأ ماعونه ـ إناءه ـ وأخذه إلى زاوية وبدأ يأكل فلا يحرم عليه مواصلة الأكل بشرب الخمر على المائدة.

س: هل يجوز شراء المنتجات الإسرائيليّة أو من محلٍّ يتبرّع إلى إسرائيل علنيّاً؟ وما هو الحكم في حالات الضرورة؟

ج: بسمه تعالى لا نسمح بذلك مهما أمكن.

س: هل يجب الاستفسار من صاحب المطعم في الدول الكتابيّة عند تناول خضروات أو سمك مقلي بالدهن مع الشكّ بأنّ نفس الدهن مستخدم للحم الخنزير أو للحوم محرّمة؟

ج: بسمه تعالى إذا لم يعلم بكون الدهن نجساً أو مأخوذاً من إلية الحيوان جاز التناول من ذلك.

س: مع التيقّن بأنّ الطعام نجس، فهل يجب إخبار الشخص المسلم بنجاسة ذلك الطعام؟

ج: بسمه تعالى لا يجب الإخبار إلاّ على من قُدّم الطعام إليه.

س: هل يجوز شراء لحوم محرّمة للمسلم أو لغير المسلم؟

ج: بسمه تعالى يجب على من يقدّم اللحم الحرام إلى شخص أن يخبره بحرمته والشراء صحيح إذا كان للّحم منفعة غير الأكل محلّلة شرعاً. وأمّا لحم الخنزير فلا يجوز للمسلم بيعه أو شراؤه على أيّ حال.

س: هل يجوز دفع ثمن الأكل المحرّم أو الخمر عن المسلم أو غير المسلم؟

ج: نعم يجوز إلاّ إذا كان في ذلك تشجيعٌ على تناول الحرام وإغراء بذلك.

س: الجلي (gelatine) مادّة تستخلص من عظام الحيوانات في أوروبا. فهل يجوز أكله؟ وعند الشكّ باستخلاصه من مواد نباتيّة فهل يجوز أكله؟

ج: بسمه تعالى يجوز أكله عند الشك.

س: هل يجب التفحّص عند شراء معلّبات غير اللحم عن محتويات تلك العلبة التفصيليّة؟ وما هو الحكم في حالة عدم وجود كتابة للمحتويات على تلك المعلّبات؟

ج: بسمه تعالى لا يجب الفحص بشأن معلّبات غير اللحوم.

س: هناك شكٌّ بإضافة سمن الخنزير إلى الكعك والبسكويت والخبز في أوروبا، فهل يجب التأكّد من خلوّه؟

ج: بسمه تعالى يجوز التناول ما دام لم يحصل اليقين بما ذكر، ولا يجب التأكّد.

س: في المطاعم الغير كتابيّة (المشركين) هل يجب التأكّد بأنّ العامل مسّ الطعام أم لا أو الطبق عند غسله؟

ج: بسمه تعالى لا يجب التأكّد بل يكفي عدم العلم بالنجاسة.

س: وهل يجوز الأكل مع الشكّ بأنّ الطبّاخ أو بعض موظّفي المطعم من الكتابيّين؟

ج: بسمه تعالى نعم يجوز.

س: هل يجوز أكل غير اللحم من شركة خطوط طيران غير كتابيّة (المشركين) مع الشكّ بأنّها تتزوّد من مطارات الدول الإسلاميّة أو الكتابيّة؟

ج: بسمه تعالى نعم يجوز.

س: هل يجوز بيع الخمر أو اللحم المحرّم للكتابيّين؟

ج: بسمه تعالى لا يجوز بيع المسلم للخمر أو للحم الخنزير مطلقاً.

س: إذا كان المعروف في بعض أكلات السمك بأنّ السمك المستخدم مفلّس، فهل يجب التفحّص في كلّ حالة عند شراء هذا النوع من الأكلات؟

ج: بسمه تعالى إذا كان الطعام في أيدي غير المسلمين فلا بدّ من الظن الاطمئناني، أي القناعة بأنّ السمك المطبوخ من المفلّس، وإذا حصلت قناعة بسبب ما هو معروف كفى ولا يجب الفحص.

س: هل يمكن تحديد مفهوم الحرج في الإسلام؟

ج: بسمه تعالى الحرج عبارة عن تحمّل عناء نفسي أو بدني لا يطيق الناس عادةً تحمّله.

س: هل يجوز لبس الربطة المزيّنة ذات الألوان الزاهية مع تمام التحشّم. هل تعتبر زينة؟ هل يجوز لبس الجوراب السميك مع الثوب القصير كحجاب شرعي؟ هل يجوز لبس البنطلون مع القبّوط فوق الركبة كحجاب شرعي؟ هل يجوز لبس الجبّة (المقصود الدشداشة) كحجاب شرعي؟ هل يجوز لبس الثوب [ذي] الألوان الزاهية كحجاب؟

ج: بسمه تعالى الجواب على هذه الأسئلة الخمسة أنّ الضابط في الحجاب الشرعي ستر المرأة لما عدا الوجه والكفّين من جسمها مع عدم استعمال الإثارة وعدم وضع الزينة في المقدار المكشوف، والإثارة تختلف من عرف إلى عرف.

س: هل يجوز للرجل أن يلبس بنطلون يبرز عورتيه؟

ج: بسمه تعالى الواجب ستر لون العورة عن الأجنبي لا حجمها فإن كان المقصود أنّ البنطلون يحدّد جسم الإنسان على نحو تتحدّد التقاطيع فلا يحرم ذلك ما لم يعتبر مثيراً في العرف العام.

س: هل يجوز الرجوع في مسألة مصافحة النساء إلى مجتهد آخر يجوّز مصافحة الكتابيّات؟

ج: بسمه تعالى إذا كان مجتهداً مطلقاً مع توفّر سائر شرائط الفتوى جاز الرجوع إليه في خصوص هذه المسألة.

س: عند البيع والشراء هل يجوز لمس يد المرأة الأجنبيّة؟

بسمه تعالى لا يجوز تعمّد ذلك.

س: الطلاق عند الكاثوليك لا يجوز وفي قانون الحكومة الإنكليزيّة إذا أراد [الزوجان] الطلاق ينفصلان سنتين ومن ثمّ توقّع الحكومة على الطلاق فيكون طلاقاً رسميّاً. فهل تكون العدّة من حين الانفصال أم من حين توقيع الطلاق الرسمي الحكومي؟

بسمه تعالى الأحوط اجتناب المطلّقة الكاثوليكيّة الزوج طلاقاً مدنيّاً لأنّ طلاقها ليس صحيحاً لا في ديننا الحق لا في دين المطلّق.

س: الطلاق عند الكنيسة الإنكليزيّة يكون من حينه عند اتّفاق الزوجين، وفي قانون الحكومة إذا أراد الزوجان الطلاق ينفصلان سنتين ومن ثمّ توقع الحكومة، فهل تكون العدّة بعد وقوع الطلاق من حينه أو بعد مضي السنتين؟

ج: بسمه تعالى تبدأ العدّة من حين وقوع الطلاق عند الكنيسة.

س: هل يجوز التمتّع بالزانية المشهورة؟

ج: لا يجوز.

س: هل يجوز التمتّع بالزانية غير المشهورة؟

ج: نعم يجوز.

س: هل يجب إخبار المتمتّع بها بأنّ هذه المعاشرة زواج أو يكفي إخبارها بأنّ هذا اتّفاقٌ دينيٌّ أو أنّها ستكون صديقة له بعد العقد؟

ج: لا بدّ أن يتأتّى منها ولو إجمالاً قصد الزوجيّة المحدودة أو تفوّض الطرف الآخر في أن يربطها معه بأيّ علاقة أحب.

س: هل يجوز التخيّل بمرأة أجنبيّة معيّنة عند الجماع مع الزوجة؟

ج: نعم يجوز ولكنّه مكروه.

س: هل يجوز النظر إلى الصور الخلاعيّة للأفلام الداعرة بغير شهوة و بشهوة؟

ج: يجوز مع الأمن من الوقوع في الحرام.

س: ما هو حدود الاستمتاع الجنسي بالزوجة؟ وهل يجوز المباشرة من الفم والدبر؟

ج: يجوز ذلك

س: هل يجب التحقّق من كتابيّة المتمتّع بها في البلدان المسيحيّة الشيوعيّة؟

ج: يكفي إظهار كونها كتابيّة أو مسيحيّة ولو شكليّاً.

س: هل يجب إجراء العقد (المتعة) باللغة العربيّة؟

ج: لا تشترط اللغة العربيّة بل يكفي إيقاعها بلغة أخرى.

س: هل يجوز التمتّع بالمسيحيّة التي تؤمن بالله وتعتقد بأنّ الأديان خرافات؟

ج: إذا كانت تعتبر نفسها مع ذلك مسيحيّة فلا بأس.

س: هناك مؤسّسات في أوروبا تقوم بتقديم الخدمات لقاء أجر معيّن للسوّاح والزائرين من قبيل المساج (التدليك) والترجمة أو مرافقة الزائرين أو السكرتارية و[هذه] الموظّفات مستعدّات للعمل الجنسي. فهل يعتبرون من الزانيات المشهورات؟

ج: لا يشملهم حكم الزانية المشهورة ما دام عملها في الأساس ليس ذلك.

س: ما هو السنّ المحدّد الذي لا يجب فيه أخذ موافقة الولي عند عقد المتعة مع العلم أنّها باكر؟

ج: بسمه تعالى يجب أخذ إذن الأب ما دامت باكر في عقد المتعة. وإذا لم يكن لها أب فلا يجب أخذ إذن الأخ أو العم ونحو ذلك.

س: هل يجب الغسل فقط أم معه الوضوء عند الجماع من غير القبل؟

ج: بسمه تعالى يجب الوضوء أيضاً على الأحوط فيما إذا كان على الإنسان وضوء قبل الممارسة ويستثنى من ذلك ما إذا نزل منه المني، ففي هذه الحالة يكفي الغسل وحده.

س: هل تجب العدّة على المتمتّعة بلا دخول من القبل؟

ج: مع عدم الدخول قبلاً أو دبراً لا عدّة.

س: وهل يجوز أن يعقد عليها عقداً ثانياً أثناء العدّة؟

ج: لا يصحّ، ولكن يهبها المدّة ويعقد عليها فوراً بلا حاجة إلى عدّة.

س: هل يجوز إعطاء اسم مستعار (بالتورية) للمستمتع بها؟

ج: لا يشترط في صحّة العقد المذكور معرفة الاسم المشهور للزوج.

س: هل يجب إعطاء العنوان الكامل قبل الانفصال استعداداً لتبنّي الحمل إن وجد؟

ج: لا يجب هذا الاحتياط.

س: ما هي صيغة العقد في حالة لا يفهم الزوج [لغة] المستمتع بها؟

ج: لا يشترط إيقاع العقد باللغة العربيّة [وليتكلم] كلٌ منهما بلغته أو بلغتها.

س: هل يجب السؤال من المتمتّع بها بأنّها معاشرة لشخص آخر أو متزوّجة أم لا؟

ج: لا يجب السؤال.

س: هل يجوز الرجوع إلى مجتهد (ميت) يجوّز التمتّع بالزانية؟ وهل يشترط بأن يكون قد مارس ذلك في حياة المجتهد؟

ج: يجوز الرجوع إليه إذا كان مقلّداً له في حياته ولو لم يمارس ذلك سابقاً.

س: هل يجوز إخبارها بأنّ المهر سيكون هديّة؟

ج: لا بدّ أن تعرف كونه مهراً، ولا بأس أن يقول لها إنّ المهر نوعٌ من الهدية ألزم بها الإسلام إكراماً للمرأة.

س: هل يجوز لمس المرأة قبل العقد (المتعة) كالمصافحة من غير شهوة؟

ج: لا يجوز.

س: هل يجوز العقد على التي تقول إنّي أؤمن بهذا العقد من أجلك أم يجب أن تكون معتقدة به؟

ج: يجوز ولا يشترط أن تكون معتقدة به.

س: ما هو حكم المسلم المتزوج زواجاً مدنيّاً بلا صيغة عقد شرعيّة؟ وما حكم زوجته وأطفاله؟

ج: لا يصحّ زواجه بل لا بدّ له من تجديده بعقد شرعي، وبالتجديد تصبح زوجة شرعيّة له. وأمّا الأطفال فأولاده شرعاً ما دام كان يتصوّر تحقّق الزوجيّة بالزواج المدني.

س: هل يؤثم التعلّق القلبي بامرأة أجنبيّة مع فقدان الإرادة على ترك هذا التعلّق؟

ج: لا يؤثم على ذلك في مفروض السؤال ولكن عليه أن يحاول فكّ هذا الارتباط القلبي.

س: هل يجوز أن تمسّ المرأة الأجنبيّة جسم الرجل لغرض التدليك؟

ج: لا يجوز.

س: ما هو الحكم عند عدم ذكر مدّة العقد في الزواج المنقطع وذلك لنسيان؟

ج: يقع العقد باطلاً. فإذا لم يحصل التذكّر إلاّ بعد انتهاء المدّة فلا شيء، وإن حصل التذكّر في أثناء المدّة جدّد العقد مع ذكر المدّة.

س: هل يجوز احتضان المرأة بدون شهوة؟ وما الحكم بالنسبة للمسنّة وهل يجوز تقبيلها؟

ج: الاحتضان بدون شهوة من وراء الملابس جائزٌ، وأمّا الاحتضان المشتمل على المسّ المباشر فلا يجوز ولا فرق في ذلك بين المسنّة وغيرها.

س: هل الرجعة من العقائد التي يجب الإيمان بها؟

ج: بسمه تعالى لا يجب الإيمان بها إلاّ عند من ثبت لديه ورودها من الشارع. وأمّا غيبة الإمام المهدي عليه السلام فيجب الإيمان بها.

س: هل يجوز حلق اللحية؟ وما هي حدودها من ناحية الحجم والطول؟

ج: لا يجوز حلقها على الأحوط، ويستثنى من ذلك حالات التعرّض لضرر أو حرج من قبيل السخرية والاستهزاء. ويكفي في وجود اللحية توفير الشعر على الذقن ولو بقدر سمك ورقة اعتياديّة.

س: بالنسبة للجمعيّات و المؤسّسات الإسلاميّة: هل يجب تخميس أموالها؟ وكذلك ما هو الحكم بالنسبة لفوائد البنك العائدة للمؤسسة الإسلاميّة؟

ج: بسمه تعالى لا يجب تخميس أموالها.

س: مسائل طبيّة في معالجة المرضى المصابين بالسرطان والذين قد يعانون من الآلام في الأدوار النهائيّة من حياتهم توصف لهم خلائط معيّنة من الأدوية تحتوي على الخمر (الكحول) بنسبة قليلة ضمن أدوية أخرى مخدّرة مثل المورفين. وحسب قانون الأدوية المخدّرة فإنّه يجب كتابة اسم كلّ جزء من أجزاء الخليط بوضوح مع كميّة الجزء ضمن الخليط الذي يحوي أيضاً كوكايين والماء والعسل وغيرها.

وإنّ من وظيفة الطبيب كتابة اسم الدواء ومكوّناته بوضوح حتّى يصرف من الصيدلية، وقرار إعطاء المريض مثل هذا الدواء (الحاوي للكحول) يتّخذ من قبل الأخصائي المشرف على علاج المريض بشكل رئيسي، والطبيب المداوم الحديث التخرّج عليه تنفيذ القرار وكتابة الدواء، فهل في ذلك إشكال؟ وما طريقة تفادي هذا الإشكال؟

ج: بسمه تعالى نعم في ذلك إشكال والأحوط الاجتناب مهما أمكن.

***

المجموعة الثانية

س: ربّما اختلط فضلات الطعام مثل الرز مع بعض النجاسات في مكان القمامة أو البالوعة المشتركة مع بالوعة الكنيف، وربّما تسحق بعض الغلاّت كالتمر بالأرجل، فما الحكم الشرعي لذلك؟

ج: إن صدر ذلك عن قصد الإهانة حرم لأنّه دالٌّ على البطر، وإلاّ لم يحرم.

س: يتدوال على بعض الألسنة أنّ الله تعالى يتفضّل على الشهداء بإرضاء خصومهم عنهم يوم القيامة، فما هو المستند لذلك؟

ج: إنّ أصل فكرة إرضاء الخالق تعالى لبغض الخصوم عن بعض أوليائه موجودة في الروايات وخاصّةً فيما يتعلّق بالشهداء، وقد يستفاد من بعض الآيات ذلك أيضاً كآية ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] التي قد يستفاد منها أنّ الشهداء لا يعرضون للحساب بل يدخلون الجنة بدون حساب. ومقتضى دخولهم الجنّة بغير حساب أنّ الله تعالى هو المتكفّل بإرضاء خصومهم عنهم.

س: ما المقصود بالآية ﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢]؟

ج: الولادة في اللغة العربيَّة تعني التكوّن، فمَعنى قوله ﴿اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ﴾ يعني اللائي كوّنّهم طبيعيّاً، وذلك عن طريق تلاقح بويضة المرأة مع حيامن الرجل. ولا شكّ أنّ هذا مختصٌّ في الرحم الذي انعقدت فيه النطفة. فلو نقلت النطفة بعد انعقادها لمحلّ رحم أو محل آخر وأكمل الجنين دورته في المحل الثاني حتّى ولد أي نزل من المحلّ إلى الدنيا، فعندئذٍ لا تنسب للمحل الثاني بل للرحم الأوّل.

وعليه، فالأمومة للرحم الأوّل (صاحب النطفة)، ولكن اشتبه على بعضهم الأمر حتّى فسّر هذا البعض الولادة بمعناها الفارسي لا العربي حيث إنّ معنى الولادة (التي هي ترجمة كلمة زاييدن الفارسيّة) هو نزول الوليد من بطن الوالدة، ومن هنا توهّم البعض شمول الآية للمحلّ الثاني الذي نزل منه الجنين نتيجة هذا الاستدلال الفارسي.

س: ذكر بعض المؤرّخين أنّه لمّا سنحت الفرصة لمسلم بن عقيل عليه السلام أن يقتل عبيد الله بن زياد عند عيادة الأخير شريك الهمداني في دار هاني بن عروة في الكوفة فامتنع مسلم عليه السلام من قتل بن زياد مبرّراً امتناعه بقول الرسول صلى الله عليه وآله: «إنّ الإيمان قيد الفتك..» [بحار الأنوار ٤٤: ٣٤٣]، فهل كان هذا الجواب يمثّل السبب الحقيقي للامتناع أو أنّ هناك سبباً آخر لم ير مسلم أنّ الجوّ مناسبٌ للإفصاح عنه؟

ج: لا شكّ أنّ ابن زياد مستحقٌّ للفتك والقتل ولا يوجد عندنا شريعةً عنوانُ حرمة الاغتيال أو الفتك بالمحاربين لله ورسوله كابن زياد، ولكنّ مسلماً عليه السلام قدّر وفق تحليله السياسي الدقيق [للموقف] أنّ الاغتيال عمليّة فاشلة آنذاك على كلا التقديرين أو الاحتمالين الآتيين:

الاحتمال الأوّل: أن يقتل ابن زيّاد، وعليه فلا بدّ أن يقتل مسلمعليه السلام اغتيالاً من قبل حشد الحرس الأموي الذين هم حماية ابن زياد حيث كانوا منتشرين داخل البيت وخارجه. ولا يعقل أن ينفّذ مسلمعليه السلام عمليّة قتل ابن زياد اغتيالاً ثمّ يخرج سالماً ويفلت من الحرس. ولا شكّ أنّ قتل مسلم بهذا الشكل قتلة باردة لا سيّما مع ملاحظة كون الاغتيال غير محمود عرفاً أن يصدر من الرجل الشجاع ـ ولا سيّما إذا كان قائداً كمسلمعليه السلام ـ بل كان من المناسب أن ينفّذ هذا الدور شخصٌ آخر غير مسلمعليه السلام. ولو كانت هناك جديّة في رغبة شريك أو هاني في قتل ابن زياد لسخّروا القتلة، أحد غلمانهم أو أعوانهم ولكنّهم أدركوا خطورة نسبة اغتياله إليهم فرضوا بإلقاء التهمة بعاتق مسلمعليه السلام.

الاحتمال الثاني: أن [يخطئ] مسلم ابن زياد بضربته أو لا يصيبه في مقتل فيبقى ابن زياد حيّاً، وعندئذ فالأمر أشدُّ من سابقه، فمضافاً للمحاذير السابقة للاحتمال [الأوّل] فيتولّى ابن زياد بنفسه الدعاية ضدّ مسلم واتّهامه بالجبن!

وعليه فلم يكن الاغتيال أسلوباً ناجحاً. ثمّ بما أنّ القوم لا يدركون هذا التحليل، وحتّى لو أدركوه فقد لا يفسّرونه تفسيراً صحيحاً بل ربّما يفسّره بالضعف، فكان من الحزم السياسي أنّ يبرّر مسلمعليه السلام موقفه بعدم الفتك لأنّ ذلك يمثّل النبل والشموخ الأخلاقي.

س: هنالك أصناف سقط عنهم الجهاد شرعاً كالصبي والمرأة والمريض والأعرج، فهل هذا السقوط رخصة أو عزيمة؟

ج: إنّ السقوط المذكور رخصة لا عزيمة إلاّ أن يعزم عليهم ولي الأمر أن يتأخّروا لمصلحة تقتضي ذلك حسب ما يراه وليُّ الأمر.

س: إذا شاهد أحدٌ جريمة ترتكب أمامه كالسرقة، فهل يجب عليه إخبار السلطات الإسلاميّة بذلك؟

ج: لا يجب إلاّ اذا توقّف عليه ردع المجرم عن الجريمة.

س: بعاتق من تقع نفقة ابن الزنا؟ ولمن تكون تركته؟

ج: على بيت المال وله نفقة ابن الزنا وتركته.

س: المشروع فقهيّاً أنّ الجعالة على الأفعال لا على التروك، فما هو حكم المال الذي يدفعه الشخص للآخر مقابل امتناع الثاني عن منافسة الأوّل في العمل كما هو متعارف عند التجّار والمقاولين؟

ج: جوّز بعض الفقهاء ذلك، باعتباره جعالة على الترك، لكنّ الثابت عندنا أنّ الجعالة على الأفعال لا التروك، وإنّما يجوز ذلك عندنا باعتبار المال المدفوع هبةً مشروطة بعدم المنافسة.

* * *

المجموعة الثالثة (من أسئلة الجماعة الإسلاميّة في أمريكا وكندا)

س: الصلاة جماعة خلف إمام عادل حالق اللحية ما حكمها؟

ج: بسمه تعالى يجوز إذا كان معذوراً في حلق اللحية.

س: ما هو العذر الذي يجيز حلق اللحية؟

ج: بسمه تعالى هو احتمال وقوع الإنسان في الضرر بسبب عدم حلقها أو تعرضه لنوع من المهانة التي يعتبر تحمّلها حرجاً.

س: حالق اللحية آثم؟

ج: لا إثم مع العذر.

س: هل يحرم سماع كلّ أنواع الموسيقى؟ علماً بأنّ هنا موسيقى تصويريّة وموسيقى الحرب ومقدّمات نشرات الأخبار؟

ج: بسمه تعالى الموسيقى حرام ولكن الموسيقى التصويريّة التي تصوّر أصواتاً طبيعيّة كهطول المطر ونحو ذلك جائزة.

س: ضرب السلاسل والتطبير من العلامات التي نراها في محرّم الحرام. وبما أنّ هذا العمل يضرّ بالنفس ويثير انتقاد الآخرين أرجو بيان حكم ذلك.

ج: بسمه تعالى: المصاديق تكتسب الحكم من الكبرى الشرعيّة التي تنطبق عليها والتي تثبت بالنصوص، فكلّما وجد المصداق ولم يزاحم بكبرى أخرى انطبقت تلك الكبرى الشرعيّة.

س: ما حكم ملامسة المرأة الأجنبيّة بالاحتكاك بها سهواً دون تلذّذ أو ريبة؟

ج: بسمه تعالى لا شيء مع السهو.
س: هل يجوز العقد الدائم والمؤقّت بواسطة التلفون؟
ج: يجوز.
س: يباع في بلاد المسلمين لحوم مختلطة بعضها مستورد من دول الصين والهند وأستراليا، والبعض الآخر مذبوح في البلد الإسلامي، فهل يجب السؤال عند شراء هذه اللحوم للتأكّد من كونها مستوردة أو محليّة؟
ج: بسمه تعالى، لا يجب السؤال إلاّ مع العلم بوجود كلا القسمين عند الباعة الذين يتّصل بهم المكلّف عادةً.

***

المجموعة الرابعة

أسئلة قدّمتها شفويّاً إلى آية الله السيّد الصدر وأجاب عنها شفويّاً.
س: ما تقولون في الكحول؟
ج: طاهرة إلاّ أن يعلم بكونها مأخوذة من العنب.
س: ما هو حكم صلاة الجمعة في زمن الغيبة؟
ج: واجبة تخييراً، ولا يشترط الفقيه.
س: هل تقولون بنجاسة الكافر؟
ج: الكافر نجس ما عدا صنفين:
١ ـ النواصب والغلاة ما داموا متعنونين بالإسلام.
٢ ـ الكتابي.
س: قلتم بطهارة الكتابي، ولكن من المعلوم أنّه معرض للنجاسة الطارئة لشربه الخمر وأكله لحم الخنزير وغيرها، فما الحكم حينئذ؟
ج: هنا ثلاث حالات:
١ ـ أن نعلم بتطهّره ونشكّ في طروّ النجاسة، فنبني على استصحاب الطهارة.
٢ ـ أن نعلم بنجاسته ونشكّ في زوالها، فنبني على استصحاب النجاسة.
٣ ـ أن نعلم بتطهّره وتنجّسه كما هو الغالب ولا ندري سبق أحدهما، فتجري أصالة الطهارة.
س: ما رأيكم في اللحوم التي تباع في أسواق المسلمين ونشكّ في تذكيتها؟
ج: محكومة بالتذكية ما لم يعلم سبق يد الكافر عليها.
س: هل يجوز الإيداع في البنوك الكافرة مع قصد الزيادة؟
ج: نعم.
س: ما رأيكم في الوقوف بعرفة فيما لو ثبت الهلال عند القاضي السنّي؟
ج: مع عدم إدراك العلم بالخلاف يصحّ الوقوف، ومعه: إن استطاع إدراك اختياريّ المشعر بل وحتّى اضطراري المشعر، صحّ حجّه.
س: هل يجوز للزوج منع زوجته عن الخروج من البيت مطلقاً؟
ج: إذا كان الخروج يفوّت على الزوج استيفاء حقّ من حقوق الزوجيّة فله أن يمنعها، وأمّا إذا كان المنع تحكّماً محضاً ففيه إشكال.
س: إذا تعذّر الفقيه فهل يجوز لغيره التصدّي للقضاء؟
ج: يجوز مع إجازة الفقيه.
س: ماذا يقصد بالأمور الحسبيّة؟
ج: هي الأمور التي نعلم من مذاق الشارع عدم الرضا بتعطيلها، كحفظ أموال اليتامى مثلاً.
س: هل تصحّ نيّة الاستباحة للصلاة في الوضوء أو الغسل قبل دخول الوقت؟
ج: نعم.
س: هل يجوز الإحرام من جدّة بالنذر؟

ج: لا يجوز الإحرام من جدّة، ويجب الذهاب إلى أحد المواقيت للإحرام منه أو إلى نقطة تحاذي الميقات. نعم لو وصل إلى جدّة وتعذّر الإحرام من الميقات أو ما يحاذيه، صحّ إحرامه منها بعد أن ينذر ذلك.

س: لو اشترى أحدٌ شيئاً ودفع ثمنه مالاً مغصوباً، فهل تصحّ المعاملة؟

ج: المعاملة صحيحة لأنّ الثمن يكون في الذمّة ويبقى المشتري [مطالباً] بدفع الثمن.

س: هل أنّ كلّ معصية توجب الخروج من العدالة؟

ج: نعم إلاّ مع علم التوبة.

س: هل أنّ عنوان كثرة الشك يتحقّق بتكرّر الشك بعد الفراغ من الصلاة؟

ج: لا يتحقّق عنوان كثرة الشك إلاّ بتكرّر الشك في أثناء الصلاة.

س: ما رأيكم في الذبائح التي تذبح في منى أيّام الحج، هل يجوز أخذها وتعليبها؟

ج: نعم يجوز ذلك.

س: لو ورد في الأحاديث استحباب التنوّر، فهل أنّ هذا الاستحباب يتحقّق في حالة إزالة شعر العانة بغير النورة كاستعمال الموس مثلاً؟

ج: الاستحباب متحقّق.

س: إذا سافر الصائم بعد طلوع الفجر ورجع إلى بلده قبل الزوال، فهل يصحّ صومه إذا نوى الصوم؟

ج: في صحّة صومه إشكال.

س: هل يتعلّق الخمس بصداق المرأة إذا حال عليه الحول؟

ج: الخمس لا يتعلّق بصداق المرآة.

س: هل تجب الزكاة في الأوراق النقديّة؟

ج: إذا كانت هذه الأوراق مغطّاة بالذهب أو الفضة وكان بإمكان حاملها أن يستبدلها بالذهب أو الفضّة المعطى لها يجب الزكاة فيها، وإلاّ فلا.

س: هل يجوز اقتناء جهاز (التلفزيون)؟

ج: لا يجوز (من باب إعمال الحاكم الشرعي صلاحيّته كحاكم).

س: وهل يجوز بيعه؟

ج: نعم.

س: وهل يجوز مشاهدة الأمور المباحة؟

ج: نعم.

س: ماذا تقصد بالمعصية الصادرة من آدم؟

ج: الأمر المتوجّه إلى آدم كان أمراً تربويّاً وليس أمراً مولويّاً، فمخالفته وإن [كانت] عصياناً إلاّ أنّه لا يستوجب عقاباً، فمثلاً الطفل غير البالغ يأمره أبوه بالصلاة لأجل تربيته وتهيئته، وهذا الأمر لو عصي من قبل الطفل فلا يستوجب عقاباً من قبل الوالد.

س: ما العلاقة بين الأكل من الشجرة وبدوّ السوءة لآدم وحوّاء؟

ج: الإنسان حينما يرتكب معصية ويراها أمراً فظيعاً تنتابه هزّة في أعماقه وتوقظ منه وعياً جديداً، وتخلق منه إنساناً جديداً، فيبدأ يتحسّس واقعه، ويتلمّس مواطن الحسن والقبح. فآدم وحوّاء ما كانا يملكان ذلك الوعي العلمي الذي يهيّئهما لمعرفة الحسن والقبح، ولكن لمّا ارتكبا ما نهيا عنه اجتاحتهما هزّة عنيفة حرّكت منهما الوعي العملي، فأخذا يتحسّسان واقعهما، فالتفتا إلى قبح بدوّ السوءة، فأخذا يسترانها بورق الجنّة.

س: كيف نلائم بين القول بأنّ الرسالات السماويّة كان مجيئها لمّا حدث الخلاف بين بني الإنسان، وبين التسليم بنبوّة آدم عليه السلام، كما هو منطق القرآن في الحالتين؟

ج: النبوّة لها مرحلتان:

١ ـ مرحلة توجيهيّة.

٢ ـ مرحلة حاكميّة.

ونبوّة آدمعليه السلام لم تكن حاكميّة وإنّما توجيهيّة فقط.
س: هل تصحّ تذكية النواصب والخوارج؟
ج: نعم.
س: هل يجوز الزواج من المخالفين؟
ج: يجوز، ما لم يخف على عقيدة المؤمن، وإن كان يكره تزويج المؤمن من المخالف حتّى مع عدم الخوف.
س: هل يشترط في التذكية استقبال الذابح؟
ج: لا يشترط ذلك، وإن كان أحوط.
س: بماذا تبرّرون إقدام الأئمّةعليهم السلام على شرب السموم أو ما فيه هلاكهم مع علمهم بذلك؟
ج: هنا ثلاثة أجوبة على سبيل مانعة الخلو:
١ ـ أنّ الإمامعليه السلام كان يملك علماً إجماليّاً لا تفصيليّاً.
٢ ـ أنّهم كانوا يعلمون علماً إجماليّاً وتفصيليّاً فيقدمون ويرون في ذلك شهادة في سبيل الله، فحينئذٍ دليل إلقاء النفس في التهلكة مخصّص بدليل الجهاد.
٣ ـ أن يقال بأنّ الإمام يعلم تفصيلاً، ولكن في نفس الوقت يعلم بعدم إمكان التخلّف، وهذا أكثر انطباقاً على الأئمّةعليهم السلام الذين قتلوا وهم في حكم المعتقلين.
فأحد هذه الأجوبة الثلاثة ينطبق على حالات الأئمّةعليهم السلام.
س: إذا كانت العصمة شرطاً للقيادة النموذجيّة الناجحة، فماذا نقول بالنسبة للقيادة في الأزمنة التي يوجد فيها المعصوم ظاهراً؟
ج: العصمة شرط للقيادة التي تكون قيادة على خط التاريخ كقيادة الأنبياء والأئمةعليهم السلام، وأمّا القيادة الوقتيّة فلا يشترط فيها العصمة بل إنّ توافر نوع من العدالة بمستوى راق يكفي لتحقيق نجاح القيادة.
س: كيف تحدّدون معنى (الأجل)؟
ج: إنّ الله سبحانه قد حدّد أجلاً مسمّى لكلّ كائن حي، ولكنّ هذا التحديد ضمن قضايا شرطيّة.
س: ما حكم الأموال المنذورة لأشخاص الأئمّةعليهم السلام؟
ج: النذور إلى أشخاص الأئمّةعليهم السلام تصرف في حَمَلَة علم الأئمّةعليهم السلام وفي زوّارهم وخدّامهم المتّصفين بالورع مع مراعاة الحاجة.
س: هل يجوز للإنسان في مرض الموت التصرّف في أمواله؟
ج: يجوز للإنسان في مرض الموت التصرّف في ماله منجزاً حتّى مع المحاباة. وأمّا بنحو الوصيّة فلا ينفذ في أكثر من الثلث إلاّ بإجازة الورثة.
س: في الموارد التي تكون فيها يد المسلم أمارة إذا حصل ظنٌّ بتهاون هذه اليد هل تسقط عن الأماريّة؟
ج: لا تسقط عن الأماريّة إلاّ إذا حصل من هذا الظنّ الاطمئنان.
س: ما حكم الصيد بالآلة المعروفة بالبندقيّة؟
ج: إذا كان بنحو الخرق رتّب عليه آثار الصيد الشرعي مع توافر الشرائط الأخرى.
س: من كانت عليه فوائت فهل يجب عليه في مقام قضائها الجري طبقاً لتكليفه الفعلي، أم لتكليفه السابق؟
ج: يجري طبقاً لتكليفه الفعلي.
س: إذا كان الشخص يملك أموالاً مخمّسة وأموالاً غير مخمّسة، وفي أثناء السنة كان يصرف من الأموال المخمّسة، فهل له أن يستثني المبلغ المخمّس أو لا؟
ج: نعم يستثني المال المخمّس.
س: هل أنّ الإغماء يبطل الوكالة؟
ج: هذا هو المشهور بين الفقهاء، ولكنّه لا دليل عليه.
س: هل يجوز الاعتماد على الآلة المعروفة لتعيين القبلة؟
ج: نعم يجوز ذلك، ولكن لا يجب التواجد إلى الجهة التي تعيّنها، لأنّ القبلة ليست مبنيّة على الجهة الدقيّة، بل يكفي

التوجّه إلى الجهة العرفيّة.

عبد الله الغريفي

ملاحظة: الأسئلة مقدّمة لسماحة السيّد الشهيد قبل أن تصدر فتاواه وآراؤه مطبوعة في تعليقاته على المنهاج أو في الفتاوى الواضحة.

* * *

المجموعة الخامسة: استفتاءات احتفظ بها الشيخ فاضل المالكي، ويبدو لي أنّه دوّنها شفهيّاً وأنّها غير حرفيّة:

س: لماذا لم يقم الإمام أمير المؤمنين بإجبار المتخلّفين عن القتال معه على القتال؟

ج: [لأنّهم] لم يقولوا بخلافته التي قامت على أساس الشورى، ولو كانت خلافته على أساس النصّ لأجبرهم على القتال، ولأنّهم مبدئيّاً لا يعترفون بخلافة الإمام، ولو أجبرهم الإمام لدخلوا وهم غير مقتنعين بدخولهم القتال معه. ولو دخلوا لا يزيدون شيئاً بل لعلّهم يضرّرون بمسير القتال (الحرب).

س: هل يعاقب الممتنع عن الجهاد (القتال)؟

ج: نعم يعاقب بالتعزير ومنه السجن ومنه المقاطعة كما فعل رسول اللهﷺ مع الثلاثة الذين تخلّفوا في تبوك، كما جاء ذكرهم في سورة التوبة.

س: ما رأيكم الشريف في عالم الذرّ والأرواح بمعنى خلق الأرواح قبل الأجساد كما هو مفاد بعض الأخبار؟

ج: لم يثبت عندنا لسببين: الأوّل: سبب روائي، أنّه ورد بخبر الواحد وأخبار الآحاد ليست حجّة عندنا في الأمور غير التشريعيّة. الثاني: سبب فلسفي، وذلك لأنّ القول بعالم الذرّ يتعارض مع نظريّة العلماء القائلة بجسمانيّة أو ماديّة الروح حدوثاً وروحانيّتها بقاءً، أي تطوّرها من أصل مادي إلى وجود روحي، كما لم يثبت عالم الذر عند السيّد المرتضى كما ورد في أماليه (أمالي السيد المرتضى).

س: هل العقوبات الواردة في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ]﴾ (المائدة: ٣٣) على سبيل المثال أو الحصر؟

ج: إنّها واردة على سبيل المثال وذلك بمناسبات الحكم والموضوع، وقوله تعالى ﴿يُقَتَّلُوا﴾ أي يستحقّون أيّ شيء ممّا يصدق عليه قتل حتّى الرمي بالرصاص، لأنّه لم يقُل يُقتلوا بل قال ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾، والتقتيل هو التعريض إلى مختلف ألوان القتل، وعلى ذلك فإنّما تفعله الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران من رمي المفسدين في الأرض بالرصاص سائغٌ شرعاً.

س: لو صارت الأرض حبيسة لسبب اختياري أو قهري فما هو الطريق الشرعي لثبوت حقّ المرور وحقّ الشرب لصاحب الأرض الحبيسة؟ السبب الاختياري: كما في حالة قيام مالك عدّة قطع ببيع القطعة المتوسّطة، والسبب القهري: العوامل الطبيعيّة كموت نهر أو تحويله عن مجراه الأوّلي إلى مجرى آخر ثمّ صيرورة المجرى الأوّل إلى أرض صالحة للزراعة يملكها شخص بالإحياء فتؤدّي إلى حبس قطعة مجاورة؟

ج: للحاكم الإسلامي ولاية شرعيّة في منطقة الفراغ تخوّله إجبار صاحب الأرض المجاورة للأرض الحبيسة على السماح لصاحب الأرض الحبيسة بحقّ المرور وحقّ الشرب لقاء عوض يتّفق عليه الطرفان، ولا فرق في ذلك بين الأرض الحبيسة اختياراً أو قهراً.

س: لقد ورد غي أحكام بعض العقوبات سقوط الحدّ عن الجاني في حال التوبة كما في المحارب قبل القدرة عليه (تكتب الآية الواردة في سورة المائدة بهذا الصدد) فما هي التوبة المسقطة للحد؟

ج: إنّ مجرّد إعلان الجاني أمام الحاكم لا يسقط عنه الحدّ، لأنّ التوبة ملكة نفسانيّة تثبت بما تثبت به العدالة، فإذا دلّت الأرقام السلوكيّة أو شهادة الثقات أو الشيوع المفيد للاطمئنان على استقامة الجاني وتوبته توبة نصوحاً سقط عنه الحدّ.

س: ما هو حكم العربون القانوني؟ (والعربون هو أن يتّفق اثنان على شيء ويضعان مبلغاً يخسره كلّ من يخلفه)

ج: بما أنّ المتعاقدين يعلمان بالنصّ القانوني الذي يُقرّ هذا العربون، هذا النصّ الذي وُلد عرفاً عاماً بذلك، فإنّ العربون [القانوني] حكمه حكم الشرط الضمني الناشئ من العرف المتولّد من القانون فيجب الالتزام به لأنّه داخل تحت عموم (المؤمنون عند شروطهم) [تهذيب الأحكام ٧: ٣٧١]، إلاّ إذا ادّعى أحد المتعاقدين عدم علمه بهذا العرف أو هذا الشرط الضمني وتثبت دعواه، حينذاك لا تسري عليه أحكام العربون القانوني، وكذلك لو اتّفق المتعاقدان على خلاف أحكام

العربون القانوني فالاتّفاق محكّم على هذا الشرط الضمني.

س: ما هو حكم الأجرة في حالة عدول أحد طرفي عقد الأجرة عنها لسبب قهري أو اختياري؟

ج: يستحق الأجير الأجرة بالعقد، ولكن ليس له المطالبة بالأجرة قبل تسليم المنفعة، وإذا أبدى الأجير استعداده لبذل المنفعة أو تسليمها ولكن عدل المؤجّر عن الإجارة حلّت للأجير المطالبة بالأجرة مطلقاً أي مع اشتراط ذلك في العقد أو بدون الاشتراط وسواء كانت أسباب العدول قهريّة أو اختياريّة. أمّا لو عدل الأجير عن الإجارة فليس له حقّ المطالبة بالأجرة مطلقاً (أي لسبب قهري أو اختياري).

س: ما هو حكم الأموال أو الأعيان المقدّمة إلى الأضرحة المقدّسة ـ العتبات ـ بهديّة أو نذر أو ما شاكل؟

ج: إنّها تخضع لولاية الحاكم الشرعي ليوزّعها في المصالح الدينيّة، لأنّ المقصود بتقديم هذه الأموال للضريح هو الجهة الدينيّة حيث إنّ صاحب الضريح ليس حيّاً حتّى يملك هذه الأموال فيتولّى الحاكم الشرعي صرفها في الوجوه الخيريّة، وثوابها عائدٌ لصاحب الضريح. أمّا تصرّف الأشخاص الآخرين كالسدنة والعاملين في الأضرحة بهذه الأموال لمصالحهم الخاصّة أو بدون استئذان الحاكم فغير جائز، ولذا قد ورد في بعض الروايات أنّه إذا ظهر الإمامعليه السلام قطع أيدي بني شيبة لتصرّفهم شخصيّاً بالأموال المقدّمة للكعبة.

س: ورد في الخبر أنّ الشمس صبيحة ليلة القدر تطلع بدون شعاع [بحار الأنوار ١٨: ١٣٧] فما هو تفسير ذلك؟ وكيف نتصوّره؟

ج: معنى طلوعها بدون شعاع تصوّر خفّة الحرارة المنبعثة من الشعاع، ولعّل هذه العلامة لليلة القدر مختصّة لأوّل ليلة قدر في التأريخ وبالتالي فلا يشمل ذكرياتها على مرّ السنين.

س: ما هو حكم التسعير الإلزامي في المبيعات؟

ج: يجوز ذلك بدون إجحاف بالبائع حتّى لا تباع البضاعة إلاّ بالسعر الحقيقي.

س: ما هو حكم قيء الخمّار إذا خلط مع الخمر طعاماً طاهراً؟

ج: إن اشتمل القيء على خمر فهو نجس حتّى مع الخلط.

س: ورد في تعريف المرتدّ الفطري في الفقه الإسلامي (أنّه من ولد على فراش أبوين مسلمين) فما المقصود بالفراش وما حكمه لو ولد على فراش أبوين أحدهما مسلم دون الآخر؟

يقصد بالمتولّد على فراش مسلمين أي من انعقدت نطفته وهما مسلمان ومع الشك في تقدّم إسلامهما على الانعقاد أو تأخّره عنه نستصحب كفرهما. أمّا المرتد المتولّد على فراش أبوين أحدهما مسلم دون الآخر فإنّه مرتدٌّ فطري في المشهور لأنّه يتبع أشرف الأبوين.

س: هل يجوز التسعير الرسمي من قبل الدولة للأمور الاستهلاكيّة؟

ج: يجوز بشرطين: الأوّل: أن يكون التسعير بغير إجحاف للبائع. الشرط الثاني: أن لا يباع إلاّ بالسعر الحقيقي، يعني التسعير بمبلغ مثلاً (٢٠) درهم ولكن يباع عمليّاً في الأسواق بسعر (٤٠) فهذا يعني لا يكون [داعٍ] للتسعير لأنّه يكون مدعاة للتذمّر بدون فائدة متوخّاة.

س: ما المقصود بالمسلم الفطري أو ما هو تحديد المسلم الفطري؟

ج: هو المتولّد على فراش أبوين مسلمين أو على فراش أحد الأبوين المسلمين أو أن يكون أحدهما مسلماً إذ يتبع الولد أشرف الأبوين، بمعنى أن يكونا مسلمّين حال انعقاد النطفة. وإذا شككنا في إسلامهما عند انعقادها فعندئذٍ نجري قاعدة الاستصحاب ونستصحب كفرهما.

س: على عاتق من يقع ضمان معيشة أو نفقة الولد الطبيعي ـ غير الشرعي ـ (ابن الزنا)؟

ج: [..] تقع نفقته على نفقة بيت المال.

س: قال بعض الأصوليّين بأنّ الحبّ والبغض أو الكراهة والإرادة لا يعرضان للذات المقدّسة لأنّها انفعالات تقتضي الانتقال من القوّة إلى الفعل، أي من العدم إلى الوجود وهذا يستلزم نقص الذات، فما هو رأيكم الشريف بذلك؟

ج: لا داعي لهذا القول، إذ يمكن القول بأنّ الحالة الانفعاليّة والمترتّبة على الحبّ والبغض هي عبارة عن انفعال أزلي لا سيّما وأنّ النصوص القرآنيّة تساعد على هذا القسم حينما تصرّح بأنّ الله ﴿يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] و﴿لاَ يُحِبُّ

الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].. إلخ. نأخذ ذلك من الآيات القرآنيّة الصريحة في إثبات الحبّ والبغض للذات المقدّسة، والظواهر حجّة كما يقول الفقهاء والأصوليّون. يضاف إلى ذلك أنّ توصيف الله عزّ وجلّ بهذه الصفة الحيّة المتفاعلة بالحبّ والبغض تصويرٌ عملي مؤثّر في نفوس الناس، ولهذا فالأنبياء قدّموا صورة عن الله عزّ وجلّ للمجتمع فكانت هذه الصورة حيّة متفاعلة، ولم يصفوه بالصورة الجامدة التي صوّر فيها الفلاسفة الله عزّ وجلّ بأنّه عقيدة [هنا سقط *] أو [هنا سقط *] لعباده كالعالي الذي لا يلتفت للداني. ومن هنا كان الأنبياء أكثر تأثيراً في الناس من الفلاسفة حيث ملأوا الدنيا حبّاً من الله وفي الله ولله، بينما عقّد الفلاسفة فكرة الناس عن الله عزّ وجلّ..

س: ما هو رأيكم في دليل التطبيق على إبطال التسلسل؟ وصورة دليل التطبيق كالآتي: لو رسمنا خطّاً يمثّل سلسلة العلل والمعلولات ثمّ قطعنا قطعة من أوّل هذا الخطّ ثمّ على بقيّة الخط، وهنا لا يقال بتساوي الخطّين ـ خطّ الأصل والخطّ المقطوع ـ لأنّ الخط الثاني ـ أي المقطوع ـ منقطع قطعاً. ولمّا كان [متوقّفاً]، المسيرُ كان متناهياً، أو عندئذ لا يمكننا افتراض أنّ الخط الأصل غير متناهي لأنّه بعد القطع يزيد على الخط المقتطع بمقدار [متناه]، والقاعدة المنطَقيّة تقول إنّ الزائد على المتناهي بمقدار [متناه] [متناه]، إذن الأصل [متناه] وعليه يبطل الأصل؟

ج: هذا الدليل باطل من جهة أنّ قوام هذا الدليل يبتني على قاعدة (مّا زاد على [متناه] بمقدار متناه [متناه])، وهي قاعدة باطلة كما أثبت ذلك علم الرياضيّات الحديثة، ذلك لأنّ غير المتناهي لا يتصور فيه أصغرٌ وأكبر.

* * *

المجموعة السادسة: متفرّقات [انظر الوثيقة رقم (١٣٦)].

س: بسمه تعالى

سيّدنا المفدّى. سلامُ الله عليكم ورحمته وبركاته

١ ـ من هو أوّل فقيه مارس الولاية العامّة زمن الغيبة الكبرى؟

٢ ـ هل هناك روايات أخرى غير التوقيع الوارد عن الإمام المهدي عج تستدلّون بها على ولاية الفقيه العامّة؟ ما هي؟ وهل تستدلّون على الولاية العامّة للفقيه بأدلّة أخرى. ما هي؟

إبراهيم».

بسمه تعالى

جـ ١: الممارسة الكاملة الشاملة للولاية العامّة في زمن الغيبة لم تتأتَّ لأحد من الفقهاء، كما أنّها لم تتح لأكثر الأئمّة أنفسهم عليهم السلام. وأمّا الممارسة في حدود ما يقع من قضايا وارتباطات وحاجات للقواعد الشعبيّة للأئمّة من الشيعة المؤمنين بإمامتهم، فقد عاشها كلُّ الفقهاء منذ بداية عصر الغيبة. وأمّا تجسيد هذه الولاية العامّة في صيغة اجتماعيّة للمرجعيّة الدينيّة العامّة على نحو تشكّل محوراً دينيّاً له وكلاء في الأقطار المختلفة، فمن المظنون أنّ بداية ذلك كانت على يد الشهيد الأوّل من علماء الإماميّة.

جـ ٢: هناك روايات أخرى عديدة، غير أنّ ما نعتمد عليه هو التوقيع خاصّة في إثبات الولاية العامّة.

محمّد باقر الصدر.

س: الرواتب الشهريّة التي نتسلّمها من المدرسة محصولة عن الأراضي الكثيرة الموقوفة على شؤون المدرسة. ونحن نعلم أنّ حصيلات هذه الأرض لا تزكّى ولا تخمّس لكونها تحت رعاية من لا يهتمُّ بالأحكام الشرعيّة، فهل يجب علينا التخميس من الرواتب شهريّاً أن ماذا؟!

بسمه تعالى

لا يجب إخراج الخمس منها.

الصدر

س: الأراضي التي غادرها الهنود بعد تقسيم القارة الهنديّة وتغلّب عليها المسلمون المهاجرون من الهند إلى الباكستان، فهل تكون هذه الأراضي ملكاً للمتغلّبين أم يحتاجون إلى إجازة المجتهد بعنوان أنّها مجهولة المالك في التصرّف فيها؟!

بسمه تعالى

بل هي ملك للمتغلّبين.

الصدر

س: سماحة الإمام الصدر دامت [معاليهم]
بعد تقديم التحيّة، الرجاء إلقاء الضوء من فتاويكم على المسائل المذكورة:
رجلٌ لم يخمّس ماله حتّى الآن قطّ، وهو الآن يريد التخميس، فهل يجب عليه التخميس من جميع أمواله المستعملة من أثاث البيت والحيوانات والأراضي والأشجار والنقود وغيرها، أو يكفي تخميس الزائد عن [المؤونة]؟

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يجب الخمس فيما كان مؤونةً من أمواله إلاّ ما كان قد اشتراه بثمنٍ من أرباح سنة سابقة، فيتعلّق الخمس بثمن الشراء في هذه الحالة.

الصدر.

س: بسم الله الرحمن الرحيم
سيّدنا آية الله العظمى والمرجع الديني الأعلى الإمام الصدر دام ظلّه العالي.
أفتونا في المسائل الآتية:
١ ـ من بنى داراً في بغداد من مال مخمّس أو من ربح السنة التي لم يمرّ عليه الحول ثمّ سكن فيه بحيث صار دار سكنى له، ثمّ بعد ذلك باعه بمائة ألف دينار واشترى داراً في الكوفة بعشرة آلاف، هل يتعلّق الخمس للمال الباقي أو أنّه لا يتعلّق الخمس لأنّه كان من المؤونة؟ أو أنّه في أيّ صورة يتعلّق الخمس وفي أيّ صورة لا يتعلّق الخمس؟

بسمه تعالى

لا يتعلّق الخمس به لأنّه ثمن المؤونة.

٢ ـ من كان رأس ماله ألف دينار هل يجوز له أن يقوّم [=يقيّم] رأس ماله بما يساوي من الذهب؟ يعني يقوّم أمواله بالذهب أو لا؟

بسمه تعالى

الأقرب أنّه لا يجوز ذلك.

٣ ـ الحجّاج الذين خرجوا من منى يوم العاشر لمرض واستدام مرضهم إلى آخر ذي الحجّة، في أيّ صورة يصحّ حجّهم ويجوز لهم الاستنابة؟ وفي أيّ صورة يبطل حجّهم؟

بسمه تعالى

هذا السؤال غير واضح ولا أدري ماذا يفرض الإخلال به بسبب المرض.

س: سماحة الإمام الصدر دام عزّهم
نرجو الاطلاع على فتواكم في المسائل المذكورة فيما يلي:
١ ـ ما حكم صلوة الجمعة في هذه الأيّام عند سيّدنا الصدر دام عزّه؟

بسمه تعالى

حكمها أنّها أحد فردي الواجب التخييري، فإذا أقيمت جماعة وكان إمام الجمعة ممّن توفّرت فيه شرائط إمام الجماعة صحّت وأجزأت عن الظهر، ولكنّها غير واجبة الإقامة تعييناً.

٢ ـ ماذا حكم الإمام في أخذ الزيادة التي تعطيها المصارف الدوليّة لترويج معاملتهم وترغيب العامّة إليهم للذين يودعون أموالهم عندهم بدون أيّ شرط، هل تدخل في الربا أم لا؟

بسمه تعالى

إذا كان المصرف يعطي الزيادة مع علمه بعدم اشتراط ذلك من قبل المودع فالزيادة حلال لأنّها تعتبر حينئذ بمثابة الهبة، وأمّا إذا أعطاها على أساس كونها شرطاً وحقّاً للمودع فلا يجوز للمودع أخذها إلاّ إذا كان المصرف لكافر يجوّز أخذ الربا منه حينئذٍ، وإذا كان حكوميّاً طبّق على المأخوذ حكم مجهول المالك.

الصدر

س: سماحة الإمام الصدر أدام الله ظلّهم

الرجاء أن ترشدونا إلى فتاواكم في المسائل المذكورة، ولكم الشكر المتواصل غير مجذوذ:

١ ـ هل يجوز التلبّس بالعمامة السوداء لغير العلويّين في البلاد التي لا تعتبر العمامة السوداء شعائر للعلويّة وهل هناك نصوص في تخصيص هذا اللون بهم أم لا؟

بسمه تعالى

إذا لم تعتبر كذلك ولم يترتّب إغراءٌ بالجهل فيجوز.

الصدر

٢ ـ الأراضي التي غادرتها الهنادكة الوثنيّة ونفوا عنها بعد تقسيم [قارة] آسيا إلى الهند والباكستان التي لا يمتلكها أحد سوى الحكومة، هل يجوز البناء عليها للمؤمنين أم يجب الاستجازة من الحكومة لذلك أم هي بحكم الغنائم في هذا العصر؟

بسمه تعالى

يجوز البناء وتعتبر هذه الأراضي مباحة.

الصدر

س: سماحة الإمام الصدر دام عزّهم، الرجاء الإجابة عن المسائل التي فيما يلي:

١ ـ ما هو مقدار المهر الشرعي بحسب الوزن الحالي الرائج عندكم في النجف الاشرف موافقاً لما ذهب إليه الفقهاء من أنّه خمسمائة درهم مهر فاطمة الزهراء سلام الله عليها؟

بسمه تعالى

الدرهم الشرعي نصف مثقال صيرفي وربع عشره، أي واحد و[عشرون] من أربعين من المثقال الصيرفي وهو المتعارف.

٢ ـ هل يجوز قراءة بسم الله وبالله وخير الأسماء كلّها لله في التشهّد طبق ما يروى هذا الدعاء في المستدرك ج١ للنوري عن فقه الرضا ع باختلاف لبعض الكلمات التي لا توجد في الوسائل والعروة الوثقى بزيادة أشهد أنّ عليّاً نعم المولى إلخ أم لا؟ وهل كتاب فقه الرضا ع مصدرٌ معوّل عليه في تحقيقكم أم لا؟ (السابقي)

بسمه تعالى

الأحوط الاقتصار على ما هو مأثور، والشهادة لعلي عليه السلام في نفسها من أفضل الطاعات.

٣ ـ هل يجوز أكل جلد السمكة مع السمكة بعد طبخها أم لا؟

بسمه تعالى

نعم يجوز.

٤ ـ يقال إنّ الحبر المستعمل للأقلام الإنجليزيّة ممتزج بالإسبرتو (الكُحُل [=الكحول]) فهل يجوز استعماله للكتابة أم لا؟

بسمه تعالى

نعم يجوز والإسبرتو طاهر.

٥ ـ هل يجوز لمقلّدكم إماماً كان أو مأموماً أن يصلّي الظهر أيضاً بعد صلاة الجمعة إذا اقيمت بشرائطها جماعة أو فرداً برجاء القربة المطلوبة أم لا؟

بسمه تعالى

نعم يجوز له الاتيان بالظهر احتياطاً.

الصدر

س: بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الإمام الصدر دام مجده.

بعد التحيّات، يرجى الجواب عن المسائل الآتية مع الشكر:

١ ـ إذا كان إمام الجماعة مبتلى بمرض الصرع يعتريه الصرع في أوقات مختلفة غير معيّنة ولا يؤمن من أن يصرع في الصلاة بالجماعة فيكون هذا الأمر سبباً للخفّة والاستهزاء للمخالفين العامّة لكثرتهم عندنا، فهل يجوز للمؤمنين الاجتناب عن الائتمام خلفه وعزله إذا كان يوجد هناك إمامٌ آخر يعادله أو يكون أحسن وأكمل منه في

اجتماع الشرائط؟

بسمه تعالى

بعد السلام عليكم والدعاء لكم بالتوفيق والتسديد: إنّ الأحسن والأجدر بالإمام المبتلى في مفروض المسألة أن يسدّ أبواب المحذور المذكور بترك الإمامة لغيره ممّن هو أهلٌ لها، والله الموفّق للرشاد.

الصدر

٢ ـ البلدان المتّسعة في عدّة فراسخ كيف يحدّ فيها حدّ الترخّص؟ مثلاً إذا سافر الرجل من محلّة من نفس البلد إلى محلّة أخرى فيه تقع على ثمانية فراسخ فهل هذا مسافر مع وحدة البلد أم لا؟

بسمه تعالى

هذا مبيّن في الفتاوى الواضحة، ونحن نرى أنّ البلد الواسع بلد واحد ولا يبدأ السفر إلاّ من حين الخروج من تمامه، ويعتبر حدّ الترخّص بلحاظ تمام البلد لا المحلّة أو الحي.

الصدر

السائل

محمّد حسنين السابقي

س: بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة المجتهد الأكبر السيّد محمّد باقر الصدر دام ظلّه

سيّدي! الرجاء الجواب على هذه المسائل المدوّنة ولكم من الله الأجر والثواب:

أوّلاً: بعض المهاجرين المسلمين في أفريقيا يستخدمون أناساً ليقوموا بتدبير شؤون البيت من غسل للثياب وتنظيف الأواني وغير ذلك، ويتّفق أنّ بعض هذه الخدم من غير المسلمين، فما هو حكم الطهارة إذن في المأكل والملبس وخصوصاً الصلاة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان كتابيّاً فهو طاهر بالذات، وإذا كان مشركاً أو نحو ذلك فالأحوط وجوباً الاجتناب عمّا يساوره بالرطوبة.

الصدر

ثانياً: مهاجر [أودع] مالاً في أحد المصارف، ومعلومٌ أنّ المصارف تعطي فائدة تدخل في باب الربا المحرّم؟

بسمه تعالى

إذا كان المصرف لأناس غير مسلمين جاز أخذ الفائدة منهم، وإذا كان لأناس مسلمين فلا يجوز إلاّ إذا كان دفعها على وجه التطوّع والتبرّع بدون إلزام من المودع.

محمّد باقر الصدر

ثالثاً: هل يحقّ للزوج المسلم أن يستعمل أكره الحلال عند الله مع زوجته في حال إصرارها على السفور وترك الصلاة؟

بسمه تعالى

يجوز له طلاقها.

الصدر

رابعاً: ما رأي الدين في المصالحة على الحقوق الشرعيّة؟

بسمه تعالى

المصالحة بنقلها إلى الذمة جائزة، وأمّا المصالحة بالتنازل عن بعضها في مقابل البعض الآخر فلا تجوز.

محمّد باقر الصدر

س: بسم الله الرحمن الرحيم

آية الله العظمى والمرجع الديني السيّد محمّد باقر الصدر دام ظلّه العالي

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ما قولكم في رجل قد وقف قطعة أرض لبناء جامع و[نادٍ] حسيني، وقد حدّد هذه المساحة من جميع الجهات،

وتمّ الوقف بجميع شرائطه الشرعيّة، فهل يجوز أن يرجع قسماً من الأرض ويعوّض عليه أكثر ممّا أخذ بقطعة أرض متّصلة بها بحيث يبنى بها محلاّت تجاريّة تعود منافعها على الوقف؟ وبعبارة أخرى هل يجوز تبديلها بأحسن منها؟ وهل يفرق الحال بين أن يكون الواقف أصيلاً أو وكيلاً على الأرض؟ أفتونا مأجورين.

محمود كوثراني

بسم الله الرحمن الرحيم

في مفروض المسألة لا يجوز التبديل المذكور، والله العالم.

محمّد باقر الصدر

س: بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى السيّد الصدر أدام الله ظلّه العالي

مسألة: لو طلّق زيد امرأته، وبعد انتهاء العدّة تزوّجها عمر، ثمّ بعد سنين تبيّن أنّ زيداً مات بعد الطلاق بشهر أو شهرين فهل المولود ولد شبهة أو لا، وأنّها تحرم مؤبّداً أم لا؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الظاهر أنّ نكاح عمر باطل وأنّ الولد ولد شبهة، ولكن لا يبعد عدم الحرمة المؤبّدة فيجوز لعمر تجديد النكاح.

محمّد باقر الصدر

س: بسم الله تعالى

سماحة المرجع الديني الأعلى السيّد محمّد باقر الصدر المحترم دام ظلّه العالي.

من فضلكم الجواب السؤال التالي:

قطعة أرض صغيرة وقف عام تبلغ مساحتها أربعة أمتار مربّعة تقريباً مقطوعة من قطعة أخرى، وهذه المساحة المعيّنة واقعة بجوار طريق بحيث لا يستفاد منها أيّ شيء في مصلحة الوقف، هل يجوز بيعها لصاحب منزل بجوارها وطريقه عليها أم لا بحيث تبقى تابعة للطريق العام ولا يستفاد منها؟ أرجو الجواب على ذلك وتفضّلوا بقبول فائق الاحترام.

ولدكم أسد الله

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا لم تكن للقطعة المذكورة منفعة لا بصورة مستقلّة ولا بانضمامها إلى باقي أجزاء الوقف جاز بيعها وشراء ما يناسب بثمنها وجعله وقفاً بدلاً عن تلك القطعة.

الصدر

س: بسم الله الرحمن الرحيم

آية الله العظمى السيّد الصدر دام ظلّه العالي

١ ـ ما هي حكم الجمرة الموجودة فعلاً في منى؟ يعني هل يجزي الرمي من الطابق الثاني أو لا؟

بسمه تعالى

نعم يجزي.

٢ ـ من صالح أمواله بالمصالحة الشرعيّة لشخص واشترط في ضمن العقد أن تكون الأموال تحت تصرّفه ما دام العمر وأن يكون له خيار الفسخ، هل أنّ [هذه] المصالحة صحيحة أم لا؟

بسمه تعالى

نعم هذه المصالحة صحيحة.

الصدر

س: رجلٌ توفّي وكان قد كتب وصيّة تضمّنت ما يلي:

«وأمّا ما كان من أمر دنياه فإنّه قد جعل وصيّه الحاج حسن نجل المكرّم الحاج ميرزا محمّد في تنفيذ وصاياه الآتية ذيلاً: أوّلاً: أوصي أنّ جميع أثاث البيت وزينة وذهب وما شابه الذي يملكه فلقد باعه على زوجته الحاجيّة كنان بنت المرحوم الحاج غانم عن مبلغ عشرة ريال عربيّة ما عدا أثاث أخيه المرحوم الحاج يوسف، وقد قبض من

يدها المبلغ المذكور بيعاً صحيحاً شرعيّاً، وليس لأحد حقّ بعده [..] أن يدّعيها أو ينازعها أو يمانعها بأيّ وجه من الوجوه. والموجود من النقود أوّلاً: يخرج منه مصرف التجهيز الكامل من مصرف إقامة العزاء ثلاثة أيّام وهو تلاوة القرآن المجيد في المسجد، وبعد انتهاء التعزية يقسّم ما بقي من الموجود إلى ثلاثة أقسام: القسم الأوّل لزوجته كنان المذكورة، والقسم الثاني للأقارب والضعفاء، والقسم الثالث لتعميد مأتم المرحوم الشيخ حسن آل حرز، فمن بدّله بعد ما سمعه ... إلخ». هذا مع العلم أنّ المتوفي عقيم ولا ذريّة له وقد ترك نقوداً وعقارات، وهنا عدّة أسئلة:

أوّلاً: هل يظهر من معاملة البيع التي أجراها مع زوجته أنّه قد باع جميع ما يملكه لها سواء أكان أثاثاً أم زينةً أم ذهباً أم عقاراً؟ أم أنّ المعاملة مختصّة بالأثاث والذهب والزينة وما شابهها ولا تشمل العقار؟

ثانياً: لو كانت المعاملة تشمل العقار فهل أنّ وصيّته بالنسبة إلى النقود (التي هي التركة الوحيدة بناءً على شمول المعاملة مع الزوجة للعقار) تكون نافذة أو أنّها تنفذ في الثلث فقط وما زاد يعود للورثة الشرعيّة؟ وإذا كان ينفذ في الثلث فقط فهل يوزّع ثلث النقود على (الزوجة) (الضعفاء والأقرباء) (ومأتم الشيخ حسن) بالتساوي؟ ثم إنّ مصرف الفاتحة والتجهيز من أين يخرج؟ وممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ العقار يبلغ من حيث القيمة أكثر من ضعفي النقود بحيث إنّ الوصيّة لو نفّذت في النقود تكون قد نفّذت في أقلّ من ثلث التركة في مثل هذه الحالة، فهل يعني أنّ بقيّة ثلث الميت في العقار قد وهبه لورثته يقسّم حسب القيمة الشرعيّة أو يخرج بقيّة الثلث من العقار ويصرف في مصلحته؟ أرجو الإجابة على هذه المسألة بشيء من التفصيل والإيضاح حيث إنّها محلّ ابتلاء، مع العلم أنّ المتوفّى كان أميّاً لا يحسن القراءة والكتابة، والوصيّة كتبت عن لسانه ووقّع عليها بإبهامه.

ختاماً أطال الله عمركم الشريف، أرجو أن يكون جواب هذه المسألة على ظهر الورقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الظاهر عدم شمول البيع المذكور في الوصيّة للعقار، وعليه فيورّث العقار حسب قواعد الإرث وتنفّذ الوصيّة في النقد بتمامه فيستخرج منه مصرف التجهيز وإقامة العزاء ويقسّم ما بقي إلى ثلاثة أقسام متساوية.

محمّد باقر الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

س١: إذا كان الشخص كثير الشكوك والظنون في مجمل تصرّفاته وأعماله وإن كان في بعض الأمور طبيعيّاً ـ فهو لا يطمئنّ بسرعة إلى طهارة جسمه عند تطهيره، وعند الوضوء والغسل يطيل كثيراً ـ مثل هذا الشخص هل يستطيع أن يقوم بأعماله من دون أن يلتفت إلى أوهامه فيعمل بظنّه إذا ظنّ في أيّ عبادة وعمل ويطرح شكوكه؟

ومثل هذا الشخص إذا أنيب عن ميت في عمل هل تصحّ نيابته إذا قام بما أنيب فيه من دون أن يعتني بما يساوره بحيث أدّى العمل بصورة تامّة فلم تساوره الشكوك والأوهام إلاّ في بعض الأجزاء فلم يعتن بها؟ وما حكمه إذا اعتنى بها؟

س٢: إذا أنيب شخصٌ في ذبح الهدي عاشر ذي الحجّة فأخلّ ببعض الشروط ـ كشرط العمر واعتماده على صاحب الهدي عند شرائه منه ـ وبقي متردّداً، فلمّا عاد إلى بلده سأل وقيل له بوجوب الذبح عليه ثانيةً في السنة القادمة في منى، وذلك بعد إخبار المنوب عنه بأنّ ذمّته لا تزال مشغولة بوجوب الذبح وتعويضه ثمن الهدي، هل يستطيع النائب أن يبعث ثمن الهدي بيد ثقة متديّن ليذبح نيابةً عن المنوب عنه من دون إخباره أو هل تفرغ ذمّة النائب والمنوب عنه؟

س٣: موضع خروج الغائط هل يطهر بمجرّد زوال عين النجاسة بالماء؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ج١: الميزان أن ينزّل المكلّف نفسه منزلة الإنسان الاعتيادي في شكوكه وظنونه فما يزداد فيه على الإنسان المتعارف لا يعتني به.

ج٢: لا بدّ من إخبار المنوب عنه لكي يقصد القربة في إعادة الهدي نيابةً عنه.

ج٣: الغسلة المزيلة في موضع النجو كافية في التطهير [النجو هو العذرة أو ما يخرج من ريح أو غائط].

س: نسأل عن مجموعة أعمال وأذكار ولكن لا نعلم أنّها ثابتة الاستحباب أم لا ونكرّرها كثيراً، فقد نغفل عن أدائها برجاء المطلوبيّة ونؤدّيها بنيّة الاستحباب قربةً إلى الله تعالى، فنرجو بيان ما يؤتى منها رجاءً وما يؤتى منها بنيّة

الاستحباب: القنوت والتكبيرات في الصلاة عدا تكبيرة الإحرام، ورفع اليد أثناء جميع التكبيرات ـ وبالأثناء نرجو بيان متى نكبّر؟ حال الرفع أم عند خفض اليدين أم حال الرفع والخفض تبدأ بالرفع وتنتهي التكبيرة بالخفض ـ والصلاة على محمّد وآله بعد ذكر الركوع والسجود، والاستغفار بين السجدتين وهل له عبادة مخصوصة بالندب؟ و(الحمد لله) قبل التشهّد و(سمع الله لمن حمده) و(بحول الله وقوّته أقوم وأقعد وأركع وأسجد) و(السلام عليك أيّها النبي ورحمة الله وبركاته) و(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) بعد (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)، والتكبيرات الثلاث بعد انتهاء الصلاة مباشرةً مع رفع اليدين أثنائها ـ وهل رفع اليدين في هذه التكبيرات كما كان في التكبيرات السابقة؟ ـ وتسبيحة الزهراء وسجدتا الشكر والوضوء مع الكون على الطهارة، أو لقراءة القرآن، أو لرفع الحدث ـ وهل تتحقّق الطهارة الشرعيّة المبيحة للمحدث بالأصغر بالوضوء بما تقدّم من طهارة أو قراءة قرآن أو رفع حدث أم هناك نيّة للوضوء أخرى لا نحتاج معها إلى هذه القيود؟ ـ وصلاة الغفيلة. أي هذه الأعمال نأتي بها رجاء المطلوبيّة لنعلم أنّ الباقي من هذه الأعمال [يؤتى] بنيّة الاستحباب؟

بسم الله الرحمن الرحيم

كلّ ما ذكر يمكن أن يؤتى بنيّة الاستحباب.

س: كنت في صغري ألمس عظام الموتى التي يأتي بها عمّي للبيت للدراسة عليها، وبقيت فترةً من بعد بلوغي وأنا لا أعلم بوجوب غسل مسّ الميت، ثمّ علمت به ولكنّي ناسٍ للمسي عظام الموتى في صغري وبعد ذلك ذكرت، فهل صلاتي الماضية صحيحة وكذلك صيامي؟ وهل ما غسلت من أغسال الجنابة أغنت عن غسل مس الميت؟ وإن تكن أغنت فالحمد لله ولكن من حيث بلوغي إلى أوّل جنابة حدثت لي في تلك المدّة التي أعلم كم قدرها هل يجب عليّ قضاء صلاتي فيها وصيامي إن كان؟

بسمه تعالى

مسّ القطعة المبانة ولو كانت عظماً لا يوجب الغسل.

محمّد باقر الصدر

س: ما هي حدود طاعة الوالدين؟ وهل تجب بصورة مطلقة فيما لم يعارضها واجبٌ أو محرّم؟ فلو منعاني من شراء الكتب ـ وأنا أشتري الكتب الدينيّة أو الأخرى النافعة ـ مع العلم أنّي آخذ منهم نقودي غالباً.. [السؤال والجواب ممحوان].

سؤال حول الربا والإصلاح الزراعي وحريّة الديان في الإسلام وجّه إلى السيّد الصدر فأجاب بما يلي، والجواب ليس بخطّ يده:

أوّلاً: حول الربا:

الربا يكون في المكيل والموزون وفي القرض. من ملاحظة الروايات الواردة في جواز الضميمة نستطيع أن نخرج بما يلي:

١ ـ كانت هناك دراهم متفاوتة في السعر وإن كانت متساوية في الوزن، ومن وجوه التفاوت مثلاً السكّة المضروبة وغيرها من الوجوه الأخرى التي لا علاقة لها بالوزن.

المنطق السوقي يقول جئني بعشرة دراهم رديئة وأعطيك ما يساويها قيمةً من الدراهم الجيّدة وليكن ثمانية مثلاً، وأمّا أن تعطي عشرة دراهم رديئة وتأخذ عشرة جيّدة فهذا ما لا يتصوّر في هذا المنطق.

ولمّا كان الإسلام قد حرّم البيع بأكثر أو أقلّ منه فهو مثلاً لا يجوّز أن تعطي ثمانية دراهم جيّدة بدلاً عن عشرة دراهم جيّدة لأنّ نظره إلى التساوي في الوزن لا القيمة. لهذا وقع المتديّنون في ورطة، فهو إمّا أن يجلس في بيته أو أن يكتسب الحرام. فمن هنا أدخل الأئمّة الضميمة لتخليص المؤمنين من هذه الورطة، ومثال ذلك:

أن تعطي عشرة دراهم رديئة مع ضميمة من جنس آخر غير الدراهم ويأخذ ما يساويها من الجيّدة، ولنفرض ذلك في خمسة عشر درهم جيّدة، فالعشرة الرديئة مقابلها عشرة جيّدة والضميمة مقابل الخمسة دراهم الجيّدة. وبهذا يتخلّص المؤمن من الحرام دون أن يضرّ ذلك بكسبه ومعيشته.

وهذا من الواضح أنّه لا يجري على الذي يُستعمل في الوقت الحاضر إذ تباع مئة دينار بمائة وعشرين [ديناراً].

ومن الجدير بالذكر أنّ الدينار اليوم غير مغطّى بالذهب، لذا قد يقال بأنّه لا يكون من مواضع تحريم الربا، وهنا ـ كما

يراه بعضهم ـ فإنّ عملات اليوم ترجع إلى أوراق إلزامية كما هي مفصّلة في بعض الكتب، وعليه لربّ قائل يقول: إنّ من يبيع مائة دينار بمائة وعشرين لا يكون قد عامل بالربا.

وهذا غير صحيح لأنّا نقول: إنّ هذا من قبيل القرض وإن كان لفظه يدلّ على البيع، والألفاظ لا تغيّر الحقائق، ولمّا كان الغرض هو أخذ الزيادة عليه رباً فهو حرام.

وأمّا الحكمة [في] أنّ الشارع نظر إلى المساوي في الوزن دون القيمة هو أنّ الكثرة من التفاوت في الأسعار بين المكيلات والموزونات يكون بحسب تفاوت أوزانها، ولذا عمّم الحكم على كلّ [مساوٍ] في الكيل.

ثانياً: حول الإصلاح الزراعي:

الأراضي على قسمين: خراجية وغيرها.

فالخراجيّة يملكها المسلمون جميعهم والقيّم عليها الدولة الشرعيّة وتنظر إليها حسب المصلحة، ولا يجوز لأيّ شخص آخر حيازتها دون إذن الدولة الشرعيّة.

وأمّا غيرها فتملك ولكن بشرطين:

١ ـ أن يحييها مباشرةً بنفسه فتكون له.

٢ ـ أن تحيى من قبل آخرين ولكن يقصدون في قلوبهم بصدق أن [يملّكوا] هذا الشخص الحائز.

ولا يجوز الحمى في الإسلام فقد ورد: (لا حمى إلاّ لله و[لرسوله]) [بحار الأنوار ٣١: ٢٢٩].

والإقطاع الموجود حالياً قد استولى على الأراضي بطريق غير مشروع وذلك لعدم توفّر الشرط الثاني للتمليك، وذلك هو الرضا من الذين يباشرون إحياء الأرض.

إذن الواضح أنّه لو سألنا أيّ فلاّح من الفلاّحين على أنّه يرضى بتمليك الإقطاعي لأجاب بالنفي.

وعليه لو قامت الدولة فإنّها تقوم أوّلاً بتعيين الأراضي الخراجيّة، فإن أعوزها العلم تتّبع الظن [لانتفاء] الأوّل، وتقوم بدورها فيما ترى فيه المصلحة العامّة إمّا بإنشاء المزارع التعاونيّة أو تقسيمها أو أي طريقة مناسبة أخرى.

وأمّا الأراضي الأخرى (غير الخراجيّة) فتنتزع من الإقطاعي الظالم وتعطى إلى الفلاّحين المظلومين.

هذا في نطاق الدولة الشرعيّة. أمّا الآن فالفلاّح إذا احتمل (وهذا حاصل) أنّ الإقطاعي الذي أخذت منه الأرض لا يتوفّر فيه شرطا التمليك فله أن يستثمر الأرض بلا أيّ حرمة.

ثالثاً: حول حريّة الأديان في الإسلام:

الإسلام فيه جانبان هما: ١ ـ الديني، ٢ ـ النظام.

فالجانب الأوّل هو علاقة الشخص بربّه وعقيدته التي يعتنقها: فهنا لا يجبر أحداً على الإقلاع عن دينه، وعليه فهو لا يحارب البلدان الأخرى الكافرة لاعتناق الإسلام وترك دينهم. أمّا الجانب الثاني فهو يعتقد أنّ نظامه هو الحلّ الوحيد والقضيّة العادلة التي يجب أن تسود وتحكم وتنقذ المظلومين وتنشر العدل في صفوف الخلق كلّه. وعليه فهو عندما يحارب الدول الأخرى كما فعل فإنّما يحارب الطواغيت السياسيّة المتحكّمة الظالمة للشعب ولا يحارب الدين الذي يعتنقون. وعليه فهو يحارب الطواغيت حتّى يذلّهم ويدحرهم ويوطّد الحكم العادل للشعوب. أمّا لو قيل إنّ الشعب الآخر قد لا يرضى بالحكم الإسلامي ولا يرضى بهذا العدل فهنا نقول: إنّ الإسلام يعتبر مثل هؤلاء قاصرين وهو القيّم عليها وأنّهم لا يعرفون مصلحتهم كما قام بعض العبيد يعارضون (لنكولن) حينما نادى بالتحرير.

وبعد هذا لو حكم الإسلام في مكان ما فإنّه يبيح لأهل الملل أن يعتقدوا ما شاؤوا من الأديان، وكما أنّه لا يعارض أن]يتلوّن[كلّهم بمبادئهم الخاصّة، وكما يبيح لهم إقامة شعائرهم.

نعم؛ إنّه لا يبيح لهم أن يبشّروا بدينهم جماهيرياً لأنّ في هذا تشكيكاً للملأ في القاعدة التي يستند إليها المجتمع الإسلامي ـ وهو الإسلام ـ ، والمجتمع الإسلامي إذا وجد الشكّ في القاعدة فإنّه سوف ينهدم بدون ريب، وهذا ما تفعله المذاهب الأخرى جميعاً كالديمقراطيّة والاشتراكيّة.

نعم؛ الإسلام يبيح لهم الجدال والإعلان عن رأيهم فيه في المجالس الخاصّة كالجامعات وغيرها.

ملاحظة: إنّ الأحكام التي ذكرناها تجري على المؤمنين بالله من غير المسلمين. أمّا المشركون الملحدون فلا يقبل منهم إلاّ الإسلام لأنّه يعتقد بأنّ حقّ الحياة لا يمنح لغير المؤمن بالله، ومثله يجب أن يزال من الوجود.

***

المجموعة السابعة: أستفتاءات بالفارسيّة [انظر الوثيقة رقم (١٣٧).

(يُشار إلى أنّ كاتب الأسئلة ليس فارسيّاً على ما يبدو لأنّ في لغته اضطراباً واضحاً).

س: بسمه تعالى

محضر مبارك حضرت آية الله العظمى آقاى حاج سيّد محمّد باقر صدر دام ظلّه.

چه ميفرمائيد؟ انگشتر از پلاتين معمولى بر مردان كه پلاتين مصنوعى است، يعنى در بيست چهار نخود شش نخود فلز [...] بر هيجده آن نخود از طلاى سرخ يا زرد ميزنند، ولى آن شش نخود آن هيجده نخود را مستهلك نموده، وبآن طلاى سفيد ميگويند وپلاتين اطلاق ميكنند.

آيا پوشيدن از آن بر مردان حلال است يا حرام؟ راى ونظر شريف را صريحاً در ذيل مرقوم فرمائيد.

[ماذا تقولون في لبس خاتم البلاتين للرجال إذا كان البلاتين صناعيّاً؟ ويتمّ تصنيع هذا البلاتين ـ في كلّ أربع وعشرين معياراً ـ عبر إضافة ستّة معايير من الذهب الأحمر أو الأصفر إلى ثمانية عشر معياراً من المعدن، ويتمّ استهلاك المعايير الستّة من الذهب في المعايير الثمانية عشر، ويطلق على الحاصل من هذه العمليّة اسم الذهب الأبيض أو البلاتين. فهل يحرم لبسه على الرجال أم لا؟ نرجو التفضّل برأيكم الشريف بشكل واضح].

بسم الله الرحمن الرحيم

لبس هذا الخاتم في مفروض المسألة جائز حتّى لو لم يفرض استهلاك مقدار الذهب في غيره، إذ يكفي عدم استهلاك الضميمة المنضمّة إلى الذهب في عدم شمول إطلاق أدلّة الحرمة.

الصدر

س: در شهرهاى بزرگ مقصود از وحدت محل اقامت چيست؟ آيا نفس آن محله اى كه آنجا نشسته يا خود آن شهر كه يك محله اش با ديگرى تقريباً ده دوازده ميل فاصله دارد؟

[ما المقصود من وحدة محلّ الإقامة في المدن الكبرى؟ هل المقصود نفس المحلّة التي يسكن فيها أم المقصود نفس تلك المدينة التي تبعد المحلّة فيها عن الأخرى نحواً من عشرة أميال أو اثني عشر ميلاً؟]

كافيست آنكه شهر داراى وحدت باشد گر چه محله هاى آن با هم فاصله داشته باشد.

[يكفي أن تكون المدينة ذات وحدة وإن ابتعدت المحلاّت فيها عن بعضها البعض].

س: بعضى مردم كه در شهرهاى بزرگ سه چهار ماه اقامه ميكنند ودر طول وعرض شهر براى كسب معاش ميگردند آنها مسافر گفته ميشوند يا مقيم؟

[البعض يقيم في المدن الكبرى لمدّة ثلاثة أو أربعة أشهر ويتنقّل في كافّة أنحاء المدينة طولاً وعرضاً بغرض كسب المعاش، هل يعتبر هؤلاء مقيمين أم مسافرين؟]

مقيم هستند.

[بل هم مقيمون].

س: در جاى كه براى زنها پوشيدن رو عرفاً معيوب ميباشد، كشف وجه جايز است يا خير؟ وبالفرض اگر جايز است نظر كردن به اين زنها چه حكم دارد؟

[في الأماكن التي يعدّ فيها ستر المرأة وجهها عيباً، هل يجوز لها كشف الوجه أم لا؟ وإذا جاز ذلك فما حكم النظر إليها؟]

جايز است ونظر كردن بدون ريبه نيز جايز است.

[كشف الوجه جائز، وكذلك النظر بدون ريبة].

س: در مثل اين جاها در مدارس خواندن دخترها با پسرها جايز ميشود يا خير؟ خصوصاً آنوقت كه از جهت قوانين حكوميه در بين آنها تفريق ممكن نباشد.

[في مثل هذه الأماكن هل يجوز دخول الفتيات إلى المدارس المختلطة مع الفتيان؟ خاصّةً وأنّه لا سبيل إلى الفصل بين الجنسين من ناحية القوانين الحكوميّة].

در صورتيكه موجب باحجابى يا فساد اخلاق گردد جايز نيست.

[إذا أوجب نزع الحجاب أو فساد الأخلاق فلا يجوز].

س: در اجتماعات عامه اهل سنت زنها هم تقرير ميكنند واين اجتماعات باسم مذهب اسلام منعقد ميشود، آيا شركت كردن در مثل اينجاها جايز ميباشد يا نه؟

[في الاجتماعات العامّة لأهل السنّة تشارك المرأة الرجل في القرار، وتقام هذه الاجتماعات باسم الإسلام، فهل تجوز المشاركة في هذه الأماكن أم لا؟] [المراد من السؤال غامضٌ نسبيّاً].

در صورت عدم ترتب حرام جايز است.

[إذا لم يترتّب على ذلك حرامٌ جاز].

س: طعام وذبيحه اهل كتاب چه حكم دارد؟

[ما حكم طعام أهل الكتاب وذبائحهم؟]

ذبيحه اهل كتاب حرام است، ليكن غير از آن بقيه اطعمه چنان علم بنجاست آنها نباشد جايز است.

[تحرم ذبيحة أهل الكتاب، أمّا ما عداها من الطعام فما لم يعلم بالنجاسة جاز أكله].

س: كار كردن زنها در دوائر حكوميه با اينكه نميتوانند مقيد بحجاب بشوند چه حكم دارد خصوصاً در موقعيكه امر معاش موقوف باشد بر كار كردن زن وشوهر هر دوتا؟

[ما حكم العمل للنساء في الدوائر الحكوميّة مع عدم إمكان تقيّدهنّ بالحجاب؟ خاصّةً إذا توقّف أمر المعاش على عمل المرأة إلى جانب الرجل؟].

كار كردن در دوائر منافات با حجاب شرعى كه عبارت از ستر ما عداى وجه وكفين ميباشد ندارد.

[إنّ العمل في الدوائر الحكوميّة لا ينافي الحجاب الذي هو عبارة عن ستر ما عدا الوجه والكفّين].

س: تصاوير وفيلمها كه باسم ديار مدينه ودربار حبيب وغيرها در سينماها ميآيند ديدنش چه طور است اگر از غنا ورقص پاك باشد؟

[ما حكم الصور والأفلام المعروضة في السينما من قبيل (ديار المدينة) و(بلاط الحبيب) وغيرها إذا لم تشتمل على الغناء والرقص؟]

جائز است چنانچه مستلزم محرم ديگرى نشود.

[مشاهدتها جائزة إذا لم تستلزم محرّماً آخر].

س: در آن بلادها كه هفت وهشت ماه [رؤيت معدل] ممكن نميشود واز طرف شعبه موسميات [..] چاپ كرده نشر ميكنند كه [...] روزماه از محاق بيرون خواهد آمد، آيا اعتماد كردن به اين بيانها جائز است يا خير؟

[...... هل يجوز الاعتماد على هذه البيانات أم لا؟] [عدم وضوح بعض الكلمات يجعل أداء المعنى بالترجمة متعذّراً].

چنانچه اطمئنان حاصل گردد از بيانهاى مذكور كه بصحت آنها ومفاد آن بيانها اين باشد كه ماه قابل رؤيت است نه اينكه از محاق بيرون آمده، پس اعتماد جايز است.

[إذا حصل الاطمئنان من البيانات المذكورة جاز الاعتماد عليها بشرط إفادتها إمكان رؤية الهلال لا خروجه من المحاق].

س: در مآتم حسينيه زنجير زدن وخون در آوردن چه حكم دارد؟ آيا بجاى مأتم خون دادن در مستشفى باسم إمام حسين عليه السلام ثوابش بيشتر ميباشد؟

[ما حكم الضرب بالسلاسل والتطبير في المآتم الحسينيّة؟ وهل يثاب المكلّف أكثر على تبرّعه بالدم في المستشفيات باسم الإمام الحسين عليه السلام؟]

نكته هاى كه در مبدل موجود است در بدل مذكور نيست، وچنانچه مستلزم مرتبه محرمى از ضرر نباشد حرام نيست مگر عنوان ثانوى محرمى منطبق شود.

[النكات الموجودة في المبدّل غير مذكورة في البدل، وإذا لم يستلزم ـ [الضرب بالسلاسل والتطبير] ـ مرتبةً محرّمة من الضرر لم يحرم ما لم ينطبق عليه عنوان ثانويٌّ محرّم].

س: در متعه كردن با دختران اهل كتاب اذن اولياء شان شرط است يا خير؟ آيا لازم است كه همه احكامهايى كه متعلق بنكاح منقطع است بايشان تعليم كرده بشود؟ يا في الجمله خبر دادن كه اين يك رشته مؤقتى است وخود

از او وكيل بشود وصيغه بخواند كفايت مى كند؟

[هل يشترط أخذ إذن ولي الفتاة في العقد المنقطع إذا كانت كتابيّة؟ وهل يجب تعليمها كافة الأحكام المتعلّقة بالعقد المنقطع أم يكفي إعلامها بأنّه عقدٌ مؤقّت ثمّ يكون وكيلاً عنها في إجراء العقد؟]

اهل كتابيكه اولياء دخترهاى آنها اجازه بمعاشرت اجنبى با دخترهايشان ميدهند اذن آنها شرط نيست، وياد دادن زنهاى كتابيه احكام عقد منقطع را واجب نيست.

[إذا كان أولياء الفتاة يسمحون لها بمعاشرة الأجنبي لم يشترط أخذ إذنهم في العقد، أمّا تعليمها أحكام العقد المنقطع فغير واجب].

س: آيا جايز است كه شوهر پستان زنش را بمكد خواه شير در بيايد يا نه؟ وهمين طور براى زن مكيدن آله تناسل شوهرش چه حكم دارد خواه منى خارج بشود يا نه؟

[هل يجوز للزوج (...) (...) زوجته سواء خرج منهما اللبن أم لم يخرج؟ وهل يجوز لها (...) (...) زوجها سواء خرج منه المني أم لم يخرج؟] [ما بين (...) لم نترجمه ويوضحه السياق].

مكيدن در مورد مذكور جايز است.

[إنّ (...) في المورد المذكور جائز].

س: پنيرايى كه از حيوان غير مذكى حاصل كرده شده طاهر شمرده ميشود يا خير؟ استعمالش چه حكم دارد؟

[الجبن المتّخذ من الحيوان غير المذكّى طاهر أم لا؟ وما هو حكم استعماله (= تناوله)؟]

چنانچه اشكال از نظر ما به پنير باشد (انفحه) پس آن از مستثنيات ميته است وطاهر است.

[إذا كان الإشكال متوجّهاً إلى الجبن (الأنفحّة) فإنّها من مستثنيات الميتة ومحكومة بالطهارة].

س: در تلفزيون ديدن تصاوير زنهاى برهنه كه احتمال خروج منى يا يقين خروج مذى درشته باشد چه حكم دارد؟

[ما حكم مشاهدة النساء العاريات عبر التلفاز في حال احتمال خروج المني أو اليقين بخروج المذي؟]

بي اشكال نيست.

[لا يخلو ذلك من إشكال].

س: در آن بلاد غربيه كه مصافحه كردن با زنها يا بوسه دادنشان را عين اخلاق شمرده ميشود تكليف شرعى أهل ديانت چه باشد؟

[في البلاد الغربيّة حيث تكون مصافحة النساء وتقبيلهنّ من صميم الأخلاق، ما هو تكليف المتديّنين؟]

مصافحه با زنها اجنبيه جايز نيست چه رسد به بوسه دادن.

[لا تجوز مصافحة النساء الأجنبيّات، فما بالكم بتقبيلهنّ].

س: در آنجائيكه خريدن منزل جزء زندگى باشد وبغير اينكه از بانك قرض بگيرد ودر وقت پس دادنش ربا لازم آيد چه تكليف دارد با اينكه خانه اجاره اگر متعذر نباشد يقيناً متعسر است؟

[إذا عدّ شراء المنزل من أساسيّات الحياة ولم يكن ذلك ممكناً إلاّ من خلال الاقتراض من البنك، فما حكم الربا الحاصل عند تسديد القرض، علماً بأنّ الاستئجار إن لم يكن متعذّراً فإنّه متعسّر بالتأكيد].

در صورتيكه بانك حكومتى باشد حكم مجهول مالك را دارد ودر صورتيكه صاحب بانك كافر باشد حكم غنيمت را دارد ودادن پول وربا مانند دادن ضرايب اجبارى است.

[إذا كان البنك حكوميّاً فحكم المال حكم مجهول المالك، وإن كان صاحب البنك كافراً جرت على المال أحكام الغنيمة. أمّا تسديد المال إليه والربا الحاصل فمن قبيل الضرائب الإجباريّة].

س: در مطاعم اى كه احتمال قوى باشد كه ظروفش ملوث بخمر ولحم وشحم خنزير ميشود، خوردن غذا چه حكم دارد؟

[ما حكم الأكل من المطاعم التي نحتمل بقوّة تنجّس أطباقها وأوانيها بالخمر وبلحم الخنزير وشحمه؟]

چنانچه بمرتبه اطمئنان نرسد طاهر است.

[إذا لم يصل ذلك إلى درجة الاطمئنان حكم بالطهارة].

س: استمناء بدست خود وبدست زوجه آيا حكماً فرق دارد؟ اگر فرق دارد چرا؟

[هل هناك فرقٌ بين الاستمناء باليد وبين الاستمناء بيد الزوجة؟ وإذا كان ثمّة فرق فما هو المنشأ؟]

فرق ندارد مكر اينكه نحوى از انحاء استمتاع با زن شمرده شود.

[لا فرق بينهما إلاّ إذا عدّ الاستمناء بيد الزوجة نحواً من أنحاء الاستمتاع بها].

س: معاشرت آن زنيكه قصد نكاحش درشته باشد بهمه امورش غير از نزديكى آيا جايز است؟ خصوصاً در بلدهايى كه دخترها بغير اختبار واختلاط راضى بعقد نمى شوند. در همچنين جاها تكليف متدين چيست [..] بى زن بماند.

[هل تجوز معاشرة من يريد نكاحها إذا لم يصل الأمر إلى حدّ التقرّب الجنسي؟ خاصّةً في البلاد التي لا تقبل الفتاة فيها إبرام العقد إذا لم يكن مسبوقاً بفترة من الاختبار].

در حدود معاشرت جايز با اجنبيه متكشفه كه نظر باو بدون ريبه جايز است عيب ندارد، واينمقدار عادةً براى اختبار كافيست.

[لا إشكال في ذلك مع الأجنبيّة المتكشّفة إذا لم يكن النظر إليها بريبة، وهذا المقدار يكفي عادةً من أجل الاختبار].

س: زيد با خواهر زينب متعه كرد وقبل از مجامعت مدتش [هبه] كرد، آيا جايز است كه قبل از خارج شدنش از عده با زينب تزويج بكند؟

[إذا عقد زيد على أخت زينب عقداً منقطعاً ثمّ وهبها المدّة قبل الجماع، فهل يجوز له الزواج من زينب قبل انقضاء عدّة أختها؟]

در صورت عدم مجامعت عده اى در كار نيست.

[ما لم يحصل الجماع فلا عدّة].

س: رقص كردن آيا حرام است؟ واگر جايز نيست ديدنش چه طور؟ خصوصاً در آن صورتيكه رقص كننده مرد يا زن جايز النظر باشد؟

[هل يحرم الرقص؟ وإذا حرم فما حكم مشاهدته؟ خاصّةً إذا كان الراقص ـ رجلاً أو امرأةً ـ ممّن يجوز النظر إليه؟]

رقص كردن حرمت نفسى ندارد وانما در صورتيكه نحوى از استمتاع جنسى با اجنبيه باشد حرام است، لهذا رقصيدن شوهر با زن خود جايز است.

[إنّ الرقص غير محرّم في نفسه، وإنّما يحرم إذا عدّ نحواً من الاستمتاع الجنسي بالأجنبيّة، لذا فإنّه لا إشكال في رقص الرجل مع زوجته].

س: زنهايى كه حمل شان را ساقط كرده اند وميخواهند توبه بكنند توبه شان چه باشد؟

[ما هي توبة من تسقط جنينها وتريد التوبة؟]

توبه آنها دادن ديه اسقاط حمل واستغفار وتوبه كردن ميباشد.

[توبتها أوّلاً عبر أدائها ديّة إسقاط الحمل ثمّ الاستغفار والتوبة].

س: ربا گرفتن از بانك مسلم وغير مسلم فرق دارد؟ واگر فرق دارد وجه جواز چه باشد؟

[هل هناك فرقٌ بين أخذ الربا من البنك المسلم وبين غيره؟ وما هو وجه الجواز إذا اختلف الحكم بينهما؟]

از بانك مسلمان ربا است وحرام واز غير مسلم در صورتيكه ذمى نباشد از مستثنيات ربا ميباشد وجايز است.

[إذا كان من المسلم حرم لأنّه ربا، أمّا من غير المسلم فإنّ لم يكن ذمياً كان من مستثنيات الربا وجاز].

س: در حجاب زنها ستر بشره كفايت ميكند؟ يعنى در اينزمانيكه زنها لباس تنگ مى پوشند اوضاع بدنشان ظاهر ميماند آيا اين جايز است يا خير؟

[هل يكفي في حجاب النساء ستر البشرة؟ وهل يكفي في هذا الزمان ما تلبسه النساء من ملابس ضيّقة تحكي عن أجسادهنّ؟]

در ستر وحجاب شرعى كافيست ستر ما عداى وجه وكفين بصورتى كه مثير ومهيج نباشد.

[يكفي في الستر الشرعي ستر ما عدا الوجه والكفّين على أن لا يكون ذلك مثيراً ومهيّجاً].

* * *

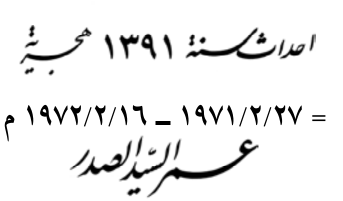
س: اگر زن موهای ساخته را بر سرش بگذارد از پوشیدن موهای خودش کفایت میکند؟ یعنی در صورتیکه پوشیدن رو بر آن واجب نیست آنرا از استعمال چادر مستغنی میکند؟

[إذا وضعت المرأة شعراً مستعاراً، فهل يجزيها ذلك عن سترها شعرَها؟ يعني في حال لم يجب عليها تغطيته فهل يغنيها ذلك عن الشادور؟]

خير، مستغنى نميكند.

[كلاّ، لا يغنيها عنه].

* وأخيراً: هناك استفتاء حول عصمة السيّد الزهراء عليها السلام كان موجوداً عند الدكتور داوود العطّار رحمه الله، ولم يتمّ العثور عليه.



٣٧ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣٥ سنة و١١ شهراً و٢٦ يوماً م

***

الحركة التصحيحيّة في سوريا

في آذار/١٩٧١م (محرّم/١٣٩١هـ) قاد الرئيس الراحل حافظ الأسد الحركة التصحيحيّة في سوريا، وصار رئيساً للجمهوريّة بعد أن حاز على ٩٩،٢٪ من الأصوات[١].

وقد بعث الرئيس الأسد برسالة شفهيّة عبر السيّد موسى الصدر طلب فيها من السيّد الصدر‎ﷺ أن يقوم بإرسال عشرة مبلّغين (أو اثني عشر مبلّغاً) من النجف الأشرف إلى سوريا من أجل تغيير البُنية العقائديّة لدولته، وكان الرئيس الأسد منبهراً بكتب السيّد الصدر‎ﷺ وأفكاره وطريقة عرضه الفكرَ الإسلاميَّ بما ينسجم مع متطلّبات العصر، ولكنّ السيّد الصدر‎ﷺ أسف لأنّه لا يملك ولو مبلّغاً واحداً[٢]. وكان قد طرح هذا الموضوع في على طلاّبه وطلب منهم البحث عن عالمٍ واعٍ يستلم أمور الشيعة في دمشق ويتمكّن من الارتباط بعلماء السنّة دون أن يثير النعرات الطائفيّة الّتي يتحسّس منها النظام السوري[٣].

مع السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي

في ٢٩/محرّم/١٣٩١هـ (١٩٧١/٣/٢٧م) كتب السيّد الصدر‎ﷺ إلى السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الإمام المجاهد حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّد علي الطباطبائي القاضي متّعنا الله بوجوده الشريف.

السلام عليكم زنة شوقي إليكم وتقديري لكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت قبساً من علوم الأئمّة عليهم الصلاة والسلام وشعاعاً من نورهم متمثّلاً في رسالتكم الشريفة حول علم الإمام وكشف مشكلات هذا الموضوع ببيان رائق وأسلوب استدلالي وتعمّق في البحث، الأمر الذي يضيف هذا النتاج الجليل إلى ما عوّدتم عليه الأمّة والحوزة من نتاجات علميّة

---

(١) انظر: الموسوعة العربيّة الميسّرة والموسّعة ٥: ٢٤١٠ ؛ (Microsoft Encarta/Syria).

(٢) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٨٨ ؛ الشيخ محمّد رضا النعماني في ندوة أقامها التركمان حول السيّد الصدر‎ﷺ (﴿﴾) ؛ مقابلة قناة العراقيّة مع الشيخ محمّد رضا النعماني التي بثّت بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٨م ؛ محاضرة للسيّد كاظم الحائري في (منتدى جبل عامل) في قمّ بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٤م. وفي (شهيد الأمّة وشاهدها): «رئيساً لدولة عربيّة مجاورة للعراق»، وقد صرّح بالاسم الشيخ النعماني في المقابلة ؛ ثمّ أكد لي ذلك الشيخ النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م.

(٣) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﴿﴾).

وأعمال جليلة في مختلف المجالات.

وإنّي إذ أبتهل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يعزّ بوجودكم الميمون وبجهادكم العلمي وبإمكاناتكم الجليلة الإسلام ولواء أهل بيت العصمة عليهم الصلاة والسلام، أطلب إليه عزّ وجلّ أن يطيل عمركم الميمون ويجعل منكم باستمرار مصدراً للإشعاع والإفادة والتوجيه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر

٢٩ محرّم الحرام ١٣٩١ هـ»[١].

ومن رسائل السيّد الصدر رحمه الله إليه الرسالة التالية:

«إيران ـ تبريز ـ معصوميّة

سماحة الأخ المعظّم المجاهد آية الله

آقاي آقا سيّد محمّد علي القاضي دامت بركاته

اسم وعنوان المرسل

المرسل: محمّد باقر الصدر ـ النجف الأشرف

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المولى المعظّم دامت أيّامه ولا حرمني الله من ألطافه وعواطفه.

السلام عليكم زنة شوقي إلى محضركم الحبيب وتقديري لشخصكم الكريم وإعجابي بكلّ ما يشتمل عليه وجودكم المبارك من كمالات العلم والعمل وجمال الروح والقلم.

وبعد، فقد تلقّيت بمزيد السرور والشكر والاحترام رسالتكم الحبيبة وتشرّفت بقراءتها بكلّ فرح وتقدير لأنّها رسالة من عالم من علماء الإسلام الجديرين بحمل أعباء الرسالة والمقدّرين لمتطلّباتها، ومن مجاهد بقلمه ولسانه وكلّ حوله وطوله في سبيل الشريعة والحوزة وإعلاء كلمة الله، ومن منارٍ شامخٍ من منارات الدين والعلم تعقد عليه الآمال وتضرب بسيرته الأمثال.

وإنّي في الوقت الذي أشكر فيه لطفكم وتفضّلكم بالمراسلة، أشكر المولى سبحانه وتعالى على ما بلغني ويبلغني من أخباركم واستئناف الخيرات والبركات على المؤمنين جميعاً هناك بفضل رجوعكم ووجودكم الذي كان ولا يزال امتداداً لسيرة أجدادكم الطاهرين سلام الله عليهم أجمعين.

كتب إليّ الأخ المحقّق الحجّة الشيخ محمّد جواد مغنيّة رسالة شكر ويخبرني فيها في جملة ما يخبرني أنّه طلب من السيّد الميلاني في رسالة أرسلها إليه أن يهيّئ ولو تسبيباً[٢] مقالاً في تاريخ الحوزة العلميّة في المشهد لينشر المقال في مجلّة العلوم في بيروت، كما ينشر مقالاً آخر عن الحوزة في قم وفي النجف بقصد الدعاية [...][٣] المذهب، وقد كتبت إلى الشيخ مغنيّة أستحسن إقدامه على هذه الفكرة وأطلب منه أن يفكّر في الحوزة العلميّة في تبريز كما يفكّر في خراسان وقم والنجف الأشرف، وطلبتُ منه أن يكتب إليكم ويطلب منكم بشأن الحوزة العلميّة في تبريز نظير ما طلب من السيّد الميلاني بالنسبة إلى حوزة المشهد، ولا أدري هل كتب إليكم أو لا؟! ومقصودي من الحديث أن أرجو منكم إجابته إلى ما يطلب إذا وصلت إليكم رسالة من هذا القبيل من الشيخ مغنيّة، لأنّ في نشر مثل ذلك في مجلّة العلوم إن تمكّن الشيخ منه ترويجاً للمذهب.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٣٨).

(٢) أي ولو أن يكتب ابتداءً أو يكلّف من يكتب.

(٣) الأصل غير واضح.

وختاماً أرجو الله سبحانه أن يديمكم مناراً للدين وذخراً للمسلمين.

المخلص

محمّد باقر الصدر

النجف الأشرف»[١].

ذكرى رحيل السيّد محسن الحكيم

في ذكرى رحيل السيّد محسن الحكيم في ٢٧/ربيع الأوّل/١٣٩١هـ أقام آل الحكيم مجلس فاتحة في مدسة دار الحكمة بعد صلاتي المغرب والعشاء.

وقبل وصوله إلى دار الحكمة، قال السيّد الصدر للسيّد محمود الخطيب الذي كان برفقته: «**في المجلس دعني وشأني، واتركني أتصرّف بحسب راحتي ولا تقل لي اجلس هنا أو هناك**».

وعندما دخل السيّد الصدر كان في صدر المجلس جملةٌ من كبار العلماء الذين لم يستقبلوه استقبالاً مناسباً، ولم يجد السيّد الصدر مكاناً ليجلس فيه فجلس فوق الأحذية[٢]، ولم يعره السيّد محمّد رضا الحكيم أيّة أهميّة زائدة[٣]. وقد التفت إلى الموضوع أحد المشايخ الأفغانيّين وطلب من السيّد الصدر تغيير مكانه ولكنّ السيّد الصدر أصرّ على البقاء حيث هو[٤].

السيّد الصدر يهيّئ (الأسس المنطقيّة للاستقراء) للطبع

عندما فرغ السيّد الصدر من كتابة (الأسس المنطقيّة للاستقراء)، أراد إرساله إلى الطبع فاحتاج إلى تبييضه بخطّ جيّد.

وفي هذه الفترة كان الشيخ محمّد رضا النعماني يدرس عند السيّد محمّد الغروي الذي كان يطلب من تلامذته امتحانات كتبيّة، وكان معجباً بخطّ الشيخ النعماني.

عندها أشار السيّد الغروي على السيّد الصدر بأنّ خطّ الشيخ النعماني جيّد، فأرسل السيّد الصدر وراء الشيخ إلى بيته لاختبار خطّه، فأعطاه ورقة وقال له: «**اكتب**»، فكتب (**بسم الله الرحمن**

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٣٩).

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٣) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٨٤.

(٤) حدّثني بذلك السيّد حسن الكشميري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م. وقد وردت هذه الرواية في مواضع:

(أ) ما ذكره السيّد حسن الكشميري أيضاً، وهو مطابقٌ لمجموع ما جاء في المتن، وفيه بدل (السيّد محمّد رضا) (آل الحكيم). ولكنّه لا يذكر إن كان ذلك بمناسبة الذكرة السنويّة بالذات.

(ب) ما ذكره الشيخ هادي الخزرجي بتاريخ ٢٠٠١/٦/٣م أنّ السيّد الصدر دخل وبصحبته السيّد عبد الكريم القزويني والسيّد محمّد الغروي، وأنّهم لم يلاقوا مزيد اهتمام من المستقبلين، وجلسوا وسط الناس ولم يتقدّموا إلى (الطوارم) المعدّة للشخصيّات (محمّد باقر الصدر بين ديكتاتوريّتين: ٤٧٩).

(ج) ما ذكره لي السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م من أنّه دخل و السيّد الصدر إلى المدرسة وجلسا في الوسط ولم يهتمّ بهما أحد، وبعد انتهاء المجلس قاما.

ولكنّ السيّد الغروي قال: إنّه لا يذكر إن كان ذلك بمناسبة ذكرى وفاة السيّد الحكيم أو بمناسبة افتتاح مدرسة (الحكمة). وفي بال السيّد الغروي أنّه كان وحيداً ولم يكن السيّد القزويني.

وربّما كانت هذه الحوادث قد جرت في مناسبات متعدّدة.

الرحيم)، فلمّا رآه﵀ قال: «**زين**».

وعلى ضوء ذلك أعطاه مجموعة أوراق من مسودّات (الأسس المنطقيّة) وأشار عليه بأن يكتبها عنده في البيت ولا يأخذها إلى المدرسة.

فكان الشيخ النعماني والسيّد عز الدين بحر العلوم والسيّد عماد التبريزي﵏ يستنسخون (الأسس المنطقيّة)، وقد ظلّوا يتردّدون على بيت السيّد﵀ لهذا الغرض حتّى فرغوا من عملهم(١).

أمّا ما اعتقده البعض من أنّ السيّد الصدر﵀ كان قد سلّم مسودّة (الأسس المنطقيّة للاستقراء) إلى السيّد كاظم الحائري ليصوغه بنفسه، وأنّ النسخة الأخيرة التي أرسلت إلى الطبع كانت من صياغة السيّد الحائري، فوهمٌ(٢).

سفر السيّدة (أم جعفر) إلى إيران للزيارة

في هذه الفترة، سافرت السيّدة أم جعفر الصدر زوجة السيّد الصدر﵀ إلى إيران، ونزلت مع أولادها عند أخيها السيّد رضا الصدر﵀(٣). وفي تلك الفترة كان الشيخ محمّد جواد مغنية﵀ قد سافر إلى إيران على ما يبدو.

وعند وصول عائلة السيّد الصدر﵀ بخير وعافية إلى قمّ، أبرق إليه السيّد رضا يطمئنه عن وصولها بالسلامة، وعندها كتب﵀ إلى السيّد رضا﵀:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ملاذي المفدّى وقبلة آمالي وبقيّة آبائي لا عدمتكم وبروحي أنتم يا ابن العم المعظّم وبنفسي لطفكم وتفقّدكم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فإنّي أكتب هذه السطور راجياً من المولى سبحانه وتعالى أن تصلكم وأنتم في أتمّ الصحّة والعافية والسلامة من جميع الوجوه، وفي منجاة مع من يلوذ بظلّكم من حرّ تموز الشديد في العراق، هذا الحرّ الذي يشتدُّ يوماً بعد يوم حتّى تبلغ درجة الحرارة في بعض أيّام تموز وآب ما يقارب الخمسين.

تسلّمت برقيّتكم العزيزة تبشرُّ عن وصول الأهل والأطفال، ولئن كنتُ أغبط كلّ شيء هناك لأنّه أقرب

---

(١) مقابلة (١) مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله).

(٢) هذا القول متداول ضمن دائرة ضيّقة، ولكنّ إقدام السيّد الصدر﵀ على ذلك بالنسبة إلى هذا الكتاب بالذّات غير متصوّر، ويشهد لذلك: **أوّلاً:** أنّه لو كان بخطّ السيّد الحائري لاسترعى ذلك انتباه الشيخ النعماني والنسّاخ ولذكروه. **ثانياً:** ما استدلّ به الدكتور شبلي الملاّط على صحّة نسبة (الأسس الإسلاميّة) إلى السيّد الصدر﵀، حيث تمسّك بالبيان الجاحظي السهل الممتنع على حدّ تعبيره. ونصّ (الأسس المنطقيّة للاستقراء) يشهد بنسبته إلى السيّد الصدر﵀. **ثالثاً:** تصريح السيّد كاظم الحائري نفسه أنّ السيّد الصدر﵀ حرّر الكتاب بخطّ يده (مقابلة مع السيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٠٠٥/٣/١١م، حفظه الله).

(٣) يُفهم من الرسالة أنّها كتبت في شهر تمّوز، أي في جمادى الأولى ـ جمادى الثانية/١٣٩١هـ. والغريب أنّ السيّد الصدر﵀ أنهى دورته الأصوليّة الأولى في ١٢ أو ١٣/ربيع الثاني/١٣٩١هـ وشرع بالدورة الثانية في ٢٠/رجب/١٣٩١هـ، وهذا يعني أنّ الدرس كان معطّلاً في جمادى الأولى وجمادى الثانية، بينما المفهوم من رسالة السيّد الصدر﵀ أنّ درسه كان قائماً حين كتابة الرسالة. ولعلّ حديثه في الرسالة عن الأمان من حرّ تمّوز محمولٌ على الاستقبال، وإن كان خلاف الظاهر.

منّي إلى فاطمة[(١)] والأطفال فإنّي أغبطهم لأنّهم سعدوا دوني بالاستظلال بظلالكم الوارفة وعاشوا في هذه الظلال الكريمة لقاءات سعيدة مع الأحبّة والأهلين.

صحّتنا جميعاً جيّدة ولا جديد في الأحوال، وقد أصبحت الأبحاث على أبواب التعطيل وسوف أعطّل أبحاثي بعد أسبوع إن شاء الله تعالى إلى مدّة شهر ونصف.

لي كتابان أحدهما تحت الطبع والآخر في طريقه إلى الطبع: الأوّل بحوث في شرح العروة الوثقى يبدأ من أوّل كتاب الطهارة، والثاني بحثٌ في منطق الاحتمال أو تفسير جديد للمعرفة الاستقرائيّة بتعبير آخر[(٢)]، ولا أدري أنّ كتاب البنك اللاربوي هل وصلكم أو لا، وسوف أرسل إليكم احتياطاً.

لا أدري كيف صار وضع شيخ جواد مغنيّة الذي أظنُّ أنّه لا ينسجم مع الحوزة في قم وأخلاقها وأعرافها، وبودّي أن أفهم تطوّرات حاله في سفرته المريبة[(٣)].

سلامي على جميع الأحبّة والأهل خصوصاً البيبي المعظّمة[(٤)] والسيّد آقا علي[(٥)] والحاج السيّد مهدي صدر عاملي[(٦)] وبنت العم العزيزة بتول[(٧)] خانم والسلام عليكم أوّلاً وآخراً.

محمّد باقر الصدر

في الجوف رسالة إلى بنت العم العزيزة أمّ المرام[(٨)]»[(٩)].

وربّما في هذه الزيارة كانت السيّدة أم جعفر ضيفةً عند السيّد مرتضى العسكري في طهران، فقال لها السيّد العسكري: «**أخبري أبا جعفر إن كان يريد معارضة ضدّ الحكم فأنا بكلّي معه**»، فلمّا رجعت إلى العراق أخبرته.

ثمّ اتّصل السيّد العسكري بالسيّد الصدر﵀ وقال له: «**قد أستفتيك مع مؤمنة، فهل الحكم كما قلت؟!**»، فقال﵀: «**بلى**»، فتهيّأ السيّد العسكري من طهران وأحضر الأسلحة[(١٠)].

الفراغ من الدورة الأصوليّة الأولى

يوم الثلاثاء ١٢ـ١٣/ربيع الثاني/١٣٩١هـ (٦ـ٦/٧/١٩٧١م)[(١١)]، أنهى السيّد الصدر﵀ الدورة الأولى

---

(١) يقصد زوجته السيّدة فاطمة الصدر.

(٢) يقصد (الأسس المنطقيّة للاستقراء) إذ كان في هذه الفترة في مراحله الأخيرة.

(٣) كان سفر الشيخ مغنيّة﵀ سنة ١٣٩٠هـ إثر دعوة وجّهها إليه السيّد كاظم شريعتمداري﵀ للتدريس في (دار التبليغ) المعروفة اليوم بـ(منظّمة الإعلام الإسلامي) (دفتر تبليغات السلامى) (محمّد جواد مغنيه.. فقيهى نوگرا: ٣٦).

(٤) أي الجدّة، وربّما قصد السيّدة صفيّة السيّد حسين القمّي.

(٥) يقصد السيّد علي الصدر أخا السيّد رضا.

(٦) يقصد السيّد مهدي بن صدر الدين بن محمّد مهدي بن أبي الحسن صدر عاملى بن صدر الدين العاملي، وهو زوج السيّدة طاهرة الصدر أخت السيّد رضا الصدر.

(٧) يقصد بنت عمّه السيّدة بتول الصدر زوجة الشيخ هادي عبادي.

(٨) يقصد زوجته. ويذكر السيّد مرتضى العسكري أنّ أم جعفر كانت الواسطة بينه وبين السيّد الصدر﵀ في إحدى زياراتها إلى إيران في عقد السبعينات (العلامة العسكري في مصادر التوثيق: ١١٥).

(٩) انظر الوثيقة رقم (١٤٠).

(١٠) العلاّمة العسكري بين الأصالة والتجديد: ٢٢٢ ؛ وانظر: العلاّمة العسكري في مصادر التوثيق: ١١٥.

(١١) ذكر السيّد عبد الغني الأردبيلي﵀ أنّ فراغ السيّد الصدر﵀ من الدورة الأصوليّة الأولى كان يوم الثلاثاء ١٢/ربيع الثاني/١٣٩١هـ (أسرة آل الصدر: ٢٠٧)، وكذلك الشيخ محمّد رضا النعماني في ترجمة السيّد الصدر﵀ (﵀) ؛ بينما ذهب السيّد محمود الهاشمي إلى أنّ ذلك كان في ١٣/ربيع الثاني/١٣٩١هـ (بحوث في علم الأصول ٧: ٩).

من خارج الأصول، وكانت آخر كلماته في البحث ما يلي: «**وبهذا انتهى الكلام في هذا التنبيه وبه انتهى الكلام في مبحث التعادل والتراجيح وبه انتهت هذه الدورة من علم الأصول**»[1].

إجازة إلى الشيخ غلامرضا عرفانيان رحمه الله

في ٢٠/جمادى الأولى/١٣٩١هـ (١٣/٧/١٩٧١م) كتب السيّد الصدر رحمه الله إجازة رواية للشيخ غلامرضا عرفانيان اليزدي رحمه الله، وقد جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد رسله محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فإنّ جناب ثقة الإسلام العالم العلاّمة المتتبّع الشيخ غلامرضا العرفانيان الخراساني رعاه الله تعالى ومدّ في وجوده المبارك قد عرفته مهاجراً إلى النجف الأشرف في سبيل تحصيل الفقه وأصوله ورجاله، ومكبّاً على دروسه وتحصيله العلمي في كلّ تلك المجالات، ومقرّراً لبحوث السيّد الأستاذ دام ظلّه[2] إذ كان يراجعني في تقريره الفقهي، وكنتُ أجد في تقريره من التتبّع وحسن الاستيعاب ما يجعله جديراً بالاحترام العلمي. ومن الجدير بالذكر أنّه كان يصل إلى بعض الفروع التي لم يتعرض لها السيّد الأستاذ من قبيل المستحبّات في الجنابة فيراجع ويتأمّل ويدقّق ويكتب ثمّ يعرض عليّ كتابته، فأرى فيما كتب ذوقاً فقهيّاً وتبصّراً بأساليب الاستدلال المتعارفة بين الفقهاء.

وقد أصبح والحمد لله حائزاً على درجات رفيعة من العلم وسعة الاطّلاع والتتبّع، وجديراً بأن يُستفاد منه وتقرّ به العيون. وحيث استجازني حفظه الله، فقد أجزته أن يروي عنّي ما صحّت لي روايته من الكتب المعتبرة الحاوية للمأثور عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته

٢٠ جمادى الأولى ١٣٩١ هـ

محمّد باقر الصدر

[الختم]»[3].

صدور ترجمة (اقتصادنا) باللغة الفارسيّة وعدم رضا السيّد الصدر رحمه الله عنها

تقدّم ـ ضمن أحداث سنة ١٣٨٨هـ ـ الحديث عن مشروع ترجمة كتاب (اقتصادنا) إلى اللغة الفارسيّة. وقد صدرت الترجمة هذا العام، حيث يكتب السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ علي الإسلامي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم وعضدي المرجى ثقة الإسلام الشيخ على إسلامي حرسه الله تعالى بعنايته ورعاه بعينه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تلقّيت بكلّ تلهّف وشوق رسالتكم العزيزة التي تبشّر عن سلامتكم واستقراركم وتطفح بروحكم الكبيرة ومشاعركم البارّة، فحمدت الله سبحانه وتعالى على السلامة والعافية وابتهلت إليه عزّ وجلّ أن يحفظكم للإسلام ويمتّعنا بوجودكم ويحقّق فيكم الآمال الكبار التي تعقد عليكم لما تتحلّون به من فضل وإيمان وإخلاص.

سرّني جدّاً ظهور كتاب اقتصادنا باللغة الفارسيّة بكلا [جزأيه]، وأرجو أن تكون الترجمة موفّقة أيضاً،

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٤.

(٢) يقصد السيّد الخوئي رحمه الله.

(٣) صلاة الليل: ١١ ؛ انظر الوثيقة رقم (١٤١).

كما أنّ الطبع موفّق. والغريب أنّ المترجمين الفاضلين لم يفكّرا أصلاً في إرسال نسخة إلينا من أجل الاطّلاع.

وعلى أيّ حال فإنّي أسأل الله تعالى ان يتقبل عملهما ويثيبهما على ذلك ويأخذ بيدهما لما فيه خدمة الإسلام والمسلمين دائماً.

وقد وصلني خبر هذه الترجمة في رسالتكم العزيزة بعد يومين أو بضعة أيّام من تسلّمي لترجمة كتاب اقتصادنا باللغة الأورديّة، وقد يكون موجوداً في بعض المكاتب عندكم أيضاً.

وقد حدّثت السيّد الباقري[1] عن ترجمة للمدرسة الإسلامية وذكر أنّه سوف يرسل الترجمة بعد مراجعتها إليكم إنشاء الله تعالى.

أرجو تبليغ سلامي ودعائي لمقام الحجّة المجاهد والدكم المعظّم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر

٦ رجب ١٣٩١»[2].

ولكنّ السيّد الصدر رحمه الله لم يكن راضياً عن الترجمة، وقد كتب إلى الشيخ علي أكبر برهان:

«بسمه تعالى

عزيزي المرجى الشيخ برهان.

تسلّمت بعد كتابة الرسالة إليكم رسالتكم الثالثة العزيزة التي ذهبت إلى الكويت وأرسلت من الكويت إلى السيّد باقر[3] ومنه إليّ، ففرحت بها كثيراً.

إنّ تواتر رسائلك ورسائل العزيز المرجى السيّد علي[4] ممّا يشعرنا بالصلة المستمرّة والهموم المتبادلة، فشكراً لكما ولسائر الأحبّة.

بالنسبة إلى موضوع ترجمة كتاب فلسفتنا: أنا لا أرى صحّة الإقدام على طبعه قبل أن أراجعه أنا شخصيّاً، لأنّ الوضع الناقص والمعيب لترجمة كتاب اقتصادنا يفرض علينا المزيد من الاحتياط من هذه الناحية. وقد كتبت إلى العزيز المرجى المجاهد آقاي إسلامي[5] أمنعه عن طبع الكتاب وأوضحت التعليمات بهذا الشأن للسيّد الباقري[6].

وأمّا بالنسبة إلى ما يصلكم من سهم الإمام من الأشخاص المجتهدين أو غير المجتهدين: فأنتم مأذونون في ذلك جميعاً وفي صرفه في حدود الحاجة»[7].

ويبدو أنّ السيّد محمّد علي الباقري شرع بنفسه في ترجمة الكتاب، فكتب السيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ الإسلامي لاحقاً بعد صدور (الأسس المنطقيّة للاستقراء):

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم حجّة الإسلام الحاج الشيخ آقا علي إسلامي حفظه الله تعالى وحرسه بعينه التي لا تنام.

---

(١) يقصد السيّد محمّد علي الباقري.
(٢) انظر الوثيقة رقم (١٤٢).
(٣) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.
(٤) يقصد السيّد علي رضا الحائري.
(٥) يقصد الشيخ علي الإسلامي.
(٦) يقصد السيّد محمّد علي الباقري.
(٧) انظر الوثيقة رقم (١٤٣).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت البارحة رسالتكم العزيزة فقرأت فيها مشاعر البنوّة البارّة والقربى الحقيقيّة، قربى الروح والقلب. وسرّتني اهتماماتكم الكبيرة وقيام دار النشر على يد أخيكم العزيز، فنسأل المولى سبحانه وتعالى أن يجعلكم دائماً على مستوى الآمال الكبيرة المنوطة بكم في خدمة الدين الحنيف.

وأمّا بحث الولاية فبإمكانكم إرساله إلينا بالبريد إذا أحببتم كما هي العادة في منشوراتكم السابقة، وحبّذا لو يشار في مقدّمته من قبل جهة النشر إذا طبع مرّة أخرى أو طبعت ترجمته إلى أنّ هذا البحث مأخوذ من مقدّمة لكتاب.

وليس لدينا فعلاً شيءٌ جاهز من البحوث عن التأمين، وإذا وجد شيء من هذا القبيل فسوف نرسل إليكم منه إن شاء الله تعالى.

لا تزال ترجمة كتبنا إلى اللغة الفارسيّة مشكلة معقّدة نتيجة لمبادرة الأشخاص إلى ذلك وإلى طبع الترجمة دون اتّصال ومراجعة واستئذان، الأمر الذي يؤدّي إلى وقوع الأخطاء الكثيرة في الترجمة.

ومن أجل هذا أرى إرجاع أيّ محاولة لترجمة كتبنا إلى اللغة الفارسيّة إليكم والى آقاي باقري[١] وأيّ ترجمة لا تحصل على إقرار منكم لها فأنا لا أسمح بنشرها حفاظاً على الأفكار ودقّتها وتفاصيلها.

وحبّذا لو أنجز آقاي باقري ترجمة كتاب اقتصادنا بالنحو الذي كان قد بدأ به واتّفقتما على طريقة نشر الترجمة المعدّلة على نحو أحسن.

وعلى أيّ حال فأنا أشكركم أيّها العزيز على عظيم عنايتكم واهتمامكم ولشكر الله أكبر وثوابه أعظم، وإنّي أسأله تعالى أن يقرّ بكم عيني ويحفظكم عضداً وساعداً ومؤمّلاً.

وختاماً أرجو تبليغ سلامي إلى كلّ الأحبّة والأعزّاء خصوصاً والدكم المعظم دامت بركاته، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر

ملاحظة: إذا حازت أيّ ترجمة لكتاب الأسس المنطقيّة للاستقراء على موافقة بدائيّة من قبلكما فالرجاء تزويدنا بنسخة منها للاطّلاع عليها واختبارها قبل إعطاء الرأي الأخير من قبلكما بشأنها»[٢].

وقد حرّر فعلاً البيان التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحرص على سلامة ترجمة كتبنا إلى اللغة الفارسيّة ودقّتها جعلنا نقرّر إناطة أمر أيّ محاولة لترجمة شيء من تلك الكتب إلى اللغة الفارسيّة بولدي العزيز الشيخ علي الإسلامي والسيّد محمّد علي الباقري حفظهما الله تعالى، وأيّ ترجمة لا تحصل على إقرار منهما لها فلا أسمح بنشرها، والله المسدّد للصواب.

محمّد باقر الصدر»[٣].

حول ترجمة (فلسفتنا)

وحول ترجمة (فلسفتنا) على يد الشيخ علي أكبر برهان يكتب رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

قرّة عيني العلاّمة ثقة الإسلام الشيخ علي أكبر برهان حفظه الله تعالى ورعاه.

---

(١) يقصد السيّد محمّد علي الباقري.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٤٤).

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٤٥).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت اليوم رسالتكم العزيزة ففرحت بها كثيراً وسرّني بشائر سلامتكم وسلامة سائر الأحبّة، وقد تسلّمت قبلها عدّة رسائل أيضاً منكم، وأرجو أن تثقوا أنّ هذه الرسائل حتّى إذا تأخّر جوابي عليها لأسباب قاهرة هي في غاية الأهميّة روحيّاً وعاطفيّاً لديّ، لا لأنّها تذكّر بك وبسائر الأحبّة، فإنّي لم أنسكم أبداً في ليل أو نهار، في عسر أو رخاء لكي أحتاج إلى مذكّر، وكيف ينسى الأب أبناءه وأفلاذ كبده وآماله الروحيّة، بل لا تزال صوركم في الصميم من قلب أبيكم ولا يزال يبتهل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يقرّ عينه برؤية أولاده وأحبّته، وإنّما أشعر بلذّة كبيرة وأنا أقرأ لكم لأنّي أشمّ بين السطور عميق الإخلاص والوفاء والنبل والعزم، أشمّ كلّ الصفات العظيمة التي أرجو اجتماعها فيكم، وتتيح لي رسائلكم العزيزة أن أواكب حياتكم وجوانبها حفظكم الله بعينه التي لا تنام.

وأمّا بشأن ترجمة كتاب فلسفتنا: فقد سبق أن بيّنت لكم رأيي، ولا بدّ أنّه وصل إليكم الآن إن شاء الله تعالى، وهو يؤدّي إلى توقّفكم عن مباشرة الترجمة لأنّ صدور الترجمة منكم لا يشبه صدورها من إنسان آخر ليس له تلك البنوّة الروحيّة والتلمذة العلميّة، ولهذا سوف نكون مسؤولين عن كلّ ما يقع في الترجمة التي تباشرونها، الأمر الذي يفرض درجة من التحقيق والضبط لا تتوفّر عادةً بمعزل عنّي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الصدر»[1].

هجرة الشيخ عبد الهادي الفضلي من النجف الأشرف

في هذه السنة غادر الشيخ عبد الهادي الفضلي النجف الأشرف إلى مدينة جدّة حيث عيّن مدرّساً لمادّتي النحو والصرف في (جامعة الملك عبد العزيز)[2]، وربّما كان سفره في رجب من هذا العام[3]، وقد شقّ ذلك على السيّد الصدر رحمه الله. وبعد استقرار الشيخ الفضلي كتب إليه رحمه الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم العلاّمة الجليل الأستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمتُ رسالتكم العزيزة وأنا أشوق ما أكون إلى معرفة أحوالكم، وذلك أنّي فوجئت قبل مدّة بنبأ تفكيركم في الهجرة من النجف الأشرف، ولا أزالُ أذكر أنّه حدّثني بذلك استطراداً السيّد الخرسان في فاتحة لآل بحر العلوم، فشق عليَّ ـ عَلِمَ الله ـ ذلك، وقصدتكم في اليوم الثاني وحاولتُ زيارتكم فتبيّن أنّكم كنتم مسافرين وإن كانت العائلة موجودة.

والواقع أنّ ممّا يحزُّ في نفسي أن تكون أوضاع الحوزة بشكلٍ يزهد في الإقامة فيها أمثالُكم ممّن يرفع الرأس عالياً ويشكّل رقماً من الأرقام الحيّة على عظمة هذه الحوزة التي تتيح ـ رغم كلّ تبعثرها ـ أن ينمو الطالب في داخلها بجهده الخاصّ إلى أن يصل إلى هذا المستوى المرموق فضلاً وأدباً وثقافة.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٤٦).

(٢) منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٢٢٥، نقلاً عن: أعلام هجر ٢: ٢٩٠.

(٣) استقربنا ذلك من خلال وثيقتين منشورتين في (منعطف القرار.. الفضلي بين عراقين.. تجربة رائدة: ٣٢٨، ٣٢٩) وهما عبارة عن إفادة تدريس من ثانويّة منتدى النشر المسائيّة وأخرى من كلية الفقه مؤرّختين بتاريخ ١٩٧١/٨/٢١م (٢٩/جمادى الثانية/١٣٩١هـ)، وقد استقربنا أن يكون الشيخ الفضلي قد طلبهما قبيل سفره للحاجة إليهما في مهمّة التدريس في بلده.

وعلى أيِّ حال، سواء ابتعدت عن الحوزة مكاناً أو قربت فأنت من آمال الحوزة ومفاخرها، وأرجو ألاّ يكون انقطاعك عنها إلاّ شيئاً عرضيّاً.

وفي الجوف تجدون جواب الاستفتاءات.

والسلام عليكم أوّلاً وآخراً ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[١].

وعندما أصدر الشيخ الفضلي كتابه (مختصر النحو) أرسل نسخةً إلى السيّد الصدر رحمه الله ليلاحظها، وقد كتب له رحمه الله على إثر ذلك:

«بسم الله الرحمن الرحيم

جناب العلاّمة الجليل الشيخ عبد الهادي الفضلي حفظه الله تعالى بعينه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فقد تسلّمتُ قبل بضعة أيّام كتابكم القيّم (مختصر النحو). وعلى الرغم من عدم دخول موضوع الكتاب في مجالات اهتمامي الخاصّ، فقد أوليتُ الكتاب اهتمامي وطالعتُ بعض المواضيع فيه ولمستُ ما كنتُ أترقّبه من فضلٍ وعلمٍ واطّلاع، وسرّني على الخصوص وقوفُك إلى جانب نظريّة العوامل، وكان بودّي أن تتوسّع في مناقشة ما واجهته من انتقادات وإثارات في بعضها شيءٌ من الطرافة أو ما يشبه الإبداع، ولكن في كثيرٍ منها التجنّي والتحميل.

هذا ونسألُ المولى تعالى أن يحفظكم ويسدّدكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٢].

الشروع بالدورة الأصوليّة الثانية

في ٢٠/رجب/١٣٩١هـ (١٠/٩/١٩٧١هـ)[٣]، شرع السيّد الصدر رحمه الله بتدريس الدورة الثانية في علم الأصول[٤].

وقبل الشروع بها اقترح السيّد الصدر رحمه الله على الشيخ عفيف النابلسي أن يلتحق بها من أوّلها وإن لم يكمل دراسة كتاب (المكاسب) بعد، فإنّه إن التحق بها بعد إتمام (المكاسب) فإنّ الأمور ستتعقدّ عليه أكثر[٥].

وبعدما بدأ بتدريس الدورة الثانية بفترة (١٣٩٤هـ وما بعد)، كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى السيّد كاظم الحائري ـ وكان قد ترك العراق وهاجر إلى إيران بسبب مطاردة السلطة البعثيّة ـ يطلب منه أن يصوّر له بعض ما كتبه من تقريرات لأبحاثه ويبعثها إليه، وكان السيّد الحائري قد كتب دورة أصوليّة كاملة لأبحاث السيّد الصدر رحمه الله[٦]، فصوّر له القسم الذي طلبه وبعثه إليه، فكان قبل أن

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٤٧).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٤٨). ولم أستطع التحقّق من تاريخ صدور (مختصر النحو) فأوردتُ الرسالة من باب المناسبة.

(٣) أسرة آل الصدر: ٢٠٧.

(٤) كان يفترض أن تكون مدّة العطلة شهراً ونصف الشهر، ولكنّها طالت إلى ثلاثة أشهر وأسبوع.

(٥) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٢١ ـ ٢٢.

(٦) تلفيقاً بين الدورة الأولى والثانية، لأنّ السيّد الحائري التحق بالدورة الأولى من مبحث الترتّب كما تقدّم.

يذهب إلى البحث يلقي نظرةً على الموضوع الذي هو محلّ حاجته منها من باب الاستذكار فقط، وهكذا استمرّ الحال إلى أن ترك التدريس بسبب حجز السلطة.

ويعتقد الشيخ محمّد رضا النعماني أنّ المشاكل الصعبة والظروف القاسية والضغط الذي مارسته سلطة حزب البعث عليه هي التي جعلته يحتاج إلى عملية الاستذكار هذه، وإلاّ فإنّه قادرٌ على تدريس الدورة الثانية ـ لو كانت الظروف طبيعيّة ـ دون حاجة إلى ذلك الاستذكار(١).

إبادة الحركة الإسلاميّة واستشهاد عبد الصاحب دخيّل رحمه الله

في هذه الفترة سلّم جورج ريمنجتون صدّام حسين تقريراً مفصّلاً يمثّل عصارة خبرة البريطانيّين في العراق، ويضمّ معلومات دقيقةً عن حركة المجتمع العراقي، وكانت النقطة الجوهريّة فيه أنّ الخطّ الإسلامي من أخطر ما يواجه الحكم.

وقد أمر صدّام بوضع مخطّط عملي لإبادة الحركة الإسلاميّة بالكامل، وأوكل الأمر إلى عشرة من الخبراء من أقطار مختلفة: ٥ من بريطانيا، ٣ من السافاك الإيراني و٢ من مصر.

وفي هذا الإطار داهمت السلطات مكتب عبد الصاحب دخيّل رحمه الله بتاريخ ١٩٧١/٩/٢٨م (٧/شعبان/١٣٩١هـ). وقد تعرّض دخيل إلى أقسى أنواع التعذيب تحت إشراف ناظم كزار مدير الأمن العام. إلاّ أنّ دخيّل صمد صموداً أسطوريّاً [ولم توفّق السلطة إلى انتزاع اعتراف منه على السيّد الصدر رحمه الله]، وكان آخر ما قاله لناظم كزار: «**أنا الدعوة، وأنا المسؤول الأوّل فيها.. الدعوة هنا ـ مشيراً إلى صدره ـ وأتحدّاك أن تخرج كلمةً واحدة منه.. وهذا جسدي فافعلوا به ما شئتم، أمّا روحي فليس لكم سلطة عليها**»، الأمر الذي جعل مدير الأمن العام يضطرب اضطراباً شديداً، فأمر بتعليقه في سقف إحدى غرف التعذيب الخاصّة وتحته حوضٌ مملوءٌ بحامض النتريك. وبعد أن فشلوا في سحب الاعترافات منه، قذفوا بجسده في الحامض ليذوب بالتدريج.

وبعد ذلك تمّ اعتقال المحامي السيّد حسن شبّر بتاريخ ١٩٧١/١٠/٢٦م (٥/رمضان/١٣٩١هـ)، وبعد فشلهم في سحب الاعتراف منه تمّ إطلاق سراحه في ١٩٧٢/١/٣٠م (١٣/ذي الحجّة/١٣٩١هـ) بعد أربعة أشهر من التعذيب المتواصل(٢)، كما اعتقل الدكتور داوود العطّار ثمّ أطلق سراحه(٣).

كما اعتقل الشيخ حسن ملك بتاريخ ١٩٧١/١١/١٨م (٢٨/رمضان/١٣٩١هـ). وعندما علم السيّد الصدر رحمه الله دعا لإطلاق سراحه عند رأس الإمام الحسين عليه السلام.

وسرعان ما أفرج عن الشيخ حسنٍ ملك لكن بشرط عودته إلى لبنان خلال أربع وعشرين ساعة. وقد أرسل السيّد الصدر رحمه الله مجموعةً من طلاّبه لتوديعه وكان منهم السيّد كاظم الحائري والسيّد

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٨١. وأنا على المستوى الشخصي لا أستحسن تصوير المسألة بهذا الإطلاق، والسيّد الصدر رحمه الله كان يستعين بتقريرات السيّد محمود الهاشمي لبحث (الاستصحاب) عندما كان يكتب الجزء الثاني من (الحلقة الثالثة) على ما أشار إليه السيّد الهاشمي نفسه (بحوث في علم الأصول ٦: ٥)، وهذا مقتضى طبيعة الأمور.

(٢) انظر: سنوات الجمر: ١٣٨ ـ ١٤٠ ؛ عبد الصاحب دخيّل.. سيرة قائد وتاريخ مرحلة: ٢١٢ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٧٦ ـ ١٧٧ ؛ وما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١٥، نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٠.

محمود الهاشمي[(١)].

يُشار إلى أنّ الحاج عبد الصاحب دخيّل كان قد رهن داره بإزاء دين لإحدى نساء آل الحكيم وقد استحقّ الدين وهو في السجن، فلم يمهله أحدٌ من الأسرة التي كانَ دخيّل ثقة عميدها السيّد الحكيم، بل كان الموقف سلبيّاً حتّى من السيّد محمّد باقر الحكيم، وقد تمنّى السيّد حسن شبّر على السيّد محمّد باقر الحكيم أن يُصار إلى تسديد الدين المذكور على الحاج دخيّل بواسطة السيّد يوسف الحكيم الذي ترده الحقوق الشرعيّة ممّا يمكن صرفه شرعاً على أسرة الحاج دخيّل، فكان الجواب أنّ السيّد يوسف لا يتعاطف مع عمل أبي عصام (دخيّل)[(٢)].

صدور (بحوث في شرح العروة الوثقى)

حوالي شهر شعبان/١٣٩١هـ (تشرين الأوّل/١٩٧١م)، صدر الجزء الأوّل من كتاب (بحوث في شرح العروة الوثقى) الذي صدر منه من حيث المجموع أربعة مجلّدات. وكانت الأجزاء الثلاثة الأولى بتحقيق السيّد محمود الهاشمي، والرابع بتحقيق الشيخ زهير الحسّون[(٣)].

يُشار إلى السيّد الصدر عندما كان يكتب أبحاثه الفقهيّة كان يعرضها على بعض تلامذته كالسيّد الهاشمي والسيد محمّد باقر الحكيم لمراجعتها والملاحظة عليها[(٤)].

ولا بأس بإيراد ما جاء في مقدّمة السيّد الصدر على الجزء الأوّل من الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرّحيم

والصلاة والسلام على الرسول الأعظم، وآله الطاهرين، حماة الشريعة الخاتمة، وقادة البشريّة الصالحة.

وبعد: فإنّ هذا الجزء من هذا الكتاب يعبّر في بحوثه عن ممارسة علميّة لفترة زمنيّة، بدأت يوم الأربعاء العاشر من شهر جمادى الثانية، عام ألف وثلاثمائة وخمسة وثمانين، تناولَتْ عدداً من مسائل المياه من العروة الوثقى بالشرح والاستدلال، بأساليب البحث العلمي السائد، وبنفس صيغه التي تعارف عليها علماؤنا الأبرار، انسجاماً مع الظروف التدريسيّة العامّة.

وواضح لديَّ ـ وأنا ألاحظ بحوث هذا الكتاب ـ أنّ المنهج بحاجة إلى تطوير أساسي، يعطي للبحث الفقهي أبعاده الكاملة. كما أنّ عبارة الكتاب بحكم أنّها لم تُعدّ لغرض التأليف، وإنّما تمّت صياغتها وفق متطلّبات الموقف التدريسي، تتّسم بقدرٍ كبيرٍ من استهداف التوضيح والتوسّع في الشرح، وبهذا فقدت

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ حسن ملك بتاريخ ٢٠٠٤/٧/١٥م، وقد نقل قضيّة سفر السيّد الصدر إلى كربلاء عن أحد طلاّب السيّد الصدر واحتمل أنّه السيّد محمود الهاشمي.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٢ ـ ٩٣، نقلاً عن حديثٍ أجراه أبو عمار دخيّل مع السيّد حسن شبّر وحصل عليه السيّد محمّد الحسيني.

(٣) هناك مقدارٌ آخر قد كتبه السيّد محمود الهاشمي وهو لا يزال في العراق (بحوث في علم الأصول ٦: ٥). وقد قدّمنا تاريخ صدور (بحوث في شرح العروة الوثقى) على تاريخ صدور (الأسس المنطقيّة للاستقراء) لأنّ السيّد الشهيد ذكر في رسالته المتقدّمة إلى ابن عمّه السيّد رضا أنّ له كتابَ (بحوث) تحت الطبع و(الأسس) في طريقه إلى الطبع. ثمّ إنّه قد ورد على ظهر الطبعة الأولى للجزء الأوّل من كتاب (بحوث): «رقم الإيداع في المكتبة الوطنيّة في بغداد ٤٣٠ لسنة ١٩٧١م..٢٩ ـ ١٢٠٠ ـ ١٩٧١/٩/١٨..مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف». وقد بنينا سابقاً على إعطاء مهلة ٢٠ يوماً بعد الإيداع. هذا إضافةً إلى ما يأتي في رسالته إلى السيّد مهدي الحكيم في شهر رمضان حيث يقول له: إنّ بحوث في شرح العروة صدر قبل بضعة أسابيع.

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، ١٧/شعبان/١٤٠٥هـ.

جانب الاختزال والتركيز اللفظي، الذي يميّز الكتاب الفقهي عادةً.

وهذه النقاط، إن كان لا بدّ من الاعتراف بها، فالمبرّر لها هو أنّ الكتاب يمثّل ـ كما ذكرنا ـ ممارسةً تدريسيّةً قد خضعت لنفس الأعراف المتّبعة في مجال التدريس السائد من ناحية المنهج ولغة البحث والتوسّع في الشرح والتوضيح، واتّجهَتْ إلى تعميق المحتوى والمضمون كلّما أتيح لها ذلك، تاركةً تطوير المنهج ولغة البحث إلى حين تتوفّر الظروف الموضوعيّة التي يتطلّبها ذلك، وحافظت على نفس العبارة التي استُعملت خلال تلك الممارسة عن طريق تسجيلها مع شيء من التغيير والتهذيب.

ولئن فات هذا الكتاب أن يَبْرُزَ بالعبائر المضغوطة التي تستوعب المعنى بأصغر حجم لفظي ممكن، فقد استطاع أن يوفّر ـ بدلاً عن ذلك ـ درجة كافية من الوضوح، لما عبَّر عنه من أنظار ومباني.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمّد باقر الصدر»[١].

وبعد صدور هذا الكتاب قال السيّد الصدر﵀ للشيخ محمّد إبراهيم الجنّاتي: «**لقد كتبتُ هذا الكتاب لكي لا يُنكروا علمنا**»[٢].

وبعد صدور الكتاب كتب السيّد الصدر﵀ إلى ابن عمّه السيّد رضا الصدر﵀ رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

سيّدنا المعظّم والملاذ المفدّى آية الله الإمام الرضا الصدر دام ظلّه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنّي أكتب هذه السطور في نفس الغرفة التي لا تزال تحتفظ بأقدس الذكريات، في نفس تلك الغرفة الفوقانيّة التي كنت أتشرّف فيها بقربكم وأتفيّأ ظلّكم وأستمتع بعظيم لطفكم، فكم من ساعة وساعة نسيت فيها آلام الدنيا وهمومها بسبب لذّة السمر مع المولى المفدّى.

أرجو أن تكونوا يا مولاي في كامل الصحّة والعافية الآن بعد ذلك العارض الطويل الذي لم تنعكس عليّ أخباره إلاّ متأخّراً، وقد تألّمت كثيراً لما قاسيتم، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يمنّ علينا بصحّتكم وعافيتكم يا خليفة الماضين وثمال الباقين.

رجعت بنت العم والأطفال إلينا قبل بضعة أيّام سالمين صحيحين بعد أن حظوا برعايتكم الأبويّة وألوان اللطف والعطف التي أسبغتموها عليهم، وما كان أكبرها من فرحة رجوعهم سالمين بعد فراق طال أربعة أشهر وأربعة أيّام والحمد لله ربّ العالمين.

طبعت الجزء الأوّل من (بحوث في شرح العروة)، وقد أرسلت نسخة إليكم بالبريد، أرجو أن تكون قد تشرّفت أو علي وشك التشرّف بلثم أناملكم.

وأرفع ختاماً أخلص احتراماتي للسيّدة الوالدة المعظّمة البيبي[٣] وإلى جميع الأحبّة والأعزّاء من حولكم، والسلام عليكم أوّلاً وآخراً ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٤].

---

(١) بحوث في شرح العروة الوثقى، ط١ ١: ١ ـ ٢.

(٢) حدّثني بذلك الحاج أبو إحسان النعماني بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٤م نقلاً عن الشيخ إبراهيم الجناتي. ويُشار إلى أنّ التشكيك في علم السيّد الصدر﵀ بلحاظ الجانب الحوزي الكلاسيكي كان أحد أساليب محاربته.

(٣) كلمة تحبّب تطلق في اللغة الإيرانيّة على الجدّة أو على كبيرة السن في العائلة.

(٤) انظر الوثيقة رقم (١٤٩).

البحث في (إحياء الموات)

في شهر رمضان/١٣٩١ هـ (تشرين الأوّل ـ الثاني/١٩٧١م)، ألقى السيّد الصدر‏ سلسلة محاضرات فقهيّة حول (إحياء الموات)، وقد اشتمل في المرّة الثانية على ثلاث مسائل:

الأولى: ملكيّة الأرض الموات.

الثانية: ما يكتسب بالإحياء.

الثالثة: بقاء حقّ المحيي بعد إهماله[١].

وكان السيّد الصدر‏ قد بحث هذا الموضوع لأوّل مرّة عام ١٣٨١هـ.

إرسال (الأسس المنطقيّة للاستقراء) إلى الطبع

حوالي شهر رمضان المبارك/١٣٩١هـ (تشرين الثاني ـ كانون الأوّل/١٩٧١م) أرسل السيّد الصدر‏ تلميذه السيّد محمد علي الباقري إلى لبنان من أجل متابعة طباعة كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) في دار الفكر، فبقي هناك شهراً من أجل إتمام المهمّة[٢].

وقبيل إرساله كتب إلى الشيخ علي الإسلامي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المرجى لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو أن تصلكم هذه السطور وأنتم في أتمّ الصحّة والعافية من سائر الوجوه، وقد تسلّمت منكم رسالتين كريمتين وأجبت على الرسالة الأولى وكان تسلّمي للرسالة الثانية قبل حوالي أسبوع، ففرحت بها وعشت معها لحظات أقرأ بين سطورها روحكم الكبيرة وعواطفكم الدينيّة العالية وآلامكم في سبيل الله، ومن أجله نسأل الله سبحانه وتعالى أن يساعدنا بلطفه على تحمّل هذه الآلام ويأخذ بيدنا إلى ما فيه رضاه، ولولا طلب رضاه لرغب مؤمن في لقاء ربه.

بنفسي اهتماماتكم العالية بشأن ترجمة كتاب اقتصادنا وكتاب فلسفتنا وبشأن آقاي مشكيني وأمثاله من العلماء وبشأن المدرسة الإسلاميّة وبحث الإمامة الذي أنجزتم ترجمته، وإنّي ابتهل إلى المولى سبحانه وتعالى الذي حباكم من العلم والغيرة والإيمان ما جعلكم على مستوى الاهتمامات الكبيرة أن يتقبّل منكم هذه الاهتمامات الكبيرة بأفضل قبول ويقرّ بكم عيني ويحفظكم للإسلام والمسلمين.

صحّتي بخير والحمد لله، وقد شرعنا في الدورة الجديدة من الأصول، كما تمّ طبع كتاب شروح العروة الوثقى وسوف أرسل إليكم نسختين: إحداهما لكم والأخرى لمكتبة الشيخ الوالد دامت بركاته مع أخلص تحيّاتي.

وكتاب المنطق الذاتي تمّ بصيغته النهائيّة والحمد لله ربّ العالمين، وسوف أرسله خلال أسبوعين إلى دار الفكر إن شاء الله تعالى من أجل طبعه، وقد أعطت دار الفكر وعداً بإكمال طبعه خلال شهر واحد إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: مجلّة فقه أهل البيت‏، العدد (١١ ـ ١٢).

(٢) حدّثني بذلك السيّد عمّار أبو رغيف بتاريخ ٢٠٠٣/١٢/١٢م ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (٧) ؛ وقد ذكر لي الأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٩م أنّ السيّد الصدر‏ أرسل أحد السادة من طلّابه لتصحيح الملازم، ولكنّه لا يذكر اسمه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمّد باقر الصدر»[١].

وبعد إرساله كتب إلى السيّد مهدي الحكيم رحمه الله رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم السيد الحسني لا عدمته ولا حرمته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قبل زمنٍ طويل تسلّمتُ منكم رسالتين بارّتين سارّتين وأجبتُ عليهما، ومنذ أمدٍ لم أتسلّم ما يعرّفني بأحوالكم الّتي هي من أهمّ ما يشغل ذهني في كلّ لحظة، أسألُ المولى سبحانه وتعالى أن تكون ـ أيّها العزيز ـ على أفضل ما أحبّ، خصوصاً في شهر رمضان المبارك هذا الذي يحيط الخلّص من أوليائه بالخالص من نفحاته.

يسعدني جدّاً تصوّر الشمل المجتمع للعائلة الحبيبة أمّاً وولداً وزوجةً وأولاداً. ولئن قاست هذه العائلة النبويّة من تشتّت الشمل، فلم يكن ذلك إلاّ نتيجة الاستمرار في حمل ميراث الأنبياء والأوصياء.

أكتبُ هذه السطور مع عزيزنا العلاّمة السيّد عبد الكريم القزويني الذي يتّجه للنزول في جواركم أو على مقربةٍ منكم[٢].

أحوالي بخيرٍ: برنامج شهر رمضان من حيث الصيام في النهار، والتدريس الفقهي في أوّل الليل، والجلوس بعد ذلك إلى ما بعد منتصف الليل مع الأعزّاء هو البرنامج الاعتيادي.

وقد أرسلتُ إليكم مع السيّد القزويني[٣] نسخةً من كتاب بحوث فقهيّة في شرح العروة الذي صدر من الطبع قبل بضعة أسابيع، وأمّا كتاب فلسفة الاحتمال فقد أرسلناه إلى لبنان لتطبعه هناك دار الفكر.

والسلام عليكم أوّلاً وآخراً من جميع أهل البيت خصوصاً السيّدة الوالدة»[٤].

الشيخ شمس الدين رحمه الله مشاركاً في المؤتمر الإسلامي حول تنظيم الأسرة

بين ٢٤ـ٢٩/١٢/١٩٧١م (٥ـ١٠/ذي القعدة/١٣٩١هـ) انعقد في الرباط المؤتمر الإسلامي حول تنظيم الأسرة والوالديّة. وكان مقرّراً مشاركةُ الشيخ محمّد مهدي شمس الدين رحمه الله فيه، فكتب إلى السيّد الصدر رحمه الله يطلب منه إمداده ببعض التصوّرات حول المحاور التي يراد طرحها أثناء جلسات المؤتمر. وقد وصلته رسالةٌ من السيّد الصدر رحمه الله لم يتمّ العثور عليها حتّى اليوم. وكان الشيخ شمس الدين رحمه الله قد طلب من السيّد الصدر رحمه الله الإجابة عنها مع الدليل[٥].

وعلى كلّ حال، فقد سافر الشيخ شمس الدين إلى الرباط وألقى ثلاث كلمات:

١ ـ نظرة الإسلام إلى الأسرة في مجتمع متطوّر: كلمة من (٢١) صفحة ألقيت بتاريخ ٢٤/١٢/١٩٧١م.

٢ ـ الإسلام وتنظيم الوالديّة: كلمة من (٢٨) صفحة ألقيت بتاريخ ٢٦/١٢/١٩٧١م.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٥٠).

(٢) المأنوس في ذهني أنّه كان يومها في عُمان أو الإمارات العربيّة.

(٣) يقصد السيّد عبد الكريم القزويني.

(٤) انظر الوثيقة رقم (١٥١).

(٥) ما بعد النقطة الأخيرة حدّثني به الشيخ محمّد جعفر شمس الدين بتاريخ ٢٢/٨/٢٠٠٤م.

٣ ـ تحديد النسل: كلمة من (٥) صفحات، ألقيت بتاريخ ١٩٧١/١٢/٢٧م[١].

صدور (الأسس المنطقيّة للاستقراء)

في شهر ذي القعدة ـ ذي الحجّة/١٣٩١هـ، صدر كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء)، وهو دراسةٌ جديدةٌ للاستقراء تستهدف اكتشاف الأساس المنطقي المشترك للعلوم الطبيعية وللإيمان بالله تبارك وتعالى[٢]، وقد اتّخذ رحمه الله في هذا الكتاب من دراسة الدليل الاستقرائي ومعالجة مشكلة التعميمات الاستقرائيّة أساساً لمحاولة إعادة بناء نظريّة المعرفة ودراسة نقاطها الأساسيّة في ضوء يختلف عمّا تعرّض له في كتاب (فلسفتنا). وقد أمر السيّد الصدر رحمه الله بطباعة (١٠٠٠) نسخة منه فقط[٣].

وقد تولّت طباعته (دار الفكر) في بيروت، وكان سعر النسخة الواحدة عشر ليرات لبنانيّة[٤].

وبعد أن اكتملت طباعته أرسلت خمس نسخ إلى السيّد الصدر رحمه الله، فأهدى واحدة منها إلى السيّد كاظم الحائري الذي ذكر أنّ عنوان الكتاب اشتمل في طبعته الأولى على خطأ مطبعي حيث جاء (الأس المنطقيّة للاستقراء) بدل (الأسس المنطقيّة للاستقراء)، فقام السيّد الصدر رحمه الله بتصحيح ذلك في الطبعة اللاحقة[٥].

ويبدو لي أنّ السيّد الصدر رحمه الله اختار اسم الكتاب في وقت متأخّر جدّاً، وكان حتّى الآونة الأخيرة قبل طباعته يعبّر عنه بكتاب (المنطق الذاتي). ومن البعيد أن يكون قد استفاد العنوان من كتاب ردولف كرناب (الأسس المنطقيّة للاحتمال).

وبعد صدور الكتاب أرسل نسختين من الكتاب إلى الشيخ علي كوراني ليوصل إحداها إلى

---

(١) انظر كلمات الشيخ شمس الدين في: الإسلام وتنظيم الأسرة، الاتّحاد العالمي لتنظيم الوالديّة ١: ١٣ ـ ٣٣ ؛ ٢: ٦٨ ـ ٩٥ ؛ ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٥. انظر الوثيقة رقم (١٥٢).

وقد سمعتُ المعنى الذي ذكرته في المتن من السيّد حامد الحسيني غير مرّة، وكان الشيخ شمس الدين رحمه الله قد أخبره عن وجود رسالة مفصّلة بحوزته من السيّد الصدر رحمه الله حول هذا الموضوع، غير أنّها ضائعة في مكان ما. وبتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٣م سألتُ عنها نجله إبراهيم الذي نفى أن يكون مسبوقاً بشيءٍ من هذا القبيل، ووعد بتزويدي بها حال العثور عليها، وبتاريخ ٢٠٠٥/٩/٧م أبلغني أنّه لم يبحث عنها لحدّ الآن.

(٢) انظر غلاف الكتاب. وقد صدر (الأسس المنطقيّة للاستقراء) عام ١٣٩١هـ الموافق لـ١٩٧٢م، ولمّا كانت بداية سنة ١٩٧٢م توافق ١٣/ذي القعدة/١٣٧١هـ فهذا يعني أنّ الكتاب قد صدر بين ١٣/ذي القعدة/١٣٩١هـ وآخر ذي الحجّة من العام نفسه.

(٣) ذكر الشيخ محمّد رضا النعماني في ندوة أقامها التركمان حول السيّد الصدر رحمه الله (قدس سره) أنّ المطبوع (٥٠٠) نسخة؛ وقد حدّثني بذلك الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م ؛ وفي: نحو إحياء فكري ـ منهجي لكتاب الأسس، خالد توفيق، مجلّة سروش للعالم العربي: ٤٠ (رقم العدد غير متوفّر لديّ)، نقلاً عن أحد المقرّبين من السيّد رحمه الله أنّه طبع (٣٠٠) نسخة (ولعلّ مراده من أحد المقرّبين الشيخ النعماني نفسه) ؛ وقد ذكر لي الأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر أنّ العدد المطبوع كان قليلاً، فهو إمّا (٥٠٠) وإمّا (١٠٠٠)، ولكنّه استبعد أن يكون (٥٠٠)، ولكن حيث جاء في رسالة للسيّد الصدر رحمه الله إلى الشيخ محمّد سعيد النعماني سنة ١٣٩٢هـ: «وقد استهلك منها في سوف النجف فقط ما يتراوح بين خمسمائة وألف»، فنحن نستبعد هذا الرقم، لأنّه من غير المعقول أن تستوعب سوق النجف المطبوع كلّه.

(٤) جاء ذلك على غلاف الطبعة الأولى للكتاب.

(٥) مقابلة مع السيّد كاظم الحائري (دام ظله). وفي بالي الآن ـ وأنا بعيدٌ عن الطبعة الأولى ـ أنّ العنوان صحيح.

الدكتور زكي نجيب محمود، وكتب يقول له:

«بسمه تعالى

عزيزي المعظّم لا عدمته ولا حرمته

بعد السلام عليكم والدعاء لكم بما أدعو به لنفسي، أرسلُ لكم نسختين من كتاب الأسس المنطقيّة للاستقراء: إحدهما لك والأخرى أريد أن تصل إلى الدكتور زكي نجيب محمود الذي يدرّس فعلاً في جامعة الكويت، وأستحسن أن يكون إيصال الكتاب إليه بنحوٍ يشعره بالاحترام والاهتمام، وأرى من الراجح أن تعرضوا عليه باسم مكتبة النقي مثلاً رغبتها في الحصول على تعريفٍ شاملٍ بالكتاب بقلمه إذا رأى أنّ الكتاب جديرٌ بذلك، وتقولوا له إنّ المكتبة مستعدّة لدفع أيّ مقابل يقترحه، ونحن نغطّي الدفع من الحصّة التي تعود إلى المؤلّف من أرباح الكتاب.

إنّ الحصول على مقالٍ من هذا الشخص يتضمّن تقييم ما في الكتاب من جِدةٍ وإبداع له قيمة كبيرة على مستوى القارئ الحديث.

وصلت في أوّلِ صفر ثلاثمائة دينار من الشيخ نصر الله الخلخالي، وقد اعتبرتها من الحاج حمزة[١] وعُدنا إلى الإعطاء ابتداءً من شهر صفر.

أرجو الاهتمام بإيصال الأربعين نسخةً من بحوث فقهيّة إلى قمّ بالنحو الذي كتبته لكم في الرسالة السابقة.

أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يرعاكم ويحفظكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ عبد المنعم الزين زار العراق قبل شهر، وقد أعجبني وضعه الديني والعلمي ونجاحه في منطقته وشعوره بالمسؤوليّة تجاه دينه ومرجعيّته الصالحة، ولديه مشروعٌ يضمّ جامعاً ومدسةً وحسينيّةً ومكتبة، وهو متجاوبٌ ومستعدٌّ لإنجاز المشروع باسم المرجعيّة الصالحة وضمن توجيهاتها، وقد كانت لديه دعوة من قبل بعض اللبنانيّين الأثرياء في إمارة أبو ظبي لجمع مساعدات أخرى، فإذا كتب لكم شيئاً عن مشروعه فالمطلوب التجاوب معه في الحدود المعقولة المشروعة»[٢].

كما أرسل إلى الشيخ علي الإسلامي رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم حجّة الإسلام الشيخ علي لإسلامي لا عدمته ولا حرمته عضداً ومساعداً وأملاً.

السلام عليكم زنة شوقي إليكم واعتزازي بكم وتقديري لجهودكم المباركة في خدمة الدين الحنيف ودعائي لكم بالتأييد والتسديد.

تسلّمت بكلّ تلهّف واعتزاز رسالتكم الكريمة، فكانت سارّة بارّة قرأت فيها روحكم الكبيرة وهمومكم، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يرعاكم بعينه التي لا تنام ويحوطكم بما يحوط به المخلصين من عباده العاملين الذين يذوبون في أعمالهم من أجل الله بدلاً عن أن يذوّبوا أعمالهم من أجل ذواتهم، وليس بعيداً عنك وأنت من أعرف قلباً وروحاً وهمّة وبنوّة لذلك الأب المجاهد الكبير[٣] أن تكون منار هداية ومحور إشعاع ومرتكز آمال في خدمة الإسلام. وقد تحدّثت مع السيّد الباقري[٤] عن موضوع ترجمة كتاب

---

(١) يقصد الحاج حمزة مقامس رحمه الله.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٥٣).

(٣) كذا، والمقصود هو والد الشيخ الإسلامي.

(٤) يقصد السيّد محمّد علي الباقري.

فلسفتنا وسائر المواضيع التي حدّثتموني عنها.

سلامي واحترامي إلى سماحة حجّة الإسلام والمسلمين والدكم المعظّم دامت بركاته.

أرسلت مع السيّد الباقري نسختين من الأسس المنطقيّة للاستقراء إحداها لكم والأخرى لمكتبة الوالد دامت بركاته.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمّد باقر الصدر»[١].

موقع كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء)

كان السيّد الصدر﵀ يعتزّ كثيراً بهذا الكتاب من بين كتبه الأخرى ويراه معبّراً عن مستواه العلمي والفكري وحصيلةً لجهود علميّة مكثّفة، وكان يعبّر عنه بـ(حصيلة العمر)[٢].

وقد قال السيّد الخوئي﵀ بعد أن قرأ الكتاب: «**هو أوّل كتابٍ أفتحه من أوّله فلا أفهم، من وسطه فلا أفهم، من آخره فلا أفهم**»[٣]، أو أنّه قال: «**أيّ كتاب أقرؤه أعرف ماذا يريد المؤلّف منه من مقدّمته أو ربعه، إلاّ كتاب الأسس المنطقيّة للاستقراء، فقد قرأته مرّتين (يلّى) فهمته**»[٤].

ويقول الدكتور زكي نجيب محمود في هذا الكتاب: «**أرغب أن يترجم هذا الكتاب إلى اللغة الإنجليزيّة لكي يطّلع الإنجليز على فضائحهم**»[٥]، «**إنّه من الكتب التي ينبغي أن تترجم إلى اللغة الإنجليزيّة لتعرف أوروبا أنّ لدينا فلاسفة أصليّين يملكون العمق الفلسفي والفكر المستقلّ**»[٦]. «**إنّ فلاسفة الإنجليز سيقرأون فكراً جديداً إذا أتيح لهم أن يقرأوا ترجمة الأسس المنطقية للاستقراء**»[٧]، هو «**فكرٌ جديدٌ لم يسمع به الإنجليز من قبل**»[٨].

ويقول فيه الدكتور زكريا إبراهيم: «**لو ترجم كتاب الأسس المنطقية للاستقراء الذي ألّفه الشهيد إلى الإنجليزيّة وقرأه الإنجليز لما بقي منهم من يتّجه اتجاهاً ماديّاً**»[٩].

ويعتبر الدكتور حسن حنفي أنّه «**نقدُ الأنا لثقافة الآخر**»[١٠].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٥٤).

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٩٦. وفي بالي أنّي سمعته من السيّد كمال الحيدري أيضاً.

(٣) نقل لي ذلك السيّد محمّد الغروي بتاريه ٢٠٠٤/٧/٢٤م عن السيّد الصدر﵀ الذي نقله بدوره عن السيّد الخوئي. وقد ذكر قريباً منه السيّد كمال الحيدري في الشريط (٣٣) من شرحه على (الحلقة الثانية)، ولكن فيه بعضُ الاختلاف: «ما من كتاب أفتحه من أوّله أو من آخره إلاّ وأعرف ماذا يريد المصنّف أن يقول، إلاّ كتاب الأسس، فلم أفهمه حتّى قرأته منً أوّله إلى آخره». وعندما نقلتُ ذلك إلى السيّد الغروي قال: إنّ الشقّ الأخير من نقل السيّد الحيدري لم يسمعه من السيّد الصدر﵀.

(٤) نقل ذلك السيّد كامل العميدي نقلاً عن الشيخ محمّد إسحاق الفيّاض نقلاً عن السيّد الخوئي﵀.

(٥) مجلّة العالم، العدد (٦٦٤)، ١٩٩٩/٣/٢٧م.

(٦) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ١٨٣.

(٧) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٩٥، ٣١٢.

(٨) انظر مثلاً: بغية الراغبين ٢: ٦٤١.

(٩) صحيفة (الجهاد)، العدد (٨٠).

(١٠) مقدّمة في علم الاستغراب: ٥٣٥.

ويعتقد السيّد عمّار أبو رغيف أنّ هذا الكتاب قد نقلنا مع بعض وجوه مشكلات الاستقراء ونظريّة الاحتمال ما يقرب من ثلاثة قرون، وأنه اختزل المسافات الزمنيّة التي تفصلنا عمّا عليه الوضع في غرب القارّة في وجوه أخرى أكثر من قرن(١).

وقال فيه الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «**هو كتاب أعتقد أنّه لم يكتشف حتّى الآن**»(٢).

بينما يعتقد الدكتور شبلي الملاّط أنّ السيّد الصدر قد تخوّض في مجال المنطق، ومن هنا كان (الأسس) أقلّ إنجازاته نجاحاً لأنّه لم يكن مهيّأً على نحوٍ جيّد للخوض في مثل هذا الفرع الملغز من فروع المعرفة(٣).

وعلى أيّة حال، فإنّ هذا الكتاب لم يأخذ موقعه الذي أراده له السيّد الصدر داخل الحوزة، حتّى أنّه قد بدا عليه الهمّ في إحدى المرّات بعد الفراغ من درسه، فسأله السيّد كمال الحيدري عن سبب حزنه، فأجابه: «**أشعر أنّ كتاب الأسس المنطقيّة للاستقراء سيضيع في الحوزة**».

وفي مرّة أخرى كان السيّد الصدر متوجّهاً بعد درس الأصول من مسجد الجواهري إلى مسجد الطوسي حيث أقيم مجلس فاتحة، وكان السيّد كمال الحيدري يسير معه ويوجّه إليه بعض الأسئلة حول كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء)، فقال له السيّد الصدر بحسرة: «**لقد كتبتُ كتاب الأسس حتّى يتدارسه الطلاّب ولا ينهمكوا في دراسة الحاشية [حاشية الملا عبد الله]..**»(٤).

العراق ينذر أكثر من ألف عائلة إيرانيّة بالهجرة

ما إن رحل السيّد محسن الحكيم حتّى كثّفت حكومة البعث من مساعيها في سبيل الحدّ من نفوذ الحوزة في النجف وذلك عن طريق تسفير الطلبة الأجانب منها ومراقبة الطلبة العراقيّين فيها(٥).

وأعلن النظام العراقي أنّه لا يمنح الإقامة إلاّ للطلاّب الذي يحصلون على تزكية من السيّد الخوئي الذي لم يمنح ـ جهازه ـ سوى أربعمائة طالب منهم(٦).

ففي ١٩٧١/١٢/٢٣م (٤/ذي القعدة/١٣٩١هـ) أنذر العراق أكثر من ألف عائلة إيرانيّة تسكن العراق بالهجرة إلى إيران(٧).

---

(١) منطق الاستقراء: ٧.

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ١٨٣.

(٣) تجديد الفقه الإسلامي: ١٥ ـ ١٦ من فصل (القانون في النهضة الإسلاميّة).

(٤) سمعته من السيّد كمال الحيدري. وأحسبُ أنّ في البين تسامحاً، فإنّ منطق (الأسس المنطقيّة للاستقراء) لا يحلُّ محلَّ المنطق الأرسطي وإنّما يقف إلى جانبه، وهذا هو أساسُ محاولة السيّد الصدر في الكتاب، حيث أراد من خلاله أن يبرهن على أنّ قسماً من معارفنا لا يُمكن تفسيره على ضوء المنطق الأرسطي، وإنّما هناك منطقٌ آخر باستطاعته تفسيرها، وهو (المنطق الذاتي)، وهو يُسلّم بأنّ قسماً من المعارف يُفسّر على أساس المنطق الأرسطي.
ولذلك ليس صحيحاً ما يعتقده بعض الباحثين من أنّ السيّد الصدر رفض القياس المنطقي (نقد نظريّة المعرفة عند السيّد محمّد باقر الصدر، الدكتور جميل قاسم، مجلّة المنهاج، العدد ١٧).

(٥) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٧.

(٦) مقابلة مع الأستاذ عادل رؤوف (حفظه الله).

(٧) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

السيّد الخميني رحمه الله ينوي المغادرة إلى لبنان ويبرق إلى البكر معترضاً

وفي اليوم نفسه ١٩٧١/١٢/٢٣م (٤/ذي القعدة/١٣٩١هـ) أبرق السيّد الخميني رحمه الله إلى أحمد حسن البكر برقيّةً ترجمتها ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

السيّد رئيس الجمهوريّة المحترم

بعد السلام..

أرى من اللازم أن أتقدّم بمجموعة من التنبيهات التي يؤمل أن تكون في صالح المسلمين والدولة العراقيّة بالخصوص:

في هذا الزمن الذي تسعى فيه الدول ـ حتّى الكبرى منها ـ إلى إرضاء شعوبها، وتسعى فيه إلى احتلالها وشعوبها مرتبة الصدارة وإظهار نفسها أمام العالم بمظهر العادل، ليس من الصالح أن تقدم الدولة العراقيّة على ما من شأنه أن يخدش بذلك أمام الشعوب الحرّة في العالم وبخاصّة المسلمين.

وفي الزمن الذي تسعى فيه الدول ـ من خلال ما تملك من وسائل إعلاميّة ـ إلى التغلّب على منافسيها وجعلهم من خلاله تابعين لها، ليس من الصالح أن تقوم الدولة العراقيّة بما يوجب استفزاز الدول الكبرى وتحريكها ضدّها.

إنّ الشعب الإيراني لا يفصل مساره عن مسار الشعب العراقي، بل إنّه قد وقف على رأس المدافعين عن هذا البلد. وليس يفصلنا الكثير من الزمن عن جهاد علماء إيران الأعلام، وفي مقدّمتهم المرحوم آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي والمرحوم آية الله الميرزا محمّد تقي الشيرازي قدّس سرّهما.

إنّ على المسلمين أن يكونوا معاً يداً واحدةً تقطع عن بلدهم دابر الأيادي الأجنبيّة. ولو قطعنا النظر عن الجانب السياسي، فإنّ من الخطأ اقتصاديّاً إبعاد شعب كبير يملك من رؤوس الأموال ما يمكنه أن يساهم في تنمية البلد اقتصاديّاً. وحتّى الدول ذات رؤوس الأموال الضخمة لا تستغني عن توظيف رؤوس الأموال الأجنبيّة وعن جذب السيّاح. وليس من الصالح أن يقوم العراق بتبعيد الآلاف ممّن يتدافعون إليه سنويّاً من أجل زيارة العتبات المقدّسة، مخلّفين في اقتصاده تأثيراً ملموساً.

إنّني أرى أنّ ما يقوم به رجال الأمن من ممارسات قاسية في ظلّ هذا البرد القارس الذي يعرّض النساء والأطفال للهلاك، من شأنه أن يؤثّر سلباً على الأوضاع السياسيّة والاقتصاديّة للبلد.

ومع أخذ هذه الجهات وغيرها بعين الاعتبار، فإنّ من المتوقّع إعادة النظر في هذا الأمر ومراعاة الأخوّة الإسلاميّة التي أكّد عليها الله تبارك وتعالى والرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله.

والسلام»[1].

وكانت تكلفة إرسال البرقيّات تحدّد على أساس عدد الكلمات، وقد بلغت تكلفة إرسال برقيّة السيّد الخميني رحمه الله مائة وخمسة دنانير. وقيل إنّ ذلك كان إثر إلحاحٍ وطلب الشيخ محمّد حسن الجواهري رحمه الله[2].

في اليوم نفسه واعتراضاً على ما حصل، ألقى السيّد الخميني رحمه الله كلمةً في مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله ودّع فيها الحاضرين الذين بلغ عددهم حوالي ألفي شخص، معلناً عزمه على السفر إلى

---

(١) نهضت امام خميني (فارسي، ط.ق) ٣: ٧٥٧ ـ ٧٥٨.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٩م. وكان الدينار حينها ٣،٥ $، فيكون المبلغ ٣٦٧،٥ $.

لبنان. وقد جاء في الخطاب ما تُرجم إلى ما يلي:

«بسمه تعالى

بعد إرسالنا برقيّة إلى المسؤولين العراقيّين تضمّنت ما ارتأيناه من الصلاح، وبعدما أظهروه من ردّ فعلٍ معاكس قوي، ناهيك عن امتناعهم عن الردّ على برقيتنا، لذا أرى أن وجودي هنا أضحى لا مبرّر له، وعليه فإنّي سأرسل جواز سفري إلى المسؤولين غداً وأطلب الإذن في مغادرة البلاد.

طبيعي أنّي أينما سأكون فإنّي سأذكر الأخوة [الأفغانيّين] والباكستانيين والهنود والعراقيين وسائر الإخوة المحترمين، كما أنّ محبتي وتعلّقي بهم سيبقى محفوظاً في أيّ مكان آخر كما كان عليه الآن.

آمل أن يصل الإخوة الإيرانيّون المبعدون إلى أماكن قصدهم في إيران بالسلامة إن شاء الله، وأن يستقرّوا في الحوزات الدينيّة في (قم)، وإن لم يكف ففي مشهد، وأن يحافظوا على الحوزات الدينيّة، كما آمل أن يعودوا سريعاً إلى هذه الحوزات إن شاء الله.

إنّ الله تبارك وتعالى قادرٌ على إعادتكم أيّها الإخوة المحترمون مرّة أخرى إلى الحوزات، مثلما أخرجتم منها اليوم بهذا الوضع المؤسف، مع شديد رغبتكم في مجاورة أمير المؤمنين عليه السلام وحفظ وجود هذه الحوزة.

على أيّة حال فإنّ بقائي هنا لم يعد مناسباً مع مغادرة أصدقائنا وإخواننا في الدين بالإكراه هكذا، والحال أنّي سمعت أنّهم حينما أرادوا تسفير اليهود المقيمين في العراق أمهلوهم ستّة أشهر، وعقدوا لهم جلسة حتّى يتمَّ بيع ممتلكاتهم تحت إشراف هيئة خاصّة وبشكل عادل وإعطائهم أثمانها، لكنّهم لم يعاملوكم أنتم أيّها الإخوة الشيعة الإيرانيّين بهذا الشكل، لذا فإنّ البقاء في بلد يتعامل مع المسلمين ومع مجاوري الأئمّة عليهم السلام بهذا الشكل أضحى صعباً عليّ، وسأرسل جواز سفري غداً إلى المسؤوليين المختصّين، وأطلب إعطائي إجازة الخروج من العراق للتحرّك نحو لبنان.

فلنذهب إلى لبنان عسى الباري جلّ وعلا أن يمنّ علينا ـ كما منّ على الشهيدين هناك ـ بالشهادة، فليشملنا ذلك الفيض الالهي.

إنّ النتيجة ستكون في صالحكم بعد هذه المعاملة السيّئة والخشونة التي أبداها المسؤولون العراقيّون والإيرانيّون، لأنّ ما عاملونا به في إيران والعراق سينكشف للعالم أجمع، وسيعرف العالم حقيقة وضع الشيعة في إيران والعراق.

إنّ وضع المبعدين من الكسبة والتجّار والعمّال البائسين أسوأ من وضعكم أنتم أيّها الطلبة، وذلك لما سيواجهونه من البرد القاسي في إيران هذا الفصل، وإنّي لشديد الأسف من أجلهم، فهم ينتقلون مع نسائهم وأطفالهم، ويتعرّضون الآن إلى معاملة أسوأ من هذه المعاملة، وذلك من قبل أولئك المتواجدين على الحدود الإيرانيّة»[1].

السلطة العراقيّة تلجأ إلى السيّد الخوئي رحمه الله لتضعيف موقف السيّد الخميني رحمه الله

ولتكذيب هذا الموقف قامت السلطة العراقيّة بتوجيه السؤال التالي إلى السيّد الخوئي رحمه الله بتاريخ ١٩٧١/١٢/٢٥هـ (٦/ذي القعدة/١٣٩١هـ):

«بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) كوثر (فارسي) ١: ٢٥٦ ـ ٢٥٨ ؛ الكوثر ١: ٣٦٥ ـ ٣٦٧. وقد جاء في إحدى هوامش الكتاب أنّ المخابرات الإيرانيّة ذكرت في بعض تقاريرها أنّ المحاضرة كانت في بيت السيّد الخميني رحمه الله، وأنّ ذلك خطأ.

سماحة المرجع الأعلى السيّد أبو القاسم الخوئي
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
هل رأيتم من حكومة البعث في العراق ما ينافي الدين أو الإنسانيّة بالنسبة إلى شخصكم الكريم أو إلى الحوزة العلميّة أو إلى الإيرانيّين، فقد ذكر بعضُ المغرضين [أنّ الحكومة] تعاملهم معاملة سيّئة. أفتونا مأجورين.

بغداد ٧١/١٢/٢٥
علي رضا (الإمضاء)»[١].

وقد جاء في الجواب الذي حمل توقيع السيّد الخوئي‏رحمه الله بتاريخ ٨/ذي القعدة/١٣٩١هـ (١٩٧١/١٢/٢٧م) ما يلي:

«بسمه تعالى شأنه

تحيّة طيّبة
وبعد، إنّي بالنسبة إليّ لم أرَ من الحكومة الموقّرة إلاّ خيراً، أمّا بالنسبة إلى الحوزة العلميّة والإيرانيّين فقد سمعتُ من بعض الثقات أنّ الحكومة تعاملهم معاملة حسنة، والله وليُّ التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله.

النجف الأشرف ٨/ذ ق/١٣٩١هـ
الخوئي (الختم)»[٢].

وكما يأتي فإنّ السيّد الخوئي‏رحمه الله نفى للدكتور صادق الطباطبائي بعد لقائه به أن يكون قد حرّر البيان وطلب منه أن يكذّب نسبته إليه[٣].

تسفيرات الأيّام الستّة

في ١٩٧١/١٢/٢٦م وصل ٧٧٨ شخصاً إيرانيّاً إلى الحدود العراقيّة ـ الإيرانيّة. وفي ١٩٧١/١٢/٢٧م وصل ١٣٠٦ أشخاص إلى قصر شيرين على الحدود. وفي ١٩٧١/١٢/٢٩م (١٠/ذي القعدة/١٣٩١هـ) أصدرت السلطة العراقيّة قرارها المعروف التي أمهلت فيه الإيرانيّين المقيمين في العراق مهلة ستّة أيّام من أجل تصفية أوضاعهم والهجرة إلى إيران[٤].

السيّد الخوئي‏رحمه الله يعتزم السفر إلى لندن

كان السيّد الخوئي‏رحمه الله قد شفي في فترة سابقة من مرض كان قد ألمّ به، وغادر مدينة الطب في

---

(١) = ٦/ذي القعدة/١٣٩١ هـ. ويُشار هنا إلى أنّه لا وجه لتذييل سؤالٍ من هذا القبيل بعبارة (أفتونا مأجورين) لأنّ مورده أجنبيٌّ عن الأحكام الشرعيّة ووظيفة الفقيه.

(٢) انظر الترجمة الفارسيّة للجواب في: نهضت امام خمينى (فارسي، ط.ق) ٣: ٧٩٢، والأصل العربي في المصدر نفسه ٣: ١٢٨٤ ؛ وانظر الوثيقة رقم (١٥٥) في هذا الكتاب.
يُشار إلى أنّ السيّد عبّاس خاتم اليزدي ذكر أنّ هذا الجواب حصل عليه علي رضا خلال سفره إلى لندن حين كان السيّد الخوئي‏رحمه الله هناك [خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٠٨]، ولكن حسب تسلسل الأحداث، ربّما كان ما أثبتناه هو الصحيح، خاصّةً أنّ علي رضا هو الذي حاول الاجتماع بالسيّد الخميني‏رحمه الله.

(٣) انظر الأحداث الآتية، ولعلّ مراد السيّد الخوئي‏رحمه الله أنّه لم يكتبه باختياره.

(٤) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٩٤.

بغداد بتاريخ ١/جمادى الأولى/١٣٩١هـ (١٩٧١/٦/٢٥م)، وقد ألقى في حينها السيّد علي العلوي‌رحمه الله قصيدةً بهذه المناسبة[(١)].

وفي ١٩٧١/١٢/٢٩م (١٠/ذي القعدة/١٣٩١هـ)، وفي اليوم نفسه من إعلان الحكومة العراقيّة مهلة ستّة أيّام من أجل مغادرة الإيرانيّين، انتشر خبر مرض السيّد الخوئي‌رحمه الله. وبعد يوم أو يومين انتشر خبر سفره مع عائلته إلى لندن، وذلك تزامناً مع انتشار السؤال الذي كان علي رضاً قد وجّهه إليه والجواب عنه. كما أشيع أنّ الحكومة العراقيّة هي التي تكفّلت بتكاليف السفر[(٢)]، وقد رافقه أربعة من كبار الأطبّاء العراقيّين وضابطان عراقيّان وتسعة من المرافقين المقرّبين منه[(٣)]. وقبل سفره سلّم مفاتيح الأمانات إلى السيّد محمّد الروحاني‌رحمه الله «**مشيراً إلى هذه الخلافة ـ [خلافته في المرجعيّة] ـ على ما هي العادة في المراجع قبله**»[(٤)].

السيّد الصدر‌رحمه الله يستصدر من السيّد الخوئي‌رحمه الله حكماً بحرمة الهجرة قبل سفره

كان السيّد الصدر‌رحمه الله عازماً على زيارة السيّد الخوئي‌رحمه الله من أجل إقناعه باتّخاذ تدبير يحول دون تسفير الإيرانيّين والأفغانيّين من الحوزة، وقد قرّر أن يزوره في صباح اليوم الذي يلي يومه.

وبعد الظهر أتاه شخصٌ من قبل السيّد الخوئي‌رحمه الله وقال له إنّ السيّد يريد أن يراه، فلبس ثيابه وخرج من البيت، فقال له ذلك الشخص إنّهما سيذهبان إلى بغداد، فقال له: «**ولماذا؟**»، فأجابه: «**لأنّ السيّد الخوئي في بغداد على أعتاب السفر**»[(٥)]، وكان طلاّب الحوزة العلميّة والعلماء في حيرة من موقفهم تجاه الإنذار بالسفر الذي وجّهته الحكومة عن طريق مكبّرات الصوت السيّارة[(٦)].

وعندما دخل السيّد الصدر‌رحمه الله على السيّد الخوئي‌رحمه الله نهض الأخير من السرير وارتدى عمامته لاستقباله، فبادره الأوّل بالقول: «**سيّدنا أنت مريض، ابقوا على راحتكم**»، فأجابه السيّد الخوئي‌رحمه الله «**كيف لا وأنا أستقبل النجف بكامله؟!**»[(٧)].

نقل السيّد الصدر‌رحمه الله للسيّد الخوئي‌رحمه الله مجمل الأوضاع في النجف وقضيّة تسفير الطلاّب، وقال له: «**أنت زعيم الحوزة والطلاّب بحاجة إليك في محنتهم، وكنتُ أريد أن أتداول معك ماذا يمكننا أن نفعل من أجل الحؤول دون تسفيرهم، وبدل ذلك تريد أن تسافر إلى لندن؟!**»، [«**إنّ الحوزة التي بنيت بجماجم**

---

(١) الرافد: ١٤٩.

(٢) خاطرات سياسى (٢)، سيّد على اكبر محتشمى (فارسي): ١٥٤. ويذكر السيّد محتشمي أنّ هذا ظاهر الأمر، وإلاّ فإنّه يعلم حقيقته. ولكنّني لا أستبعد أن تكون الحكومة العراقيّة وراء هذه الشائعات من أجل تضعيف موقف السيّد الخوئي‌رحمه الله وإحباط الأطراف الأخرى، وإن كان السيّد الخوئي‌رحمه الله قد سافر على أيّة حال.

(٣) نگرشى به زندگى حضرت آية الله العظمى شيرازى (فارسي): ٦٨، نقلاً عن صحيفة (الحياة)، العدد (٨٠٣٣).

(٤) فهرس التراث ٢: ٦٨٢.

(٥) حدّثني بذلك الدكتور صادق الطباطبائي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١١م نقلاً عن السيّد الصدر‌رحمه الله ؛ وانظر عموماً: نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ؛ الإمام قدوة (السيّد محمّد باقر الحكيم‌رحمه الله) ٢: ٥٩.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٥٩.

(٧) أدب الاختلاف في حياة الإمام الخوئي، منصور عبد الجليل القطري، مجلّة الموسم، العدد ١٧، ١٩٩٤ ـ ١٤١٤ هـ : ٥٤. ويذكر أنّ الوارد هو أنّ هذه الحادثة وقعت في إحدى المرّات التي كان السيّد الخوئي‌رحمه الله فيها راقداً في المستشفى، ولم ترد في خصوص هذه المرّة، فأدرجناها للمناسبة.

العلماء ودماء الشهداء لا تسلم هكذا][١]، فأجابه السيّد الخوئي‏: «**أنا مريض، وقد قال لي الأطبّاء إنّه يجب أن أخضع للعلاج هناك**»، فقال له السيّد الصدر‏: «**وما الداعي لتصطحب معك تسعين شخصاً يرافقونك، اثنان أو ثلاثة يكفي**»[٢].

وأثناء الحديث رجّح السيّد الصدر‏ للسيّد الخوئي‏ أن يتّخذ موقفاً واضحاً من هذه القضيّة، وهو الطلب من الحوزة الامتناع عن السفر، [فتضامن الأخير معه في عدم سفر الطلاّب الأجانب][٣] ووافق على طلبه واقتنع باستصدار (حكم) إلى الطلبة بالبقاء في النجف وإكمال دراستهم[٤]، وذلك بعد أن مارس السيّد الصدر‏ ضغطاً مباشراً وآخر غير مباشر لحمله على إصدار مثل هذا الحكم[٥]، وقد جاء في هذا الحكم: «**لا يجوز الخروج من النجف إلاّ سحلاً**»[٦]، أو إلاّ إذا أجبر الطالب على ذلك[٧].

ثم قال السيّد الخوئي‏: «**أنت انقل عنّي للطلاّب أن لا يغادروا النجف**»، فقال له: «**اكتب لي ذلك**»، فأجاب: «**أنت انقل عنّي، وهذا يكفي**»، فقال السيّد الصدر‏: «**إذا لم تكتب ذلك فسيكذّبونني**»[٨].

وكان السيّد الخوئي‏ قد حرّم على الشيخ أحمد الأنصاري‏ مغادرة حوزة النجف قائلاً له: «**إنّ مغادرتك النجف حرامٌ شرعاً، وإنّك من أركان الحوزة العلميّة**»[٩]، وتاريخ الحادثة غير معلوم.

تشكيك حاشية السيّد الخوئي‏ بما نقله السيّد الصدر‏

نقل السيّد الصدر‏ رسالة السيّد الخوئي‏ إلى الحاشية وكبار الحوزة العلميّة ـ وكان السيّد جمال الدين نجل السيّد الخوئي‏ يقدّم المساعدات الماليّة إلى الراغبين بالسفر[١٠] ـ ولكنْ يبدو أنّ الحاشية كان لها رأيٌ آخر في الموضوع وتقديرٌ آخر للموقف، فلم تستجب لمتطلّبات الرسالة، بل أمعن بعضهم في الموقف السلبي بأن أبرز التشكيك بصحّتها[١١]، وقد أثار ذلك بلبلة في النجف

---

(١) ما بين [] نقله لي الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(٢) حدّثني بذلك الدكتور صادق الطباطبائي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١١م نقلاً عن السيّد الصدر‏. وقد ذكر الدكتور الطباطبائي أنّ عدد المرافقين تسعون شخصاً، في حين نقلنا عن [نگرشى به زندگى حضرت آية الله العظمى شيرازى (فارسي): ٦٨، نقلاً عن صحيفة (الحياة)، العدد (٨٠٣٣)] أنّهم كانوا ستّة أشخاص إلى جانب تسعة من المرافقين. وبعيدٌ لديّ الآن أن يكون الدكتور قد ذكر لي (نُه = تسعة) وحسبتها (نَوَدْ = تسعين)، والأقرب لديّ ـ بعد استبعاد أن يكونوا فعلاً تسعين ـ أن يكون الخلط قد وقع في النقل عن السيّد الصدر‏.

(٣) ما بين [] من: مقابلة مع الشيخ محمّد جعفر شمس الدين (‏).

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٥٩.

(٥) الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٨ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٧٨، نقلاً عن الشيخ مهدي العطّار‏.

(٦) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(٧) الصدر في ذاكرة الحكيم: ٤٦، وقد نقلها السيّد محمّد الحيدري.

(٨) حدّثني بذلك الدكتور صادق الطباطبائي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١١م نقلاً عن السيّد الصدر‏.

(٩) شهداء العلم والفضيلة في العراق: ٤٣.

(١٠) ما بين ـ ـ ذكره لي الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م ؛ وانظر: الإمام الصدر في أعماله السياسيّة: ١٣ ؛ وجاء في تقرير كتبي لمقابلة خطيّة أجريت مع الشيخ محمّد جعفر شمس الدين أنّ السيّد (...) حثّ على خروج الطلبة من النجف والهجرة إلى قم (‏)، ولعلّ المراد السيّد جمال الدين‏.

(١١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٥٩، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم‏.

الأشرف[١]. وكان نتيجة ذلك أن تمّ تسفيرُ عدد كبير من العلماء والطلبة[٢] في ١٩٧٢/١/٨م (٢٠/ذي القعدة/١٣٩١هـ)، حيث تمّ ترحيل ٨٥٤ شخصاً إلى الحدود الإيرانيّة[٣].

إيفاد وفد علمائي لبناني إلى السيّد الخوئي رحمه الله

في الجلسة الأسبوعيّة التي يعقدها السيّد الصدر رحمه الله مع مجموعة من تلامذته طرحت مسألة هجرة الطلّاب ونوقشت، وتمّت الموافقة على اقتراح تقدّم به الشيخ محمّد جعفر شمس الدين يقضي بتشكيل وفد من الطلبة اللبنانيّين والذهاب إلى السيّد الخوئي رحمه الله وعرض الأمر عليه وأخذ رأيه.

وفعلاً تشكّل الوفد الذي زار السيّد الخوئي رحمه الله في بغداد وعرض عليه الأمر، فأبدى رأيه بعدم هجرة الطلبة من النجف الأشرف، فقفل الوفد راجعاً لزيارة بعض العلماء وعرض آخر المستجدّات عليهم، إلاّ أنّ السيّد (...) كان يرى أفضليّة ترك النجف لأسباب هو يعرفها[٤].

وفي مجلس عقده في فترة التسفيرات ـ وربّما كان المجلس نفسه ـ قال السيّد الصدر رحمه الله مقولته المعروفة: «**لو كان من يمثّل دور زينب فنحن سنمثّل دور الحسين** عليه السلام»[٥]، وكان يريد من أصحابه ومخلصيه أن يقوموا بدور زينب عليها السلام[٦]، وكان في نيّته الخروج إلى الصحن الشريف ليبيّن موقفه من القضيّة، ولكن لمّا رأى أنّه سيكون الضحيّة الوحيدة وأنّ تحرّكه لن لن يترتّب عليه أثر، عدل عن ذلك[٧] على تفصيلٍ يأتي.

السيّد الصدر رحمه الله يهمّ بمحاولة استشهاديّة لإنقاذ الموقف

يقول السيّد كاظم الحائري: «**في الفترة التي عيّنت حكومة البعث الغاشم ستّة أيّام لتسفير الإيرانيّين بما فيهم طلّاب الحوزة العلميّة من النجف إلى إيران رأيتُ أحد طلبة العلوم الدينيّة في النجف الأشرف مودّعاً لأستاذنا الشهيد، فرأيتُ الأستاذ يبكي في حالة وداعه إيّاه بكاء الثكلى رغم أنّه كان يعرف أنّ هذا الرجل يعدّ في صفوف المناوئين له**»[٨]، ورآه السيّد محمود الخطيب يودّع أحد تلامذته أيّام التسفير وهو يبكي بكاءً شديداً ويقول: «**يعزّ عليّ فراقكم**»[٩].

وفي هذه الفترة سمع السيّد الصدر رحمه الله أنّ شيخاً هنديّاً أو باكستانيّاً من مدرسة كاشف الغطاء قام بإحراق نفسه استنكاراً منه لحملات التسفير وقضى نحبه إثر ذلك، فقال السيّد الصدر رحمه الله: «**لو كان قد**

---

(١) الإمام قدوة (السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله) ٢: ٥٩.
(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٥٩، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله.
(٣) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٩٦.
(٤) مقابلة مع الشيخ محمّد جعفر شمس الدين (حفظه الله)، وما بين (...) من المصدر.
(٥) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (حفظه الله).
(٦) مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله)، ومراده من دور السيّدة زينب عليها السلام هنا دور المكمّل للثورة، والجهاز الإعلامي لها.
(٧) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (حفظه الله).
(٨) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٩ ؛ ومثله في مذكّرات السيّد محمود الخطيب ؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله). وفي المصدر الأخير: «أحد المشايخ».
(٩) من مذكّرات أسرة السيّد الصدر رحمه الله للمصنّف، (مخطوط).

أحرق نفسه عند باب الصحن أو عند باب الولاية لكان ذلك أفضل[١] طالما أنّه يرى أنّ من اللازم عليه أن يحرق نفسه»[٢].

أمّا عنه رحمه الله، فقد قال السيّد الصدر رحمه الله للسيد كاظم الحائري: «إنّني أتصوّر أنّ الأمّة مبتلاةٌ اليوم بالمرض الذي كانت مبتلاة به في زمن الحسين عليه السلام، وهو مرضُ فقدان الإرادة، فالأمّة تعرف حزب البعث والرجال الحاكمين في العراق ولا تشكُّ في فسقهم وفجورهم وطغيانهم وكفرهم وظلمهم للعباد، ولكنّها فقدت قوّة الإرادة التي بها يجب أن تصول وتجاهد في سبيل الله إلى أن تسقط هذه الزمرة الكافرة عن منصب الحكم وترفع كابوس هذا الظلم عن نفسها. وعلينا أن نعالج هذا المرض كي تدبّ حياة الإرادة في عروق هذه الأمّة الميتة وذلك بما عالج به الإمام الحسين عليه السلام مرض فقدان الإرادة في نفوس الأمّة وقتئذ، وهو التضحية الكبيرة التي هزّ بها المشاعر وأعاد بها الحياة إلى الأمّة إلى أن انتهى الأمر بهذا السبب إلى سقوط دولة بني أميّة.

فعلينا أن نضحّي بنفوسنا في سبيل الله ونبذل دماءنا بكلّ سخاء في سبيل نصرة الدين الحنيف. والخطّة التي أرى ضرورة تطبيقها اليوم هي أن أجمع ثلّةً من طلاّبي ومن صفوة أصحابي الذين يؤمنون بما أقول ويستعدّون للفداء ونذهب جميعاً إلى الصحن الشريف متحالفين فيما بيننا على أن لا نخرج من الصحن أحياء. وأنا أقوم خطيباً فيما بينهم ضدّ الحكم القائم ويدعمني الثّلة الطيّبة الملتفّة من حولي، ونثور بوجه الظلم والطغيان، فسيجابهنا جمعٌ من الزمرة الطاغية ونحن نعارضهم (ولعلّه قال: ونحمل السلاح) إلى أن يضطرّوا إلى قتلنا جميعاً في الصحن الشريف. وسأستثني ثلّةً من أصحابي عن الاشتراك في هذه المعركة كي يبقوا أحياء من بعدي ويستثمروا الجوّ الذي سيحصل نتيجة لهذه التضحية والفداء».

«إنّ هذا العمل مشروط في رأيي بشرطين:

الشرط الأوّل: أن يوجد في الحوزة العلميّة مستوى من التقبّل لعمل من هذا القبيل. أمّا لو أطبقت الحوزة العلميّة على بطلان هذا العمل وكونه عملاً جنونيّاً أو مخالفاً لتقيّة واجبة، فسوف يفقد هذا العمل أثره في نفوس الأمّة ولا يوفي ثماره المطلوبة.

والشرط الثاني: أن يوافق أحد المراجع الكبار مسبقاً على هذا العمل كي يكتسب العمل في ذهن الأمّة الشرعيّة الكاملة.

فلا بدّ من الفحص عن مدى تواجد هذين الشرطين».

أمّا عن الشرط الأوّل، فقد صمّم السيّد الصدر رحمه الله على أن يبعث رسولاً إلى أحد علماء الحوزة العلميّة لجسّ النبض ليعرض عليه هذه الفكرة ويستفسر منه عن مدى صحّتها، وبهذا الأسلوب سيعرف رأي عالم من العلماء بوصفه نموذجاً لرأي يتواجد في الحوزة العلميّة.

وقد اختار رحمه الله بهذا الصدد إرسال الشيخ محمّد مهدي الآصفي إلى أحد العلماء كي يعرض الفكرة عليه ويعرف رأيه، ثم عاد الشيخ إلى بيت السيّد الصدر رحمه الله وأخبره بأنّه ذهب إلى ذاك العالم في مجلسه ولكنّه لم يعرض عليه الفكرة لأنّه حينما دخل المجلس رأى أنّ هذا الشخص مع الملتفين

---

(١) حدثّني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٢) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

حوله قد سادهم جوٌّ من الرعب والانهيار الكامل نتيجة قيام الحكومة البعثيّة بتسفير طلبة الحوزة العلميّة، ولا توجد أرضيّة لعرض مثل هذه الفكرة عليه إطلاقاً.

وأمّا عن الشرط الثاني فرأى السيّد الصدر رحمه الله أنّ المرجع الوحيد الذي يترقّب بشأنه أن يوافق على فكرة من هذا القبيل هو السيّد الخميني رحمه الله، فلا يصحّ أن يكون هذا العمل من دون استشارته، فذهب هو رحمه الله إلى بيت السيّد الخميني رحمه الله وعرض عليه الفكرة مستفسراً عن مدى صحّتها، فبدا على وجه السيّد الخميني رحمه الله التألّم وأجاب على السؤال بكلمة «**لا أدري**».

وكانت هذه الكلمة تعني أنّ السيّد الخميني رحمه الله كان يحتمل أن تكون الخسارة التي ستوجّه إلى الأمّة من جرّاء فقدان السيّد الصدر رحمه الله أكبر ممّا قد تترتّب على هذا العمل من الفائدة.

وبهذا وذاك تبيّن أنّ الشرطين مفقودان، فعدل السيّد الصدر رحمه الله عن فكرته[(١)].

السلطة العراقيّة ترفض سفر السيّد الخميني رحمه الله

في خضمّ هذه الأحداث هاجرت مجموعةٌ من الشخصيّات الإيرانيّة إلى لبنان ومارست نشاطها الإعلامي من بيروت ودمشق التي لم تحدّ من نشاطاتهم نتيجة خلافاتها مع النظام العراقي. وكان منهم: الشيخ الدكتور محمّد الصادقي، الشيخ حسن مهاجر، الشيخ أحمد نفري، جلال الدين الفارسي وغيرهم. عندها جمع السيّد الخميني رحمه الله جوازات سفر عائلته وعائلة السيّد مصطفى رحمه الله وسلّمها إلى السيّد محمود دعائي ليقدّمها إلى دائرة الإقامة من أجل تحصيل إذن بالخروج.

استوقفت هذه الخطوة السلطة العراقيّة التي أرسلت على إثرها علي رضا ـ مسؤول مكتب صدّام وعضو قيادة مجلس الثورة ـ لمقابلة السيّد الخميني رحمه الله وثنيه عن قراره.

بعد رفض السيّد الخميني رحمه الله مقابلته، التقى علي رضا كلاًّ من السيّد يوسف الحكيم والسيّد محمود الشاهرودي رحمهما الله[(٢)].

ومن مسجد الشيخ الأنصاري رحمه الله، أطلق السيّد الخميني رحمه الله خطابه الثاني في ١٢/ذي القعدة/١٣٩١هـ (١٩٧١/١٢/٣١م) إثر معارضة النظام العراقي سفره إلى لبنان، وقد جاء في الخطاب ما تُرجم إلى ما يلي:

«[باسمه] تعالى شأنه

كان برنامج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله محصوراً قبل هجرته من مكّة إلى المدينة في التبليغ إلى الله، والتعريف بصفات الذات المقدّسة للحقّ تعالى والتعريف بالإسلام، فلم يكن لديه من الأتباع ما يمكنه بمساعدتهم القضاء على المشركين وتوسيع رقعة الإسلام. وكما تلاحظون في القرآن الكريم، فإنّ السور المكيّة تتميّز بالنصح والموعظة والتعريف بمفاهيم الإسلام فقط، ولم تتعرّض إلى الحرب والنزاع، كما لم ترد فيها الأحكام إلاّ نادراً.

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٤٩ ـ ٥١ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد كاظم الحائري ؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله) ؛ مقابلة (٤) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله) ؛ مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (حفظه الله) ؛ مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم في: صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٠٨).

(٢) تلفيقاً بين: خاطرات سياسى (٢)، سيّد على اكبر محتشمى (فارسي): ١٦٢ ـ ١٦٤؛ خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٠٥ ـ ١٠٧.

وحينما غادر الرسول الأكرمﷺ مكّة متوجّهاً إلى المدينة ـ بذلك الوضع السيّء المتدهور ـ لم يخطر ببال العوام من الناس وذوي التفكير السطحي حجم المصالح التي ستترتّب على تلك الهجرة، ولكن عندما وصل المدينة اتّضحت النتائج التي ترتّبت على الهجرة، واتّضح كيف أنّهﷺ استطاع توسيع رقعة الإسلام في المدينة وكسب الأتباع، ثمّ العودة إلى مكّة بالفتح والظفر آخر الأمر، بحيث خضع كبار قريش لهﷺ وقام هوﷺ بدوره بإطلاقهم.

والآن، وإن كان الكثير من الإيرانيّين قد أصبحوا ـ نتيجة الخلاف بين الحكومات ـ ثمن الصلح وهجّروا بهذا الشكل المأساوي من هذه البلاد، إلاّ أنّ من الممكن أن تكون هناك مصالح عظيمة في ما حصل، وهي خافية علينا. وكما أعاد الله تعالى رسوله الأكرمﷺ إلى مكّة فاتحاً منتصراً، فسوف يعيدكم إلى هذه الحوزات وتصبح النجف ذات يوم أقوى من الآن.

إنّنا على ثقة بأنّ الحوزة العلميّة ستعود عاجلاً أم أجلاً إلى سابق حالتها، وسوف تعود إلى النجف الأشرف ـ إن شاء الله ـ إذا عملتم بتكاليفكم الدينيّة والعلميّة.

إنّ العلم مسؤوليّة ثقيلة، وهي بعهدتكم، إلاّ أنّ مسؤوليّتكم ليست في تعلّم حفنة من الألفاظ والمفاهيم، بل إنّ المسؤوليّة التي أوكلت إليكم هي حفظ الإسلام وأحكامه، فأنتم الأمناء على الوحي، وعليكم أن تعكفوا على تهذيب أنفسكم خلال فترة انشغالكم في تحصيل العلوم، وكما تقومون بنصح غيركم، فإنّ عليكم إصلاح أنفسكم أيضاً، ولا تنسوا مسؤوليّاتكم، كونوا متصافّين متصالحين فيما بينكم، اجتنبوا الفئويّة والاختلافات، كونوا إخوة مع بعضكم، واعملوا للإسلام بسرائر نقيّة، وبروح واحدة.

أنتم أهل علم وجميعكم من جذر واحد، وكلّكم ورق في شجر واحد، وإذا وفّيتم بعهدكم فإنّ الله موف بعهده، وسيعيدكم إلى الحوزات مرّة ثانية، ونلتقي بعضنا مرّة أخرى هنا ـ إن شاء الله ـ وحتّى إذا لم أكن موجوداً حينها بينكم ـ حيث إنّي أطوي الأيّام الأخيرة من عمري ـ فأنتم موجودون وسوف تجتمعون هنا مرّة أخرى.

على أيّة حال، ليس متوقّعاً زوال الحوزة، الحوزة باقية على حالها، وبغضّ النظر عن الجوانب المعنويّة والإلهيّة، فإنّ زوال الحوزات العلميّة غير ممكن في الحقيقة حتّى بالحسابات الطبيعيّة، لأنّها محطّ اهتمام جميع المسلمين، وخصوصاً الشيعة منهم، وظهيرها هم الشعوب، وما كانت الشعوب ظهيراً له، فلن تستطيع الحكومات القضاء عليه. الحكومات أعمارها قصيرة، وظهير النجف هو الشعوب العظيمة، لذا فستبقى محفوظة.

يدرس حاليّاً في الحوزات طلبة من [الأفغانيّين] والباكستانيّين والهنود والعراقيّين وبعض أبناء الدول الأخرى، فلا قدرة لهذه الحكومة ـ التي لا يمكن وصفها بالحكومة ـ على الوقوف بوجه كلّ تلك الشعوب، وإن استطاعت الوقوف بوجهنا أنا وأنتم.

إذا أبعد الإيرانيّون المحترمون فإنّ على باقي الإخوة من البلدان الأخرى البقاء ومواصلة أداء مسؤوليّاتهم الدينيّة.

إنّ مثلكم مثل الأفواج العسكريّة التي تخوض حرباً، فإذا هاجمها العدو وحقّق انتصاراً على فوج منها، ينبغي على بقية الأفواج الثبات في مواقعها، وملء خنادق الفوج المنكسر، وإلاّ فإنّ العدو يتمنّى فرار الأفواج العسكريّة الأخرى بانكسار أحدها، وترك الميدان خالياً.

إنّ على الإخوة من باقي البلدان ـ والمتواجدين هنا ـ المرابطة في خنادقهم ومواصلة التحصيل العلمي وتهذيب النفس، وحتّى لو ذهب المراجع من هنا، وذهبت أنا ـ باعتباري أحد الطلبة ـ فإنّ على سائر الإخوة البقاء هنا، وأداء مسؤوليّاتهم.

طبيعي أنّ ذهابي يتمّ بناءً على مصالح لعلّها تخفى على الكثيرين، إلاّ أنّه ينبغي على بقيّة الإخوة البقاء، وعدم إخلاء مواقعهم.

رأينا كيف اضطربت الحوزة العلميّة في قم أيّما اضطراب قبل مدّة، ثمّ رأينا كيف استقامت الأمور لعدّة معدودة ممّن كانوا عرضة الاضطهاد والكبت والعناء دوماً، ولم يمرّ وقت طويل حتّى عادت الأمور، فغلب الظالم وأصبحت الحوزة مضطربة في ذلك الوقت حوزة الخمسة أو الستّة آلاف نفر.

أنتم الغالبون ولستم مغلوبين، ولو طالعتم تاريخ الظلمة والظالمين في العالم سترون أنّ الغلبة كانت للمظلومين دوماً، فمع القدرة والطغيان اللذين كان عليهما معاوية والنفوذ الذي تمتّع به، إلاّ أنّه أضحى اليوم لا يعرف له حتّى قبرٌ في نفس الشام التي كانت مركزاً لحكومته.

إنّ وضع أولئك الكسبة المساكين الذين عاشوا في العراق سنين طويلة يبعث على الأسف حقّاً، فليس لهم ما يربطهم بإيران، لا أصدقاء ولا معارف ولا أقارب، وإنّني آمل أن يحسن أبناء الشعب الإيراني معاملتهم مع ضيوفهم، وإنّي لعلى ثقة من أنّ الشعب الإيراني المسلم المجيد سيكون عطوفاً مع ضيوفه وإخوانه، فليأووا هؤلاء التعساء، وليوفّروا لهم السكن والطعام والملابس، وليسدّوا حاجاتهم، والأهمُّ من ذلك كلّه فليرشدوهم، فمنهم من لا يعرفون شيئاً عن أوضاع إيران.

وأنتم أيّها الإخوة المحترمون العازمون على الذهاب إلى إيران، أبلغوا الإخوة من أبناء الشعب الإيراني سلامي، وانقلوا لهم رجائي إيّاهم اللطفَ في معاملة الإخوة المهجّرين من العراق الذين يناهز عددهم المائة ألف نسمة، والذين سيتوزّعون على مختلف أنحاء إيران، ومساعدتهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[(١)].

السيّدان الشاهرودي والشيرازي رحمهما الله يعزمان على الهجرة

في ١٩٧٢/١/١م (١٣/ذي القعدة/١٣٩١هـ) أجاز السيّد محمود الشاهرودي رحمه الله احتساب ما يُدفع إلى المهجّرين الإيرانيّين من الحقوق الشرعيّة.

وفي ١٩٧٢/١/٤م تحرّك السيّد الشاهرودي رحمه الله نفسه إلى إيران[(٢)] تحت عنوان **(من علي إلى علي)**، أي من النجف الأشرف إلى مشهد الإمام الرضا عليه السلام.

وعلى أعتاب السفر، جاءه السيّد الصدر رحمه الله ليودّعه، وألقى كلمةً في الحاضرين[(٣)]، ثمّ أبرز عواطف خاصّة وبكى[(٤)]. ولكنّ السلطة منعت السيّد الشاهرودي رحمه الله من الخروج بتاريخ ١٩٧٢/١/٥م[(٥)].

كما أنّ السيّد عبد الله الشيرازي رحمه الله كان قد عزم على الهجرة أيضاً، فاجتمع به السيّد الصدر رحمه الله وبيّن له خطط حزب البعث لما بعد الهجرة، فعدل رحمه الله عن قراره[(٦)].

---

(١) الكوثر ١: ٣٧٥ ـ ٣٧٩.

(٢) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٩٥.

(٣) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٧م.

(٤) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).

(٥) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٤٩٦.

(٦) ذكريات نجل السيّد عبد الله الشيرازي رحمه الله حول السيّد الصدر رحمه الله (مخطوط). وقد جاء في المصدر أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان كثيراً ما يجتمع بالسيّد الشيرازي رحمه الله بعد ثورة الرابع عشر من تمّوز، خاصّةً بين ١٩٧٠ وبين ١٩٧٥م.

تحرّك السيّد الصدر على العلماء واستجابته لطلب السيّد الخميني

وفي هذا الوقت كان السيّد الصدر يعقد درسه في مقبرة آل ياسين، فألقى في هذه الأجواء كلمةً في طلاّبه يطلب منهم البقاء في النجف وعدم الاستجابة لقرارات السلطة[١]، وكان يرى أنّ الهدف من وراء حملة التسفير هذه ضرب الحوزة العلميّة وليس الهدف منها تبعيد الإيرانيّين، وكان متألّماً من ذلك كثيراً[٢].

ثمّ سعى إلى التنسيق بين كبار العلماء ـ منهم السيّد محمود الشاهرودي والسيّد نصر الله المستنبط ـ[٣] من أجل اتّخاذ موقف حاسمٍ في الموضوع. وعلى إثر ذلك أرسلت الحوزة العلميّة برقيّةً إلى أحمد حسن البكر تطالبه بإيقافٍ التسفيرات، وكانت البرقيّة بتوقيع كبار العلماء أمثال الشيخ مرتضى آل ياسين والسيّد محمّد سعيد الحكيم ـ والد السيّد محمّد تقي الحكيم ـ [والسيّد يوسف الحكيم] والشيخ محمّد جواد آل شيخ راضي وغيرهم، والتي سعى السيّد الصدر إلى ترتيبها.

إلى جانب ذلك، قام بحركة واسعة في أوساط المراجع والعلماء بحيث تمكّن من أن يعبّئ الوضع الروحي والسياسي في النجف الأشرف، وذلك عبر الضغط على الطلبة الأجانب الذين يحملون تأشيرات دخول غير منتهية، وأمرهم بالبقاء ومقاومة الحكومة وضغوطاتها بأيّة وسيلة ممكنة[٤]. كما قام بعدّة زيارات للسيّد الخميني من أجل التضامن وترتيب الموقف الموحّد[٥]، واتّصل بمختلف المناطق العراقيّة وطلب منهم تحريك القضيّة[٦].

وفي هذا الوقت رأى السيّد الخميني ضرورة تعطيل الدرس استنكاراً لممارسات السلطة، فطلب من الشيخ [علي] آل إسحاق أن يبلّغ السيّد الصدر بهذا القرار، ولمّا دخل عليه في بيته [الكائن في شارع الخورنق] ـ وكان يدرّس بعض تلامذته ـ أبلغ الشيخ آل إسحاق السيّد الصدر بقرار السيّد الخميني، فما كان منه إلاّ أن أعلن عن تعطيل الدرس قائلاً: «**ما دام السيّد الخميني قد عطّل الدرس، فقد عُطّل الدرس**»[٧].

---

(١) هذا المقطع حدّثني به الشيخ عبّاس الأخلاقي بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م.
(٢) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).
(٣) ما بين ـ ـ من: مقابلة مع الشيخ محمّد جعفر شمس الدين (حفظه الله).
(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٥٨ ـ ٢٥٩، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم؛ وانظر: الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٧٧؛ نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٥٦ ـ ٢٥٧؛ صحيفة (الشهادة)، العدد (٧١٤)، ١٥/ربيع الثاني/١٤١٨هـ، نقلاً عن السيّد محمّد باقر المهري؛ وانظر: مقابلة (٢) مع الشيخ علي كوراني (حفظه الله). وما بين [] من: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار)؛ الصدر في ذاكرة الحكيم: ٦٣.
(٥) الإمام قدوة (السيّد محمّد باقر الحكيم) ٢: ٥٩؛ وانظر: العلاقة التاريخيّة للسيّد الشهيد الصدر بالإمام والثورة: ٢٥ ـ ٢٦.
(٦) مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم (حفظه الله).
(٧) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (حفظه الله).

تقييم السيّد الصدر﵀ جولته على العلماء

بعد رجوعه من هذه الزيارات عقد السيّد الصدر﵀ مع بعض طلاّبه جلسة تقييميّة لجولته المذكورة، وقد قال﵀: «**الشخص الوحيد الذي يتّفق معي بشكل كامل ولديه وضوحٌ في الرؤية هو السيّد علي السيستاني، ولكن مشكلته أنّه لا يتّخذ موقفاً**»[١].

السيّد الخميني﵀ يضع حدّاً للأزمة

كان وضع الحوزة العلميّة حرجاً جدّاً، وكان وجوه الحوزة قلقين بشكل جدّي على مصيرها، ومنهم الشيخ محمّد حسن الجواهري ـ الذي كان له دورٌ بارز في جماعة العلماء ـ الذي قصد مكتب السيّد الخميني﵀ وكان شديد الاضطراب حتّى كاد يبكي[٢]. وقد تحدّث مع الشيخ نصر الله الخلخالي﵀ معترضاً على موقف السيّد الخميني﵀ حيث قال: «**لماذا يمتنع هذا السيّد عن لقاء نائب صدّام؟! أولا يعرف من يكون هذا الشخص؟! إنّه علي رضا، وهو أشدُّ قسوةً من صدّام وأكثر منه تعطّشاً للدماء، وإذا امتنع [السيّد] من لقائه، فيحتمل بقوّة أن تتعرّض النجف إلى القصف، ويباد سكّانها**».

وبعد أن نقل الشيخ الخلخالي﵀ ذلك، أوضح السيّد الخميني﵀ أنّ هدفه كان الحطّ من غرور ذلك الشخص وجاء اعتراضاً على ما تقوم به السلطة من تشريد النّاس في هذا الطقس وهذه الظروف، وأنّه لم يكن هدفه عدم لقائه من أساس.

وعلى أيّة حال، فقد نزل السيّد الخميني﵀ عند رغبة الشيخ نصر الله الخلخالي والشيخ حبيب الله الأراكي وغيرهما، مع أنّه آيسٌ من الوصول إلى حلّ، ولكنّه اشترط أن يكون اللقاء علنيّاً وبحضور الكثيرين بعد كانت السلطة قد تقدّمت بطلب لقاء خاص.

وأثناء اللقاء حاول عليٍ رضا تبرير حملات التسفير بأنّها جاءت في سياق التدابير الأمنيّة التي تتّخذها السلطة، وبأنّ كثيراً من الذين تمّ ترحيلهم هم جواسيس، وأعلم السيّد الخميني﵀ بأنّ هذه الحملات قد توقّفت.

عندها أدار السيّد الخميني﵀ وجهه مخاطباً الحاضرين بأنّ حكّام العراق يشرّدون الناس بحجج مختلفة ثمّ ينقلون لنا تحيّة رئيس الجمهوريّة، وانتقد هذه الحكومة التي أمهلت اليهود ستّة أشهر ولم تمهل المسلمين ستّة أيّام.

وقد برّر علي رضا هذه الحملات أيضاً بأنّ السلطة أجبرت على اللجوء إلى هذا الخيار من أجل تنظيم أوضاع الحوزة التي تضمّ مجموعةً من الجواسيس. واعترف علي رضا بوجود جواسيس في الحوزة يعملون لصالحهم، إلاّ أنّه لم يستبعد تحوّلهم إلى التجسّس لصالح العدو الإسرائيلي نتيجة تلقّيهم مبالغ ماليّة أكبر.

---

(١) حدّثني بذلك أحدُ أساتذتي بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/٢٤م سماعاً من السيّد كاظم الحائري، وقد فضّل عدم ذكر اسمه. وهذه هي الصيغة المنقولة لا ما ورد في (شهيد العراق.. الصدر الأوّل) (٧٧).

(٢) هنا اختلافٌ في الروايات، فالذي ذكره لي الشيخ عبد الحليم الزهيري أنّ الشيخ الجواهري قد أتى السيّد الخميني﵀ محركاً إيّاه في سبيل إرسال برقيّة وأنّه تحدّث معه بطريقة شديدة لا يجرؤ أحدٌ على مخاطبة السيّد الخميني﵀ بها، وهذا لا يكاد ينسجم مع ما في المتن، ولا ندري أيّهما أدقّ.

وكان جواب السيّد الخميني رحمه الله عن ذلك: «**أوّلاً: أنا شخصٌ غريب، وقد انتقلت مؤخّراً إلى حوزة النجف. وثانياً: إذا كان مقرّراً اتّخاذ بعض التدابير فيما يتعلّق بالحوزة، فينبغي أن يتمّ ذلك عبر التنسيق مع وجوه الحوزة، ومنهم السيّد الخوئي المتواجد حاليّاً في لندن. وطالما أنّه لم يرجع بعد، فإنّنا لن نتّخذ أيَّ قرار في هذا المجال**».

وبعد ساعة ونصف من الحديث لاحظ السيّد الخميني رحمه الله القلقَ مخيّماً على وجوه الحاضرين الذين كانوا يرغبون في بقائه أكثر من رغبة الحكومة العراقيّة نفسها. كما أخذ بعين الاعتبار ما سيقال من أنّ الخميني أفسد الجوّ على حوزة قم، ثمّ انتقل إلى النجف ودمّرها وذهب، فأعلن عن رجوعه عن قراره ممهلاً الدولة ثلاثة أشهر أخرى تغيّر فيها سياستها بعد إيقاف حملات التسفير، فسرٌّ الجميع لذلك وغادر الوفد[1].

السيّد الخميني رحمه الله يدعو السيّد الصدر رحمه الله والعلماء إلى استئناف الدروس

يوم الثلاثاء ١٩٧٢/١/١١م (٢٣/ذي القعدة/١٣٩١هـ) التقى الشيخ مرتضى أشرفي بالسيّد الخميني رحمه الله أثناء توجّهه إلى المسجد، وأخبره بأنّ السلطة العراقيّة بدأت بإلغاء تأشيرات الخروج، فقال له رحمه الله: «**إنّهم يكذبون، إنّهم لا يلغون تأشيرات الخروج**»، فأكّد له الشيخ الأشرفي الخبر وأنّهم يقومون بذلك بين التاسعة والعاشرة، وذكر له أنّه بنفسه ذهب إلى الدائرة وألغى تأشيرته، وأراه جواز سفره، فقال السيّد الخميني رحمه الله بتعجّب: «**إنّ الأمور لا تنعكس [إلينا] بشكل صحيح**»، ثمّ قال له: «**لا مانع من استئناف الدروس ابتداءً من غد [الأربعاء]، ونحن سنشرع ابتداءً من السبت، ولكن بما أنّ الحوزة والمدرّسين عطّلوا دروسهم بطلبٍ منّا، فمن الجيّد أن تأخذوا على عاتقكم مهمّة إبلاغ آية الله البجنوردي وآية الله المستنبط وآية الله الصدر بأنّه لا مانع من استئناف الدروس**»[2].

السيّد الخميني رحمه الله يعود السيّد الخوئي رحمه الله بعد رجوعه من لندن

في ١٩٧٢/١/٢٩م (١٢/ذي الحجّة/١٣٩١هـ) تحسّنت حال السيّد الخوئي رحمه الله الصحيّة[3]، وبعدها رجع إلى العراق.

عندها قام العلماء بعيادته في داره في الكوفة، ومنهم وفدٌ ضمّ السيّد الخميني والسيّد عبد الله الشيرازي والشيخ نصر الله الخلخالي .

وقد بادر السيّد الشيرازي رحمه الله إلى سرد بعض الأحداث التي وقعت، ومنها الهجوم على مدرسته وما تعرّض له طلاّب المدرسة.

---

(١) تلفيقاً بين: خاطرات سياسى (٢)، سيّد على اكبر محتشمى (فارسي): ١٦٢ ـ ١٦٤؛ خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٠٥ ـ ١٠٧ ؛ وانظر بشكل مختصر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٥٩، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ؛ وانظر: ملامح من السيرة الذاتيّة (محدود الانتشار) ؛ نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٥٧ ؛ صحيفة (لواء الصدر)، ٢٥/ذي الحجّة/١٤١٠هـ. وقد حدّثني عن موقف الشيخ محمّد حسن الجواهري الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/١٩م.

(٢) صحيفه دل (٢) (فارسي): ١٤ ـ ١٥، في حديثٍ مع الشيخ مرتضى أشرفي.

(٣) هفت هزار روز (فارسي) ١: ٥٠١.

وبعدها استلم السيّد الخميني﵀ زمام الحديث وخرج عن ديدنه في السكوت وقلّة الكلام، وراح يصف ما حدث في الجلسة التي ضمّته وعلي رضا، ووضع الحاضرين في آخر المستجدّات. وتحدّث﵀ عن ضرورة اتّخاذ موقف واضح حيال ما يجري في سبيل حفظ الحوزة العلميّة وصيانتها.

وبعد انتهاء السيّد الخميني﵀، بادر السيّد الخوئي﵀ إلى الحديث عن سفره إلى لندن وعن التنظيم السائد في تلك المدينة ومستشفياتها وأطبّائها، واصفاً منتزهاتها وأشجارها وما فيها من مظاهر الطبيعة. وقد أزعج هذا الموقف السيّد الخميني﵀، ولكنّه لم يُظهر شيئاً من ذلك.

ولمّا خرج من البيت وصعد إلى السيّارة قال ما ترجمته: «**يبدو أنّ السيّد الخوئي لا يعلم شيئاً عن مخطّطات ومكائد حزب البعث، أو أنّه على علمٍ بذلك، ولكنّه اطمأنّ إلى ما يقوله هؤلاء ـ البعثيّون ـ واعتمد عليهم. ولذلك، ففي الوقت الذي أشعر فيه بالقلق الشديد إزاء ما يجري حاليّاً، فإنّه وبكل راحة يتحدّث عن أوضاع لندن. وإذا كان قد اطّلع لتوّه على ما وصل إليه الأوروبيّون من ترقٍّ وتطوّر، فأنا ومنذ سنوات على علمٍ بما توصّلوا إليه من إنجازات في الأمور الماديّة والدنيويّة. وما يدعو إلى الأسف في هذا المجال هو أنّنا لا نعمل لدنيانا ولا لآخرتنا، وأنّنا في كلا الحقلين متخلّفون**»[1].

السيّد الخوئي﵀ يكذّب البيان الذي نسب إليه

بعد أربعة أو خمسة أشهر من انتشار جواب السيّد الخوئي﵀ عن سؤال علي رضا، كان الدكتور صادق الطباطبائي ـ ابن أخت السيّدة أم جعفر الصدر ـ في زيارة إلى النجف الأشرف، وكان يحملٍ مجموعة من الأسئلة الفقهيّة التي كلّفته الجالية الإيرانيّة في أوروباً بنقلها إلى السيّد الخوئي﵀، إضافة إلى الاستفسار عن صحّة البيان الذي نشر موقّعاً منه، والذي يرتبط بتسفير الإيرانيّين.

وقبل ذهابه إلى السيّد الخوئي﵀ زار الدكتور الطباطبائي السيّد الصدر﵀، وعرض عليه ما سيعرضه على السيّد الخوئي﵀، وممّا قاله له: «**إنّني سأسأله عن حكم حلق اللحية وحكم مصافحة النساء الأجنبيّات، فما هو رأيه؟!**»، فأجابه السيّد الصدر﵀: «**عليك أن تسأله شخصيّاً، ولكن في ما يتعلّق بحكم حلق اللحية، أظنّ أنّه سيجيبك بالجواز**».

وفي مجلس السيّد الخوئي﵀ سأل الدكتور الطباطبائي عن الجواب المرتبط بتسفير الطلبة الإيرانيّين والذي كان مختوماً بختم السيّد الخوئي﵀، فأجاب الأخير: «**هذا البيان مزوّر ولم يصدر منّي، ويُمكنك أن تكذّبه عنّي**»، فقال له الدكتور: «**إنّهم زوّروا الختم، وأنا أطلب منك أن تكتب لي أنّك تكذّب ما جاء فيه ثمّ تختمه لي حتّى يُمكنني أن أكذّبه**»، فأجابه﵀: «**لا، أنتْ كذّبه عنّي وهذا يكفي**»، فأجابه الدكتور: «**إذا لم تكتب لي ذلك ولم تختمه فلا يُمكنني أن أكذّبه عنك**».

وسأله عن حكم مصافحة الأجنبيّة فلم يجبه، ثمّ سأله عن حكم حلق اللحية فأجابه بالجواز، فطلب منه أن يكتب له ذلك، فرفض وطلب منه أن ينقل للجالية الإيرانيّة ذلك شفاهاً عنه.

---

(١) تلفيقاً بين: خاطرات آيت الله خاتم يزدى (فارسي): ١٠٨ ـ ١٠٩ ؛ خاطرات سياسى (٢)، سيّد على اكبر محتشمى (فارسي): ١٦٦. ومن الواضح أنّ مراد السيّد الخوئي﵀ هو تغيير الموضوع محلّ الكلام لا إبداء الإعجاب بما رآه في لندن.

وبعد انتهاء الزيارة زار الدكتور الطباطبائي السيّد الصدر؟ في منزله وعرض عليه ما حصل، ثمّ سأله عن السرّ في أنّ السيّد الخوئي؟ رفض أن يعطيه الفتوى مكتوبة، فأجاب السيّد الصدر؟: «**نحن لدينا فقهان، فقهٌ بازاري وفقهٌ سنّتي ونبوي: أمّا الفقه البازاري فينظر في حاجات البازار ويفتي لكلّ بازار بحسب ما يتقبّل، والبازار النجفي لا يتقبّل فتوى جواز حلق اللحية فنفتيه بالحرمة، بخلاف بازارك وبازار الجاليات في أوروبا الذي يتقبّل ذلك، فنفتيه بالجواز. أمّا الفقه السنّتي والنبوي، فهو الفقه الذي ينظر في الأدلّة ويفتي على وفق مؤدّاها**»[1].

مع الشيخ علي كوراني

في هذه الأجواء كتب السيّد الصدر؟ إلى الشيخ علي كوراني رسالةً جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

العزيز المعظّم حفظه الله ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمت بتلهّف رسالتكم العزيزة، وسرّني جداً ما ذكرت في آخر الرسالة من أنّك تشعر بالاطمئنان والاستقرار من ناحية المرجعيّة الصالحة لأنّ هذا نفسه شعوري فعلاً، وإنّ إحساساً يملأ شعوري الآن بأنّ درجة كبيرة من الرعاية الربانيّة مقرونة بألطاف كثيرة تحظى بها هذه المرجعيّة حتّى في أشدّ حالات العسر، فالحمد لله تعالى على عظيم لطفه وجزيل عنايته. وليس الامتحان والابتلاء مهما اشتدّ إلاّ مظهراً من مظاهر هذا اللطف والعناية في كثير من الأحيان.

إنّ كثيراً من المواضيع التي ذكرتم بحاجة إلى تفاعل، وقد أجّلت الجواب عليها إلى حين وصول السيّد

---

(١) حدّثني بذلك الدكتور صادق الطباطبائي بتاريخ ٢٠٠٥/٧/١١م، وما يتعلّق بالمصافحة ذكره لي لاحقاً.

أقول: هذا ما نقلناه عن المصدر بدقّة، وأجده ـ في الجملة ـ غير بعيد عن مذاق السيّد الصدر؟ إذا تمّ ترميمه؛ إذ ليس مراده؟ أنّ المرجع قد توصله الأدلّة إلى الحرمة فيفتي بالجواز على ضوء حاجات البازار، بل مراده أنّه قد يصل إلى الجواز، ولكنّه لا يفتي به من باب الاحتياط في الفتوى، أو من باب العنوان الثانوي الذي يلتزم به السيّد الصدر؟ أيضاً، من قبيل ذهابه؟ إلى عدم وجود دليل على حرمة (لعبة الورق)، ولكنّه كان يحرّمها من باب (الولاية)، وليس ذلك إلاّ من باب العنوان الثانوي ـ إلاّ عند من يرى أنّ ما ينشئه الحاكم حكم أوّلي ـ لما يجده مثلاً من مضار ومفاسد اجتماعيّة يسبّبها اللعب بهذه اللعبة. وهذا الكلام يجري كذلك في الاتّجاه المعاكس، أي أنّ الفقهاء قد يسكتون عن أمور يرونها محرّمة مراعاةً لبازار الناس، من قبيل الموارد التي ينهج فيها الناس في ممارسة بعض الشعائر مناهج لا يرتضيها الشرع وباعتراف العلماء أنفسهم، أو أنّها تحوّلهم عن الهدف المنشود ولو كانت مباحة بالاصطلاح الفقهي، ومع ذلك يسكتون.

بل قد يكون العامل المالي دخيلاً في السكوت عن بعض الأمور، كما هو الحال في ما نقلناه في مطاوي الكتاب (ضمن أحداث سنة ١٣٨٧هـ لدى الحديث عن طباعة دار الفكر كتاب اقتصادنا) وقول السيّد الصدر؟ للأستاذ محمود سالم صاحب دار الفكر: إنّ مشكلة علماء السنّة هي أنّهم يقبضون رواتبهم من الحكومة فهم عنها ساكتون، وأمّا علماء الشيعة فيعتمدون على الحقوق الشرعيّة التي يأخذونها من الناس، ولذلك كثيراً ما يراعونهم (راجع كذلك ما نقلناه حول الشيخ صاحب الجواهر؟ وتقييم السيّد محسن لبعض ما قام به ضمن مقدّمة الكتاب).

كما من الواضح أنّ مرادنا من دخالة العامل المادي هو أنّ الفقيه يوازن بين التساهل مع الناس في ما يعتقدونه ويمارسونه وبالتالي بقاء الموارد الماليّة على حالها، وبين شجب ما يعتقده باطلاً وبالتالي خسران شيء أو كثير منها، وحيث إنّها قوام أعماله ونيابته فغالباً ما يقدّم الأوّل على الثاني، والنتيجة منوطة بقناعات الفقيه وقدرته على الموازنة بين الأمور.

الباقي إليكم[١] الذي سوف يتولّى الماجد الفاضل أسعد [قريباً][٢] دعوته لأجل تسهيل أخذ الويزة[٣] الكويتيّة له.

بالنسبة إلى تفكيركم في ترك العالميّة في الكويت: لا أستطيع أن أقرّر شيئاً من الآن لأنّي لا أملك فكرة محدّدة فعلاً عن البديل الذي تفترضه لك ولا عن بديلك الذي بالإمكان أن يخلفك في العالِميّة في الكويت، وعلى مجموع هاتين الخصوصيّتين يتوقّف أخذ النتيجة.

بالنسبة إلى وضع الحوزة فعلاً لا بدّ أنّكم اطّلعتم على توقّف التسفير الذي أوجب بقاء حوالي نصف الحوزة الإيرانيّة في النجف. ومن حسن التقدير أنّ السيّد كاظم[٤] وإخوانه لم يسافروا، وقد ترتّب على ذلك استرجاع المساعدات الماليّة التي أعطيناها وإعادتها إلى مجراها الطبيعي.

إنّ المبلغ الذي يساعد به الحاج مقامس الطلاّب العشرة قد توقّف منذ شهر رمضان لأنّ مبلغ الخمسمائة الذي وصلنا في ذلك الحين كان تسديداً لما دفعناه طيلة خمسة أشهر على سبيل الإقراض. وعلى هذا الأساس امتنعنا في شهر رمضان عن الإعطاء، وسوف يحدّثكم السيّد الباقري بالتفاصيل.

إنّ السيّد الباقري عازم على زيارة الكويت فور تمكّنه من ذلك، المتوقّف على تسلّمه الدعوة التي تمكّنه من الحصول على الويزة، وهو من الأحبّة الذين أثق ثقةً كاملةً به وبإخلاصه ودينه، فإلى لقائكم معه أترك بقيّة الرسالة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٥].

مع الشيخ محيي الدين المازندراني

في هذه السنة كتب السيّد الصدرﷺ رسالةً إلى الشيخ محيي الدين المازندراني جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي العلاّمة المؤمّل والألمعي المرجى الشيخ محي الدين حفظه الله تعالى ورعاه بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم زنة شوقي إليكم ودعائي لكم.

وبعد، فقد تسلّمت بكلّ سرور رسالتكم الكريمة التي بشّرت عن سلامتكم وعافيتكم وتشرّفكم بزيارة الإمام الرضا عليه الصلاة والسلام، ففرحت بذلك كلّه، وسرّني أن تكونوا قد ذكرتموني عند أعتاب ذلك الإمام العظيم الذي ما أشوقني إلى تقبيل أعتابه.

وإنّي أسأل المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم ويرعاكم ويقرّ عين الدين بكم ويقرّ عيوننا برجوعكم على أفضل ما نحبّ وتحبّون.

الجميع يسلّمون عليكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٦].

مراسلة مع الشيخ عبد الهادي الفضلي

بعد شهرين من إتمام طباعة كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) كتبﷺ إلى الشيخ عبد الهادي الفضلي:

---

(١) يقصد السيّد محمّد علي الباقري.
(٢) الأصل غير واضح، ولعلّ المراد الأستاذ أسعد خريبط.
(٣) يقصد تأشيرة الدخول.
(٤) يقصد السيّد كاظم الحائري.
(٥) انظر الوثيقة رقم (١٥٦).
(٦) انظر الوثيقة رقم (١٥٧).

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المرجى العلاّمة الجليل أبا عماد لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فقد تسلّمتُ بكلّ تلهّف رسالتكم الكريمة التي تطمئن وتبشّر بصحّتكم واستقراركم، وإنّي في الوقت الذي لا أزال أشعر فيه بأنّ موضعكم الطبيعي هو النجف لأنّكم منه ومن آماله ووجوده العلمي في الصميم، أسألُ المولى سبحانه وتعالى أن يسبغ عليكم في كلّ حال لطفه وعنايته ويجعل من وجودكم طاقة في خدمة العلم والشريعة.

تأخّرت عن جوابكم هذه المدّة بانتظار كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) لكي أرسل منه ومن كتاب (شرح العروة الوثقى) في وقت واحد، ورغم أنّ الكتاب أُنجز طبعه قبل شهرين في بيروت غير أنّ نسخه لم تتوفّر حتّى الآن في أسواق العراق؛ ولهذا سوف نقتصر فعلاً على إرسال البحوث الفقهيّة.

إذا سألتم عنّا فصحّتي بخير والدروس والبحوث لا زالت بالنحو المعهود.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[١].

السيّد الصدر ﵀ يطلب سحب (الأسس الإسلاميّة) من التداول

في هذا العام طلب السيّد الصدر ﵀ من حزب الدعوة سحب (الأسس الإسلاميّة) من التداول، إلاّ أنّ الحزب رفض ذلك[٢]، كما أرسل أحدَ العلماء إلى الشيخ عارف البصري طالباً منه إيقاف التحرّك التنظيمي داخل الحوزة[٣]، حيث دعا إلى فصل التنظيم عن الحوزة في هذه السنة، ثمّ أكّده عامي ١٣٩٣ و١٣٩٤هـ[٤].

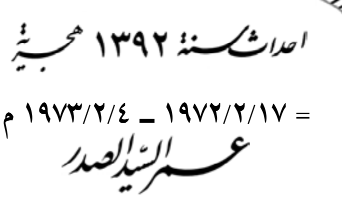
* * *

(١) انظر الوثيقة رقم (١٥٨).

(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ٤٠٩.

(٣) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (١٠٨)، في حديث مع السيّد صدر الدين القبانجي.

(٤) صحيفة (المبلّغ الرسالي)، العدد (٦)، في حديث مع السيّد صدر الدين القبانجي.



٣٨ سنة وشهر و٥ أيّام هـ = ٣٦ سنة و١١ شهراً و١٦ يوماً م

❋ ❋ ❋

تصاعد الموقف بين النجف الأشرف وبين أتباع السيّد محمّد الشيرازي رحمه الله

لم يكن أتباع السيّد محمّد الشيرازي رحمه الله ضدّ التنظيم، وإنّما كانوا ـ وفقاً لرؤية السيّد حسن الشيرازي رحمه الله ـ يريدون حزباً للمرجعيّة التي يقف على رأسها السيّد محمّد الشيرازي رحمه الله[1]، وكان السيّد حسن رحمه الله السبب في الهجوم على حزب الدعوة في كربلاء[2].

وفي أواخر الثمانينات الهجريّة حرّم السيّد محسن الحكيم رحمه الله المشيَ على الجمر في مراسم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، العادة المستقدمة من الهند. وقد أوجد ذلك حساسيّةً بين أتباع السيّد الشيرازي رحمه الله وبين مرجعيّة السيّد محسن الحكيم رحمه الله[3].

ثمّ تأصّل هذا الخلاف بعد موقف علماء النجف الأشرف الذي أظهروه في جواب السؤال التالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات المراجع الكرام والعلماء الأعلام في النجف الأشرف حفظكم الله وأبقاكم للإسلام والمسلمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هل أنّ السيّد محمّد نجل المرحوم العلاّمة السيّد مهدي الشيرازي مجتهد؟ وهل يجوز تقليده وهل هو ثقة عندكم؟

عن أهالي الكويت

عبد المحسن يوسف

١٣٩٢/١/١».

وقد جاء في الجواب:

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٦، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٦، نقلاً عن الحاج صالح الأديب.

(٣) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري. ويشير السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله إلى أنّ والده السيّد محسن رحمه الله وقف وقفة شجاعة بوجه الذين حاولوا إدخال بعض الشعائر على المراسم الحسينيّة، من قبيل إشعال النار ثمّ التوضّؤ والدخول فيها تعبيراً عن الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام، فحرّم ذلك واستخدم كلّ الإمكانات لمنعه. إضافةً إلى تحريمه التطبير، معتبراً أنّ أمرين رئيسيّين منعا التشيّع من الانتشار: **(١)** التطبير الذي ينفّر المسلمين من مذهبنا . **(٢)** ما يمارسه ـ والكلام لا يزال للناقل السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله ـ بعض الجهّال من الشتم والسب واللعن، وذلك ما يأباه مذهبنا وأفكارنا وعقائدنا ومنهجنا الإسلامي، حيث نهى القرآن عن سبّ آلهة المشركين مع أنّها في النار (مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٥٧).

«بسمه تعالى شأنه

لم يتلمّذ عندنا ولا في حوزة النجف الأشرف كي نعرف فضله، ولم يثبت عندنا اجتهاده بالبيّنة الشرعيّة.

محمود الحسيني الشاهرودي

٢/محرّم الحرام/١٣٩٢.

بسمه تعالى شأنه

بما أنّا لم نعهد من الشخص المذكور دراسة في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ولا بحثاً علميّاً، فلم يثبت لدينا اجتهاده، وقد نصّ سماحة العلاّمة حجّة الإسلام والمسلمين أستاذه الشيخ يوسف الخراساني الحائري دامت بركاته على عدم اجتهاده، وهو أعرف بحاله.

٢/محرّم الحرام/١٣٩٢هـ.

أبو القاسم الموسوي الخوئي.

بسمه تعالى

إنّ هذا الرجل [المسؤول] عنه لم يثبت اجتهاده عندي رغم مؤلّفاته الكثيرة المنسوبة إليه.

مرتضى آل ياسين»[(١)].

وبعد فترة توجّه الحاج منصور قبازرد إلى السيّد الخوئي رحمه الله بالسؤال التالي:

«منصور حسين قبازرد

كويت ـ بلاد العرب

التاريخ: الكويت في ١٩٧٢/٣/١٢ مارس.

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات المراجع الكرام والعلماء الأعلام في النجف الأشرف

حفظكم الله وأبقاكم ذخراً للإسلام والمسلمين

السيّد العلاّمة أبو القاسم الموسوي [الخوئي] حفظكم الله

إنّه في دولة الكويت قد قمتُ ببناء بناية [في] حياة المرحوم السيّد العلاّمة محسن الحكيم وقد احتسبت البناية من دراهم سهم [الإمام]عليه السلام، وأقوم بتوزيع الإيراد على المدرسة الجعفريّة للبنين والبنات.

وفي الكويت قد راجعني السيّد محمّد نجل المرحوم العلاّمة مهدي [الشيرازي] طالباً منّي المساهمة في بناء أو شراء بيت للمدرسة الدينيّة، وعليه جئتُ طالباً من سماحتكم الموقّرة الاستفسار إن كان يجوز أن أساهم في إعطائه من دراهم إيراد البناية؟

هذا وللأهميّة جئتُ بكتابي راجياً من سماحتكم الموقّرة بالردّ عليّ، والله أسأل أن ينصرنا وإيّاكم لما فيه الخير لنا جميعاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وتفضّلوا بقبول خالص الاحترام

منصور حسين قبازرد

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٥٩). وهناك استفتاء على صفحات الإنترنت جاء فيه: «بسمه تعالى، ما أشرتم إليه من الإجابة الموقّعة منّا ومن العلماء المذكورين قدّس سرّهم صحيحة وواقعة ولا تزال قائمة وهو منذ صدور هذه الإجابة حتّى الآن لم يكن في دراسة حتّى يمكن أن يحصل هذا الاحتمال المزعوم. على أنّه مع التنزّل لو قدّر له أن يكون مجتهداً فليس كلّ مجتهد يصحّ الرجوع إليه في التقليد، حيث تشترط الأعلميّة والعدالة، والأعلميّة لا يرجع في عدم اشتراطها إلى غير الأعلم...» ٢٥/شوّال المكرّم/١٣٩٩هـ. الخوئي.

بسمه تعالى شأنه

لا يسعنا تجويز ذلك، فإنّ أمر السيّد محمّد الشيرازي المذكور مريب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢/صفر المظفّر/١٣٩٢هـ

أبو القاسم الموسوي الخوئي»[١].

وفي المقابل يعترف له آخرون بالاجتهاد، من قبيل والده السيّد مهدي الشيرازي‏ الذي أظهر في ربيع الأوّل/١٣٧٩هـ أنّ شرح ولده على العروة يدلّ على اجتهاده، وشهد باجتهاده كذلك السيّد علي الموسوي البهبهاني‏ سفي ٢٩/صفر/١٣٩٢هـ[٢]. كما يظهر ذلك من آخرين سنة ١٣٩٩هـ في عزاء السيّد حسن الشيرازي‏ حيث وصفوا أخاه السيّد محمّد‏ بـ(آية الله)، من قبيل السيّد عبد الله الشيرازي‏، السيّد حسن القمّي‏، الشيخ حسين المنتظري والسيّد كاظم المرعشي‏[٣].

ومهما يكن من أمر، فإنّه إثر ذلك ـ وقبل صدور جواب السيّد الخوئي‏ الثاني ـ أصدر أتباع السيد الشيرازي‏ بياناً نفوا فيه انتساب السيّد الخوئي‏ إلى السادة، كما أصدروا بياناً آخر اتّهموا فيه السيّد محمود الشاهرودي‏ بالخرف. ثمّ أصدروا بياناً باسم الحوزة العلميّة يتّهمون فيه الشيخ يوسف الخراساني‏ بالجنون، كما اتّهموا السيّد يوسف الحكيم‏ بما لا يليق ذكره[٤].

وقد عرض السيّد الصدر‏ الأوضاع الأخيرة في رسالةٍ أرسلها إلى الشيخ علي كوراني جاء فيها ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم لا عدمته ولا حرمته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فإنّي أكتبُ هذه السطور لأسلّمها غداً إلى السيّد باقر المهري حفظه الله تعالى الذي سوف يسافر قريباً، وأرجو أن تصلكم السطور وأنتم على أفضل ما أحبُّ وأرجو، وقد تواترت الأخبار أخيراً وكلّها مبشّرة عن وضعكم ومؤكّدة ما أترقّبه من استقرار وترسّخ، الأمر الذي كان السيّد عبد الكريم القزويني حفظه الله تعالى أحد أولئك الذين حدّثوني بما انعكس عليهم من تفاصيل. وفي هذه الليلة جاءني الشيخ حسن دبوق وحدّثني عنكم وعن سفركم إلى البحرين وعن موضوع السيّد القزويني.

إنّ البحرين أحد همومي لما أشعر فيها من تسيّبٍ كامل، ولا أدري مدى الإمكانات التي يمكن إحرازها بهذا الصدد.

وبودّي أن أتعرّف عن طريقكم عن وضع السيّد شرف الذي ذهب إلى عُمان ونجاحه الديني، فإنّي لم أتلقَّ منه أيّ خبر، ولا أدري أنّه هل يوجد لديكم بعض المعلومات عن وضعه.

إنّ السيّد باقر المهري طالبٌ متديّنٌ ومحبٌّ لنا حبّاً دينيّاً، وهو ابن المرحوم السيّد عبّاس المهري لا السيّد عبّاس الحي، ويُمكنكم تزويده برسالة إليَّ عند رجوعه بعد منتصف محرّم.

أوضاعي النفسيّة جيّدة ما دمتُ أشعرُ بأنّي أعيش من أجله سبحانه وتعالى، والمتاعب التي تنشأ من

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٦٠) ؛ وانظر: خاطرات آيت الله خاتم يزدي (فارسي): ١٧٢.

(٢) انظر: نگرشى به زندگى حضرت آية الله العظمى شيرازى (فارسي): ٣٢، ٣٣.

(٣) انظر: آية الله الشهيد السيّد حسن الشيرازي.. فكرة وجهاد: ٥١٢ وما بعد.

(٤) حدّثني بذلك السيّد نور الدين الإشكوري، ولم أتمكّن من الحصول على البيان المذكور.

الخصوم الآخنديّة تتزايد تبعاً لشعورهم بتزايد الوجود في الأمّة.

وقبل أن أغفل أريد أن أنبّهكم على موضوع الشيخ محمّد الروحاني، فقد كنتم كتبتم لي عنه وعن مساعدتكم له، وقلتم إنّه سوف يراكم بعد رجوعه، وأنا لم يتبادر إلى ذهني الشخص المقصود حتّى رأيته، فعرفتُ من تقصدون، وعلمتُ أنّكم قد وقعتم في خدعة بالنسبة إلى هذا الشيخ الذي لا بدّ أن يكون قد فُتح قلبُكم له عن طريق تحدّثه عن علاقاته بي أو بالدين بشكلٍ عام.

إنّ هذا الشيخ أنا أعرفه جيّداً، وهو شخصٌ لا أثق به ولا أراه جديراً بأيّ عناية، ومن المؤلم أنّي عرفتُ من حديثه أنّه قد اطّلع من كلامكم معه على موضوع المساعدات الشهريّة، بينما هذا موضوعٌ أنا أحرص على أن لا يطّلع عليه سوى من يدخل في نطاق الضرورة القصوى. وحينما حدّثني بالموضوع تجاهلت، كما أنّه حينما حاول مراراً أن يثير معي فكرة الإسلام وأنّه هل لا بدّ من الدعوة إلى أن يحكم، قلتُ له إنّ الإسلام اليوم لا بدّ له أن يفكّر في شأن المساجد والمحاريب وملئها بالعناصر النظيفة، إنّنا في عصرٍ أصبحت الصلاة فيه معطّله بالجملة، إنّنا يجب أن نلتفت إلى الأولّيّات يا شيخ.

إنّ هذا الشيخ له تاريخٌ وسوابق معروفة في النجف، وأنا بهذه المناسبة أريد أن أوصيكم بوصيّة عامّة، وهي أنّ أيّ طالبٍ تواجهونه من النجف إذا لم يكن عندكم انطباعات معيّنة عنه من قِبَلي فلا تعاملوه بالنحو الذي عاملتم هذا الشيخ الأفغاني.

إنّ موضوع الكتابة الفقهيّة أصبح مورد اهتمامي جديّاً وسوف أستثمر عطلة محرّم في سبيل إعداد كميّة من البحوث الفقهيّة إن شاء الله تعالى وتهيئتها للطبع.

إنّ مشروع الحاج حمزة[1] والحمزويّين لا بدّ أن يبقى الآن محدوداً ضمن الإطار الذي يتحمّل طريقتنا الفعليّة، ولا بدّ أن لا ينعكس من قبلكم على أحد لأنّ الوضع في العراق محرجٌ جداً، وأيُّ انعكاسٍ لهذا الموضوع قد يشوّه وتحدث من النتائج ما لا يحمد عقباها، خصوصاً بعد المنشور الذي صدر أخيراً والذي سوف أحدّثكم به.

قد كتبتُ رسالةً إليكم مع الشيخ علي الطحيني قبل أيّام، وأؤكّد فيما يلي مضمونها:

إنّ ما يتعلّق بنا من الحقوق الشرعيّة والمساعدات الماليّة الشرعيّة للحاج حمزة والحمزويّين للطلاّب الدينيّين أرجو أن تحتفظوا به الآن عندكم كأمانة، وكلّما تجمّع مبلغٌ فاحتفظوا به عندكم ولا تحوّلوه في الوقت الحاضر على الشيخ نصر الله الخلخالي.

الشيرازيّون فقدوا أعصابهم فأصدروا منشوراً مزوّراً نفوا فيه سيادة السيّد الخوئي، ثمّ أصدروا منشوراً مزوّراً اتّهموا فيه السيّد الشاهرودي بالخرف، ثمّ أصدروا منشوراً باسم الحوزة العلميّة يعلن بأنّ الشيخ يوسف الخراساني مجنون، وهو عالم كربلاء الذي ليس له جرمٌ إلاّ أنّه يشهد بعدم اجتهاد تلميذه السيّد محمّد الشيرازي. وأخيراً أصدروا منشوراً جمعوا فيه من الافتراءات والأكاذيب وسدّدوا إلينا جميع ما في جعبتهم من نبال، ولم يسلم أحدٌ من علماء النجف تقريباً من هتكهم، خصوصاً السيّد الحكيم والسيّد الخوئي.

وخلاصة المنشور أنّ هناك [حزباً] اسمه حزب الدعوة قد تشكّل بين بغداد والنجف لغرض هتك العلماء وإيجاد التفرقة بينهم، وهذا الحزب يدعو أوّلاً إلى مرجعيّة السيّد الحكيم وثانياً إلى مرجعيّة السيّد الخوئي وثالثاً إلى مرجعيّة السيّد محمّد باقر الصدر. ويسترسل المنشور فيصوّر السيّد الحكيم بأنّه كان آلة بيد هذا الحزب وأنّ السيّد الخوئي الآن معرّضٌ لنفس الحالة، ويستنجد بالمسلمين جميعاً ليقوموا بأمرين: الأوّل منع

(١) يقصد الحاج حمزة مقامس.

السيّد الخوئي من حالة الوقوع في أسر هذا الحزب، والثاني الوقوف في وجه السيّد محمّد باقر الصدر وزمرته لكي لا يتعشعوا يتعشعشوا أكثر فأكثر ـ على حدّ تعبير المنشور ـ ، ثمّ يقول بعد ذلك: إنّ قادة الحزب مجهولون، ولكنّ المعروفين فعلاً هم فقيه الحزب السيّد محمّد باقر الإصفهاني الصدر والسيّد مرتضى القمّي العسكري والسيّد موسى الإصفهاني الصدر والشيخ علي المازندراني الكوراني الذي بعث بأربعين ألف دينار إلى الحزب من الأموال التي تبقت عنده في عهد السيّد الحكيم. كما أنّ السيّد موسى الصدر بعث بكميّة من الأموال لم نعرف قدرها بالضبط. ومن قادة الحزب السيّد مرتضى الشوشتري الحكمي صهر السيّد الخوئي.

هذه هي خلاصة المنشور الذي تخيّل هؤلاء ومن وراءهم من الأعداء أنّهم سوف يهتكون بذلك كلّ حرمات الإسلام والنجف، وإلى حدّ الآن وفي حدود معلوماتي إنّ انعكاسات المنشور الذي وزّع في البريد أكثرها ضدّهم، فإنّ أكثر الناس المعقولين [اشمأزّت] نفوسهم من هذه الافتراءات.

وأمّا موقفي من هذا، فقد أعلنتُ بأنّي لا أرى لنفسي ولا لكلّ من يحبّني أن يتّخذ أيّ موقف عملي تجاه هذا الظلم والافتراء، وإنّي سوف لن أعمل شيئاً إلاّ الشكوى إلى الله سبحانه.

كتبتُ لكم أنّي أرغبُ أن تكتبوا جواباً بروح أخويّة إلى السيّد باقر الحكيم على رسالته.

من غريب ما وقع أنّ السيّد عدنان جاءني قبل يومين وبيده رسالة منك تاريخها قبل قرابة سنتين، وفي داخلها ستّون ديناراً من سهم الإمام عليه السلام قد أرسلتموه إليّ، وهو يقول: إنّي كنتُ أهمُّ بحرق الرسالة وتراءى لي المبلغ في داخله، فأنقذتُ الرسالة من النار وجئتُ بها، وكان المسكين على جانبٍ عظيمٍ من القلق والخجل، وهذه هي المرّة الوحيدة التي يزورنا فيها منذ سنتين أو أكثر على ما أتذكّر.

ترون في جوف الرسالة عشر وصولات والباقي يصلكم إن شاء الله عند استحصاله»[1].

ومن المراسلات أيضاً ما أرسله إليه السيد موسى الصدر في رسالة جاء فيها:

«بسم الله

مولاي أبا ياسر: آسف لعدم تمكّني وعدم توفيقي لوداعك[2]

أتمنّى لك التوفيق الدائم والنجاح. أقول لك بالشكل ولكنّه للأمّة، للأصدقاء، لكلّ طيّب.

السيّد مهدي[3] يتحدّث لك عن الوضع، [فنسأل] الله التوفيق.

نحن بخير ونعاني هذه الأيّام أزمة المسؤوليّة حول الجنوب، [نسأل] الله أن نكون ممّن يؤدّي الواجب والحقّ والرسالة.

أخبار العزيز أبي صالح[4] بخير، وقد استلمتُ خبراً منه يدلُّ على صحّته ونشاطه، وعلى عدم انزعاجه إلاّ من مزعجات الرسالة ككلّ ومن أزمة الأمّة وما [...][5].

تحيّاتي لجميع الأعزّاء، ودعائي لك أوّلاً وأخيراً وبانتظار رسالة مفصّلة منك.

موسى الصدر»[6].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٦١).

(٢) احتملنا أن يكون ذلك لدى زيارة الشيخ كوراني لبنان لعيادة والده، والواردة في الرسالة المتقدّمة.

(٣) يبدو أنّه السيّد مهدي الحكيم رحمه الله.

(٤) يفترض أن يكون المقصود هو السيّد مهدي الحكيم رحمه الله، ولكن بقرينة تقدّم ذكره يبدو أنّه يقصد السيّد محمّد باقر الصدر رحمه الله.

(٥) لم يتّضح لي رسمُ الكلمة.

(٦) انظر الوثيقة رقم (١٦٢).

مجموعة استفتاءات

في ١٢/محرّم/١٣٩٢هـ (١٩٧٢/٢/٢٨م) حرّر أحد الأشخاص ـ وربّما كان من طلاّب السيّد الصدر ـ مجموعة من الأسئلة ثمّ وجّهها إلى السيّد الصدر ضمن رسالة، وهذا نصّها والأجوبة عنها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

التاريخ: ١٣٩٢/١/١٢

سماحة سيّدنا المفدى آية الله العظمى السيد ابي جواد دام ظله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أسأل الله العلي القدير أن يمنّ علينا وعلى المسلمين كافّة بطول بقائكم إنّه سميعٌ مجيب.

تسلّمت قبل أيّام قليلة كتابكم القيّم الأسس المنطقيّة للاستقراء ولم أستطع مطالعته حتّى الآن، حيث إنّ هذه الأيّام كما تعلمون هي موسم المجالس الحسينيّة التي لا مناص من حضورها جميعاً، وإن شاء الله سوف أوفّق للاستفادة منه.

سبق أن ارسلت لكم عدّة استفتاءات ولم يصلني حتّى الآن الجواب عليها، أرجو أن لا تحرموني من الإجابة عنها. وقد أرسلت في ضمن هذه الرسالة عدّة استفتاءات أخرى أرجو الإجابة عليها بالسرعة الممكنة، فهي محلّ ابتلاء.

مسألة: رجلٌ استمنى في شهر رمضان وهو يعلم حرمة الاستمناء ولا يعلم بمفطّريّته، فهل تجب عليه الكفّارة أو لا؟ وعلى فرض وجوبها فهل تجب عليه كفّارة الجمع أو التخيير؟ وعلى فرض كفّارة الجمع فماذا يصنع لو لم يستطع الحصول على رقبة مؤمنة؟ أفتونا مأجورين.

بسم الله الرحمن الرحيم

لا تجب عليه الكفّارة ما دام جاهلاً بالمفطريّة وإن كان عالماً بالحرمة النفسيّة.

محمد باقر الصدر

بالنسبة للذنوب الصغيرة: الفرق بينها وبين الذنوب الكبيرة من الناحية العمليّة ما دام أنّ الذنب إذا تاب صاحبه عنه فلا يضرّ فيه كونه صغيراً أو كبيراً، وإذا لم يتب عنه كان من الإصرار على المعصية الذي هو من الكبائر فيتحوّل الذنب الصغير إلى كبير بالإصرار، وما معنى قوله تعالى ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]؟ أرجو إيضاح هذا الموضوع الذي سئلت عنه وأشكركم يا سيّدي.

بسمه تعالى

إنّ الجمع بين الصغيرة وترك التوبة عنها لا يشكّل الإصرار الذي يعتبر كبيرة لأنّ الإصرار على المعصية الذي يعتبر كبيرة إنّما يتحقّق بتكرار نفس الذنب لا بأن يرتكب ذنبين من نوعين.

وقد يخطر على ذهن أحد أن يقول: إنّ ترك التوبة في كلّ آنٍ ذنب، وتكرار هذا الترك يعتبر حينئذٍ إصراراً وكبيرة.

والجواب على ذلك أنّ وجوب التوبة ليس شرعيّاً بل هو وجوب عقلي كوجوب الطاعة، والأوامر الشرعيّة بالتوبة كالأوامر الشرعيّة بالطاعة إرشاديّة، فإنّ العقل يحكم بلزوم الانقياد في العبوديّة. وهذا الانقياد إذا كان موجوداً لدى العبد في ظرف الامتثال أدّى إلى الطاعة، وإذا لم يكن موجوداً في ذلك الظرف ووجد بعد ذلك أدّى إلى التوبة.

ومن ناحية عمليّة وبقدر ما يتّصل بمفهوم العدالة شرعاً لا نرى فرقاً بين الكبائر والصغائر، فإن ارتكب الإنسان ذنباً خرج عن العدالة سواء كان الذنب كبيراً أو صغيراً. وإذا تاب وكانت الملكة ثابتة رجعت إليه العدالة، وإنّما يظهر الفرق بين الكبائر والصغائر بلحاظ الآية الكريمة التي أشرتم إليها، لأنّها تدلّ على أنّ اجتناب الكبائر يكون سبباً للتكفير عن الصغائر حتّى لو لم تصدر التوبة من الشخص المجتنب عن الكبائر، غير أنّ التكفير مرجعه إلى إسقاط العقاب ولا ينافي سقوط العدالة.

محمّد باقر الصدر

الأراضي العامّة هنا تعتبر ملكاً للشيوخ وقسمٌ من هذه الأراضي يبيحها الشيوخ للناس لغرض سكناهم، ومن حق الشيوخ في أيّ وقت من الأوقات أن يخرجوهم منها بعد تعويض الساكنين عن البناء. والناس هنا ينظرون إلى هذه الأراضي نظرة الساكن المؤقّت بحيث إنّه يشعر أنّه يسكن في أرض ليست له ولا يعرفون أنّ الأرض لمن أحياها. وعلى هذا الأساس فهل أنّ الأراضي التي تباح من قبل الشيوخ ليشيّد عليها مأتم أو مسجد يعتبر وقفاً؟ حيث إنّ التباني ـ كما عرضت ـ بين الناس أنّ هذه الأرض أبيحت بشكل مؤقّت، ويرون أنّ الشيوخ لهم حقٌّ شرعيٌّ في هذه الأرض. أفتونا مأجورين.

بسمه تعالى

الأرض ملكٌ أو حقٌّ لمن أحييت له، فالمحيي إذا تبرّع بنفس عمليّة الإحياء لشخص آخر كان الشخص الآخر هو المالك وإلاّ فالمحيي هو المالك، ولو لم يكن قاصداً لتملّك الأرض. وعلى أيّ حال فالوقف المذكور صحيحٌ حتّى لو كانت الأرض ملكاً للشيوخ وكان المحيي قد تبرّع بإحيائه لهم لأنّ المفروض أنّ الشيوخ أذنوا في جعلها وقفاً، ومع إذنهم في ذلك يصحّ الوقف ولا يجوز لهم الاسترجاع.

محمّد باقر الصدر

ما يقول سيّدنا أطال الله بقاه:

١ ـ في أرض واسعة استملكت لتكون مغتسلاً. ويوم وقفت لهذا الغرض كانت نائية عن العمران، إلاّ أنّه في الآونة الأخيرة امتدّ العمران إليها وتجاوزها ممّا صيّرها أرضاً ممتازة من الناحية التجاريّة، والمشيّد فيها فعلاً هو مسجد و[حوضان] للغسل: أحدهما للرجال والآخر للنساء، فهل يجوز والحالة هذه أن يبنى على هذه الأرض دكاكين وشقق تعدّ للإيجار وبشكل لا يضيّق على المكان المعدّ للغسل؟ وعلى فرض الجواز فهل يمكن أن يكون هذا الوقف المزمع إنشاؤه وقفاً عامّاً يصرف في سبيل الخير ووجوه البر ومنها إدارة المغتسل وتخصيص رواتب لمن [يقومون] بحراسة ومهام الغسل؟ أو أنّه لا بدّ أن يكون وقفاً خاصّاً على المغتسل؟ مع العلم أنّه لو تمّ البناء فإنّه سوف يدرّ مالاً أكثر من حاجة المغتسل بكثير؟

٢ ـ بالنسبة للمغتسل موضوع السؤال الأوّل هل يجوز استثماره كلّه لوقف خيري عام وإنشاء مغتسل آخر في منطقة لا تصلح للاستثمار والتجارة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يجوز استبداله رأساً بل لا بدّ من الاحتفاظ به كمغتسل، ولكن يجوز إنشاء دكاكين وشقق تعدّ للإيجار بالنحو المذكور على أن لا تكون مزاحمة للجهة الموقوف عليها ـ وهي كونه مغتسلاً ـ ونماء ذلك يصرف على إدارة المغتسل وشؤونه، وما زاد يصرف في سبيل الخير ووجوه البر.

محمّد باقر الصدر

٣ ـ يوجد مسجد ضيّق جداً من حيث المساحة، بالإضافة إلى أنّ بناءه قديم جدّاً. فكّر جماعة من المؤمنين بتوسيعه وتجديده، ويوجد إلى جانبه دار موقوفة على المسجد على أن يصرف نماؤها في مصلحته، فهل يجوز ضمّ الدار إليه لأجل توسعته مع العلم أنّ جميع ما توروده هذه الدار من بدل الإيجار

هو ستمائة ريال سنويّاً أي ما يعادل خمساً وخمسين ديناراً تقريباً، وهؤلاء المؤمنين مستعدّون لشراء دار أخرى تورد أكثر من هذا المبلغ بدلاً من هذه الدار فيما لو ساغ ضمّها إلى المسجد؟

بسمه تعالى

يجوز ضمّها خارجاً إلى المسجد. وأمّا ضمّها وقفاً بحيث تصبح مسجداً فلا يخلو من إشكال.

الصدر

٤ ـ يوجد قطعة أرض اشتريت لأجل مشروع حسينيّة، وقد أخذ المتصدّون إلى هذا المشروع حاجتهم من الأرض فشيّدوا عليها بناءً ليكون حسينيّة، وبقي قسمٌ من هذه الأرض استغني عنه، فهل يجوز تشييده دكاكين أو شقق لتكون وقفاً على الحسينيّة نفسها؟

بسمه تعالى

الشراء لأجل مشروع حسينيّة لا يعني جعل الأرض كلّها حسينيّة ووقفاً فعلاً، فيجوز تشييد الباقي ليكون وقفاً على الحسينيّة نفسها.

الصدر

٥ ـ يوجد قطعة أرض بيضاء فعلاً وقد كانت سابقاً فسيحة وهي وقف على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وعندما كانت فسيحة كان يسكنها بعض الفقراء ويقام بدل سكناهم فيها مجلس تعزية بمناسبة ذكرى استشهاده عليه السلام، بل إنّني بعد الفحص لم أستطع أن أجد من يدّعي بأنّها وقف للإمام عليه السلام و[مختصّة] بهذه المناسبة، وكلّ ما يعرفه المؤمنون عنها هي أنّها وقف للإمام. وهي الآن فعلاً أرض بيضاء خالية لا يوجد فيها عمران حتّى ولا سياج، فهل في مثل هذه الحالة يبنى على أنّها وقف عام عن روح الإمام عليه السلام؟ وهل يجوز بيعها واستبدالها بغيرها تكون أصلح منها تجاريّاً مع العلم أنّه يوجد في المؤمنين من هو مستعدٌّ لبنائها؟

بسمه تعالى

لا يجوز استبدالها ما دام المفروض إمكان الانتفاع بها وممكن البناء فعلاً، على أنّها وقف عام عن روح الإمام (ع) وإن كان الأحوط استحباباً التقيّد بالمصرف المعهود.

الصدر»[1].

مساعٍ لشراء دار للسيّد الصدر رحمه الله

تقدّم تاجرٌ من أهل البصرة من مريدي السيّد الصدر رحمه الله بعرض إليه من أجل شراء دار، وذلك بعد أن علم أنّ داراً تقع إلى جانب منزل السيّد الصدر رحمه الله معروضة للبيع، فحاول شراءها وأخبره بأنّ مال الشراء مالٌ شخصيٌّ وليس من الحقوق الشرعيّة. ولكنّ السيّد الصدر رحمه الله رفض قبول هذا العرض وقال له: «**إذا اشتريت هذه الدار فإنّي سوف أوقفها لسكن الطلّاب ولن أسكنها أبداً**». فقال المتبرّع: «**أريدها داراً خاصّةً لكم**»، فقال السيّد الصدر رحمه الله: «**أنا لن أمتلك داراً حتّى يتمكّن كلُّ طلبة [=طالب] من شراء دور لهم، وحينئذٍ سأكون آخر من يشتري**»[2].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٦٣).

(٢) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٣ ؛ وقد ذكرها لي الحاج محمّد علي محقّق رحمه الله مستخدم السيّد الصدر رحمه الله بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٨م، وهذه الحادثة ترجع إلى سنة (١٣٩٥هـ) وما قبل. كما نقل قريباً جدّاً منها الشيخ عفيف النابلسي نقلاً عمّن نقلها عن السيّد محمّد باقر الحكيم رحمه الله، غير أنّه قال: إنّهم من تجّار بغداد لا البصرة (خفايا وأسرار من سيرة

كما أنّ الحاج كاظم عبد الحسين عرض على السيّد الصدر شراء دار له فرفض، وعرض عليه الخروج من العراق وشراء دار له في أيّة دولة يختار العيش فيها، فرفض الخروج والدار[١].

يكتب السيّد الصدر إلى الشيخ علي كوراني بتاريخ ٧/صفر/[١٣٩٢]هـ (١٩٧٢/٣/٢٢م)[٢]:

«بسم الله الرحمن الرحيم

العزيز المعظّم حفظه الله تعالى ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد فإنّي أكتب إليكم هذه الرسالة في اليوم السابع من صفر يوم وفاة الإمام الحسن عليه الصلاة والسلام، هذا الإمام الممتحن الذي عاش أتعس ظروف العمل الأناني وأنكاها، وقدّر له أن يكون صامداً ثابتاً صابراً وهو يرى رسالة ربّه وشريعة جدّه تتمزّق في أيدي الأمويّين الطغاة، وتفقد مواقعها الحقيقيّة في الأمّة نتيجة مؤامراتهم على الإسلام وكيدهم للمسلمين، وكأنّي به ـ بأبي وأمي ـ والحياة تضيق به أو يضيق بها، يفتّش عن الموت فلا يجده كما يطلبه الأولياء شهادةً واضحةً في سبيل الله حتّى جاءته الشهادة أخيراً يحملها اليه سمُّ معاوية، وما أعذب سمّ ينقل الإنسان الثابت الصابر من جوار أعدائه إلى جوار ربّه، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

حدّثني السيّد علاء الدين حفظه الله تعالى عن اهتمامكم واهتمام الوجيه العزيز الحاج كاظم عبد الحسين بشأن شراء دار ووجود متبرّع بمبلغ سبعة[٣] بهذا الشأن، وإنّي أقدّر لكم أيّها الأحبّة هذه الاهتمامات وأرجو من المولى سبحانه وتعالى أن يثيب المتبرّع الموفّق بأفضل ما يثيب به المحسنين ويزيد في توفيقه ويجمع له خير الدنيا وخير الآخرة إنّه سميعٌ مجيب، غير أنّي في نفس الوقت أعتذرُ عن قبول هذا التبرّع لشراء دار لأنّي لا أشعرُ بحاجةٍ إلى الأخذ من هذه الدنيا إلاّ بمقدار ما يوفّر لي الاستقرار اللازم لممارسة المسؤوليّات الدينيّة، وهذا يحصل في بيت الإيجار المناسب أيضاً. ولئن كان أولادي سوف لن يحصلوا من أبيهم على ميراثٍ من هذا القبيل فلهم أسوةٌ بأبيهم الذي لم يقتن له أبوه داراً ولا عقاراً، وما أصنع بفدك وغير فدك والنفس مظانُّها إلى جدث[٤].

نعم، في الوقت الذي يُتاح لنا فيه أن نحوّل المرجعيّة من ذاتٍ إلى موضوع وتكون حقيقةً أكبر من الشخص وأبقى منه وأوسع من وجوده، تكون جديرةً حينئذ ببيتٍ يكون البيتَ الثابت للمرجعيّة يتناوب عليه المراجع ولا يكون بعد وفاة المرجع ميراثاً ولا أداة استغلالٍ، وهذا شيء متروك للمستقبل.

ثمّ إنّه بصدد المبلغ المتبرَّع به للدار هناك اقتراحٌ لديّ على أساس الاعتذار عن قبول الدار، وهو تحويل المبلغ إلى مصرفٍ آخر وهو شراء أرضٍ قريبةٍ نسبيّاً من الصحن ومراكز الحوزة في المساجد، وبناء مجموعة من الشقق عليها ضمن ثلاث طوابق وجعل البناية وقفاً على سكنى الطلبة المعيلين، لأنّ الطالب

الشهيد محمّد باقر الصدر: ١٦١) ؛

(١) انظر: شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٣ ؛ مقابلة مع السيّد عبد الكريم القزويني (ﷺ).

(٢) لم يُصرّح في الرسالة بالسنة، ولا يُعلم سوى كونها في ٧/صفر. ولمّا كان الشيخ علي كوراني في الكويت، فهذا يعني أنّ تاريخها بين ١٣٨٨ وبين ١٣٩٤هـ، وحيث يظهر منها أنّ السيّد الصدر كان على أبواب المرجعيّة، احتملنا كونها في سنة ١٣٩٢هـ.

(٣) لعلّ المراد سبعة آلاف دينار.

(٤) إشارةٌ منه إلى قول الإمام علي في كتابه إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عامله على البصرة: «... بلى كانت في أيدينا فدك من كلِّ ما أظلّته السماء، فشحّت عليها نفوسُ قوم وسخت عنها نفوسُ قومٍ آخرين، ونعم الحَكَمُ الله، وما أصنع بفدكٍ وغيرِ فدك والنفسُ مظانُّها في غدٍ جدث..» (نهج البلاغة: ٤١٧).

المعيل أصبح يواجه مشكلةً كبيرةً من ناحية أجور السكن المتصاعدة يوماً بعد يوم، ومن ناحية أخرى تزداد أهميّة الطالب المعيل باستمرار لعدّة عوامل وظروف. وظنّي أنّ فكرةً من هذا القبيل إذا نفّذناها فسوف تصبح نواة لأمثالها، والواقع أنّ العقبة المهمّة في الموضوع هي الأسعار [الباهظة] للأرض الواقعة على مقربة من المدارس والمساجد، وهذه العقبة لا يمكن عمليّاً تذليلها عن طريق العدول إلى أرض بعيدة عن الصحن جداً من قبيل الأراضي الواقعة بين النجف والكوفة، إذ ليس عمليّاً سكنى الطلبة في مثل تلك المناطق النائية، ولهذا فإنّ الأفضل في نظري أن تحلَّ المشكلة عن طريق فكرة الطوابق والشقق التي تتيح بناء مجموعة من الشقق على أرضٍ صغيرة نسبيّاً.

نسألُ المولى سبحانه وتعالى التوفيق للجميع، ومنه نستمدُّ الهداية والاعتصام، والسلام عليكم وعلى كلّ الأحبّة والإخوان ورحمة الله وبركاته»[١].

كما أنّ أحد المؤمنين عرض على السيّد الصدر رحمه الله مبلغاً من المال، فرغب في توزيعه على جملة من الطلاّب. وهذا المعنى ينعكس في إحدى رسائله إلى السيّد نور الدين الإشكوري التي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم حجّة الإسلام أبا محمّد حفظه الله تعالى ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أرجو أن تكونوا جميعاً في أتمّ الصحّة والعافية، وأن تكونوا قد استعدتم جميعاً النشاط الروحي بعد الصدمة العاطفيّة التي شتّتت الشمل ومزّقت القلوب المتّحدة وباعدت بين الوجوه المتحابّة والأرواح المترابطة، فنحمد الله سبحانه وتعالى على حسن بلائه وعظيم امتحانه ونسأله تعالى الإمداد والإعانة وعظيم الأجر.

(...)[٢].

بعض المحسنين المتديّنين اتّصل بي راغباً في التبرّع لي بمبلغ مختصر من المال مؤكّداً أنّه لا حقوق عليه إلاّ أنّه يقدّر تكاليف العلماء، فأرجعت الجواب له بعد الشكر والتقدير بأنّي غير متعوّد على أخذ أموال من هذا القبيل لنفسي، وإنّما آخذ الحقوق الشرعيّة، ولكن إذا أحببت أمكن أن آخذه لأكون وسيطاً في إيصال هذا المال إلى جملة من الطلبة وأهل العلم الذين سافروا أخيراً من النجف، فقال في مقام الجواب إنّ السيّد مفوّض في إيصاله إلى من يشاء.

ولهذا أحببنا توزيع مساعدة على الطلاّب بالنحو الذي يحدّثكم به السيّد الباقري[٣]، وبإمكانكم بالتشاور إضافة أسماء أخرى إذا كانت واجدة للملاك.

رعاكم الله بعينه التي لا تنام وبنفسي انتم جميعاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٤].

السيّد الصدر رحمه الله ينوي شراء مقبرة

في الوقت الذي كانت فيه العروض تتوالى من هذا وذاك لشراء دار للسيّد الصدر رحمه الله، كان يرفض ذلك ويسعى إلى شراء مقبرةٍ له ولطلاّبه. وقد عرضت عليه دار (آل زيني) المجاورة لداره وكانت

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٦٤).

(٢) ساقطٌ من الأصل.

(٣) يقصد السيّد محمّد علي الباقري.

(٤) انظر الوثيقة رقم (١٦٥).

واسعة، ولكنّه رفض ذلك كلّه.

قال له السيّد محمود الخطيب: «**سيّدنا، اشترِ هذه الدار واجعلها (برّاني) [مكتب]**»، فقال له: «**اعرض هذا الأمر على خالي الشيخ مرتضى آل ياسين**». ولمّا عرضت عليه الفكرة قال: «**إنّ هذه الدار تناسب السيّد محمّد باقر**»، فرجع السيّد الخطيب وذكر للسيّد الصدر ما قاله خاله، فقال‏: «**بُنَيْ، أنا عاهدتُ الله على أن لا أشتري دارَ ملك لي، إذا كنتَ تريد أن تخدمني فتّش لي عن دار أجعلها مقبرةً لي، فهذا أقربُ إلى قلبي**»[1].

وقد بدأ السيّد الصدر‏ فعلاً بالبحث عن قطعة أرض قريبة من الصحن الشريف خالية من كلّ شبهة ليجعلها مقبرة، وقد كلّف السيّد محمود الخطيب بالبحث عن المكان المناسب لهذا الغرض.

وكان أمله أن يُدفن مع طلاّبه في مكان واحد، وقد قال مراراً: إنّه سيجعلها خاصّة به وللذكور من ذريّته ولطلاّبه. وكان‏ قد جمع مقداراً من المال لهذا الغرض، ولولا أحداث رجب/١٣٩٩هـ وما تبعها من احتجازه لنفّذ هذا الأمر[2].

وقد سأله أحد تلامذته قائلاً: «**سيّدنا هل تملكون منزلاً؟**»، فأجابه: «**نعم**»، فقال: «**أين موقعه؟**»، فقال له‏: «**في الجنة إن شاء الله**»[3].

استفتاء حول الإحرام من جدّة

في هذه الفترة وجّه الشيخ عبد الهادي الفضلي سؤالاً إلى السيّد الصدر‏ حول مستنده في القول بعدم جواز الإحرام من جدّة، وقد أجاب‏ بالرسالة التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلاّمة الأستاذ الشيخ عبد الهادي الفضلي دامت بركاته.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمت رسالتكم الكريمة، فسرّني ما بشّرت به من صحتكم وسلامتكم، وأسألُ المولى تعالى أن يحفظكم ويمتّعنا بوجودكم.

أمّا بالنسبة إلى سؤالكم عن الإحرام من جدّة، فقد استندنا في عدم جوازه ولزوم الذهاب إلى الميقات إلى ما يدلُّ من الروايات بظاهره على اشتراط الإحرام بأحد المواقيت الخمسة النبويّة، راجعوا في ذلك صحيحة الحلبي وصحيحة علي بن جعفر في الباب الأوّل من أبواب المواقيت من كتاب (الوسائل)، فقد جاء في الرواية الأولى بعد ذكر المواقيت الخمسة قوله عليه السلام: «ولا ينبغي لأحد أن يرغب عن مواقيت رسول الله صلّى الله عليه وآله»[4]، وجاء في الثانية: «فليس لأحدٍ أن يعدو [منً] هذه المواقيت إلى غيرها»[5].

---

(١) تلفيقاً بين ما ذكره لي السيّد الخطيب بتاريخ ٢٠٠٥/٢/٢٥م وبين مذكّراته.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٦.

(٣) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٧٣ ـ ٧٤.

(٤) وسائل الشيعة ١١: ٣٠٨، ح ١٤٨٧٥.

(٥) وسائل الشيعة ١١: ٣١٠، ح ١٤٨٨١. وما بين [] من متن (الوسائل)، وما في الوثيقة الخطيّة مردّد بين (عن) و(من) ويبدو لي أنّها كانت (عن) ثمّ صحّحت إلى (من) وفقاً لمتن (الوسائل).

هذا والسلام عليكم وعلى سائر الإخوان المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

أرسلتُ إليكم نسخةً من كتاب (الأسس المنطقيّة للاستقراء) أرجو أن تكون قد وصلت الآن.

محمّد باقر الصدر

٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٢هـ»[١].

تأميم نفط العراق

استطاعت الحكومة العراقيّة أن تعقد اتّفاقاً مع الاتّحاد السوفييتي لاستثمار النفط استثماراً وطنيّاً عن طريق تلك الشركة التي بدأت تعطي ثمارها الأولى منذ ١٩٧٢/٤/٧م رغم العراقيل التي وضعتها الشركات الاحتكاريّة. أمّا المرحلة الثالثة والحاسمة فهي تأميم النفط، فقد دعت الحكومة في نهاية سنة ١٩٧١م الشركات إلى مفاوضات كان القصد منها حصر تلك الشركات في زاوية ضيّقة للإجهاز عليها فيما بعد. وكان ردّ فعل الشركات تخفيض الإنتاج بنسبة كبيرة لتعطيل خطّة التنمية وتهديد النظام. وبذلك وجّهت الحكومة إنذارها الشهير في ١٩٧٢/٥/١٧م، بعد أن وسّعت قاعدة الحكم طبقاً لميثاق العمل الوطني بإدخال وزيرين شيوعيّين ووزيرين قوميّين. وبعد أسبوعين من ذلك الإنذار أعلن رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر في ١٩٧٢/٦/١م (١٨/ربيع الثاني/١٣٩٢هـ) القرار التاريخي بتأميم النفط. وأصبح العراق يسيطر على ٦٥٪ من قطاع إنتاج النفط، وعلى ٩٩،٧٥٪ من الحقول النفطيّة. واستثنيت من التأميم شركة نفط البصرة التي سيأتي دورها فيما بعد، كما منحت فرنسا موقعاً متميّزاً وتكلّلت عمليّة التأميم بالنجاح التام في ١٩٧٣/٣/١م عندما رضخت الشركات لقرار التأميم. وعندما بدأت حرب تشرين الأوّل/١٩٧٣م جاء دور شركة نفط البصرة فأمّمت حصّة أميركا ثمّ حصّة هولندا وأخيراً حصّة كولبنكيان، وهكذا أصبح العراق يسيطر على ٨٥٪ من إنتاج النفط، الأمر الذي جعله يحقّق الاستقلال الاقتصادي[٢].

السيّد الخوئي رحمه الله يبارك تأميم النفط

في ٢٦/ربيع الثاني/١٣٩٢هـ (١٩٧٢/٦/٩م) كتب السيّد الخوئي رحمه الله إلى أحمد حسن البكر رئيس الجمهوريّة[٣]:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة المهيب الرئيس أحمد حسن البكر وفّقه الله

إنّ الدفاع عن مواطن المسلمين وثروات أرضهم وفي مقدّمتها حماية نفطهم من أهمّ الواجبات الشرعيّة وأخطرها. وإنّ الوقوف عند هذا الحقّ بصلابة وإيمان مع الأعداء من أفضل ضروب الرعاية لمصالح المسلمين وأمانيهم.

نسأله تعالى أن يبارك جهدكم في حماية نفط هذا البلد الإسلامي من جميع الطامعين، كما أسأله أن يحقّق مصالح الأمّة الإسلاميّة ورفاهها وكرامتها وأن يوحّد كلمة المسلمين على الحقّ ويؤيّدهم بالنصر المؤزّر ويأخذ بأيديهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم، والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٦٦).

(٢) موسوعة السياسة ٤: ٦٣ ؛ من الثورة إلى الديكتاتوريّة: ١٩٦ ـ ٢٠٠ ؛ Microsoft Encarta/Iraq/Military Coups

(٣) يبدو أنّ ذلك كان إثر ضغطٍ مارسته الحكومة العراقيّة على علماء النجف كما يأتي.

أبو القاسم الموسوي الخوئي
٢٦/ربيع الثاني/١٣٩٢ هجري
النجف الأشرف»[١].

وقد أشار البعض إلى أنّ السيّد الصدر رحمه الله أرسل برقيّة إلى البكر أيدّ فيها تأميم النفط ومحو الأميّة بعد أن أخذ يميل إلى المداراة والمهادنة في العمل السياسي بتأثير من عدد من مريديه ومحيطيه وتلامذته[٢]، وأشار البعض الآخر إلى قبوله رحمه الله إجراء أحاديث صحفيّة حول بعض المكتسبات التي يتحدّث عنها حزب البعث مثل التأميم ومحو الأميّة[٣].

ولكن أكّد مصدرٌ مشترك أنّه مدح محو الأميّة دون أن يؤيّد الدولة في هذا الموضوع[٤]، كما أنّ ما يأتي مباشرةً لا ينسجم مع ما جاء أوّلاً.

السلطة تدعو إلى مواجهة العميل محمّد باقر الصدر!!

في هذا العام جرت مواجهات حادّة بين السلطة وحزب (الدعوة الإسلاميّة) أدّت إلى اكتشاف بعض الخطوط التنظيميّة واعتقال المئات، ومن ضمنهم عددٌ كبيرٌ من العلماء المرتبطين بمرجعيّة السيّد الصدر رحمه الله على نحو الخصوص.

وفي حدود جمادى الثانية/١٣٩٢ هـ (تمّوز/١٩٧٢م) وبعد أن كانت السلطة العراقيّة قد مارست الضغط على علماء النجف من أجل مباركة تأميمها النفط في العراق، وبعد أن كان السيّد الخوئي رحمه الله قد أرسل إليها برقيّةً بهذا المعنى، قامت بتوزيع بيان في النجف الأشرف تدعو فيه علماء النجف إلى دعم قيادة الثورة والاقتداء بأسلوب السيّد الخوئي رحمه الله في إرساله برقيةً بارك فيها تأميم النفط. ودعت إلى مواجهة العملاء الخائنين وأيادي الاستعمار والرجعيّة من قبيل محمّد باقر الصدر في النجف وموسى الصدر في لبنان[٥].

وقد بعثت السلطة بأحد عملائها ليخبر السيّد الصدر رحمه الله بأنّه علم ـ من مصادر موثوقة ـ أنّ السلطة تنوي عدم التساهل معه رحمه الله لو أنّه حاول القيام بأعمال ضدّها، وأنّ نهايته ستكون حتميّة في أوّل اعتقال يقع. ثمّ طلب منه ـ حرصاً على حياته وسلامته ـ أن لا يقوم بشيء[٦].

اعتقال كوادر حزب الدعوة الإسلاميّة

شنّت السلطة حملة من الاعتقالات طالت العديد من كوادر حزب الدعوة الإسلاميّة، وكانت البداية من الشاميّة حيث كانت العلاقة سيّئة بين الشباب وبين السيّد محمّد علي الموسوي وكيل

---

(١) لمحات من حياة الإمام المجدّد السيّد الخوئي: ٩٧ ؛ اسناد انقلاب اسلامى (فارسى) ١: ٣٥١.
(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١١٧، نقلاً عن الشيخ علي كوراني.
(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلّاق: ١٣٣، نقلاً عن الشيخ خير الله البصري والشيخ علي كوراني والشيخ محمّد رضا النعماني.
(٤) مقابلة مع الشيخ محمّد رضا النعماني (حفظه الله). ولا يخفى عند التأمّل أنّ في كتاب السيّد الحسيني بعض التسامح في النقل عن الأشخاص المتقدّمين أو أن يكون الاضطراب من الرواة أنفسهم.
(٥) راجع تقرير المخابرات الإيرانيّة في: ياران امام به روايت اسناد ساواك (١٧) (فارسى) ١: ٣٩١.
(٦) مقدّمة مباحث الأصول: ١١٢.

السيّد الخوئي[1]، كما شنّت حملة قادها ناظم كزار مدير الأمن العام في ذلك الوقت ونفّذها مهدي البيّاتي مدير أمن النجف آنذاك[2]. وكان ضمن المعتقلين:

السيّد محمّد تقي الطباطبائي، الشيخ عز الدين الجزائري، السيّد محمّد علي الشيرازي، الشيخ مجيد الصيمري وغيرهم. وقد تمّ نقل السيّد محمّد باقر الحكيم من بين المعتقلين إلى بغداد في تلك الليلة. وقد أطلق سراحهم جميعاً في اليوم التالي، واستثني منهم الشيخ مجيد الصيمري وبعض الأشخاص الذين حكم عليهم بتهمة محاولة القيام بعملٍ مسلّحٍ ضدّ السلطة، وكان حكمهم سنة واحدة، بالإضافة إلى معلّمٍ من أهل البصرة حُكم عليه بثلاث سنوات[3].

اعتقال السيّد محمّد باقر الحكيم

كانت السلطة في حالة شكٍّ غريبة بشأن علاقة السيّد الصدر بحزب الدعوة الإسلاميّة، خاصّةً وأنّ الحاج عبد الصاحب دخيّل ـ الذي كان رابطاً بين الحزب وبين السيّد الصدر ـ لم يعترف أو يدلي بشيء يمكن أن يفيد السلطة في هذا المجال، ولذلك كانت الاعتقالات تشمل المقرّبين جدّاً إليه بغية انتزاع اعترافات منهم حول هذه العلاقة[4].

وقد ذكر السيّد الصدر أنّه قد بلغه خبر يقول: إنّ البعثيين سيعتقلونه في هذه اللّيلة، إلاّ أنّ شيئاً لم يقع[5].

وفي اليوم التالي تعرّضت مجموعةٌ من رجال الأمن يتقدّمهم الضابط معن إلى السيّد محمّد باقر الحكيم وهو خارجٌ من الصحن الحيدري بعيد صلاة المغرب، وكان ذلك أمام باب العمارة وبمرأى من السيّد عبد الغني الأردبيلي والسيّد محمود الخطيب. وقد طلب رجال الأمن من السيّد الحكيم مرافقتهم إلى مديريّة الأمن العامّة في بغداد، فرفض ذلك وبقي في الصحن ما يقرب من ساعة. وبعد ذلك خرج منه باتّجاه سوق العمارة، وحاول رجال الأمن اعتقاله في السوق فامتنع حتّى يودّع أخاه السيّد يوسف الحكيم، وكان يتكلّم معهم بصوتٍ مرتفعٍ بهدف إعلام الناس وإخبارهم بهذا الأمر.

عندها قال السيّد الأردبيلي للسيّد الخطيب: «**ابق هنا وراقب الوضع، وأنا سأسبقك إلى بيت السيّد**»، وقد بقي السيّد الخطيب في الشارع لمراقبة الوضع، حيث تمّ اعتقال السيّد الحكيم ونقله إلى بغداد[6].

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ما بين [] من: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٠، نقلاً عن خير الله البصري.

(٢) شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ٦٩.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ٧٢ ـ ٧٣ ؛ وانظر: قبسات من حياة وسيرة شهيد المحراب: ٢١٣.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٣، نقلاً عن الشيخ محمّد رضا النعماني.

(٥) مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٥.

(٦) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢١، نقلاً عن السيّد محمّد باقر الحكيم ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي، نقلاً عن السيّد عبد الغني الأردبيلي (قدس سره).

السيّد الصدر﵀ في مستشفى النجف

ويبدو أنّ السيّد الأردبيلي﵀ عندما قصد بيت السيّد الصدر﵀ مرّ بالسيّد كاظم الحائري أو أنّه التقى به في بيت السيّد الصدر﵀[١]، ويبدو أيضاً أنّ الشيخ محيي الدين المازندراني كان معهما أيضاً[٢].

وقد وصل السيّد عبد الغني الأردبيلي﵀ إلى منزل السيّد الصدر﵀[٣] بعد عودة الأخير من درس الأصول بعد المغرب من يوم الأربعاء [٦/رجب/١٣٩٢هـ (١٩٧٢/٨/١٦م)][٤]، وبعد أن أخبره باعتقال السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ تدهورت حالته الصحيّة[٥]، فتناول بنحو الخطأ أكثر من عشرين حبّة أسبرين ممّا أدّى إلى ارتفاع ضغطه[٦].

---

(١) انظر: مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٥.
(٢) مقابلة مع الشيخ المازندراني (﵀).
(٣) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﵀).
(٤) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م ؛ وما بين [] منّا.
(٥) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي، نقلاً عن السيّد عبد الغني الأردبيلي﵀ (﵀).
(٦) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٤٤.

وقد تعرّض لحادثة الاعتقال غير واحد من تلامذة السيّد الصدر﵀، وهناك بعض الأمور الجزئيّة التي لا يمكن فيها الجمع بين أقوالهم. وقد حاولنا أن يكون ما نعرضه منسجماً قدر الإمكان مع ما ذكروه جميعهم. وقد اختلفت الآراء حول تحديد تاريخ هذا الاعتقال:

١ ـ ذكر السيّد كاظم الحائري أنّ هذا الاعتقال كان ـ في الظنّ الغالب ـ في أوائل رجب أو أواخر جمادى الثانية/١٣٩٢هـ (مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٥). وذكر السيّد محمّد الحسيني والأستاذ نبيل عبد الهادي أنّ ذلك كان في ١/رجب/١٣٩٢هـ (الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٠٧ ؛ الصدر وصدّام.. الإنسانيّة في مواجهة الهمجيّة: ٦٣٤) ؛ وانظر عموماً: مقدّمة الحلقة الأولى للسيّد علي أكبر الحائري: ٣٦، ٣٧ ؛ الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيّام الحصار: ٢٠٣ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٥٨ ؛ سنوات الجمر: ١٤١ ؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٨٠ حيث جاء أنّ الاعتقال كان في ١٩٧٢/٨/١٢م.

٢ ـ يشير السيّد الصدر﵀ في رسالة آتية إلى السيّد علي رضا الحائري أنّ الاعتقال كان في شهر رجب، حيث يقول: «... بمرض أبيكم في رجب الذيً قيد فيه كما يقاد المجرمون».

٢ ـ ذكر لي الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م أنّ زيارة زيد حيدر جاءت بين اعتقال الشيخ عارف البصري وبين إعدامه، وكان ذلك بعد حادثة اعتقاله، أي أنّ ذلك كان عام ١٩٧٤م.

٣ ـ ذكر الشيخ عفيف النابلسي أنّ اعتقال السيّد الصدر﵀ جاء بعد إعدام الشيخ عارف البصري، ويعود تدهور حالته الصحيّة إلى أنّه تناول أكثر من عشرين حبّة إسبرين إثر تأثّره بإعدام الشيخ البصري. وهو مطابقٌ لما ذكرته لي السيّدة أم جعفر الصدر.

وبينما يتّفق الشيخان حيدر والنابلسي على أنّ ذلك كان عام ١٩٧٤م مع اختلافهما في تقديم ذلك وتأخيره، وبينما يبدو ذلك منسجماً تمام الانسجام مع أحداث سنة ١٣٩٤هـ، فإنّنا نميل إلى الأخذ بما ذكره السيّد كاظم الحائري من كونه في رجب، وذلك:

أوّلاً: لأنّ السيّدين الحائري والغروي كانا لا يزالان موجودين في النجف الأشرف يمارسان حياتهما الطلاّبيّة حين الاعتقال. ومن المؤكّد أنّهما كانا خارج العراق حين تمّ إعدام الخمسة. كما أنّ الشيخ محمّد جعفر شمس الدين كان حاضراً، وقد ذكر لي بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢٢م أنّه ترك النجف نهائيّاً في ١٩٧٣/٧/٧م.

ثانياً: لما جاء في رسالة السيّد الصدر﵀ إلى السيّد علي رضا الحائري من كون الاعتقال في رجب، بينما جاء إعدام

وفي هذا الوقت كان قد وصل السيّد عبد الغني الأردبيلي‏ والسيّد كاظم الحائري والشيخ محيي الدين المازندراني.

وعندما وصل السيّد الخطيب إلى البيت بعد اعتقال السيّد محمّد باقر الحكيم‏ وسأل عن السيّد الصدر‏، قالت له بنت الهدى‏: «**إنّ السيّد في السرداب ووضعه الصحّي مضطرب، أحضر الدكتور عزيز الزيني بسرعة**». فقام السيّد الخطيب باستئجار سيّارة وقصد الدكتور الزيني وأحضره من عيادته في شارع الخورنق.

وعندما وصلا إلى بيت السيّد الصدر‏ ـ وكان قد انتقل إلى مقبرة آل المامقاني[١] ـ أخبرتهما السيّدة أم جعفر بأنّ السيّد عبد الغني نقل السيّد إلى مستشفى النجف، ويبدو[٢] أنّ بنت الهدى والسيّد كاظم الحائري والشيخ المازندراني كانوا معه[٣].

وعلى أيّة حال، فقد قام السيّد الخطيب بإرجاع الدكتور الزيني إلى عيادته، وقصد مستشفى النجف حيث وجد جماعةً إلى جانب السيّد الصدر‏ منهم: السيّد عبد الغني الأردبيلي، الدكتور موسى الأسدي والصيدلي غالب الطريحي الذي لبس زي الأطبّاء وجلس بقرب السيّد‏ عندما علم بحالته الصحيّة. وقام الدكتور الأسدي بإعطاء السيّد‏ بعض الأدوية لمساعدته على التقيّؤ، وبعد أن تحسّنت حاله قليلاً طلب نقله إلى غرفة خاصّة من أجل الاعتناء به[٤].

اعتقال السيّد الصدر‏ ونقله إلى مستشفى الكوفة

في هذه الأثناء طوّق رجال الأمن منزل السيّد الصدر‏ واقتحموه بقيادة مدير أمن النجف مهدي البيّاتي[٥] من أجل اعتقال السيّد‏، فقال لهم الحاج محمّد علي محقّق الأفغاني‏: «**إنّ السيّد غير**

الشيخ عارف البصري في ذي القعدة/١٣٩٤هـ.

ثالثاً: لما يأتي نقلاً عن السيّد محمود الخطيب من أنّ السيّد عزّ الدين القبانجي‏ كان من الداخلين على السيّد الصدر‏ في المستشفى بعد اعتقاله فيها، ومن المعلوم أنّ السيّد القبانجي‏ هو أحد الشهداء الخمسة أنفسهم.

هذا وقد ذكر لي السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م أنّ الحادثة وقعت مساء يوم الأربعاء. ووفق برنامج (نجوم اسلامى) فإنّ هذا يعني أنّها وقعت في ٢٨/جمادى الثانية أو ٦/رجب، ومن هنا بنينا على ما أثبتناه في المتن (٦/رجب) خاصّةً وأنّنا لم نحرز أنّ ما ذكره السيّد محمّد الحسيني والأستاذ نبيل عبد الهادي مبنيٌّ على معلومات حسيّة. وإذا أمكن أن يخطئ برنامج الحاسوب بيومين، أمكن افتراض ما ذكراه. ثمّ إنّنا لم نأخذ بما جاء في (حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٨٠) من أنّ الاعتقال وقع في ١٩٧٢/٨/١٢م للسبب المتقدّم.

(١) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

(٢) جمعاً بين مختلف الأقوال إن صحّت طريقة الجمع هذه.

(٣) المستفاد ممّا ذكره السيّد الحائري أنّ بنت الهدى لحقت بهم لاحقاً مع السيّدة أم جعفر، وكانت حين قدوم قوّات الأمن لا تزال في البيت (مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٥ ـ ١٠٦). ثمّ إنّ المستفاد منه أيضاً أنّ السيّد كاظم الحائري كان برفقة السيّد الأردبيلي عندما تمّ نقل السيّد الصدر‏ إلى مستشفى النجف، ولا يذكر السيّد الحائري ما إذا كان معهما شخصٌ آخر؛ بينما يذكر الشيخ المازندراني أنّه هو الذي أوصله إلى المستشفى مع السيّد الأردبيلي ولم يأتِ على ذكر السيّد الحائري [مقابلة مع الشيخ المازندراني (حفظه الله)].

(٤) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٥) قيل: ناظم كزار، وما أثبتناه مستفادٌ من السيّد محمود الخطيب.

موجود، ولا أعلم أين ذهب»، فبدأوا بضربه [وطرحوه أرضاً][(١)] ليعترف لهم عن مكان السيّد، إلاّ إنّه أبى وأصرّ على إنكاره رغم علمه، [وطلبوا منه أسماء الأشخاص الذين يتّصلون بالسيّد][(٢)].

ثمّ جاءت السيّدة أم جعفر[(٣)] وقالت لهم: «**إنّ السيّد مريض، وقد انتقل إلى مستشفى النجف [وهذا الرجل أفغاني ولا يعرف أحداً وليست له علاقة بشيء]**[(٤)]».

بعد ذلك انتقل رجال الأمن إلى المستشفى وطوّقوها وطالبوا المشرفين عليها بتسليم السيّد[(٥)]، وكان ذلك بعد حوالي ساعة ونصف من وصول السيّد الصدر إلى المستشفى[(٦)]. إلاّ أنّ المسؤولين ـ ومنهم الدكتور موسى الأسدي الذي كان له موقفٌ مشرّف[(٧)] ـ قالوا لهم: «**إنّ السيّد مريض وحالته خطيرة، وإذا أردتم نقله، فنحن لا نتحمّل مسؤوليّة ذلك إذا ما مات بأيديكم**». وقد كتب الدكتور الأسدي بأنّ السيّد مصاب بجلطة قلبيّة أو ما شابه، وقام بإخراج رجال الأمن الواقفين بالباب[(٨)].

وبعد أخذ وردٍّ بينهما، وبعد إجراء مجموعة من الاتّصالات بالقيادة، اتّخذوا قراراً بنقله إلى مستشفى الكوفة المشتملة على ردهة للمعتقلين[(٩)]، على أن يكون معه السيّد الأردبيلي بعنوان مرافق مريض[(١٠)] بعد أن أصرّ على مرافقة السيّد قائلاً: «**أنا لا أفارق السيّد مهما كلّف الأمر**»، ثمّ كلّف الشيخ المازندراني بإبلاغ بقيّة الإخوة[(١١)].

وطلب السيّد الصدر من السيّد محمود الخطيب أن يغادر المستشفى ويقوم مع السيّد كظم الحائري ـ الذي كان واقفاً بباب المستشفى ـ بإخبار (بيوتات) المراجع بذلك، خاصّةً السيّد الخميني والسيّد الخوئي. وفي هذه الأثناء كان رجال الأمن يقومون بإخراج السيّد الخطيب من المستشفى محمّلين إيّاه مسؤوليّة ما قد يحدث، فطلب منه السيّد الصدر الخروج وتنفيذ ما طلبه منه[(١٢)].

وكان الشيخ المازندراني قد قصد بيت السيّد محمود الهاشمي والسيّد كاظم الحائري وغيرهما

---

(١) ما بين [] ذكره لي السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

(٢) ما بين [] ذكرته لي السيّدة أم جعفر.

(٣) ذكر لي السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م أنّ أحد مريدي السيّد الصدر (وهو مضمّد يعمل في المستشفى) أرسل ابنه إلى بيت السيّد الصدر ليحضر بعض لوازم السيّد، ومنه علم رجال الأمن؛ بينما ذكر السيّد كاظم الحائري أنّ بنت الهدى هي التي أخبرتهم (مقدّمة باحث الأصول: ١٠٦)؛ ولكنّ السيّدة أم جعفر الصدر ذكر لي أنّها هي التي قالت لهم ذلك، وقد ورد أيضاً في مذكّراتها (وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٧٧)، وهو ما ذكره لي السيّد محمود الخطيب، وربّما ينسجم هذا مع كون بنت الهدى قد رافقت أخاها إلى المستشفى.

(٤) ما بين [] ذكرته لي السيّدة أم جعفر الصدر.

(٥) مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٦.

(٦) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٧) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٨٤، الهامش (٤١)؛ حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٨٠؛ وذكر لي ذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

(٨) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي.

(٩) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(١٠) مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٦.

(١١) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني.

(١٢) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

وأطلعهم على ما حصل[(١)].

وتمّ نقل السيّد الصدر والسيّد عبد الغني الأردبيلي رحمهما الله إلى مستشفى (الفرات الأوسط) في الكوفة مكبّلين[(٢)].

محاولة إبلاغ السيّد الخميني والسيّد الخوئي رحمهما الله

في هذه الأثناء قصد السيّد كاظم الحائري مع السيّد الخطيب بيت السيّد الخوئي رحمه الله في النجف عند الساعة الواحدة ليلاً، ولكنّ أحداً لم يجبهم. فقصدا بيته في الكوفة، ففتح لهم المستخدم وقال لهم: إنّه لا يوجد أحد في البيت.

هنا افترق السيّدان الخطيب والحائري، فقصد السيّد الحائري بيت السيّد الخميني رحمه الله، بينما قصد السيّد الخطيب المدارس العلميّة من أجل نشر الخبر، ومن جملة هذه المدارس مدرسة اليزدي الصغرى ومدرسة البغدادي وأطلع طلاّبها على حال السيّد الصدر رحمه الله[(٣)].

ويبدو أنّ السيّد الحائري لم يلتقِ بالسيّد الخميني رحمه الله، أو أنّه التقى به ليلاً ثمّ التقى به مرّة ثانية صباحاً[(٤)]، ولكنّه لم يجد تفاعلاً من السيّد الخميني رحمه الله مع الاعتقال وشدّة خطورته، حيث أجاب بأنّ في إيران أكثر من خمسين عالماً مثل السيّد الصدر في سجون الشاه، ممّا أدّى إلى انفعاله وتذمّره[(٥)].

مجريات اليوم التالي

في صباح اليوم التالي التقى طرق السيّد كاظم الحائري باب منزل السيّد محمّد الغروي وأخبره بأنّ السيّد الصدر رحمه الله راقدٌ في مستشفى (الفرات الأوسط) في الكوفة، فسارع السيّد الغروي إلى المستشفى ودخلها من غير الباب الرئيسي ـ المقابل لنهر الفرات ـ الذي كان موصداً، وبينما كان يبحث من وراء قضبان الحديد عن المكان الذي يرقد فيه السيّد الصدر رحمه الله لمح السيّد عبد الغني الأردبيلي رحمه الله الذي قال له: «**أنت أوّل الزائرين**» وأضاف: «**إنّ رجال الأمن قد وضعوا قيد الحديد على يد السيّد وربطوا يديه بالسرير**»[(٦)]، وطلب منه الإسراع إلى النجف الأشرف من أجل إخبار السيّد الخوئي رحمه الله بأنّهم قد قيّدوا يدي السيّد الصدر رحمه الله بالسلاسل، وأن يحضر للسيّد الصدر رحمه الله بعض الملابس من زوجته السيّدة أم جعفر.

---

(١) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (دام عزه). ويبدو من كلام الشيخ المازندراني أنّ السيّد كاظم الحائري التحق بهم لاحقاً، وهو ما ذكره لي السيّد محمود الخطيب، ولكنّ السيّد كاظم الحائري يقول: إنّه هو الذي أوصل السيّد الصدر رحمه الله إلى المستشفى.

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٣) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٢، نقلاً عن السيّد محمود الخطيب.

(٤) يظهر من خلال ما ذكره السيّد كاظم الحائري (مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٦) أنّه التقى بالإمام رحمه الله في اليوم التالي، فإذا كان قد التقى به مرّة واحدة، فالظاهر أنّه لم يتوفّق لرؤيته ليلاً.

(٥) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٢، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري نقلاً عن الشيخ محمّد الإصفهاني ؛ وما بين ـ ـ من المصدر نفسه: ١٩٢.

(٦) انظر كذلك حول خصوص القول الأخير: مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٥.

عاد السيّد الغروي إلى منزل السيّد الصدر رحمه الله ليحضر الملابس، ولكنّه لم يذهب إلى بيت السيّد الخوئي رحمه الله نتيجة بعض الحساسيّات الموجودة من قبل جهاز السيّد الخوئي رحمه الله تجاه السيّد الصدر رحمه الله، وقام بتكليف أحد الأشخاص بذلك ممّن يعلم قدرته على إيصال الخبر إلى السيّد الخوئي رحمه الله شخصيّاً[١]، والتقى هو بالسيّد كاظم الحائري وأخبره بأنّ يدي السيّد مكبّلتان بالسلاسل، فقصد السيّد الحائري بيت السيّد الخميني رحمه الله وأخبره بذلك[٢].

وصباح ذلك اليوم، قام السيّد محمود الخطيب بإيصال السيّدة أم جعفر والسيّدة بنت الهدى إلى مستشفى الكوفة بهدف عيادة السيّد الصدر رحمه الله، وقد دخلوا من الجهة الخلفيّة بعد أن كان الباب الرئيسي موصداً.

وعندما التقوا بالسيّد الصدر رحمه الله كان رحمه الله يبتسم[٣]، وكانت بنت الهدى مذهولة، فلمّا رآها السيّد الصدر رحمه الله قال: «**لا يوجد لديها أخ أو أخت غيري، وأنا كذلك ليس لي أخ أو أخت سواها..**»[٤].

لقد وجدت السيّدة فاطمة الصدر زوجها في غرفة كأنّها خربة، قد تراكم التراب في كلّ مكان من زواياها وعلى جدرانها، وتلطّخت جوانبها بأشكال من البقع والأوساخ، وكان السرير متهالكاً قد فُرش عليه فراشٌ متهتّك ومتّسخ، فلم تتحمّل تلك المناظر الكريهة والحالة السيّئة، فشمّرت عن ساعديها، وشرعت تنظّف الغرفة، زاويةً زاوية، وقطعة قطعة.. كنساً وتغسيلاً وتنظيفاً، حتّى عاد كلّ شيء فيها يلمع بريقاً. هنا التفت إليها السيّد الصدر رحمه الله وتبسّم ضاحكاً منتشياً لتصرُّفها، وهو يقول: «**الله أكبر.. من مثلي لـه زوجة تحرص على راحته ونظافته حتّى في معتقله**»[٥].

ثمّ طلب السيّد الصدر رحمه الله من السيّد الخطيب إبلاغ خاله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله الذي كان حينها في منطقة العمارة[٦].

وفي هذه الفترة تقريباً وعند طلوع الشمس وصل الشيخ محيي الدين المازندراني بصحبة السيّد عبد الهادي الشاهرودي[٧]، وعلى إثر ذلك قصد السيّد الشاهرودي السيّد الخميني رحمه الله فوجده في ساحة البيت جالساً على الفراش فقصّ عليه الحكاية[٨].

وعندما أبلغ السيّد الخطيب الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله بما حدث، طلب منه الشيخ آل ياسين رحمه الله أن يستئجر لهما سيّارة لتقلّهما إلى المستشفى، وقد اصطحبا معهما السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله. ولكنّهم مُنعوا من دخول المستشفى، فدخل السيّد الخطيب من باب آخر وقصد مدير المستشفى ـ

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (ﷺ).
(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٦.
(٣) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م، وأكّدت لي السيّدة أم جعفر إيصال السيّد الخطيب إيّاهم إلى المستشفى.
(٤) مذكّرات سجينة: ٥٩.
(٥) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٧٧ ـ ١٧٨.
(٦) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.
(٧) مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (حفظه الله).
(٨) مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).

وكان طبيباً من منطقة الصويرة التابعة للكوت ـ وأقنعه بأنّ من غير اللائق أن يقف الشيخ آل ياسين رحمه الله بالباب وهو يقصد زيارة ابن أخته. وبالفعل تمّ فتح الباب وإدخال الشيخ آل ياسين والسيّد محمّد صادق الصدر رحمهما الله وإجلاسهما في غرفة خاصّة(١)، وقام الدكتور بالاتّصال بمدير أمن الكوفة ومدير أمن النجف وعرض عليهما الموقف، وعلى إثر ذلك تمّ السماح للشيخ آل ياسين رحمه الله بزيارة السيّد الصدر رحمه الله.

وعندما دخل الشيخ آل ياسين رحمه الله على السيّد الصدر رحمه الله ومعه السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله، سلّم عليه ثمّ وجّه كلامه إلى رجال الأمن قائلاً: «**أنا أوصيكم بهذا السيّد، هذا السيّد أمانة في أيديكم، هذا حجّة الله في الأرض، هذا حجّة الله عليكم..**(٢)، **إنّ ضيفكم / صاحبكم لعظيم**»(٣)، فأجهش السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله وهو يسمع هذه الكلمات من الشيخ آل ياسين رحمه الله(٤).

وفي هذه الأثناء بدأت مجموعة من الشباب تدخل إلى المستشفى، ومنهم السيّد عز الدين القبانجي(٥).

وممّن قصد السيّد الصدر رحمه الله أيضاً الشيخ عبّاس الأخلاقي الذي ما إن رأى السيّد مكبّلاً بسريره حتّى عجز عن حبس مشاعره، فضجّ بالبكاء. وراح السيّد الصدر رحمه الله يواسيه ويطلب منه الهدوء بدل أن يقوم هو بتهدئته رحمه الله، إلاّ أن الشيخ الأخلاقي لم يستطع، فطلب منه السيّد الصدر رحمه الله مغادرة المستشفى رأفةً بحاله، فخرج الشيخ وهو يصرخ في ممرّ المستشفى ويبكي(٦).

وقد لعب الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله دوراً في تكثيف دعم السيّد الصدر رحمه الله من خلال زيارات العلماء، ولذلك ضغط على السيّد الخوئي رحمه الله لإقناعه بزيارته في مستشفى الكوفة، إلاّ أنّ السيّد الخوئي رحمه الله خشي من ردود فعل حاشيته والسلطات، ممّا ولّد عند الشيخ آل ياسين رحمه الله امتعاضاً شديداً تجاهه متسائلاً عن سبب إحجامه عن الاستفادة من علاقته بالسلطات وبيانه التأييدي لتأميم النفط(٧).

إطلاق سراح السيّد الصدر رحمه الله

كان الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله قد كلّف بعض طلاّب السيّد الصدر رحمه الله بحشد طلبة العلوم الدينيّة

---

(١) الذي ذكره لي الشيخ محمّد جعفر شمس الدين بتاريخ ٢٠٠٤/٨/٢٢م أنّه كان مع السيّد محمّد صادق الصدر رحمه الله خلف الباب، وقد قام السيّد الصدر بركل الباب برجله والدخول عنوة.

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢١، نقلاً عن السيّد محمود الخطيب.

(٣) الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ٢٥ ؛ نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٨٥، هامش (٤٢) ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢١، نقلاً عن السيّد محمود الخطيب ؛ نداءات ثوريّة لآية الله الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ١١ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٢٣٢) ؛ مقابلة مع الشيخ محمّد باقر الناصري (حفظه الله).

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢١، نقلاً عن السيّد محمود الخطيب.

(٥) حدّثني بذلك السيّد الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٦) حدّثني بذلك الشيخ عبّاس الأخلاقي في داره بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م، ولمّا وصل الشيخ الأخلاقي إلى الحديث عن تقييد السيّد رحمه الله بالسرير، خنقته العبرة.

(٧) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢١ ـ ١٢٢، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.

وتنظيم زيارات للسيّد الصدر رحمه الله مهما أمكن وقام بدفع أجور نقلهم، وكان الاتّصال بالسيّد صادق البطّاط ـ وكيل السيّد الصدر رحمه الله في مدينة الكفل ـ لتنظيم زيارة أهالي الكفل بعدد ربّما لا يصل إلى العشرين إنجازاً كبيراً[١]، دون أن يصل الأمر إلى حدّ حدوث ضجّة كبيرة في وسط الحوزة وفي أنحاء مختلفة من العراق[٢]، فإنّه ـ وبحسب ما احتمل أحد الباحثين ـ مبالغة[٣].

كاد أن يستفحل الاضطراب في وضع الناس، فخشيت الحكومة من نتائج الأمر، فرفعت القيد من يد السيّد رحمه الله. وبعد فترة وجيزة أطلقت سراحه، وتمّ وضعه في القسم العادي (غير ردهة المعتقلين) في مستشفى الكوفة. وبعد ذلك رجع إلى مستشفى النجف عند حوالي الساعة الثالثة من بعد الظهر[٤]. وقيل: إنّ الشيخ أحمد الوائلي والسيّد مصطفى جمال الدين رحمهما الله لعبا دوراً في إطلاق سراح السيّد الصدر رحمه الله إثر توسّطهما لدى محافظ كربلاء التي كانت تتبع لها النجف إداريّاً وقتئذ[٥].

وفي هذه الأثناء كان الشيخ عبّاس الأخلاقي قد وصل إلى بيته في حي كندة ـ وهو بيت الشيخ علي كوراني ـ وخرّ ساجداً وراح يدعو: «**يا ربّ خلّص السيّد الساعة الساعة**». وفي هذا الوقت دخل عليه ابن أحد مريدي السيّد رحمه الله وقال له: «**السيّد طلع**»[٦].

وقد بقي السيّد الصدر رحمه الله في مستشفى النجف ما يقرب من ثلاثة أيّام، حيث كان يتناوب على المبيت عنده مجموعةٌ من طلاّبه منهم: السيّد محمّد الغروي، السيّد محمود الخطيب[٧]، الشيخ محيي الدين المازندراني، السيّد محمّد الصدر رحمه الله والشيخ عفيف النابلسي[٨]، كما حضرت السيّدة بنت الهدى التي كانت تتحسّس فراش أخيها الذي وضع عليه في المستشفى مشيرةً إلى مدى العلاقة المميّزة التي تربط بينهما[٩].

وحول بعض ما جرة ودخول السيّد محمود الخطيب على السيّد الصدر رحمه الله يكتب السيّد عبد الغنبي الأردبيلي رحمه الله إلى الشيخ محمّد سعيد النعماني ما مسودّته:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أخي وعزيزي العلاّمة ثقة الإسلام والأهداف الكبرى الشيخ سعيد النعماني حفظه الله وحقّق فيه الآمال.

السلام عليكم ومن حضر لديكم من الأحبّة زنة شوقي إليكم وإلى الاجتماع بكم، وحرصي على سلامتكم وسرعة رجوعكم [إن] شاء الله.

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٢، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.

(٢) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٨١.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٢.

(٤) مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٦ ؛ لقاء مع السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م ؛ لقاء مع السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م.

(٥) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله).

(٦) حدّثني بذلك الشيخ عبّاس الأخلاقي في داره بتاريخ ٢٠٠٤/٤/١٦م.

(٧) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م.

(٨) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٤٥.

(٩) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٢ ـ ١٢٣، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.

وبعد، فقد تسلّمت رسالتكم المؤرّخة ٢٤ رمضان من الشيخ الخونساري حفظه الله بعد طول الانتظار وتلهّف كبير، وشوق إلى أخباركم، وذلك أنّ الرسالة وصلتني بعد عيد الفطر المبارك بأسبوع، فكملت بها فرحة العيد، وسرّني جدّاً ما يبشّرني عن صحّتكم واستقامة أحوالكم.

عزيزي! أنت وأنتم جميعاً بعين الله ما تعيشونه من مشاعر وانفعالات هي من أعظم ألوان العبادة في سبيل الله، و[أسأل] الله المولى سبحانه وتعالى أن يقرّ عيوننا باللقاء بعد هذه اللوعة، وبعودة الشمل [إن] شاء الله. وسوف يبقى ذكريات هذا الفراق عالقة مدى الحياة.

حبيبي! حينما كنّا مع الإخوان في خدمة السيّد في تلك الساعات المرّة التي مرّت علينا، كنّا نفكّر فيكم، لأنّ الأخبار سوف تنعكس إليكم بخلاف ما هو الواقع وأنّا عشنا مرارة الحياة حوالي ١٤ عشر ساعة، ولكنّكم عشتم تقريباً على أقلّ تقدير أسبوعاً واحداً.

لا يرينا الله ذلك اليوم أبداً.

عزيزي وحبيبي! حينما كتبت رسالة لشيخ برهان كنّا في حالة غير مريحة، لأنّنا كنّا نقاسي شتم المغرضين من ناحية، وحسد الحاسدين من ناحية أخرى، وانقطاع أخبار إخواننا وعدم اطّلاعهم [على] أحوالنا من ناحية ثالثة.

...

وفي الختام صحّتنا بخير: الصلاة ظهراً في حسينيّة [الشوشتريّة]، ووضع الدرس فقهاً وأصولاً حسن جدّاً فقهاً وأصولاً، والإخوان كلّهم بخير وليس هنا ألمٌ إلاّ ألم الفراق. وبلّغت سلامك للسيّد مدّ ظلّه وقبّلت أياديه الشريفة ودعا لك بالخير وحسن العاقبة.

عزيزي! في كلّ جمعة حينما أقدّم لبناً للسيّد أو يقدّمه أحد الإخوان نذكرك حينما كنت تقدّم اللبن للسيّد، ونتمنّى من الله سبحانه وتعالى أن ترجع إلى وطنك وتخدم السيّد [إن] شاء الله.

وأبشرّك أنّ السيّد محمود النعماني الخطيب كان له دورٌ كبيرٌ حينما كنّا في المستشفى، ودخل على السيّد في حين لم يكن يقدر أيّ شخص الدخول للسيّد، وحتّى السيّد مدّ ظلّه كان يعبّر عنه بالجوهرة، فكأنّ النعمانيّين كلّهم جوهرة، ويخصّك بالسلام السيّد الخطيب الجوهرة وسائر الأحبّة.

وأخيراً نهنّئكم بالزواج الميمون، ونسأل الله أن يرزقكم ولداً صالحاً وزواجاً مباركاً، بشّرنا بذلك الشيخ الخونساري.

الغني»[١].

السيّد الخوئي رحمه الله والعلماء يزورون السيّد الصدر رحمه الله

وفي مستشفى النجف قام بزيارته مجموعةٌ من العلماء على رأسهم السيّد الخوئي رحمه الله الذي زاره ومجموعة من طلاّبه[٢]، والسيّد نصر الله المستنبط رحمه الله[٣]، والسيّد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله[٤]، كما زاره الشيخ [علي] آل إسحاق ومجموعة من الطلاّب[٥].

---

(١) من تراث السيّد عبد الغني الأردبيلي (حفظه الله).

(٢) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٢، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري.

(٣) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٤) مقابلة مع السيّد كامل العميدي محفوظة عند أسرة السيّد الصدر رحمه الله، نقلاً عن السيّد علي السبزواري.

(٥) مقابلة مع الشيخ [علي] آل إسحاق (حفظه الله)

ولمّا لم يأتِ السيّد الخميني﵀ لعيادة السيّد الصدر﵀ قصد السيّد محمّد الغروي الشيخ [غلامرضا] رضواني ـ وهو أحد أصحاب السيّد الخميني﵀، وكان السيّد الغروي يدرس عنده كتاب (الأسفار) ـ وأطلعه على الموضوع وحبّب له أن يقوم السيّد الخميني﵀ بعيادة السيّد الصدر﵀، فإنّ ذلك سيكون مؤثّراً، فأجابه الشيخ الرضواني بأنّ مرض السيّد الصدر مرضٌ سياسيٌّ وليس مرضاً صحيّاً، وأنّ الهدف من وراء عيادة الناس السيّد الصدر هو تكبيره[1].

كما زاره في منتصف الليلة الثانية مدير أمن النجف ليهدّد من ناحية وليعتذر من ناحية أخرى[2].

أحد رجال الأمن يعتذر عمّا بدر منه

وبعد خروجه من الاعتقال أتاه أحد رجال الأمن معتذراً عمّا صدر منهم تجاهه فقال له السيّد﵀: «**إنّ الأبناء قد يسيئون إلى أبيهم، ولكنّ أبوّة الأب باقية**»[3].

إطلاق سراح السيّد محمّد باقر الحكيم﵀

أمّا السيّد محمّد باقر الحكيم﵀، فقد تمّ نقله كما قلنا إلى بغداد في تلك الليلة، وتعرّض إلى التعذيب حتّى طلوع الشمس تقريباً، وكان الاتّهام الرئيسي الذي وجّه ضدّه هو الانتماء إلى تنظيم سرّي هو حزب (الدعوة الإسلاميّة)، وطلب منه الاعتراف بأنّ قائد الحزب هو السيّد محمّد باقر الصدر. وبعد ظهر اليوم الذي أطلق فيه سراح السيّد الصدر﵀، أطلق سراح السيّد الحكيم﵀ ـ الذي لم يكن قد علم بإطلاق سراح السيّد الصدر﵀ ـ وتمّ الاعتذار منه على ما تعرّض له، إلاّ أنّه رفض الخروج من الاعتقال حتّى يتمّ رفع الاعتقال عن السيّد الصدر﵀ الذي كانوا يشتمونه أثناء التحقيق ويدّعون أنّه حاول الانتحار للتخلّص من نتائج التحقيق[4].

وبعد الإفراج عن السيّد الحكيم﵀، قام بزيارة السيّد الصدر﵀ في مستشفى النجف[5].

في ذكرى استشهاد الإمام الكاظم﵇

بعد أن تحسّنت حالة السيّد الصدر﵀ الصحيّة رجع إلى البيت وتوافد عليه الناس زائرين.

وقد استمرّ الأمر على هذا الوضع إلى أيام استشهاد الإمام موسى الكاظم﵇ في ٢٥/رجب/١٣٩٢هـ (١٩٧٢/٩/٤م) حيث أقام السيّد الصدر﵀ في بيته مأتماً كعادته في كلّ سنة، وكان المجلس يغصّ بالناس، وكان الخطيب هو السيّد جواد شبّر﵀[6].

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﵀). ويشير السيّد محمّد باقر الحكيم﵀ إلى أنّه نسب إلى الشيخ رضواني تحامله القاسي والشديد ذات مرّة على السيّد محسن الحكيم﵀ (مرجعيّة الإمام الحكيم.. نظرة تحليليّة شاملة: ٢٧٦).

(٢) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﵀) ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﵀).

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، ٣/ربيع الثاني/١٤٠٥هـ ؛ الإمام الصدر في سلوكه الأخلاقي: ١٥.

(٤) حزب الدعوة الإسلاميّة: ١٨١.

(٥) حدّثني بذلك السيّد الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٦) مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٦ ـ ١٠٧ ؛ وقد ذكره لي السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

وفي هذا المجلس تبرّع الشاعر الشيخ باقر الإيرواني بإنشاد بعض الأبيات، وبدأ قصيدته بقوله:

أضئ ظلمة الدنيا بعلمك مثلما أضاء لنا الدجى بطلعته البدرُ
رأيتك لم يعقد على الأرض مجلسٌ لأهل النهى إلاّ وكان لك الصدرُ[١]

فوقف السيّد الصدر رحمه الله وقال بحدّة: «**يا شيخ بطّل..لا تمدح واقطع الإطراء**».. «**امدح سيّد الشهداء واتركوا اسمي**»[٢].

نتائج الاعتقال

كان السيّد الصدر رحمه الله يقول: «**إنّ هذا الاعتقال قد أثّر في انشداد الأمّة إلينا أكثر من ذي قبل، وتصاعد تعاطفها معنا**». وكان المفهوم وقتئذ أنّ مرض السيّد الصدر رحمه الله كان رحمةً وسبباً لتأخير تنفيذ ما يريده البعثيّون من أخذه مخفوراً إلى بغداد، إلى أن اشتهرت القصّة وضجّ الناس واضطرّت الحكومة إلى إطلاق سراحه من دون الذهاب به إلى بغداد[٣].

تقول إحدى المقرّبات من بنت الهدى رحمها الله: إنّها خرجت تريد بيت السيّد الصدر رحمه الله بعد سماعها الخبر، فصادفت في طريقها إحدى المتديّنات وإذا بها تقول لها بفرحة: «**ألم أقل لك: إنّ محمّد باقر الصدر عنده حزب ويتدخّل بالسياسة، واليوم قد اعتقل ولكنّه حين أحسّ بقرب اعتقاله ابتلع كميّة من الحبوب وانتحر**». فعاتبتها على ذلك، فأبدت تأسّفها وقالت: إنّ ذلك ما سمعته من العائلة[٤].

وبعد هذه الحادثة كتب السيّد الصدر رحمه الله رسالةً إلى السيّد علي رضا الحائري اليزدي ذكر له فيها ما تعرّض له من أذىً في ذلك الاعتقال قائلاً:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ولدي وقرّة عيني الصفي الزكي الوفي، لا عدمتكم ولا حرمتكم، وبنفسي أنتم جميعاً.

السلامُ عليكم زنة قلبٍ أثقله شوقه وحنينه إلى أبنائه وأعزّائه، وها هي صور الأحبّة والأعزّاء من أولادي وصفوة أهلي أمامَ عيني وأنا أكتب هذه السطور إليك أيّها العزيز، بل إليكم جميعاً يا صفوتي ويا نتاجات أيّام خلت ويا آمال من لا يزال قائماً.

يا أولادي، لا تتصوّروا أنّكم تغيبون عن نفسي وقلبي أو أنّي أستطيع أن أنسى تلك اللحظات القاسيات الخالدات بأثرها ومضمونها في حياة أبيكم، فأيّ لحظات؟ لحظة ودّعت فيها عليّاً[٥]، ولحظة ودّعت فيها عزيزي السعيد[٦]، ولحظات أخرى ودّعت فيها إخوتكم في الله واحتسبتُ فيها فراق إخوة لكم في الله. إنّ هذا الزمن المرير ـ والحمد لله على كلِّ حال ـ أذاقني من مرارته ألواناً وأشكالاً من يُتمٍ

---

(١) ذكر لي أبيات الشعر السيّد علي أكبر الحائري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٧م ؛ وقد ورد في تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٣٢٣ نقلاً عن السيّد محمّد حسين الحائري مع يسير اختلاف، وما أثبتناه أكثر ضبطاً.

(٢) تلفيقاً بين ما ورد في: تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٣٢٣ نقلاً عن السيّد محمّد حسين الحائري وبين ما جاء في: خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٤٦. أمّا كون جوابه بحدّة، فقد سمعته من السيّد علي أكبر الحائري ؛ وانظر الإشارة إلى الحادثة في: وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٤٢.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ١٠٧.

(٤) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٩٣.

(٥) يقصد السيّد علي رضا الحائري نفسه.

(٦) يقصد الشيخ محمّد سعيد النعماني.

وغربة في الطفولة، وضيق وحرمان في الشباب، وأنواع من التحدّي والاستهانة والإصرار من أفراد وجماعات على الإيذاء والعداء، حتّى تُوجّت تلك التحدّيات والاستهانات بمرض أبيكم في رجب الذي قيد فيه كما يقاد المجرمون.

إنّ هذا الزمن الذي جرّعني كلّ هذه الغصص وقصّ جناحي من قبل فأفقدني في لحظة شقيقي الوحيد[1] ـ وإذا به يتداعى أمام عينيَّ فجأة ـ لم يستطع في كلّ ذلك أن يفرض عليّ الانهيار إلاّ في بضع لحظات فقط، إلاّ في لحظات من قبيل اللحظة التي ضممت فيها عليّاً وسعيداً وغيرهما من أهل بيتي أودّعهم وأنا لا أدري هل سوف يُقدَّر لي أن أراهم مرّة أخرى أم لا. لن تغيب عن ذاكرة الأب أبداً صورة ابنه يندب أباه في لحظة وداعه وهو حيّ؛ لأنّه فرض عليه فراقه فيودّعه ويودّع فيه وجوده، والأب ينتفض ألماً لانتفاضه وهو لا يملك له شيئاً في حساب الدنيا.

إنّها لحظاتٌ امتدّت بمرارتها وزعزعت بقسوتها، إنّها لحظاتٌ مريرة قاسية، ولكنّها هي اللحظات التي تصنع القلوب التي لا تنفصم وحدتها، والنفوس التي لا يتجزّأ كيانها، والأرواح التي لا تتخلّى عن ثباتها وقيمها في أحلك الظروف.

عدت الآن إلى ما كتبتُ فآلمني ما كتبت، فقد كانت شقشقة في لحظة ضعف عاطفيّة لم يستطع أبوكم أن يمسكها والقلم بيده، فانفجرت نفسي على هذه الورقة ولا أدري هل سوف أرسلها أو أبدّلها بورقة أخرى أكتبها في لحظة أكون فيها أكثر هدوءاً من الناحية العاطفيّة.

تسلّمت اليوم رسالتكم العزيزة وفرحتُ بها كثيراً، وقرأتها مراراً واستنطقتها كثيراً، وسرّني أنّها كانت شاملةً لأخبار الأهل والأحبّة حفظهم الله جميعاً، وآلمني أن تكون إجاباتي السابقة على رسائلكم العزيزة غير واصلة، وسوف نرسل هذه الرسالة بالبريد ولعلّها لا تصل أيضاً.

المؤسف أنّ رسالتكم المفصّلة إلى السيد الحائري لم تصل، ولا بدّ أنّ آقاي أوحدي حدّثكم عن الأحوال وصحّتنا جميعاً، كما أنّ أبا أحمد[2] وأبا جواد[3] وسيّد محمود[4] في طريقهم إلى زيارة أهلهم وأحبّتهم[5]، فأقتصر الآن على هذا المقدار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[6].

السيّد الصدر يوسّط السيّد الخوئي لإطلاق سراح الشيخ خالد العطيّة

تقدّم سابقاً أنّ الشيخ خالد العطيّة كان أحد المعتقلين من طلاّب السيّد الصدر[7]. وبعد إطلاق سراحه ذهب السيّد الصدر ومعه السيّد محمود الهاشمي إلى السيّد الخوئي للتوسّط في قضيّة إطلاق سراح الشيخ. وفي سياق الحديث قال السيّد الخوئي: «**جاءني السيّد محمّد الشيرازي (نجل السيّد مهدي الشيرازي) وقال: إنّ السيّد محمّد باقر الصدر أسّس حزباً إسلاميّاً، فقلتُ له: السيّد الصدر رجل فكر وعلم، فأكّد عليَّ مرّةً أخرى، فقلتُ له: إذا كان الصدر قد أسّس حزباً فسجّلني فيه عضواً**» وأردف كلامه قائلاً: «**تدرون، أنا تركي!**»[8].

---

(١) يقصد أخاه الأكبر السيّد إسماعيل الصدر.

(٢) يقصد السيّد عبد الهادي الشاهرودي.

(٣) يقصد السيّد كاظم الحائري.

(٤) ربّما يقصد السيّد محمود الهاشمي.

(٥) لم أقف على مراده من ذلك.

(٦) انظر الوثيقة رقم (١٦٧).

(٧) انظر مثلاً: شهيد الأمّة وشاهدها ٢: ٤٨.

(٨) نقل ذكر ذلك الدكتور جودت القزويني عن السيّد حسين محمّد هادي الصدر (الروض الخميل ـ مخطوط، الدكتور

ولادة (حوراء)

في ١٨/شعبان/١٣٩٢هـ (١٩٧٢/٩/٢٨م) رزق السيّد الصدر﵀ مولوده الخامس (حوراء) وهي رابعة بناته. وهي حرم الشهيد السيّد مؤمّل السيّد محمّد الصدر﵀، وكان والدها يلقّبها بـ(لقمان الحكيم). أولادها: علي وإشراق(١).

وقد ولدت حوراء ليلة فرح؛ فقد كانت السيّدة فاطمة مدعوّة لحضور حفل زفاف السيّد محمود الهاشمي، وكان حضورها في الحفل ـ رغم تعبها وثقلها ـ ممّا لا بدّ منه، لأنّهم كالبيت الواحد. في منتصف الحفل فاجأها الطلق، وأخذت إلى المستشفى، وهناك أنجبت حوراء. واضطرّت للبقاء في المستشفى أكثر من المعتاد، وذلك بسبب بعض الظروف الصحيّة. ولم يطق السيّد الصدر﵀ ابتعاد زوجته عن البيت لأكثر من يوم واحد، فأرسل لها مع أخته بنت الهدى هديّة ماليّة يعبّر بها عن حبّه وامتنانه، ومعها رسالة خطيّة ابتدأها بـ«**غاليتي الحبيبة...**»، ضمّنها تهنئته بالسلامة ودعاءه لها بالعافية، وطلب منها فيها مغادرة المستشفى، وأنّه سيقوم برعايتها وتوفير كلّ ما يلزم، فليس لـه صبر على الفراق(٢).

قبر السفير الرابع

أخبر أحدُ الأشخاص السيّد الصدر﵀ بأنّ البعثيّين حوّلوا جامع النائب الرابع [محمّد بن علي السمري﵁] إلى دكاكين ومحلاّت، حتّى أنّ منارة المسجد صارت في إحدى الدكاكين. فأرسل﵀ السيّد حسين هادي الصدر وطلب منه متابعة الموضوع والتقصّي عن حقيقة الخبر، ثمّ تحدّث معه وقال ما ملخّصه: «**إنّ الاهتمام بمثل هذه القبور يؤكّد حقيقتين: أولاهما: أنّ وجود قبور النوّاب الأربعة في بغداد يعكس عراقة التشيّع في هذه المدينة، فإذا قضوا [عليها] قضوا على ذلك التاريخ الشاهد أمام أنظارهم. والحقيقة الثانية: وجود هذه القبور يثبت الحقيقة التاريخيّة بوجود الإمام المهدي﵇، وهو شاهد عيان على صدق ذلك التاريخ وشاهدُ إثبات على وجود الإمام صاحب الزمان**». ثمّ عقّب على ذلك: «**إنّ هذا العمل الوحشيَّ لم يقع حتّى في البلدان الأوروبيّة، والعادة جرت في البلدان الكافرة [على] تحويل المساجد إلى متاحف وتراث، أمّا البعثيّون فإنّهم يحاولون طمس معالم التاريخ الإسلامي بكلِّ جهدهم وبالمقدار الذي يستطيعونه**». وقد تابع السيّد حسين الموضوع ووجد أنّهم قاموا بذلك فعلاً(٣).

تدبير السيّد الصدر﵀ زيارة زيد حيدر

عند محاولة السلطة تسفير الشيخ إسماعيل الخطيب، وفي محاولة من أصدقائه للحيلولة دون

جودت القزويني ٨: ١٤٣ ـ ١٤٤). ويقصد السيّد الخوئي﵀ من قوله (تدرون أنا تركي) أنّ له حدّة في المزاج ؛ وانظر الإشارة إلى الواقعة في: مقابلة (١) مع الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري، نقلاً عن السيّد الصدر﵀ (﵁) ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٢٣٢ ؛ محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٩٥، نقلاً عن الشيخ محمّد إبراهيم الأنصاري.

(١) تقدّم تعداد أولاد السيّد الصدر﵀ ضمن الفصل الرابع.

(٢) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٥٠.

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، ٢٥/ربيع الأوّل/١٤٠٥هـ، نقلاً عن السيّد حسين هادي الصدر ؛ مقابلة (٢) مع السيّد حسين هادي الصدر (﵁).

وقوع ذلك، تذكّر الشيخ أديب حيدر بأنه كان قد سمع أنّ شخصاً من عائلتهم يملك نفوذاً في سلطة البعث العراقي. وكانت هذه المناسبة هي الأولى التي يتعرّف فيها الشيخ أديب حيدر على زيد حيدر عضو القيادة القوميّة لحزب البعث.

وبعد أن تمّ التضييق على النجف عموماً وعلى السيّد الصدر﵀ خصوصاً، فكّر السيّد الصدر﵀ بتحريك السلطة نحو زيارة النجف بهدف التخفيف من حدّة الضغط المخيّم على جوّ النجف، ومن هذا المنطلق توجّه إلى الشيخ أديب حيدر قائلاً: «**هل تستطيع أن تحضر زيد حيدر إلى النجف؟!**»، فقال له: «**أنا لا أحبُّ زيارته، ولكن إذا رغبتم في ذلك أذهب**»، فأوصاه السيّد الصدر﵀ قائلاً: «**لا تدعه يعرف أن هناك مرجعيّة أخرى في النجف، بل قل إنّ المرجع في النجف هو السيّد الخوئي، وبعد انتهاء زيارته أحضره إليّ**». وكان في نيّتهم أن يقوم زيد حيدر بزيارة السيّد الخوئي والسيّد الخميني، إلاّ أنّ السيّد الخميني﵀ رفض ذلك[1].

وربّما في هذه الحادثة كان الشيخ أديب حيدر يلبس عباءة (خاجيّة) وكان فيها بعض الثقوب، وعندما همّ بالخروج استدعاه السيّد الصدر﵀ وقال له: «**إنّ هذه العباءة غير مناسبة للذهاب لهؤلاء الناس، وأنا لا أريد أن يظهر الطلبة بموقف أضعف، ويجب أن يكون موقفكم الأعلى**»، فقال الشيخ: «**إنّها عباءة جيّدة**»، إلاّ أن السيّد﵀ أعطاه اثني عشر ديناراً وقال له: «**اذهب إلى الحاج شهيد كي يزوّدك بأجود عباءة**»[2].

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م ؛ وانظر: صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديث مع الشيخ أديب حيدر.

(٢) صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٥)، ١٩/رمضان/١٤١٠هـ في حديث مع الشيخ أديب حيدر. ولم يصرّح الشيخ أديب حيدر بأنّ ذلك كان أثناء زيارته زيد حيدر، ولكنّنا احتملنا ذلك احتمالاً، خاصّةً وأنّ ذهابه إلى زيد حيدر كان في شهر آب ـ أيلول وأنّ عباءة الشيخ أديب كانت صيفيّة (خاجيّة).

وهنا أشير إلى أمور:

١ ـ حول تاريخ هذه الزيارة: ذكر لي الشيخ أديب حيدر أنّ زيارة زيد حيدر جاءت بعد اعتقال الشيخ عارف البصري ورفاقه سنة ١٣٩٤هـ وبهدف الإفراج عنهم. وقريبٌ منه ما ذكره الشيخ عفيف النابلسي (خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٤٩). وإذا ضممنا إلى ذلك تصريح السيّد الصدر﵀ في رسالة له إلى السيّد علي رضا الحائري بأنّ اعتقاله كان في شهر رجب، فهذا يعني أنّ زيارة زيد حيدر كانت بعد رجب/١٣٩٤هـ.

وربّما أيدّ ذلك ما جاء في تقرير المخابرات الإيرانيّة في الوثيقة رقم (١٦٨) بتاريخ ١٣٥٣/٥/٣١هـ ش (١٩٧٤/٨/٢٢م = ٣/شعبان/١٣٩٤هـ) من أنّ السلطة عطّلت درس السيّد الصدر﵀ في شهر شعبان/١٣٩٤هـ.

ولكن في النفس من ذلك شيء، فإنّ اعتقال الشيخ عارف البصري كان في ٢٦/جمادى الثانية/١٣٩٤هـ، ونحن نعلم أنّ السيّد كاظم الحائري خرج من العراق إلى إيران في ٢٨/جمادى الأولى/١٣٩٤هـ مع أنه كان حاضراً في الجلسة (مقدّمة مباحث الأصول: ٥٣)، وكذلك السيّد محمّد الغروي الذي انتقل إلى البحرين بُعيد انتقال السيّد الحائري. وقد ذكر لي السيّد علي أكبر الحائري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٧م أنّه لم يكن حين الحادثة قد التحق ببحث الخارج الذي التحق به سنة ١٣٩٣هـ. وربّما وقع التباسٌ بين هذه الزيارة وبين استدعاء السيّد الصدر﵀ زيد حيدر ليبلّغه استنكاره الشديد على قرار إعدام الشيخ عارف ورفاقه (انظر أحداث سنة ١٣٩٤هـ).

ثمّ إنّ المفهوم من سياق البحث في بعض المصادر أنّ اعتقال السيّد الصدر﵀ عام ١٣٩٢هـ كان بعيد زيارة زيد حيدر (انظر: الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٠٥)، بل نصّت مصادر أخرى على ذلك (الصدر وصدّام.. الإنسانيّة في مواجهة الهمجيّة: ٦٣٤).

زيارة زيد حيدر كربلاء والكوفة والنجف الأشرف

وقد بدأ برنامج الزيارة ـ التي احتملنا أنّها كانت في أواخر شهر شعبان ـ بالجانب الرسمي منها، حيث زار زيد حيدر كربلاء وبرفقته محافظ كربلاء عبد الرزّاق الحبّوبي.

لكنّ الشيخ محمّد رضا النعماني ذكر أنّ زيارة زيد حيدر أدّت إلى عودة الأمور إلى طبيعتها بالتدريج (شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨٢)، وقد ذكر لي قريباً منه الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠٤م، ومن الواضح أنّ هذا لا يتناسب مع وقوع الاعتقال الأوّل بعد الزيارة، ومن هنا بنينا على أنّ العكس هو الصحيح، وهو أنّ زيارة زيد حيدر كانت بعد الاعتقال الأوّل.

وإذا صحّ ما سنحتمله لاحقاً في المتن من أنّ الحبّوبي قدّم المصحف الموقّع من قبل البكر إلى السيّد الصدر(رحمه الله) في هذه الزيارة ـ خاصّةً وأنّنا لم نسمع أنّ الحبّوبي زار السيّد الصدر(رحمه الله) مرّتين ـ فهذا يعني أنّ الزيارة كانت في شهر رمضان المبارك، بل في أواخر شهر شعبان وعلى أعتاب شهر رمضان المبارك إذا علمت أنّ الطلبة اللبنانيّين استضافوا زيد حيدر عصراً وقد اشتملت الضيافة على أنواعٍ من المأكولات على ما ذكره لي الشيخ حسن طراد. وهذا يؤكّد تقدّم الاعتقال الأوّل ـ الذي وقع في رجب/١٣٩٢هـ ـ على الزيارة التي وقعت في آخر شعبان/١٣٩٢هـ.

ثم إنّ الشيخ أديب حيدر ذكر أنّ الجانب الرسمي من الزيارة كان بتغطية الإعلام والصحافيّين، ولو تيسّر الاطّلاع على تاريخ الزيارة من خلال الصحف لهان الأمر، ولكنّ ذلك لم يتيسّر.

وعلى أيّة حال فإنّ زيارة زيد حيدر كانت سنة ١٣٩٢هـ [انظر: صحيفة (الجهاد)، العدد (١٨١)، ١٧/رجب/١٤٠٥هـ]، وفي آخر شهر شعبان على ما يبدو.

٢ ـ حول المُخطَّط للزيارة: المفهوم من كلمات مختلف المصادر أنّ زيارة زيد حيدر كانت مبادرة من السلطة إمّا ممارسةً للضغط على السيّد الصدر(رحمه الله) كما يفهم من بعضها، وإمّا رضوخاً لقوّته كما يفهم من البعض الآخر (انظر: الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٠٥ ؛ الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيّام الحصار: ١٧٩ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨١ ؛ الإمام الصدر.. سيرة ذاتيّة: ٩٦ ؛ الشاهد الشهيد، تحت عنوان (المرحلة الثانية) ؛ سبحات روحيّة في سيرة الإمام الشهيد الصدر: ٨٧ ؛ الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلاميّة في العراق: ٤٩ ؛ الصدر وصدّام.. الإنسانيّة في مواجهة الهمجيّة: ٦٣٤ ؛ خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٥٠).

ولكنّ الشيخ أديب حيدر ـ الذي تولّى مهمّة دعوة زيد حيدر ـ ذكر لي ما أثبتناه في المتن (وانظر ما يفهم منه ذلك في: تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٣٢).

وأنا أحتمل أنّ زيارة زيد حيدر لمّا كانت بعد الاعتقال بحوالي شهرين، فقد فهم الأصحاب من ذلك أنّها جاءت في السياق نفسه، سياق الضغط والإرهاب. وليس هناك ما يشير إلى أنّ ما ذهبوا إليه مبنيٌّ على معلومات حسيّة، بخلاف ما ذكره الشيخ أديب حيدر، فنقدّم كلامه على كلامهم وإن فاقوه عدداً، وذلك من باب تقديم المستفاد حسّاً على المستفاد حدساً.

هذا إضافةً إلى أنّ السيّد الصدر(رحمه الله) تقدّم في الجلسة ـ كما سترى إن شاء الله تعالى ـ بمجموعة من المطالب، وكان زيد حيدر منصتاً في معظم الجلسة ولم يتكلّم إلاّ في البداية، وهذا يتناسب مع كون السيّد الصدر(رحمه الله) هو صاحب الفكرة.

٣ ـ إنّ زيد حيدر ليس ابن عمّ الشيخ أديب حيدر المباشر كما ربّما يُفهم من كلام الشيخ محمّد رضا النعماني (شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨١)، وليس شقيقه كما جاء في مصادر أخرى (محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٣٣)، بل هو من عائلته في حسب، وهو من أصل لبناني يحمل الجنسيّة السوريّة ويسكن الآن في الأردن على ما ذكره لي الشيخ أديب حيدر، ولكنّه ذكر في مورد آخر أنّه قريبه جدّاً قرابة لازمة، وأنّه لبناني [صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديث مع الشيخ أديب حيدر].

٤ ـ اختلفت وجهات النظر بالنسبة إلى شخص زيد حيدر، والمصادر التي قرأتها تتعامل معه بأجمعها كما تتعامل مع غيره من قياديّي السلطة، ولكنّ الشيخ أديب حيدر نقل لي بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠٤م أنّ السيّد الصدر(رحمه الله) كان يعبّر عنه بـ(الدكتور النبيل) وكان يستفيد من موقعه في السلطة.

وبعد زيارة كربلاء زار زيد حيدر الكوفة، فطلبت منه الشيخ أديب حيدر زيارة السيّد الخوئي رحمه الله ولقاء عميد كليّة الفقه في النجف السيّد هادي الفيّاض ـ وكان السيّد محمّد تقي الحكيم أستاذاً في الكليّة ـ إضافةً إلى برنامج معدٍّ لبعض المكاتب.

بعد ذلك انتقل الوفد إلى بيت السيّد الخوئي رحمه الله في الكوفة ودارت أحاديث مختلفة، ثمّ عقدت خلوة تبنّى الحديث فيها السيّد جمال الدين الخوئي رحمه الله، ولم يعلم الشيخ أديب ماذا دار في الجلسة ولكنّ زيد حيدر أخبره بأنّ الانطباع كان أقلّ ممّا يريد[١].

زيارة زيد حيدر السيّد الصدر رحمه الله

وبعد انتهاء الجانب الرسمي من الزيارة، قام الوفد بصرف الصحافيّين والإعلاميّين واستقلّ سيّارةً حملته إلى بيت السيّد الصدر رحمه الله في النجف الأشرف[٢].

قبل زيارة زيد حيدر كان مستوى الشخصيّات الحكوميّة التي تزوره منحصرة تقريباً بمدير أمن النجف أو القائمقام، وحتّى هؤلاء لم تكن زياراتهم وديّة، بل كانت تتمّ ضمن مخطّط وأهداف معيّنة. إلاّ أنّ زيارة زيد حيدر قلبت الموازين، وشكّلت منعطفاً كبيراً في هذا المجال.

جاء زيد حيدر وهو لا يحمل مطلباً معيّناً ولا اقتراحاً خاصّاً، وقد ظلّ ساكتاً طيلة مدّة الزيارة مستمعاً فقط للسيّد الصدر رحمه الله وهو يتحدّث[٣]، اللهمّ إلاّ بدايات الحديث.

دخل السيّد الصدر رحمه الله الغرفة وكان فيها زيد حيدر، بينما كان عبد الرزّاق الحبوبّي يؤدّي الصلاة، ثمّ دخل بعد فراغه منها[٤]. وقد حضر المجلس: السيّد كاظم الحائري، السيّد محمّد الغروي، السيّد محمود الخطيب والشيخ أديب حيدر، وفي أثناء الجلسة دخل السيّد محمود الهاشمي، السيّد عبد الهادي الشاهرودي والشيخ محيي الدين المازندراني[٥] والشيخ عفيف النابلسي[٦]، وربّما السيّد صدر الدين القبانجي[٧]، وكذلك الشهيد السيّد محمّد الصدر رحمه الله الذي طلب من الشيخ عبد الحليم الزهيري الحضور، إلاّ أنّ الأخير عندما حضر قوبل بصدٍّ من قبل بعض أفراد جهاز السيّد الصدر رحمه الله، فعرف أنّ هناك رغبة بعدم حضوره، ولكنّ السيّد محمّد الصدر رحمه الله والسيّد الصدر رحمه الله على حدٍّ سواء سألاه بعد

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م ؛ وانظر: صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديث مع الشيخ أديب حيدر، مع يسير تفاوت.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨١.

(٤) ذكر الشيخ النعماني أنّ الحبّوبي كان يتظاهر بالصلاة، ثمّ دخل خجلاً ليوحي للسيّد الصدر رحمه الله بشدّة حيائه من تأخيره الصلاة إلى وقت العصر.

(٥) استفدنا هذه الأسماء من: مقدّمة مباحث الأصول: ٥٣ ؛ مقابلة مع الشيخ محيي الدين المازندراني (دام ظلّه) ؛ لقاء مع السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م ؛ لقاء مع السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م. وقد ذكر السيّد الغروي أنّه لم يحضر من أوّل الجلسة سوى هو والسيّد الخطيب والشيخ أديب حيدر، وأثناء الجلسة دخل آخرون لا يذكر أسماءهم، فأثبتنا أسماءهم ممّا ذكره الآخرون.

(٦) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٥٢ ـ ٥٣.

(٧) احتمل ذلك الشيخ أديب حيدر في لقاء معه بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

ذلك عن سبب عدم حضوره، وقام السيّد الصدر‏ بإطلاعه على ما حدث في الجلسة[١]. ويُفترض أن يكون الشيخ محمّد رضا النعماني حاضراً كذلك.

قيل: إنّ زيد حيدر بدأ حديثه بإلقاء اللوم على السيّد الصدر‏ لعدم زيارته القيادة، وقال: «**لماذا لا تزور القيادة؟**»[٢]. وقد أجابه السيّد الصدر‏: «**قال رسول الله ‏ : إذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فنعم العلماء ونعم الملوك، وإذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فبئس العلماء وبئس الملوك**»[٣].

وقيل: إنّ السيّد الصدر‏ هو الذي بدأ حديثه قائلاً: «[**لماذا يأتي الحكّام ـ وسمّى منهم أحمد حسن البكر ـ إلى النجف الأشرف ولا يزورون هؤلاء الدراويش؟!**][٤]، **إنّنا جماعة دراويش لا نريد منكم السلطان ولا الحكم، ولو أفرغتم لي بغداد الآن لما طلبتُ السلطة. الناس تخاف منكم أنتم أصحاب السلطة، بينما نحن العلماء مؤشّر عواطف الناس، فلماذا لا تسألونا ولا تزورونا، لماذا تأتون إلى النجف ولا تزورونا. أنتم تصفونا بأنّنا رجعيّون نصدّر فتاوى بكفركم، ولكنّكم إذا أنصفتم الناس وأوصلتم إليهم حقوقهم، تتحقّق مطالبنا وتنتهي مشاكلنا، فليس هناك حربٌ بيننا وبينكم، [نحن لسنا طلاّب سلطة بل نريد مصلحة هذا الشعب]**[٥]»[٦].

وراح السيّد الصدر‏ ولمدّة ساعة يشرح لزيد حيدر فكرة فصل الدين عن الدولة، وظروف نشوئها وتطوّرها، والفرق حول هذه المسألة بين الإسلام وبين الغرب، وكيف أنّ هذه الفكرة في الإسلام غير متعقّلة. وكان زيد حيدر يسمع باندهاش ولا ينطق بكلمة[٧].

---

(١) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٢٧، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري. وفيه: «..صدرتُ من قبل بعض أفراد جهاز الشهيد الصدر..»، ولعلّ الصحيح: «طردت» بل «صددت».

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٠٦ ؛ لقاء مع السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م ؛ وقد حدّثني السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م أنّ زيد حيدر أبدى نوعاً من العنجهيّة في كلامه بهدف إلقاء الرعب في قلب السيّد الصدر‏.

(٣) الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار: ١٨٠ ؛ شهيد الأمة و شاهدها ١: ٢٨١. أمّا الحديث الذي ذكره السيّد الصدر‏ فلم نعثر عليه بهذه الصيغة في مجامع الأحاديث الشيعيّة والسنيّة على حدٍّ سواء، وإن كان من الممكن تصيّد معناه من بعض ما عثرنا عليه في أحاديث أئمّتنا‏، وكذلك عند أهل السنّة. وقد عبّر عنه السيّد محسن الأمين‏ بالـ(مأثور) (أعيان الشيعة ٣: ٦٤)، وقد نقله عنه الشيخ عبّاس القمّي في ترجمة (ابن خاتون) من كتاب (الكنى والألقاب)، ولم يُخرجَّ الحديث في الطبعة الجديدة المحقّقة (الكنى والألقاب، ط جماعة المدرّسين ١: ٣٢٣)، فكأنّه بهذه الصيغة من المشهورات التي لا أصل لها، بل لعلّه للحكماء كما يبدو لي وليس للنبي‏. وعلى أيّة حال، فقد ورد قريبٌ منه في كشكول الشيخ البهائي‏، حيث قال: «وفي كلام القدماء من الحكماء: شرّ العلماء من لازم الملوك، وخيرُ الملوك من لازم العلماء» (الكشكول ١: ١٣٩). وقد نقل عند أهل السنّة عنه‏: «شرار العلماء الذين يأتون الأمراء، وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء» (إحياء علوم الدين ١: ٩٧)، وجاء في كلام بعضهم: «قعود العلماء عن أبواب الملوك زيادة في نور علمهم، وكثرة غشيانهم إيّاهم غشاوة على قلوبهم» (روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ضمن الموسوعة الشعريّة: ٥٨٦).

(٤) ما بين [] من: صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديث مع الشيخ أديب حيدر.

(٥) ما بين [] من: صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديثٍ مع الشيخ أديب حيدر.

(٦) ذكر لي ذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م. ومن الملاحظ أنّ (القولَ الأوّل) ينسجم مع كون زيارة زيد حيدر بمبادرة السلطة، بينما ينسجم (القول الثاني) مع كون السيّد الصدر‏ هو صاحب المبادرة.

(٧) ذكر لي الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م أنّ زيد حيدر كان في زيارة له إلى لبنان بعد زوال حكم البعث في

وتحدّث السيّد الصدر﵀ عن دور الحوزة العلميّة وقيادة العلماء ودورها في المجتمع وفي تحريك الأمّة، وبدأ يسرد الحوادث التاريخيّة ويتحدّث عن قيادة العلماء في ثورة العشرين مثلاً ومواقف العلماء من الاستعمار، وذكر السيّد عبد الحسين شرف الدين﵀ ودوره في مقاومة الاستعمار الفرنسي في لبنان. ثمّ قال ما معناه: «**إذا كنتَ أنت وحكومتك لك سلطانٌ على أجساد الناس فإنّ لي سلطاناً على أرواحهم وضمائرهم، فعليكم أن تعرفوا من أنتم ومن أنا.. إنّ رجل الدين في أوروبا غيره في الإسلام، فلا تختلط عليكم التصوّرات وكونوا على حذر**»[(١)].

ثمّ تحدّث عن قدرة العلماء على تحريك الجماهير ضدّ الأنظمة وأوحى لهم بقدرته على ذلك، فذكر لهم﵀ أنّ الكثير من أبناء الأمّة يسألونه عن مسألة الالتزام بالدوام في دوائر ومؤسّسات الدولة وجواز الإضرار بمؤسّسات النظام ودوائره، وعن حليّة سرقة أموال الدولة، ثمّ قال: «**إنّ الإفتاء بجواز ذلك سيؤثّر على الدولة ويربكها**»، وبذلك أراد السيّد الصدر﵀ أن يوحي للنظام أنّه قادرٌ على محاربته حتّى بأيسر الوسائل وعبر الكلام والإفتاء فقط[(٢)].

ثمّ تحدّث﵀ عن جملة من المؤاخذات على الدولة بالقدر الذي تسمح به الظروف يومذاك[(٣)]، واستعرض ممارسات النظّام وأشار إلى أنّ الحوزة العلميّة جامعة إسلاميّة يفد إليها الطلاّب من مختلف أنحاء العالم، وهي ذات فائدة ثقافيّة وعلميّة ودينيّة، فلماذا تقوم السلطة بتهجير الطلاّب؟![(٤)].

وبيّن﵀ أنّ الدولة حاليّاً لا تتعاون مع العلماء حتّى في المسائل الشرعيّة، فإنّ مذبحاً كبيراً في بغداد غير موجّه إلى القبلة، وماذا يضرّ الدولة إذا كان المذبح موجّهاً إلى القبلة، بينما إذا كان الذبح غير شرعيٍّ فسوف لن تُشترى كثيرٌ من اللحوم.

يقول السيّد الصدر﵀: وفي هذا المقطع من الحديث التفت الحبّوبي قائلاً: «**إنّي أتعجّب أن يكون الذبح هنا غير شرعي، علماً بأنّي عندما أسافر إلى الخارج أحاول الحصول على لحمٍ مذبوحٍ على الطريقة الإسلاميّة، فكيف يكون ذبح العراق غير شرعي؟!**».

وبعد ذلك تحدّث السيّد الصدر﵀ عن محاولة الدولة شقّ طريق يقتضي بموجبه أو اقتضى تهديم مقام [محمّد بن علي السمري]﵁ أحد نواب الإمام المهدي﵇ [وسفيره الرابع]، وللشيعة

العراق، وفي تلك الفترة عرض تلفزيون المنار مقابلةً مع الدفّان زهير العميدي الذي تحدّث عن نقل جثمان السيّد الصدر﵀ وبقاء جثّته كما هي (راجع الفصل الأخير من الكتاب)، فاتّصل زيد حيدر بالشيخ أديب وسأله: «هل الصدر الذي عرضوه على تلفزيون المنار هو نفسه الصدر الذي زرناه أم الثاني؟!»، فأجابه: «بل الذي زرناه»، فقال له: «هل تذكر كيف تحدّث لمدّة ساعة وأنا أصغي إليه لا أنطق بكلمة؟!»، فقال له الشيخ أديب: «نعم، لقد لاحظتُ ذلك»، فقال له: «لا تتصوّر أنّني لم أكن أملك ما أقوله له، ولكن كلّما أردتُ مقاطعته شعرتُ أنّ فيه طيفاً من نبيٍّ أو وليٍّ أو أنّ فيه سرّاً، فكنتُ أتراجع، والآن بعد شاهدتُ هذا البرنامج عبر شاشة المنار أدركتُ أنّني لم أكن مخطئاً».

(١) انظر: الشاهد الشهيد/المرحلة الثانية ؛ الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلاميّة في العراق: ٤٩. وإن صحّ النقلُ فالمعنى مجازي.

(٢) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٠٦.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٥٣.

(٤) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديثٍ مع السيّد محمّد الغروي.

ارتباطٌ تاريخيٌّ بهذا المكان والآن بعض أجزاء مقامه عبارة عن محلاّت ودكاكين(١)، فتعجّب زيد حيدر من ذلك وقال إنّه غير مسبوق بذلك، فأعطاه السيّد الصدر﵀ العنوان(٢).

كما تحدّث عن بعض الأعمال العدوانيّة المقصودة ضدّ الأحكام والمشاعر الإسلاميّة وأعراف المسلمين. ثمّ قال: «**إنّ الدولة لو أرادت أن تعرف آراء الشعب ونظريّاته، يجب أن تراجع العلماء فإنّهم معدن أسرار الأمّة ومحطّ ثقتها ولسانها**»(٣). وقال: «**إنّ العلماء هم المؤشر الحقيقي الذي يعكس بأمانة مطالب الشعب ورغباته، إنّ المواطن لا يتحرّج من البوح بما في نفسه أمام العالِم، بينما لا يفعل ذلك أمام الدولة، فإذا أردتم معرفة مطالب الشعب الحقيقيّة ورغباته المشروعة، فعليكم بمراجعة العلماء والاستفسار منهم**»(٤).

هنا يلتفت الحبّوبي ويقول للسيّد الصدر﵀: «**سيّدنا لماذا لا تصبح فقيهَ الحزب؟!**»، فأجابه السيّد الصدر﵀ بحديّة: «**ابني، أنا فقيه الأمّة، إذا أصير فقيه الحزب أصبح بوقاً من أبواقكم لا أنفعكم ولا أنفع نفسي**»(٥).

ومن جملة الأمور التي ذكرها زيد حيدر اعتراضه على وجود شكل (نجمة داوود) في قفص ضريح الإمام علي﵇، وقد استغرب السيّد الصدر﵀ من ذلك حيث لم يكن مسبوقاً به(٦).

وربّما في هذا اللقاء سأل زيد حيدر السيّد الصدر﵀ عن رأيه في الأحزاب الإسلاميّة فأجاب بما معناه: «**إنّنا نؤيّدها لأنّها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر**»(٧).

وفي آخر الجلسة على ما يبدو طلب الشيخ أديب حيدر من السيّد محمود [الخطيب] إحضار بعض كتب السيّد الصدر﵀ من أجل تقديمها إلى الوفد، فقدّموا له فلسفتنا [/اقتصادنا]، فأمسك الحبّوبي كتاب (فلسفتنا) وقال: «**[يا سيادة الدكتور!] هذا الكتاب هزّ نظامنا**»(٨)، ولكنّ زيد حيدر وعد

---

(١) انظر مثلاً: مقدّمة مباحث الأصول: ٥٣ ـ ٥٤ ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد محمّد الغروي. وفي المصدر الأوّل: «الحسين بن روح». ولكنّ السيّد محمّد الغروي ذكر لي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م أنّ المراد قبر عثمان بن سعيد العمري﵁ في سوق الخفّافين حيث أريد تحويل الجامع إلى سوق [وانظر أيضاً: مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﴿﴾)]. بينما يذكر السيّد عبد الهادي الشاهرودي أنّ السيّد الصدر﵀ كان يحاول إقناع زيد حيدر بإعادة بناء قبر النائب الرابع للإمام المهدي﵊ الواقع في سوق (الشورجة). [مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (﴿﴾)] ؛ إضافةً إلى ما تقدّم نقله في الكتاب قبل الحديث عن زيارة زيد حيدر.

(٢) مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﴿﴾).

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٥٤.

(٤) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨١.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م ؛ وانظره في: صحيفة لواء الصدر، العدد (٤٤٤)، ١٢/رمضان/١٤١٠هـ في حديث مع الشيخ أديب حيدر ؛ وانظر قريباً منه في: مقدّمة مباحث الأصول: ٥٣ ؛ الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٠٦، حيث جاء أنّ الحبّوبي قال: «انظروا إلى هذا الرجل كيف يتكلّم بكلام لطيف، فلنجعله عالماً للبعثيّين»، فأجابه السيّد الصدر﵀: «أنا عالم المسلمين ولست عالم البعثيّين».

(٦) حدّثني بهذه الفقرة السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م. وقد علّق أحد الحاضرين الحاج حسن حمّودي على كلام السيّد الغروي بأنّه قد عاين النجمة ووجد أنّها ليست سداسيّة ؛ وانظر: مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (﴿﴾).

(٧) الإمام الصدر في مواقفه السياسيّة: ٢٥.

(٨) حدّثني بذلك السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٢٥م ؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في

بقراءتها[١].

وقام الحبّوبي في هذه الزيارة ـ على الأرجح ـ بتقديم نسخة من المصحف المرصّع الموقّع من قبل أحمد حسن البكر هديّة إلى السيّد الصدر رحمه الله[٢].

مغادرة زيد حيدر

بعد انتهاء الزيارة ومغادرة زيد حيدر، توجّه الأخير إلى الشيخ أديب حيدر وقال له عند الباب: «**أنت قلتَ لي: إنّ ذاك هو المرجع ـ ويقصد السيّد الخوئي رحمه الله ـ ولكنْ هذا هو المرجع، هذا يطمح أن يكون مرجعاً للدنيا**»[٣].

ثمّ قصد منزل الشيخ مفيد الفقيه حيث عقد جلسةً مع الطلبة اللبنانيّين عند الساعة الخامسة عصراً، وكان المتحدّث باسم اللبنانيّين الشيخ حسن طراد الذي قدّم فكرةً موجزةً عن ثوريّة الحوزة ومقاومة المحتلّ وثورة العشرين، ثمّ ختم كلامه بأبيات شعريّة في وصف الوفد ومدحه. وقد سأل الوفد عن أساتذة الحوزة، هل العرب هم الأكثريّة أم الفرس، فقيل له الفرس، فساءه ذلك وغيّر الموضوع[٤].

وقد تقدّم جملةٌ من الطلبة بتقرير إلى السلطات جاء فيه أنّ زيد حيدر زار مسؤول حزب الدعوة، فعوتب زيد حيدر في بغداد علّى هذه الزيارة، وحُرم بعد ذلك من المناصب العليا[٥].

لقد نُقل فيما بعد أنّ زيد حيدر اعترف أمام قيادته في بغداد بأنّ السيّد الصدر مفكّرٌ عربيٌّ من طراز فريد، وأنّه يستطيع تدوين قوانين دولة في مدّة يسيرة من الزمن.

وعلى كلٍّ حال فقد انتشر خبر زيارة زيد حيدر، وقد فاجأ ذلك تلك الأوساط التي استغلّت حالة العداء بين السيّد الصدر رحمه الله وبين السلطة، وبدأ سوط الرعب الذي يحرّكونه متّى أرادوا هزيلاً لا يقوى على إخافة أحد، فكثر تردّد الناس، وعادت الأمور بالتدريج إلى حالتها الطبيعيّة[٦].

انقسام طلّاب السيّد الصدر رحمه الله حول الموقف من زيارة زيد حيدر

لقد أثارت زيارة زيد حيدر انزعاج بعض أصحاب السيّد الصدر رحمه الله وهم لا يعلمون أنّه هو

حديث مع السيّد محمّد الغروي ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله) ؛ مقابلة مع السيّد محمّد الغروي (حفظه الله) ؛ وما بين [] من: ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (حفظه الله). وفي بعض المصادر الأخرى (اقتصادنا) بدل (فلسفتنا).

(١) صحيفة (الجهاد)، العدد (١٣١)، ٧/رجب/١٤٠٤هـ في حديث مع السيّد محمّد الغروي. وما بين [] منه.

(٢) ذكر الشيخ عفيف النابلسي أنّ الحبّوبي زار السيّد الخوئي والشهيد الصدر رحمهما الله في شهر رمضان المبارك (خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٤٩)، وحيث لم أسمع بأنّ الحبّوبي زار السيّد الصدر رحمه الله في غير الزيارة التي رافق فيها زيد حيدر، أثبتنا الحادثة هنا. ومن هنا أيضاً استقربنا أنّ زيارة زيد حيدر كانت أواخر شعبان/١٣٩٢هـ كما تقدّم.

(٣) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠٤م.

(٤) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٥٤.

(٥) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٠٤م.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨٢.

صاحب الفكرة[١]، وكان عددٌ منهم يستغرب هذه الصيغ للتقارب مع السلطة بحيث يظهر السيّد الصدر﵀ متحدّثاً في بعض صحف النظام ومن محاولة إظهاره من قبل السلطات المرجع العربي[٢]، حتّى اعتبر الشيخ علي كوراني أنّ لقاء السيّد الصدر﵀ زيد حيدر جاء في سياق ميوله نحو المداراة والمهادنة بتأثير بعض مريديه وطلاّبه وتلامذته[٣]، بينما كان بعض أفراد جهازه المرجعي يدافع عن مثل هذه الخطوات باعتبارها صحيحة ومتبنّاة وليست ملفّقة من قبل السلطة كما يحاول البعض تصويرها وفقاً لما هو المعتاد في تفسير مثل هذه الخطوات[٤].

زيارات أخرى

أ ـ وزار محافظ كربلاء السيّد الصدر﵀ في داره، حيث كانت النجف تابعة إداريّاً إلى محافظة كربلاء، فبادره السيّد الصدر﵀ بغضب شديد قائلاً: «**هل أنتم مسلمون؟ مع الإسلام أنتم أم تريدون القضاء على الإسلام؟ فما هذا الفساد وهذه الشّرذمة من قوّات الأمن التي تنتشر في الصحن الشريف؟**»، فاعتذر له المحافظ[٥].

ب ـ وقام بزيارته أيضاً حسن علي عضو مجلس قيادة الثورة ووزير التجارة، ولم تكن الزيارة متوقّعة وكانت في المجلس العامّ. ولم يَدُرْ فيها ما يستحقُّ الذكر[٦].

ج ـ وجاء فاضل البرّاك مدير الأمن العامّ مع مساعده مدير الشعبة الخامسة لزيارة السيّد الصدر﵀ وكان متخفّياً، فكلّ السيّارات التي كانت معه تحمل أرقاماً خليجيّة ومعظم الأفراد الذين جاءوا لحمايته كانوا بزيّ خليجي، وكان يُظهر الحبّ والمودّة، حتّى أنّه قال للسيّد الصدر﵀ في المكالمة الهاتفيّ من بغداد والتي طلب فيها موعداً للزيارة: إنّه يريد أن يحضر معه مائدة عشاء، وحصر هدف الزيارة بذلك ليظهر نوعاً من المودّة.

وبعد أن حضر طلب اجتماعاً ثنائيّاً خاصّاً[٧]، وكانت خلاصته كما نقل الشيخ محمّد رضا النعماني عن السيّد الصدر﵀: أنّ البرّاك أعطى للبكر انطباعاً حسناً عن السيّد الصدر﵀، وأنّ البكر يكنُّ بالغ الاحترام له، وأمثال هذه العبائر.... ثمّ قال [البرّاك]: «**أرى من صالحنا جميعاً أن نتّفق على أن لا نتدخّل في شؤونكم وأن لا تتدخّلوا في شؤوننا**»، ثمّ قال: «**إنّني أستطيع أن أهمل جميع التقارير التي تكتب**

---

(١) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.

(٢) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٣٣.

(٣) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١١٧، نقلاً عن الشيخ علي كوراني ؛ انظر: مقابلة مع الشيخ علي كوراني (﵀) حيث اعتبر أنّ السيّد الصدر﵀ مال كثيراً إلى تليين العلاقات مع البعثيّين، وكان للسيّد موسى الصدر دورٌ في ذلك، إلاّ أنّ نجاح الثورة في إيران خرّب كلّ شيء.

(٤) محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ١٣٣ ـ ١٣٤، نقلاً عن الشيخ عبد الحليم الزهيري نقلاً عن السيّد محمود الخطيب الذي يبدو أنّه كان المدافع عن الخطوة.

(٥) الإمام الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر.. دراسة في سيرته ومنهجه: ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٦) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨٢.

(٧) يعتقد الشيخ النعماني أنّ سبب ذلك كان خوف (البرّاك) من مساعده، فقد كان الصراع بين جماعة البكر وصدام على أشدّه، والبرّاك كان محسوباً في تلك الفترة على البكر. ولعلّ مساعده كان محسوباً على صدّام.

عنكم وترفع إلينا من قبل مديريّة أمن النجف وغيرها، إلاّ إنّي لا أستطيع أن أفعل شيئاً للتقارير التي ترفع للقيادة مباشرةً من قبل أشخاص في الحوزة نفسها، فأرجو أن لا يصدر منكم شيءٌ يسبّب لي إحراجاً أمام القيادة». وذكر للسيّد أسماء بعضهم ونموذجاً من تقاريرهم. ولم يفصح‏ عن أسمائهم إلاّ في فترة الحجز[١].

د ـ وذات مرّة طلب السيّد الصدر‏ من الشيخ أديب حيدر ترتيب لقاء بين محافظ كربلاء وبين الشيخ محمّد جواد مغنيّة‏، لأنّ الشيخ مغنيّة يتكلّم معهم بجرأة وصراحة، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يمسّوه بسوء لكونه لبنانيّاً وشيخاً كبيراً ذا موقع معيّن. وقد كان وقعُ هذه الزيارة حسناً، حيث خفّفت من حدّة وطأة تسفير الطلبة، وأهدى محافظٌ كربلاء إلى كلٍّ من الشيخ مغنيّة والشيخ أديب حيدر نسخةً مذهّبةً من القرآن الكريم[٢].

التقديم لـ(مسند الإمام علي‏)

في ١٧/شعبان/١٣٩٢ هـ (١٩٧٢/٩/٢٦م) كتب السيّد الصدر‏ مقدّمة لكتاب (مسند الإمام علي‏) للسيّد حسن القبانجي‏ جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمّد وآله الطاهرين

وبعد، فإنّ الاهتمام الكبير بما يؤثر عن الإمام أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام من نصوص يستمدُّ مبرّره من دوره العظيم في الإسلام الذي يفرض على الأمّة الاستمداد من معينه والتعرّف على الإسلام من خلال عطائه، ذلك لأنّ رسول الله‏ لم ينصّب عليّاً مرجعاً أعلى للمسلمين من بعده على الصعيد الاجتماعي فقط، بل نصّبه مرجعاً أعلى على الصعيد الاجتماعي والصعيد الفكري معاً، فهناك مرجعيّتان أسندتا إلهيّاً ونبويّاً إلى الإمام علي:

إحداهما: المرجعيّة الاجتماعيّة للأمّة التي تجعل للإمام القيادة الفعليّة للمسلمين في مجالات حياتهم الاجتماعيّة.

والأخرى: المرجعيّة الفكريّة التشريعيّة للأمّة التي تجعل من الإمام المصدر الأعلى بعد كتاب الله وسنّة رسوله لكلّ ما يشتمل عليه الإسلام من أحكام وتشريعات وقيم ومفاهيم.

وقد كان أروع تعبير نبويٍّ عن المرجعيّة الأولى حديث الغدير، وعن المرجعيّة الثانية حديث الثقلين.

ورغم المحاولات التي بُذلت بعد وفاة النبي الأعظم‏ لوضع بديل عن الإمام علي وأهل البيت في المرجعيّة الفكريّة والتشريعيّة، ورغم الجهود التي أنفقت من أجل تعيين هذا البديل في الصحابة ككلّ دون تمييز بين عليٍّ وسواه، ظلّت الحقيقةُ واضحةً والحاجة إلى مرجعيّة عليٍّ قائمةً بوصفه المصدر الذي أُمدَّ نبويّاً دون سواه وزُوّد بكلّ شروط هذه المرجعيّة ومتطلّباتها، وكانت حاجة الكلّ إليه واستغناء الإمام عن الكلّ دليلاً على أنّه الامتداد الحقيقي للنبيّ الكريم في إمامة الكلّ وزعامته على كلّ المستويات.

وعلى هذا الأساس تبرز قيمة المحاولة الموفّقة التي قام بها الخطيب الشهير العلاّمة السيّد حسن القبانجي

---

(١) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، وقد فاتني الاستفسار عن ذلك من الشيخ النعماني عندما اجتمعتُ به بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م..

(٢) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م في منزله في بدنايل ؛ وانظره موجزاً في: صحيفة (لواء الصدر)، العدد (٤٤٥)، ١٩/رمضان/١٤١٠هـ.

حفظه الله تعالى ورعاه لاستيعاب ما يؤثر عن الإمام علي عليه السلام من نصوص وروايات في هذا الكتاب الجليل الذي يعتبر بوصفه سجلاً لكلام الإمام من أهمّ مصادر المعرفة الإسلاميّة.

ولا تعني هذه المحاولة الموفّقة أنّ كلّ ما ذكر في هذا الكتاب قد صدر من الإمام عليه السلام حقّاً، بل ليس على هذا الكتاب إلاّ أن يجمع ما روي عنه، ويبقى بعد ذلك على من يريد الاستناد إلى شيءٍ من تلك الروايات أن يرجع إلى مقاييس النقد والتمحيص المتّفق عليها بين الفقهاء.

سدّد الله المؤلّف الجليل وأخذ بيده ونفع المؤمنين بجهوده

والسلام عليه ورحمة الله وبركاته.

١٧ شعبان ١٣٩٢ هـ

محمّد باقر الصدر»[١].

صدور الجزء الثاني من (بحوث في شرح العروة الوثقى)

في حدود شعبان ـ رمضان من هذا العام (أيلول ـ تشرين الأوّل/١٩٧٢م)، صدر الجزء الثاني من كتاب (بحوث في شرح العروة الوثقى) بتحقيق السيّد محمود الهاشمي. وكان سعر المجلّد ٥٠٠ فلساً[٢]. وأثناء العمل على تحضيره كتب إلى السيّد علي رضا الحائري:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المرجى وقرّة عيني السيّد علي حفظه الله تعالى ورعاه ومن كلّ سوء وقاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بنفسي أنت وما تعيشه من مشاعر، وبنفسي تلك العيون الساهرة والقلوب الخافقة تلهّفاً وإشفاقاً على الأب البعيد عن عدد من أعزّ أبنائه ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣]، فلتطمئنّ قلوبكم على أيّ حال وليكن شعورنا العميق بأنّنا من عباد الله الصالحين الذين يتألّمون من أجل الله ويرضون من أجل الله أكبر سلوة لنا في خضم كلّ تلك المشاعر العاطفيّة العنيفة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممّن يصبر على بلائه ويوفّينا أجور الصابرين.

أبحاثنا مستمرّة كالمعهود والبحث الفقهي انتقل إلى مسجد الطوسي أيضاً وبدأنا بتحضير مسودّات الجزء الثاني من الكتاب الفقهي[٤] وسوف تصلكم عدّة نسخ من الأسس المنطقيّة للاستقراء.

إنّ الفراغ الفكري والروحي الذي تعيشه الحوزة العلميّة في قم تنعكس عليّ [أنباؤه] بشكل مرير، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله. وكلّ ذلك يجعل مسؤوليّتكم أمام دينكم وأمام أبيكم أكبر، أخذ الله بيدكم ورعاكم وسدّد خطواتكم ولا جعله آخر العهد منّا بكم وجمعنا بكم على أفضل ما نحبّ وتحبّون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٥].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٦٩).

(٢) جاء على ظهر الطبعة الأولى للكتاب: «رقم الإيداع في المكتبة الوطنيّة في بغداد ٦٥٣ لسنة ١٩٧٢ .. ٢١ ـ ١٠٠٠ ـ ١٩٧٢/٩/١٩..مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف».

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) يقصد كتاب (بحوث في شرح العروة الوثقى).

(٥) انظر الوثيقة رقم (١٧٠).

وعندما أرسله إلى الطبع كتب إلى الشيخ علي أكبر برهان:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزنا المرجى العلاّمة ثقة الإسلام الشيخ برهان حفظه الله تعالى ورعاه بعينه التي لا تنام.

السلام عليكم زنة شوقي ودعائي لكم وتوسّلي إلى المولى سبحانه وتعالى أن يرعاكم بلطفه وعظيم رحمته وعنايته.

أكتب إليك هذه السطور وصورتكم في نفسي لا تفارقني ذكرياتها ولا تغيب عن ناظري محيّاها، وقد تلقّيت بكلّ سرور ولهفة الرسائل العزيزة التي أتحفتموني بها، ولم يكن التأخير في الجواب إلاّ نتيجة بعض المبرّرات والمقتضيات، وأرجو أن تتأكّدوا أنّكم إذا بعدتم مكاناً فلا تزال نفوسكم في النفوس وذكرياتكم في القلوب و[أسماؤكم] على الأفواه وفي الأسماء[١].

السمك الذي سألتم عنه حرام على الأحوط وجوباً في رأيي، ومن أجل أنّ الجواب تحريمي لم يكن هناك فائدة عمليّة في إيصال الجواب بصورة أسرع.

صحّتي كما تعهدون، وقد عطّلنا الأبحاث الفقهيّة والأصوليّة منذ عشرين يوماً تقريباً وإلى منتصف رجب بمناسبة التعطيل الصيفي، والجزء الثاني من بحوث في شرح العروة الوثقى لا يزال تحت الطبع، وسوف نرسل إليكم إن شاء الله تعالى منه بعد اكتماله، والزملاء والإخوان كلّهم يسلّمون عليكم، والسلام علكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٢].

وعندما أوشك على الخروج من الطبع كتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

قرّة عيني العزيز المؤمّل المرجى ثقة الإسلام السيّد علي الحائري اليزدي لا عدمته ولا حرمته.

السلام عليك زنة شوقي إليك ودعائي لك.

وبعد، فقد تسلّمت قبل بضعة أيّام برقيّتك العزيزة وأجبت عليها برقيّاً وتسلّمت اليوم رسالتكم البارّة التي كنت أقرأ فيها عواطف الابن المخلص تجاه أبيه، ولا تتصوّر أيّها العزيز أنّ شعور الأب تجاه نفثات قلب ابنه وارتياحه النفسي والروحي بالتفاعل معها أقلّ من شعورك وارتياحك، لأنّ الأب يحسّ بأنّ هذه النفثات التي يتجسّد فيها الإيمان الكامل هي همزة الوصل القويّة بين الأب وعائلته وأهله وأولاده التي لا يمكن للبعد والفراق أن يقطعها أو يميّع شيئاً من جذوتها.

الحمد لله على كلّ حال.

ومرّة أخرى أريد أن اقول ﴿[و]عَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[٣]. إنّ المصائب والأمراض مدرسة للإنسان تتكامل فيها علاقته مع الله سبحانه وتعالى وينصهر إيمانه بذلك القوي القادر الذي لا نجد شيئاً إذا فقدناه ولا نفقد شيئاً إذا وجدناه وهو الله سبحانه وتعالى وقد كان للمولى عزّ وجلّ تدخّلات ربّانيّة وعنايات وألطاف في المرض الذي أصبت به أدّت إلى أن يعود المرض بعد النقاهة منه بالخير العميم والحمد لله على كلّ حال.

أرجو أن تكونوا على درجة كبيرة من الاهتمام بدروسكم وأبحاثكم وأن يكون أفراد العائلة جميعاً

---

(١) كذا، ولم نتبيّن المراد.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٧١).

(٣) البقرة: ٢١٦.

على أحسن حال وفي أتمّ لقاء روحاً وقلباً وعملاً.

كفّارة العهد هي ككفارة إفطار شهر رمضان ولا تتكرّر إلاّ إذا كان قصد الشخص الانحلال بحيث يكون له عهد باجتناب الفرد الأوّل وعهد آخر باجتناب الفرد الثاني، وهكذا.. ومع الشك في القصد لا تتعدّد الكفّارة.

كتاب بحوث في شرح العروة الوثقى تمّ الجزء الثاني منه وخلال يومين سوف يخرج من عند المجلّد ونرسل إليكم منه إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم أوّلاً وآخراً»[١].

كما كتب رحمه الله إلى الشيخ محمّد سعيد النعماني:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المرجى وقرّة عيني الشيخ محمّد سعيد حفظه الله تعالى ورعاه بعينه التي لا تنام وأبقاه أملاً للعلم والإسلام وعضداً لأبيه البعيد عنه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تسلّمت رسالتك العزيزة واطّلعت على شيء من رسائلك العزيزة إلى الآخرين، فشعرت بالارتياح رغم الآلام العاطفيّة التي يزخر بها قلبي و[تمتلئ] بها حياتي من كلّ جهة.

شعرت بالارتياح لأنّي أدركت أنّ الشعور بالواجب لا يزال هو الشعور الأوّل في حياتكم أيّها الأعزّاء، وهكذا يجب أن نكون دائماً، وهكذا يحقّق الأولاد البررة آمال أبيهم فيهم. ولتطمئنّوا جميعاً بذكر الله ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٢]، ولتطمئنّوا أنّ أباكم معكم بكلّ مشاعره، بكلّ وجوده سوى جسمه.

إنّ بقاء السيّد الإشكوري[٣] وبقاءك وبقاء الأعزّاء الآخرين في قم وفي الحوزة أمرٌ ضروري لا بديل له حتّى يأذن الله سبحانه باجتماع الشمل وعودة الأحبّة.

إنّ رسائلك أيّها العزيز وما تحمله من تفكير وحملٍ للهمّ تعبّر عن آمالي فيك، فلتكن دائماً على مستوى الآمال الكبيرة.

صحّتي بخير على العموم، وقد أحسست بارتباكات معويّة منذ شهر تقريباً وقد جئت منذ الأمس إلى الكاظميّة لأخذ بعض الفحوص، وقد كان البحث مستمرّاً على العادة فقهاً وأصولاً.

بدأنا بتحضير المسودّات لطبع الجزء الثاني من الكتاب الفقهي في شرح العروة الوثقى وقد توفّرت في الفترة الأخيرة نسخ الأسس المنطقيّة للاستقراء، وقد استهلك منها في سوف النجف فقط ما يتراوح بين خمسمائة وألف، وأرسلت مع السيّد الباقري[٤] عدّة نسخ من الكتاب.

رعاك الله أيّها العزيز، والسلام عليك وعلى من معك من الإخوان والأحبّة ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٥].

كما كتب إلى الشيخ علي أكبر برهان:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي وقرّة عيني وبرهان حوزتي حرسك الله ورعاك.

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٧٢).

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) يقصد السيّد نور الدين الإشكوري.

(٤) يقصد السيّد محمّد علي الباقري.

(٥) انظر الوثيقة رقم (١٧٣).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت بقلبي قبل يدي رسالتكم العزيزة التي كنت في أشدّ التلهّف عليها وعلى كلّ نفس من أنفاس المحبّين النازحين، هذه الأنفاس التي أشعر بقربها وبحرارتها العاطفيّة وعطائها الروحي رغم بعدها المكاني، فأنتم أيّها الأحبّة إن كنتم قد غبتم عن أرض النجف فلم تتركوا مواضعكم في القلب الذي يرعاكم ويخفق بحبّكم والذي لا يزال في النجف يفكّر فيكم، ويعقد الآمال لخدمة الدين الحنيف على وجودكم، ويتطلّع إلى يوم تقرّ فيه العيون باجتماع الشمل وعودة الأحبّة وليس ذلك على الله بعزيز.

سرّني جداً اشتغالكم العلمي ومباحثاتكم ومجلسكم الأسبوعي في بيت السيّد أبي محمّد[١]، وحبّذا لو أنشأ السيّد أبو محمد مجلس تعزية أسبوعي أيضاً لكي تجتمعوا فيه، ويكون مجالاً للتعارف والانفتاح بالتدريج على أفراد آخرين صالحين من الحوزة أو من أعزّائنا العموميّين النازحين من أمثال آقاي ناطقي ونظائره.

كانت لفتة جيّدة منكم محاولة الاستفادة من السيّد أبي صدري[٢] بتيسير معاملة جواز السفر، ولا أدري ماذا تمّ بهذا الشأن. كما أنّي لا أعلم أنّ نسخ بحوث في شرح العروة الوثقى هل وصلت إليكم أو لا، فإنّي أرسلت إليكم أربعين نسخة من هذا الكتاب، وقد وصلت نسخ الأسس المنطقيّة للاستقراء وأرسلنا إليكم أو أعددنا لإرسال خمس نسخ إن شاء الله تعالى.

سلامي على الأعزّاء جميعاً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[٣].

وحول موضوع الاضطرابات المعويّة والفحوصات الطبيّة كتب إلى الشيخ محيي الدين المامقاني:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة حجّة الإسلام والمسلمين الأخ المعظّم الشيخ محيي الدين المامقاني متّعنا الله بوجوده الشريف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أكتب إليكم أيّها الأخ العزيز هذه السطور وأمامي بل في أعماق قلبي سيلٌ من الذكريات هو كلّ ما بقي لدينا تقريباً من صفو الحياة، وأيُّ صفوٍ للحياة مع تشتّت الشمل وفراق الأحبّة ومشاعر الضياع، وإنّ الذكريات لتزدحم في نفسي حتّى لا أدري كيف أبدأ، وقد كان في نفسي أن أبدأ بالاعتذار عن عدم التوديع في لحظة السفر، فقد كان ذلك فوق طاقتي من الناحية العاطفيّة أو هكذا خيّل لي في تلك اللحظة على أقلّ تقدير. ولئن لم يتح لي شرف توديعكم فلقد أتيح لي بعد ذلك بين الحين والآخر أن أشمّ عبير تلك الأرض الطيّبة الطاهرة التي تحوّلت في مفهوم قلبي الملتاع إلى مزار يرمز إلى أعزّ الذكريات وأنبلها وأطهرها، ولكنّه مزار مفعم في الوقت نفسه بالأمل في اجتماع الشمل وازدهار الأرض الطيّبة بأهلها من جديد.

بنفسي أنتم وأخباركم التي تنعكس عليّ بين الحين والآخر عن طريق رسائلكم إلى الأحبّة من الأهل، وأرجو أن تكونوا في صحّة وعافية وأن تكون السيّدة الجليلة أم عزّى قد استعادت صحّتها الكاملة وعادت إلى وضعها الطبيعي، كما أرجو أن يكون عزيزنا المؤمّل قرّة العين الشيخ محمّد رضا قد استأنف في المشهد الشريف دراسته الحوزويّة وانسجم مع الجو العلمي هناك، وأبتهل إلى المولى سبحانه وتعالى أن يجعل من وجودكم المبارك أينما كنتم محور آمال ومركز إشعاع ومنار هداية وأن يقرّ عيوننا هنا برؤيتكم

---

(١) يقصد السيّد نور الدين الإشكوري.

(٢) يقصد السيّد موسى الصدر.

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٧٤).

والتشرّف بخدمتكم.

صحّتي بخير نسبيّاً وإن كنت أشكو شيئاً من الارتباكات المعويّة، وبهذه المناسبة جئت منذ الأمس إلى الكاظميّة لإجراء بعض الفحوص، السيّد أبو صادق[١] وعائلته وجميع الأهل بخير وعافية. الجميع يسلّمون ويقدّمون الواجب، وبدوري أرجو إبلاغ سلامي إلى الجميع، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٢].

وبعدها صدور الكتاب كتب السيّد الصدر﵁ إلى السيّد ذيشان حيدر جوادي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزنا المبجّل ثقة الإسلام العلاّمة السيد ذيشان حيدر جوادي حفظه الله تعالى ورعاه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد تسلّمت رسالتكم الكريمة التي بشّرتني عن تشرّفكم بالحج وشمّ تلك الأعتاب المقدّسة، فدعوت لكم وابتهلت إلى المولى القدير سبحانه وتعالى أن يرعاكم بعينه ويعزّ بكم الدين ويقرّ بكم عيون المؤمنين.

وقد كنت اجتمعت بالشيخ الجوهري وسألته عن أحوالكم وصحّتكم وكان يأمل أن يجتمع بكم في سفره إلى أفريقيا لإقامة عزاء سيّد الشهداء عليه السلام.

أمّا الجزء الثاني من كتاب بحوث في شرح العروة الوثقى فقد أرسلنا إلى عنوانكم في الله آباد بالبريد المسجّل، أسأل الله أن يكون قد وصل.

الإخوان والزملاء كلّهم يسلّمون عليكم، والسلام عليكم وعلى من حولكم من المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[٣].

وكالة إلى الشيخ عبد الرسول حجازي

في ١٥/رمضان/١٣٩٢هـ (٢٤/١٠/١٩٧٢م) حرّر السيّد الصدر﵁ وكالةً إلى الشيخ عبد الرسول حجازي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد، فإنّ ثقة الإسلام الشيخ عبد الرسول الحجازي حفظه الله تعالى وأيّده، قد صرف شطراً من عمره في تحصيل العلوم الدينيّة وحاز بفضل الله [تعالى] مرتبةً من الفضل والكمال تؤهّله لأداء المهام الدينيّة، ولهذا فقد جعلته وكيلاً عنّي في الأمور الحسبيّة التي يُرجع فيها إلى الحاكم الشرعي في بلدة (مشان) من قضاء (جبيل) وضواحيها، كما أنّه مأذونٌ من قبلنا في أخذ الوجوه الشرعيّة والحقوق الماليّة من الزكاة وسهم السادات وردّ المظالم ومجهول المالك وصرفها في مصارفها المقرّرة شرعاً، وفي أخذ سهم الإمام عليه السلام عجّل الله فرجه وجعل أرواحنا فداه والصرف منه بمقدار حاجته ومراجعتنا فيما زاد، والمأمول من إخواننا المؤمنين وفّقهم الله [تعالى] مزيد إكرامه والإصغاء إلى مواعظه ونصائحه، وما توفيقي إلاّ بالله عليه

---

(١) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم﵀.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٧٥).

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٧٦).

وتوكّلتُ وإليه أنيب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

١٥ شهر رمضان المبارك ١٣٩٢
محمّد باقر الصدر
[الختم]»[١].

السيّد الصدر﵀ يشرح طريقة العمل الإسلامي

تحدّث السيّد الصدر﵀ في المجالس الأسبوعيّة لطلاّبه حول طريقة العمل الإسلامي كما هو مثبتٌ في النشرات الأوليّة لحزب (الدعوة الإسلاميّة)، وهي المراحل الثلاث الأولى التالية، ولم يتعرّض للمرحلة الرابعة:

١ ـ مرحلة تكوين الحزب وبنائه، والتغيير الفكري للأمّة.

٢ ـ مرحلة العمل السياسي، والتي يتمّ خلالها جلب نظر الأمّة إلى الأطروحة الإسلاميّة للحزب ومواقفه السياسيّة وتبنّيها تلك المواقف ودفاعها عنها.

٣ ـ مرحلة استلام الحكم.

٤ ـ مرحلة رعاية مصالح الإسلام والأمّة الإسلاميّة بعد استلام الحكم.

تناول السيّد الصدر﵀ هذا العمل المرحلي بالبحث ولم يكن غرضه من ذلك ـ على ما ذكره السيّد الحائري ـ شجب أصل كبرى المرحليّة في العمل، فإنّها من أوليّات العمل الاجتماعي، وقد طبّقها﵀ في ما كتبه ـ فيما بعد ـ حول عمل المرجعيّة الصالحة[٢]، وإنّما الذي بيّنه في بحثه عن ذلك هو النقاش في مصداق معيّن بلحاظ الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية.

وخلاصة ما قاله﵀ بهذا الصدد: «**إنّنا حينما نعيشُ في بلدٍ ديمقراطيٍّ يؤمن باحترام الشعب وآرائه، ولا تجابههم السّلطة بالتقتيل والتشريد بلا أيّ حساب وكتاب، يكون بالإمكان افتراض حزب ما يبدأ عمله بتكوين بنية ذاتيّة بشكل سرّي، ثمّ يبدأ في مرحلة سياسيّة علنيّة، ومحاولة كسب الأمّة إلى جانبها وجرّها إلى تبنّي تلك المواقف السياسيّة.**

ولكنّ الواقع في مثل العراق ليس هكذا، ففي أيّ لحظة تحسُّ السلطة الظالمة بوجود حزب إسلامي منظّم يعمل وفق هذه المراحل لتحكيم الإسلام، تقتل وتشرّد وتسجن وتعذّب العاملين وتخنق العمل في تلك البلاد قبل تماميّة تعاطف الأمّة معه وتحرّكها إلى جانبه، فما لم يصادف هناك تحوّلٌ آخر دولي في العالم يقلب الحسابات، ليس بإمكان الحزب أن ينتقل من مرحلته الأولى إلى المرحلة الثانية»[٣].

فشل دعم السيّد الخوئي﵀ في تحقيق أهداف المرجعيّة الرشيدة

تقدّم أنّ السيّد الصدر﵀ كان قد عرض على السيّد الخوئي﵀ أن يكون أحد أعضاء جهازه المرجعي، ولكن بشرط أن تكمل هذه المرجعيّة الإنجازات التي كانت مرجعيّة السيّد الحكيم﵀ قد

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٧٧).

(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ٩٠.

(٣) مقدّمة مباحث الأصول: ٩١. وقد ذكر لي السيّد محمّد الغروي أنّ تاريخ هذه الحادثة قبل هذه السنة، وأنا أطمئنُّ إلى صحّة ما ذهب إليه.

حقّقتها. كما تقدّم الحديث عن اللجنة التي تمّ تشكيلها من أجل إرسال الوكلاء إلى المناطق[(١)].

وعندما تحدّث السيّد الصدرﵫ في مجلسه عمّا بذله من أجل تسيير مرجعيّة السيّد الخوئيﵫ في خطّ مرجعيّة السيّد الحكيمﵫ لتكمل ما بدأته تلك، وعن الجهود المقابلة التي بذلها الآخرون من أجل ثني السيّد الخوئيﵫ عن الاستجابة لذلك، سأله الشيخ عبد الزهراء الطائيﵫ قائلاً: «**سيّدنا! وماذا كانت النتيجة؟!**»، فأجابهﵫ: «**النتيجة تتبع أخسّ المقدّمات**»[(٢)].

اقتراح السيّد الصدر الدعوة إلى مرجعيّة السيّد الخمينيﵫ

اقتنع السيّد الصدرﵫ بأنّ المرجعيّة الفعليّة بقناعاتها وطريقة عملها لا يمكنها تحمّل الأعباء الملقاة على عاتقها. والمعروف أنّ السيّد الصدرﵫ رأى حينها أنّ من واجبه التصدّي بنفسه لذلك، لكنّ يبدو لي أنّه ـ وقبل التصدّي بنفسه لأمور المرجعيّة ـ كان قد دعا إلى مرجعيّة السيّد الخمينيﵫ:

فقد كان السيّد الصدرﵫ ينهج أسلوب الشورى في أموره الهامّة، فكان يجمع أهل الرأي والخبرة ممّن يثق بهم، ثمّ يطرح عليهم ما هو المهمّ من الأمور، وكان لا يخالف الأكثريّة حتّى ولو كان رأيها يغاير قناعاته الخاصّة.

وفي هذه الفترة ـ تقريباً ـ دعا من يثق بهم إلى اجتماعٍ من هذا القبيل، وعرض عليهم فكرة دعم مرجعيّة [السيّد الخمينيﵫ] بكلّ ما يملك من طاقات.

ولمّا لم يجد المدعوّون مبرّرات واضحة في هذه الفترة لهذا الدعم الكبير، فقد كان موقف الأكثرية سلبيّاً من هذه الفكرة بينما كانت قناعة السيّد الصدرﵫ إيجابيّة، ولكن لم يسعه مخالفتهم.

وفي وقت آخر، سأله الشيخ محمّد رضا النعماني عن سبب تأييده لدعم هذه المرجعيّة، أجابﵫ: «**إنّي أرى صحّة موقفي كما أراك، إنّ لديّ وضوحاً كالشمس يدعوني إلى دعم تلك المرجعيّة**».

ومرّت الأيام، وشاء الله أن يتألّق نجم تلك المرجعيّة في سماء الإسلام. وعندها قال السيّد الصدرﵫ للشيخ النعماني: «**هل أيقنت بصحّة رؤيتي؟**»[(٣)].

---

(١) انظر أحداث سنة ١٣٩٠هـ.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ عبد الحليم الزهيري بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٤م نقلاً عن الشيخ الطائيﵫ ؛ وانظر: مقابلة مع الشيخ عبد الحليم الزهيري (ﷺ) ؛ صحيفة الجهاد، ملحق العدد (٨٠)، ٢٠/جمادى الثانية/١٤٠٣هـ (١٩٨٣/٨/٤م) في حديث مع الشيخ أبي محمّد [الشيخ عبد الحليم الزهيري]. وفي المصدر: (أحد الوجودات المرجعيّة القائمة في الحوزة العلميّة في النجف الأشرف) بدل (السيّد الخوئيﵫ)، وما أثبتناه ممّا سمعناه. أمّا تبعيّة النتيجة لأخسّ المقدّمات، فبحثٌ معروف في علم المنطق.

(٣) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٢٢. وهنا أمران:

الأوّل: جاء في المصدر: «إحدى المرجعيّات»، وقد قدّرت أن يكون المرجع هو السيّد الخمينيﵫ باعتبار أنّ المرجعيّة التي كان ممكناً أن يدعمها السيّد الشهيدﵫ ثمّ تألّقت لاحقاً هي مرجعيّة السيّد الخمينيﵫ، ويؤكّد ذلك ما جاء من أنّه لم تكن مبرّرات دعم تلك المرجعيّة واضحة، إضافةً إلى ما جاء في الذيل من قوله: «شاء الله أن يتألّق نجم تلك المرجعيّة في سماء الإسلام».. لهذا وذاك، قدّرت أن يكون المقصود هو السيّد الخمينيﵫ.

الثاني: لقد ارتأينا أن يكون السيّد الصدرﵫ قد دعا إلى مرجعيّة السيّد الخمينيﵫ في هذه الفترة وقبل تصدّيه

بدايات تصدّي السيّد الصدر﵀ للمرجعيّة

ثمّة نقطة مهمّة كان السيّد الصدر﵀ قد تنبّه لها، وهي أنّ المرجعيّة ليست من الأمور التي تُفرض على الأمّة أو تُلقى عليها فجأة، بل إنّ الأمّة هي التي تتحرّك نحو المرجع بما يملك من وجود ورصيد.

وبعبارة أخرى، فإنّ الوجود الحقيقي للعالم ذي القابليّات هو الذي يجعل منه مرجعاً، لا أنّ المرجعيّة تلقى عليه فتجعل له وجوداً.

وفيما يتعلّق بالسيّد الصدر﵀ فإنّ وجوده لم يكن خافياً على الأمّة، وهو الذي بدأ بالتحرّك منذ تأسيس (جماعة العلماء) فمجلّة (الأضواء) فتأليف (فلسفتنا) و(اقتصادنا).. ومن هنا فإنّ مرحلة ما قبل التصدّي الرسمي للمرجعيّة لم تبدأ عند السيّد الصدر﵀ في هذا العام، وإنّما منذ تصدّيه لحاجات الأمّة[1].

ومن هنا فإنّ كثيراً من الشباب المثقّفين قد رجعوا إلى السيّد الصدر﵀ في التقليد قبل أنّ يطبع رسالته العمليّة بفترة، وقد ألجأه ذلك إلى كتابة تعليقة على (مختصر منهاج الصالحين) للسيّد الحكيم﵀، فكان طلاّبه ـ ومنهم الشيخ محمّد رضا النعماني والشيخ غلامرضا عرفانيان﵀ ـ يقومون باستنساخ التعليقة، ثمّ يعطونها إلى من يحتاج إليها من المقلّدين[2].

رأى السيّد الصدر﵀ أنّ البيوتات العلميّة المتعدّدة ـ على عراقتها وعظمة شأنها علميّاً وروحيّاً وأخلاقيّاً وشعبيّاً أيضاً ـ إلاّ أنّها لم تعد تسدُّ فراغ السيّد الحكيم﵀[3]، وبعد عدم وضوح الأسباب التي قد تدعو إلى دعم إحدى المرجعيّات التي سمّاها السيّد الصدر﵀ إلى أعضاء مجلسه الاستشاري ـ وهي مرجعيّة السيّد الخميني﵀ ـ ، رأى السيّد الصدر﵀ أن يتصدّى هو بنفسه إلى أمور المرجعيّة حتّى قبل طباعة رسالته العمليّة، وكان تصدّيه في هذه الفترة محدوداً إلى حين طبعه الرسالةَ العمليّة[4].

بدايات التحرّك الاجتماعي

في هذه الفترة بدأ السيّد الصدر﵀ تحرّكه الاجتماعي من أجل إشعار الناس بوجود المرجعيّة

للمرجعيّة، لأنّه كان يدعو إلى مرجعيّة السيّد الحكيم﵀ قبل وفاته، وبعد وفاته دعا إلى السيّد الخوئي﵀ وفقاً لما تقدّم. والمعروف أنّه بعد اقتناعه بعدم قيام مرجعيّته بالمهام الملقاة على عاتقها، تصدّى هو بنفسه لذلك بعد تحرّك الأمّة نحوه، وبعد انتصار الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران تخلّى هو عن المرجعيّة خارج العراق ودعا إلى مرجعيّة السيّد الخميني﵀ على صعيد إيران.

ومن هنا، وبعد أن كانت الحادثتان الآتيتان تعودان إلى أوائل السبعينات، فلا بدّ ـ وبحسب منطق الأمور وطبيعة الأشياء ـ أن ترجعا إلى الفترة الواقعة بين دعوته إلى تقليد السيّد الخوئي﵀ بعد وفاة السيّد الحكيم﵀ وبين تصدّيه بنفسه لأمور المرجعيّة.

وبتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م أكّد لي الشيخ محمّد رضا النعماني صحّة هذين التحليلين.

(١) منّا.

(٢) حدّثني بذلك الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م.

(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٧٢.

(٤) منّا.

ورعايتها إيّاهم، فطلب من السيّد محمود الخطيب أن يدبّر له سلسلة لقاءات مع عشائر المنطقة.

وبعد تنسيق السيّد الخطيب مع بعض معارفه، قام السيّد الصدر‏ بزيارته الأولى في شهر رمضان/١٣٩٢هـ (تشرين الأوّل ـ الثاني/١٩٧٢م) إلى عشيرة (أبو گلل). وقد تمّ استقباله استقبالاً حاشداً، وبادلهم السيّد الصدر‏ هذه المشاعر.

وفي الليلة الثانية قام بزيارة (آل دوش) الذين استقبلوه كذلك بحفاوة، وبعد ذلك بأيّام قام بزيارة (آل بو سيّد سلمان) في ديوانهم في الحويش. ثمّ زار (آل بو غنيم) وغيرهم من البيوتات.

وبعد شهر رمضان المبارك، قامت هذه العشائر بردّ زيارة السيّد الصدر‏، فتوافدوا عليه في منزله في أوقات مختلفة معبّرين عن مشاعرهم.

وقد شكّلت هذه الزيارات حدثاً جديداً في النجف الأشرف، وطار خبرها في الأرجاء، حتّى أنّ الشيخ محمّد جواد مغنية‏ أثنى على هذه الخطوة كثير الثناء[١].

كما شرع في توزيع الراتب في نطاق ضيّق، ولم يبلغ في المرّة الأولى ألف دينار[٢]. وفي هذا الإطار يكتب إلى الشيخ علي كوراني:

«بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العزيز المعظّم حفظه الله تعالى.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنّي قد كتبت اليوم عصراً سطوراً مختصرة مع الحاج أحمد، وكنت أؤجّل كتابة الرسالة إلى حين سفر السيّد عبد الكريم القزويني اعتقاداً منّي بأنّ سفره بعد بضعة أيّام. غير أنّي فوجئت في هذه الليلة به يخبرني بأنّه سوف يسافر غداً صباحاً، وعلى هذا الأساس اضطررت أن أذهب في هذه الليلة إلى بيت السيّد محمد باقر[٣] لأستنجز منه تدارك قضيّة ذلك الشخص بعد أن كنت قد رأيت منه سابقاً التأثّر البليغ حتّى أنّه بكى لأجلكم على ما أخبرني. وقد كتب رسالة إليكم تفي بالمقصود ويمكن أن يطّلع عليها الشوّاف لكي تكون رادعة عن الكلمات التي نقلتموها.

وأنا أطلب منكم أن تجيبوا على رسالة السيّد محمّد باقر برسالة مماثلة تعكس روحاً أخويّة واستمراريّة لروح المحبّة والصلة تجاهه التي كانت موجودة في رسائلك السابقة إليه.

بدأنا هذا الشهر ميزانيّة الصرف التي تشمل مائة طالب وحوالي عشرة طلاّب، أرجو أن نوفّق للاستمرار بالشكل الذي يرضي الله سبحانه وتعالى، وحاولنا أن لا ينعكس الموضوع على الصعيد الحوزوي بقدر الإمكان لتفادي المضاعفات الناشئة عن ترقّب عدد آخرين لشمول العطاء لهم.

السيّد عبد الكريم القزويني حفظه الله تعالى يتعاطف معنا كثيراً ويحمل همّ المرجعيّة الصالحة، وهو على أبواب الزواج، ومن المناسب جدّاً أن تتسبّبوا بشكل يناسبكم إلى تحصيل مساعدة ماليّة معتدٍّ بها لأجل زواجه، ولا مانع من أن تكون المساهمة من سهم الإمام، كما أنّي أظنّ أن بإمكانه لأجل علاقته الحسنة بالسيّد الخوئي أن يحصل على إجازة منه إذا توقّف على ذلك.

سوف أترك الكتابة الآن لأنّ الساعة متأخّرة من الليل، وقد أعود إلى الكتابة إن جدّ في ذهني شيءٌ

---

(١) حدّثني بذلك السيّد محمود الخطيب بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٥م.

(٢) العبارة الأخيرة من: مقابلة مع السيّد عبد العزيز الحكيم ().

(٣) يقصد السيّد محمّد باقر الحكيم‏.

قبل الموعد المبكّر الذي يجب أن يتسلّم فيه السيّد القزويني هذه الرسالة.
الشيخ الخلخالي أدّى الأمانة بالأمس، فالحمد لله سبحانه على إمداده بما ينجز المزيد من خدمته»[١].

دعم الشيخ مرتضى آل ياسين ﵀ مرجعيّة السيّد الصدر ﵀

سئل الشيخ مرتضى آل ياسين ﵀ عن أعلميّة السيّد ﵀ فقال: «**ما عندنا عنده وما عنده ليس عندنا**»، وكان يؤكّد على أعلميّته[٢] حتّى في زمان السيّد محسن الحكيم ﵀، فقد سأله الشيخ سلمان السوداني في حياة السيّد الحكيم ﵀ عن الأعلم فأجاب: «**ليس هناك أعلم من السيّد الصدر**»[٣].

وقيل: إنّ السيّد الصدر ﵀ كان لا يعطي اجازة اجتهاد مستقلاً عن خاله، فكان يكتبها ويمضيها خاله[٤].

وذات مرّة كان السيّد الصدر ﵀ يمشي مشغول البال، فسمع الشيخ عبّاس ـ أحد العلماء في النجف ـ يصيح بصوت عال: «**سيّد باقر! سيّد باقر!**»، فالتفت السيّد الصدر ﵀، ولمّا رآه ذهب بنفسه ليحيّيه لأنّه أكبر منه سنّاً، فقال له الشيخ: «**أما تستحي أن تدّعي المرجعيّة وخالك الشيخ مرتضى موجود؟!**»، فقال السيّد ﵀: «**أنا لا أدّعي ذلك، وإنّما الناس هم الذين يقولون ذلك**»، ثمّ تركه ذلك الشيخ[٥].

وسنة ١٩٧٣م كان السيّد عامر الحلو يقرأ التعزية في (خرنابات) التابعة لمحافظة ديالى. وكان سكّانها من مقلدّي السيّد الحكيم ﵀ الذين تحوّلوا بعد وفاته إلى تقليد السيّد الخوئي ﵀. وقد زارهم السيّد علي التبريزي بصحبة الشاعر الشيخ هادي القصّاب في عشرة شهر محرّم، فرجع إليه بعضهم في التقليد. وقد أرجعهم السيّد محمّد إبراهيم نجل السيّد عبد الهادي الشيرازي ﵀ إلى السيّد الخوئي ﵀. ثمّ جاءهم السيّد جواد العذاري وأرجعهم إلى السيّد الصدر ﵀، ثمّ أتاهم من أرجعهم إلى السيّد الخوئي ﵀.

في ظلّ هذه الأجواء طلب بعض المؤمنين من السيّد عامر الحلو حسم القضيّة، فسأل الشيخ مرتضى آل ياسين ﵀ عن القضيّة فقال بالحرف الواحد: «**قل لهم أن يبقوا على تقليد السيّد الصدر**»، ثمّ وضع يده على رقبته وقال: «**أنا مسؤولٌ عن ذلك يوم القيامة**»، فقام بإبلاغهم ذلك[٦].

وقد سئل السيّد محمّد صادق الصدر ﵀ والد السيّد محمّد ﵀: «**أنت أعلم أم محمّد باقر الصدر؟!**»

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٧٨).

(٢) صحيفة (لواء الصدر)، ١/جمادى الأولى/١٤٠٥هـ ؛ ٦/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ. وحقُّ العبارة أن تكون: «كلّ ما عندنا عنده، وليس كلُّ ما عنده عندنا».

(٣) الشيخ سلمان السوداني، ندوة مؤسّسة الأبرار في الذكرى الخامسة والعشرين على استشهاد الشهيد الصدر (على شبكة الإنترنت).

(٤) صحيفة (لواء الصدر)، ٦/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ. ومنشأ الشكّ والترديد أنّني لا أعرف من حاز على إجازة اجتهاد كتبيّة من السيّد الصدر ﵀ سوى السيّد محمود الهاشمي في الظرف الذي أرسله موفداً عنه إلى السيّد الخميني ﵀ (انظر أحداث سنة ١٣٩٩هـ)، وحتّى السيّد كاظم الحائري لم يحز إلاّ على إجازة اجتهاد شفهيّة.

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، ٣/ربيع الثاني/١٤٠٥هـ.

(٦) صحيفة (المنبر)، العدد (٥١)، في حديثٍ مع السيّد عامر الحلو.

فأجاب: «**كلاّ إنّ محمّد باقر الصدر هو أعلم منّي**»[١].

الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله يُنجح صلاة الجماعة

كان الحاج محمّد رضا الشوشتري قد أسّس الحسينيّة الشوشتريّة سنة ١٣١٩هـ في عقد السلام من محلّة العمارة، ونقلت إليها المكتبة التي أسّسها الميرزا علي محمّد النجف آبادي، وكانت تسع حوالي مائتي مصلٍّ[٢].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يصلّي جماعةً خلف خاله الشيخ مرتضى آل ياسين رحمه الله[٣]، وقد اقترح الشيخ آل ياسين رحمه الله على ابن أخته أن يقيم صلاة الجماعة مكانه كي يكون ذلك حصناً اجتماعيّاً يمنع السلطة من الاعتداء عليه[٤]، ولكنّ السيّد رحمه الله امتنع، إلاّ أنّ خاله ألحّ عليه فوافق.

وفي اليوم الأوّل أتى خاله وصلّى خلفه[٥]، وكان رحمه الله يقيم صلاتي الظهر والعصر فقط[٦].

وقد اتّفق ذات يوم أنّ السيّد الصدر رحمه الله غاب عن صلاة الجماعة لعذر، فطلب جمعٌ من المؤمنين من السيّد محمّد الصدر رحمه الله أن يؤمّ الناس في ذاك اليوم بدلاً من السيّد الصدر رحمه الله، فاستجاب السيّد محمّد الصدر رحمه الله لطلب المؤمنين وأمّهم.

[وفي اليوم التالي جلس السيّد الصدر رحمه الله عند المحراب بشكل غير طبيعي وابتدأ حديثه بالثناء على إمام أمسهِم، ثمّ توجّه إلى الذين اختاروا إماماً لصلاتهم في الأمس بالقول: «**كان عليكم أن لا تؤثروا أحداً وفقاً لمقاييس خاصّة، وإذا ما متُّ فاتركوا إلى الناس أن تختار**»][٧].

وكان السبب في ذلك ـ رغم علمه بأنّ تلميذه وحفيد عمّه أهلٌ ومحلٌّ لإمامة الجماعة ـ أنّه تعارف لدى قسمٍ من أئمّة الجماعة الاستعانة في غيابهم بنائبٍ عنهم يختار من أقربائهم أو أصحابهم لا لنكتة موضوعيّة بل لأنّه من الأقرباء أو الأصحاب.

ومن هنا، فقد يحمل ما وقع من صلاة حفيد العمّ ـ في نظر الناس غير المطّلعين على حقيقة الأمر ـ على هذا الحمل، بينما لا بدّ من كسر هذه العادة وحصر إمامة الجماعة في إطار موضوعيٍّ صحيح وتحت مقياس دقيق تلحظ فيه مصالح الإسلام والمسلمين زائداً على الشرائط الأوّليّة الفقهيّة لإمامة الجماعة، فلهذا منعَ السيّد محمّد الصدر رحمه الله من هذا العمل رغم علمه بتواجد الشرائط والمصالح فيه ما دام العمل قابلاً في نظر الناس للتفسير غير الصحيح[٨].

---

(١) خواطر محفوظة بدون سند (ﷺ).

(٢) موسوعة العتبات المقدّسة ٧: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

(٣) صحيفة (لواء الصدر)، ٦/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ.

(٤) الشهيد الصدر.. سنوات المحنة وأيّام الحصار: ١٢٠ ؛ شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢١٧ ـ ٢١٨ ؛ وانظر: محمّد باقر الصدر.. حياة حافلة.. فكرٌ خلاّق: ٢٠٣. ويُحتمل أن يكون ذلك سنة ١٣٩٣هـ (صحيفة (لواء الصدر)، ٦/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ ؛ ترجمة السيّد الصدر رحمه الله، السيّد محمّد الغروي (ﷺ)).

(٥) صحيفة (لواء الصدر)، ٦/جمادى الثانية/١٤٠٥هـ.

(٦) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٧٠.

(٧) صحيفة (الشهادة)، العدد (٧١٤)، ١٥/ربيع الثاني/١٤١٨هـ نقلاً عن السيّد أبي ولاء.

(٨) مقدّمة مباحث الأصول: ٥١ ـ ٥٢ ؛ تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٢٧٧ ؛ وحدّثني بقريبٍ منه السيّد عمّار أبو رغيف.

وبعد فترة من إقامته الصلاة جماعة، عملت السلطة على تخريب هذا التجمّع وتفريق الجماعة وإغلاق المكتبة[١].

وهنا يشار إلى أنّ السيّد الصدر رحمه الله كان قد حاول الصلاة جماعةً في الحرم الشريف، إلاّ أنّ ذلك أثار بعض الجهات الحوزيّة، ممّا دفع به إلى الإقلاع عن الفكرة[٢].

أطروحة المرجعيّة الصالحة

كان السيّد الصدر رحمه الله يعتقد بأنّ من أهم أسباب عدم قدرة وقوف الحوزة في مقابل مخطّطات الشياطين الحاكمة ومؤامراتهم وكيدهم للدين والأمّة، هو عدم قدرة الحوزة على التجديد والتجدّد، وعدم الرغبة في الانعتاق عن الأساليب والمناهج التي عمّرت قروناً متطاولة، وأبناؤها يلوكون نفس المناهج والمقرّرات، ويدورون في نفس الحلقات، ويتخلّقون بنفس السلوكيّات، ويحملون نفس المفاهيم الاجتماعيّة والنظرات الاجتهاديّة في العمل الاجتماعي، والعلاقة مع السلطة، وجميع الجدليات الفكريّة الجديدة، إلى جانب إيمانه العميق بوجود الجوانب الإجابيّة العظيمة التي تختزنها هذه المؤسّسة الدينيّة العريقة، والذخائر العلميّة والروحيّة والفكريّة الثرّة التي لا تزال الحوزة تتحف بها أجيال الأمّة، في ماضيها وحاضرها. وكان عازماً على بناء مدن سكنيّة، وجامعات علميّة، ومراكز فكريّة، ومؤسّسات إعلاميّة كبيرة، كلّها تحت لواء الحوزة وزعاماتها الروحيّة.

وكان رحمه الله يقول: «**[ليست] ميادين الطب والهندسة وسائر العلوم المدنيّة بأولى من ميادين وساحات ورثة الأنبياء وأمناء الرسل ومنصةّ خلافة الله في الأرض، بتلك الطاقات والعقول المبدعة والخبرات المتفتّقة. إنّ بيد أركان الحوزة العلميّة من المقدّرات والإمكانات الماديّة والمعنويّة ـ إذا ما استُفيد منها بتخطيط سليم، وذكاء وتوازن ـ ما يؤهّل هذه الحوزة لصنع جيوش من المفكّرين والمبدعين والقادة الهداة**»[٣].

وفي يومٍ من الأيّام، استأجر السيّد عبد الهادي الشاهرودي سيّارةً واصطحب السيّد الصدر رحمه الله والسيّد كاظم الحائري ـ وربّما السيّد محمود الهاشمي ـ إلى بساتين الكوفة، حيث جلسوا للاستراحة.

وفي هذه الجلسة جرى حديثٌ حول المرجعيّة، وكان هذا الحديث هو بذرة الأطروحة التي أعدّها السيّد الصدر رحمه الله لاحقاً، وقد فكّر السيّد الصدر رحمه الله في الموضوع وقرّر طرحه في مجلسه الاستشاري الذي كان يعقد أسبوعيّاً[٤].

وعلى مدى عدّة أسابيع، بحث السيّد الصدر رحمه الله أطروحة ما أسماه (المرجعيّة الصالحة) و(المرجعيّة الموضوعيّة)، وأردف ذلك ببيان بعض المقترحات التي ينبغي أن تقوم بها المرجعيّة الصالحة.

وبعد انتهائه من هذا البحث أمر السيّدَ كاظم الحائري بكتابة ما جرى فيه، فامتثل أمره وكتب ما

---

(١) خفايا وأسرار من سيرة الشهيد محمّد باقر الصدر: ٧٠.
(٢) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م.
(٣) وجع الصدر.. ومن وراء الصدر أم جعفر: ١٧٣ ـ ١٧٤.
(٤) حدّثني بذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م.

تلخّص في تلك الأبحاث، فأخذه السيّد الصدر رحمه الله وأعاد كتابته بصياغته الخاصّة، إلاّ أنّه لم يكتب المقترحات الّتي كان قد أردف البحث بها[١]، وكان رحمه الله قد أمر بطبع ما كتبه السيّد كاظم الحائري، إلاّ أنّ الأخير رفض ذلك وطلب من السيّد الصدر رحمه الله أن يكتبه بنفسه، فقام رحمه الله بذلك[٢]، ولكنّ قسماً ممّا كتبه السيّد كاظم الحائري لم يكتبه السيّد الصدر رحمه الله ولا زال موجوداً لدى الأوّل[٣].

وتقديماً لهذا البحث، خاطب السيّد الصدر رحمه الله خاصّة طلاّبه قائلاً لهم: «**يجب عليكم أن لا تتعاملوا مع هذه المرجعيّة ـ وقصد مرجعيّته ـ بروح عاطفيّة وشخصيّة، وأن لا تجعلوا ارتباطكم بي حاجزاً عن الموضوعيّة، بل يجب أن يكون المقياس هو مصلحة الإسلام، فأيُّ مرجعيّة أخرى استطاعت أن تخدم الإسلام وتحقّق له أهدافه يجب أن تقفوا معها وتدافعوا عنها وتذوبوا فيها، [لأنّه لو فرض أنّ وظيفتكم في المستقبل أصبحت تأييد مرجع آخر، فستقعون في مضايقات روحيّة ونفسيّة وستتأذّون، فمن الأوّل ابنوا أنفسكم على أن تكون نظرتكم إلى هذه المرجعيّة طريقيّة]**[٤]**، فلو أنّ مرجعيّة السيّد الخميني مثلاً حقّقت ذلك، فلا يجوز أن يحول ارتباطكم بي عن الذوبان في مرجعيّته**»[٥].

وكان السيّد الصدر رحمه الله يرى أنّ دور المرجعيّة هو قيادة العمل الإسلامي في سبيل إقامة حكم إسلامي، ولم يكن رحمه الله مقتنعاً بالطرق والأساليب التي تعتمدها المرجعيّة، ولذلك كان يقول: «**إنّ المرجعيّة يجب أن تكون نتيجة طبيعيّة لعلمٍ وفقه وجهاد، والإنسان الذي يقدّم العلم والفقه والجهاد والتغيير هو الشخص المؤهّل للمرجعيّة ولقيادة الأمّة**»[٦].

وبعد ذلك طلب السيّد الصدر رحمه الله إرسال هذه الأطروحة إلى المناطق المختلفة وأمر بعض طلاّبه بشرحها للقواعد المؤمنة[٧].

ولم تكن هذه الأطروحة وليدة ساعتها عنده، فقد ساورته أفكارها مذ كان شاباً:

فقد كتب السيّد الصدر رحمه الله لدى نعومة أظفاره رسالةً أوضح فيها نقائص الحوزة العلميّة في النجف الأشرف ووضع حلولها وطريقة تنظيمها وترتيبها. ومضت الأيّام والليالي إلى أن أصبح على أبواب المرجعيّة وعثر صدفةً ضمن كتابٍ من كتبه أو في مكان آخر على تلك الرسالة، وكان عددٌ من طلاّبه ـ وأحدهم السيّد كاظم الحائريّ ـ عنده في بيته في العمارة في الغرفة الفوقانيّة من قسم البرّاني الذي كان قد اعتاد على عقد جلساته الخاصّة هناك، فقرأ عليهم تلك الرسالة وقال: «**إنّ قيمة هذه الرسالة عندي فعلاً قيمة تاريخيّة**».

---

(١) مقدّمة مباحث الأصول: ٩١ ؛ مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (دام ظله).
(٢) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (دام ظله).
(٣) مقابلة (١) مع السيّد كاظم الحائري (حفظه الله).
(٤) ما بين [] من مقابلة مع السيّد عبد الهادي الشاهرودي (حفظه الله).
(٥) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ٢٦١ ؛ وقد ذكر لي ذلك السيّد عبد الهادي الشاهرودي بتاريخ ٢٠٠٤/١١/٢٧م ؛ وانظر: مجلة الحوار الفكري والسياسي، العدد ٤٠، علاقة الشهيد الثورة بالإمام الراحل، بلا اسم المؤلف: ١١٦.
(٦) مقابلة مع الشيخ نجيب سويدان (حفظه الله).
(٧) نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٦٨. وقد طلب السيّد الصدر رحمه الله ذلك من السيّد الحكيم رحمه الله إثر سفره إلى لبنان عام ١٣٩٥هـ. (نظريّة العمل السياسي عند الشهيد السيّد محمّد باقر الصدر: ٢٨٨).

وكانت الرسالة ـ كما يقول السيّد الحائري ـ حقّاً تجسّد همومه وآلامه وآماله وطريقة وضعه الحلولَ وفقاً للمشاكل منذ نعومة أظفاره[1]، وقد فقدت.

أمّا ما ذكره السيّد الصدر رحمه الله بقلمه:

«بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ أهمّ ما يميّز المرجعيّة الصالحة تبنّيها للأهداف الحقيقيّة التي يجب أن تسير المرجعيّة في سبيل تحقيقها لخدمة الإسلام، وامتلاكها صورةً واضحةً محدّدةً لهذه الأهداف، فهي مرجعيّةٌ هادفةٌ بوضوحٍ ووعيٍ، تتصرّف دائماً على أساس تلك الأهداف بدلاً من أن تمارس تصرّفات عشوائيّة وبروح تجزيئيّة وبدافعٍ من ضغط الحاجات الجزئيّة المتجدّدة.

وعلى هذا الأساس كان المرجع الصالح قادراً على عطاء جديد في خدمة الإسلام وإيجاد تغييرٍ أفضل لصالح الإسلام في كلّ الأوضاع التي يمتدُّ إليها تأثيره ونفوذه.

أهداف المرجعيّة الصالحة

ويمكن تلخيص أهداف المرجعيةّ الصالحة رغم ترابطها وتوحّد روحها العامّة في خمس نقاط:

١ ـ نشر أحكام الإسلام على أوسع مدى ممكن بين المسلمين، والعمل لتربية كلّ فرد منهم تربية دينيّة تضمن التزامه بتلك الأحكام في سلوكه الشخصي.

٢ ـ إيجاد تيّار فكري واسع في الأمّة يشتمل على المفاهيم الإسلاميّة الواعية، من قبيل المفهوم الأساسي الذي يؤكّد بأنّ الإسلام نظامٌ كاملٌ شاملٌ لشتّى جوانب الحياة، واتّخاذ ما يمكن من أساليب لتركيز تلك المفاهيم.

٣ ـ إشباع الحاجات الفكريّة الإسلاميّة للعمل الإسلامي، وذلك عن طريق إيجاد البحوث الإسلاميّة الكافية في مختلف المجالات الاقتصاديّة والاجتماعيّة والمقارنات الفكريّة بين الإسلام وبقيّة المذاهب الاجتماعيّة، وتوسيع نطاق الفقه الإسلامي على نحوٍ يجعله قادراً على مدّ كل جوانب الحياة بالتشريع، وتصعيد الحوزة ككلّ إلى مستوى هذه المهامّ الكبيرة.

٤ ـ القيمومة على العمل الإسلامي والإشراف على ما يعطيه العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مفاهيم، وتأييد ما هو حقٌّ منها وإسناده وتصحيح ما هو خطأ.

٥ ـ إعطاء مراكز العالميّة من المرجع الى أدنى مراتب العلماء الصفة القياديّة للأمّة بتبنّي مصالحها والاهتمام بقضايا الناس ورعايتها واحتضان العاملين في سبيل الإسلام.

ووضوح هذه الأهداف للمرجعيّة وتبنّيها وإن كان هو الذي يحدّد صلاح المرجعيّة ويحدث تغييراً كبيراً على سياستها العامّة ونظراتها إلى الأمور وطبيعة تعاملها مع الأمّة، ولكن لا يكفي مجرّد وضع هذه الأهداف ووضوح إدراكها لضمان الحصول على أكبر قدر ممكن من مكاسب المرجعيّة الصالحة، لأنّ الحصول على ذلك يتوقّف ـ إضافةً إلى صلاح المرجع ووعيه واستهدافه ـ على عمل مسبق على قيام المرجعيّة الصالحة من ناحية، وعلى إدخال تطويرات على أسلوب المرجعيّة ووضعها العملي من ناحية أخرى.

أمّا فكرة العمل المسبق على قيام المرجعيّة الصالحة فهي تعني أنّ بداية نشوء مرجعيّة صالحة تحمل الأهداف الآنفة الذكر تتطلّب وجود قاعدة قد آمنت بشكلٍ وآخر بهذه الأهداف في داخل الحوزة وفي الأمّة، وإعدادها فكريّاً وروحيّاً للمساهمة في خدمة الإسلام وبناء المرجعيّة الصالحة، إذ ما لم توجد

---

(١) من كلمة للسيّد كاظم الحائري بتاريخ ٢٦/محرّم/١٤٢٢ هـ .

قاعدة من هذا القبيل تشارك المرجع الصالح أفكاره وتصوّراته وتنظر إلى الأمور من خلال معطيات تربية ذلك الإنسان الصالح لها، يصبح وجود المرجع الصالح وحده غير كافٍ لإيجاد المرجعيّة الصالحة حقّاً وتحقيق أهدافها في النطاق الواسع.

وبهذا كان لزاماً على من يفكّر في قيادة تطوير المرجعيّة إلى مرجعيّة صالحة أن يمارس هذا العمل المسبق بدرجة ما، وعدم ممارسته هو الذي جعل جملة من العلماء الصالحين ـ بالرغم من صلاحهم ـ يشعرون عند تسلّم المرجعيّة بالعجز الكامل عن التغيير لأنّهم لم يمارسوا هذا العمل المسبق، ولم يحدّدوا مسبقاً الأهداف الرشيدة للمرجعيّة والقاعدة التي تؤمن بتلك الأهداف.

تطوير أسلوب المرجعيّة

وأمّا فكرة تطوير أسلوب المرجعيّة وواقعها العملي فهي تستهدف:

أوّلاً: إيجاد جهاز عملي تخطيطي وتنفيذي للمرجعيّة يقوم على أساس الكفاءة والتخصّص وتقسيم العمل واستيعاب كلّ مجالات العمل المرجعي الرشيد في ضوء الأهداف المحدّدة.

ويقوم هذا الجهاز بالعمل بدلاً عن الحاشية التي تعبّر عن جهاز عفوي مرتجل يتكوّن من أشخاص جمعتهم الصدف والظروف الطبيعيّة لتغطية الحاجات الآنيّة بذهنيّة تجزيئيّة وبدون أهداف محدّدة واضحة.

ويشتملُ هذا الجهاز على لجان متعدّدة تتكامل وتنمو بالتدريج إلى أن تستوعب كلّ إمكانات العمل المرجعي، ويمكن أن نذكر اللجان التالية كصورة مثلى وهدف أعلى ينبغي أن يصل إليه الجهاز العملي للمرجعيّة الصالحة في تطوّره وتكامله.

١ ـ لجنة أو لجان لتسيير الوضع الدراسي في الحوزة العلميّة، وهي تمارس تنظيم دراسة ما قبل (الخارج) والإشراف على دراسات الخارج، وتحدّد المواد الدراسيّة، وتضع الكتب الدراسيّة، وتجعل بالتدريج الدراسة الحوزويّة بالمستوى الذي يتيح للحوزة المساهمة في تحقيق أهداف المرجعيّة الصالحة وتستحصل معلومات عن الانتسابات الجغرافيّة للطلبة وتسعى في تكميل الفراغات وتنمية العدد.

٢ ـ لجنة للإنتاج العلمي، ووظائفها إيجاد دوائر علميّة لممارسة البحوث ومتابعة سيرها والإشراف على الإنتاج الحوزوي الصالح وتشجيعه ومتابعة الفكر العالمي بما يتّصل بالإسلام والتوافر على إصدار شيء كمجلّة أو غيرها والتفكير في جلب العناصر الكفوءة إلى الحوزة أو التعاون معها إذا كانت في الخارج.

٣ ـ لجنة أو لجان مسؤولة عن شؤون علماء المناطق المرتبطة وضبط أسمائهم وأماكنهم ووكالاتهم وتتبّع سيرهم وسلوكهم واتّصالاتهم والاطّلاع على النقائص والحاجات والفراغات وكتابة تقرير إجمالي في وقت رتيب أو عند طلب المرجع.

٤ ـ لجنة الاتّصالات، وهي تسعى لإيجاد صلات مع المرجعيّة في المناطق الّتي لم تتّصل مع المركز، ويدخل في مسؤوليّتها إحصاء المناطق ودراسة إمكانات الاتّصال بها وإيجاد سفرة تفقديّة إمّا على مستوى تمثيل المرجع أو على مستوى آخر، وترشيح المناطق التي أصبحت مستعدّة لتقبّل العالم، وتولّي متابعة السير بعد ذلك. ويدخل في صلاحيّتها الاتّصال في الحدود الصحيحة مع المفكّرين والعلماء في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتزويدهم بالكتب والاستفادة من المناسبات كفرصة الحجّ.

٥ ـ لجنة رعاية العمل الإسلامي والتعرّف على مصاديقه في العالم الإسلامي وتكوين فكرة عن كلّ مصداق، وبذل النصح والمعونة عند الحاجة.

٦ ـ اللجنة الماليّة التي تعنى بتسجيل المال وضبط موارده وإيجاد وكلاء ماليّين، والسعي في تنمية

الموارد الطبيعيّة لبيت المال وتسديد المصارف اللازمة للجهاز مع التسجيل والضبط.

ولا شكّ في أنّ بلوغ الجهاز إلى هذا المستوى من الاتّساع والتخصّص يتوقّف على تطوّر طويل الأمد، ومن الطبيعي أن يبدأ الجهاز محدوداً وبدون تخصّصات حدّية تبعاً لضيق نطاق المرجعيّة وعدم وجود التدريب الكافي.

والممارسة والتطبيق هو الذي يبلور القابليّات من خلال العمل، ويساعد على التوسيع والتخصّص.

وثانياً: إيجاد امتداد أفقي حقيقي للمرجعيّة يجعل منها محوراً قويّاً تنصبُّ فيه قوى كلّ ممثّلي المرجعيّة والمنتسبين إليها في العالم، لأنّ المرجعيّة حينما تتبنّى أهدافاً كبيرة وتمارس عملاً تغييريّاً واعياً في الأمّة، لا بدّ أن تستقطب أكبر قدر ممكن من النفوذ لتستعين به في ذلك وتفرض بالتدريج وبشكل وآخر السير في طريق تلك الأهداف على كلّ ممثّليها في العالم.

وبالرغم من انتساب كلّ علماء الشيعة تقريباً إلى المرجع في الواقع المعاش يلاحظ بوضوح أنّه في أكثر الأحيان انتساب نظري وشكلي لا يخلق المحور المطلوب كما هو واضح.

وعلاج ذلك يتمّ عن طريق تطوير شكل الممارسة للعمل المرجعي. فالمرجع تأريخيّاً يمارس عمله المرجعي كلّه ممارسة فرديّة، ولهذا لا تشعر كلُّ القوى المنتسبة إليه بالمشاركة الحقيقيّة معه في المسؤوليّة والتضامن الحاد معه في المواقف، وأمّا إذا مارس المرجع عمله من خلال مجلس يضمُّ علماء الشيعة والقوى الممثّلة له دينيّاً وربط المرجع نفسه بهذا المجلس فسوف يكون العمل المرجعي موضوعيّاً، وإن كانت المرجعيّة نفسها بوصفها نيابة عن الإمام قائمة بشخص المرجع، غير أنّ هذه النيابة القائمة بشخصه لم تحدّد له أسلوب الممارسة وإنما يتحدّد هذا الأسلوب في ضوء الأهداف والمصالح العامّة.

وبهذا الأسلوب الموضوعي من الممارسة يصون المرجع عمله المرجعي من التأثّر بانفعالات شخصه، ويعطي له بعداً وامتداداً واقعيّاً كبيراً، إذ يشعر كلُّ ممثّلي المرجع بالتضامن والمشاركة في تحمّل مسؤوليّات العمل المرجعي وتنفيذ سياسة المرجعيّة الصالحة التي تقرّر من خلال ذلك المجلس. وسوف يضمُّ هذا المجلس تلك اللجان التي يتكوّن منها الجهاز العملي للمرجعيّة، وبهذا تلتقي النقطة السابقة مع هذه النقطة.

ولئن كان في أسلوب الممارسة الفرديّة للعمل المرجعي بعض المزايا كسرعة التحرّك وضمان درجة أكبر من الضبط والحفظ وعدم تسرّب عناصر غير واعية إلى مستوى التخطيط للعمل المرجعي، فإنّ مزايا الأسلوب الآخر أكبر وأهمّ.

ونحن نطلق على المرجعيّة ذات الأسلوب الفردي في الممارسة اسم المرجعيّة الذاتيّة، وعلى المرجعيّة ذات الأسلوب المشترك والموضوعي في الممارسة اسم المرجعيّة الموضوعيّة.

وهكذا يظهر أنّ الفرق بين المرجعيّة الذاتيّة والمرجعية الموضوعيّة ليس في تعيين شخص المرجع الشرعي الواقعي، فإنّ شخص المرجع دائماً هو نائب الإمام، ونائب الإمام هو المجتهد المطلق العادل الأعلم الخبير بمتطلّبات النيابة، وهذا يعني أنّ المرجعيّة من حيث مركز النيابة للإمام ذاتيّة دائماً وإنّما الفرق بين المرجعيّتين في أسلوب الممارسة.

وثالثاً: امتداداً زمنيّاً للمرجعيّة الصالحة لا تتّسع له حياة الفرد الواحد.

فلا بدّ من ضمان نسبيٍّ لتسلّل المرجعيّة في الإنسان الصالح المؤمن بأهداف المرجعيّة الصالحة، لئلاّ ينتكس العمل بانتقال المرجعيّة إلى من لا يؤمن بأهدافها الواعية. ولا بدّ أيضاً من أن يهيّأ المجال للمرجع الصالح الجديد ليبدأ ممارسة مسئوليّاته من حيث انتهى المرجع العام السابق بدلاً عن أن يبدأ من الصفر ويتحمّل مشاق هذه البداية وما تتطلّبه من جهود جانبيّة، وبهذا يتاح للمرجعيّة الاحتفاظ

بهذه الجهود للأهداف وممارسة ألوان من التخطيط الطويل المدى.

ويتمُّ ذلك عن طريق شكل المرجعيّة الموضوعيّة، إذ في إطار المرجعيّة الموضوعيّة لا يوجد المرجع فقط بل يوجد المرجع كذات ويوجد الموضوع، وهو المجلس بما يضمُّ من جهاز يمارس العمل المرجعي الرشيد، وشخص المرجع هو العنصر الذي يموت، وأمّا الموضوع فهو ثابت ويكون ضماناً نسبيّاً إلى درجة معقولة بترشيح المرجع الصالح في حالة خلوّ المركز. وللمجلس وللجهاز ـ بحكم ممارسته للعمل المرجعي ونفوذه وصلاته وثقة الأمّة به ـ القدرة دائماً على إسناد مرشّحه وكسب ثقة الأمّة إلى جانبه.

وهكذا تلتقي النقطتان السابقتان مع هذه النقطة في طريقة الحلّ.

مراحل المرجعيّة الصالحة

وللمرجعيّة الصالحة ثلاث مراحل:

١ ـ مرحلة ما قبل التصدّي الرسمي للمرجعيّة المتمثّل بطبع رسالة عمليّة، وتدخل في هذه المرحلة أيضاً فترة ما قبل المرجعيّة إطلاقاً.

٢ ـ مرحلة التصدّي بطبع الرسالة العمليّة.

٣ ـ مرحلة المرجعيّة العليا المسيطرة على الموقف الديني.

وأهداف المرجعيّة الصالحة ثابتة في المراحل الثلاث، وفي المرحلة الأولى يتمُّ إنجاز العمل المسبق الذي أشرنا إليه سابقاً إلى ضرورته لقيام المرجعيّة الصالحة.

وطبيعة هذه المرحلة تفرض أن تمارس المرجعيّة ممارسة أقرب الى الفرديّة بحكم كونها غير رسميّة ومحدودة في قدرتها وكون الأفراد في بداية التطبيق والممارسة للعمل المرجعي، فالمرجعيّة في هذه المرحلة ذاتيّة، وإن كانت تضع في نفس الوقت بذور التطوير إلى شكل المرجعيّة الموضوعيّة عن طريق تكوين أجهزة استشاريّة محدودة ونوع من التخصّص في بعض الأعمال المرجعيّة.

وأمّا في المرحلة الثانية فيبدأ عمليّاً تطوير الشكل الذاتي إلى الشكل الموضوعي، لكن لا عن طريق الإعلان عن أطروحة المرجعيّة الموضوعيّة بكاملها ووضعها موضع التنفيذ في حدود المستجيبين، لأنّ هذا وإن كان يولّد زخماً تأييديّاً في صفوف بعض الراشدين في التفكير، ولكنّه من ناحية يفصل المرجعيّة الصالحة عن عدد كبيرٍ من القوى والأشخاص غير المستعدّين للتجاوب في هذه المرحلة. ومن ناحية أخرى يضطرُّها إلىٰ الاستعانة بما هو الميسور في تقديم صيغة المرجعيّة الموضوعيّة، وهذا الميسور لا يكفي كمّاً ولا كيفاً لملأ حاجة المرجعيّة الموضوعيّة.

بل الطريق الطبيعي في البدء بتحقيق المرجعيّة الموضوعيّة ممارسة المرجعيّة الصالحة لأهدافها ورسالتها عن طريق لجان وتشكيلات متعدّدة بقدر ما تفرضه بالتدريج حاجات العمل الموضوعيّة وقدرات المرجعيّة البشريّة والاجتماعيّة، ويربط بالتدريج بين تلك اللجان والتشكيلات، ويوسّع منها حتّى تتمخّض في نهاية الشوط عن تنظيم كامل شامل للجهاز المرجعي.

ويتأثّر سير العمل في تطوير أسلوب المرجعيّة وجعلها موضوعيّة بعدّة عوامل في حياة الأمّة فكريّة وسياسيّة، وبنوعيّة القوى المعاصرة في الحوزة للمرجعيّة الموضوعيّة ومدى وجودها في الأمّة ومدى علاقتها طرداً أو عكساً مع أفكار المرجعيّة الصالحة. ولا بدّ من أخذ كلّ هذه العوامل بعين الاعتبار والتحفّظ من خلال مواصلة عمليّة التطوير المرجعي عن تعريض المرجعيّة ذاتها لانتكاسة تقضي عليها، إلاّ إذا لوحظ وجود مكسب كبير في المحاولة ولو باعتبارها تمهيداً لمحاولة أخرى ناجحة يفوق الخسارة التي تترتّب على تفتّت المرجعيّة الصالحة التي تمارس تلك المحاولة».

أما المقترحات التي كان قد أردف البحث بها ولم يكتبها، فتتلخّص بما يلي:

«١ ـ اقتراح إنشاء حوزات علميّة فرعيّة في المناطق التي تساعد على ذلك، ترفد بها الحوزة العلميّة الأمّ.

٢ ـ اقتراح إيجاد علماء في الفقه والأصول والمفاهيم الإسلاميّة في سائر أصناف الناس، فليكن لنا من ضمن الأطبّاء علماء، ومن ضمن المهندسين علماء، وما إلى ذلك من الأصناف. ولا يشترط في هؤلاء العلماء التخصّص والاجتهاد في الفقه والأصول، ويكون كلٌّ من هؤلاء مصدر إشعاع في صنفه، يبثّ العلم والمعرفة وفهم الأحكام الشرعيّة والمفاهيم الإسلاميّة فيما بينهم.

٣ ـ ربط الجانب المالي للعلماء والوكلاء في الأطراف بالمرجعيّة الصالحة، فلا يعيش الوكيل على ما تدرُّ عليه المنطقة من الحقوق الشرعيّة، بل يسلّم الحقوق كاملة إلى المرجعيّة، وتموّله المرجعيّة ليس بالشكل المتعارف في بعض الأوساط من إعطاء نسبة مئويّة من تلك الأموال كالثلث أو الربع، ممّا يجعل علاقة الوكيل بالمرجعيّة سنخ علاقة عامل المضاربة بصاحب رأس المال، بل بشكل تغطية مصاريف الوكيل عن طريق عطاءين من قبل المرجعيّة:

الأوّل: راتب شهري مقطوع يكفل له قدراً معقولاً من حاجاته الضروريّة.

والثاني: عطاء مرن وغير محدّد يختلف من شهر إلى شهر، وقد لا يعطى في بعض الأشهر، وقد يضاعف أضعافاً مضاعفة في بعض الأشهر، ويكون المؤثّر في تقليل وتكثير هذا العطاء عدّة أمور:

أحدها: احتياجاته بما هو إنسان أو بما هو عالم في المنطقة، فإنّها تختلف من شهر إلى شهر.

والثاني: مقدار ما يقدّمه للمرجعيّة من أموال وحقوق شرعيّة.

والثالث: مقدار ما يقدّمه للمنطقة من أتعاب وجهود.

والرابع: مقدار ما ينتج في تلك المنطقة من نصر للإسلام.

كما أنّ هذه الأمور الأربعة قد تؤثّر ـ أيضاً ـ في تحديد مقدار العطاء المتمثّل في الراتب المقطوع.

٤ ـ دعم المرجعيّة الصالحة لمكتب صالح ونظيف من بين المكاتب، وهي التي كانت تسمّى في النجف بـ(البرّانيّات)[1]، بحيث يصبح ما يصدر من ذاك المكتب ممثّلاً في نظر الناس بدرجة خفيفة لرأي المرجعيّة، وفائدة ذلك: أنّ المرجعيّة الصالحة قد تريد أن تنشر فكرة سياسيّة أو اجتماعيّة أو غير ذلك من دون أن تتبنّاها مباشرة لمصلحة في عدم التبنّي المباشر، أو تريد أن تفاوض السلطة في أمرٍ من الأمور بشكل غير مباشر، فذاك المكتب يتبنّى أمثال هذه الأمور»[2].

بنت الهدى رحمها الله تترك مدارس الزهراء عليها السلام

في هذا العام صدر قرارٌ عن مجلس قيادة الثورة البعثي نصّ على تأميم المدارس الأهليّة كافّة

---

(١) كما فعل رحمه الله مع برّاني الشيخ محمّد حسين نصّار على ما ذكره الشيخ محمّد رضا النعماني بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢١م.

(٢) مقدّمة مباحث الأصول: ٩١ ـ ١٠٠. أمّا ما نُسب إلى السيّد الصدر رحمه الله من متبنّيات (مقدّمة الحقّ المبين ؛ مسائل في البناء الفكري: ٩ ـ ١٠)، فيظهر بطلانه لدى أدنى تأمّلٍ في متن الأطروحة.

وقد ادّعى بعض المعاصرين تارةً بأنّ السيّد الصدر رحمه الله عدل عن أطروحته أو تراجع عنها (مسائل في البناء الفكري: ٩ ـ ١٠ ؛ نظرات إلى المرجعيّة: ٩، ٣٢ ؛ صحيفة المبلغ الرسالي، العدد ١٠٨، ١٩٩٧/٤/١٠م: ١٠)، وأخرى بأنّ مشروعها بقي في ذهنه ولم يشهد التطبيق (مقدّمة الحقّ المبين، ط٢: ٣٠). وبعيداً عن التهافت الحاصل بين دعوى العدول والتراجع وبين دعوى بقاء المشروع في ذهنه (حيث تعني الدعوى الثانية عدم التطبيق مع عدم العدول)، فإنّه وبحسب التعبير العلمي: لا يؤثّر المقتضي في مقتضاه إلاّ إذا تحقّق الشرط وارتفع المانع، ولا يكشف بالضرورة عدمُ المقتضى عن عدم المقتضي.

وإلحاقها بوزارة التربية والتعليم ونقل مسؤوليّة الإشراف التام عليها إلى الوزارة، وكان من أهداف هذا القرار القضاء على (قلاع الحجاب) بحسب وصف أحدهم إيّاها.

وبالرغم من أنّ القانون ـ وبحسب ما ورد فيه ـ قد شمل المدارس الأهليّة كافّة، إلاّ أنّ السلطة سرعان ما أعادت الشرعيّة إلى المدارس المسيحيّة والأرمنيّة والمدارس الأهليّة الأخرى، مع دعمها ماليّاً وإعلاميّاً.. واتّضح فيما بعد أنّ الهدف من وراء القرار المذكور كان هذه المدارس بالذات، ولم يكن أمام السيّدة آمنة الصدر رحمها الله إلاّ أن تخرج، وقلبها يتفطّر أسىً وحزناً..

لم تقتنع رحمها الله أبداً بالرجوع إلى موقعها، بالرغم من الكتب الرسميّة التي بعثت إليها.. وكانت تجيب من يسألها عن سبب قرارها الحازم هذا بالقول: «**لم يكن الهدف من وجودي في المدرسة إلاّ نوال مرضاة الله، ولمّا انتفت الغاية من المدرسة بتأميمها، فما هو جدوى وجودي بعد ذلك؟**»(١).

موقف السيّد الصدر رحمه الله من السيّد موسى الصدر

في نهاية هذا العام(٢)، وصل إلى سمع الكاتب الكويتي عبد الصمد تركي ـ وكان ملحقاً ثقافياً في السفارة الكويتيّة في بغداد ـ ما يدور من تسقيط وتضعيف في حقّ السيّد موسى الصدر وحركته، وممّا سمعه أنّ السيّد محمّد باقر الصدر لم يكنْ من المؤيّدين لحركة السيّد موسى الصدر بل كان ينتقدها.

وأراد عبد الصمد تركي معرفة حقيقة موقف السيّد الصدر رحمه الله، سيما وأنّه كان من المتأثّرين بكتاباته. وفي هذا المجال، جاء (ع.ج.س) ـ وهو من أصدقاء تركي ـ إلى السيّد محمّد الحيدري وطلب منه معرفة حقيقة موقف السيّد الصدر رحمه الله من السيّد موسى الصدر بعد أن روى له دواعي طلبه.

وهنا، قام السيّد محمّد الحيدري بإطلاع السيّد الصدر رحمه الله على الأمر، فقال له: «**إنّني أؤيّد حركة السيّد موسى الصدر ومنهجه، وهو مورد ثقتنا وتقديرنا**»(٣).

وكان الشيخ أديب حيدر من مريدي السيّد موسى الصدر، إلاّ أنّ الشيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله زعزع له قناعته، فتوجّه إلى السيّد الصدر رحمه الله سائلاً: «**أنا لديّ شبهة حول العمل مع السيّد موسى الصدر**»، فأجابه رحمه الله: «**أنت تعرف تكليفك، ولكن أقول لك: آغا موسى كان لا يترك صلاة الليل، ولو بقي في النجف لكان مرجعاً للشيعة بلا منازع**»(٤).

تواصل السيّد الصدر رحمه الله مع طلاّبه بعد فراقهم

في ذي القعدة/١٣٩٢هـ (كانون الأوّل/١٩٧٢م)(٥) من هذا العام كتب السيّد الصدر رحمه الله إلى طلاّبه:

---

(١) نبذة عن حياة الشهيدة بنت الهدى (ملف)؛ وانظر: الشهيدة بنت الهدى، سيرتها ومسيرتها: ١٠٢.

(٢) جاء في المصدر أنّ ذلك كان في نهاية ١٩٧٢م (الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ١٥)، وهو قريبٌ من نهاية ١٣٩٢هـ.

(٣) الإمام محمّد باقر الصدر. معايشة من قريب: ١٥ ـ ١٦.

(٤) حدّثني بذلك الشيخ أديب حيدر بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٩م؛ وانظره في: عزّت شيعه (فارسي): ١٤، ٢١٢.

(٥) شهيد الأمّة وشاهدها ١: ١٤٨.

«ذي القعدة ١٣٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أولادي وأحبّتي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أكتب هذه الكلمات أيّها الأحبّة وقد مرَّ على فراق أبيكم لكم سنة كاملة تقريباً ما كان أقساها من سنة على هذا الأب الذي جسّد فيكم آماله، وبذل في سبيل تحقيق وجودكم الأفضلِ عصارةَ روحه وقلبه وعقله جميعاً، وعاش يترقّب نموَّ أولاده واشتداد سواعدهم في العلم وتساميهم في الروح وتكاملهم المستمر في الخُلُق والهدي والدين، وبدأ يحسُّ أنّ هؤلاء الأولاد البررة سوف يحقّقون ظنونه فيهم ويمثّلون امتداده الروحي، وإذا به يفاجأ في لحظة بقدرٍ فرّق بينه وبين أبنائه وهو أحوج ما يكون عاطفيّاً وروحيّاً ودينيّاً إلى قربهم.

وبالرغم من مرور سنة كاملة على فراق الأب لأبنائه، فلا أزال كيوم فارقتكم فيه شعوراً بالألم وشعوراً بالأمل مع شعورٍ ثالث هو حصيلة سنة من الفراق المرير، وهو الإحساس بأنّ العائلة مهما تمزّقت مكانيّاً تظلُّ عائلةً بكلٍّ روابطها العائليّة الطاهرة التي تشدُّ الأب إلى أبنائه وتوحّد الأبناء في إطار أبيهم.

إنّ العاطفة وحدها لا تكفي ضماناً مطلقاً لوحدة العائلة، وإنّ التبصّر وحده لا يكفي ضماناً لوحدة العائلة.

غير أنّ العاطفة والتبصّر معاً هما الضمان الأكيد لاستمرار مشاعر الأبوّة والبنوّة ومواقف الأبوّة والبنوّة.

رعاكم الله بعينه التي لا تنام، والسلام عليكم وعلى هذا الولد الجديد الباقري[1] الذي ابتعد عن أبيه وبنفسي مشاعركم وأفراحكم وشتّى مناسباتكم والسلام على جميع الأحبّة والأعزّاء من حولكم ورحمة الله وبركاته»[2].

ومن رسائله إليهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أيّتها الأجزاء المتبعثرة من قلبي والأحبّة الذين لا تزال أشباحهم ملأ عيني ولا أزال أتمثّلهم معي في كلّ حين.

السلام عليكم ورحمة الله ورضوانه

أكتب إليكم أيّها الأعزّاء هذه السطور وأنا أعلم بقسوة الساعات التي تمرّ عليكم وبشعور الغربة الذي يملأ نفوسكم وبمرارة التجزئة المكانيّة التي تقاسيها وتقاسونها، ولكنّي رغم ذلك أرجو أن تكونوا قد تغلّبتم الآن وبالتدريج على أثر الصدمة الفجائيّة التي بدّدت الشمل وجزّأت الأحبّة وسيطر على موقفكم النفسي من جديد الشعور بالمسؤوليّة بدلاً عن الشعور بالضياع، ورجائي هذا يقوم على أساس الأسباب التالية:

أوّلاً: ما عوّد الله سبحانه وتعالى عليه عباده الصالحين من الألطاف الربانيّة التي تساعد على اطمئنان

---

(١) يقصد السيّد محمّد علي الباقري. وكان السيّد الصدرﷺ قد تعرّف على السيّد الباقري في حفل توديع وتكريم أحد علماء أفغانستان في النجف الأشرف، حيث قارن السيّد الباقري في كلمته بين العالم الفرنسي (منتسكيو) وبين الفقهاء المتحمّلين مسؤوليّة تبليغ الدين. وبعد أيّام التقى السيّد الصدرﷺ به مجدّداً، فقال له: «لم أكن أفكّر أنّ في الحوزة من يتقن الحديث عن الشخصيّات العلميّة والفكريّة الأوروبيّة» وشكره على سعة أفق ثقافته. وبعدها حضر السيّد الباقري درس السيّد الصدرﷺ (تلامذة الإمام الشهيد الصدر: ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، وليس المقصود بـ(الجديد) أنّه التحق به قبل أيّام مثلاً.

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٧٩).

القلوب وثبات القدم واستعادة العزيمة والشعور حتّى في أحرج لحظات الانقطاع بالقوّة النابعة من الارتباط بالله سبحانه وتعالى.

ثانياً: الأمل في اجتماع الشمل والعودة إلى الحوزة الأم، فإنّ هذا الأمل بنفسه يصبح بعد اجتياز لحظات الصدمة قوّة محرّكة ومنشّطة للإسراع بممارسة المسؤوليات الدينيّة والعلميّة.

ثالثاً: الإيمان بمفاد قوله سبحانه وتعالى ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾[1]، ومن الجدير بنا ونحن نثق برعاية الله سبحانه وتعالى لنا أن نحتمل انطباق مفاد الآية الكريمة على الحالة التي تعيشونها، فإنّ هذه الحالة وإن كلّفتنا من الناحية العاطفيّة ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى من المشاعر والانفعالات، ولكنّها قد تكون سبباً في فرصةٍ من التفاعل لحساب الرسالة وكيان الحوزة الصالحة لم يكن بالإمكان توفيرها لولا ظروف هذه المأساة.

وأرجو أن تثقوا على هذا الأساس بأنّ رجوعكم إلى الحوزة الأم إن شاء الله تعالى سوف لن يكون مجرّد، رجوع بل هو رجوع بمحتوى أكبر وبمضمون أضخم في مقاييس الله سبحانه وتعالى.

حاولوا أن تحافظوا على صلاتكم واحرصوا على ترتيب اجتماعات لكم بحثيّة وغير بحثيّة، ولا بأس أن يكون لدى السيّد أبي محمّد[2] مجلس تعزية أسبوعي تكونوا أعضاءه الأساسيّين وينفتح على أشخاص آخرين بالتدريج.

كونوا فوق كلّ الاختلافات التي تلاقونها هناك بقدر الإمكان.

ما كتبه السيّد أبو محمّد عن اهتمامكم بمتابعة البحث عن طريق إرسال كتابات البحث إليكم تفكيرٌ جيّد وصحيح، وعلى هامش ذلك ينبغي أيضاً أن تحضروا أبحاث الخارج هناك، وليكن حضوركم في الأبحاث العامّة للمراجع العموميّين. وأمّا السيّد أبو محمّد فهو يدرس هذه الناحية من زاوية وضعه هناك.

في الأمور الحسبيّة والإجازات التي ترجع إلى الحاكم الشرعي جعلت أبا محمّد فعلاً وكيلاً عنّي إذا وجد الاحتياج إلى شيء من ذلك.

يمكنكم أن تجعلوا مباحثة في كتاب بحوث فقهيّة في شرح العروة لكي تواصلوا بذلك الجهد الفقهي ولغة الكتاب واضحة ومساعدة على الفهم إلى حدٍّ كبير»[3].

ومن رسالةٍ له إلى الشيخ علي أكبر برهان يوصيه ببعض الأمور:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي وقرّة عيني وبرهان حوزتي حفظك الله ورعاك وبعين الله تعالى كلّ ما تعيشه من محن.

تسلّمت منك رسالة عزيزة تلو رسالة، فما أبرّك بأبيك، واطّلعت على بعض رسائلك إلى زملائك فأكّدت إيماني بك وثقتي فيك، وكن على يقينٍ من أنّك إذا كنت قد ابتعدت عن أبيك مكاناً فأنت معه دائماً قلباً وروحاً، معه ذكرى وأملاً، معه دعاء وابتهالاً، معه فكراً وتطلّعاً، انتم لا ينقصكم من أبيكم إلاّ جسمه.

أخذ الله بيدكم ووفّر كلّ أسباب الراحة والاستقرار لكم وحقّق لكم بابتعادكم هذا وما تقاسونه نتيجة لذلك من آلام عظيم الأجر وحقق بكم الآمال.

حافظوا على إخائكم والحبّ الأخويّ من أجل الله المتبادل بينكم؛ كونوا دائماً متقاربين متساندين

---

(١) البقرة: ٢١٦.

(٢) يقصد السيّد نور الدين الإشكوري.

(٣) انظر الوثيقة رقم (١٨٠).

متفاعلين وافتحوا قلوبكم للآخرين وكونوا قدوة في سلوككم وأخلاقكم وموضوعيّتكم وترفّعكم عن العنعنات الآخنديّة وشعوركم بالمسؤوليّة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمّد باقر الصدر»[١].

كما أرسل إلى السيّد نور الدين الإشكوري:

«بسم الله الرحمن الرحيم

عزيزي المعظّم دامت بركاته.

السلام عليكم بقدر الدعاء والشوق والحنين، وبقدر ما حقّقتم من انتصار كبير في مجال الصبر والثبات والوفاء.

تسلّمت الرسالة الكريمة التي كانت على عادتكم زاخرة بالمشاعر والاهتمامات الدينيّة، فسألت المولى سبحانه وتعالى أن يتقبّل منكم ذلك بأفضل ما يتقبّل من عباده الصالحين»[٢].

السيّد الخوئي رحمه الله يصدر (منهاج الصالحين)

عندما أراد السيّد الخوئي رحمه الله أن يصدر رسالته العمليّة إلى مقلّديه، وكانت عبارةً عن تعليقته على (منهاج الصالحين) للسيّد محسن الحكيم رحمه الله بعد أن أدرجها في المتن وأضاف إليها مجموعةً من المسائل[٣]، أرسلها إلى السيّد الصدر رحمه الله لكي يلاحظها من ناحية انسجام الفتاوى مع المباني الأصوليّة. وبعد ثلاثة أو أربعة أيّام، أرسل إليه السيّد الخوئي رحمه الله يستعجله لأنّ عليه إصدارها إلى مقلّديه، فوجد أنّه كتب ستّةً وتسعين صفحة يفصّل فيها الحديث عن مدى انسجام فتاوى (منهاج الصالحين) مع المباني الأصوليّة لأستاذه رحمه الله[٤].

وبعد أن صدر الجزء الأوّل من الكتاب، أحضر السيّد محمود الهاشمي نسخةً منه إلى أستاذه السيّد الصدر رحمه الله، فطالعه في ليلته تلك وقال للسيّد الهاشمي في اليوم التالي ـ أو الذي يليه ـ : «**إنّ فيه سبعة موارد لا تنسجم مع المباني الأصوليّة للسيّد الخوئي حتّى لو سلّمنا بصحّة تلك المباني**».

ولمّا حمل السيّد الهاشمي ذلك إلى السيّد الخوئي رحمه الله، راجعها الأخير وأقرّها ثمّ أوعز إلى السيّد الصدر رحمه الله بمراجعة الجزء الثاني قبل طباعته، وكان حينها في الطبع[٥].

---

(١) انظر الوثيقة رقم (١٨١).

(٢) انظر الوثيقة رقم (١٨٢).

(٣) انظر مقدّمة (منهاج الصالحين) للسيّد الخوئي رحمه الله، وقد جاءت الطبعة الأولى للكتاب سنة ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م في مطبعة الآداب في النجف الأشرف.

(٤) حدّثني بذلك السيّد منير الخبّاز بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٣١م.

(٥) نقلها لي عن السيّد محمود الهاشمي: السيّد كمال الحيدري بتاريخ ٢٠٠٣/٧/١٣م ؛ السيّد محمّد بصير بتاريخ ٢٠٠٤/٥/١٦م ؛ السيّد جعفر الصدر بتاريخ ٢٠٠٤/٥/٩م ؛ وانظر: انديشه ماندگار، ويژه كنگره بين المللى آية الله العظمى شهيد صدر قدس سره، شماره پنجم، ٣٠ دى ١٣٧٩، گفت وگو با سيد كمال حيدرى: ١٣ (نقلاً عن السيّد الهاشمي). وقد ذكر لي السيّد محمّد الغروي بتاريخ ٢٠٠٤/٧/٢٤م أنّ السيّد الصدر رحمه الله ذكر له أنّه أرسل الملاحظات مع السيّد الهاشمي.

الوصول إلى بحث (التعبّدي والتوصّلي)

في أوّل ذي الحجّة/١٣٩٢هـ وصل السيّد الصدر﵀ إلى بحث التعبّدي والتوصّلي من دورته الأصوليّة الثانية[١].

مهدي النجّار ينقد (فلسفتنا)

في شهر كانون الثاني من العام ١٩٧٣م (ذي الحجّة/١٣٩٢هـ)، نشر مهدي النجّار نقداً لكتاب (فلسفتنا) في العدد الأوّل من مجلّة (الثقافة) التي يرأس تحريرها صلاح الخالص، وذلك في سنتها الثالثة (١٩٧٣م). وقد جاء المقال تحت عنوان (مناقشة في كتاب فلسفتنا)[٢].

* * *

---

(١) مستفاد من الدفاتر التي كان يرسلها السيّد الصدر﵀ إلى طلاّبه في إيران من أجل متابعة تحصيلهم.

(٢) مجلّة (الثقافة)، العدد الأوّل، السنة الثالثة (١٩٧٣) ؛ انظر الوثيقة رقم (١٨٣).


المحتويات

احداث سنة ١٣٨٤ هجرية

احداث سنة ١٣٨٥ هجرية

احداث سنة ١٣٨٦ هجرية

احداث سنة ١٣٨٧ هجرية

احداث سنة ١٣٨٨ هجرية

احداث سنة ١٣٨٩ هجرية

الفصل الرابع
جوانب من شخصية السيد محمد باقر الصدر

الفصل الخامس

المرحلة الانتقالية

(١٣٩٠ - ١٣٩٤) هجرية

احداث سنة ١٣٩٠ هجرية

احداث سنة ١٣٩١ هجرية

احداث سنة ١٣٩٢ هجرية

* * *